مؤلفات .. ثروت اباظة

١١

المقالات

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

آدم الجديد

الفصل الأول

كان حيدر أبو عبيد تواقا أن يهب له الله غلاما من زوجته زنوبة الملواني التي تزوج بها منذ ثلاث سنوات .

وما كان زواجه عن حب وانما بعد تفكير وتدبر وبالحاح على أبيه فقد كان يرجو أباه أن يخطب له ولم يكن حيدر رهيف الفؤاد ولا كان تعلق بفتاة بعينها . ولا كان يعنيه أن تكون زوجة ذات جمال أو شيء من مال ولا أن تكون ذات رشاقة أو تكون هيفاء القوام .

كل ما كان يريده أن يتزوج وحين فاتح أباه عبيد الكيالي في هذا الأمر فوجيء بأبيه يقول له بعد صمت قصير :

– انتظر حتى يختار ربنا الى جواره أحد فتيان القرية .

وتولى الذهول حيدر :

– ما صلة زواجي يا آبا بموت واحد من فتيان القرية .

– يكون مهرها نصف الفتاة البكر .

– واذا لم يمت أحد من فتيان القرية .

– لابد أن يموت .

– متى ؟

– حين يريد الرحمن الرحيم .

– قد تمر سنوات .

– ونحن ماذا وراءنا ؟

وأطرق حيدر لحظات ثم قال :

– وماذا نفعل اذا كانت زوجة الذي يموت عندها عيال وتضطر أو أضطر أنا أن أنفق عليهم من دم قلبي .

– قد تكون بلا عيال .

– اذن فقد تكون عقيما .

– أو يكون الزوج هو العقيم .

ـ اذن يا آبا أنت تريد أن تنتظر حتى يموت فتى من فتيان شقلبان . وأن يكون هذا الفتى عقيماً !

ـ لا يكثر على الله يا بنى .

ـ كثر خيرك يا آبا .

وانصرف حيدر عن أبيه وراح يفكر وحده فى هذا البخل الشديد الذى خلقه الله مع هذا الأب .

فهو شحيح بالسليقة حتى ليفكر اذا شرب كم يكلفه كوب الماء وهل يحتاج اليه كاملا أم يكتفى بنصفه .

ولم يستطع رغم هذا التقتير والشح على نفسه وعلى بنيه أن يجمع شيئا من المال يساوى العيشة الضنك التى يعيشها هو وابنه وابنتاه .

ذهب حيدر فى ذلك اليوم الى صديقه بيومى رمضان وروى له الحوار الذى دار بينه وبين أبيه وعجب أن بيومى لم يدهش بل قال :

ـ ان فعل أبوك غير هذا فلا يكون عم عبيد الذى نعرفه .

ـ لك حق ولكن كيف استطاع أن يصل الى هذا التفكير ؟ المهم ما الحل ؟

ـ لا حل الا أن تعتمد على نفسك .

ـ كيف ؟

ـ اسرح معى .

ـ ماذا أفعل ؟

ـ ما أفعله .

ـ يا أخى أنت تشترى أردبين ذرة أو قمح أو شعير قبل موعد الحصاد بثمن بخس ممن ضاقت بهم الحياة واضطروا الى مال قبل الحصاد وتبيع ما تشترى بعد الحصاد وتكسب شيئا هائلا ولا يكاد ما تكسبه يكفيك ومع ذلك تريدنى أن أسرح معك .

ـ جرب حظك .

ـ ومن أين لى برأس المال .

ـ أى مبلغ .

ـ أنت تعرف البير وغطاه .

– أسلفك فى العملية الأولى ..

– على بركة الله .

وحدث فعلا ما توقعه بيومى وبدأ حيدر يكسب صبابات من المال استطاع فى نهاية العام أن يكتنز منها عشرين جنيها . وخيل اليه أنه أصبح من الأثرياء فعشرون جنيها كانت تعنى شيئا ذا شأن وخاصة لابن عبيد الكيالى .

قال بيومى :

– ما رأيك ؟

– الحمـــد لله .

– ليس هذا ما أسألك فيه .

– اذن ماذا تريد ؟

– ألا تكفى هذه الجنيهات لتجعلنى أتزوج .

– ولم لا ، على أن تختار فتاة فقيرة يريد أهلها أن يزوجوها لأى أحد مهما يكن فقيرا وأبوه عم عبيد الكيالى .

– وأنا لا يهمنى من تكون ... وهل تتصور أن أكون ابن عمك عبيد الذى لا يجهل أحد بخله وأضع شروطا للزوجة التى تقبلنى .

– توكل على الله .

– أتعرف واحدة ؟

– أعرف .

– انطـق .

– زنوبة .

– بنت حميدة بائعة الفجل .

– ما عيبها ؟

– والله نعم الاختيار . ثم ان البنت أيضا ليست قبيحة قبحا يدعو الى النفور .

– على العكس .. بيضاء وقوامها حلو .

– على بركة الله .

– هيا نذهب الى أبيك ليخطبها لك .

– وأبى ما شأنه بهذا .

– انه أبوك مهما كان شحيحا جلدة .

ـ لو طلبت منه ذلك سيرفض طبعا ٠

ـ قل له انك ستدفع المهر من جيبك ٠

ـ ولو ، أليست ستعيش معنا فى البيت وستكلفه المأكل والمشرب لقد زوج خيرية وروحية قبل أن يبلغا السادسة عشر ليتخلص من طعامهما وشربهما ٠

ـ اسمع ٠

ـ ماذا ؟

ـ هيا بنا الى خالتك حميدة مباشرة وما فيه الخير يقدمه ربنا ٠

وفعلا قدم الله سبحانه الخير لحيدر وقبلت حميدة زواجه من زنوبة ولكنها توسلت اليه :

ـ اسمع يا حيدر أنا وزنوبة ليس لنا رجل وأنا والحمد لله أكسب طعامى ولا أطمع فيك ولكنى أرجوك أن تعيش معنا فى البيت حتى لا أصبح وحدى اذا أخذت أنت بنتى الوحيدة ٠

وفكر حيدر قليلا ، ولم لا اننى بهذا سأكون قد أرضيت أبى كل الارضاء وأنا الآن عرفت طريقى بتسويق بضعة الأجولة من الحبوب وأستطيع أن أنفق على نفسى وعلى زوجتى وأمها أيضا اذا اقتضى الأمر وحينئذ لن يجد أبى سببا فى منعى من الزواج ٠

ـ والله القول قولك يا أمه حميدة ٠

وذهب الى أبيه وقبل أن يكمل حديثه قال أبوه :

ـ ألم تجد الا بنت حميدة ٠

وأكمل حيدر متغاضيا عن اعتراض أبيه :

ـ ومعى مهرها وسنعيش فى بيت أمها ٠

ولم يمهله أبوه بل سارع :

ـ والله ونعم الاختيار خذوهم فقراء يغنكم الله ٠

ـ أطال الله عمرك ٠

ـ والفرح من سيدفع تكاليفه ٠

ـ ولا فرح ولا يحزنون ٠ ثلاث زجاجات شربات وكم نفر من الأعيان ودمتم ٠ وأنا الذى سأشترى الشربات وتم الزواج ٠

★★★

ومرت عليه ثلاث سنوات دون أن تنجب زنوبة له طفلا وكان هو قد مرن على العمل فى سوق الغـــلال ولكن فى كميات غاية فى الهوان والضآلة . ولهذا لم يكن عجيبا أن يعيش حياة فيها كثير من الاقتصاد اذا أشفقنا أن نقول فيها كثير من الضيق .

ومع ذلك كان يتوق الى طفل .

وشاء الخلاق العظيم أن يحقق له أمنيته وحملت زنوبة . وربما كان مما يستحق الذكر أنها ولدت ولدها يوم مات جده عبيد وربما فى نفس اللحظة وصدق بيت شوقى العظيم الذى استوحاه من القرآن الكريم :

فقلت أحكامك حرنا لها   يا مخرج الحى من الميت

وفرح حيدر كل الفرح بالولد الذى رزق به ولعله فى خبيئة نفسه فرح أيضـــا بموت أبيه ولكنه اضطر تحسبا للنـــاس وتقدمهم أن يلجم الفرحتين . وأقام لأبيه شبه مأتم ولم تجرؤ واحدة من النسوان اللواتى حضرن ولادة ابنه أن تزغرد أو أن تبدى أى فرح بمجىء الغلام .

وهكذا قدم ابن حيدر البكر فى مأتم جده قدوما صامتا لا يجاوب فيه بكاء المولود زغاريد ذويه وصديقات أمه .

★★★

لم يجد حيدر اسما خيرا من عبد الشكور ليسمى به ابنه وكيف لا يشكر الله وقد ورث خمسمائة جنيه عن أبيه ورزق بابنه البكر فى يوم واحد .

الفصل الثانى

آوشك الجيش الألمانى أن يدخل مصر حين وصل العلمين · وراحت الجيوش الانجليزية تجمع أوراقها ·

وفجأة انقلبت المعارك انقلابا تاما لصالح الجيش البريطانى وتشتت الجيش الألمانى بددا فى الصحراء وأصبح هم الجنود الألمان الباقين على وجه الحياة من الجيش الألمانى أن يهربوا من الأسر الانجليزى ·

وانتشر من الجنود الألمان فى قرى الدلتا وكان من نصيب شنقلبان جنديان من الألمان هما مارك وهوفمان وكان مارك يجيد الانجليزية ولم يكن فى شنقلبان أحد يستطيع أن يكمل جملة انجليزية الا عبد الشكور الذى كان قد وصل الى السنة الثانية من التجارة المتوسطة التى دخلها بعد جهد جهيد مع والده حيدر الذى كان يصر أن يخرجه من المدارس بعد الابتدائية ورفض كل الرفض أن ينتسب الى الدراسة الثانوية ·

ـ والله لا يمكن ·

ـ يا آبا أنا لا أمل لى فى الحياة الا أن أحصل على شهادة جامعية ·

ـ كنت ابن من أنت حتى تنال شهادة جامعية ·

ـ أقل منى حصلوا عليها ·

ـ آباؤهم كانوا يطيقون ·

ـ ادفع لى المصاريف وأنا سأعمل وأعيش ·

ـ هذا كلام حتى اذا دخلت الفاس فى الراس أصبحت مضطرا أن أتكفل أنا بكل شيء · وكان بيومى رمضان حاضرا فاذا هو يصيح فجأة :

ـ تاهت ووجدناها ·

ونظر حيدر اليه فى لهفة وأكمل بيومى :

ـ تدخل التجارة المتوسطة ·

قال حيدر :

ـ ولو انها ستكلفنى انما لا بأس وأمرى الى الله ·

وقال عبد الشكور :

ـ أمرى أنا الى الله ·

وهكذا لم تجد القرية الا عبد الشكور ليرطن مع الأجنبيين اللذين قدما اليها وهما فى ملابس رثة وذقنين متطاولين واستطاع عبد الشكور أن يفهم عن مارك الذى يتقن الانجليزية كل الاتقان انهما هاربان من موقعة العلمين وانهما سارا على ساحل البحر مستعينين بالزاد الذى صحباه من جيشهما وحين بلغا الاسكندرية حرصا أن يختبئا فى النهار ويسيرا فى الليل حتى وصلا الى الطريق المؤدى الى مديرية البحيرة فراحا يتنقلان بين القرى موغلين فى الدلتا واتفقا على أن يبتعدا عن الاسكندرية ما أطاقا البعد حتى لا تعثر عليهما القوات الانجليزية وفهم عبد الشكور عنهما أن القرى جميعها كانت ترحب بهما حين يعلم أهلوها أنهما من جيش هتلر الذى كان يمثل عند الغالبية العظمى من المصريين الخلاص من الاحتلال البريطانى البغيض ·

وطلب أعيان شقلبان الى عبد الشكور أن يلح عليهما أن يقيما عندهم عندما علموا أن مارك نجار وأن هوفمان ميكانيكى كهربائى وقد تداول الأعيان فيما بينهم وانتهى رأيهم الى هذا الطلب ، الذين أرادوا من عبد الشكور أن يبلغه للهاربين وقد ارتأى هؤلاء الأعيان انهم أولا سيكرمون جنديين من جنود هتلر وثانيا سينتفعون بخبيرين فى النجارة واصلاح ماكينات الرى والدراس ورحب الجنديان بهذا العرض ·

ولم يتصور أحد من القرية المدى البعيد الذى سيؤثر به بقاء هذين اللاجئين فى حياة عبد الشكور جميعها ·

★★★

كان عبد الشكور رغم تلقيه الدراسة بمدرسة التجارة المتوسطة يقيم فى البلدة فقد رأى أبوه أن هذا وان يكن مجهدا لولده الا أنه أكثر وفرا من أن يستأجر له حجرة فى المدينة · وهكذا كان عبد الشكور يصحو قبل الفجر ليكون بالمدرسة فى موعده ·

وهكذا أيضا كان فقر أبيه المدقع سببا فيما صار اليه أمره بعد ذلك ·

وفى لحظة من اللحظات التى تصيب الانسان من أحلام اليقظة حلم عبد الشكور أن يعقد صداقة بينه وبين مارك ويتعلم منه الانجليزية

والألمانية • ولماذا لا ؟ انه يعلم أنه حتى بعد انتهائه من دراسته لن يجد الوظيفــــة فى انتظــاره وقد كان يرى حملة الشهادات حيارى ضائعين بشهاداتهم لا يجدون وظيفة فقد كانت أزمة الوظائف فى تلك السنين طاحنة شأنها دائما فكيف به وهو لا يحمل الا مؤهلا متوسطا •

أصبح عبد الشكور موقنا كل اليقين ألا أمل له فى الحياة الا أن يتقن لغة ويزداد الأمل ان أصبحت اللغة لغتين •

أنا لا أملك مالا ولابد أن مارك سيحتاج الى مال ••• أبى بالكاد وبتجارته المتهافتة يقيم أود بيتنا على الرغم من أنه لا ولد له غيرى • وأنا لا أحصل على حلة الا بطلوع الروح••ولكن انتظر يا ولد يا عبد الشكور مارك لن يحتاج الى مال فقط وأغلب الأمر أن القرية بما تحتاجه من الأعمال فيها ستمكن الهاربين من الحياة انما مارك يحتاج الى من يكلمه فلا شك أنه وصديقه قد استنفدا بينهما كل حديث •

لأعقد بينى وبينه صداقة وطيدة وأتفق معه أن أعلمه اللغة العربية ويعلمنى هو الانجليزية التى يتقنها ولا أدرى لماذا مع أن الألمانية هى لغته الأصلية •

★★★

فى خبث لا نظير له أراده له الخلاق الفعال بدأ عبد الشكور يرمى شباكه على مارك ولا يحرم منها هوفمان • وما لبث أن عرف أن مارك من أم انجليزية وفهم سر اتقانه الانجليزية •

وبدأت خطة عبد الشكور تأخذ طريقها الى الوجود •

وليس أثمن من سمير أو أنيس مجرد أنيس فى وحشة الغربة بين قوم لا يفهمون عنك ولا تفهم عنهم • وقد رحب الغريبان كل الترحيب باقبال عبد الشكور عليهما •

وبدأ يعلمهما العربية وراح مارك يعلمه الانجليزية وراح هوفمان يعلمه الألمانية وهكذا لم يضطر أن ينتظر حتى يتقن الانجليزية ليبدأ بعدها فى الألمانية • بل درسهما فى وقت معا •

وقد وجد فيما يدرس جميعه أمله الأكبر فى الحياة وبجهد المستميت راح يذاكر •

ولكن لابد له من كتب فى اللغتين ولم يجرؤ أن يفكر فى أن يطلب الى أبيه ثمنها وهو اليوم قد أتم دراسته ومكث بالقرية ينتظر فرج الله

وراح أبوه يتوسل الى كل ذى أكرومه أن يجد لابنه وظيفة ولكن هيهات • وعبد الشكور يريد ثمن الكتب •

ـ آيسا •

ـ مالك ؟

ـ ماذا عليك اذا جعلتني أساعدك فى البيع والشراء ؟

ـ وهل ترى العمل متسعا حتى أحتاج الى من يساعدنى ؟!

ـ اذا عملت معك اتسع العمل •

ـ وماذا تريد منى ؟

ـ ثمن الصفقة الأولى •

ـ أأدفع لك لتزاحمنى فى رزقى •

ـ وأين سأذهب بالمال انى سأدفع لك نصف ما أكسب •

ـ وتنافسنى فى السوق •

ـ ما رأيك أن تستمر أنت فى تجارة الحبوب وأتخصص أنا فى تجارة القطن •

ـ ومن أين لك بثمنه ؟

ـ أنا لا أريد منك الا عربون العملية الأولى وفى السمسرة متسع للجميـــع •

ـ لا بأس على أن أشاركك فى المكسب •

ـ طبعـــا •

وكان عبد الشكور أذكى من أبيه فكان يشترى القطن من المعوزين بثمن بخس ولا ينتظر حتى موعد المحصول وانما يبيع ما اشترى بأسرع ما يمكن الى أثرياء القــرية الذين كان يطمعهم فى رخص الثمن بزيادة الكمية التى سيبيعونها فى الموسم مدركين أنه كلما كبرت الكمية ارتفع السعر الذى سيعرض عليهم •

ولم يكن عبد الشكور أمينا فى محاسبة أبيه فاستطاع أن يشترى الكتب التى يحتاجها بجهد جهيد ولكن الخطة نجحت على كل حال على الأقل بالنسبة لعبد الشكور • فهو لم يكن يطمح الى الغنى لا قدر الله فى هذه المرحلة من حياته وانما كان أمله كله أن يتقن اللغتين حديثا وكتابة •

وتم له ما أراد فى سنوات لم يكن فيها يضيع لحظة متاحة أو غير متاحة لدراسة اللغتين وأتقن أيضا معهما تجارة القطن والسمسرة فيه •

بل تعلم شيئا لم يخطر له ببال فقد علمه الألمانيان المتحضران آداب المائدة وكيف يستعمل أدواتها بمهارة لا تتأتى الا لمن كان فى بيتهم مائدة وخدم أيضا ٠

وحين أحس أنه قادر أن يواجه الحياة وفى لسانه ويده هاتان اللغتان مع خبرة التجارة قال لأبيه :

ـ انا يا آبا سأسافر الى مصر ٠

ـ ماذا تعمل بها ٠

ـ أبحث عن وظيفة ٠

ـ ومن أين لك وأنا لم أترك ثقب ابرة الا حاولت فيه أن أجد لك عملا ولكن الطرق جميعها سدت أمامى وأمامك ٠

ـ أنا أعرف طريقى ٠

ـ وطبعا تريد منى مالا ٠

ـ معى ٠

ـ من أين ؟

ـ مما كسبته فى هذه السنوات ٠

ـ اذن لن تكلفنى شيئا ٠

ـ على الاطلاق ٠

ـ مع السلامة ٠

ـ سلمك الله ٠

ـ ولكن اسمع ٠

ـ أمـــرك ٠

ـ حين تستقر ارسل الى بعنوانك حتى أعرف طريقك فانا ليس لى غيرك ويعلم الله يا بنى أنى ما بخلت عليك ولكن العين بصيرة واليد قصـــيرة ٠

ـ أعلم يا أبى ولولا أنك ساعدتنى ما استطعت أن أجمع القرشين اللذين سأذهب بهما الى مصر ٠

ـ كان أبى بخيلا ولكنى لم أكن معك بخيلا وانما كنت عاجزا ٠

ـ يا آبا أنا أعرف ذلك ٠

ـ أنا لا أريد منك شيئا حتى يفتحها الله عليك كل ما أريد منك ألا تحمل معك فى سفرك وغربتك غضبا على فالله وحده يعلم كم أحبك • فأنت كل أملى فى الحياة ولا أعيش الا لك •

ـ يا آبا أنت لا تحتاج الى هذا الحديث وسترى حين يكرمنى الله كيف سأرد لك المعروف •

ـ أنا لم أمنعك من الدراسة الجامعية بخلا وانما عجزا •

ـ أعلم يا أبى وأنت لا تحتاج الى هذا الكلام •

★★★

وحين أخبر عبد الشكور مارك وهوفمان بانتوائه السفر قال مارك :

ـ متى ؟

ـ فى أقرب وقت •

والتفت مارك الى هوفمان وقال له :

ـ هوفمان اننا الآن معنا ثمن تذاكر الطائرة ..

ـ نعـــم •

ـ فما بقاؤنا ؟

ـ وماذا تريد أن تفعل ؟

ـ نسافر مع عبد الشكور •

ـ وماذا نفعل ؟

ـ نذهب الى السفارة الألمانية وهى كفيلة بأن تعيدنا الى ألمانيا •

ـ أى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

ـ الغربية •

ـ ألا تخشى أن يقبض علينا الانجليز ؟

ـ وماذا يصنعون بنا الحرب انتهت وتم تقسيم ألمانيا واستقرت الأمـــور •

ـ فان جرت الأمور بما لا نريد •

ـ اذا كنا وجدنا رزقنـــا فى شقلبان فمن المؤكد اننا لن يصعب علينا أن نجد رزقنا فى محلات النجارة والميكانيكا والكهرباء فى القاهرة •

وقال هوفمان لعبد الشكور :

ـ ما رأيك ؟

ـ الفكرة جيدة ·

ـ أترى ذلك ؟

وقال عبد الشكور :

ـ نستأجر ثلاثتنا حجرة في القاهرة ونعيش معا حتى تجدا وسيلة للسفر أو تجدا عملا ·

ـ وأنت ماذا ستفعل ؟

ـ لا تخافا على أنا أعرف طريقي كل المعرفة ·

ـ متى نسافر ؟

ـ أليست النقود جاهزة ·

ـ طبعـــا ·

ـ نسافر غدا في الفجر ·

ـ وهو كذلك ·

ـ وهو كذلك ·

الفصـل الثـالث

كان وجود أماكن للسكنى فى القاهرة أيسر شىء جهدا ٠

فما أسرع ما استأجروا شقة ذات غرفتين وحمام ومطبخ بجنيهين فى الشهر ٠ وفى اليـوم التالى نزل ثلاثتهم الأجنبيان الى السفارة أما عبد الشكور فقد كان يعرف وجهته كل المعرفة ٠

★★★

ذهب الى بنك الاقتصاد والتوفير وسأل أول ساع واجهه :

ــ أريد أن ألقى المدير ٠

نظر الساعى بازدراء الى ملابسه وهيئته ولم يملك الا أن يقول له .

ــ المديرة مرة واحدة ٠

ــ ان كان على مرتين لا مانع ٠

وضحك الساعى معجبا بسرعة بديهته :

ــ فيـــم تريده ؟

ــ لو كنت طلبت مقابلتك لكان من الطبيعى أن تسألنى ٠

ــ واضح انك فصيح ٠

ــ وهل يمنع هذا من مقابلة المدير ؟

وأشار الساعى :

ــ آخر باب على اليمين تجد السكرتير وأنت وحظك ٠

قال له السكرتير :

ــ وفيـــم تريده ؟

ــ انه مدير بنك ومفروض أنه يقابل أى طالب للمقابلة ٠

ــ واضح من مظهرك أنك لست صاحب حساب أو صلة بالبنوك ٠

ــ وهل يمنع هذا ان تعود مقابلتى للمدير بنفع على البنك ؟

ــ لا فائدة من مناظرتك ٠ ما اسمك ؟

ـ عبد الشكور حيدر .

ـ وعبد الشكور أيضا .

ـ اسم فيه الشكر مقدما قبل أن يقدم سامعه ما يحتاج الشكر .

ـ حسنا .. حسنا .. انتظر .

ودخل السكرتير الى المدير :

ـ شخص غريب يريد مقابلتك .

ـ وما الغرابة فيه ؟

ـ ملبس متهالك وذكاء واضح .

ـ ما اسمه ؟

ـ عبد الشكور .

ـ فقط ؟

ـ حيدر .

ـ لحسن حظى أننى ليس عندى ما يشغلنى الآن .. هاته نتسلى عليه .

ودخل عبد الشكور ليلقى صبحى حسان بك مدير البنك .

ـ أهلا يا بنى .

ـ أهلا بسعادتك .

ـ أقعـــد .

ـ شكرا أطال الله عمرك .

ـ ماذا أستطيع أن أقدم لك ؟

وفى سرعة حاسمة أجاب عبد الشكور .

ـ وظيفـــة .

ـ بحالها .

ـ بأى حال لها .

ـ ولماذا أوظفك ؟

ـ أؤكد لسعادتك انك ستوظفنى .

ـ واضح أنك تعرف ما تريده تماما .

ـ وأعرف أيضا أننى جدير بأن أحققه .

ـ عجيبـــة .

ـ وأين العجب ؟

ـ أنا لا أعرفك وهيئتك لا تشجع على التفاؤل وأنا لا أعرف مؤهلاتك التى يبدو عليك انك مطمئن اليها كل الاطمئنان ومع كل هذا الغرور منك أشعر بميل نحوك .

ـ هذا أول الطريق الى آمالى .

ـ بعض الناس ينعم الله عليهم بملكة الحضور .

ـ قرأت يا سعادة البك انهم أجروا احصاء واسعا فى أمريكا ثبت منه أن الناس جميعا متساوون فى السعادة والشقاء وأن كل انسان ينال قسطا من السعادة قدر ما ينال الآخر ومن الشقاء مثل ما يصاب به الآخر وأسباب الشقاء عندى واضحة فليس غريبا أن أملك قدرها من وسائل النعمـــة ..

ـ اشرح أكثر .

ـ اذا نال انسان السعادة الوافرة فى جانب واجهه القدر نفسه من الشقاء فى جانب آخر من حياته بحيث تكون النتيجة النهائية أن يصبح الجميع متساوين فيما يحصلون عليه من الهناء والشقاء ..

ـ فهمت ما تعنى ... هل تؤمن بالله ؟

ـ الموقف الذى أنا فيه الآن يحتم على أن أقول كل الايمان ..

ـ لمـــاذا ؟

ـ لأننى أسعى جاهدا أن أبلغ رضاءك علي ..

ـ وكيف عرفت أننى أرضى بايمانك ؟

ـ منصبك وما أنت فيه من أبهة ..

ـ واذا كان يرضينى أن أعرف حقيقة ايمانك ..

ـ لا أملك أمامك الا أن أقول نعم انى مؤمن ..

ـ أتقول الحق ؟

ـ أقول ما يرضيك ...

ـ لا فائدة أن أصل معك الى حقيقة ايمانك .

ـ ولماذا لا تكتفى سعادتك مؤقتا بظاهر الأمر يعني ..

ـ ماذا رماك علي ؟

ـ ما يذكره الناس والصحف عنك ..

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل أنك تسلمت هذا البنك وهو فى طريقه الى الانهيار الكامل فجعلت منه مؤسسة من أكبر المؤسسات الاقتصادية فى الشرق أجمع ٠٠

ـ أهذا المديح من باب المحاولة المستميتة التى تبذلها لارضائى ٠٠

ـ ربما كان هذا ولكننى فى الوقت نفسه أردد ما سمعت ٠٠

ـ أتتصور اننى بهذا الحوار سأعينك ؟

ـ لا بأس أن أحاول ٠٠

ـ أنت تعرف لا شك أن باب التوظيف مقفل تماما ٠٠

ـ ومع هذا قصدت اليك ٠٠

ـ هل كل ما فى جعبتك هذا الحديث الواضح الاصرار ٠

ـ لو كان هذا كل ما أملك ما تركت قريتى وقصدت اليك دون كل الأشخاص الآخرين ذوى النفوذ ٠٠

ـ هل تملك شيئا فى قريتك هذه ٠٠ ؟

ـ كنت فيها أحصل على لقمتى دون ملبس ٠٠

ـ فأنت اذن ٠٠٠٠٠

ـ أفقر من الفقر ٠٠

ـ واضـــح ٠٠

ـ ان ما أقوله لسعادتك غير خاف عليك بحكم مظهرى حتى اذا استطعت أن أتغلب على هذا المظهر فلن أذكر هذا الانسان حتى آخر يوم فى حياتى ٠٠

ـ ماذا كنت تعمل فى القرية ؟

ـ سمسار قطن ٠٠

ـ وأبوك هل هو على قيد الحياة ؟

ـ سمسار حبوب يحصل لى ولأمى ولنفسه على ما يسد الرمق بجهد جهيـــد ٠٠

ـ أهذه مؤهلاتك ٠٠ ؟

ـ سعادتك حتى الآن لم تسألنى عن مؤهلاتى ٠٠

ـ وهأنذا أسأل ٠٠

ـ تجارة متوسطة ٠٠

ـ التجارة العليا لا يحصل صاحبها على وظيفة عندنا أو عند غيرنا الا بواسطة لا تقاوم فما بالك بالمتوسطة ..

ـ لو كانت هذه الشهادة هي كل مؤهلاتى ما تجرأت أن أخطو عتبة هذا البنك ..

ـ ماذا عندك ..

ـ اجادة تامة للغة الانجليزية لا يصل اليها خريج جامعة فى قسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب ..

ـ فقط ..

ـ ونفس الاجادة للغـــة الألمانية مع خبرة ستلمسها اذا عينتنى بشئون القطن وبالسوق عامة ..

ـ خبرة السوق وفهمناها ولكن من أين لك باللغتين .. ؟

ـ هذه من بين المقومات التى تكون حظى من السعادة ..

ـ ألغزت فأفصح ..

ـ مصادر تعلمى لا أظنها تهم سعادتك وانما الذى أعتقد أنه يعنيك هو النتيجة ..

ـ والمصدر أيضا ..

ـ مصيرى أن أرويه لسعادتك فى يوم من الأيام ..

ـ ومن أين علمت أننى ساراك بعد اليوم .. ؟

ـ طول حوارك معى على هوان مظهرى الى جانب شىء آخر أخاف أن أذكره ..

ـ بل أذكره ..

ـ ثقتى بنفسى ..

ـ أهو نوع من الغرور مرة ثانية ..

ـ بل هو اطمئنان أن بنكا كالذى تديره يحتاج الى مؤهلاتى وخاصة اذا أضفنا الى ذلك ما عرف عنك من حرص على نجاح المؤسســة التى تعمل بها ..

وفجأة قلب صبحى بك حسان النقاش من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية التى يتقنها وأجرى لعبد الشكور امتحانا عسيرا فى اجادة اللغة الانجليزية انتهى منه بأن قال له بالعربية :

ـ ان كنت تجيد الألمانية اجادتك للانجليزية فانك عملة نادرة ..

ـ أستطيع مؤقتا أن أقول لسيادتك أننى تعلمتها عن ألمان أما كيف كان ذلك فأرجو أن تتركه سعادتك للأيام ..

ـ أظن أن من حقك الآن أن تتكلم عن الأيام الآتية ..

ـ اذن ..

ـ لقد عينتك وسأعرف خبرتك فى القطن من الممارسة ..

ـ أتسمح لى بشىء على شرط ألا تتمنع ..

ـ ماذا تريد أن تقول .. ؟

ـ انه ليس قولا بل انه عمل ..

وقفـز عبد الشكور فجأة من كرسيه واختطف يد صبحى وقبلها الأمر الذى تم فى لحظات وامضة لم تعط أى فرصة لصبحى أن يتأبى أو يمنع موظفه الجديد عما صنعه ..

الفصــل الــرابع

تمكن الهاربان الألمانيان من الحصول على أوراق تسمح لهما بالعودة الى ألمانيا وطلب اليهما عبد الشـكور أن يكتبا له عن عنوانيهما بمجرد وصولهما اليها ٠

ولم يكن أحد منهما يعرف أين سيستقر به المقام كما كانا يجهلان ما بقى من أسرتيهما على قيد الحياة فقال مارك لعبد الشكور :

ــ سأكتب اليك بمجرد وصولى الى الأرض الألمانية ٠

ثم التفت الى هوفمان قائلا :

ــ وأنت يا هوفمان ألا تنوى أن تفعل ذلك ٠

ــ بالطبع ولكن هل تنوى يا عبد الشكور البقاء فى هذا البيت بعد أن أصبحت صاحب وظيفة ٠

ــ المؤكد أننى سأنتظر أخباركما هنا حتى أعرف العناوين التى أراسلكما عليها ٠

وقال هوفمان :

ــ اننا سنطلعك الآن على سرنا الذى أخفيناه عليك طوال هـذه السـنوات ٠

ــ ألكما سر ؟

ــ كلانا مهندس متخرج فى أعظم كلية فى ألمانيا كلها فلا تعجب اذا جاءك منا أخبار تفيد أننا نعمل فى وظائف غاية فى الأهمية ٠

وأكمل مارك :

ــ بالطبع ألمانيا اليوم تحتاج أكثر ما تحتاج الى المهندسين بعد أن سحقت الحرب مدنها ٠

ــ هل تعلمان ان كانت أسرتيكما فى ألمانيا الشرقية أم الغربية ؟

وقال مارك :

ــ الأمر الذى لا شك فيه أن أسرتينا فى ألمانيا الغربية وسنزداد وثوقا من هذا حين نصل الى هناك ٠

ـ هل أنتما متزوجان ؟

ـ كان لكل منا فتاة لا شك أنها تزوجت الآن ٠

وأكمل مارك :

ـ أنت تعلم طبعا أن أخبار أهلنا في ألمانيا الآن خافية عنا تماما وسنكتب لك بالتفصيل عند عودتنا ٠

ـ لم يخبرني أحدكما عمن ترك من أقارب هناك ٠

قال هوفمان :

ـ أنا ومارك كلانا تركنا أبوينا وأمينا على قيد الحياة وأنا تركت مع أبوى أختين تصغرانى ومارك ترك أختا تصغره وأخا طفلا ٠

وقال مارك :

ـ انتظر أخبارنا كلها فى أول خطاب نكتبه اليك ٠

ـ انى منتظر ٠

وما هى الا أيام قلائل حتى تمكن مارك وهوفمان من مغادرة مصر ٠

★★★

كان عبد الشكور يعرف تماما ما هو صانعه بالبنك ٠

لقد حرص أول ما حرص على أن يوثق صلته بصبحى حتى يجعله يحس أنه لا يستطيع أن يستغنى عنه ٠

وكانت أولى خطواته فى هذا السبيل أن يجعل من نفسه شبه خادم لسكرتيره نبيل معوض ٠

وقد كان شابا فى ريق العمر حاصلا على ليسانس الحقوق وكان من قرية صبحى بك نفسها بل أن أباه كان يعمل ناظر زراعة لمائة الفدان التى يملكها صبحى عن أبيه وقد امتنعت مساحة الأرض على قانون الاصلاح الزراعى فلم تنتزع الحكومة شيئا من أرضه مما جعل الثورة لا تعتبره من أعدائها وقد أتاح له ذلك أن يرقى فى البنك الى منصبه هذا الذى يشغله وخاصة أنه لم يكن من عائلة ذات مكانة ولا خطر مما يسر له أن ينضم الى منظمات الثورة ويظهر غلواء فى تأييدها والهتاف لقائدها الأول ثم لقائدها الثانى مما جعله من أهل الولاء والكفاءة فى وقت معا ، الأمر الذى لم يتيسر الا لقلة نادرة فى هذه الأيام ٠ أما نبيل فلم يكن أبوه يملك الا خمسة أفدنة استطاع بها وبعون من صبحى وأبيه أن يكمل تعليم نبيل

فى كلية الحقوق عاجزا بضآلتها فى الوقت نفسه أن يعلم ابنيه الآخرين مرسى وعيسى اللذين لم يكن أمامهما الا أن يعملا فلاحين فى أرض صبحى بك وقد تمكن كلاهما من أن يحصل على خمسة الأفدنة مما وزعتها الثورة من الأرض التى استولت عليها وقد نالا ما نالا من أرض الغنى الكبير فى قريتهم متــولى باشـا خطاب الذى نال الباشاوية حين تبرع للمشاريع الخيرية بخمسة آلاف جنيه فى عهد الباشاوات ·

عرف عبد الشكور كل شىء عن نبيل معوض من ساعى مكتب المدير حسنين عبد المولى ·

وقد عرف منه أيضا فى دعوة الغداء التى دعاه اليها من أول مرتب يحصل عليه من البنك أن صبحى بك متزوج من ابنة عمه صافيناز هانم عبد الموجود ذات الأم التركية التى لا يعرف حسنين اسمها الذى لم يسع الى معرفته فالأم قد تركت الحياة قبل أن يتزوج صبحى ابن الفلاحين من ابنتهـــا ·

وانتظر عبد الشكور أن يصل الى الخوافى من أخبار صبحى حين يوثق صلته بنبيل الأمر الذى أعد له كل الاعداد وخاصة حين أبلغه حسنين أن نبيل يحب الفتيات الجميلات أو غير الجميلات ان لم يتيسر له غيرهن ·

وقد وجد عبد الشكور منفذه الى نبيل وترك للأيام أن تلج به الى هذا المنفذ ·

★★★

كانت وظيفة عبد الشكور فى قسم الأقطان وقد أراد صبحى أن يرى مقدار كفاءته ·

وانقضت بضعة أسابيع وبدأ موسم شراء الأقطان وتحرى عبد الشكور أن يبتعد فى مشتريات البنك عن شقلبان حتى لا يرى سبيلا الى أبيه بل تحرى أن يبتعد عن المركز جميعا الذى يعرف أغلب أهله ويعرفونه · فقد كان حريصا أن يقطع ما بينه وبين هذه الأيام بكل ما وسعه من جهد ·

بدأ عبد الشكور جهاده الوظيفى فى الصعيد وكان هذا أمرا طبيعيا فقد كان موسم القطن يبدأ فى الصعيد قبل الوجه البحرى بفترة طويلة وقد استطاع بسابق خبرته فى الصفقات ضئيلة الشأن أن يكون ماهرا غاية المهارة فى عقد الصفقات الكبيرة واضعا فى الحسبان أن أكبر مالك لا تزيد أرضه عن مائتى فدان بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ·

وقد استطاع عبد الشكور أن يثبت لصبحى نجاحه الفائق فى عقد الصفقات فكان أكثر زملائه نشاطا ٠

وكان يراعى فى أول الأمر أن يكون صادقا مع البنك متلمسا سرقة المشترى فى السمسرة التى حرص ألا يعلم عنها البنك شيئا حتى اذا انتهى من الصعيد انتقل الى الدلتا فى نشاط منقطع النظير مما عاد على البنك بمكاسب لم يحققها البنك فى هذا المضمار من قبل ، الأمر الذى وفر لعبد الشكور قدرا من المال اعتبره هو فى البداية جديرا بكل احترام واجلال ٠ فان كمية النقود التى أتيحت له لم يسبق له أن رآها بله أن يملكها ٠

كانت أنباء صديقيه قد وصلت اليه وأصبح قادرا أن يستأجر شقة صغيرة كل الصغر فى حى الزمالك بايجار لو سمع به أبوه لأصابته سكتة قلبية ٠ فقد كان يدفع عشرة جنيهات ايجارا للشقة التى كانت تتكون من غرفة نوم واحدة وغرفة للطعام وصالة صغيرة وحمام لولا صاحب البيت ما عرف عبد الشكور كيف يتعامل معه ٠

وكانت الشقة خالية فنقل اليها سريره المتهالك وكرسيين أثارا مع السرير سخرية البواب فى العمارة الجديدة ٠

كان لابد أن يؤثث الشقة الجديدة بما يليق بأناقتها وفخامة العمارة التى تحتويها ٠ وفى هذا التأثيث عرف طريقه الى نبيل ٠

ـ أجرت شقة بالزمالك ٠

ـ الزمالك مرة واحدة ٠

ـ ان لم يكن السكن جميلا فما قيمة حياة الانسان ٠

ـ كم ايجارها ؟

ـ ولا يهمك ٠ المهم أريد أن أؤثثها وليس لى الا أنت لتشترى لها أثاثا يبدو لائقا بالحى ويكون فى الوقت نفسه ملائما لعبد الشكور ٠

ـ أى عبد الشكور تقصد الذى رأيته قبل أن يعين أم الذى أجر شقة فى الزمالك

ـ كل ما أرجوه منك أن تنسى عبد الشكور الذى كنت من القلة النادرة الذين رأوه بمصر قبل التعيين ٠

ـ طبعا أنت تقصد بمصر القاهرة ٠

ــ الذين عرفونى من بلدتنا وما حول بلدتنا لن يرونى أبدا على كل حال ٠

ــ وأبــوك وأمــك ٠

ــ يكفيهما أننى وفرت عليهما اللقمة التى كنت أقتطعها من قوتهما ٠

ــ كنت أظن نفسى عاقا لأننى لا أزور أهلى وأكتفى برؤية أبى حين يأتى لمحاسبة صبحى بك ٠

ــ كن وفيا لنفسك أولا أما الآخرون فعليهم أن يدبروا أمر أنفسهم٠

ــ ألم يعرف أبوك أنك عينت وأنك استأجرت شقة فى الزمالك ٠

ــ ولماذا يعرف ؟

ــ ألم يعرف على الأقل ان كنت على قيد الحياة أم لحقت بالرفيق الأعــلى ٠

ــ المؤكد أنه يعلم أننى لم أمت والا حملت اليه ليتولى دفنى ٠

ــ واضح أنك أرحت نفسك تماما ٠

ــ لا ٠ اطمئن ٠ المهم قل لى ماذا ستفعل معى فى مسألة الأثاث ٠

ــ الأثاث أمره هين ٠

ــ كيــف ؟

ــ عندنا فى البنك قســم خاص بشراء احتياجات البنك فى هذا المضمار ورئيس هذا القسم حمدى خميس وهو الذى يشترى ما يحتاجه صبحى من أثاث ٠

ــ يا نهار أسود ٠٠٠ ومالى أنا لصبحى بك وما يشتريه من أثاث ٠ لو اشترى حمدى مثلما يشترى لصبحى بك لما أكمل ما معى ثمن كرسى واحد للشقة ٠

ــ على مهلك ٠٠٠٠ على مهلك ٠٠٠ ان كل العــاملين فى البنك يلجأون اليه وخبرته بالأثاث الرخيص أعظم من خبرته فى الأثاث الغالى ٠

ــ وصبحى بك ٠

ــ انه يشترى له ما يحتــاجه المطبخ والخدم أما أثاث صبحى بك فتشتريه صافيناز هانم التى تختار دائما أغلى الأثاث مما لا نعرفه ولا نعرف أسماء الماركات التى ينتسب اليها ٠

ــ هل صافيناز هانم مسرفة ؟

ـ مصيرك ترى حساب صبحى بك بالبنك لتعلم أن دخله لا يكفى طلبات زوجته وحدها ٠

ـ والأولاد ٠

ـ المهم عند صافيناز هانم نفسها أولا ولبسها وأثاث بينها والولائم التى تقيمها ٠

ـ والأولاد ٠

ـ كلاهما أيضا مسرف وانما فى حدود مطاقة بالنسبة لأبيهما ٠

ـ عرفت أن عنده ولدا وبنتا ٠

ـ الولد فى السادسة عشر والبنت فى الرابعة عشر ٠

ـ اسم الولد رأفت أظن ٠

ـ على اسم خال صافيناز هانم التركى ٠

ـ الاسم مشترك لا تعرف ان كان اسم أنثى أو اسم رجل ٠

ـ لا يهم المهم انه اسم تركى ٠

ـ اسم البنت سمعته ولكنى لم أستطع أن أحفظه ٠

ـ هان زاده على اسم ستها من أمها طبعا ٠

سرح عبد الشكور لحظات ٠ واضح أن صافيناز هانم هى العنصر الأساسى فى بيت صبحى بك وواضح أيضا أنها خاربة بيت زوجها ٠ وهذه ماذا أصنع لها ٠ لابد أننى واجد لها سكة وحين أجدها تكون أهم طريق لصبحى ٠ ولو أننى من الآن أكاد أكون قد عرفت أحسن وسيلة لصبحى وصافيناز معا ٠ لأطويه وأطويها تحت جناحى ما على الا أن ٠٠٠٠ وارتاع من صمته وسرحته المليئين بالضجيج على صوت نبيل يصيح به :

ـ هيه ٠٠ أين ذهبت ؟

ـ معـــك ٠

ـ بجسمك ٠

ـ وبعقلى ٠ هل سترسلنى الى حمدى خميس ؟

ـ بل يأتى هو اليك ٠ انك فى مكتب المدير وأنا أريد أن تكون شقتك عظيمة فأنا أعتبرها كشقتى تماما ٠

وفهم عبد الشكور الاشارة وفرح بها كل الفرح وأكمل نبيل :

ـ فرق بين أن تذهب الى حمدى كأى موظف فى البنك وبين أن يأتى هو اليك ويتسلمك من مكتب المدير العام ٠

ورفع نبيل سماعة التليفون وأدار رقمين وقال .

ـ حمـــدى تعـــال .

ولما أقفل التليفون . قال عبد الشكور :

ـ ألا تقول صباح الخير .

ـ مكتب المدير لا يقول صباح الخير .

ـ ألم يقل هو لك صباح الخير .

ـ طبعا قالها بكل حماس .

ـ لم تردها عليه .

ـ مكتب المدير لا يرد التحية .

ـ لا تؤاخذنى على جهلى .

ـ ما زال أمامك الطريق طويلا .

ـ واضـــح .

★★★

اشترى الأثاث بمعونة حمدى الذى وفر علينا مبلغا ضخما من المال . استطاع عبد الشكور أن يكسب احترام البواب الذى كان قبل مجىء الأثاث الجديد يحتقره احتقارا لا خفاء فيه .

الفصـل الخـامس

قال عبد الشكور لصبحي بك :

ـ أرجو أن تكون راضيا عني ٠

ـ واضح انك خبير بسوق القطن خبرة عظيمة ٠

ـ ولكن الموسم انتهى هل سأظل بلا عمل حتى الموسم القادم ٠

ـ وماذا تريد أن تعمل ؟

ـ هناك قسم في البنك درسته في المدرسة ولا أعلم عنه أى خبرة عملية ٠

ـ أى قسـم ؟

ـ الأسهم والسندات ٠

ـ والله فكرة لا بأس بها ولغاتك تؤهلك للعمل في هذا القسم على أن تعود الى القطن في موسمه ٠

ـ طبعـا ٠

وأعطى صبحي بك أوامره أن يلتحق عبد الشكور بقسم الأسهم والسندات في البنك ٠

وفي اليـوم التـالى تسـلم عمله ٠

★★★

استقبله فتحى السبكى رئيس القسم بترحاب حذر آما الترحاب فبناء على أوامر صبحى بك وأما الحذر فلن يلبث عبد الشكور أن يتبين ما يتخفى وراءه ٠

عرف عبد الشكور اول ما عرف عن فتحى السبكى انه متصـل بدهاقين التنظيم السياسى الأوحد وهكذا انفتح أمامه باب جديد للنفاق ـ

وثق صلته بفتحى السبكى حتى انه منذ أول يوم حرص أن يرافقه فى الطريق الى بيته ليتعرف على مكان البيت وليؤنس فتحى السبكى فى مشواره ٠

كان فتحى السبكى يملك سيارة لا هى بالسيارة الفارهة ولا هى بالقميئة وحين وصلا الى عمارة السبكى قال لعبد الشكور :

ـ تفضل نتغدى سوا ٠

ـ عزومة مراكبية طبعا ٠

ـ كانت كذلك فعلا ولكن ما دمت قلت ما قلت فاقسم بالله لن تتغدى الا معى اليوم ٠

ـ أصبح أمرا ٠٠٠

ـ اعتبره كذلك ٠

وانتهز عبد الشكور الفرصـــة ليوثق صلته بفتحى ويتعرف على أسرته ٠ ولم يفته للوهلة الأولى أن العمارة فى جاردن سيتى وانها فخمة واضحة المهابة ٠

وصعد مع فتحى الى بيته ٠٠ واضح انه كريم فدعوته هذه لا تأتى من بخيل ٠ وواضح أيضا أنه يريد أن يبهرنى بمسكنه ومأكله ٠

كانت زوجة فتحى السبكى سيدة فى أواسط العمر بشوشا لم تفزع من الضيف المفاجىء واثقة أن الطعام الذى لديها لا يخشى هابطا على بيتها دون انتظار ٠

الشقة فاخرة والأثاث واضح الأناقة ٠

قال فتحى لزوجته وفية سعيد :

ـ الأستاذ عبد الشكور حيدر زميلى الجديد فى القسم ٠

وسارع عبد الشكور صائحا :

ـ العفو ٠٠ بل مرؤوسه الصغير جدا ٠

وأحس فتحى بالزهو أمـام زوجتـــه وما لبث أن أسفر عما وراء اصراره أن يتغدى عبد الشكور معه حين قال لوفية مقدما مزيدا من التعريف بالضيف :

ـ انه مقرب جدا من البيه المدير ويعتبره من أحسن موظفى البنك رغم انه لم يعين الا منذ أشهر قلائل ٠

وانتهز عبد الشكور فرصة لا يمكن أن يفلتها لينافق رئيسه المباشر الذى يرجو منه الخير الكثير :

ـ المهم رضاء سعادتك ٠

وقال فتحى فجأة :

ـ هل جاء الأولاد ؟

وقالت وليه :

ـ ليس بعد ٠

ودار الحديث بين عبد الشكور وفتحى وعرف منه أن لديه ابنين وابنة ٠ وان الابنة أكبرهم واسمها ناهد وهى فى الثانوية العامة فى هذا العام أما الولدان فكلاهما فى أواخر الدراسة الاعدادية يسبق أحدهما واسمه باسم أخاه الأصغر بعامين هما فارق السن بينهما ولم تفت الفرصة عبد الشكور :

ـ واضح أن ثلاثتهم مجتهد فى دراسته ٠

ـ كيف عرفت ؟

ـ فارق الدراسة بين ثلاثتهم متفق تماما مع فوارق السن ٠

ـ اسم الله عليك لا تفوتك الفائتة ٠ فعلا ثلاثتهم مجتهد وان كان ثلاثتهم لا يقبلون أن يلبسوا الا أفخر ملبس وناهد تصر على ان أشترى لها سيارة اذا نجحت فى عامها هذا وذهبت الى الجامعة ٠

ـ من حقها ولماذا لا تاتى لها بسيارة ٠

ـ ربنا يقدرنا ٠

ـ والى أى كلية تريد أن تنتسب ٠

ـ يا سيدى مصممة على الطب والحقيقة أن تفوقها فى دراستها السابقة سيمكنها أن تحقق أملها ان شاء الله ٠

ـ ستدخل الطب وبكره نشوف ٠

ـ قل ان شاء الله ٠

ـ ستدخل الطب ٠ أنا مكشوف عنى الحجاب ٠

ـ سترى ٠

ـ سترى ٠

وقدمت وفية هانم فى ترحاب تدعوهما الى الغداء ٠٠ وكانت المائدة عامرة وأدرك عبد الشكور طبعــا أن الذى أمامه من الطعــام هو لا شك نصيب الأبناء الذين لم يأتوا بعد الى البيت وأدرك أيضا السعة التى يحيا فيها رئيسه المباشر ٠٠ ولم تفته الخادمة التى تلبس ملبسا محترما وتقوم بشأن ثلاثتهم على المائدة ٠

قال عبد الشكور وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء :

ـ أشرب القهوة وأتركك لتستريح فترة القيلولة ٠

ـ أنت شرفت ٠

ـ بل أنا الذى تشرفت فعلا لا مجاملة ٠ هل ستخرج بعد الظهيرة ٠

ـ طبعا أنا كل يوم أذهب الى مقر التنظيم ٠

ـ صحيح ٠

ـ طبعــا ٠٠

ـ هل عندك مانع أن أصحبك الى المقر وأتعرف على الأقيال الذين نعرفهم ٠

ـ بالعكس فقد كنت سأعرض عليك أن تأتى معى ٠

ـ متى تذهب ؟

ـ فى الساعة السادسة أكون هناك ٠

ـ أنا سأعود اليك هنا فى الخامسة والنصف وأذهب معك ٠

ـ وهو كذلك ٠

★★★

وهكذا قدر لعبد الشكور أن يضع أقدامه على سلم توقع هو أن يصل به الى السماء السابعة ٠

★★★

ذهب عبد الشــــكور الى المقر والتقى هناك بســكرتارية الكبــار ومساعديهم ٠ واختار فى اليوم الأول أن يتعرف الى ما يرضى كلا منهم ٠ واستطاع فيما تلا ذلك من أيام أن يكون لصيقا للغالبية العظمى منهم واذا استعصى عليه أحدهم رفض أن يركن الى اليأس فى شأنه بل راح يلوب حوله ليعرف الباب الذي يدخل منه اليه ويطرقه فان لم يجد الطرق

مجديا احتال على فتح الباب بأى وسيلة أخرى ولو أدى الأمر الى اصطناع مفتاح مزور ٠

لقد استقر فى أعماق عبد الشكور استقرارا وطيدا أنه يملك ما لا يملكه أحد ، فهو بلا أصل ولا كرامة ولا مثل ولا تعنيه مشاعر السماء نحوه وهو أملس ليس لديه أى شيء يخشى عليه وهو يعلم أنه ثعلبى الخبث وأنه ابن سوق وأنه صاحب مقدرة على التصرف والحديث بما يجعل سامعه فى حالة من السعادة والهناء والرضى عن نفسه لا تتهيأ له مع أى انسان آخر غير عبد الشكور ، وهكذا لم يكن عجبا أن يطمئن غاية الاطمئنان الى انه يحوز فى يده كل مفاتيح الغنى وذلك مؤقتا عن طريق البنك أما مسالك الجاه فهو يرنو اليها عن طريق معارفه الجدد فى مقر التنظيم منتويا أن يقفز على رؤوسهم الى الصدور والقادة من رؤسائهم الذين يملكون فى يدهم مقادير الناس جميعا ٠ وكلمة جميعا هذه تنصرف الى المقادير والى الناس فى وقت معا فقد كان على بينة وثيقة أن حكام ذلك العهد على رأسهم الحاكم الفرد الذى لم يكن الآخرون بالنسبة اليه الا دمى يحركها كما شاءت أهواؤه ٠ كان على بينة انهم يملكون من الناس مقاديرهم ليس فى وظائفهم أو أعمالهم العامة وحدها بل كانت أيدى الحاكم والدمى تمتد الى خاصة حياتهم والمستسر الخافى من شئونهم وشئون ذويهم ٠

وكان واثقا أيضا أن طاغية العهد لا شأن له مطلقا بالايمان بالله ولا بأحكامه ولا بآخرته ٠

كان عبد الشكور على بينة من هذا جميعه فأدرك أن المستقبل لن يفتح له ذراعيه على مصراعيهما وان لم يجد الى بلاط الفئة الحاكمة منفذا واسع الأرجاء ٠ وكانت ثقته بمقدار سفالته ونفاقه تملأ نفسه يقينا انه بالغ من مطامعه ما يشتهى ويريد ٠ حتى ليكاد أن يتحدى الأيام انه لا شك الى نجاح وفلاح ٠

الفصـــل الســـادس

بدأ عبد الشكور يتعرف على طبيعة العمل فى قسم الأسهم والسندات وما لبث أن فرض نفســه على فتحي السبكي حتى أصبح أقرب المقربين اليه ٠

وبهذه الصلة الوثيقة تبين له ما أذهله ٠

لقد كان فتحي يتصرف فى أسهم الناس وفى سنداتهم كأنها ملك شخصي ينال منها على غير علم من أصحابها مكاسب فادحة ٠

وتظاهر عبد الشكور أنه لا يفهم ما يصنعه فتحي وصرف جهـده أول ما صرف الى التعرف على أصحاب هذه الأسهم فالغالبية العظمى منهم هم أصحاب الأموال الجسام الذين لم يكن العهد الحاكم قد مسهم بعد ٠

وعن هذا الطريق تعرف على أصحاب الثراء العريض والأصل الرفيع حتى اذا وثق صلته بهم عاد الى فتحي الذى كان قد أمن له كل الأمان وجعله يتعرف على خوافى الأمور وسراديبها ٠

وكان فتحي على قدر واسع من الذكاء مما جعله يتيح لعبد الشكور أن يقوم ببعض العمليات التى تعود عليه بالربح الوفير ٠ وان لم يكن الى وفرة عمليات فتحي طبعا ٠

فى يوم من الأيام بينما هو فى مكتبه طلبه نبيل فى التليفون :

ــ ماذا تعمل ؟

ــ مهما يكن ما أعمله أنا تحت أمرك ٠

ــ تعـــال ٠

وحين جلس عبد الشكور أمام نبيل قال نبيل :

ــ أتذهب الى السينما ؟

ــ فيما ندر ٠

ــ لمـــاذا ؟

ــ يا نبيل يا حبيبي ان العمل الذي لا أكسب منه لا يلزمني ٠

ـ ربما تكسب تسلية ويقولون أن بعض الأفلام المأخوذة عن أعمال كبار الكتاب قد تكسب ثقافة ٠

ـ هل هذه الثقافة تنفعنى فى البنك ؟

ـ المؤكد أنها تنفعك فى الحياة ٠

ـ كيـف ؟

ـ فى معاملة الناس ومحادثة أهل الحل والربط ٠

ـ والله لك حق فأنا لا أعرف أعظم من صبحى بك ومن يدرى لعل الأيام ترمى بى فى طريق بعض العظماء ٠

ـ هذا أمر وارد لا شك ٠

ـ بدأت أتعرف بأصحاب الأسـهم والسـندات من الأثرياء الكبار والباشـاوات والبكوات السابقين وأقول لك الحق ما زلت أتهيب أمرهم وكأنهم ما زالوا باشاوات وبكوات ٠

ـ العظمـة عند أغلب هؤلاء ليست فى الرتبـة وانما فى الطبع والتصرف والخلق والثقافة ومعاملة الناس والحياة ٠

ـ لك حق ما زال لهم جلالهم وهيبتهم وكأن الثورة لم تقم ٠

ـ وطبعا أبوك لم يكن يعرف واحدا منهم ٠

ـ وما الداعى لهذه الملحوظة ٠

ـ أقصد أن ثقافتك قاصرة فى هذا الشأن ٠

ـ مؤكد ٠

ـ فلابد أن تثقف نفسك حتى تعرف كيف تحادثهم ٠

ـ بالسـينما ؟

ـ بالسـينما وبالكتب وبالروايات الكبرى لعظمـاء الكتـاب ٠٠٠ والا ماذا ستفعل اذا حـدثك واحد من هؤلاء فى الحياة العامة ووجـدك لا تعرف أسماء الكتاب المصريين والعالميين ٠

ـ يا نهار أسود تكون مصيبة ٠

ـ ابدأ بالسينما ٠

ـ أبدأ بالسينما ٠

ـ أنا عازمك اليوم فى حفلة الساعة السادسة ٠

ـ أذهب معك ٠

ـ بل تذهب وحدك ٠

ـ ماذا ؟

ـ ما سمعت ٠

ـ أمـــرك ٠

ـ وهو كذلك ٠ أظنك فى هذه الفترة لن تكون محتاجا لشقتك ٠

ـ يا نبيل يا حبيبى لم تكن محتاجا لكل هذا لتستعمل الشقة ٠

ـ أنا أعلم ذلك ولكن الحديث جر بعضه وعليك أن تعلم أنه بصرف النظر عن مسألة الشقة فان كل ما قلته لك صحيح وعليك أن تهيىء نفسك لمعرفة هؤلاء الأجاويد ٠

ـ والله أنا وزنت ما تقوله ووجدته معقولا ٠

ـ ألم أقل لك ٠

ـ فعلا لك حق ٠٠ خذ المفتاح ٠

ـ شـــكرا ٠

ـ أنا لا مانع عندى أن أزيد نفسى ثقافة وأذهب الى حفلة الساعة التاسعة أيضا على حسابى الخاص ٠

ـ يا نهارك أسود أتريد أن تطردنى زوجتى من البيت ٠

ـ لمـــاذا ؟

ـ انت انهبلت أدخل عليها الساعة الثانية عشرة ولا تطردنى ٠

ـ واذا طردتك ، تنفذ الطرد ٠

ـ سأكون بين اثنتين لا ثالث لهما اما أن أخرج وأتصرف فى المبيت بأحد الفنادق واما أن تأخذ هى العيـال وتذهب الى بيت أبيها وتصبح فضيحة بجلاجل ٠

ـ وما الداعى يكفيك حفلة الساعة السادسة ٠

ـ وأين أترك لك المفتاح ؟

ـ اننى منذ عرفتك وأنا معـد نفسى لهذا الطلب الذى أعتقد أنه تأخر كثيرا ٠

ـ ماذا تعنى ؟

ـ معى مفتاح آخر وغدا آخد منك المفتاح الذى أعطيته لك الآن ٠

ـ ولماذا لا تبقيه معى ؟

ـ لا ٠٠٠٠ لا يمكن ٠٠٠٠٠ لابد أن تطلبه منى كلما احتجت اليه ولا فوجئت بى على رأسك فى الشقة وربما فى السرير أيضا ٠

ـ فعلا ٠٠٠٠٠ فعلا لك حق ٠٠٠٠٠ غدا أعطيك مفتاحك ٠

ـ سأكون عندك بكرة قبل أن تشرب قهوتك ٠

ـ وهو كذلك ٠

الفصـــل الســـابع

طبعا لم يكتف عبد الشكور بالعمليات الصغيرة التى يتركها له فتحى ولم يكن منذ أول لحظة منتويا أن يكتفى بها ولكنه كان يدبر للأمر منذ الوهلة الأولى ورأى أن خير وسيلة أن يجعل فتحى يثق فيه ثقة عميقة •

وفى عماية هذه الثقة راح عبد الشكور يجمع من الأوراق والأسانيد ما لا يقبل المناقشة أو التفنيد •

وحين ارتأى أن بيده ما يكفى ويزيد دخل الى صبحى حسان •

★★★

قال صبحى لفتحى بعد أن استقدمه :

ـ ألق نظرة على هذه الأوراق يا فتحى •

ـ أمرك يا أفندم •

وما هى الا لحظات حتى أدرك فتحى الكارثة الكبرى التى حلت به • ولم يكن محتاجا أن يقرأ كل الأوراق وانما اكتفى بنظرة سريعـة عابرة كانت كفيلة لأن يرى مصيره الأسود أمام عينيه وحين أرجع الأوراق الى صبحى الذى جمعها فى عناية بالغة وسواها وأعادها الى الدوسيه الذى كان يحتويها ، فعل كل هذا فى بطء شديد حتى اذا أودع المستندات فى الدرج الذى أخرجها منه وأقفله بالمفتاح التفت الى فتحى :

ـ ما رأيك ؟

ـ الذى تأمر به سعادتك •

ـ انك موظف قديم بالبنك ومعرفتى بك منذ سنوات طوال ولهذا ومن أجل ناهد وباسم وخالد والست وفية سأكتفى بأن أطلب منك الاستقالة لتنال المكافأة التى تستحقها والتى تستطيع أن تعيش بها حتى تجد وظيفة فى بنك آخر •

ـ ومن سيقبلنى بعد هذه المصيبة •

ـ طول عهدك بى يجعلك تثق فى وعودى •

ـ هذا لا شك فيه ٠

ـ لن يعرف أحد فى العالم ما تم الآن بيننا ٠

ـ والذى أتى لك بهذه المستندات ٠

ـ أنا أضمن أنه لن ينطق بشىء ٠

ـ أتضمن هذا المخلوق ؟

ـ أتعـــرفه ؟

ـ ليس هناك الا واحد فقط يستطيع أن يصل الى هذه الأوراق ٠

ـ أنا أضمنه مهما كان رأيك فيه ٠

ـ أمرك ٠

ـ اذن ٠

ـ أعطنى سعادتك ورقة ٠

ـ تفضـــل ٠

وكتب فتحى الاستقالة وقبل أن يصل الى نهايتها سأل صبحى :

ـ هل أختلق لها سببا ؟

ـ اكتف بالقول بأنك لم تعد تستطيع الاستمرار بالعمل والبنك ٠

ـ وأطلب المكافأة ؟

ـ أطلب تسوية حالتك كما يقولون فى الحكومة ٠

وأعطى فتحى الاستقالة الى صبحى بك وفى تحامل مرير على رجلين لا تكادان تسعفانه قام عن كرسيه ومشى خطوات وقبل أن يضع يده على أكرة الباب قال وظهره لصبحى :

ـ شكرا يا سعادة البك ٠

ـ العفو مع السلامة ٠

★★★

استدعى صبحى عبد الشكور وأخبره بما حدث لفتحى ولم يدهش عبد الشكور حين قال له صبحى :

ـ تحل محله ٠

ـ أخشى أن يغضب هذا الزملاء الذين سبقونى فى العمل بالقسم ٠

ـ نحن فى بنك ومن حقى وحـدى اختيار الأصلح دون نظـر الى الأقدميـــة ٠

ـ اذن أمرك •
ـ ولى عندك رجاء •
ـ بل أمر •
ـ لا يعرف أحد ما كان من أمر فتحى •
ـ اذا سمعت أن أحدا عرف أكون أنا وحدى المسئول امامك •
ـ وهو كذلك •

★★★

ليس بعجيب على عبد الشكور ما فعله فى اليوم نفسه •

لقد ذهب فى وقت الغداء الى بيت فتحى • ولم يفاجأ بفتحي وهو يفتح الباب حتى اذا وقعت عينـاه على عبد الشكور ارتسمت الدهشـة الآخذة الذاهلة على كل سمات وجهه :

ـ أنت •• أهذا معقول ••• لقد توقعت أى انسان الا أنت •
ـ ولهذا جئت •
ـ فعلا منك أنت لا شىء يستغرب •
ـ اسمح لى أشرح أولا •
ـ اشرح •
ـ هنا •
ـ نعم هنا فبيتى حرام عليك منذ اليوم •
ـ ليكن ما تريد مؤقتا •
ـ تكلم •
ـ من الذى يخلفك فى رئاسة القسم •
ـ المفروض اسماعيل وجدى •
ـ فمن له مصلحة فى الوشاية بك غيره •
ـ أنت •
ـ لماذا ؟
ـ أنت مقرب من رئيس البنك وربما يعينك فى مكانى •
ـ وأجعل نفسى فى الواجهة وأحرم نفسى مما كنت تتركنى أقوم به من اعمال تعود بالربح الوفير •

ـ ربما تريد الربح كله ٠

ـ ألا تعرف مقدار ذكائى ٠

ـ أعرف مقدار خبثك ٠

ـ ليكن ٠٠٠ كيف سيتاح لى أن أقوم بهذه الأعمال بعد أن انكشف أمرها ٠٠ أليست مصلحتى أن أتخذ منك ستارا واقيا وأكتفى أنا بالعمليات التى كنت تتركها لى ٠

فكر فتحى فيما سمع وأطال التفكير ثم قال لعبد الشكور :

ـ تعال ٠٠٠٠ أدخل ٠

وصاح عبد الشكور :

ـ هكذا يجب أن تكون الأمور ٠٠٠ كان من الأول يا أخى ٠

خالت عليه الحيلة وصدقنى ٠٠ أنا أحتاجه فى التنظيم السياسى ولا أريد أن يسىء الى عندهم أما الوسائل التى كان يحصل بها على الأرباح فى البنك فقد تبين لى بالخبرة أنها وسائل بدائية عاجزة ٠

ان الطريقة التى توصلت لها أنا هيهات لألف شخص مثل فتحى أن يفكر فيها ٠ أما صبحى فأمره ميسور فرجت يا عبد الشكور من أوسع الأبواب ٠

الفصـل الثـامن

مرت أيام قلائل على مباشرة عبد الشكور لعمله الجديد حين فتح الساعي الباب وقال :

ـ سعادة أبو العلا بك عفيفي ٠

وفتح الساعي الباب للقادم دون أن ينتظر أمر عبد الشكور ٠

وبهت عبد الشكور كما بهت البك القادم ٠ وفي لعثمة قال عبد الشكور :

ـ أهـلا مرحبـا ٠

لم يكن قد أعد نفسه لهذا الموقف مطلقا ولهذا لم يكن عجيبا أن تركبه الحيرة ولم يمهله القادم ، بل قال وهو يجلس دون دعوة من عبد الشكور :

ـ أين فتحى بك ؟

ـ ترك العمل في البنك ٠

ـ لمـاذا ؟

ـ وجد مرتبا أحسن في بنك آخر ٠

ـ اذن أحب أن أتشرف بسعادتك فسيكون بيننا عمل كثير ٠

الحمد لله لم يعرف شكلي وبعد هدأة قال :

ـ عبد الشكور ٠

ـ عبد الشكور ماذا ؟

آه يكاد المحظور أن يقع ولكنه لم يستطع أن يفر منه واضطر أن يجمع حروف الكلمة في صعوبة بالغة وهو على يقين أنه اذا أخفى اسمه الكامل فسوف يعرفه أبو العلا من غيره ٠٠ لم يجد بدا من أن يقوله وليكن بعد ذلك ما يكون ٠

ـ عبد الشكور حيدر ٠

وارتسمت معالم التعرف على ملامح (أبو العلا) ٠

ـ الآن عرفتك وأنا منذ اللحظة الأولى أقول لنفسى الوجه ليس غريبا على ٠

ـ طالما زرت سعادتك فى العزبة ٠

ـ مع أبيك التاجر حيدر أبو عبيد الكيالى ٠

وجد عبد الشكور فى كلمة التاجر ما طمأنه بعض الاطمئنان فقد كان يستطيع أن يذكر الحقيقة ويقول السمسار ولا يكون بعيدا عن الحقيقة المؤكدة أما ان يقول التاجر فلا شك أنه يريد أن يجاملنى وأكمل أبو العلا :

ـ وكنت أنت تعمل فى القطن ٠

وهذه مجاملة أخرى ٠٠ انه لم يقل تسمسر وسارع قائلا :

ـ ذاكرة سعادتك عظيمة ٠

ـ وكيف حال أبيك ؟

ـ الحمد لله ٠

ـ لى زمان لم أره ٠

ـ انه لا يستغنى عن سعادتك أبدا ٠

ـ لى هنا أسهم ٠

ـ أعرف يا سعادة البك ٠

وبدأ أبو العلا يلقى على عبد الشكور التصرفات التى يريد أن يجريها فى أسهمه وأنهى عمله وقام وهو يقول :

ـ أنا أعتبرك هنا كابنى فأبوك حيدر من أحب الى ؟

ـ أطال الله عمرك يا سعادة البك وستجدنى دائما تحت أمرك ٠

ـ كثر خيرك ٠٠ السلام عليكم ٠

وخرج ٠ ولم يتنفس عبد الشكور الصعداء فقد توقع شرا هو فى غنى عنه كل الغنى ٠

★★★

يومان مرا وفتح الساعى الباب ولم ينطق وملأ فتحة الباب أبوه واقفا أمامه ورأى عبد الشكور فيه الحدث الآخذ ٠ طبعا قال للساعى انه أبى والا لما فتح الباب وانكتم لا ينطق ٠

بالغريزة قفز عن كرسيه ٠

ـ أهلا أبى يا مرحبا ٠

وانحنى على يده يقبلها ولكن أباه اختطفها منه :

ـ الآن عرفت سبب مقاطعتك لى أنا وأمك ٠

ـ العفو يا آبا ٠٠ كنت مشغولا فقط ٠

ـ النقاش لا يفيد ولا الأعذار ٠

ـ يا آبا وهل لى فى الدنيا الا أنت وأمى ٠

ـ لن تستطيع خداعى ٠ وانما جئت من البلد فقط لألقى عليك نظرة وأفهمك أننى عرفت مكانك ومكانتك فى البنك أيضا ثم السـلام عليكم ورحمة الله ٠ لن تراني بعدها ولن ترى أمك ٠ واستدار حيدر وأخذ طريقه الى خارج البنك ٠

وأحس عبد الشكور كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كاهله ٠ لم يعد فى حاجة أن يحذر أباه من المجىء ، مرة أخرى الى البنك كما انه ليس فى حاجة أن يخرج مع أبيه الى الباب الخارجى ويعرف موظفو البنك جميعا مقدار أبيه الواضح فى ملابسه ٠ ليس فى حاجة الى أى شىء من جميعه ٠٠ ووجد نفسه ينحط على كرسيه وهو يجتذب نفسا عميقا من أسفل مكان فى رئتيه ٠ ودق الجرس وأمر بسيونى الساعى أن يحضر له فنجان قهوة سكر زيادة ٠

الفصـل التاسـع

تحسبا منه انه ربما يحتاج الى صديقيه الألمانيين حرص عبد الشكور أن يوثق صلته بمارك وهوفمان اللذين داوما على مكاتبته منذ وصولهما الى ألمانيا وعرف منهما أن كليهما يقيم فى برلين الغربية فكان هذا أقوى سبب أن يجيب رسائلهما وقد عرف عنهما أنهما يعملان كلاهما فى عملين مرموقين مما يفتح المستقبل أمامهما كما أنهى اليهما هو ما بلغه فى البنك من قفزات ٠

★★★

وكان عبد الشكور أحرص ما يكون أن يمر فى كل يوم بصبحى خيسيان ويلقى عليه تحية الصباح وكثيرا ما كان يستدعيه صبحى لينادمه فقد أنس اليه ووجد فى حديثه متعة لا يجدها مع غيره ٠

وكان عبد الشكور حريصا فى زياراته الصباحية على أن يمازح نبيل ويعرض خدماته فاذا كان لدى صبحى ما يشغله جلس اليه نبيل ، وفى واحدة من هذه الجلسات قال نبيل :

ـ الليلة ستذهب الى السينما ٠

ـ هاك المفتاح انما قل لى ٠

ـ أقول لك ٠

ـ أهى واحدة ٠

ـ يا نهارك أسود كيف تتصور هذا ؟

ـ اذن فهن كثيرات ٠

ـ بطبيعة الحال ٠

ـ وما الخطر فى أن تكون واحدة ٠

ـ وهل مثلى يستطيع أن يتحمل تكاليف الصديقة الواحدة ٠

ـ أتكلفك أكثر من الفتيات العديدات ؟

ـ لكل واحدة من الكثيرات أجرها المعلوم لا تتعداه أما الواحدة فانها تفرض نفسها عليك وتصبح فى الانفاق عليها ألعن من الزوجة ومصاريف العيال . هى مرة أو اثنتين ثم أبحث عن غيرها .

ـ ودائما تجد غيرها .

ـ أكثر من الهم على القلب .

ـ فلماذا يا أخى لا تكرمنى معك ببعض الهم ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أنت من الساعة التاسعة الى الثانية عشرة لابد أن تذهب الى البيت . فما ضر لو ذهبت أنا الآخر الى بيتى ووجدت فيه ..

ولم يكمل عبد الشكور بل قاطعه نبيل :

ـ فهمت .. لا تكمل .

ـ يا أخى هل كان لابد لى أن أعرض أنا .

ـ والله غاب عن ذهنى .. أنا آسف .

ـ لا .. العفـــو .

ـ الليلة ستجد ما تريد .

ـ حفظت .. شـــكرا .

ـ لا شكر على واجب .

ـ الآن أدخل الى صبحى بك .

★★★

منذ ذلك اليوم تعرف عبد الشكور على الكثيرات من الفتيات وحرص أن يسجل أرقام التليفونات لكل منهن .

★★★

طرق عبد الشكور باب صبحى بك ولم ينتظر الاذن بالدخول فقد كان يعلم أنه وحده :

ـ صباح الخير .

ـ وهو كذلك .

ـ اجابة لم أسمعها قبل ذلك فى حياتى كلها .

ـ انها التى عندى ٠

ـ ولماذا لا يكون عندك صباح الخير ٠

ـ لأنه ليس خيرا ٠

ـ لمــــاذا ؟

ـ والسلام يا عبد الشكور خل الطابق مستورا ٠

ـ ولماذا يكون مستورا ٠ وان أردت أن نستره على الجميع فلماذا تســـتره على وأنا أحس أنك أصــبحت تأنس الى وتطلعنى على دخائلك لا تستثنى من ذلك الأسرار المنزلية ٠

ـ هذا صحيح ٠

ـ فما الجديد ؟

ـ يا ســيدى جماعة من الذين كانوا على ثراء فاحش قبل الثورة يريدون أن يبيعوا بعض الأثاث فى بيوتهم ليستعينوا بثمنه على الحياة ٠

ـ عظيــــم ٠

ـ وما شأننا نحن ٠

ـ صافيناز عرفت الخبر ٠

ـ هنا المصيبة ٠

ـ ستجن وتجننى ان لم تشتر طاقم الاستقبال واحدى السجاجيد ٠

ـ فعلا لك حق ليس صباح الخير ٠٠ هل الثمن كبير ٠

ـ طاقم الاستقبال من الأبيسون الحرير ٠

ـ ماذا ؟ ماذا قلت ؟

ـ لك حق الأبيسون قماش فرنسى لم يعد أحد يصنعه الآن وهو من خيوط الحرير وان كانت بعضهن تصنعه من الصوف والفرق شاسع فى الثمن بين النوعين ٠٠

ـ فهمت ٠

ـ فكل أبيسون حرير الآن ثمنه خيالى لأنه تاريخى ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أن الطاقم الذى تريد صافيناز شراءه ثمنه ثمانية آلاف جنيــــه ٠

واتنتر عبد الشكور من كرسيه صائحا :

ـ بـكم ؟

ـ بما سمعته ·· اقعد ·

ـ ومتى أقف اذن ·· ان مبلغا كهذا لابد أن يسمعه مثلى واقفا ان كان قاعدا وقاعدا ان كان واقفا ·

وضحك صبحى وقال :

ـ احتـــراما ·

ـ احتراما وتوقيرا وذهشة وذهولا وكل ما يرد على ذهنك من هذه المعانى وأمثالها والقريبة منها ·

ـ لك حق ·· والسجادة ألف وخمسمائة جنيه ·

ـ وهذا أيضا يستحق الوقوف ·

ـ أرأيت انه ليس صباح خير ·

ـ فعلا سعادتك محق ·· انما قل لى سعادتك هل هناك مهلة لهذه الصفقة ·

ـ أســبوع ·

ـ صــباح الخــير ·

ـ هل جد جديد ؟

ـ قل صباح الخير وأمل فى تلميذك خيرا ·

ـ هل عندك وسيلة ؟

ـ أمهلنى ثلاثة أيام ·

ـ أهذا معقول ؟!

ـ الفار أنقذ الأسد ·

ـ على كل حال ليس لى أمل الا فى الفار ·

ـ قل صباح الخير ·

ـ ليكن صباح الخير ·

ـ ســلام عليكم ·

ـ وعليكم السلام ·

وخــرج عبد الشكور من الغرفة وأغلق الباب واثقــا أنه أمسك بصبحى من حيث يريد أن يمسك به ·

★★★

ذهب عبد الشكور الى التنظيم فيما بعد الظهيرة ووجد من تعود أن يجدهم دائما . وكان قد وطد علاقته بموسى أشرف أعظم الأتباع شأنا والصقهم بأحد الأقيال الضخام الشأن والجاه .. اقترب منه وراح يجاريه فى الحديث وموسى يحرص على أن يضع فى كل بضعة جمل واحدة أو اثنتين عن الشخصية ذات الشأن الخطير التى يعمل فى خدمتها .. وفى مهارة ودربة يظهر عبد الشكور الدهشة أو الرهبة أو الاكبار أو الاجلال حريصا على أن يضفى على محدثه موسى كل ما يصبو اليه من عظمة ومن أشكال الجبروت والمكانة والجاه العريض .

وفاجأ عبد الشكور موسى وكانا يجلسان بمنجى عن أسماع الآخرين :

– لماذا يا موسى بك لا تشرفنى فى البيت ؟

– لا مانع طبعـــا .

– أتحب أن نتغدى معا أو نتعشى ؟

– الغداء لا يمكن . لأننى أكون دائما بالقرب منه وربما أرادنى .

– وفى المساء ؟

– فى المساء له هو سرحاته الخاصة .

– وأنت أليس لك سرحات ؟

– والله ان تيسرت يكون خيرا وبركة .

– ماذا تعنى بتيسرت ؟

– ألم تفهم ؟

– فهمت ولكنى أريد أن أتأكد .

– هو ما فهمت .

– هل تتناول معى العشاء غدا .

– ومن المدعوون ..

– أنت وشخص واحد .

– من هو .

– ستعرفه حين تراه .

– لا أحب المفاجآت .

– لا تخف هذه مفاجأة ستحبها .

– أنا لا أذهب الى أى دعوة اذا لم أكن على علم أكيد بالمدعوين .

– اترك هذه الخصلة غدا ولن تندم .

ـ اسمع اذا انبسطت ستكون واحدا من المهمين فى مصر كلها واذا ..

ـ وقاطعه عبد الشكور قائلا :

ـ لا تكمل أعرف ماذا سيحل بى اذا حدث العكس .

★★★

ـ صباح الخير يا نبيل .

ـ عسى الله أن تكون مبسوطا .

ـ نهارك فل .

ـ علم .

ـ البك وحده .

ـ وما هذه الحقيبة فى يدك ليست العادة .

ـ قلت أوقع منه بعض أوراق على الماشى .

ـ أدخل .

ـ أراك وأنا خارج .

ـ أنا قاعد وأين يمكن أن أذهب .

دخل عبد الشكور الى مكتب صبحى ولم يجلس وانما وقف الى جانب المكتب وفتح الحقيبة وهو يقول :

ـ صباح الخير مبروك على صافيناز هانم الطاقم والسجادة يا سعادة البك .

وقفز صبحى واقفا

ـ يا نهارك أبيض من أين جئت بكل هذا المبلغ ؟

وفى برود وثقة قال عبد الشكور :

ـ اهدأ واطمئن واقعد واسترح .

ـ قعدت .

وراح عبد الشكور يشرح العمليات المالية التى يقوم بها فى الأسهم والسندات ووضح لصبحي أن البنك أو أصحاب الأسهم لا يخسرون مليما

واحدا . كما طمأنه انه ليس بين أوراق البنك ورقة واحدة لها شأن بهذه العمليـــات .

وأحب صبحى أن يقتنع ووضع المبلغ فى حقيبته الخاصة .

★★★

حين ذهب موسى أشرف الى بيت عبد الشكور استقبله فى ترحاب أقرب الى الذلة منه الى الاكرام . وحين دخل موسى الى البهو طالعته فتاة واضحة الجمال والجاذبية وقال عبد الشكور :

ـ كريمة ، الضيف الوحيد اللى دعوته .

ـ ونعم الضيف .

ـ عندى الشراب والدخان أيهما أحب اليك .

ـ كله عظيم .

ـ ليلتنا بيضاء .

ـ ان شاء الله .

ولم ينس عبد الشكور أن يترك بيته فى الموعـد الذى رآه مناسبا تمـــاما .

★★★

وفى اليوم التالى قال موسى لعبد الشكور :

ـ شقتك جميلة ولكن صغيرة .

ـ أعرف ذلك ولكن ماذا أصنع ؟

ـ تذهب غدا الى عبد السميع حسنى سيسلمك شقة من شقق العمارات المصادرة .

ـ غـــدا .

ـ غدا طبعا .. أتحب أن تذهب الليلة .

ـ غـــدا عظيـــم .

الفصـــل العـــاشر

كان عبد الشكور قد وثق صلته بثمانية نفر من أصحاب الأسهم وكانت الأسهم التى يملكها كل منهم تدل على الثراء العريق وكان أهم هؤلاء رستم نامق الرجل التركى الأصل الذى يزهى دائما بأن جده الأكبر كان صدراً أعظم فى عهد السلطان عبد الحميد بتركيا وكان يروى لعبد الشكور انه حين حدثت ثورة الجيش على السلطان تمكن جده من تهريب ثروته جميعها الى مصر ولم يكن له الا ولد واحد الذى لم ينجب هو الآخر الا ابنا واحدا وهكذا وصلت الثروة كاملة الى رستم نامق متمثلة فى أبعديات زراعية وأموال سائلة وجواهر نادرة المثيل لا يحصيها عد ، ورستم مثل أبيه وأجداده لم ينجب الا بنتا واحدة هى فوزية ٠

وطبعا عبد الشكور كان يعلم آن الأبعديات قد انكمشت الى مائتى فدان ٠ ولكنه لم يعلم علم اليقين مقدار المال السائل أو الجواهر ولكن كمية الأسهم التى باسم رستم كانت شاهدا قويا على ضخامة ما يملكه رســـتم ٠

وقد استطاع رستم أن يتخفى عن عيون الحكم المغتصب فلم يكن ذا شأن فى الحياة وانما كانت حياته مقصورة على الافطار فى جروبى فى الصباح ثم يلزم بيته حريصا أن يراقب مذاكرة ابنته وكان لا يستقبل الا ندرة قليلة من الناس بعضهم أتراك وبعضهم من المثقفين الذين يريدون أن ينتفعوا بالكتب النـــادرة التى تكتنزها مكتبتـــه العامرة بالمخطوطات النـــادرة ٠

★★★

مبلغ واحد آخر حصل عليه صبحى من عبد الشكور ثم أممت الثورة الأسهم جميعا بحيث لا يملك أى فرد من الأسهم آكثر مما قيمته عشرة آلاف جنيه ٠

وتفتق ذهن عبد الشكور عن فكرة عادت عليه بملايين الجنيهات فقد اتفق مع الثمـــانية اللصيقين به من مـــلاك الأسهم ألا يبلغ المصـــادرة

الا بما قيمته عشرة آلاف جنيه من أسهمهم ويجعل الأسهم الأخرى ملكا لأسماء وهمية واتفق معهم أن يكون اقرارهم بالصورة التى سيعدها لهم حتى اذا راجعت الدولة قيمة أسهمهم فى البنك لدى عبد الشكور وجدتها مطابقة لما جاء فى الاقرار ٠

أما الأسماء الوهمية التى كتب لها الأسهم فقد تفتق ذهنه أن يعد منهم توكيلات مزورة له وأعد أيضا كيف ستزور هذه التوكيلات ٠

★★★

بعد ليلة من ليالى شقته الجديدة كان المدعوان فيها موسى وسيدة وما يلزم لهما ، قال عبد الشكور لموسى :

ـ أى أمين للشهر العقارى من محاسيبك ٠

ـ فاضل الملوانى ٠

ـ مره أن يفعل لى ما أطلبه ٠

وتم لعبد الشكور ما أراد من توكيلات ٠

وتمت العملية كلها ولم يسمع بها أحد من داخل البنك أو خارجه ٠

واشترط أن ينال هو نصف ما سيهربه من أسهمهم وقبل جميعهم العملية وشرطها ٠

وأطلع عبد الشكور رئيسه صبحى بك واعدا اياه بمبلغ لا بأس به فقد كتم عنه طبعا النسبة التى سينالها من المساهمين والذى يقبل المال الحرام مرة من الطبيعى أن يقبله دائما ٠

ورحب صبحى بالعملية ٠

وخاصة أن ما كان يعطيه له عبد الشكور من عمليات الأسهم سينقطع كما سينقطع عنه ما كان يصيبه من سمسرة القطن من يد عبد الشكور ٠

فقد أممت الدولة تجارة القطن أيضـا ، وعلق صبحى على تأميم التجارة فى القطن قائلا لعبد الشكور :

ـ انها قد فرضت على الفدان ضريبة أكثر من خمسمائة جنيه للفدان الواحد يدفعها الفلاح الذى تقول الحكومة أنها جاءت لتنقذه من الاقطاع ٠ هل كان يجرؤ أى اقطاعى أن يشترى قطن الفلاح الا برضى الفلاح نفسه ٠

وقال عبد الشكور :

ــ فرق السعر الذى تشترى به الدولة من الفلاح والسعر الذى تبيع به يزيد عن الخمسمائة جنيه .

ــ فعــلا .

ــ على كل حال أنا وأنت الوحيدان اللذان كسبا من تأميم الأسهم .

ــ البركة فيك فكرتك عظيمة .

ــ لولاك ما استطعت أن أنفذها .

ــ المبلغ الذى حصلت عليه يجعلنى أفكر فى ترك السنك .

لم يتظاهر عبد الشكور بالدهشة وأدرك صبحى ما يجول بنفس صاحبه فاذا هو يقول فجأة :

ــ نعم لماذا لا ؟

ــ ما هــو ؟

ــ لماذا لا تصبح أنت مكانى ؟

ــ هل يمكن ذلك ؟

ــ البركة فى موسى أشرف .

ــ وفيــك أيضــا .

ــ توكل على الله .

الفصل الحادى عشر

شقة فاخرة ومدير بنك ومال وافر وجاه عريض. متى ينفذ تخطيطه للزواج ان لم يكن اليوم وأين سيجد رستم نامق لابنته فوزية زوجا أحسن من عبد الشكور حيدر .

قال لرســتم :

ـ أنقذت لك ثروة .

ـ لا أستطيع الانكار ولو أنك أيضا حصلت على مبلغ عظيم .

ـ فما رأيك فى هدية أخرى أقدمها اليك .

ـ أى هدية ؟

ـ أنــا .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أتزوج فوزية هانم .

وأصاب رستم الذهول وصمت وأكمل عبد الشكور :

ـ أنا مدير بنك أنت تعرف مكانته بدليل انك تضع فيه أسهمك وأنا أملك الآن ثروة لا بأس بها فأنا لا أطمع فى ثروتك .

ـ أنت تطمع فى الزواج من أسرة عريقة .

ـ وهل فى هذا بأس .

ـ لا بأس على شرط أن تكون كفئا لها .

ـ ما الكفاءة ان لم تكن منصبا ومالا .

ـ أن تكون من أسرة فى نفس العراقة .

ـ هل تعرف أصلى ؟

ـ لو كان لك أصل لكنت عرفته .

ـ اننى من أسرة ريفية وأبى من أعيان البلدة وأنا أشترك فى هذا مع الأغلبية الساحقة من أصحاب المناصب فى أيامنا هذه .

ـ أيامنا هذه قلبت الهرم من أساسه ٠

ـ لا تملك أن تقاوم التيار ٠

ـ انها ابنتى ٠

ـ ان لم تشترط الا الحصول على ابن أسرة فتأكد انه في الغالب الراجح سيكون طامعا فى مالك ٠

وصمت رستم قليلا .

ـ ولكن أصوله ستجعله عفيفا ٠

ـ وشحاذا أو قريبا من شحاذ ٠

وصمت قليلا :

ـ لا تستطيع أن تنكر أن هناك أصحاب مناصب وثراء من أسر عريقة ٠

ـ نادرون ٠

ـ ولماذا لا تتزوج فوزية واحدا من هؤلاء النادرين ؟

ـ لأن أحدا منهم لا يعرفها ولا تعرفه وأغلب الأمر أن يتزوج أبناء هؤلاء من قريباتهم ومن العائلات التى تصادقهم ويعرفون كل شىء عنها ٠

ـ ربما رشحت له فوزية من زميلة لها أو من احدى الأسرات التى تتصل بها ٠

ـ انك لا تكاد تتصل بأحد فالفرصة أمام فوزية فى الزواج تكاد تكون معدومة ، ومن تلك التى سترشحها من زميلاتها ؟ أولى بها أن ترشح نفسها ٠

ـ فوزية أكملت دراستها فى الأدب وتجيد الفرنسية والعربية ٠

ـ وأنا أجيد الانجليزية والألمانية وأنت تعرف ٠

ـ على فكرة ما شهادتك ؟ ٠

ـ مـــدير بنــك ٠

وصمت رستم طويلا ٠٠ لقد كبرت البنت ولم يتقدم أحد لخطبتها ولم تستطع أن تكون أصدقاء أو صديقات فى الكلية فقد كانت تربيتها المتزمتة حائلا بينها وبين الانسجام مع زملائها وزميلاتها واذا لم أقبل هذا النصاب اللص المزور فالله يعلم ماذا يمكن أن يحدث ٠

ولم يتركه عبد الشكور لصمته بل قال فى حسم :

ـ أنا أعرف عنك أسرارا ليس من مصلحتك أن تذاع ٠

وفزع رستم وهو يقول ذاهلا :

ـ وتهديد أيضا ٠

ـ بل تذكير ٠

ـ تفصيل ٠٠٠

ـ أنت تعرف صلاتي أستطيع أن أضعك أنت وفوزية تحت الحراسة بتليفون من بيتك هذا ٠

واطرق رستم في رعب ماذا يبقى له ٠٠ انه بلا صديق ولا معين الا ماله ٠ وهذا الآدمي المحسوب خطأ على الانسانية يستطيع أن يدمر حياتي وحياة فوزية في لحظة ويصبح علينا الصباح أو يمسي علينا المساء فاذا نحن متسولون تستجدي البقاء على الحياة من أيد لا نعرفها ولا تعرفنا ٠٠ لم يترك لي خيارا ٠٠

نظر طويلا الى عبد الشكور وجمع على لسانه في جهد شديد حروف كلمة واحدة ٠

ـ أسألها ٠

وأدرك عبد الشكور أنه بلغ مراده فقال في توقح :

ـ هذا شأنك على شرط ٠

ـ وشرط أيضا ٠

ـ أن تذكر لها ما كنت تفكر فيه الآن ٠

ـ أتعرفه ؟

ـ بالتفصيل ٠

ـ فلنسألها رأيها ٠

ـ ليس لديها خيار ٠

وأطرق رستم ثانية وهو يقول في أسى وانكسار :

ـ أعلم ذلك ٠

الفصل الثانى عشر

اشتد المرض بحيدر وضاقت به وسائل الرزق وأغلقت السبل أمام زوجته زنوبة ولم تجد شيئا تقوله لزوجها الا :

ـ ألا نخبر عبد الشكور ؟

ـ اياك أن تذكرى اسمه ٠

ـ اننا فى حالة ضنك والغرباء يشفقون علينا أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ انه ليس ابننا ٠

ـ على كل حال أن نمد يدنا له خير من أن نقبل صدقة الغرباء ٠

ـ بل الصدقة من الغرباء أفضل ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

وصمتت زنوبة وهى تضمر فى نفسها أمرا ٠

حين نام حيدر فى القيلولة ذهبت زنوبة الى بيومى أقرب صديق لعبد الشكور قبل أن يهاجر من القرية ورحب بيومى بها فاذا هى تجبهه ٠

ـ أيرضيك ما نحن فيه يا بيومى ؟

ـ البلدة كلها تتكلم ٠

ـ وأنت ٠ ألا تفعل شيئا ؟

ـ أنا تحت أمرك ٠

ـ نحن نعلم أنك لا تملك أكثر مما تعطيه لنا من حين لآخر ٠

ـ كريم ستار ٠

ـ ولكنك تملك ما تفعله ٠

ـ والله فكرت فيه ٠

ـ وماذا منعك عنه ؟

ـ ما عرفته من مقابلته لأبيه ٠

ـ ربما كان فى ذلك اليوم معذورا ٠

ـ هذا كلام من تحكم على ابنها بقلبها لا بعقلها ٠

ـ ربمـــا ٠

ـ واذا سلمنا معك انه كان معذورا يـوم لقـائه بابيه فهل ظل معذورا بعد ذلك حتى الآن ٠

ـ حجته معـــه ٠

ـ ماذا يمكن أن تكون حجة ابن يقاطع أباه وأمه ويصبح شهيرا لا يمر يوم لا تذكر فيه الجرائد اسمه ويصبح المال عنده بالكيل ولا يذكر أباه وأمه ببعض هذا المال أو على الأقل بالسؤال عنهما ٠

ـ هل يمنعك هذا أن تفعل ما أرجوه منك ؟

ـأنا أعرف ما تريدين دون أن تقوليه بل وأعرف من زمن طويل أنك تتوقعين منى أن أفعله دون أن تطلبيه منى ٠

ـ وماذا يمنعك أن تفعله ٠

ـ اليأس وشيء آخر ٠

ـ أى شيء آخر ٠

ـ الذى يهون عليه أمه وأبوه وهما أصل وجوده لا يمكن أن يرعى صداقة أو ودا لأى انسان ٠

ـ انك كنت كأخيه ٠

ـ بل أكثر ولكن أتظنين أنه لو كان له أخ كان سيفعل معه أحسن مما يفعله معك ومع أبيه ٠

ـ هل هذا ما يسيئك ٠

ـ نعم ٠ اننى لا أحب أن أراه يتنكر لى أو يتعالى على أو يتجاهلنى والذى أراه من جحوده معكما يجعلنى أتوقع منه أسوأ التوقعات ٠

ـ وهل يمنعك هذا أن تحاول من أجل عمك حيدر ٠

ـ صعب ٠

ـ الرجل يموت ولا نملك ثمن الدواء بل لا أخجل أن أقول لك اننا كثيرا ما لا نجد ثمن الطعام لولا كرم الناس الطيبين ٠٠ انك أنت نفسك لا تنسانا وتجود علينا بما تستطيع ٠

ـ جهد الفقير ٠

ـ فاذا كنت أنت وأنت محدود الدخل تمد لنا يدك بالعون أليس ابننا أولى بنا ٠

ـ ابنك يعمل فى بنك أيجهل أن صناعة أبيه فى السمسرة لم يصبح لها وجود ان كان عنده أى نية للمعاونة فما الذى يؤخره ٠

ـ ربما ظن أن أباه وفر من أيام عمله بعض المال يستعين به الآن ٠

ـ ألا يعرف أن أباه كان يحصل على قوت يومه بطلوع الروح ٠ وأنه لم يستطع أن يجعله يكمل تعليمه فى الجامعة رغم علمه بحب أبيه له حبا فائقا ٠

ـ وهل عندنا غيره انه هو الذى يمثل لنا الحياة كلها ٠

ـ طبيعى ابن وحيد ٠ جاء بعد تشوق وانتظار ٠

ـ أتصدق بالله ٠

ـ لا اله الا الله ٠

ـ اننى وحيدر لا نصلى صلاة الا وندعو له فيها بالتوفيق والسداد٠ ولا نرجو الله أن يجعله بارا بنا فكلانا فقد الأمل فى هذا تماما ٠

ـ ليس فيما أسمعه غرابة ٠

ـ والله ما دفعنى للمجىء اليك الا مرض الرجل وآلامه ٠٠ أراه يتمزق أمامى ولا أجد ثمن الدواء ٠

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ٠

ـ انه لا ينسى فى كل صلاة بعد أن يدعو لعبد الشكور أن يطلب من الله أن يرفعه اليه ٠

ـ اسمعى يا أمه زنوبة اننى سأذهب الى عبد الشكور ٠

ـ انه يا بنى لا يعلم أن أباه مريض مرضا شديدا فربما لو عرف يرق قلبه ٠

ـ اننى ذاهب وليكن ما يكون ٠

سألته نعيمة سكرتيرة عبد الشكور ٠

ـ نقول له مين ؟

ـ قولى له بيومى ·
ـ بيومى من ؟
ـ قولى له بيومى صديق الطفولة ·
ـ فقط ·
ـ هذا يكفى ·
ـ أمـرك ·

وقال لها عبد الشكور :

ـ قولى له فى لجنة ·· مشغول ·· لا يقابل أحدا ·

وسمع بيومى الاجابة فاقتحم غرفة عبد الشكور دون أن ينتظر اذنا وصاح به :

ـ لقد كنت أتوقع انك ستمتنع عن لقائى ·

ونظر عبد الشكور الى نعيمة وأومأ لها أن تخرج ولم يتح له بيومى أن يتكلم ·

ـ ان من يفعل الذى تفعله بأبيك وأمك لا يمكن أن يحن لأيام الصبا ولا لأقرب صديق منه لما يزيد عن عشرين سنة من حياته ·

ـ لا تطل ·· أنا أريد أن أنسى هذه الأيام وأريد أن أنسى بلدتكم وكل ما فيها ومن فيها ·· أنا أقنع نفسى أننى ولدت هنا فى هذا البنك وحياتى هنا وليس لى قبلها حياة ·

ـ لست سيدنا آدم ، ان لك أبا وأما ·
ـ بل اننى أنا آدم الجديد ·
ـ حتى اذا علمت أن أباك مريض مرضا شديدا ·
ـ هل لآدم أب ·
ـ انه يكاد يموت ·
ـ كلنا سنموت ·
ـ لا سلام عليك ·
ـ ولا سلام عليك ·

وخرج بيومى غاضبا يبحث عن أقرب طريق للهواء النقى ·

★★★

لم تمض أسابيع حتى مات حيدر وتولى بيومى بما جمعه من كرام القرية نشر نعى حيدر بالأهرام بادئا الخبر بقوله شيعت أمس جنازة فلان والد فلان قاصدا أن يعرف الناس أن لعبد الشكور أبا وأنه ليس بآدم ولا حتى آدمى .

وغضب عبد الشكور من نشر الخبر فبادر يعلن أنه سيستقبل العزاء فى جامع عمر مكرم دون مأتم ووقف عبد الشكور فى الموعد الذى حدده يتلقى العزاء على باب المسجد فيسلم المعزون عليه وينصرفون .

وأقام أهل القرية مأتما لحيدر لم يحضره عبد الشكور طبعا ولو كان فكر أن يحضره لافترش الحصير على الأرض مع المعزين فما كان أحد ليفكر أن يستأجر الكراسى ليستقبل عليها العزاء فى رجل ابنه يملك أن يقيم له عشرين مأتما دون أن يمس هذا غناه الفاحش أى مساس .

ولم يعبأ عبد الشكور أن الأعيان الكبار من القرى المجاورة سيذهبون الى المأتم الذى حدد نعى الأهرام مكانه . فقد كان هؤلاء الأعيان يدركون ما بلغه عبد الشكور من سلطان وكانوا حريصين أن يتقربوا اليه ان لم يكن رجاء المنفعة فدفعا لمكروه من جانبه فقد كانوا على تمام الدراية أنه يملك أن يفيد وأن يضر وأنه كان دائما لحب الضرر أقرب . وكان الضرر الذى يوقعه قاتلا ولما كانوا حريصين على الحياة فقد ذهبوا الى المأتم متوقعين أن يجدوا عبد الشكور هناك ليأخذ العزاء فى أبيه فان لم يأخذ الابن الوحيد العزاء فى أبيه . فمن .

لم يجدوه ووجدوا بعض أهل القرية يتقبلون العزاء ووجدوا المعزين يفترشون الحصير على الأرض حتى لم يجدوا كرسيا يجلس عليه قارىء القرآن الذى تبرع باحياء المأتم بلا أجر .

والعجيب أن أحدا من هؤلاء الأعيان لم يجرؤ أن يخبر عبد الشكور أنه ذهب الى المأتم مخافة أن يغضبه وان كان عرف كل ما جرى من أبو العلا عفيفى ولم يهزه الذى سمعه شعرة منه .

★★★

وبعد انتهاء المأتم لم تجد زنوبة وسيلة لتواصل بها الحياة المفروضة عليها الا بأن تعمل خادمة فى منزل عمدة القرية الذى اعتبر استخدامه لها صدقة مستورة وقالت له زوجته :

ـ ان ابنها يستطيع أن يشترى البلدة كلها ٠

ـ وهذا أدعى الى الصدقة فهى لم تفقد زوجها وحده وانما فقدت من قبله بر ابنها الوحيد فكأنه مات وهو على قيد الحياة بل ربما كان موته خيرا لها من حياته لأنها ـ على الأقل ـ سترث نصيبها من ثروته ٠

ـ صدقت ان مصيبتها فى حياة ابنها أعظم من مصيبتها فى موت زوجهـــا ٠

★★★

الفصل الثالث عشر

جلس رستم مهزوما ضائعا فى غرفه المعيشة وطلب من الخادم أن يستدعى له فوزيه • وجاءت ونظر اليها أبوها نظرة حانية آسفة حزينة طويلة وظهرت الدهشة على وجه الفتاة البارعة الجمال صاغها الخالق البارىء المصور فأدقها أجلها • وجه ملائكى السمات وعينان خضراوان صافيتا الخضرة كأن الرموش عليها أحراس مقوسة الى أعلى فى عزة وكبرياء وكأن الحاجبين أبوان يحنوان على ابنتيهما وهذا الابهار جميعه مشفوع بجلال ربانى وثقة متواضعة • يحيط بوجهها شعر عربيد تولت هى استئناسه وتهذيب عربدته كل هذا الاعجاز الالهى يعلو قواما أهيف ممشوقا من صنعة الله أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بنائه •

عاد رستم الى نفسه حسيرا أسيفا كسيفا وكأنه يرى جمال ابنته للمرة الأولى فهو لم يحاول قبل اليوم أن يتبين معالم جمالها وانما كان يرى فيها ابنته الوحيدة وأمله فى الدنيا والمبرر لحياته . ويدرى أنها جميلة فى غير حيثيات ولا تفاصيل •

وقطعت عليه فوزية صمته المبيد الذى جعل أباها فى عينيها فى حال لم تره عليها حياتها كلها •

ــ خير يا بابا •

ــ بل شر يا بنتى •

ــ مـــاذا ؟

وقص عليهـــا أبوها المصيبة التى تحيط بحياتهما ثم ختم حديثه قائلا :

ــ كل ما كنت آمله من الحياة أن أتركك بين يدى زوج اطمئن الى شرفه ورجولته وحفظه للأمانة وهذا الكارثة الذى يفرض نفسه علينــا بلا شرف ولا رجولة ولا أمانة مستعد أن يلقى بك أول ورقة على مائدة القمار أن كنت الورقة التى ســتعود عليــه بأى كسب مهما كان حقيرا تافهـــا •

واسودت الدنيا فى ناظرى فوزية وغابت نظراتها حتى لقد تلاشى أبوها فى عينيها وجمعت على شفتيها الباذختى الجمال كلمات غمغمتها ٠

ــ المصيبة أعظم مما تظن يا أبى ٠

ــ هل يمكن ذلك ؟

ــ اذا عرفت أننى أحب حبا عميقا معيدا بالجامعة يبادلنى مشاعرى ربما بصورة أقوى وأعنف ٠

وكأن محيطا هائلا من الآلام غمر بأمواج كالجبال رستم المسكين :

ــ ولماذا لم يتقدم اليك ؟

ــ انه عائد بعد سنة واحدة من لندن حيث يدرس ليحصل على الدكتوراه ٠

ــ ولماذا لم تقولى لى لقد كنت أظن أنك تركت الجامعة دون أن يكون لك صلة بأى طالب فيها أو أستاذ ٠

ــ ولماذا أقول لك وأنا واثقة أنك كنت ستقبله فهو فتى يعتبر من أمثلة الرجولة الكاملة ومن أسرة عريقة ليست وافرة الغنى وان كان لديها ما يستطيع أن يحفظ عليها كرامتها فى عزة واباء ٠٠٠٠٠ أنا كنت واثقة أنك ستوافق لأنك لن تجد فيه الا ما يرضيك ٠

ــ والآن ماذا نحن فاعلان ؟

ــ واضح أن زواجى فى كفة وفرض الحراسة علينا فى الكفة الأخرى ٠

ــ أنا لا أريد مالى لنفسى وانما أحفظه لك درعا من حياة ليس لك فيها الا هذا المال ٠٠٠ ما مصيرك بدون هذا المال ٠

ــ أتوظف ٠

ــ هيهات أنه يملك أن يفرض عليك الحراسة يملك أن يمنع عنك أى وظيفة ٠

ــ ليس من الضرورى أن أتوظف فى الحكومة أو القطاع العام ٠

ــ وهل هناك قطاع خاص أو انسان يستطيع أن يقاوم هذا السرطان ٠

ــ الا من سبيل ؟

ـ واضح أننا اذا رفضناه سيجعل الانتقام منا شغله الشاغل ومن المؤكد أن الوسائل كلها بيديه ٠

ـ نسافر ٠٠٠٠ نترك مصر ٠

ـ لك الله يا بنتى الحبيبة ٠٠٠٠ أتظنين أننى لم أفكر فى هذا ولكن كيف ؟ ان مصر اليوم مغلقة على من فيها لا تفلت من جدرانها نملة الا باذن من السلطان والسلطان فى يد هذا السرطان ٠

واطرقت طويلا وقالت وكأنها شخص مذهوب العقل :

ـ انك تحتفظ بمالك فى المنزل وبالمجوهرات آلا تستطيع أن تستأمن عليها أحداً من أصدقائك وترفض الزواج حتى اذا استطاع أن يفرض عليك الحراسة لم يجد عندك ما يصادره ٠

ـ لم يغب عنى هذا انه قادر اذا لم تجد الحراسة عندى المال الذى يعرفه على الأقل فانه سيستطيع أن يسعى بى الى من يعتقلنى وليس يعنينى أن أعتقل ولكن ما مصيرك أنت اذا أنا اعتقلت ٠

ـ الى هذا الحد ٠

ـ لست أخترع مصائب ٠ انما أروى لك ما رأيناه وقع فعلا للآخرين ٠

وأطرقت فوزية وفرت من عينيها دمعتان حاولت بجهدها كله منعهما أن تسيلا فغلبتاها على أمرها قالت :

ـ اننى أعلم أنك لو اعتقلت أستطيع أن أواجهه ولكن فكرة أن تعتقل وأنت فى سنك هذه ، مجرد الفكرة مهما تكن غير مؤكدة أردها عنك لا بالزواج من هذا الشيطان فقط ولكنى أقدم حياتى وأنا سعيدة لأرد عنك هذا الاعتقال ٠

ـ والله يا بنتى الذى لا اله الا هو لو وثقت أن اعتقالى سيرد عنك هذا البلاء لرحبت به ٠

ـ لتكن مشيئة الله نافذة ٠

ـ ان الله أرحم بعباده من أن يقبل هذا الذى يحيط الناس من قهر وعذاب وتنكيل ٠

والعجيب أن فوزية قالت :

ـ انه سبحانه يقول « ولنبلونكم » ويقول : « وبشر الصابرين » دعنا يا أبى نشترى الآخرة بالدنيا والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

ـ اذن ؟

ـ من أجل سلامتك وحدها أتزوجه .

ـ كان الله في عوننا يا بنتى فاننى أيضا من أجل سلامتك وحدها سأقبل زواجك به ولعنة الله على الظالمين .

الفصل الرابع عشر

وتم الزواج فى حفل قصد عبد الشكور أن يكون غاية فى الفخامة والأبهة ليعلن بمن حضره الأقيال وأصحاب السلطان مدى ما يتمتع به من صلات وقوة وعنفوان وهو أمر لم يكن محتاجا الى تأكيده فهو معروف للقاصى والدانى ولكن عبد الشكور يتمتع بأن يؤكد هذا كلما أتيحت له فرصـــة ٠

وأين يجد فرصة خيرا من زواجه ليستمرىء هذا الشعور ٠

ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير ما يقترن بسيرة قوته ومنعته ونفوذه ما يعرفه الناس عن الوسائل التى سعى بها الى هذه المكانة ٠

فالناس أغلب الناس اذا واجهوه أظهروا التبجيل والاكبار والاجلال وان كانوا لا يضمرون له فى دخائل أنفسهم الا الاحتقار والاشمئزاز والهوان ٠

ومهما كان الفرح باذخ الفخامة فانه لم يستطع أن يرسم ظل ابتسامة على وجه العروس أو علامة مهما تكن واهنة من حبور على وجه أبيها ٠

ويستطيع عبد الشكور أن يهدد ويتزوج بمن اختارها بكل وسائل الغدر والختل والجبروت ولكنه لا يستطيع كما لا يستطيع انسان أن يأمر ابتسامة أن تعلو شفتين ولا علامة من حبور على ملامح انسان ٠

★★★

فى ليلة الزفاف كانت فوزية واثقة أنها أتعس انسانة على ظهر الأرض ٠ وكانت كلما لامسها عبد الشكور أحست التقرف والتقزز ٠

وكان عبد الشكور واثقا أن زوجته لا تحبه وان كان يجهل انها كانت مرتبطة بعلاقة حب عنيف مع أمجد الزعفراني المعيد بالكلية التى تخرجت فيها ٠

كان يجهل هـذه العـلاقة ولم يكن محتاجا لمعرفتها ليدرك مدى الكراهية التى تحسها فوزية نحوه ولكن متى حفل عبد الشكور بمشاعر

الانسان حتى وان كان هذا الانسان زوجته التى أمست منذ الليلة نصفه الآخر المفروض فيها أن تكون سكنا له ومودة ورحمة وأنيسا لخيانة وتوأما لروحه ٠

ولكن متى كنت فى حاجة الى من يحبنى يكفينى حبى لنفسى كل ما أريد من هذه الفتاة أن تصبح زوجتى وقد أصبحت ولتذهب مشاعرها الى أى جحيم تريد ٠

لم يمنع التقزز من فوزية وجمود الحس من عبد الشكور أن ينال الزوج حقه الشرعى ٠ منحته له فوزية وكأنها مقدمة على الانتحار ٠

كانت الحياة بين الزوجين بعد ذلك نسخة مكررة مما كانت فى الليلة الأولى ٠ احتقارا وامتهانا وتباعدا من الزوجة وعدم مبالاة وصلابة أحاسيس وتجاهل كراهية من عبد الشكور ٠

فهو لم يعرف الحب فى حياته كلها وهو لا يريد أن يعرفه ٠ ولا يعنيه أن تحبه زوجته بل لا يعنيه أن تكرهه فكما كان لا يعبأ بالحب من أى انسان مهما يكن قربه منه كان لا يحفل بالكراهية مهما تكن مؤصدة اليه من زوجته الف حياته وأم ولده ٠

نعم لقد حملت فوزية منذ الشهر الأول من الزوج ووضعت لزوجها طفلهما بعد عشرة أشهر من زواجهما ٠

وتدخل الجد فى اختيار اسم الوليد فكان راشد اسم واحد من أجداده العظام ولم يمانع عبد الشكور فكل الذى كان يطمح اليه أن يكون له ابن يحمل اسمه ٠

أما فوزية فانها منذ سكتت عنها آلام الوضع آزمعت أمرين لم تتوان فى تنفيذ أولهما ٠

ففى اليوم الأول لاستطاعتها الخروج من البيت قصدت الى الدكتورة مفيدة عبد الغنى التى كانت مشرفة على الولادة وكانت زميلتها فى المرحلة الثانوية ثم اختارت كلية الطب وتخرجت فيها متخصصة فى أمراض النساء وقد أصرت فوزية ألا يشرف عليها فى فترة الحمل والولادة الا زميلتها القديمة ولم يجد عبد الشكور بدا من الاستجابة لرغبتها ٠

رحبت مفيدة بزميلتها وصديقتها وسألتها فى دهشة :

ـ لماذا خرجت من البيت قبل الموعد الذى حددته لك ٠

ـ أريد منك أمرا هاما ٠

ـ ولماذا لم تستدعينى ؟

ـ كان لابد أن آتى اليك ٠

ـ عجيبـــة ٠

ـ لا أريد أطفالا بعد راشد ٠

ـ ليس لديك ما يمنع الحمل مرة أخرى وثالثة وعشرة ٠

ـ لو كان لدى ما يمنع ما جئت اليك ٠

ـ أكاد أفهم ولكننى لا أتصور ٠

ـ بل هو ما فهمت ٠

ـ أتريدين أن أجعلك عقيما ؟

ـ هو ذاك ٠

ـ ولكن ٠٠٠٠٠

وقاطعتها فوزية :

ـ لا تنطقى حرفا قبل أن أقص عليك كيف تزوجت ٠

وكانت قصـــة كافية لأن تجرى مفيدة لفوزية عملية التعقيم وقد أقدمت على اجراء العملية بضمير هادىء مستريح مطمئن أنها تقوم بعمل انسانى تثاب عليه ٠

★★★

أما الأمر الثانى الذى أزمعته فوزية فقد كان المستحيل أن تبدأ به من فورها بل كان لابد لها أن تنتظر بعض الوقت ٠

لقد كانت مصممة أن يكون ابنها أى شىء الا أن يكون شبيها لأبيه فى الهوة السحيقة من الأخلاق التى يتمتع بها هذا الشيطان الذى سماه أبوه عبد الشكور ٠

★★★

الفصل الخامس عشر

مرت السنوات حافلة بالأحداث الجسام ·

واستطاعت فوزية أن تباعد بين ابنها وبين أبيه باذلة فى سبيل ذلك كل جهد لا تدخر وسعا لجعل الطفل يتعلق بها وينفر فى الوقت ذاته من أبيه ·

ولم يترك عبد الشكور وسيلة تجعله يتقرب من ولده الا سلكها دون أن يجدى سعيه الملح أن يجعل راشد يميل اليه ·

ومع مرور الأيام بدأت مشاعر راشد تتحول شيئا فشيئا من تباعد عن والده الى نوع من الكراهية ·

وان كان هـذا لم يمنع عبد الشكور أن يدخل ابنه الى المدرسـة الألمانية ليجيد اللغة التى يجيدها مع لغات أخرى ·

ولم تجد فوزية فى اختيـار هذه المدرسـة ما يحول بينها وبين ما تريده لابنها من مستقبل باهر تصاحبه كراهيته لأبيه ·

ولم يبلغ راشد سن الوعى الا وقد زال عهد أبيه الزاهر وأصبح بلا حول ولا قوة فقد تغير الحكم فى مصر وكان رفت عبد الشكور من رئاسة البنك من أوائل ما قام به العهد الجديد ·

ويشـاء العزيز الحكيم أن يظل رستم على قيد الحياة حين عادت الطمأنينة على الأنفس والأموال والحريات الى خلق الله فى مصر ·

وحينئذ أودع رستم كل أمواله مطمئنا فى آحد البنوك باسم ابنته فوزية لتدر عليها دخلا يجعلها فى غنى كل الغنى عن زوجها كـما أودع مجوهراتها الشامخة القيمة نفس البنك فى خزانة باسم فوزية ·

وقد صحبته فوزية الى البنك على غير علم من زوجها ولم يكن رستم فى حاجة أن يطلب الى فوزية أن تكتم عن زوجها اسم البنك ·

وكأنما كان رستم يضع موعد موته فى حوزته فما أن اطمأن على مستقبل ابنته حتى وافته المنية بعـد أشـهر قلائل من تأمين مستقبل ابنتـــه ·

وفى يوم المأتم استقبل عبد الشكور العزاء فى موت حميه الذى لم يسع فيه ليه الا قلة نادرة تصدقوا بعزائهم فى غير همة ولا حماس ٠

فى ليلة المأتم وقبل أن يطلع الصباح سأل عبد الشكور زوجته :

ـ ما أنباء الميراث ؟

ـ ليس هناك ميراث ٠

ـ كيـف ؟

ـ هـكذا ٠

ـ ينبغى أن تخبرينى فانك وحيدة أبيك وقد يشاركك الميراث أى صاحب حق فيه ٠

ـ لن يجدوا باسم أبى مليما واحدا الا أثاث الشقة والمكتبة ٠

ـ اذن ٠

ـ اذن لو فاتحتنى فى هذا الموضوع مرة أخرى فلن أبقى فى البيت لحظة واحدة لا أنا ولا راشد ٠

ـ ولكنى زوجك ٠

ـ عندك ما يكفيك والله جعل ذمة المرأة مستقلة ٠

ـ الله ٠

ـ أنت طبعا لا تعرفه فلم أسمعك تذكره مطلقا ٠

ـ أستطيع أن أعاملك بالمثل ٠

ـ أرجو أن تفعل ٠

ـ سترين ٠

ـ سأكون سعيدة حين أرى ٠

بعد أيام حول عبد الشكور ثروته الباذخة جميعها باسم ابنه حتى ينتقم من زوجته فلا ترث منه مليما واحدا ٠

ولما كان هو الولى الطبيعى لراشد فقد كان يدرك أنه يستطيع أن يتصرف فى هذا المال ما شاء له التصرف ٠

★★★

قبع عبد الشكور فى بيته بلا عمل فلم يجد شيئا يفعله الا أن يسعى الى هؤلاء الذين زال عنهم من المجد والجبروت كما زال عنه يجتمعون فى بيوت بعضهم البعض لا حديث لهم الا المديح فيما مضى والقدح فيما هم فيه من هوان شأن وانعدام قيمة ٠

وفى يوم نبتت فى ذهن عبد الشكور فكرة سارع الى تنفيذها ٠

ولماذا لا ؟ ألم نصبح فى عصر الانفتاح فلماذا لا أصيب منه من المال ما أطيق أن أصيب وليست قوة المال بأقل شأنا من سطوة النفوذ ٠

الفصل السادس عشر

سافر عبد الشكور الى ألمانيا · فان صلته بمارك وهوفمان ظلت ممتدة وكان يعلم تمام العلم أين سيجد كلا منهما ·

ولم يخب مسعاه فسرعان ما التقى بمارك ووجده فى أحسن حال فى عائلته وماله معا ·

تزوج مارك وأصبح لديه ولدان قريبـــان من عمر راشـد وهما أندرسن وستيفان وفى نفس الوقت أنشـــأ مارك مصنعا ضخما لصنع الأثاث الخشبى عاد عليه بالغنى الوفير ·

أما هوفمان فقد تزوج هو أيضا وأنجب ابنا قارب سن الشباب وابنة تصغره بعامين · والولد اسمه رالف والبنت كريستين وقد حقق هوفمان نجاحا باهرا وأنشأ بيتا تجاريا عملاقا للأدوات الكهربية مثـل التليفزيون والثلاجة والغسالة وسائر الأدوات المنزلية الكهربية وكلهـا تحمل ماركة هوفمان وقد صارت ماركة شهيرة فى ألمانيا جميعها ·

وأدرك عبد الشكور فى دربة الخبير أن عمله سيكون مع هوفمان ولكنه مع ذلك دعا كلا من مارك وهوفمان الى غذاء يرد به على دعوتيهما له حين وصل ألمانيا ·

وعرف الصديقان كل أنباء صديقهما المصرى منذ تركهما حتى مقدم راشد ثم ما كان بعد ذلك من اقصائه عن البنك ·

وفى اليوم التالى ذهب الى هوفمان فى مكتبه وساله :

ــ من المؤكد أنه ليس لك وكيل فى مصر ·

ــ فعلا ليس لى وكيل فى مصر ·

ــ فما رأيك أن أكون أنا وكيلك ؟

ــ لا بأس وان كنت قد فهمت أنك لست مقربا للسلطة في مصر ·

ــ الأمر اليوم مختلف تماما فى مصر · وما دمت لا أعمل بالسياسة فهم لا شأن لهم بى على الاطلاق ·

– ليست السياسة بعيدة عن الاقتصاد .

– انهم يريدون أن يقلبوا النظام الاقتصادى فى مصر الى نظام حر ولولا وثوقى من أننى سأنجح بهذا التوكيل الذى سأحصل عليه منك ما غامرت .

– من ناحيتى لا أرى بأسا .

– فلتجهز العقود .

– ليكن توكيلك أول الأمر مقصورا على عنصر واحد من عناصر الأجهـــزة .

– وأنا أيضا أفكر فى ذلك وليكن التوكيل فى بيع التليفزيونات .

– لا بأس .

– لا تنس أن اسم هوفمان ليس معروفا فى مصر وسوف أنفق أموالا طائلة لأروج للاسم .

– أقدر ذلك .

– أرجو أن يمتد تقديرك الى النسبة التى سأحصل عليها .

– عبد الشكور أنا فى غير حاجة الى السوق المصرى فما أبيعه الآن فى ألمانيا وأوروبا يكفينى وزيادة بل اننى سأضطر الى توسعة فى مصانعى لأواجه المطلوب من منتجاتى .

– لماذا تقول هذا ؟

– أنت تفهم تماما لماذا أقوله .

– ان الفائدة التى تعود على من التوكيل أكثر بكثير من الفائدة التى تعود عليك .

– أرى أنك سريع الفهم كعادتك دائما .

– وكيف تريدنى أن أشكرك .

– انها ليست معرفة يوم انها السنوات الطوال ؛

– وهذا ما أطمعنى فيك .

ورفع هوفمان سماعة التليفون واستدعى موظفا عنده فحين جـــاء قال له :

– اكتب معه عقد توكيل بالشروط التى يريدها .

وقال عبد الشكور :

ـ هذا ما أنتظره منك .

ـ أعلم أن هذا ما تنتظره منى .

ـ هل أجعل التوكيل فى مصر وحدها أم فى البلاد العربية كلها .
ونظر اليه هوفمان نظرة طويلة وصاح :

ـ انك لم تتغير .

ـ كيـف ؟

ـ تريد أن تحصل على كل شىء دفعة واحدة .

ـ ما دام ذلك ممكنا .

ـ اجعل العقد فى مصر مبدئيـا وأعدك الا أعطى توكيلا لبلد عربى قبل أن أعرضه عليك .

ـ هذا يكفى .

وصمت قليلا ثم قال :

ـ مؤقتا .

وقال هوفمان مبتسما :

ـ لم أسارع بالرد على قولك منتظرا بقية الجملة .

ـ أنت فى غاية الذكاء .

ـ ليس هذا من ذكاء وانما عن معرفة بك .

ـ وشىء آخر .

ـ أريد العقد باسم ابنى راشد عبد الشكور .

ـ أنت تقول انه صغير .

ـ ولكنه سيكبر وأريد أن أغرسه بين رجال الأعمال منذ بداية حيـاته .

ـ ومن سيكون المسئول .

ـ أتتصور أن يكون شخصا آخر غيرى .

ـ المفروض الا أقبل هذا الطلب ولكن لأنه منك أنت ولأننى لا أريد أن أرفض لك أى مطلب مهما يكن شاقا فانى أقبل .

ونظر الى الموظف الذى جلس معهما ينتظر ما ينتهيان اليه وقال له :

ـ اكتب العقد بالاسم الذى يريده وبالنسبة التى يقدرها وبطريقة الدفع التى يقررها ...... اعتبر أنه مكانى تماما ونفذ له كل ما يريد .

★★★

وتم عقد التوكيل كما شاء عبد الشكور تماما .

أما مارك فلم يجد عنده ما يستطيع أن يستورده الى مصر وقال مارك :

ـ انكم فى مصر تجيدون صناعة الأثاث .

ـ هـذا صحيح .

ـ والأثرياء يحبون الأثاث الفرنسى القديم وان دفعوا فيه أسعارا خيالية .

ـ وهذا أيضا صحيح .

ـ ولكنى أنوى صناعة أدوات منزلية .

ـ كهربيـــة .

ـ أتتصور أن أنافس هوفمان .

ـ اذن .

ـ أدوات منزلية غير كهربية وحين أصنعها سأطلبك لتأتى .

ـ أنا تحت أمرك .

ـ وتأكد أنك ستكسب منها مثلما تكسب من تليفزيونات هوفمان .

ـ أنا واثق .

★★★

وعاد عبد الشكور الى مصر ظافرا منتصرا وازداد استغناء عن حب زوجته وان كان الأمل ظل يداعبه فى استمالة راشد اليه .

ربما حين يكبر ويرى ما أعددته له من مال ومشروعات تجارية يتعلق بى تعلقه بأمه أو أى تعلق والسلام ربما من يدرى .

الفصل السابع عشر

ما أسرع ما تمر الأيام ..

نجح عبـــد الشكور فى توكيله وأصبح اســم التليفزيون هوفمان شهيرا فى مصر مما جعله بعد بضعة سنوات يجدد التوكيل مع هوفمان على أن يشمل البلاد العربية الى جانب مصر .

أما راشد فقد راحت الأيام تمر به وراح يزداد تعلقا بأمه وبعدا عن أبيه رغم أنه علم أن التوكيلات التى حصـل عليهـا أبوه كانت جميعها باســـمه .

وحصل راشد على الثانوية العامة واختار له أبوه بترحاب من أمه أن ينتسب الى الجامعة الأمريكية ورغبته أمه فى هذا قائلة له :

ـ انك تجيد الألمانية والفرنسية من المدرسة .

ـ الحقيقة أن تفوقى فى الفرنسية يرجع الفضل فيه اليك . أنا لا أنسى كيف جعلتنى أحب الأدب الفرنسى ولا أنسى الليالى الطوال التى كنت أقضيها معك فى قراءة الأدب الفرنسى .

ـ فاذا دخلت الجامعة الأمريكية فانك ستجيد الانجليزية أيضــا وهى لغة العصر .

ـ انك لا تحتاجين معى الى اقناع يكفى أن أتلمس رغبتك من بعيد حتى أنفذها بكل حماس وبلا مناقشة أو تفكير منى .

ـ يا حبيبى اذن على بركة الله .

ـ سبحانه وتعالى ..... على بركة الله .

وفجأة وجدت فوزية نفسها تقول لابنها :

ـ راشــــد .

ـ أفنــــدم .

ـ جاء الوقت لأقول لك شيئا .

ـ هل هناك شيء لم تقوليه لي حتى الآن ٠

ـ كنت أنتظر اليوم الذى أراك فيه على ما أنت عليه اليوم لأقوله ٠

ـ وعلى أى شيء أنا اليوم ٠

ـ على درجة كاملة من الوعى لتستوعب تماما ما أريد أن أحدثك فيه ٠

ـ الحمد لله ٠

ـ ربما رأيت منى تباعدا عن أبيك ٠

ـ بل نفورا ٠

ـ سمه ما شئت ٠ طبعا لا تدرك السبب ٠

ـ أتصوره وان كنت غير واثق منه ٠

ـ ماذا تتصور ؟

ـ أبى بطبيعته له طابع خاص به ٠

ـ ما هـو ٠

ـ لا يعرف كيف يعطى وانما يعرف تماما كيف يأخذ ٠

ـ بمعنى ٠

ـ بمعنى أنه لم يقدم لى فى حياته هدية الا انتظر أن أقدم له فى مقابلها شيئا ٠

ـ ثم ماذا ؟

ـ لا أستطيع أن أحدد وانما كنت أحس دائما أنه يريدنى أن أدفع له ثمن الهدية ٠

ـ قبـلة مثـلا ٠

ـ انه لا يهتم بهذه المشاعر مطلقا ٠

ـ اذن فاسمع ما لم أقله لك عن أبيك ٠

وراحت فوزية تقص على ابنها تاريخ أبيه كله لم تغفل منه شيئا ٠٠٠ روت له كيف وصل الى مكانه فى البنك وقد عرفته مما رواه لها عبد الشكور محاولا أن يريها كم هو ماهر حاد الذكاء دون أن يعنيه فى شيء أن فوزية تقدر المعانى السامية من الشرف أو الوفاء للأصدقاء أو الكبرياء عن الدنس وامتهان الذات وكل هذه المعانى التى ضرب بها عبد الشكور عرض الأفق

فى معاملته لفتحى او فى تقربه من صبحى أو فى امتهـان كرامته غاية الامتهان فيما بذله لموسى أشرف أو فى الغائه لضميره فى كل الصفقات التى كان يعقدها فى البنك ٠

وروت فوزية لراشد كيف تزوج بها بل انها لم تكتم عنه ما كان بينها وبين أمجد الزعفرانى الذى أصبح دكتورا وأستاذا من حب عفيف نقى طاهر ومن تواعدهما على الزواج ٠٠٠ روت لابنها كل شىء لم تخف من حياة أبيه وحياتها خافية حتى صلته بأمه وبأبيه روتها له كاملة منذ ترك القرية حتى مات أبوه وقد كانت قصته هذه يتناقلها الجميع ولكنها بطبيعتها تحاذر أن تصـل الى مسامع الابن ولهذا لم يكن غريبا الا يعرفها راشد الا من أمه وهكذا لم تحجب فوزية عن ابنها شيئا من تاريخ أبيه العملى أو الأسرى بل والبنوى أيضا واستمع راشد صامت الفم مزلزل النفس زلزالا عاصفا لكل حرف تساقط فى حزن وألم وأسى من فم أمه فى ظاهر أمره ومن بعيد أعماقها فى حقيقته ٠

وحين سكتت فوزية ساد الصمت حينا طويلا وقال راشد لاهثا :

ــ انك فى محافظتك على شرفك الذى هو شرف أبى بعد كل الذى سمعت تعتبرين أعظم امرأة فى الوجود ٠

ــ ان شرفى عندى أغلى من أى شىء حتى ولو كان هذا الشىء هو الانتقام من أبيك ٠ انه كرامتى الشخصية وما كنت لأسمح لأبيك مهما فعل أن يجعلنى أتنازل عن كرامتى ٠

ــ وبحفاظك أنقذتنى أن أكون ابن أم ٠٠٠٠٠٠ ابن أم ٠٠٠٠٠٠ لا أريد أن أقول الكلمة ٠

ــ الحمد لله ٠٠٠٠٠٠ نعم تستطيع أن ترفع رأسك دائما اذا واجهت العالم بأمك ٠

ــ ولكن لابد لى أن أنكسها اذا واجهت هذا العالم بأبى ٠٠٠٠ الآن عرفت لماذا يتصور دائما أن حبه لا يتمثل الا فى المال ٠

ــ هذا منتهى علمه بالحياة جميعها ٠

ــ ولهذا جعل توكيلاته باسمى ٠

ــ لا ليس لهذا وحده ٠

ــ اذن فلماذا ؟

ــ انه حريص ألا أرث منه مليما واحدا اذا مات قبلى ٠

ـ هذا أقرب لخلقه ٠

ـ لا تعذب نفسك فان الانسان لا يستطيع أن يختار أباه ٠

ـ ولا أمه ٠

ـ يحسبك أن تكون راضيا عن أمك ٠٠٠٠٠ انك لا تملك أن تصنع شيئا ٠

ـ فعلا أنا لا أملك أن أصنع شيئا الآن ٠

ـ ولا في المستقبل ٠

ـ المستقبل لا يفعله الا الله ٠

ـ صدقت ٠

الفصل الثامن عشر

تخرج راشد في الجامعة الأمريكية حاصلا على شهادة في الاقتصاد. وفي اليوم التالي لتخرجه اصطحبه أبوه الى مقر شركاته وأدخله الى غرفة فاخرة الأثاث ٠

ـ حجرتك ٠

وفي انبهار بفخامة الأثاث قال راشد :

ـ توقعت هذا ٠

ـ ألا تشكرني ٠

ـ كشأنك دائما يا أبي ٠

ـ وما هو شأني ٠

ـ تنتظر مقابلا لكل عمل تقوم به ٠

ـ أليس هذا أمرا طبيعيا ٠

ـ عندك أنت نعم ٠

ـ وعند غيري ٠

ـ هناك أشياء يصنعها الانســان ولا ينتظر عنها مقابلا فوريا أو يحتسبها عند الله ٠

ـ ان لم تأخذ لأي جهد تبذله مقابلا فلن تستطيع مواجهة الحياة ٠

ـ ألا أستطيع أن أقدم خيرا لمجرد الصداقة أو الود أو الصــلات الانسانية مثل الأبوة والبنوة ٠

ـ هذه لغة أمك ٠

ـ أحسب أنها لغة الحياة الانسانية ٠

ـ اذا أردت أن تواجه الحياة فاياك ٠٠ اياك أن تتكلم هذه اللغة الانسانية التي تذكرها ٠

ـ أشكرك يا أبي على المكتب وسترى أنني جدير به وسأرد فضلك اليك أضعافا مضاعفة من الأموال ٠

ـ شكرك الحقيقى يكون بتذكرك لهذا الذى أقول ٠

ـ أبى ان هذه هى شريعتك فى الحياة وهى ليست شريعة الانسانية كلهـــا ٠

ـ وماذا يضيرك أن تكون لى شريعتى الخاصة وتكون شريعتك أنت أيضا ٠٠ ألست ابنى ؟

ـ اننا نعيش مع الناس ٠

ـ سترى لك الأيام أننى على حق ٠

ـ وربما وجدت أنت أن الناس على حق ٠

ـ بعد سنى هذه ٠

ـ ليس للحقيقة موعد معين تظهر فيه للانسان ٠

ـ المهم أن تكون فى شركاتى هذه متبعا لشريعتى ٠

وضحك راشد ضحكة هينة وقال لأبيه :

ـ أظنها شركاتى أنا ٠

ـ نسيت ٠٠٠٠٠٠ نعم نسيت ٠

وضحك ملء فمه وقال :

ـ متى تبدأ العمل ؟

ـ الآن اذا أردت ٠

ـ أحب هذا الحماس ٠

ـ أعرف هذا ٠

وقال عبد الشكور :

ـ وهو كذلك ٠

وقال راشد :

ـ على بركة الله ٠

ما هى الا فترة وجيزة حتى كان راشد قد استوعب الشركة كلها وكان هو الذى يقوم بالاتصالات التليفونية أو غيرها من فاكس أو تلكس أو برقيات مع هوفمان ٠

وحين مات هوفمان بدأ راشد يوثق صلاته اللاسلكية مع ابنه رالف الذى تولى الشركات من بعده ٠

واستطاع راشد بنشاطه وذكائه أن يقضي أباه تماما حتى لم يعد ابوه يجد شيئا يعمله فعاد الى رفاق سلطانه يجتر واياهم ايام سطوتهم وجبروتهم · وان كان يجد في نفسه بعض الألم ان اصبح بلا عمل ·

وماذا يضيرني من هذا أليست هذه آمالي كلها تتحقق وأصبح راشد واحدا من أهم رجال الأعمال · وماذا علي أن أستريح · طعم الراحة مر في فمي ···· لا بأس لقد عملت حياتك كلها منذ أنت طفل صغير حتى بلغت هذه السن · وحياتك ممتدة في ابنك · أي أب يكون عنده ابن كراشد ولا يكون سعيدا هانئا · عجيب سعادتي ليست خالصة وهنائي يشوبه شيء لا أدري كيف أصفه وان كنت أحس به ·

لقد عشت عمري أصنع أيامي فلا بأس على اليوم أن أترك ولدي يصنعها لي · فهو مهما يكن الأمر ابني وابني الوحيد الذي لا ملجأ لي في الحياة الا هو ، جاءني من أم كرهتني منذ خطبتها وبدلا من أن تهون العشرة من كراهيتها زادتها عنفا ونفورا وعمقا ··

ليكن ابني محبا لأمه أكثر من حبه لي · الا أنه أولا وأخيرا ابن دمي فمهما تكن كراهية أمه لي الا انها لم تخني يوما · وحين كنت في موقف أستطيع مراقبتها منه بثثت حولها العيون فما رأيت منها الا الوفاء والاخلاص والشرف · فهو ابني لا شك في ذلك ·

لأتركه يصنع لي أيامي المقبلة فأنا الذي صنعت له أيامه الماضية والحاضرة التي يحياها الآن ·

الفصل التاسع عشر

قالت له فوزية فى جلسة هادئة :

ــ ألم يأت الوقت ؟

وفى سرعة خاطر قال :

ــ قد أتى ·

ــ فماذا تنتظر ؟

ــ أن تفاتحينى ·

ــ لماذا لم تفاتحنى أنت ؟

ــ أردت أن أكون منفذا لأوامرك ·

ــ حتى فى زواجك ·

ــ وخاصة فى زواجى ·

ــ أفى ذهنك عروس ؟

ــ هى التى فى ذهنك ·

وأشرق وجه فوزية وأمحت عنه تجاعيد السنين ·

ــ هل كنت تعرف ؟

ــ ألا تعرفين أننى كنت أعرف ؟

ــ كنت أرجو ·

ــ ومتى نكصت عن رجاء نفسك ·

ــ الحق أنت دائما تحقق أملى فيك ·

ــ لقد صنعتنى بعد الله على عينيك ·

ــ ونعم ما صنع الله وهيأنى لأصنعه ·

ــ أنا تحت أمرك تستطيعين أن تخطبى دعاء حين تشائين ·

وتهلل وجه فوزية مرة أخرى وأرادت أن تمتع من اللحظة كل ما فيها من سعادة وترتشف عصيرها جميعه حتى لا تبقى منه شيئا ·

ـ كيف عرفت ؟

ـ حرصـــك أن أصحبك الى تنت عايدة كلمــا زرتها واصرارك على دعوتها هي ودعاء كلما عرفت أننى لن أخرج من البيت ٠

ـ ودعـــاء هل تعلم ؟

ـ لقد كنت أنت وأمها تحرصان على أن تتركانا منفردين بأعذار واهيـــة ٠

ـ وفيم كنتما تتحدثان ؟

ـ في محاولتكما التقريب بيننا ٠٠٠٠ واتفقنا ان نتغافل أنا وهي ولا نشعركما أننا لا نحتاج الى هذا الجهد منكما ٠

ـ فأنتما متحابان ٠

ـ اذا شئت أن تقولى هذا ٠

ـ كما أنتما خبيثان ٠

ـ بل قولى كم أنتما طيبتان أنت وأمها ٠

ـ اذن ٠

ـ افعلى ما شئت بالطريقة التى تعجبك وفى الوقت الذى تحددينه ٠

ووضح على وجه فوزية أن فكرة وثبت الى ذهنها ٠

ـ فى أى يوم نحن من الأيام ٠

ـ الخميس ٠

ـ ولماذا لم تذهب الى الشركة ٠

ـ أردت أن أقعد معك اليوم ٠

ـ أكنت تنوى أن تفاتحنى فى هذا الموضوع ٠

ـ بل كنت أنتظر أن تفاتحينى ٠

ـ قم فالبس ملابسك ٠

ـ ماذا أتريدين أن تصحبينى معك فى الخطبة ٠

ـ لا انما أريدك فى شىء آخر تماما ٠٠٠٠٠ قم فالبس ملابسك ٠

★★★

صحبت فوزية رستم نامق ، راشـــد الى البنك الذى فيه أموالها ومجوهراتها ٠ وحولت المال وصندوق المجوهرات جميعها باسم راشد ٠

وحين فتحت صندوق المجوهرات انتقت منه عقدا نادر الوجود في العالم أجمع وقالت لراشد :

ـ بهذا العقد شبك أبي أمي وبهذا العقد سيشبك راشد دعاء ٠

وفي انبهار راشد بروعة العقد لم يستطع أن ينطق حرفا ولم يتردد أن يقبل أمه في وجهها ويديها على مشهد من موظف البنك الموكل بتنفيذ أوامر السيدة الفاحشة الثراء فوزية رستم نامق ٠

★★★

تم الزواج في حفل خيالي العظمة وخلا العريس بعروسه ٠

ـ وأخــيرا

وضحكت دعاء ٠

ـ آن لأمك وأمي أن تستريحا ٠

ـ وآن لنا أيضا ٠

وفي الصباح قال راشد لدعاء ٠

ـ ما رأيك أنا عندي عمل في ألمانيا ليس عاجلا وانما قصدت أن أؤجله الى ما بعد الزواج حتى يكون شهر عسل لنا في ألمانيا وفي أوربا كلهــا ٠

وفرحت دعاء غاية الفرح ٠

ـ أتسألني رأيي ؟

ـ كنت أستطيع أن أكذب عليك وأقول انه شهر عسل فقط ولكنني منذ تفاهمنا أخذت على نفسي عهدا أن تكون نفسي كتابا مفتوحا أمامك لا يخفى منه عنك ما فيه ٠

وقبلته وهي تقول :

ـ ولك مني أن أكون كذلك معك ٠

★★★

سافر العروســان وبدأ راشــد يذهب الى رالف وتعارفا مواجهة واستطاع راشد أن يحصل من رالف على توكيل عــام لجميـع منتجات هوفمان بلا استثناء فأصبح له حق استيراد الثلاجات والغسالات وكل الأدوات الكهربية الأخرى ٠

وأقام رالف وليمة للعروسين ودعا اليها صديق العمر لأبيه مارك وابنه ستيفان وابنته كريستين ·

وقال مارك لراشد :

ـ عندى لك هدية زواج ·

ـ يكفى أن أراك فقد عرفت من أبى كيف علمته الانجليزية والألمانية ·

ـ شاركنى هوفمان فى تعليمه الألمانية ·

ـ أعرف هذا ·

ـ لم تسألنى عن الهدية ؟

ـ أنا متأكد أنها هدية عظيمة من رجل عظيم ·

ـ اليك هى ·

وقدم اليه عقدا من صورتين يفيد توكيله فى استيراد جميع الأدوات المنزلية التى كان وعد أباه أن يوكله فيها حين بدأ انتاجها وشكر راشد الرجل العجوز وصافحه ورفع صورة العقد بين تصفيق الحاضرين ·

★★★

وحين عاد راشد ودعاء الى مصر بعد رحلة ممتعة فى أوروبا جميعها لم يكن راشد وحده الذى يحمل التوكيلات التى حصل عليها · بل ان دعاء كانت تحمل ما هو أهم من ذلك بكثير ··

··· كانت تحمل طفلهما الأول ·

★★★

وضعت دعاء ولدا ولم يتردد راشد أن يسمى الطفل رستم تقربا لأمه · وحين أنجبا أخته بعد ثلاث سنوات أسمى ابنته فوزية ·

وكان الجدان والجدتان جميعا أعظم ما يكونون احتفاء بالحفيدين لا يستثنى من ذلك عبد الشكور ·

ومرت السنوات · وكبر الطفلان ودخلا المدرسة ·

★★★

وفي يوم بينما كان راشد في مكتبه دق جرس التليفون الداخلى وجاء صوت أبيه ·

ـ ماذا تصنع ؟

ـ لا شيء ·

ـ تعال اقعد معى ·

وحين ذهب قال راشد لأبيه :

ـ أصبحت لا تزور المكتب الا فيما ندر ·

ـ ماذا أعمل فيه أنت مشغول واتسعت أعمالك حتى أصبحت أنا غريبا عنها والبركة فيك ·

ـ تتسلى ·

ـ أنا هنا لا أتسلى الا اذا كنت أنت غير مشغول وهذا قليلا ما يحدث ·

وبينما الحديث يجرى بين الوالد وابنه صاح عبد الشكور صيحة ألم عنيفة وأصبح يغتصب أنفاسه من الهواء فى جهد بالغ ·

وسرعان ما جاء الطبيب ونقلت سيارة الاسعاف عبد الشكور الى المستشفى وأجريت الفحوص الدقيقة وفى مواجهة الأب ووجود الابن قال كبير الأطباء :

ـ حالة قلبية حادة ·

وقال عبد الشكور :

ـ ألها علاج ؟

ـ فى أمريكا وانما لا أخفى عنكم الأمل ضعيف ·

★★★

قال الأب لابنه بعد أن انتقل الى منزله بأيام ·

ـ هل جهزت للسفر ؟

ـ الى أين ؟

ـ الى أمريكا ·

ـ لماذا ؟

ووقعت الكلمة على الأب كأنها خنجر سفاك قاتل ·

ـ ألا تدرى لماذا ؟

ـ لا .... لا أدرى .

ـ لاجراء عملية .

ـ أى عملية ؟

ـ التى قال عنها الأطباء .

ـ انهم قالوا أن الأمل ضعيف .

ـ ليكن واحدا فى المليون .

ـ أتنفق عشرات الألوف من أجل أمل واحد فى المليون .

ـ انها أموالى .

ـ انها ليست أموالك ولا أموالى انها أموال رستم وفوزية وأنا أمين عليها أيرضيك أن أخون الأمانة .

ـ اذن أموت .

ـ كلنا سنموت .

كلنا سنموت ... كلنا سنموت ... كلنا سنموت .... طنت الكلمة فى رأسه وفى كيانه ... كلنا سنموت ... لقد سمعتها قبل اليوم ... لا ... بل قلتها ... قلتهـا ... نعم قلتهـا ... وأذكر اللحظة والوقت والمناسبة .... كلنا سنموت .

★★★

ترك راشد والده وعاد الى بيته .

ومرت الأيام ولكن عبد الشكور منذ سمع كلمة ابنه دخل الى غرفته لا يريد أن يرى أحداً أو أن يراه أحد . يدخل اليه الطعام فى موعده ويتلهى بالراديو حينا أو التليفزيون وقليلا ما يتلهى ثم يأمـــر فتغلق النوافذ ان كان فى نهار أو يطفىء المصابيح ان كان فى ليل ويخترق بعينيه الظلام فلا يرى الا رسما واحدا يلح عليه الحاحا لا يغلبه ويغمغم :

نعم انها حياتى حياتى أنا دائرة حيثما بدأت من نقطة منها فمن الحتم المؤكد أن تعود الى نفس النقطة التى بدأت منها .

فمتى .. متى تطمس الأيام هذه الدائرة ..... كلمة لم أقولها فى حياتى .... لا مهرب لى من أن أقولها اليوم ولا أقول غيرها الله يعلم ... الله وحده يعلم ... أعرفت الله اليوم ... ليس أمامى الا أن أعرفه ... لم يبق فى حياتى ... الا آخرتى فان لم أعرف الله اليوم فماذا يبقى لى والعجيب العجيب انه فى عزلته هذه كان يحافظ على مواقيت الصلاة ولأول مرة فى حياته يحس مع الألم العاصف والأسى المبيد فى جوانحه انه بالصلاة مطمئن النفس فهو بذكر الله فى سكينة وأمان لم يذق نعيمهما فى كل ما تركه وراءه من أيام ومن أسرة ومن ثروة .

انتهت بحمد الله

فندق برزدنت . جنيف

الساعة ١٢ر٣٠ ظهرا يوم الاثنين ٢٥ سبتمبر عام ١٩٩٥ .

سنة ١٩٨٥

عــلى قلــوب أقفالها

لم أكن أتوقع أن اتلقى هذه الكمية من الخطابات والمكالمات على مقالى الذى نشر بعنوان « حيرة » بتاريخ ٧ من أبريل فقد اتضح لى أننى لست وحدى الحائر انما الحائرون مثلى كثيرون يخطئهم العدد . وقد هالهم ان صوت الشيوعيين جهير ذائع مرتفع مزعج بينما هم قلة ضئيلة هزيلة لم تستطع أن تجعل واحدا فردا يمثلها فى مجلسى الشعب أو مجلس الشورى .

وهم مع فشلهم هذا لاحياء لهم . ولا يخجلون ويملأون الدنيا صياحا حتى يصبح الاعــلام المصرى مذعورا من صراخهم يخيل اليــه أن وراء ضجيجهم العدد الضخم والحشد الحاشد والجمع الغفير والنفر العديد . ولو أن الاعــلام المصرى أنعم النظر وأمعن التفكير لعرف الحقيقة . ان لهؤلاء الشيوعيين نفيرا يصيح بهم من كهنوت الشيوعية العالمية ويأمرهم فاذا صــوتهم واحد وكلامهم كلمة وصراخهم جميع لا شــتى حتى يخيل لسامعهم أنهم أقوياء وهم أضعف خلق الله انسانا . انهم أفواه قليلة العدد ولكنها تتكلم جميعا بكلام موضوع لهم لا يتغير من فرد الى فرد واكليشيهات ثابتة لا تختلف من شيوعى الى شيوعى . وكلهم .. كلهم .. ينطقون دفعة واحدة من مكبر صوت واحد . فاذا سامعهم يحسب أنهم جمع وهم أفراد قلة لا قيمة لعددهم ولا وزن .

ولكن هذا التجمع أعطاهم الفرصة أن يزيفوا حقيقة الشعب المصرى أجمع فاذا الاعلام المصرى والفن المصرى أيضــا يصطبغ بلونهم الأحمر البغيض وهم بهذا يزلزلون أركان الديموقراطية عدوهم الأصيل التى يتظاهرون بحبها والهيام بها ماداموا بعيدين عن مقــاعد الحــكم والتى يقتلونها ويسفكون دماءها ودماء الشعب الذى يحكمون اذا هم تولوا مناصب الحكم فى بلد من البلدان .

وقد استطاعوا بأصواتهم التى مرنوا على أن يجعلوها عالية نكيرة ان يهاجموا الانفتاح لأن الانفتاح ملازم للديمقراطية .

ولما كانوا لا يجرؤون أن يهاجموا الديمقراطية علانية وصراحة فقد هاجموا الانفتاح • وحجتهم أن فى عهد الانفتاح ظهرت سرقات ضخمة روع لها الشعب المصرى •

ولكن هم يعلمون علم اليقين أن الشعب المصرى فوجىء بهذه السرقات لأنه لم يكن يسمع عنها فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان والشعب لم يسمع بالسرقات لسبب واحد ليس هناك غيره أن السرقات لم يكن أمرها يذاع على الناس وليس لأن السرقات لم تكن موجودة •

ان السرقات فى عهد الانغلاق الذى هو عهد الطغيان كانت أبشع ألف مرة من سرقات الانفتاح • فقد كان اللصوص هم الحكام • ولهذا تسامع الناس ، ويتحدثون الآن عن السرقات التى وقعت على مجوهرات الأسرة المالكة • وتسمع الناس ويتحدثون الآن عن الحقيبة المليئة بالكتل الذهبية • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الفرو والسجاجيد التى كانت تستجلب من الخارج فى طائرات خاصة وتنقلها القوافل من سيارات النقل • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن القصور التى بنيت من أموال الشعب والقصور التى صودرت واستولى عليها حكام الانغلاق • وتسامع الناس ويتحدثون الآن عن الأموال التى انسكبت سيولا على بنوك سويسرا وقيل انها لمواجهة الثورة المضادة ولم تقم الثورة المضادة ولكن الأموال مازالت باقية هناك بأسماء أصحابها •

وكل هذا وقع ولكن أحدا من هؤلاء لم يحاكم ولم يقدم الى أى جهة قضائية • لأن الحكام حين أمموا الشركات والمصانع أمموا أيضا السرقات من الحكومة فلا يجرؤ انسان آخر أن يسرق الا اذا كان واحدا من هؤلاء الحـــكام •

وهذا هو أحد الفروق بين الانفتاح والانغلاق والعجيب العجيب أن المنتجين السينمائيين الجهلاء استجابوا للهجوم على الانفتاح وانشأوا الأفلام فى محاربة فكرة الانفتاح بروايات تشوه وجه مصر وتخيف المال الحر من المصريين فى الخارج أو من المستثمرين الأجانب • بل وتخيف الدول التى تريد أن تقرض مصر وتســاهم فى مســاندتها على مواجهة أزماتهـــا •

والشيوعيون يستخدمون الاعلام المصرى فى الهجوم على الطبقة التى استفادت من الانفتاح • مع أن الغالبية فى هذه الطبقة من الكادحين الذين يدعى الشيوعيون أنهم يدافعون عنهم • ولكن الحقيقة أنهم يريدون لهذه

الطبقة أن تظل فقيرة حتى يظلوا هم يدافعون عنها فاذا أصاب هذه الطبقة الثراء هاجموها ومزقوها كل ممزق • وتابعهم الجهـــلاء فى الهجـــوم والتمزيق • ولم يرحموا ولم يذكروا أن هذه الطبقة كانت محرومة من المال فلا بأس عليهم وقد جرى المال بين أيديهم أن ينفقوا أموالهم انفاقا جاهلا فهم يظنون أن الكرامة سيارة فخمة ومأكل فاخر حتى وان لم يلتذوا طعمه وملابس مرتفعة الثمن حتى وان كانت خالية من الذوق • ومع الأيام وبعد أن يزهدوا فى هذا جميعه سيعرفون كيف تنفق الأموال فى مصـــارفها الكريمة لتكون انتاجا لا استهلاكا ولتكون مصانع أو حقولا أو تجارة تعود عليهم وعلى دولتهم بالربح والكرامة •

والشيوعيون يصرخون أنهم حماة القطاع العام فى حملتهم المسعورة على الانفتاح وهم يعلمون أن القطاع العام مقدس فى الاقتصاد المصرى وأن كل الاقتصاديين الأحرار يرون أن القطاع العام هو الركيزة الأولى فى الاقتصاد المصرى • ولكنهم ينبهون الى أن القوانين التى تحكم القطاع العام خطيرة كل الخطورة على القطاع العام • فلا أحد يسىء الى القطاع العام الا القطاع العام نفسه • وليس فى مصر من لا يعلم أنه اذا لم توجد القوانين التى تعاقب المخطىء والقوانين التى تكافىء المحسن فلن ينجح القطاع العام • فانها كارثة كبرى أن يتساوى الكسول بالنشيط والمهمل بالمتقن والمتهرب من العمل بالمواظب • ان القوانين التى تحكم القطاع العام فى مصر لا يماثلها قوانين فى العالم • فالدول الشيوعية تفصل وتسجن وتنفى وتقتل العمال الذين يتهاونون فى أداء واجبهم • والدول الرأسمالية تفصل العامل المسىء •

الا مصر •• فالقانون عندنا فريد فى نوعه •

نحن الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تعرف النظرية الاقتصادية التى يسير عليها اقتصادها • وزمن صنع النظريات الجديدة مضى منذ أجيال • والدول اليوم تطبق نظريات واضحة المعالم • حتى الدول التى تمزج بين الاشتراكية والحرية الاقتصادية لها نظرياتها الواضحة المعالم • تسير عليها انجلترا والسويد وفرنسا والنمسا ودول كثيرة أخرى •

ولكننا دولة فريدة فى نظامها وأخشى ما أخشاه أن يكون الشيوعيون قد تمكنوا من اخافتنا ، ومنعتنا أصواتهم التى يطلقونها بأمر من الشيوعية العالمية أن نختار نظرية اقتصادية ذات قواعد ثابتة متينة وتسير عليها •

وانني لأعجب كيف يخاف الاقتصاديون عندنا ورئيس جمهوريتنا أعلن عشرات المرات أن مصر لن تتراجع عن الديمقراطية وأن مصر لن تتراجع عن الانفتاح · ولا عن الاشتراكية · وهذا رئيس جربناه · لم يعد وعدا ويخلفه ولم يقل كلمة ويرجع عنها فهو يعرف كرامة الكلمة اذا قالها رئيس جمهورية مصر · وما ينبغى لهذه الكلمة من قيمة واحترام وتبجيل ·

واجتماع الحرية الاقتصادية والاشتراكية ليس بدعة بين الأمم وانما لا تكون الاشتراكية الا فى ظل الديمقراطية ·

والفارق بعيد بين الاشتراكية والشيوعية · ولهذا فالشـيوعيون يكرهون الاشتراكية أكثر من كراهيتهم للديمقراطية فهى تحطم نظريتهم وتجعلها واضحة البطلان متهرئة لا معنى لها ·

ويح للشـــيوعيين · أنهم اليوم يحاولون أن يحطموا الديمقراطية والاشتراكية وهم الذين نالوا من الطغيان الخسف والهوان · لقد اعتدى الطغيان على أعراضهم وربطهم كالبهائم فى سلاسل من حديد وراح يطيح بهم الى السجون أو يقذف بهم الى صحراوات مصر وجردائها · ولكنهم مع ذلك جميعا يتمدحون بأيام الطغيان ويحنون اليها ويتحالفون مع البقية الباقية من ذيولها ·

أيكون هؤلاء الشيوعيون مغرمين بألوان التعذيب التى مارسها عليهم الطغيان · من يدرى لعلهم مرضى بمرض تعذيب النفس · أم تراهم فقدوا الشعور والعقول فى حماة بغضهم لمجد الوطن ورفعة شأنه وانتعاش اقتصـــاده ·

نحن فى زمان أصبح فيه كل شىء جائزا ·· حتى هذا ·· فانه اذا وضعت على قلوب اقفالها استحال عليك أن تسمع الصم النداء أو تهدى العمى الى الطريق · ولله وحده الأمر من قبل ومن بعد ·

٢١/٤/١٩٨٥ الأهرام

خطـــاب •• وجـــواب

جاءنى هذا الخطاب وقد رأيت أنه يجدر بى أن انشره وأعقب عليه :

الأستاذ / ثروت أباظة

تحيـــة طيبـــة وبعـــد

فقد كنت أظن لوقت غريب أنه لا يوجد شـــخص آخر على وجـــه المعمورة مصرى أكثر مما أنا مصرى ، حتى طالعت مقالك الرائع بجريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٥/٣/٣١ فعلمت أن هناك من ينافسنى فى عشق محبوبتى الغالية مصر • ومع تقديرى واعتزازى لمصريتك الا اننى أقرر ــ كما سبق وقررت أنت ــ اننى مصرى أكثر منك ــ ولسبب بسيط هو أننى ــ والحمد لله ــ لم أشعر قط وطوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر •

لم أشعر أننى غريب عن مصر حتى وأنا اتلقى ــ فى مقتبل شبابى ــ أعنف وأقسى صدمة فى حياتى بل وحياة كل المصريين ابان هزيمة سنة ٦٧ • فقد كنت واثقا أننى وزملائى الضباط والجنود بل وكل المصريين على موعد قريب مع العبور العظيم • لم أشعر بأنى غريب عن مصر •

أستاذى الكاتب الكبير : اتفق معكم تماما أن هناك ضعفا عاما فى اللغة العربية ــ ستلاحظ من خطابى هذا أننى أعانيه شخصيا ــ بل وهناك انحدار فى مستوى الخريجين ومستوى التعليم بصفة عامة • واتفق معكم أن هناك أفلاما للجنس والمخدرات والراقصات • واتفق معكم تماما على أن هناك فئة انعدمت فيها المروءة والشهامة ، واتفق معكم أن هناك فئة تسرق وتنهب وتتاجر فى قوت الشعب • واتفق معكم كذلك فى أن مسلسلات التليفزيون لا تعبر عن الواقع • كما اتفق معكم على أن هناك عزوفا عن المسرح ••

ولكن ألا تتفق معى ــ أستاذى الفاضـــــل ــ أنه قد مر على مصر الشامخة ما هو أقسى وأصعب وأعنف من هذه الظواهر والعوارض ••

ألم يأت على مصر الاسلامية وقت كانت فيه الدعارة مهنة تمارس تحت ظل القانون •• ألم يأت وقت على مصر سيطر فيه الشيوعيون على

مقاليد الحكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب ٠٠ ألم تأت فترة على مصر عانى فيها الشعب الكبت والقهر ٠٠ ألم يأت وقت على مصر كان على أرضها الطاهرة سبعة عشر ألف خبير شيوعى ٠٠

وألا تتفق معى أيضا ــ أستاذى الفاضل ــ على أن مصر بعراقتها وحضارتها وأصالة شعبها استطاعت أن تتخطى تلك الصعاب والنكبات ٠ أيصعب عليها اذن أن تتغلب على مثل هذه العوارض ٠ ثم تلك المؤشرات الطيبة والمطمئنة التى نلمسها جميعا على أرض الوطن ألا نطمئن القلب والفؤاد على المستقبل ٠٠ أن المحاكمات التى تمت فى السنوات الأخيرة لفئة كانت تتخيل أنها فوق القانون تعد مؤشرا طيبا ومطمئنا فى نفس الوقت ٠ ثم قبول استقالة أحد الوزراء فى أعقاب الحكم فى قضية مشهورة، واتجاه بناتنا وهن فى عمر الورود للتحجب ٠ وسريان الاتجــاه الدينى المعتدل بين غالبية شبابنا ٠ والاقبال الهائل على معرض الكتاب وشراء الكتب رغم ارتفاع الأسعار وتضحية شاب لانقاذ قرية من حريق بسبب اشتعال سيارة محملة بالغاز ، ووجود الأحزاب والمعارضة ٠ ووضع حجر الأساس لأوبرا مصر ٠ ومترو الأنفــاق ٠ والقرارات الأخــيرة بترشيد الانفتاح ٠ وعودة الصناعة المصرية الى الأسواق ، والمشروعات الانتاجية الجديدة الصناعية منها والزراعية ٠ وكتابات ومقالات نقاد وأدباء وكتاب مصر الشرفاء ، ثم تنافسى أنا وأنت وملايين المصريين فى حب مصر وأخيرا نقاء وطهارة وصدق واخلاص قاوئد المسيرة ٠٠

أستاذى الكاتب الكبير : اطمئن فانت لست بغريب عن مصر ٠ ورغم اعتزازى وتقديرى لمصريتــك الا أننى مصرى أكثر منــك ولسبب بسيط هو أننى لم أشعر قط ــ والحمد لله ــ طوال سنوات عمرى بأننى غريب عن مصر ٠

محمــد فريد أحمــد

أخصائى اجتماعى بدولة قطر

أخى العزيز :

كم اسعدنى خطابك ٠ حتى لقد أحسست فيه عبق الأخوة يجمعنا فى أكرم رابطة ٠ وأشرف عرق ٠ وأنبل وشيجة : مصر ٠ وأنت ياصاحبى حين ذكرت ما مر بمصر من أهوال تمثلت عندك فى الدعارة المباحة ٠ وسيطرة الشيوعيين على الحــكم فى البلاد وليس على الاعلام فحسب ٠ ورزوح مصر تحت حكم الكبت والقهر ٠٠ وانشغال أرضها الطاهرة بسبعة عشر ألف خبير شيوعى ٠٠ وأنت حين ذكرت هذا جميعا ٠ لم تذكر ناسيا ٠ فهى فترة ــ لا أعادها الله ــ تعتبر أبشع عهد شهدته مصر ٠

وقد صرخنا في هذه الفترة بملء أصواتنا ورفضت مصر الطغيان والرعب المسلط عليها ٠

وما حزننا اليوم ـ يا أخي في الله وفي مصر ـ الا خشية وفزعا أن يطل الأمس على اليوم ، وأن يروع الماضي الحاضر ، وأن يرتفع في سماوات مصر الحرة اليوم نعيق الغربان التي كانت تهتف للشيوعيين بالأمس ٠ وأصوات البوم التي كانت تشيد بحياة السفاكين السفاحين ٠

كنا في عهد الطغاة جميعا مقصيين عن مصر٠غرباء عنها لأن الطغيان لا يشاركه في الحكم الا عبيده وزبانيته ٠ والراكعون عند أعتابه ٠ والساجدون في معبده غير المقدس ٠ والشاربون من الدماء التي اعتصرها من الشعب ٠ فهم بحمده وحده يسبحون ٠ وهم هم بالله كافرون وهم هم بحكم الشعب أشد كفرا ، بل أنهم يحكمون بما يقذفون في نفوس هذا الشعب من رعب وذعر ورهبوت وما يسلطونه على أبدانه وأعراضه من عدوان وقهر وغضب وجبروت ولولا هذا الذي شهدناه يا أخي في هذه الفترة ما عنيت أي عناية بهذه الأصوات التي أصبحت تبدو جهيرة مرتفعة تبشر بالكفر بعد الايمان وبالانغلاق بعد الانفتاح وبالدكتاتورية بعد الديمقراطية ٠

وأني يا أخي سعيد غاية السعادة بأن مصر اليوم تحاكم من ظنوا أنفسهم فوق القانون ٠ وسعيد أن مصر تبعد عن جهازها التنفيذي من تحوم حوله شبهة ٠ وسعيد أن تتجه بناتنا الى الايمان وكم أكون أكثر سعادة لو أن ايمانهن كان راسخا في قلوبهن دون كثير اهتمام بخمار يسدلنه أو يرفعنه ٠

وسعيد باتجاه الشباب الى الدين الحق لأن هؤلاء لا يركبون الدين وسيلة الى نفع دنيوى أو كسب مادى ٠ وسعيد أن الكتب تشترى وأن الشباب فيه من يضحي بنفسه لينقذ قرينه ٠ فليس هناك دليل على الانتماء أعظم من هذا المثال ٠ وسعيد بوجود الأحزاب المعارضة ٠ ففيها الديمقراطية ٠ وكم أرجو أن يبدأ حزب الأغلبية في التفكير الجاد لانشاء فكر سياسى واقتصادى واضح يلتف حوله فانني يا أخي أرى أعضاء حزب الأغلبية تحسبهم جميعا وهم شتى ٠ كل منهم يفكر في خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر في خاصة مصلحته وخالص منفعته فان توسع كثيرا فهو يفكر في قريته أو فيما بحسبه دائرته الانتخابية ناسيا أن نظام الانتخاب بالقائمة انما اختارته مصر حتى ينحرر العضو من عبوديته للدائرة وحتى تتحقق القاعدة القانونية : أن وظيفة الناخب تنتهي عند صندوق الانتخاب ٠ فاذا سعى اليوم عضو

مجلس الشعب لابن من أبناء الدائرة أو لبلدة من بلدانها فانما ينبغى أن يكون هذا أمرا جانبيا هامشيا ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يعتبر العضو هذا السعى هو عمله الأساسى ٠ كم أتمنى يا أخى أن يذكر عضو حزب الأغلبية أنه ينوب عن مصر كلها من أسوانها حتى ثغرها ٠

وأنا سعيد يا أخى بالمشروعات الانتاجية الجديدة ولكننى أخشى أن يضيق عليها الخناق بما ينادى به الشيوعيون أعداء مصر والناصريون فلا تؤدى هذه المشروعات رسالتها عن الانتاج ٠

ان غربتى يا أخى التى انفجرت بها خشية أن تكون مصر قد نسيت لطول ما لاقت من طغيان سماحتها وتراحمها وتواد أهلها ٠

أخشى أن تكون قد نسيت الابتسامة من طول ما واجهتها الجهامة ٠٠ أخشى أن يقضى الشيوعيون ومواقع الاعلام التى استولوا عليها استيلاء يوشك أن يكون كاملا على منــاقد الأمل التى تراوحنا منها أنســام الحرية ٠

أخشى يابن مصر أن يعــدو الشــيوعيون بأقــلامهم فى الجرائد وأصواتهم فى الاذاعة وصــورهم فى التليفزيون على أقــلام مصر الحرة المسلمة المؤمنة ، وعلى وجوه مصر الوضيئة الطيبة لا يشوب صفاءها حتى لا يشوه أسماءها كراهية وبغض وحسد أركان الشيوعية وأسسها ٠ وأخشى أن يضيع صوت الآذان يحمل الله أكبر الى كل ربوع مصر ٠

لهذا يابن مصر شعرت بالغربة ٠ وأحمدك وأحمد الله اليك أنك ما شعرت بها ٠ وربما خطرت من قلبك الى قلبى نسمات طمأنينة أنا بها ضنين وعليها حريص ٠ وكم أرجو أن يستقر بها مقام فى نفسى ويهدأ منها العاصف وتطمئن لأعاصير الاغتراب ورياح الخشية ٠

وعلى أية حال يابن مصر وابن مآذنها فانى أبث الى نفســك من السكينة ما بثثت الى نفسى من التفاؤل وأذكرك بقوله تعالى فى سورة البقرة « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ولن تزال مصر وأبناؤها من هؤلاء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهى بحمد الله دائمــا من هؤلاء الذين اتبعوا هدى الله وأحسنوا اتباعه جل شــأنه وتقادست أسماؤه ٠

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢٨

أفصحو أو فاصمتوا !

كان حظا مقدورا أن أجلس أمام التليفزيون ويطالعنى من شاشته شاعران لهما فى قلبى كل حب وكل تقدير ومعهما سيدة فاضلة مهذبة قديرة فى عملها كمقدمة برامج ومعهم فتاة فى بواكير العمر .

أما الشـــاعران فهما الأســتاذان محمد برهام شــيخ شــعراء الاسكندرية وابراهيم صبرى منشىء نادى القصيد ورئيسه وأما مقدمة البرنامج فهى السيدة الفاضلة عائشة البحراوى وأما الفتاة فما وعيت اسمها ولا شاهدتها من قبل .

ودار الحديث عن الشعر ، وسمعت من برهام شعرا وسمعت من صبرى شعرا وجاء دور الفتاة وقبل ان تقول ما تســـميه شعرا قالت كـــلاما .

أرجو الله ألا تكون هذه الفتاة نموذجا لجيلها كله ، وألح فى الدعاء أن تكون هذه الفتاة حالة خاصة واستثناء لا يقاس عليه ولا يتوســع فيـــه .

ما هذا الكبر الذى طالعت به الناس يا بنتى لو ان المتنبى الشهير بالتفاخر والتعاظم جلس مجلســك هذا لتملكه بعض الحياء أن يواجـه الناس بكل هذا الكبر الذى واجهتهم به . ولا دخل فى حسبانه أنه أمام شاعرين يكبرانه فى السن بما يجعلهما فى مكان الوالد على الأقل .

ولو أنها قالت كلاما ذا قوام أو منطق لما غفرنا لهذا هذا الكبر أيضا فكيف بها وهى تهرب بحديث أقل ما ينبىء عنه التفاهة والجهل كل الجهل بما ينبغى أن يكون عليه الشعر أو أى فن من فنون الكلام .

تقول الفتاة ان الأجيال التى تكبرها لا تســـتطيع أن تفهم اللى جواها ، لأن اللى جواها مشكلة جيلها هى ؟؟ !

ماهذا الحديث يا فتاة ؟ وما هذا الخرف ؟!

لقد حدثنا عنترة بن شداد من وراء خمسة عشر قرنا وفهمنا اللى جواه .. وحدثنا شعراء الجاهلية قبله وفهمنا أيضا . وحدثنا بعده آلاف الشعراء حتى العصر الحديث وفهمنا اللى جواهم فما لنا اذن نعجز عن فهم اللى جواك وأنت تعيشين معنا فى نفس الجيل ، أنا أخبرك لماذا نعجز عن فهمك لأن الشعراء الذين قرأنا لهم من الجاهلية حتى اليوم قالوا فأفصحوا ، وكان كلامهم مبينا جميلا حلوا فهمناه وحفظناه وأنشدناه وأصبح اللى جواهم عناوين ضخمة مضيئة فى تاريخ البشرية .

أما أنت يا فتاة ومن يقول مثل شعرك فانكم لا تفصحون ولا يبين فى كلامكم معنى مكتمل أو نغمة تصل الى القلب ، فاللى جواكم سيظل جواكم ولن يخرج الى أحد ولا حتى الى جيلكم ، بل هو مبهم غامض على اخوتك أولاد أمك وأبيك مهما تقاربت بينكم السن .

قد يكون شعركم نعيق غراب أو ثغاء ماشية أو مأمأة خراف ولكنه لن يكون شعرا أبدا ولن نفهم اللى جواكم لأنكم أنتم عجزتم أن تفصحوا عن هذا الذى جواكم .

فهمنا عن المتنبى وعرفنا الذى جواه حين قال :

أصـــبحت أروح مثر خـــازنا ويدا أنا الغنى وأمـوالى المواعيـد

لأنه قال فأفصح وأبان وأطرب وبلغ مكامن الاعجاب فى نفوسنا .
أما أنتم فلم تقولوا شيئا حتى نفهمه .

وفهمنا عن البحترى حين قال

شـــواجر أرماح تقطـــع دونهـــا
شـــواجر أرحـــام ملوم قطوعهـــا

اذا احتربت يومـــا ففـــاضت دماؤهـــا
تذكرت القـــربى ففـــاضت دموعهـــا

وفهمنا قبلهما عن امرىء القيس منذ ما يزيد على ألف وخمسمائة عـام قوله :

ولـــو أن ما أســـعى لأدنى معيشـــة
كفـانى – ولم أطلب – قليـل من المـال

ولكنمـــا أســـعى لمجـــد مؤثـــل
وقـــد يـــدرك المجـــد المؤثـل أمثـــالى

وفهمنا بعده بما يقرب من ألف وخمسمائة عام من أمير الشعراء شوقى قوله :

ومن صـــاحب الدهر صـــحبى له
شـــكا فى الثلاثين شـــكوى لبيد

ظمئت ومثـــاى بـــرى أحـــق
كأنى حســـين ودهـــرى يزيد

وانى نواسى هـــذا الزمـــان
فمـــن للزمـــان بأذن الرشـــيد

وفهمنا عن عزيز أباظة مأساته التى كتبها فى ديوان كامل هو أنات حائرة وبكينا معه وهو يقول مستئذنا شهداء الاسلام فى البقيع أن يعود الى بنيه :

وداعا فقـــد أن يـــوم الرحيل
الى افرخ قـــد براهـــا الكمـــد

أصـــابهمو الدهـــر فى كهفهم
وما وهب الـــدهر الا استرد

لئن عدت لم يعدموا آســـيا
وحســـبهم الله ان لـــم أعـــد

ونفهم اليوم عن مئات الشـــعراء المجيدين من شيوخ مثل طاهر أبو فاشا وعبد العليم عيسى ومحمد برهام وجيلهم ومن كهول مثل مصطفى عبد الرحمن وابراهيم عيسى وعبد المنعم الأنصـــارى ومن شـــباب مثل عبد الحميد محمود وسامح درويش وأحمد غراب ٠

وقد اخترت ثلاثة من كل جيل اختيارا عفويا دون تفكر أو تدبر فلو شئت أن أذكر الشـــعراء القوالين جميعهم لجاوزت بهم المائتين ولم أبلغ ٠

فبربك خبرينى يا بنية أى عجيبة فى جواك أو فى داخلك لن يفهمها عنك أحد الست يا بنتاه بشرا من البشر أم أنتم جنس آخر ما عهده الناس ولا عرفوه ٠

ان الذى بداخلك ليس مقصورا عليك وعلى جيلك · وليس صحيحا أن أحدا لا يستطيع أن يفهمه الا أتراب عمرك · فاننى أقسم غير حانث أنهم أيضا لن يفهموا عنك بهذا الذى تقولين شيئا وليس هذا لأن الذى بداخلك تجربة جديدة لم تعرفها البشرية وانما لأنك عجماء لا تستطيعين أن تستعملى الكلمة لتشرحى بها ما يدور بنفسك · والكلمة من شأنها اذا قيلت أن يفهمها جيلك والأجيال التى قبلك والأجيال التى بعدك أيضا ولهذا اختارها الله من فوق سبع سماوات لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وعلى أركان كلمة الله يقوم ديننا كله يا بنية · فالكلمة افصاح والكلمة بيان والكلمة وضوح والكلمة بلاغ وبلوغ · والكلمة هى الوشيجة التى تربط الناس كل الناس بالناس كل الناس ·

ولكنك أنت يابنتى وجيلك لم تقوليها وما قالها جيلك فانى أسمع لكم الكثير وأقسم برب العزة انى لا أفهم عنكم شيئا الا النادر · وهذا النادر تقولونه جميعا كما لو كانت أفواهكم ركبت على مصدر صوتى واحد ولا أقول مصدر عقلى أو عاطفى ·

ليست المشكلة التى أتناولها اليوم الشعر الحديث والشعر الأصيل ولكن المشكلة أننى لست أفهم ما يقوله أصحاب الشعر الحديث فقد أصابهمَ ذلك البرص الذى أصيبت به الرواية والمسرحية والقصة فى الستينيات من العبث أو غير المعقول وعفا الله عن الرواية والمسرحية والقصة وكتب لها الشفاء على أيدى الجماهير المستقبلة التى رفضت الفكرة جميعا ·

ولكن المرض أصاب الشعر الحديث وجمهوره لن يشفيه لأن جمهوره هم القائلون فيه والسائرون فى طريقه الدامس الظلام ·

وكل منهم يتظاهر بفهم الآخر ليتظاهر الآخر بفهمه ويطمئنوا أنهم قالوا لجيلهم وفهم عنهم جيلهم وعلم الله ما قالوا وما فهم عنهم جيلهم شيئا وما فهم عنهم أحد قط ·

وبعد فانى عاتب على الصديقين الكريمين الشاعرين المجيدين محمد برهام وابراهيم صبرى أنهما أبديا رضاءهما عن هذا الذى ألقته الفتاة بين أيديهما وأنا أعرف ما هما عليه من شاعرية ورقة حس · وانى واثق أنهما أرادا أن يجاملا الفتاة ولكنها مجاملة خطيرة النتائج فقد يحسب الأبرياء ممن لم يرتكبوا هذا الشعر بعد أن هذا هو الشعر والشاعران يعلمان أن الذى سمعاه لا هو بشعر ولا هو بنثر ولا هو بكلام ولا هو ينتسب الى أى لغة من لغات أبناء آدم وانما حسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٥/٥/٥

أنا هنا .. حب

كانت دعوة من المملكة السعودية لنشـــهد توزيع جوائز الدولة التقديرية لثلاثة من كبار شعراء المملكة هم الأمير عبد الله الفيصل والشاعر أحمد عبد الغفور العطار والشاعر طاهر والزمخشرى . وقد شهد جلالة الملك فهد حفل تقديم الجوائز وكان الحفل جليلا مهيبا يشعر معه كل مشتغل بالأدب ان المملكة السعودية تقدر الفكر وتعلى من شأنه وتحله مكان الصدارة فى حياتها العامة .

وانتهزت الفرصة المتاحة لأعتمر وأزور أحب مكان الى قلبى وأحب انسان الى البشرية .

ونزلت المدينة المنورة . أى شعور نورانى يضىء جوانحى كلها وأنا على التراب الذى شرف بخطوات سيد البشر استاف الهواء الذى يملؤه عبق أنفاســه الطاهرة وأريج أردانه الزكية وعطر حديثه الســـماوى الشريف :

أنا فى المدينة أحس أننى فى لقاء مع كل من أهفو الى لقائهم أحس يد أبى تربت كتفى ، وأحس حنان أمى يدفء حوالى . بل أحس فى أنحاء المدينة مودة الزوجة ورحمتها وزينة الحياة الدنيا فى ابنتى وابنى أحس هؤلاء جميعا من أختارهم الله اليه ومن أرجو الله أن يمد حياتهم الى ما بعد حياتى يحيطون كلهم بى ، أنعم فى دفء هنىء رخى رضى من مشاعرهم .

أحس أننى هناك فى أكرم مكان من وطنى مصر فما فكرت يوما وأنا فى رحاب الرسول أننى أحمل جواز سفر وانما هناك أحمل بطاقة المواطن لا المغترب المقيم لا المرتحل .

أحس هناك أننى فى مرفأ أمين من عناء الحياة كلها فاذا هى كلها لا تساوى عندى لفتة عين .

حتى اذا خطوت الى الرحاب أحسست أن قدمى أصبحتا جناحين وأن جسمى أصبح روحا بللورية وأن الانسان منى أصبح فكرة سامية

أسمى ما تكون الفكرة هى الشوق الى القابل والحنين الى الماضى وتجرى الدموع سيلا من عينى ومن فؤادى ومن كل جارحة فى جوانحى ولكنها دموع لا تجرى الا فى البقعة الطهر · كل قطرة منها لمعة من نور وقبس من ضياء وومضة من ايمان ·

انا هنا حب · أنا هنا روح مجنحة تحوم حول قمة البشرية التى تصل ذروتها الى سدرة المنتهى والتى تصل بين كرسى العرش تطوف حواليه الملائكة مسبحين وبين جنبات الأرض التى ترزح فيها وعلى أكتافنا أوزارنا لا نطيق حملها الا بما نفحه لنا أعظم الأنبياء وخاتمهم من روح الله من وسيع الرحمة الرؤوف بعباده الشـــفوق عليهم الملك القدوس السـلام ·

أنا أمام الرسول بلا أحمال ، أنا روح مهمومة فى تاريخه الذى كان به العلم الفرد فى دنيا البشر · انسانا اختاره خالق الأكوان ليحمل رسالته · وألقى عليه القول ثقيلا ترزح به الجبال الشم الرواسى ·

وحمل هو الرسالة · رسولا بشرا · لا يتخلى عن بشريته ولا عن تطامنه وحياته يقف القـادم اليه مبهورا متخشعا يخشى أن يهم اليـه بالسلام · ويرى الرسول البشر أثار الروع فى عينى الرجل فيبتسم اليه ويدعوه « ادخل فما أنا الا ابن أمرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا من صلى الله عليك وسلم · النبى المختار سيد البشر أجمعين الذى استلم عرش مالك الأكوان والذى أسرى به ربه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى والذى أرسله الحق سبحانه الى الناس كافة والذى ختم به رب السماوات والأرض رسالات السماء الى الأرض · هذا جميعه فى رأى نفسه ليس الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ·· يا من صلى الله عليك وسلم ·

وانخلعت من رحاب الرسول كما تنخلع الشجرة من مغرسها ·

وذهبت اعتمر عند بيت الله الحرام ·· الرهبة والخشوع والرجاء والأمل والتوبة والايمان هناك عند أول بيت رفع للناس · ورحت أطوف وأطوف وكنت أتحرى أن أطوف حول أستار الكعبة دون أن أدور حول حجر اسماعيل فما لبث أن نبت لى فى طوافى حارس من حراس الكعبة وسادن من سدنتها وسألنى السادن :

ـ ماذا تفعل ؟

قلت :

ـ أطوف كما ترى ٠

قـــال :

ـ كم مرة طفت ؟

قلت :

ـ ست مرات

قـــال :

ـ لابد أن تعيدها وكأنك ما طفت

قلت :

ـ لماذا ؟

قـــال :

ـ ان حجر اسماعيل مكمل للكعبة المشرفة ولابد أن تطوف حوله وأنا فى العبادات لا أناقش ٠ وبدأت أطوف مرة أخرى حريصا على أن ألف حول حجر اسماعيل وفى الطواف الخامس رأيت السادن الذى صحح طوافى فخطر لى أن أسأله :

ـ قل لى يا أخى بربك

ـ نعـــم

ـ هل كان حجر اسماعيل بهيئته هذه موجـودا عند أول طواف للنبى صلى الله عليه وسلم حول الكعبة بالمسلمين ٠

وصمت السادن حينا ثم قال :

ـ والله لا أدرى ٠٠ لابد أن أسأل الفقهاء ٠

وهأنذا أسأل عنه الفقهاء ٠ وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يكتب لى عنده طوافى بالكعبة ثلاث عشرة مرة وهو سـبحانه يدرى ولا يدرى غيره ماذا يصنع بى المشى حافيا من اجهاد ٠٠ وهو أيضا يدرى ولا يدرى غيره الى أى مدى كان جهدى حبيبا الى نفسى ٠

وبعد فاننى أعتقد أن لا ينبغى لى أن ألقى القلم قبل أن أحيى الأمير فيصل بن فهد ٠ لا لدعوته لى فقد شكرته على ذلك وانما من حقه علينا

نحن الكتاب ونحن الذين كثيرا ما أخذنا على أثرياء السعودية المأخذ أن نشيد بهذا الشاب الذى رفض ان يكون فتى لاهيا يأخذ الحياة من طريق المتعة واللهو . وانما جعل متعته العمل الجاد الدؤوب وهو ابن الملك . وهو شـــاب جميل الطلعـــة فى مقتبل العمر وزهـــوة الفتـــوة وعنفوان الشـــباب .

ولكنك ترى فيه الرجل العظيم المهيب فى حياء الكرام وتواضعهم يصرف همه كله لمجد المملكة ولمجد العروبة والمثل العليا .

فهو المشرف على الرياضة فى المملكة وهو المشرف على لجان جوائز الدولة التقديرية اشراف ادارة تاركا التقدير الأدبى للمختصين . وهو الذى أنشأ فى المملكة لأول مرة فى تاريخها النوادى الأدبية يجتمع فيها الشباب حول العلماء والأدباء والشعراء .

ان الأرض العربية التى شرفها الله ببيته وبأن تكون مثوى نبيه الأمجد لا يمكن أن تجدب من الرجال بل انها ما زالت الأرض الطيبة المعطاء التى تنبت أمثال الأمير فيصل بن فهد والأمير حمود بن عبد العزيز الذى يعنى بالأدب والكتاب كل العناية ويقرأ لهم فى امعان وتعمق والأمير سلمان الرجل القوال الفعال . واذا كان هؤلاء هم الذين لقيتهم فى بضعة أيام فلابد أن هناك ممن لم يكن لى حظ لقائهم كثيرين ممن يستطيعون أن يبعثوا الى نفوس المسلمين بالطمأنينة والأمن أن القائمين على مشاعرهم وسدنة الحرمين أئمة هداة .. مثل رفيعة فى الجدية والخلق الأسنى والأدب الجم وان قال قائل فماذا ترى فى غير هؤلاء ممن يجلبون ما يجلبون من اساءة الى أنفسهم وبلادهم ذكرت البيت الذى قاله الشاعر توفيق عوضى أباظة .

حتى قريش لهـــا أنف وأذنـــاب

فى كل طائفة فى الناس أوشـــاب

وأمثال هؤلاء الأمراء العظام خير اعتذار عن المسيئين . فان هؤلاء المصلحين هم الحســـنات يذهبن السيئات والحمد لله من قبل ومن بعـــد ؟

الأهرام ١٩٨٥/٥/١٢

الله خير الماكرين

توالت الخطابات الى تبــارك ما كتبته عن الشيوعية والشيوعيين تحمد لى ما أذعته عن استيلائهم على وجه الاعلام المصرى . وانه لشعور طيب أن يشعر الكاتب أن ما يكتبه انما هو تعبير عن مشاعر قومه . وان كتابة خطابه تدل فى ذاتها على التحمس والاصرار أن يبلغ القــارىء رأيه الى كاتبه .

ولكن أهم ما جاء فى هذه الخطابات التى نشرت منهــا خطابا واحدا أن مصر أطلقت بما كتبت آهة كانت مكبوتة فى جنبات شعبها . فقد رأوا سنوات الستينيات تعود بوجهها الكئيب البشــع الملىء بالبثور وبالرعب وبالجبروت وبالطغيان واستعباد الانســـان وتحطيم كل المعانى الرفيعــة فى الحياة .

وأنا حين أكتب ما أكتب لا أرهب الشيوعيين ولا أحفل بهم ولا يعنينى أمرهم أقل عناية وانما كل خشيتى أن يصبح وجه مصر أمام الداخل رعبًا وينصب على الشعب الذى عانى ما عانى من ألوان الخسف رهب أن يعود الخسف اليه ويصبح الانسان المصرى مرة أخرى يتلفت حواليه قبل أن يلتقط شهيقا أو يخرج زفيرا .

وأخشى وتلك خشية وقعت وأصبحت حقيقة أن يمتنع أبناء مصر الذين كانوا قد أمنوا لبلادهم واطمانوا الى مصائر أموالهم فيها عن ارسال أموالهم الى مصارف مصر كما كانوا يرسلون . وكيف يأمنون أن يرسلوا هذه الأموال مع الاضطراب الاقتصادى الذى وقع بمصر والذى باركه الشيوعيون وأحاطوه بألوان التهليل التى يجيدونها كل الاجادة . حتى اذا انحسر الاضطراب اليوم وبدأ الاقتصــاد المصرى يعود الى شىء من الطمأنينة ظلت أبواق الشيوعيين التى تملأ الصحف القومية والتى تسد أقطار التليفزيون وميكروفونات الاذاعة تثير الذعــر والخوف فى نفوس المصريين فى الخارج وتزجرهم أن يرسلوا أموالهــم . فهــم فى بعدهم لن يعرفوا أن هذه الأصوات ما هى الا عويل الشيوعيين وصراخهم متجمعا فيبدو كأنه صادر عن الكثرة وهو فى الحقيقة يمثل هذا الحزب الذى

تقدم الى الانتخابات فلم ينل مقعدا وحدا فى مجلس شعب أو مجلس شورى ٠ والذين يعيشون خارج مصر ٠ يقرأون الصحف وبعضهم يسمع الاذاعة وبعض منهم يشاهد التليفزيون ٠ وهم يعرفون أحوال بلادهم من هذه الوسائل ٠ فهم حين يقرأون الصحف فيجدون الصوت الشيوعى هو أعلاها نغمة ويجدون الشيوعيين يطلون عليهم بوحشية من كل الصحف ٠ وحين يسمعون الاذاعة فيجدون التمثيليات كثيرا ما تنبعث عن الفكر الشيوعى المادى الديكتاتورى واذا رأوا التليفزيون وشاهدوا التمثيليات التى أصبحت ولا عمل لها الا مهاجمة الحرية الاقتصادية والدعوة الصريحة حينا والمتنكرة أحيانا الى عهد الانغلاق والكبت والحبس والستار الحديدى ٠ وهم حين يشاهدون تمثيلية تمجد باقتصاد مصر ٠ ولن يكون ذلك والشيوعيون هم أئمة الاعلام المصرى فان هؤلاء لا أمل لهم الا خراب مصر ساء ما يأملون ٠ وكره الله ما يبيتون وانه سبحانه لماكر بهم فمحبط ما عليه يتآمرون والله خير الماكرين ٠

هزيمة ٥٦ التى نال بها اليهود شرم الشيخ ولا تذكر شيئا عن نصر ٧٣ الذى رد الى العرب كل العرب كرامتهم والتى قدم فيها الجيش المصرى بعون من الله القدير المتعال معجزة بعد ان انتهت عصور المعجزات والتى دبر لها وقدر وأمر بها الزعيم الخالد على مدى الزمان أنور السادات حين يشاهدون هذا يحبسون أموالهم عن ان تشارك فى الاقتصاد المصرى ٠ بعد ان كانوا سعداء غاية السعادة ان أموالهم أصبحت من العمد الأساسية فى خير مصر وفى سعيها أن تزيح ما تركه عهد القحط والخراب والمخابرات والاعتداء على الأموال العامة والخاصة وعلى الأعراض العامة والخاصة أيضا ٠

فالذى يصنعه الشيوعيون فى الاعلام المصرى ليس مجرد أصوات ٠ انما هو وجه مصر يخشاه من بداخلها ويتصرف من بخارجها على أساسه ٠

فليس الأمر مجرد مقالة أو تمثيلية ، فلو كان هذا كل ما ينتج عن صراخهم لهان الأمر ولما استحق منا أى تعليق ٠

فمصر لن تكون شيوعية أبدا ٠ مصر ذات الآلاف من السنوات هى مهد الايمان ٠ عرفت التوحيد أول من عرف وكل معابد الفراعنة صروح لايمان مصر بالسماء وكل كنائس مصر صروح لايمان الأقباط بالله والمسيح ٠ وعشرات الألوف من المآذن فى أرجاء مصر من أقصاها الى أقصاها حصون شامخة شماء تدمر الشيوعية وتمزق أعلامها وتمحق أفكارها وتقضى على تدبيرها الخبيث ٠

فما أنا بخائف من هؤلاء المهازيل على مستقبل مصر فى عقيدتهـا ودينها وديموقراطيتها وانما أنا أخشى أن تكون أصـــواتهم هذه تخريبا لاقتصاد مصر فى وقت لا تحتمل فيه مصر أى مساس باقتصادها ٠

أخشى ان يداخل المشروعات التى أصبحت أساسا فى الاقتصاد المصرى نوع من القلق فتقبض يدها وتكف عن التوســع والسـعى الى التقدم الفنى والعلمى ٠ ولا أمل لاقتصـــــاد مصر الا فى التقـدم العلمى والأخذ بآخر ما وصلت اليه المباحث الجديدة المتطورة فى جميع فروع الحياة ٠

أخشى أن تهرب أموال تفكر فى الدخول٠وأخشى أن يشيع عن مصر انها عادت دارا لا يأمن فيها المال ولا يطمئن فى ربوعها المستثمرون ٠

وليعلم الجميع أن المستثمر اذا لم يربح فهو لن يقدم ماله فقد يتبرع شخص بملايين الجنيهات ٠ ولكن الشخص نفسه لا يضع مائة جنيه فى مشروع صناعى أو تجارى لا يدر عليه ربحا ٠

ولست أدرى لماذا تعمل كل التمثيليات فى التليفزيون على ذم الربح وكأنه جريمة قتل ٠ والمسلمون منهم وغير المسلمين يعلمون أن الربح فى التجارة عمل مشروع تباركه جميع الأديان بلا استثناء ٠

من حق التمثيليات بل من واجبها أن تهاجم الجشع ٠٠ أن ترفض الغش ٠٠ أن تمحق التحايل ٠٠ أن تشجب النصب ٠

ولكن من واجبها أيضا أن تبارك الرزق الحلال ٠ من واجب الاعلام بل واجبه الأول وقبل أى شىء آخر أن يبث فى نفوس العالم وفى نفوس المصريين الثقة بمصر ٠

الأهرام ١٩٨٥/٥/١٩

القـــــارعة

فى شارع من أكبر شوارع الزمالك رجـل فى الحلقة الخامسة من عمره يقف فى جدية واضحة يشير للسيارات لتسير أو يشير لها أن تقف وعلى مبعدة خطوات منه يقف شرطى المرور ولكنه لا يحفل به ولا يكترث به وكأنه غير موجود ·

والرجل مقتنع كل الاقتنـــاع أنه لولاه لتوقفت حـركة المرور فى الشارع وهو واثق أنها اذا توقفت فى الشارع توقفت فى القاهرة كلها وأحسب أنه على يقين أن هذه الحركة اذا توقفت توقف العالم عن الدوران وكفت الحياة عن الحياة ·

وتنظر اليه فتدرك أنه مقتنع غاية الاقتناع أنه لولا يده التى يشير بها للسيارات أن تسير ما سارت وأن هذه السيارات بسيرها تسير الأيام جميعـا ·

واحـــــده ··

فقد اطمأن الى أهمية وظيفته فى الحياة وارتاح الى طمأنينته غـير حافل شأن الناس جميعا اقتنعوا بالحقيقة الثابتة فى يقينه أم لم يقتنعوا ·

وما قيمة رأى الناس ما دام هو واثقا من حقيقة العمل الخطير الذى يقوم به ، وأحسب أنه لو كان على المامه بالشعر العربى لوضع لافتة فوق رأسه تحمل بيت المتنبى الخالد يرد بها على نظرات السخرية والاستخفاف التى تطالعه من عيون المارة الراجلين والراكبين على السواء ، ويتحدى بها علامات الاستغراب التى ترتسم على وجوه البشرية فى الشارع الذى يحرك منه الكون جميعا ·

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى
ان النفيس غريب حيثما كانا

أما هذا الرجل فواضح المعالم والحقيقة من أمره لا شـــك فيهـا ولا اختلاف حولها لأنه يعرض امر نفسه على الناس أجمعين ، وكلهم واثق من حقيقته ، وبعضهم يشفق عليه وتأخذه به تلك اللمسة السماوية التى أودع الله منها قبسا فى ضمائر بعض الناس ٠ فاذا قدر لك ان تقف بعض الحين تراقبه لرأيت ثم يدا تمتد اليه من حين الى آخر تمنحه همسة من رحمة متمثلة فى مبلغ من المال الله وحده يعلم مقداره ٠

ويأخذ هو ما تمنحه له السماء فى كبرياء صاحب الحق يتسلم حقه ويرفع يده بتحية فيها اباء ويستأنف عمله من أدارة حركة الكون ٠

هذا رجل ــ فيما أقدر ــ مرت به ألوان من تقلبات الحياة وخاض غمرات الأمواج حتى وجد شاطئه فى مكانه هذا والتمس عنده مأمنه من الحياة فأمن واستقر ، والتقط اللاهث من أنفاسه المفزعة ، وتصالح مع الحياة ووثق أنها تصالحت معه ، فهو لا يسىء الى أحد ، ولا يعبأ بمن يحاول ان يسىء اليه وانما ينصرف عنه انصراف الكبار عن لهو الصغار ٠

ترى كم فى حياة الناس من أمثال هذا الرجل ولا يعرف الناس عنهم شيئا تستبرهم الحجرات ويتخفون وراء غلالات رقيقة من علم ســـــاذج استطاعوا بها أن يستخفوا عقول الكبار ويجعلوهم يتوهمون أنهم أصحاب ثقافة أو أصحاب علم أو أصحاب دراية وهم من هذا جميعا أبرياء ، وحين يتزاوج الغرور من الضائعين بالجهل ممن يملكون تقسيم الوظائف يثب الى الكراسى أمثال هذا الرجل الواقف فى شارع من شوارع القاهرة ٠

أما هو فمجرد من السلطان مقصى عن اصدار الأوامر ٠ وأما هم فبيدهم أدوات يملكون بها أن يصدروا الأوامر أو يصدروا الأحكام فى شئون الحياة ٠

وفى الميدان الذى أعمل فيه أرى رأى العين من يحسب نفســـه أديبا لم تجد بمثله الأزمان فى قديمها وحديثها ، وأراه رأى العين شــأنه شأن المسكين الذى يظن أنه يدبر الكون من شارع فى القاهرة يظن أنه لولاه ما وجد الأدب العربى كله ٠

والأدب ميدان قاس عنيف لا يقبل الهزل ولا يعترف بالتدجل ولابد للأديب من انتاج ، ولابد ان يكون هذا الانتاج متفردا حتى يبدأ الأدب فى تقويم هذا الأديب والقاء النظر اليه والحكم عليه ان كان يستحق أن يكون أديبا أو لا يستحق ٠

أما هؤلاء الذين اطمأنوا الى مكانتهم الأدبية فأنا أعرف بينهم من ليس له انتاج على الاطلاق وأعرف منهم من له قصة قصيرة أو بعض أقاصيص لاتزيد على أربع أو خمس ·

ولكن لهؤلاء أصدقاء يملكون أن يرموا بهم الى كراسى مناصب فاذا هم فى وقاحة أو ان شئت الكلمة الدقيقة نقل فى نجور يطلقون أحكامهم الجامعة المانعة على الجبال الرواسى والقمم الشامخات ولا يحاول واحد منهم أن يسأل نفسه ماذا قدمت أنا حتى أحكم على الآخرين ، ولكن النفس مولعة بخداع نفسها ، وهذا سؤال لايرد على تفكيره ·· وهل هو صاحب تفكير حتى يرد عليه سؤال ·

لقد حكم وحكمه نهائى بلا حيثيات وبلا معارضة ولا استئناف لأنه مثل الرجل الذى يحرك الكون لا يحفل بشأن الناس وليس يعنيه أن يقولوا عنه فاجر يدعى لنفسه ما ليس له ، ويضع ذاته فى المكان الوحيد الذى ينبغى له أن يختفى منه ·

أما الرجل الذى يحرك المرور والكون فقد استمد وظيفته من طغيان الأيام عليه ومن قسوة الزمان على مجـــرى حيـــاته ومن عنف المقادير بانسانيته ·

أما هؤلاء الآخرون فقد خادعوا أنفسهم ووجدوا من المهازيل من يقبل أن يكون مخدوعا فتصدوا للحكم على الناس ووجدوا كلامهم يجمع ويطبع وينشر على الناس ·

أى زمان قدر الرحمن أن نعيش فيه حتى نرى ما نراه ، فنشهد الخطيب الأخرس والعالم الجاهل والأديب بلا أدب له والشاعر ولم يقل شعرا والناقد دون قراءة ما ينقده واذا تركنا الأدب وألقينا نظرة الى شتى مناحى الحياة وجدنا كثيرا من مناطق النفوذ يسودها الظلام القاتم حين كان ينبغى لها ان تكون حافلة بالنور ، واذا أنت حملت مصباحا وألقيت النظر على شاغليها لوجدتهم جميعا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم فى مناصب قد تصلح لأى انسان الا لهم والجريمة ليست جريمتهم وحدهم وانما هى جريمة فيها شركاء عديدون · والشريك فى القانون يعاقب بعقوبة الفاعل الأصلى أما الشريك فى هذه الجرائم فهو فى الحقيقة هو الفاعل الأصلى

والعقاب واقع عليه أولا ثم هو واقع على من ولاهم ما لايستحقون من رأى الناس ثم هو واقع عليهم وعلى غيرهم من الاضطراب والمهازل والفوضى التى تسود مواقعهم وتسخر منهم كل سخرية وتحقر شأنهم كل احتقار . ويومئذ تكون القارعة وما أدراك ما القارعة .. ان أمه لا شك يومئذ هاوية وما أدراك ما هى ؟! ..

اللهم ياذا الرحمة والعدل ويا مالك الميزان حين ينعدم الميزان اليك وحدك نضرع وبك وحدك نستجير .. سبحانك .

الأهرام ١٩٨٥/٥/٢٦

الســمعة الجــديدة

أما هو فاستاذ في علمه له في مصر شهرة واســعة وله في المجامع العلمية العالمية اسم لامع معروف تخرج على يديه أساتذة معروفون في علمهم اكتسبوا الشهرة والاسم النقى في ميدانهم . أحيل الى المعاش منذ سنوات ثلاث فأبى أن يكتفى بممارسة عمله وأحب أن يفيد بلاده بخبرته ويستفيد من توظيف ماله في وقت معا .

والرجل شديد الايمان . شديد الحرص على أداء شعائر دينه بكل اخلاص حتى انه يغالى بعض الشيء ولا يرضى أن يفعل شيئا مهما يكن هينا . فيه ميل أى ميل عن أمر الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام . فاذا لعب أصدقاؤه النرد أو الورق شاركهم فاذا أحبوا ان يكون اللعب بملاليم على سبيل الدعابة واضفاء الحماسة على تنافسهم أبى فى صلابة لا تعرف المهادنة ويقولون له انها ملاليم . فيرفض فالدين لم يحدد مبلغا أدنى للقمار .

هكذا هو فى كل صغيرة أو كبيرة من حياته . وهو يقدم الزكاة فى كل عام مضاعفة أضعافا . وهو يكرم المحتاج فى سعادة منه ان أتاح له الله ان يكرم محتاجا . ومادام كذلك هو مع سائر الناس . فهو مع أبنائه وأهل بيته من أكرم الناس يدا . وهو ذو دار لا تتوقف عن استقبال الضيوف زرافات ووحدانا . ولكن الخمر لم تدخل بيته قط حتى ولو كان المدعوون من الأجانب الذين لا يعرفون كيف يكون المطعم اذا لم يرافقه من الخمر مشرب ، هكذا هو .

وهو فى الشئون الهندسية على علم موفور . فحين أقام المصنع أقامه على آخر ما وصل اليه العلم الحديث من اتقان ولم يدخر وسعا ولا جهدا ولا مالا ليكون مصنعه لائقا بالاتسم الكبير الذى يحمله .

وجاء المختص من الحكومة ليرخص للمصنع بالعمل فاذا به يرفض مرتئيا أن المصنع تنقصه الشروط الواجبة . وفهم الأستاذ صاحب المصنع مماحكة المندوب . ولكنه ادعى الغفلة ونفذ له ما يريد على الرغم من معرفته

أن الشروط لا تحتم وجود هذه الطلبات • وتكرر قدوم المندوب وتكرر الرفض • وأخيرا طلب المندوب الرشوة صريحة من مساعدي الأستاذ فقال الأستاذ :

لو كنت أنوى أن أقدم رشوة لقدمتها من أول يوم • ولكن هيهات •

ويقول المساعدون :

الدنيا كلها على هذه الحال •

ويقول الأستاذ :

فهى دنيا كافرة

ويقولون :

ولكن تكاليف المصنع قاربت المليونين من الجنيهات •

ويقول :

ولكن المليونين من الجنيهات وملايين العالم أجمع لا تساوى قوله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » صدق الله العظيم (البقرة ١٨٨) ويبلغ المساعدون قرار الأستاذ الى المرتشى فيصيح :

اذا هو لم يدفع ما أطلبه فان سمعتى ستسوء فى المصانع الأخرى جميعها • كل المصانع تدفع لى عند الانشاء المبلغ الذى أطلبه • وكل المصانع تدفع لى مبلغا شهريا فاذا أنا استثنيت مصنع الأستاذ ساءت سمعتى بين كل المصانع التى أتعامل معها •

ويصر الأستاذ على موقفه ويصر المرتشى • والوزير المسئول رجل شريف وهو صديق للأستاذ ولكنه يقف من الموظف المرتشى مكتوف اليدين مكبل الارادة لا يستطيع حتى ان ينقله من وظيفته فهو يعلم أنه اذا فعل ، فسيرده القانون الى وظيفته • وأعجب كيف يستطيع الوزراء ان يعملوا وهذه القوانين تقف لهم بالمرصاد وكيف تستطيع السلطة التشريعية أن تسائلهم • ان المساءلة لا تكون الا عند المسئولية فأين المسئولية عند الوزير اذا كان عاجزا عن أن ينظم وزارته التنظيم الذى يراه كفيلا بتوفير الشرف والنزاهة فى ربوع هذه الوزارة •

لا .. لاتقل أن المرتشى ينال جزاءه . فقضـــايا الرشوة التى يتم ضبطها لا تبلغ فى نسبتها واحدا الى ألف من عمليات الرشوة التى تتم .

والشرف سمعة . والموظف الشريف معروف والمرتشى مشهور ولكنه فى أمان تام مادام يتقاضى رشوته سرا .. وما أعلم بعد أن الرشوة يمكن أن تكون علنية جهيرة .

ويستخرج الاستاذ صاحب المصنع عينه من نتاج مصنعه ونتـاج مصنعه داخل فى صميم اختصاصه الذى ظل يعلمه للاجيال عشرات من السنين . ويكلم المسئول عن اعطاء الرأى فى العينة انه مرسلها اليه فاذا هو أيضا من المرتشين وهل أدل على قبوله للرشوة من رده على الأستاذ :

أظن أنها ستكون مخالفة للمواصفات .. وأظن أنه خير لك أن تصرف النظر عن الموضوع كله ولكن على كل حال لا بأس أرسل العينة .

انه قاض حكم فى القضية قبل أن تعرض عليه . ان عمله مثل عمل القاضى ولكنه لم يخجل أن يصدر الحكم فى مواجهة صاحب الشأن دون أن تكون العينة فى يده على الأقل حتى يستتر لصـــوصيته ولكن لماذا يسترها . ومن أى جهة يمكن أن يخاف مادام على ثقة أن الوزير وهو الوزير لا يستطيع أن يسائله أو ينقله أو يتخذ أى اجراء يرد به أظافره القاتلة عن مصالح الناس .

واقرأ ما كتبه منذ أسابيع أخونا الأستاذ موسى صبرى عن حـــالة مشابهة وتقطع النفس حسرات . كيف يمكن أن نفكر فى أى تقدم وأمثال هؤلاء هم الحكام الحقيقيون . فالوزراء يعملون بمساعدين . ومهما يكن الوزير شريفا فان وزارته لن ينالها نصيب من هذا الشرف مادامت الرشوة قد أصبحت عملا مشروعا لا يستطيع الوزير أن يحاسب عليه .

١٩٨٥/٦/٢ الأهرام

حـيرة ٠٠٠ ؟!

الى الرحاب القدسى من ساحة الرحمن يتوجه المكروب والملهوف وذو الحاجة فيجد نفسه المظلمة الخراب قد أشرقت بالنور الالهى ٠٠ وأينع نبتها واخضل زرعها وأطل الندى جديبها واستقبل الحيـاة بعد ادبار وتسمت الأمل بعد اليأس ٠

فيالهؤلاء المساكين الذين لا اله لهم ٠ الى من يتوجهــون والى أى مشرق أمل ينظرون ٠

ويل لهم لقد اختاروا لأنفسهم اليأس الذى لا أمل له والكرب الذى لا فرجة فيه والسواد الذى لا يستطيع شعاع أن يكشفه ٠

فلا عجب ان كانت نفوسهم كلها حقدا خالصا ولا غرو ان كانت قلوبهم كلها كراهية داكنة معتمة ٠

هم لا يســتطيعون أن يقدموا حبـا لأنهم لا يعرفون فى قلوبهم الا البغضاء والتحاقد والسخيمة والدمار ٠

وهم لايريدون فى الحياة سلاما لأن نفوســهم مـوات ودماء وقهر وطغيـان ٠

وكيف لهم ان يعرفوا غير هذا وهم لا يؤمنون بالله السلام الرحمن الرحيم الغفور ٠

الذين لايعرفون الله يريدونها حـربا بين أبنــاء الوطن الواحد وحربا بين أبناء الجنس البشرى أجمع فمع الحروب يسود الخراب وفى الأرض الخراب تنبت أزهارهم ويخضل نبتهم وعلى الخــراب يقيمون عروشهم أركانها قهر الانسان وقتل الايمان وكراهية الحب ونزع الأمان واشاعة البهتان وافشاء الذعر ونشر الفوضى ومحاربة القانون ومنع الخير ومباركة العدوان ٠

فلم يكن عجبا أذن ان يتحد الناصريون والشيوعيون وان كان كثير من الناس قد عجبوا وأنا منهم فى الوهلة الأولى التى شهدنا فيها تحالفهم ٠

كان عجبنا أننا شهدنا الشيوعيين يلقون ألوانا من العذاب وصنوفا من تدمير عناصر الرجولة والانسانية فيهم على يد العهد الناصرى ٠

وكنا نحسب أن التنافر بينهم سيظل الى أبد الأبدين ولكننا فجأة وجدناهم هم السادة الحكام يتسنمون مناصب الصحافة والاعلام والفنون ويملأونها من أشياعهم ومناصريهم ويملأونها أيضا ممن لا يؤمن بمذهبهم ولكنه يريد أن ينشر ان كان كاتبا ويريد أن يمثل أو يخرج ان كان ناشئا ويريد أن يعيش ان لم يكن لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ٠

ومازالت آثار أغراسهم باقية حتى اليوم فى شتى الأنحاء تحارب غير الشيوعى أو غير الناصرى وتبارك كل ما هو كفر والحاد وتمجيد للطغيان وتعظيم للظلم والقهر والعدوان ٠

وهكذا لا نسمع شيئا عن حرب رمضان الا أن يكون هجوما ورفضا مما اضطر رئيس تحرير الأهرام أن يصيح بهم فى مقاله الأخير أفيقوا وأعدلوا فان الأمر ليس لهوا ولا هو لعبا ٠

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم بعد أن فكرت حتى ضاقت بى مسالك التفكير ٠

أما الشيوعية فنظرية واضحة المعالم معروفة الأسس طبقت فى بلاد كثيرة لا لأن لها كيانا يستطيع من يريد التعرف عليها أن يجده ٠

وصحيح أنها فشلت عند كل تطبيق الا أن هذا لا يمنع أنها نظرية لها معالمها المميزة ٠

وصحيح أن أى دولة لا يمكن أن تطبقها الا اذا ألغت تماما فكرة الأديان الا أنها تظل مع ذلك فكرة ذات سمات ظاهرة وصحيح أن الصين أضخم دولة فى التاريخ وجدت فى تطبيقها الخراب والدمار مع أن الصين كان يمكن أن تقول حسب الفرد منا رغيف العيش وليذهب كل ما عداه الى الجحيم وليس توفير ألف مليون رغيف ثلاث مرات أو مرتين فى اليوم بالشىء اليسير ولكن الصين وجدت ان النظرية ألغت الانسانية فى الشعب الصينى ولم تستطع مع ذلك ان توفر رغيف العيش ذلك لأن الصين تعتمد

على مواردها وحدها وليست مثل الاتحاد السوفيتى الذى يعتمد على موارد كل الدول التى أرغمها أن تكون تابعة له ٠

صحيح هذا ولكن تظل النظرية الشيوعية مع ذلك نظرية يستطيع من يدرسها أن يجد لها مقدمات ونتائج ومعالم وملامح ٠

ولكن الذى أريد أن أعرفه والذى استغلق على ما هى النظرية الناصرية ؟

ما هى المبادىء التى يمكن أن يقوم عليها الحزب الناصرى ؟

المبادىء التى يمكن أن أتصور أن تقال غير قابلة للاعلان والا فتصور معى ما طاف بخاطرى ٠

المبدأ الأول : قتل حرية الانسان المصرى فى العمل أو القول أو التفكير بحيث يتم اعتقال كل من يظن العاملون فى المخابرات من رجال ونساء انه أتى شيئا من هذه الممنوعات بأى صورة من الصور والعقوبة تكون الاعتداء على المال أو العرض أو الأرواح أو كل هذه العقوبات ٠

المبدأ الثانى : أموال الدولة كلها ينبغى أن تكون فى خدمة الحزب يتصرف فيها كيف يشاء وينفقها الحزب فى الأغراض التى يرى الحزب أنها تحقق الشهرة والهتاف للحزب ولما كان الحزب هو مصر جميعا فكل انجاز يحققه الحزب لنفسه انما يحققه لمصر جميعا ٠

ولو مضيت فى هذا السبيل ماتوقف القلم قبل أن يكتب كتبا كاملة لا عدد لها ٠

واذا كان الحزب الناصرى سيتبنى النظرية الشيوعية فما الحاجة اليه مادام منضما بكل أعضائه الى الشيوعية وأحزابها الظاهرة والخفية ٠

واذا كان سيتبنى المبادىء التى نادت بها الثورة فى يوليه عام ٥٢ أفلا يعتقد أن هذه المبادىء قد طبقت فعلا بكل أمانة فى غير العهد

الناصرى وعلى كل حال فما دامت طبقت والدستور يضمن الحفاظ عليها ففيم اذن يقوم حزب ليضع مبادىء موضوعة فعلا ويضمن بقاءها دستور وحزب وحكومة ومجلسان تشريعيان ؟

حيرة ٠٠ ولكن الله سبحانه الذى يهدى السبيل وينير الظلام ويزيل الحجب قادر أن يزيلها وانه على كل شىء قدير ٠

الاهرام ١٩٨٥/٦/٩

الكاتب ضمير لا صدى

الكاتب قطرة من دماء المجتمع ينبض بنبض القلب من هذا المجتمع ، وهو يسير فى هذه الدماء عيونا لا تنام ، وخواطر لا تهدأ ، وتفكيرا لا يتوقف ·

وفجأة · وعلى غير توقع منه يثور بنفسه ما يريد أن يقوله لمجتمعه ·

وحين يقول فهو صوت ضميره وليس صدى لمن يكتب لهم ·

هو الكلمة الحق ·وليس ترديدا ولا رجعا لكلمة الآخرين · فهو يكتب رأيه هو بوحى من خالص ضميره · لا ينظر فيما يكتب الى غير الله الرحمن القهار · الرءوف الجبار · الصادق الماكر · الواهب المانع ·

الكاتب ضمير والضمير صيحة نفس · والكاتب حامل القلم وبهذا القلم يفجر خطرات ضميره لتصبح صيحات صارخة تهز المجتمع هزا ليفيق الى الحق ان كان الحق غائبا · ويرتد الى الصواب ان كان على الصواب أستار وحجب ·

والكاتب يجمع بين ضلوعه الماضى جميعا يتمثله فلابد أن يكون على وعى كامل بتاريخ وطنه وتاريخ البشرية · وينبغى أيضا أن يتعمق حاضره فيصل الى أبعد أغواره · من الماضى والحاضر يلقى نظرة الى المستقبل ويتنبأ بالقادم من الحوادث ويحذر بوحى شفيف من قلبه فالكاتب الذى يقيم صلته بالله يكشف الله غطاءه فبصره اذن حديد · يخترق آتى الأيام وقابل الغيب · لا بادعاء النبوة وانما بصفاء الروح وقياس المستقبل بالماضى ودراسة المقدمات التى أدت بالأمس الى نتائج بذاتها وتوقع منه اذا وضحت له هذه المقدمات أن تؤدى الى النتائج نفسها فى المستقبل كما أدت الى مثيلاتها فى الماضى ·

وهكذا لا يمكن للكاتب الحق أن يكون تابعا يراد له ويساق سوق الأنعام ويستجيب لهتاف هو يعلم انه أجوف أو لدعاية هو يدرى أنها مغرضة مفتونة فارغة وليس لأحد مهما يكن شأنه ولا لجماعة مهما يكن

حجمها أن تسأل كاتبا لماذا يكتب كذا ولا يكتب فى كتب لأنه لا يستنبع فيما يكتب الا ضميره ولا يهتدى فى رأيه الا بهدى الله ٠

لا سيد للكاتب الا الله ٠ وان تسيد على الكاتب شخص أو جماعة أو غرض شخصى ضل طريقه ٠ ونميع حديثه ٠ واتسم أسلوبه بالبهتان والمخادعة والختل ٠ والقارىء يستطيع فى لحظة وامضة أن يكشف أمره ويتبين مينه ويتعرف على المداجاة فيما يقول ٠

وللكاتب وحده حق اختيار الوسيلة التى يقدم بها حديثه الى قارئه فقد يختار الرواية أو القصة أو المسرحية أو المقالة أو القصيدة ان كان شـــاعرا ٠

وليس للقارىء حق عليه الا أن كاتبه صادق مع نفسه لايدفعه الى كتابة ما يكتب الا الصالح العام ٠ فان مال عن الصالح العام الى الصالح الخاص فمن حق القارىء أن يرفضه ٠ وان أحس أنه يعبر فيما يقول عن رأى غيره ٠ رأيه له فللقارىء ان ينصرف عنه ٠

وللقارىء دائما وفى كل الأوقات أن يناقش الكاتب الرأى وله دائما وفى كل الأوقات أن يكون دقيقا كل الدقة فى هذا النقاش ٠ أما السباب والتوقح والغمز واللمز والتنابز بالألقاب فذلك شأن الأطفال الجهلة الذين أخطاهم العلم وتخلف عنهم الخلق ونكصوا عن التحضر ٠

ولقد أعلم ان قوما يقولون لماذا يكتب الأدباء فى السياسة فأعجب غاية العجب ٠ فالسياسة ــ فيما أعلم ــ شأن الناس جميعا فى كل مكان من الأرض ٠ يمارسها الأحياء كما يمارســون الحيــاة ٠ فاذا لم يناقش السياسة صاحب القلم فمن ؟

وانى أسأل هؤلاء الســاتنين ٠ هل الأدب موســيقى ٠ فالموسيقى أيضا تحدثت فى السياسة ٠ أم الأدب ألفاظ وترنيمات وتهويمات ففى أى شأن تستخدم هذه الألفاظ وتلك الترنيمات وهاته التهويمات ان لم يكن فى شئون المجتمع والأمة وآماله ٠

اننا اذا كتبنا فى أى شأن من شئون الحياة فنا كان هذا الشــأن أم تاريخا أم علما فان السياسة تحتوى كل ما نكتب ٠ لأن الفن انما خلق لامتاع الناس ٠ والتــاريخ هو من صــــنع الناس يرويه الماضي للحاضر

لينتفع به الناس فى مستقبلهم • والعلم لايكون علما اذا لم ينتفع به الناس •

ان الحياة كلها تعمل من أجل الحياة • وحياة الناس لا تسير بغير السياسة • ففيم اذن يكتب الكاتب اذا هو لم يكتب فى السياسة •

وانى لأسأل ثانية هل علم هؤلاء السائلون قوما بذاتهم لهم وحدهم أن يتحدثوا فى السياسة بحيث يقتصر الحديث فيها عليهم وحدهم • فمن هؤلاء ؟ أيكونون الوزراء ؟

انهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة واحدة اذا هم لم يعرفوا نبض الناس ومشاعرهم • والكاتب هو لسان هذا النبض وتلك المشاعر •

أيكونون أعضاء مجلسى الشعب والشورى فى مصر • والمجالس التشريعية بمختلف صورها فى الدول الديموقراطية الأخرى •

اذن فمن هؤلاء الأعضاء ؟ أليسوا ممثلى الشعب الناظرين فى شئونه فمن ينقل اليهم رأى الناس قاطبة اذا لم يكن الكاتب من هؤلاء الذين من حقهم وحدهم أن يتكلموا فى السياسة • وليس لغيرهم أن يتكلم معهم فيها •

ان الذين يثيرون هذه الأحاديث يتركون صلب الأمور وأسسها ليتكلموا فى هزيل من الشئون لايفيد ولايغنى •

أنا أنتظر نقاشا فيما أقدمه من آراء ثم يمضى يوم أو بعض اليوم وأعرف الصدى • أما الأغلبية الكاثرة فراضية والحمد لله سبحانه وتعالى • وأما الأقلية فتسب وتلعن وتصطنع من الألفاظ أحقرها فازداد أنا رضى وحمدا لله فقد أصبت المغرضين المنتفعين حيث أردت أن أصيب • ولكنى كنت أتمنى أن يشفعوا السب بالنقاش والشتيمة بالجدل فحين لايتحقق لى ما أتمنى تملأنى الثقة أنهم لايجدون لحجتى ردا ولا يطيقون لمنطقى دفعا فينشال منهم من ينشال وينهبد منهم من ينهبد ولا يزيدون عن السباب البذاء والعويل والبكاء وهذا ميدان يتقنه الأطفال ويعف عنه

الكبار • وما داموا قد ارتضوه لأنفسهم فهم أدرى بمكانتهم وهم بأقدارهم أعلـم •

وأما الذين دفعونى الى كتابة هذا المقال فهم أولئك السذج أو الخبثاء الذين يثيرون ذلك السـؤال المضحك الأرعن والأحمق ما شـأن الأديب بالسياسة •

والى هؤلاء أسوق مقالى وأرجو أن أكون قد أجبت ولكننى مع ذلك لا أتوقع أن أجدهم قد اقتنعوا جميعا فالأمر لم يكن محتاجا منى لهذا الجهد لو أنهم كانوا فى سؤالهم صادقين مع أنفسهم أما ان كان نفر منهم قليل يسأل أو يتساءل عن براءة وحسن طوية ونقاء ضمير فانى واثق أنهم الآن قد تبينوا الأمر وهم وحدهم يستحقون ما قدمت لهم من حديث والله وحده هو ولى التوفيق •

الأهرام ١٩٨٥/٦/١٦

ولا حتى جاهليــة !

كانت الجاهلية ضربا موبقا من الحيــاة . كانت مجتمع الانســان المنسحق حتى هو بضاعة تباع وتشترى . ثم هو بعد أن يصبح عبدا يصير شيئا لصاحبه أن يصنع به ما يشاء بما فى ذلك القتل . وكانت الجاهلية مجتمع الانحلال الخلقى حتى سادة العرب يتاجرون فى الأعراض تحت الرايات الحمر تخفق بانهيار الشرف وضياع الحياء وغيبة النخوة وسقوط الكرامة .

وكانت الجاهلية مجتمع الرجل فله أن يتزوج ما شاء من النســاء بغير حدود الى جانب الجوارى يتسراهن . فاذا كنت سمعت عن امرأة ذات قيمة فى الجاهلية فقد استمدت قيمتها من شخصيتها هى لا من حقوقها الاجتماعية . وحين جاء زواج الأربعة كان تحديدا لا اباحة فقد كان العدد مطلقا بلا حدود .

وكانت الجاهلية مجتمع السيف والقتل وقوة الحيوان . فلا يعيش فى أنحائها الا صاحب القوة والسلطان المستمد من السلاح فردا كان هذا القوى أم قبيلة أم جماعة من القبائل .

وجاء الاسلام فاندكت هذه الأركان جميعا .

فلا عبيد ولا ســادة . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » صدق الله العظيم سورة الحجرات الآية ١٣ وهذه الآية وحدها من شأنها أن تكون بركانا يقضى قضاء ماحقا على مجتمع السادة والعبيد . أيكون أكرمهم أتقاهم . ولا أغناهم ولا أقواهم ولا أكثرهم جاها وعــددا وجبروتا وطغيانا فتلك اذن هى الطامة الكبرى وتلك هى نهاية زمان وبداية زمان . فلا عجب اذن أن يفعل طغــاة العرب ما فعلوا وجاء الاســـلام « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وســاء سبيلا » صــدق الله العظيم الاسراء الآية ٣٢ .

اذن فقد ضاع أيضا ذلك المصدر الضخم من مصادر المال ونكست الرايات الحمر وأصبحت هباءة عدما تحرم باعة الأعراض والشرف من

تجارتهم الدنسة وتنضب ينابيع المال التى كانت تنسكب عليهم من هاته الخيام المنكرة الذميمة .

وجاء الاسلام فاذا هو يرفع نور السلام على العالمين « لهم دار السلام» النساء ـ ٩٤ ، ويقول تعالى فى سورة يونس « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول فى سورة الحجر « ادخلوها بسلام أمنين » ويقول فى سورة طه « والسلام على من اتبع الهدى » ويقول فى سورة ق « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » ويقول فى سورة الحشر « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » ويقول فى الفرقان « ويلقون فيها تحية وسلاما » وفى سورة الواقعة « الا قيلا سلاما سلاما » فهو دين السلام اذن فلا عدوان ولا اعتزاز بالسيف على غير حق ولا اغارة عن الآمنين .

وحين رفع الاسلام السيف رفعة من أجل السلام واستتب به السلام فلم يفتح دولة الا ما كان يتوقع منها أن تهدد الآمنين من شعوبه ولم يرغم فردا على الاسلام وانما هو سلام سلام ومن يرغب فى اعتناقه عن اقتناع واقبال فأهلا ومن يبتغى البقاء على دينه فأمن هو مطمئن وسلام عليه سلام .

واندثرت الجاهلية وزالت معالمها ولم يبق من أثارها الا ما يرضاه الاسلام . وعلى المدى التاريخى لم يكن هناك عهد كله شرور فلا بد أن تكون هناك اشعاعات من نور فى دامس الظلام . فما بعجيب أن يبقى من الجاهلية النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام من علت بهم السن .

ومرت الأجيال فأين نحن اليوم من الاسلام ومما بقى من أخلاق فيها سجاحة وان كانت الى الجاهلية تنتسب .

الظلام يلف العالم الاسلامى أجمع فلا ضياء من الاسلام ينير سماءه ولا بصيص من شرف يومض بين جنباته . القتل والدمار والسرقة والانتهاب والبغى والعدوان . والهول المبيد . والفرقة والتنابذ والشقاق والتناحر والمسلم يقتل مسلما . والجميع يقتلون الحق والاشراق والسلام والايمان .

الدول تتخذ من الدول عبيدا . وبعد أن كانت العبودية لأفراد أصبحت العبودية لجماعات بأسرها ولأوطان بأكملها . وانظر الى أفغانستان

والى دول المسلمين صامتة راضية وانظر الى سوريا وما تصنعه بلبنان والى لبنان وما تصنعه جماعات منها مسلمة بجماعات منها مسلمة . وانظر الى تلك الداهية الدهياء فى العراق وايران . وهذا النكبة النكباء المسماة القذافى .

أين هذا من الاسلام ؟ بل وأين هذا من الجاهلية ؟ ويل للعـالم . أهو يتقدم أم يرجع القهقرى الى أحط عهـود الانسانيـة وأشـدها وبالا وأتعسها حالا ؟

أيثب الانسان الى القمر بعلمه وينحدر الى القرود بخلقه ؟

كيف يتحطم لمنطق ويتهشم بهذه الصورة البشعة ؟

ما كان أغنانا عن القمر اذا كنا لا نستطيع أن نحافظ على الأرض .

واذا نظرنا الى مجتمعنا هذا المصرى الذى نعيش فيه طالعتنا الدواهى الآخذات .

لقد تحطم فى مصر الكثير الكثير مما كانت تعتز به مصر . المسلم ينسى اسلامه ويسرق ويرتشى ويثير الفتنة ولا يرعى الله ويعبد المال وكأنه سيصحبه معه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، أو المسلم يغالى فى دينه ويبالغ مبالغة مفتعلة مصطنعة ناسيا قوله تعالى « لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » النساء ١٧١ وقوله مرة أخرى فى الآية ٧٧ من سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق » يريدون ان يتخذوا الدين وسيلة الى سلطان الدنيا . بئس ما يبيتون . والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وهو سبحانه يدرى أن بعضـهم بل بعض زعمائهم منغمسـون فى الغى الى الأذقان لا يتورعون عن الموبقات ما ثقل منها وما هو أقرب ما يكون الى الكفر . يتظاهرون بالورع وهم فيما يظنونه خفاء يرتكبون الكبائر لا يعفون عن أغلظها شأنا وأحطها قدرا .

وأين الجاهلية بما أجاز الاسلام من بعض أخلاقهـا ؟ أين النجدة والشجاعة واغاثة الملهوف واعانة المحتاج ورعاية الجار واكرام الكبار ؟

وأين لغة القرآن ؟ وأين لغة العرب ؟

أما النجدة فأغلب الظن أن كثيرا من القراء لن يعرف معناها وهو يقرأها الآن ٠

وأين الشجاعة وقد أصبح النفاق هو سمة العصر فلا تسمع كلمة حق الا من النادرين القلة الذين لا يزالون يعتبرون أن الكلمة عرض وشرف ٠

وأين اغاثة الملهوف وأنت تجد الموظف يأبى أن يؤدى وظيفته الطبيعية الا اذا أصاب ما لا يجوز له من مال ويسميه اكرامية وهو عند الحق رشوة ٠ وهل لمرتش أن يغيث ملهوفا ٠ كيف ؟ شرف وخسة لا يجتمعان ، كما لا تجتمع الأمانة مع السرقة أبدا ٠

وأصبحت رعاية الجار عدوانا على أمن بيته بالأصوات الصارخة من أدوات الاعلام أو من أبواق السيارات هذا اذا لم يتمثل العدوان فى تشابك بالأيدى أو الألسنة ٠

وما دمنا لا نرعى شأن الجار اللصيق فما بعجيب أن نسكت عما يحدث لأخواننا فى الاسلام فى بلغاريا والاسلام قربى ونسب ٠ فما بالنا لم نر دولة من دول الاسلام حركت ساكنا لنصرة أخوتها فى الاسلام ولو بقطع العلاقات مع بلغاريا ٠

لقد كان العرب سباقين الى قطع العلاقات مع زعيمتهم مصر لأنها استردت أرضها ولأنها وقعت معاهدة كامب ديفيد التى يلهثون اليوم جميعا الى معاهدة قريبة منها فتنقطع أنفاسهم وتنغلق دونهم الطرائق وتسد أمامهم المسالك ٠

وحين يقعد بهم العجز لا يجدون متنفسا لغيظهم الا سب مصر وكامب ديفيد فعل الثعلب الذى لم يصل الى العنب فراح يصب على العناقيد جام غضبه ٠

أيقطعون العلاقات مع مصر لأنها انتصرت لهم ورفعت ذكرهم فى العالمين وأسعار بترولهم فى دنيا المال وجعلت أنوار الاسلام تتلألأ فى أنحاء العالم أجمع ، ويبقون على صلاتهم وعلائقهم مع روسيا وهى تدك المسلمين فى أفغانستان ، ومع بلغاريا وهى تنكل بالمسلمين المسالمين فى ربوعها ٠

أمثل هؤلاء ننشد عندهم رعاية الجار · أليست مصر جارا لهم ، وأما لثقافاتهم ومصدرا لعلمهم وفنهم ومجدهم فى أنحاء العالم المتمدين كله · مصر الأزهر ، مصر المآذن يقطع المسلمون علاقتهم بها ويبقون على علاقاتهم مع الذين يبيدون المسلمين فى أفغانستان وينكلون بالمسلمين فى بلغاريا ·

لا ورب الكعبة ·· لا والحرمين ·· لا اسلام فى هذا ولا حتى جاهلية الأخاء والنجدة ·

واليوم نحن فى أعقاب عيد اسلامى نصطنع الفرحة على وجوهنا · ونتبادل المعايدة أمما وأفرادا وأصيح مع المتنبى :

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى أم لأمر فيك تجديد

فان تكن عدت بقدميك فلا فرحة لنا فيك وان كنت عدت لأمر فيك تجديد فلنقل البيت القديم :

منى ان تكن حقا تكن أعذب المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

الأهرام ١٩٨٥/٤/٢٣

أدب مشـــاهد ..

مشــاهد .. لا ناقد !

الآن وقد هدأ الصخب وانفض المولد نستطيع أن نلقى نظرة متأنية على برامج رمضان .

ويقتضينا الحق أن نقدم الشكر للسيدة الفاضلة سامية صادق على الجهد العظيم الذى بذلته والذى كان من نتيجته تقديم كل هذه البرامج الحاشدة الممتازة فى شهر رمضان المبارك . وانى واثق أن الله سيجزيها خير الجزاء لقاء ما أمتعت الناس فى هذا الشهر الكريم حتى لقد جعلت كل يوم من أيامهم أمام التليفزيون عيدا وبهجة ومتعة شريفة سامية .

ولنبدأ بالفوازير .. يظن كثير من السطحيين ان الفن الرفيع لابد أن يكون مكشرا عن أنيابه غاضبا مقطبا ، وينسون ان الفن امتاع كريم يتسلل الى نفس المتلقى عن طريق مزدهر الجانبين فواح العبير ويرسى فى حناياه ـ دون أن يشعر ـ المعانى الرفيعة فى الحياة ولذلك يرفض الفن الخطب الرنانة والموعظة المباشرة والنصيحة المجردة .

وهكذا يمكن أن نقول ان الفوازير قد حققت هذا الامتــاع الفنى والجمالى معا . وانى أهنىء مخرجها أولا فهو يتمتع بموهبة فريدة تستطيع أن تجمع كل هذه المجالات التى شاهدناها فى باقة واحدة متناسقة طيبة الأريج وضاءة الألوان . ولا شك أن المخرج كان موفقا غاية التوفيق أن قدم لفوازيره بكلمات شيخ شعرائنا المعاصرين طاهر أبو فاشا وبصوت عملاقة الفن الاذاعى والتمثيلى زوزو نبيل أطال الله حياتها وعملاق فن الالقاء عبد الرحيم الزرقانى رحمه الله وأكرم مثواه .

وانى لا أستطيع أن أفصل ولكننى لابد أن أهنىء الموهبة الجديدة شريهان وأدعو الله إن يكرمها ويثبت أقدامها على الطريق القويم .

ثم انتقل الى ذلك المخرج العظيم يحيى العلمى وأقدم له أصـــدق التهنئــة على توفيقه فى تقديم أعمــال الكاتبة العظيمة صاحبة الأسلوب

الرفيع سناء البيسى . ثم أقف لاهنيء ذلك العملاق الشرقاوى الذى صعد الى سماء النجوم بقدرة فنيه معجزة أحمد زكى ما هذا يابن ديارنا . كيف استطعت أن تسيطر على فنك بهذه القوة وبعظمة الفن وحده اننى كشرقاوى مثلك أتيح لنفسى أن أفخر بك . بل اننى كمصرى بل كعربى اعتز بك .

أما سعاد حسنى فقد كانت فى قمتها وما هذا عليها بغريب . فان الفنان أو الفنانة لاتصل الى القمة على هواء وقد بلغت سعاد حسنى قمتها على الشاشة الكبيرة فما بعجيب أن تظل على القمة فى الشاشة الصغيرة أيضا .

ثم انتقل الى هذا العمل الفنى الباذخ الذى قدمه الكاتب الكبير سعد وهبه والذى أسماه بذكاء « تحقيق صحفى » فكان تحقيقا صحفيا فى غاية الصدق والجمال الفنى دى حوار أخاذ رفيع . ولم ينس الكاتب المسرحى غريزته المسرحية فسلك التحقيق بقصة بوليسية جمعت نثاره ولملمت شمله .

ثم أنا أهنيء كل الممثلين فى هذا المسلسل الذين استطاعوا أن يصمدوا بين جبلين سامقين من الفن هما سميحة أيوب ومحمود مرسى . فقد استطاع الممثلون الآخرون ان يصمدوا لأعاصير الفن الرفيع التى أحاطت بهما من القمتين الشاهقتين . أما محمد فاضل فقد تفوق على نفسه وأشهد أنه قدم فى هذا المسلسل فنا رفيعا هو الذى نتوقعه منه بما له من موهبة سامقة وخبرة عريضة .

وحين نذكر الشهد والدموع لابد لى ان أشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر القط الذى كتب عنها فى الأهرام منذ قرابة أسبوعين مقالا فى غاية الروعة أغنانى عما كنت أريد قوله للمؤلف أو عن كثير منه على الأقل . ان المؤلف الأستاذ أسامة أنور عكاشة صاحب موهبة لاشك فيها وقد استطاع بهذه الموهبة ان يكتب عملا جذابا . ولكن لماذا يا أخى جنحت الى هذه المبالغة العنيفة التى ترفضها الحياة بل ويوشك الخيال ان يرفضها أيضا . أعلمت فى حياتك أحدا يحوى كل هذا الشر وكل هذا الحقد وكل هذه الدناءة . وهناك شخصية حيرتنى بصورة مذهلة . تلك الشخصية التى قدمتها فى صديق يوسف شعبان . أنا ما عرفت فى حياتى ولأعرف الانسان أحد يصنع الشر لوجه الشر دون غاية أو مطمع الا عمل الشر .

وقل لى بربك لماذا قدمت لنا خالد زكي ذلك الوجه الحبيب الى الناس القريب الى قلوبهم فى هذه الصور المقيتة الكريهة · لقد كانت نفوس الناس تمتلىء بالكآبة كلما لاح لهم وجهه على التاشة ·

وبعد فالذى لا شك فيه أن اقبال الناس على هذا المسلسل قيمة فى ذاته ونجاح · والمؤلف لا شك يملك الأداة فمن حقنا عليه أن نطالبه بما لا نطالب به غيره ممن يستحق التعليق أو التنويه ·

وما وجهته للمؤلف أوجهه للمخرج اسماعيل عبد الحافظ فالعمل مسئوليته أولا وأخيرا ومن حقه علينا أن نهنئه بكل ماعدا ذلك من مناظر ونقلات واتقان فى التمثيل من جميع المشتركين معه فى المسلسل لا أستثنى منهم أحدا ·

أما مسلسل لا اله الا الله فهو عمل رائع ولا عجب فالمؤلفة من أرسخ الناس قدما فى الأعمال الدرامية ونستطيع أن نقول فى ثقة ان أمينة الصاوى هى التى أدخلت فن المسرحة الى الدراما المصرية منذ الخمسينيات وقد أدخلتها بمقدرة فائقة وبقلم متمكن واثق ·

المادة التاريخية والمادة الدينية أشرف عليهما المتخصصون وليس من حق أحد أن يناقشهما الا أن يكون متخصصا وعلى نفس المستوى الرفيع الذى تحقق فى المراجعين ·

أما نحن فمن حقنا وربما كان من واجبنا أن نناقش العمل الفنى الدرامى وقد كانت أمينة الصاوى غاية فى البراعة واستطاعت أن تجعل من المادة التاريخية عملا جذابا تتشابك فيه الصراعات ويتصادم فيه الحرص على الدنيا والحرص على الآخرة كما استطاعت أن تقدم الحب والكراهية والمؤامرات والصداقات والخيانة والوفاء كل هذا فى لغة عربية جزلة سهلة رفيعة ·

أما الممثلون فكثير منهم من القمم الرفيعة فى حياتنا الفنية وقد كانوا جميعا غاية فى التوفيق ولكننى أعجبت بأحمد ماهر وأعتقد أنه بدأ صعوده الى القمة ·

وأعتقد أن السيدة العظيمة كريمة مختار فى غنى عن أى اشادة فهى شخصية أراد الله سبحانه أن يحالفها التوفيق فى كل أعمالها الفنية

أما المفاجأة التى طالعتنى من هذا المسلسل فهى صفاء أبو السعود فقد عهدناها تقوم بالأدوار الخفيفة الظل كدور الفتاة الرعناء أو الضاحكة فاذا بها تتكشف فى هذا المسلسل عن ممثلة من الطبقة الرفيعة قادرة معبرة تعطى كل كلمة حقها من الحركة والاشارة والايماءة فى شموخ ملكة وفى صفاء الزوجة المحبة وفى نقاء الأم ذات الامارة وفى ذكاء السياسية البارعة . ثم هى تنطق اللغة العربية فى سلامة مذهلة وكأنها لا تتكلم الا العربية فى مألوف حياتهـــا .

والمسلسل الدينى الآخر للكاتب الكبير العظيم الأستاذ محمود شعبان كان جديرا أن يعرض فى وقت غير الذى كان يذاع فيه فهو من الأعمال الرائعة التى يحق للتليفزيون العربى أن يفخر بها وكم أرجو أن يعاد عرضه فى موعد يتــاح فيه للجماهير أن تشــاهده وتعجب به كما شـــاهدناه وأعجبنا به .

وبعد فأنا أكتب هذا الحديث ومازالت حلقات برديس تعرض والذى شاهدته من حلقاتها يستحق أن أهنىء عليه أخى الكاتب الكبير ابراهيم الوردانى وصديقى مصطفى محرم كاتب السيناريو وصديقى المخرج الممتاز فايز حجاب . وليس بغريب ان تكون قصـــــة الوردانى جذابة قوية ولا بغريب أن يحسن فايز حجاب اخراجها . ولا بعجيب أيضا أن يوفق الكبار نيللى وأحمد مظهر العظيم والذى بلغ السماء فى مسلسل الا اله الا الله وحسن يوسف والموفقة الدائمة التوفيق كريمة مختار . ومصطفى فهمى وعايدة عبد العزيز القديرة الثابتة الأقدام دائما .

وبعد فما أنا بناقد فنى وانما أنا مشاهد قدر لى ان أقبع طوال شهر رمضان منذ الظهيرة فى بيتى واستطاع التليفزيون أن يجذبنى اليه طوال الشهر . وأعتقد اننى أكون جاحدا منكرا للجميل اذا لم أقل لكل هؤلاء الذين عشت معهم شهرا ســـعيدا ممتعا شــكرا . وهم بهذا الشـــكر جديرون .

الأهرام ١٩٨٥/٦/٣٠

معذرة .. شكسبير

فالأمر الذى لا شك فيه انك علمت ما صنعناه بك فانت الآن روح بلا جسد وأغلب الأمر أن روحك تتابع مسرحياتك حينما تمثل هذه المسرحيات يعينك على ذلك أنك تخلصت من قواعد الجسوم وابتعدت عن دنيا الناس .

وأنت رأيت ما صنعه بك التليفزيون المصرى منذ بضعة أيام . ولكن دعنى أروى للناس ما صنعه عباقرة المسرح بنا نحن المشاهدين العزل الذين لا نملك لسيطرتهم التليفزيونية دفعا أو دفاعا . وانما ينفردون بنا ويصبون علينا جام عبقريتهم فى ظلم لا يعرف الرحمة وفى قسوة لا هوادة فيها ولا شفقة .

أعلنوا يا شكسبير أنهم سيمثلون رواية من خوالدك فى التليفزيون فانتعشت بنا الآمال وأعددنا أنفسنا لمشاهدة شكسبير .

وجاء الموعد وبدأ عرض المسرحية . ويل للخالدين . ما هذا الذى يصنعونه بشكسبير . ولأى فئة من الناس يقدمون أعماله ومن هؤلاء الذين سيشاهدون شكسبير باللغة العامية ويحمدون ما يشاهدون .

أى استخفاف هذا الذى يأخذون به الأعمال الجادة الرفيعة . اذا كنا لا نريد أن نحترم شكسبير أفلا نحترم لغتنا العربية على الأقل . ولكن لا . ما الى اهانة شكسبير قصدوا . وانما المقصود بالاهانة هى اللغة العربية ذاتها . فهكذا استقر بهم الرأى . ان التقدمية والحضارة والسمو ومواكبة الزمن لا تكون الا بتحطيم اللغة العربية . واصطناع العامية وقد استطاعوا بصوتهم الجهير النكير أن يجذبوا الى ميدانهم العامى كاتبا أكن له كل احترام وتقدير وهو الدكتور سمير سرحان الذى اختار العامية ليترجم بها شكسبير وهو شكسبير . والدكتور سمير سرحان من القلة النادرين الذين يعرفون قدر شكسبير كل المعرفة والذين يجيدون لغتهم العربية كل الاجادة ولست أدرى ما الذى حدا به أن يختار العامية ليترجم بها شكسبير . ولست أدرى أيضا لماذا قبل التليفزيون اذاعتها . أغلب

الظن أن الدكتور سمير أراد أن يجدد شكسبير وأن التليفزيون المصرى اراد أن يكرم العامية ويبالغ فى تكريمها لأنه يرى العربية غير جديرة بالتكريم لأنها أصبحت شيئا قديما باليا لا يصلح لغة للحديث ٠

وربما خشى التليفزيون المصرى أن يرميه الجمهور بالثقافة فينصرف عنه ويبتعد عن مشاهدته كأن التليفزيون قد أصبح فجأة شركة انتاج سينمائية تخشى ألا يشترى المشاهدون التذاكر وتصبح الخسارة خسارة مادية وكأنى بالتليفزيون قد ضحى بالمكسب الثقافى ليضمن الربح المالى ٠ وتلك اذن عجيبة ٠ فالذى أعرفه أن هذه المسرحيات تباع الى الدول الغربية والذى لا شك فيه ان اللغة العربية أيسر عن هذه الدول من اللغة المحلية المصرى ٠ والذى لا شك فيه أيضا أن الشعب المصرى يفهم العربية ويقرأ بها صحفه ويسمع بها نشرات أخباره فى التليفزيون والاذاعة على السواء ٠

ولكن اللغة العربية مع ذلك أصبحت غريبة فى مصر منــذ هجر الأزهر الشريف بناء الأزهر الشريف ومنذ أصبحت دار العلوم وقد انهار الأساس الأعظم الذى كانت تقوم عليه من شرط حفظ القــرآن الكريم للانتساب اليها ٠

منذ هذا اليوم الأغبر الكئيب فى حياة مصر أصبحت اللغة العربية بلا دار تحتمى بهــا وبغير موئل تأوى اليه وجـــاء التليفزيون بمذيعاته اللكناوات فازدادت اللغـــة العربيـــة تشردا ثم أسعن التليفزيون فعرض الروايات المترجمة من اللغات الأجنبية باللغة العامية ثم ازداد اليوم امعانا فعرض شكسبير وهو شكسبير باللغة العامية ٠

أنعجب بعد ذلك أن نجد شبابا لا يقوم لسانه ولا يعرف لغته ٠ ولغته هذه هى قوام دينه وأساس ايمانه وعلى صرحها الشامخ وفى قمته يقف القرآن الكريم محفوظا مقدسا بأمر من العلى القدير ٠ مجهول الأصول تختلط معانيه وأوامره ونواهيه عند الشباب ٠ ويريد الشباب أن يكون مؤمنا ولكنه يجهل الطريق الى الايمان لأن صلته باللغة التى يفهم بها قرآنه مقطعة الأسباب ، ممزقة الروابط ، منفصلة الأوشاج ٠ وتبلى مصر بالطامعين فى الدنيا البائعين لآخرتهم بثمن بخس من رغبة فى سلطان فيحرفون كلام الله عن مواضعه ويتخذون منه وســـيلة الى عقول الشـــباب البرىء الساذج ويشعلون الحريق ويؤججون النار ويعينهم جهل الشباب بلغتهم وقرآنهم ودينهم فاذا مصر المسلمة المؤمنة حصن الأزهر وسماء الآلاف من المآذن تصطلى من اجتماع الأغراض الدنيوية الرخيصـــة بجهل الشباب الفـــادح ٠

واذا كنا نبكي دما لتفشي الأمية في مصر . فاننا نبكي دما وروحا وقلبا لتفشي الأمية الدينية عند الشباب . وتفشي الضمير الميت وبيع الآخرة بالدنيا عن المغرضين من مثيري الفتن ومشعلي الحرائق .

والايمان أعز ما يملك الانسان في حياته . على شاطئ منه كريم يرسو المضطرب من حياتنا . وعند مرفأ منه مضيء يشرف ما اعتراه اليأس من آمالنا . وعند حصن منه منيع تلوذ نفوسنا من نزغات الشيطان . ومن اغراءات الحياة . ومن اللذة الهدامة . ومن المال الحرام . ومن الكذب والنفاق والسحت والرشوة وبيع الضمير .

ولكن المغرضين ممن يدعون بالدين علمـــا وما هم بذاك جعلوا من دينهم ساحة يصحبون فيها الشيطان ويقيلون فيها على اغراءات الحياة من لذة ومن كذب ومن نفاق ومن سحت ومن رشى ومن ضمير مباع .

ولكن الله أكبر . والعزة له وحده ولا غالب الا هو سبحانه .

ان في مصر مشايخ أجلاء قادرون دائما أن يجعلوا الصحيح صحيحا وأن ينفخوا في الباطل فاذا هو زبد جفاء . ويظل الباطل كما كان وكما سيبقى زهوقا هشيما محطما .

وقد قال المصابيح الهواة كلمتهم وهم العلماء الأئمـــة ارتضيناهم للفتيا في شئون ديننا وأخذنا عنهم علمنا بكريم كتابنا وبالصحيح الثابت من سنة رسولنا .

وما دعا كتابنا يوما الى الفتنة بل جعلها أشد من القتل وعلى هدى هذه السنن سار سيد البشرية وخاتم الأنبياء .

أم جعل المغرضون من أنفسهم أنبياء جددا .. اذن فقد باءوا بسخط من الله وبغضب من رسوله وممن اتبعه باحسان الى يوم الدين .

ان الأمر جد لا هزل فيه . فمالي اذن أرى وفي التليفزيون أيضـــا شيخا يختلق قوانين ما أنزل الله بها من سلطان ويجعل من اللمم كفرا .. أى ردة ... أى أنه يريد أن يقيم المرتد على مخطئ أو مخطئة في رأيه دون أن يثبت خطأها في عرف جمهور الفقهاء ولا كبار أئمتهم .

ان انشاء الجريمة لا يكون الا بنص صريح من القرآن ذاته .

ولا يجوز فيها قياس ولا استصحاب ولا استحسان ولا اجتهاد فانه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ٠

اذن فهم لم يكتفوا أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء جددا ويريدون أن يصبحوا آلهة أيضا ٠ أم نراهم لم يقرأوا ما جاء في معنى الحديث النبوى الشريف : « من حلل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه في النار » أو كما قال : فان لم يكونوا قرأوه أو عرفوه فقيم تصديهم للفتيا وقيم جرأتهم على حدود الله وكيف تبلغ بهم القحة أن ينشئوا جرائم تترتب عليها حدود منها اعدام النفس التي حرم الله ايذاءها الا بالحق ٠

اللهم ياذا الجلال ٠ نشهد أنه لا اله الا أنت ونشهد أنك قلت تعاليت وتعالى قولك : « اليـــوم يئس الذين كفـــروا من دينـــكم فلا تخشوهم واخشونى ٠ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » من الآية ٣ سورة المائدة ٠

اللهم ياذا العزة أنت وحـــدك القهار فوق عبادك وأنت القادر على الفاسقين من عبادك وأنت وحدك تعلم ما لا نعلم ومالا أحد يعلم سبحانك انك أنت العزيز القدير ٠ بشيرا ونذيرا ومبلغا وليس ليكون فتنة بين الناس وهولا أخذا ٠ ألم يقل الله لنبيه ٠٠ عليك البلاغ وعلينا الحساب ٠ أو لم يقل في قرآنه على لسان نبيه هل كنت الا بشرا رسولا ٠ أو لم تتواتر الآيات بهذا المعنى عشرات وعشرات ٠

فما لهؤلاء يريدون أن يصبحوا زعماء ســـياسيين شعارهم السلاح وليس الرأى ٠ والعدوان وليس الكلمة ٠ ألم يكن الله بقادر على أن يفنى الظالمين أجمعين ٠ ويقمعهم أن يعذبوا المؤمنين ما عذبوهم ويعتـــدوا على سيد البشر عدوانهم الهمجى الحقير فلم اختار الله الكلمة لخطاب هؤلاء ولم أمر نبيه أن يبلغ ويكتفى بالبلاغ ٠

لأن الدين عقيدة والعقيدة صلة انسان بربه ٠ وهى صلة حرة من كل قهر ، نزيهة عن كل ارغام يمد الانســان أسبابه الى ربه بشـــهادة لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وبالصلاة فروضا موقوتة وبالصيام اذا انتفت رخص الافطـــار وبالزكاة كما شرعها العزيز الحكيم وبالحج لمن استطاع اليه سبيلا ثم يتقرب الانسان الى سماوات ربه الرحمن الرحيم

بهمسة الدعاء وبعبرة الايمان وبرعشة الخشوع وبنور الطمأنينة وبالخوف من عذاب السعير وبالطمع فى عز الجنة ٠

هكذا هو الاسلام صـــلة فرد واحد تزدهر وتنمو وتتمكن وتثبت وتطمئن وتنغرس فى داخل النفس لا يعلمها الا الواحد الأحد الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

أين أنتم أيها المتطرفون من هذه النفس ومن تسبيحها ودعائها ومن الخيوط الحريرية المتينة متانة الايمان وقوته تربط بين عبد وربه لا يراها الا بارىء النفوس وقيومها سبحانه وتعالى عما تصفون ٠

أين أنتم مما بين مسلم واسلامه ، وبين عابد ومعبوده ، وبين مخلوق وخالقه ، وبين من فرض الفرائض وبين من أداها ، اذا أخلف واحدة منها فحسابه هناك عند صاحب الأمر على الكرام الكاتبين فلا حسنة ولا سيئة الا هم محصوها والحكم بعد ذلك للواحد القهار هو أحكم الحاكمين الغفور ذو الرحمة المتين ٠

أتريدون أنتم فى بشريتكم الهزيلة هذه أن تتهموا وتقيموا الادعاء وتنزلوا العقاب على من لا تعرفون أى حبال صلبة متينة تربطه برب العرش أين أنتم من ذاك ٠ ومن ارتضاكم لتكونوا حكاما وكيف ســولت لكم أنفسكم أن تقتعدوا منازل الأنبياء أو حتى الصديقين ٠ بل اننى أراكم تريدون من أنفسكم آلهــة ٠ شـــاه ما تظنون وما تبيتون أن يكن المال المنسكب عليكم يزين لكم السوء الذى تفعلون فاعلموا ان كنتم لا تعلمون أن هذا المال من بشر ٠ والبشر لا يستقر على حال ٠ فكم من أصحاب أنهار وعيون وجنات كانوا فيها فاكهين أبدلهم ربك قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ٠

هو سبحانه على سادتكم قادر ٠٠ وهل قادر الا هو ٠٠ يمحقهم قبل أن تكمل عين طرفتها ٠ فما أنتم منه الا هباء وما شأنكم عنـــده أو عند المؤمنين الا بوارا ولا يبقى من آثاركم الا عبرة الأولين للآخرين وسبحان رب العزة عما تصفون ٠

الأهرام ١٩٨٥/٧/٧

الحلف الخائن

كم من عجائب نقرأها في هذه الأيام العجيبة حتى لقد أصبحت على يقين أن أيامنا هذه غريبة على الازمان . التوى فيها كل طريق وتكاثرت فيه الثنايا حتى لقد أصبح الطريق القويم شريدا لا يجد له بيننا وطنا أو مستقرا .

قرأت فيما قرأت كاتبا مسئولا عن الجريدة التى يعمل بها يعلن فى وضوح باسم حزبه أن حزبه يعاون الأحزاب الشيوعية السرية ومع أن الدهشة أصبحت بعيدة عن نفسى كل البعد فى زماننا هذا زمن العجائب الا أننى مع ذلك دهشت أن يعلن رئيس تحرير أنه يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون . ولذلك فاننى أعاهدكم أننى لن أدهش اذا قرأت لهذا الكاتب أو لغيره من تجمعه أنه يتاجر فى المخدرات أو يوزع حبوب المغيبات .

وفى الجملة التالية لاعلانه عن ارتكابه لهذه الجريمة يقول الكاتب أنه وحزبه يعاونون الجماعات الدينية المتطرفة . وهكذا استطاع بجملته هذه أن يمحو الدهشة التى انتابتنى فى جملته الأولى لأواجه الذهول من اعلانه فى جملته الثانية .

كيف يجتمع طريقان كل منهما يتجه الاتجاه المضاد للآخر . كيف يلتقى المغالى فى دينه المتطرف فى عقيدة الايمان ، مع الملحد الرافض لفكرة الايمان جميعا يدعى أنها ساذجة سطحية نعتقد عن جهل بالغيبات التى لم يثبتها العلم .

ان النظرية الشيوعية لايمكن أن يقوم لها أساس الا اذا هدمت فكرة الدين جميعا أيا كان هذا الدين .

والمتطرف الدينى يرى بنظرة متطرفة رعناء أن كل قانون غير قائم على الشريعة الاسلامية كفر والحاد . حتى ولو كان قانون أرشميدس أو قانون العرض والطلب .

فكيف يتحالف النقيضان ويتوحد الطرفان المتباعدان المتباغضان ٠

كيف يؤيد الشيوعي الملحد هذا المؤمن الذى يغالى فى ايمانه ويبالغ فيه ويبالغ حتى يخرج به عن الايمان السوى المطمئن الشريف الى الفتنة والتخريب والدمار ٠

وكيف يقبل ذلك المؤمن الغالى أن يحالف ملحدا رافضا لفكرة الله فى جملتها وتفصيلها ٠ أيرفضون أن يروا خلق الله فى ملابس عصرهم ويقبلون الملحدين وهم المرتدون الذين لو طبقوا عليهم الحد الاسلامى الذى يبغون تطبيقه لأوقعوا بهم الجزاء الذى ينهى حيـاة الانسـان جميعا أى حلف ذاك ؟

ما هدفه ؟

على أى أساس يقوم ؟

أما أنه حلف قائم وموجود فهذا ما لا شك ٠ وبعد اعمال النظر وامعان الفكر وتدبر الخوالى نجده حلفا طبيعيا لاداعى معـــه الى الذهول الذى تـولانا ٠

انه حلف الشيطان مع الكفار ٠ وحلف الدمار مع الخراب ٠ وحلف البوار مع الفساد ٠ وحلف المفتون مع المفتون ٠ ومشعل الفتنة مع الذى يتعهدها ويزيد حريقها لهيبا ونارها وقودا ٠

هدف الحلف خراب مصر جميعا ٠ وهذا اجراء لابد عندهم أن يتم بادىء ذى بدء وحين ينتهى ــ ساء مايدبرون ــ ينتهى الحلف بين النقيضين لنبدأ الحروب على الأرض اليباب وفى الديار المنسحقة ويحكم يومذاك ــ لا كان يومذاك ــ أكثرهم شرا وأقواهم مددا وأشدهم ضراوة ٠ والفريقان على أية حال يعتمدان على دول أخرى تغدق عليهم المال والسلام اغداقا والغلبة بعد الخراب والدمار ســتكون لأقوى الدول الداعمة شــوكة وأغزرها ســلاحا ٠

وهكذا يصبح الأمر الذى ينتج من حلفهم أن كلا منهما يعين الآخر ليدمر كل منهما الآخر بعد ذلك بعد أن تكون الجماعتان كلتاهما قد خربا مصر ودمراها ٠ لا أنجح الله لهم سعيا ولا فكرا ٠

وقد ذكر الشيطان لربه آن سيقعد لعباده طريقهم المستقيم وها هو ذا الشيطان ينفذ وعده ويتلبس في جسوم الشيوعيين وحزبهم وها هم أولئك يقعدون للمؤمنين طريقهم المستقيم ليجعلوهم ينحرفون عنه شر منحرف وليجرفوهم من الاسلام السلام النور والهداية والرحمة والحب الى التطرف الأحمر المخضب بالدماء المتشح بالفتنة الهادف الى التخريب المعتمد على القتل غيلة وبغير الحق • أقدموا عليه فى مقتل الشيخ الدهبى وفى مقتل الزعيم الخالد أنور السادات وهم يقدمون عليه اليوم ليقتلوا مصر جميعها ويوقدوا بين أبنائها فتنة لا يهدأ لها أوار •

فالشيوعيون اذن يقومون بدورهم المرســـوم لهم ولا يخافتــون بل يعالنون ولا يتسترون بل يكتبون وينشرون • ولا شك أن الكاتب يوم كتب ما كتب كان يأمل أن تتخذ منه السلطات موقفا فتصادر الجريدة أو تقدمها الى العدالة ولكن السلطات أدركت في ذكاء الضــــجة التي يريــدون أن يثيروها • كما أدركت أنهم يريدون أن يتباكوا على الديموقراطية أنها مست مهما يكن مذهبهم يهدف الى قتل الديموقراطية قتلا لا تقوم من بعده • أليسوا هم من قال كتابهم نأخذ حريتك ونعطيك رغيف العيش • وأخذوا الحرية من شعوبهم قسرا وحرموهم أيضا رغيف العيش والحياة جميعا •

هم اذن يطبقون نظريتهم وهم اذن قد لبسوا ملابس الشيطان وقعدوا للمؤمنين طريقهم المستقيم • ونالوا بذلك البركة من الحادهم والمال من الدول التى تعينهم وقروا عينــا •• ولكن الى حين فوالله ليرون من الله العذاب المستطير ولينزلن بهم من الأهوال ما أنزله على قوم لوط ونـــوح والصابئين منذ بداية الزمان •

وانظر الى شأن المؤمنين • أتراهم يدعون الاســــلام وهم لم يقرأوا القرآن • أم تراهم قرأوه فما فهموه أم تراهم ادعوا الايمان وأرادوا أن يجعلوا منه مركبا يصل بهم الى سلطان الدنيا غير ناظرين الى نعيم العليا وجنات هنالك أعدت للمتقين • الذين يهــــدون قومهم ولا يضلون والذين يخاطبون الناس حسنى أيريدون أن يكونوا من الهداة وهم يعلمون أن القرآن نزل على محمد ليكون •

الأهرام ١٩٨٥/٧/١٤

نظـرة في القوميـة

الدعوة الى القومية التى يدعو اليها أخونا الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى ليست جديدة عليه وهو مؤمن بها كل الايمان • وهى فكرة في جوهرها لها وجاهتها ولكننى احتاج فى أمرها الى كثير من التأمل •

فأنا أخشى أن تكون فكرة مثالية نظرية وليست عملية • وحتى تأتى بالثمار المرجوة منها لابد أن تتوافر فى القوى المتضافرة التى تكون الواجهة القومية عناصر مثالية • أو أصبحت مثالية فى زماننـــا هذا • لأن هذه العناصر كان ينبغى أن تكون أصلا والخروج عليه استثناء كريه •

فالأصل أن تخلص المعارضة رأيها للحكومة سواء كانت فى جبهة معها أو كانت فى صفوف المعارضة • والأصل أن تكون المصلحة العامة هى الغاية العليا التى تنشدها الحكومة والمعارضة معا • والأصل أيضا ان تأخذ الحكومة برأى المعارضة اذا اطمأنت الى سلامته ورأت فيه الصالح العام البرىء عن الغرض والبعيد عن الهوى •

هذا هو الأصل • ولكن هذا لايحدث الا فى الأحلام • ومن هنا كان التفكير فى التكتل القومى جديرا بالتأمل •

المعارضة الآن تستغل الشعارات • وتتزايد لتكسب الرأى العـــام وتضحى فى سبيل هذه المزايدة بالرأى القويم الذى تعـرفه كل المعرفة والذى لا يمكن أن يختلف فى شأنه اثنان على مستوى طبيعى من ســلامة التفكير والثقافة الاقتصادية والسياسية •

فهل ترى تنوى المعارضة اذا هى اشتركت فى جبهة أن تتخلى عن المزايدة وتخلص وجهها لنفع الوطن ومصلحته العليا •

لكم نرجو هذا •

ولكن حتى يكون هذا ممكنا • أو قابلا للامكان فلابد بادىء ذى بدء أن تكون الجبهة القومية من الأحزاب الممثلة فى البرلمان • فالأحزاب غير الممثلة فى البرلمان رفضها الشعب أصـــلا • فهـو اذن قد رفض فكرها ولم يرض به رأيا يمثله •

فاذا تمت هذه الفكرة القومية من أحزاب البرلمان فهل لنا أن نرجو ان تصدر الآراء من ممثلى الأحزاب ناظرة الى خير الوطن حتى وان أغضبت الجهلاء ومثيرى الشغب ورافعى اللافتات •

هل لنا أن نأمل أن تكون هذه الجبهة بعيدة عن جعل متاعب الشعب ومعاناته تجارة تكسب هى منها هتافات ويخسر بهـــا الوطن مستقبله الاقتصادى • الذى هو مستقبل الشعب •

هل لنا أن نأمل الا تفكر هذه الجبهة فى الوســـائل التى ترضى الجماهير ارضاء أشبه ما يكون بملاعب الأطفال وهدهدتهم بعيدا كل البعد عن المصالح الحقيقية لهذه الجماهير نفسها •

فالجماهير ترفض الدواء المر • والشـــفاء لايـكون الا بالدواء • وتصبح الجماهير واعية بمصلحتها الحقيقية اذا هى وجدت قادة الرأى فيها مجمعين على دواء مهما يكن مرا • ومن هنا تصبح الفكرة القومية جديرة بالتنفيذ •

ولكن كيف نضمن هذا الاخلاص وهذا الصدق ضمانا يجعلنا نقبل على هذه الاجراءات ولابد من هذا الضمان لأن عواقب التجربة اذا فشلت وخيمة تزيد الأمور سوءا ووبالا ، وربما جعلتنا نواجه طريقا مقفلا بدلا من الانفراج والسير فى الطريق الأقوم •

وقد تفضـــل رئيس حزب الوفد فعلق على هذه الفكرة فى جريدة الحزب بما يشبه الموافقة وهذا فى ذاته شىء طيب ولكن رأى حزب الوفد وحده لايكفى • فهو حزب فيه من الكفاءات ما تحتاج مصر الى الرأى منهم والمشورة • ولكن خشيتنا من أحزاب أخرى تحاول أن تقيم لنفسها كيانا جماهيريا وفى سبيل هذه المحاولة تضحى بمصلحة الوطن وهو الوطن •

الا يكون من الأجدى فى هذه الفترة التى نواجهها أن تتهيأ الأحزاب جميعا لهذه الفكرة القومية بأن تخلص الرأى وتقدم آراء بناءة ليس فيها تهريج ولا مزايدة منذ اليوم • أم ترانا نطلب المستحيل • ربما •

اذن مالنا لانعرض لرأى آخر . ما البأس أن تتكون جبهة قومية خارج الوزارة من الشخصيات المرموقة فى الأحزاب ويكون الرأى الذى تجتمع عليه الجبهة ملزما للحكومة بعد أن يعرض على البرلمان . وقد يقال وما الجديد فى هذا ورأى البرلمان ملزم للحكومة بنص الدستور ؟! الجديد أن الرأى حين يتقدم للبرلمان من الجبهة سينظره الأعضاء دون تفكير حزبى ودون تكتلات .

وفى عام ١٩٣٦ تكونت الجبهة المصرية للمفاوضات مع المحتل . واستطاعت أن تصل الى رأى سواء رضى عنه الجانب الأكبر من البرلمان والغالبية العظمى من الشعب .

ونحن اليوم ــ الحمد لله ــ لانواجه محتلا . ولكن علينا أن نواجه أنفسنا وربما كانت مواجهة النفس أصعب مراسا من مواجهة المحتل .

فأنت فى مفاوضة المحتل تعرف أنه عدوك . ولكنك فى مواجهة نفسك وشعبك ستتعرض لمخادعة النفس للنفس وتتعرض للرأى الذى قد يبدو براقا لأن فيه استجلابا لهتاف فاذا أمعنت فيه الفكر وجدته كارثة مظلمة المصير . وأنت أيضا تتعرض للمزايدين المتاجرين بالدين حينا وبالشعارات حينا آخر .

وأنت قد تتعرض أيضا للعملاء الذين يتنكرون فى ثياب الوطنيين حتى اذا كشفت عنهم تنكرهم وجدت نكرا ورشاوى وأموالا أجنبية حقيرة من بلاد يحكمها مخابيل ، أو من أخرى يحكمها طواغيت ، أو أخرى يحكمها أصحاب المذاهب الملحدة الكافرة بالله والوطن جميعا .

هذه الجبهة ستواجه هذا جميعا فان لم تكن صلبة راسية الأصول قادرة على مواجهة شراسة المال الحرام وعنف الخيانة ومراوغة المخادعين الذين يرمون وطنهم على منضدة البيع أول ما يرمون . أصبحت عبثا بلا طائل .

فالجبهة التى تجمع أصحاب الرأى لمواجهة الأزمات التى نتعرض لها لابد أن تكون أكثر صلابة من جبهة ٣٦ . ففى جبهة ٣٦ كان الشعب واثقا أنه لن يكون فيها الا من ينظر الى مصلحة الوطن . أما الجبهة التى ستواجه أزمات مصر فكم نخشى أن يستهوى بريق الرأى الساذج الذى يرضى الغوغاء بعض الأعضاء وحينئذ تتشتت الجهود وتذهب بددا .

وهكذا نجد أن التفكير فى التكتل الحزبى فى شكل جبهة أمرا ليس يسيرا والطريق ليس مفروشا كله بالورود والرياحين ٠

أما الاشتراك فى وزارة قومية فأمر أكثر صعوبة وأشد خطـرا ٠ فنحن اذا اطمأن روعنا الى الكبار أصحاب الماضى الشريف والرأى الرفيع والعلم الوافر الغزير ٠ لانأمن أصحاب الهوى ومتعجلى الشهرة والناظرين الى البطولات الزائفة ٠

ونذكر البيت العربى القديم :

بغاث الطير أكثرها فراخـــا

وأم الصـقر مقـــلات تـــزور

ان الأمر جدير بالتفكير ٠ والتفكير الكثير يحتاج الى تقليب الرأى على كل وجه له فانه اذا نجح فذو خير وفير اما اذا فشل فالشر مستطير ٠ وقى الله بلادنا كل سوء وهيأ لها النجاح أينما تتجه انه قريب مجيب ٠

الأهرام ١٩٨٥/٧/٢٨

لمحة عن ابن الرومى

كتب العرب فى جميع أغراض الشعر .. وكان شعر الهجاء من أهم الأغراض التى نظم فيها الشعراء المتقدمون . وهذا أمر طبيعى لا غرابة فيه فما داموا قد كتبوا فى المديح وبالغوا فما بعجيب أن يكتبوا فى الهجاء ويبالغوا أيضا .

وقد كان العرب يخشون الهجاء حرصهم على المديح . وبين الهجاء والمديح كان الشعراء يجدون قوتهم أو يجدون ثرائهم فى بعض الأحيان .

وقد جرى علماء التربية أن يهاجموا شعر الهجاء ويبغضوه للناشئة أرى أن علماء التربية فى هذا مخطئون . فبقدر ما يمجد المديح الكرم والخلق الرفيع .. يبغض الهجاء الخلق الدنى ويجعل منه متجها مقبتا وشينا لا يجوز للشريف أن ينحو اليه .

وكما يمثل الوصف والغزل فنا رفيعا يمثل الهجاء أيضا فنا رفيعا تجد الصور فيه تدعو الى الابهار والاعجاب .

واعتقد أن تمجيد الفضل لابد أن يسير معه فى الطريق نفسه مهاجمة الشر والنيل منه . وكما يبلور المديح الشيم الرفيعة ويعلى من شأنها يقدم الهجاء صورا فنية رائعة للخلق الذميم والتصرف المقبوح .

والانسان لا يستطيع أن يحترم الفضل الا اذا احتقر الخلق الزرى والفعل الذميم .

والقرآن الكريم فتح للناس أبواب الأمل فى الجنة اذا هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملا صالحا . وهدد بالويلات وبالنار تكوى الجنوب والجباه فهم فيها لا أحياء ولا أموات اذا كانوا من المفسدين الضالين الآثمين المعتدين .

وكما حبب القرآن الكريم الينا الخير وخص عليه بغض الينا العصيان والفسوق والنكول عن الطريق الأقوم وهددنا بالعذاب الذى لم يعرف

البشر له مثيلا اذا نحن أطعنا أهواءنا ونكصنا عن الهدى والتوب والانابة ٠

ولو شئت أن آتى بأمثلة من القرآن لأوشكت أن أذكر القرآن كله ٠ لا تكاد تجد سورة واحدة تخلو من آيات كريمة عديدة تهاجم الكفار والمعتدين والظالمين فهم قوم بور ٠ وهم مسرفون ٠ وهم قوم عمى عن الحق ٠ وهم لا يفقهون ٠ وهم لا يذكرون وهم صم عن النصح بكم لا ينطقون بما يعلمون انه الحق ٠ وهم غير ذلك ٠٠ وغير ذلك كثير ٠

فالله سبحانه من فوق سبع سماوات لعن المائلين عن الجادة السافلين عملا ٠ الضالين صراطا ٠ فمن حق الشعراء بل من واجبهم أن يرسموا للناس الجمال والقبح والخير والشر ، والكرم والبخل ، والجليل والذميم ، الحسن والمرذول ٠ ومن حقنا نحن البشر أن نعجب بشعر الهجاء اعجابنا بأى لون آخر من ألوان الشعر ٠

وربما كان ابن الرومى أروع من قال شعرا فى الهجاء فى العربية وقد أبدع فيه ابداعا لا أحسب أن أحدا ضارعه فيه ٠

أذكر قوله :

وجهك يا عمرو فيه طول ... وفى وجوه الكلاب طول
والكلب واف وفيك غدر ... ففيك عن قدره سفول
وقد يحامى عن المواشى ... وما تحامى ولا تصول
وأنت من أهل بيت سوء ... قصتهم قصة تطول
وجوههم للورى عظات ... لكن أقفاءهم طبول
مستفعلن فاعلن فعولن مستفعلن فاعلن فعول
بيت كمعناك ليس فيه ... معنى سوى انه فضول

وأذكر بيته الرائع ولا أذكر معه بقية أبيات القصيدة ٠ فهذا البيت فى نظرى كفء لديوان بأكمله يقول :

الاكريم جزاه الله صالحه ... يهجوه عنى فبى عن عرضه كسل

وأذكر تلك الصورة السينمائية العجيبة التى يقول فيها :

رأيت الفضل مبتهجا   يناغى العيش والسمكا
فاسنبل عينه لما   رآنى قادما وبكى
فلما أن حلفت له   بأنى صائم ضحكا

كم يخسر الشعر العربى اذا نفينا عنه الهجاء . ان هذا النفى يحرمنا من لمحات فنية لو ترجمت الى الغرب لسارت كل مسار اسمع ابن الرومى أيضا يقول :

يقتر عيسى على نفسه   وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره   تنفس من منخر واحد

كيف استطاعت هذه الخاطرة ان تثب الى ذهن ذلك الشاعر العملاق الا أن تكون العبقرية المتفردة .

ثم أسمع معى ما يقول لبانى الدرج :

يابانى الدرج الذى   أولى به هدم الدرج
بئس البناء هى فى   المنازل والديار فلا تلج
لاسيما لابى البنات   الناظرات من الفرج
وكذاك انتم معشر   فى عود منبتكم عوج
فلو أن قمل رؤوسكم   ذات القرون اذا درج
شاء العروج الى السماء   على قرونكمو عرج

هذا الاكتمال الرائع فى الصورة لا يتأتى الا لابن الرومى . كيف استطاع أأن يصف أسرة بانى الدرج بالقذارة وبأنهم أصحاب قرون ثم يجمع بين الصفتين فى حركة درامية واحدة .. عجيبة .

ولم يكن عجيبا أن يموت ابن الرومى حتف هجائه . فقد هجا أحدهم وربما يكون واحدا من هؤلاء الذين ذكرت شعره فيهم . وأرسل المهجو اليه يسترضيه ويدعوه الى وليمة . وفى سذاجة الشعراء وجهلهم بالحياة يذهب ابن الرومى الى الوليمة ويأكل وبعد أن يأكل يحس السم يسرى فى جسمه ويدرك أن الداعى دس له السم فى فطيرة دسمة .

ويقوم ابن الرومى يبغى الانصراف دون أن يقول شيئا ولكن القدر يأبى له الا أن يجعله هاجيا حيا وميتا . فيسأله صاحب الدار :

ـ الى أين ؟

ويجيب ابن الرومى فى استسلام :

ـ الى حيث أرسلتنى ٠

ويقول الداعى فى شماته :

ـ سلم لى على أبى ٠

ويقول ابن رومى آخر جملة عرفت عنه فى حياته :

ـ آسف ٠ ليس طريقى الى جهنم ٠

وبعد فانى أهدى هذه المقالة الى الأدباء ليستمتعوا بما فيها من فن ابن الرومى ٠ وأهديها أيضا الى من يلزم من غير الأدباء ؟

الأهرام ١٩٨٥/٨/٤

الطريق واضح

أمر هذه الأيام بشعور عميق يملؤنى ثقة بالقائمين على الأمر فى الدولة ٠ فأنا أرى أن الوزارة تواجه مسئوليتها فى يقين وفى ثبات ناظرة الى الصالح العام للشعب المصرى لا تخشى الا الله والضمير. والحق وما تعلم أنه العدل ٠ وعلاج مشكلاتنا أمر غاية فى الصعوبة وأمر غاية فى اليسر فى وقت معا هو غاية فى الصعوبة اذا اتجهت الأنظار من المسئولين الى اللافتات والهتافات والغوغائية والاعتماد على أن تمر الأمور دون ضجيج فيسلم يوم الى يوم ويسلم شهر الى شهر ٠

وهو غاية فى اليسر اذا الوزارة طبقت ما أجمع عليه الاقتصاديون فى مصر وفى العالم فقد أصبح علاج الشئون الاقتصادية أمرا متفقا عليه فى العالم أجمع خاصة اذا كانت الأزمة من الأزمات التى مرت بالدول جميعا ٠ والدول فى العالم تواجه أزماتها برأى كبار الاقتصاديين فيها وهى فى ذلك حاسمة قاطعة لا تقبل ميلا عن الطريق مهما يكن الميل هينا ضئيلا ٠ وكل القوانين الاقتصادية من شأنها أن تنزل بعض الأضرار ببعض الأفراد وليست هناك دولة جادة تفكر لحظة أن تضع فى الميزان مستقبلها ومصير شعبها من أجل حفنة من الأفراد ٠

وهؤلاء الأفراد لهم صوت مرتفع يستمدون ارتفاعه من جشعهم ومن حرصهم على خاصة أموالهم حتى ولو أدى هذا الى تخريب اقتصاد بأكمله لدولة وشعبها ومستقبلها وحاضرها ٠

وهناك أفراد آخرون يرفعون أصواتهم حبا فى التخريب ذاته لأن مذهبهم لا ينتعش الا فى ظل التخريب فاذا هم رأوا أن الأمور فى الدولة تأخذ طريقها الى الاستقرار والسلامة والحزم والثبات جن منهم الجنون وثارت فى نفوسهم نيران الهوس ٠ لأن استقرار الحكم تدمير لحزبهم ولما يريدون لأنفسهم من استيلاء على المقادير فى البلاد ٠ وكيف يمكنهم أن يقفزوا على حكم قوى ثابت ركين يقوم على الرأى السديد والعمل الرشيد ٠

انهم يكتبون فيما يكتبون أن الغد لهم ويهددون أعداءهم بأن الغد لناظره قريب فهم اذن يتوقعون من كل غد أن تقوم فيه العاصفة فتبعد الحكام الشرعيين عن مقاعدهم وتأتى بهم هم الى مقاعد الحكم والسلطان ٠ يؤيدهم مال غير مقطوع وصراخ غير ممنوع وتهليل وتهريج ومتاجرة بآمال الشعب وبآلامه ٠

وهم من أجل ذلك رافضون لكل استقرار مؤيدون لكل اضطراب حتى ولو كان ناشئا عن قوم يدينون بالله الواحد القهار فى حين يدينون هم بماركس ولينين وبتحطيم الانسان وتدمير الحياة ٠

ويلهم ان هذا الاضطراب الذى شهدنا منه جانبا فى سنوات ماضية والذى يحاول أن يطل برأســـه فى هذه الأيام ما هو الا نتيجة حتمية لما صنعوه وهم بمصر فى ستينيات هذا القرن ٠ ولقد أرى بعضا منهم يكتب آراء يحاول بها أن يفصل الفعل عن رد الفعل ، والمسبب عن السبب ، والمقدمات عن النتائج ٠ وكم هم واهمون هؤلاء الكتاب وكم يبعدون عن الحصافة والرأى الرشيد بعدهم عن الفهم والذكاء جميعا ٠

فان أول درجات الذكاء أن تقدر ذكاء الآخرين ٠ والكاتب الذى لا يدرك أن القارىء هو أذكى الناس واهم لأن القارىء ليس فردا وانما هو شعب بأكمله يتداول الرأى ويعلق عليه ويتعمق أصوله ويصعد الى أعلى فروعه حتى يصل من الحديث الملقى اليه الى الحق الذى لا يشوبه ضباب أو سحاب أو غبار ٠ وانما هو الجلى الواضح المضىء البين ٠

والكاتب لابد أن يكون على المام بالتاريخ ٠ وأن نظرة ا لىالتاريخ الذى مضى تفتح مغاليق الحاضر ومصاريع المستقبل ٠

ويقول التاريخ أن فرنسا بعد ثورتها حكمها فرد وحين زال حكمها أفراد ٠٠ حكمها نابليون وكان طاغية ٠ ثم تداول حكمها أفراد ارتسموا فى شكل ملوك ٠ وثارت فرنسا وأطاحت بحكم الملوك ووضعت دستورها بعيدا كل البعد عن الفردية ٠ جعلت حكومتها جمهورية برلمانية ٠ الشعب فى برلمانه هو الذى يعين رئيس الوزراء وهو الذى يعزله ورئيس الجمهورية لا عمل له مطلقا ٠ وبالغت فرنسا فى هذا لدرجة أن رئيس الوزراء الجديد كان لا يعين الا اذا وقع على مرسوم تعيينه رئيس الوزراء المستقيل حتى لقد تساءل علماء القانون الدستورى تساؤلا نظريا ٠٠ وماذا لو رفض المستقيل التوقيع للمعين ٠ وكان الجواب عليهم أن استقالته فى ذاتها تعنى قبوله

التوقيع على المرسوم الجديد لتعيين خليفته . وكل تطرف يؤدى الى اضطراب . وقد أدي هذا التطرف الى أن الوزارات فى فرنسا لم تكن تستمر فى الحكم الا أوقاتا ضئيلة جدا لا تتمكن معها من القيام بأى عمل ذى شأن . وراح الشعب يسخر مما صنع هو بيديه وتردد فى الشعب الفرنسى أن فرنسا لم يصبح فيها فرد واحد لم يتول الوزارة مرة واحدة على الأقل .

وظل الأمر كذلك حتى حكم ديجول وأعاد الأمر الى الطريق السوى واستقر الحكم فى فرنسا . فكرة الشعب الفرنسى للفرد التطرف الى أقصى حد لأنه قاسى الدواهى السود من حكم الفرد .

والتطرف الدينى هنا هو رد فعل كان لابد منه للتطرف الألحادى الذى شهدته مصر من الشيوعيين الطغاه فى الستينيات .

ومن منا ينسى يوم فجروا وكشفوا عن وجوههم كل أستار الحياء فأقاموا الموالد لسيدهم لينين وسيدهم ماركس وأبوا على المسلمين أن يقيموا المولد النبوى لسيد البشر أجمعين .

كان طبيعيا أن تثور نفوس المسلمين . وكان طبيعيا أيضا أن تثور نفوس المسيحيين فالمؤمنون وحدة ضد الالحاد . ومن يقول الله يرفض الالحاد . والدين حرية والدين محبة والالحاد قهر والالحاد كراهية .

وان ما نشهده اليوم رد فعل لعواصف الالحاد التى اجتاحت ستينيات هذا القرن . ولو فكر هؤلاء المتطرفون الدينيون لأدركوا أنهم بهذا الذى يصنعون يدمرون أنفسهم ووطنهم قبل أن يدمروا الشيوعيين . والدليل على ذلك أن الجماعة الوحيدة التى تؤيدهم هى الجماعة الشيوعية التى يثورون هم على الحادها .

وهذا الوطن لا يقوم الا على السلام والتآلف بين عناصره المؤمنة بالله . وأى شقاق بينها دمار . والأقباط شركاء فى الحكم شركاء فى الحرب شركاء فى المصير . منهم أعضاء فى الوزارة ومنهم أعضاء فى المجالس النيابية وعلى ساحة الحرب اختلطت دماؤهم بدماء المسلمين وصعدوا جميعا الى بارىء النفوس العدل المطلق الملك القيوم يوفى كل ذى حق حقه سبحانه وتعالى عما يشركون .

وهؤلاء المتطرفون يعلمون كل العلم أن الاسلام فوق كل نقاش وأعلى من أى جدل • ولكن ألم ينظروا فى العصور الماضية ماذا فعل أبو جعفر المنصور السفاح بالناس من تقتيل وتعذيب وتنكيل وهو يدعى أنه عن دين الله يدافع • تعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما فعل والمؤمنـــون •

وأمثـال الســفاح فى الخفـاء كثيرون لا يحصيهم العدد ويخطئهم الحصر •

حتى اذا وصلنا الى العصر الحديث فها نحن أولاء نرى الخومينى وما يصنعه تحت ستار الاسلام وتحت اللواء الخادع الذى يرفعه باسم الدين • وتعالى الدين أن يرضى بهذا وكره الله ما يصنع الخومينى وكره المؤمنون •

ليس الأمر شعارات ترفع ولن يكون الأمر كذلك • ان الدين أسمى وأعظم جلالا من أن يكون تجارة فى سوق الدنيا • وطريقا الى بهرج الحياة ومتاعهـــا •

وبعد فان الدين ديننا جميعا ونحن نموت فى سبيله فرحين سعداء أن نفدى نوره الأعلى وسنته الشريفة • ولكننا نحن المسلمين نرفض أن يرفع رايتنـا قوم لم يعرفوا للدين حقـــه كل حقـــه • انما الدين هو نبض القلوب هنا وهو قوام حياتنا فى الدنيا وهو أملنا فى العليا عند رفيع الدرجات ذى العرش • فأستحلفكم بالله العلى القدير ألا تجعلوا منه وسيلة لكم • فما انتم الا بشر من البشر ولن تمكثوا فوق ظهرها الا ريثما يأتيكم أمر الله • وعندئذ فمصيركم الى عالم الغيب والشهادة ينبئكم بما كنتم تصنعون أما الدين فهو الخلود باق على الزمان والى ما بعد الزمان •

ولا اله الا الله وحده اليوم وغدا والى ما بعد الحياة وحتى لا نهاية والله هو وحده الأكبر وهو على دينه وقرآنه خير الحافظين سبحانه وتعالى جل جلاله الملك القدوس السلام •

الأهرام ١٩٨٥/٨/١١

هــذا الصوت نعرفه

تصبح الشهرة عند بعض الناس نشيدة حياة وأملا يتخطفهم الموت فى سبيلها ويبذلون من أجل رنينها كل ما يشرف الانسان أن يتخلى به حتى اذا أعيتهم الوسائل ووقفت دون مقاصدهم العراقيل بذلوا دينهم وايمانهم وأعلنوا الحادهم مجاهرين به غير مخافتين • صارخين به غير هامسين يحدوهم الأمل الحقير أن يعود عليهم الكفر بما لم يدركوه فى ستار الايمان •

ولقد نعرف بعض هؤلاء اليوم ولقد عرفنا أشباها لهم من قبل • منهم من عاصرناه ومنهم من أكرمنا الله بعدم رؤيته أو العيش معه فى زمن واحد •

وربما لا يكون هؤلاء الملحدون شيوعيين • فالقاعدة المنطقية تقول ان كل شيوعى ملحد وليس كل ملحد شيوعيا • فقد يكون الملحد اذن غير شيوعى بل قد يكون رأسماليا متطرفا • ولكنه يظل مع ذلك ملحدا كافرا زنديقا •

وقد يصيب الملحد بالحاده نصيبا من الشهرة ولكنه ينسى أن الشهرة ليست فى ذاتها نوعا من الشرف • بل قد تكون لونا من حقارة الشأن وتفاهة الفكر وهوان الشأن • ان نوع الشهرة هو الذى يدعو الجمهور الى احترام الشهير وليست الشهرة فى ذاتها •• فالناس لا تحترم القاتل الشهير ولا اللص الحقير مهما يكن بعيد الصيت •• ولا المرتشى الوضيع مهما يكن ذا منصب خطير • ونصيب الملحد ذى الشهرة أن يدوسه الناس بالأقدام ويرجموه بالحجارة •

وقد رأينا قوما ممن تكالبوا على الشهرة الأدبية أو العلمية وحاولوا أن يفتحوا طريق الشهرة بالهجوم على عمالقة الأدب أو العلم ومنهم من قال عن عظماء الأدباء أنهم جهلاء وأنهم يسرقون أدبهم من الآخرين وأنهم لا يعرفون لغتهم وأنهم يتعرضــون لما لا يحســنون وأنهم يكتبون غير ما يبطنون •• وكان شوقى الأمير هدفا وكان حافظ هدفا وكان طه حسين

عميد الأدب العربى هدفا وكان العقاد الشامخ هدفا وكان توفيق الحكيم هدفا أطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية وكان نجيب محفوظ هدفا وفى غير الأدب كان الأفغانى هدفا وكان محمد عبده هدفا .

وأصاب المهاجمون الشهرة حين هاجموا ثم تحطمت أقلامهم وتحشرجت أصواتهم وأصابتهم غرغرة الموت .. ثم ماتوا ..

وبقى شوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحكيم ومحفوظ والأفغانى ومحمد عبده ولم يبق من مهاجميهم شىء الا قرف الناس من ذكرهم اذا ذكروا وما هم بمذكورين .

ومن هؤلاء من أدرك أن الهجوم على العباد مهما يكونوا أعلاما خفاقة فلن يصل بهم الى الشهرة التى بها يحلمون وبمجدهم يهيمون فقالوا ومالنا لا نهاجم الدين نفسه ونعلن عدم ايماننا بكلام الله وهو الله . فمادامت مهاجمة الكتاب لم تأت لنا الا بالشهرة المؤقتة فلابد أن مهاجمة كلام الله ستأتى لنا بالشهرة الثابتة .

وظهرت كتب ملحدة صريحة فى الحادها وثار بها الناس وأصاب أصحابها الشهرة ولكنها كانت شهرة نجسة بخيسة مرغب أسماءهم فى الدنس أياما ثم زالت عنهم الشهرة وبقى لهم الدنس .

وتعلم الملحدون الا يعلنوا الحادهم واستفادوا من الدرس الذى رأوه رأى العين فيمن سبقهم . ولهذا تجد الشيوعيين وهم ملحدون بطبيعة مذهبهم وبنص دستورهم ينكرون أنهم ملحدون ويبالغون هم فى اخفاء الحادهم حتى لنرى بعضهم يحج الى بيت الله الحرام ويحمل اللقب الاسلامى مع الفكر الالحادى على قلب واحد .. ويتبجح علينا قائلا انه لا يعلم السرائر الا الله ونقول له ولكنك يا تابع ماركس ويارفيق لينين تعلن أنك شيوعى فالأمر فى شأنك ليس سريرة من السرائر وانما هو اعلان من العلن وجهير بما تجهر به أنت من اعتناقك للمذهب الشيوعى الذى لا يقوم ولا يستقيم الا بانكار وجود الله والدين والقرآن والشريعة ، فأنت أمام واحدة من اثنتين ، اما أن تعلن كفرك بالله أو تعلن رفضك للمذهب الشيوعى ولكن للشيوعيين لجاجة لا تتأتى لغيرهم . ولهم — والعياذ بالله — وقاحة لا يتمتع بها الا هم .

وهكذا نجد أنهم لا يعلنون الحادهم وان أعلنوا شيوعيتهم ومهما يكن فى هذا من تناقض وتنافر مع المنطق الا أنه — على كل حال — واقع ..

ولكن رأينا فى الزمن الأخير بعض من لا نذكره ومن يعف القلم عن أن يخط حروف اسمه يعلن الحاده فى وقاحة نعرفها لسابقيه فى الالحاد . ولقد نعرف بعضا ممن ينتمى اليهم بأرومة أو أخوة .. ولقد ندرى عنهم الخير . ولقد نعجب كيف يجتمع فى بوتقة العرق الواحد الشرف مع العفن والايمان مع الفسوق والطهر مع العهر .

ولكننا نذكر التاريخ فيتضح لنا ما عجبنا له فكم أنبتت الأرض الطيبة الخبث .. وكم ولد العظماء الأسافل .. وكم جاء عالم فى الدنيا بفاسد .. والنار مهما تكن مضيئة فهى فى أغلب الأمر تخلف رمادا ويقول الشاعر القديم :

فان يك بحر الحنظليين واحدا فما تستوى حيتانه والضفادع

والقضية التى ساقها هذا الملحد ليعلن بها عن الحاده قضية متهاوية لا تحتمل أى نقاش . فالأمر فيها واضح غاية الوضوح وقد شرحها الله تعالى بمحكم آياته .. ولكنه الملحد الجاهل يهاجم النص القرآنى فى جهالة وعناء ساذجة ينفر منها الأطفال . ولو أننا قبلنا أن نناقش القضية لعقدنا مقارنة لا تنعقد بين كلام الله وهو الله وبين رأى فطير حقير لا يجوز له أن يذكر أو يناقش .

وقد نسى هذا الجاهل فى حمأة جنونه بالشهرة أن هذا القرآن مر بألف وأربعمائة عام وتزيد وحفظه مئات الملايين وناقشه الأئمة الهداة .. وناقشه أيضا الملحدون الباحثون عن الشهرة وتهجموا على قدسيته فاذا بالقرآن الكريم يقف شامخا سامقا ميسورا على الهداة متأبيا اباء الجبال الشم على الملحدين الزنادقة لم يستطيعوا أن يهزوا حرفا من حروفه بتشكيك أو يهزوا كلمة من محكم كلامه بأى أثر من حيرة .

ومن هؤلاء الذين قرأوا القرآن علماء فى شتى ألوان العلوم منهم علماء من اللغة ومنهم علماء فى الفقه .. ومنهم علماء فى المنطق ومنهم علماء فى علم الكلام ومنهم من ولى القضاء ومنهم رجال الشرع .. وهيهات أن يحيط بالباحثين فى كتاب الله تحديد .. انه معروض على الأزمان وعلماء هذه الأزمان على مدى ألف وأربعمائة عام .

أو لم يقدر هذا الملحد الجديد أن الذى عرض له تعرض لملايين البحوث ولم يقل واحد منهم بما قال لهوان ما قال وضآلته أن يثبت لتفكير على قدر ضئيل من الاستقامة .

ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم هذا علم يقين ٠٠ ومهما يكن مقدار جهلك فأنت تعلم مقدار سخافة الراى الذى سقته ٠٠ وأنت لا شك تقدر مدى الغضب الذى أثرته فى نفوس المسلمين كافة بما تقول ٠٠ وأنت أيضا لا شك أردت أن تثير هذا الغضب بأمل منك سقيم أن تنال به ما تهفو اليه نفسك المريضة الساقطة من شهرة ٠٠ وقسما لن أنيلك ما تصبو اليه من الشهرة المريضة وأنا أكتب هذا الحديث متوجها الى علمائنا الأفاضل ألا يحاول أحد منهم أن يجعل منك صاحب رأى فيناقشه فما تبقى أنت الا أن يناقشك كرام الفقهاء وينزلوا بك سخطهم لتنال به شهرتك ٠

وقد تفضل عالم جليل وتنازل وتناول رأيك بالتفنيد دون أن يذكر اسمك أو اسم مجلتك الحمراء الرعناء ٠ وانى أرى أنك أهون من هذا الذى فعل الشيخ الجليل ٠ وعلى كل حال فحسبك هذا النقاش بل هو فوق الحسب ٠٠ وانى أكاد أثق أن الفقهاء لن يذكروك بعد ذلك أبدا فانهم لا شك ــ أدركوا مقصدك وأنهم من الذكاء واللماحية بحيث يجعلونك تعود من جولتك الملحدة بالخيبة وسوء المآب ٠

ولا شك أنك تعلم أن مثلك لا غفران له عند الله فقد اشركت وما لمشرك غفران ٠ ولو لم تنل الا بعدك عن رحمة لكان هذا فى ذاته أو فى عقاب لو كنت تملك من العقل صبابة ٠٠ ولكن من أين لك بها ؟! وهل لمن يقدم على ما أقدمت عليه أى نصيب من عقل أو احساس أو منطق أو فكر أو خلق ؟

لقد صدمت الشعور العام لكل المسلمين ولو أنك فعلت هذا وقلت شيئا يستحق النقاش لقلنا ملحد ولكنه يحاول أن يفكر ٠ أما أن تصنع هذا من أجل الشهرة وحدها بعد أن أخطأتها فى كل ميدان سعيت اليها فيه فتلك أذن كبرى الكبائر ٠٠ وليكونن عقابك فى الدنيا خزيا وفى الآخرة نارا لا تموت فيها ولا تحيا ٠

ربنا سبحانك وتعاليت وتقدست أسماؤك ٠٠ وما هم الا عبادك وأنت وحدك تعلم الكافر منهم وتعلم من اهتدى ٠٠ وأنت العدل المطلق القاهر على العباد الواحد القيوم الحق ٠٠ سبحانك لا تحاسبنا بما أتى السفهاء منا فانهم يا الله لا يعلمون ٠٠ وأنت وحدك سبحانك من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور تعاليت ٠٠

الأهرام ١٩٨٥/٨/١٨

قصة لم أصنعها

التقى به فى عرض البحر الأبيض المتوسط مرات قليلة كل عام، فمواعيد نزوله الى البحر لا تتفق مع مواعيدى الا فى أيام قلائل · ونتجاذب أطراف الحديث ونحن طافيان على سطح الماء بحركة هينة من الذراعين والساقين ونترك لأمواج البحـــر أن توجه مكاننا حينما يطيب لها أن تتجـــه ·

ويجرى الحديث بيننا هادئا لينا هنيا كأمواج بحيرة أو كأمواج الخليج الهادىء الذى نلتقى فيه · لا نقاش بيننا وانما قصص صنعتها بنا الحياة على مدار العام أو صنعناها نحن فى الحياة والعام أيام طوال ولقاؤنا ساعات قصار تتزاحم الأنباء فيه بغير تحاشد ولا مواثبة وانما القصة تفضى الى القصة والنبأ يسلم الى النبأ وقد نفتتح الحديث بكلمة قرأناها لصحفى فى الصباح · أو لكاتب نشرها منذ قريب وقد تذكرنا الكلمة بقصة حدثت فى نهر العام ونرويها · ومنذ أيام قلائل طلعت علينا صحيفة بكلمة لصحفى دأب على أن يدافع عن فترة بعينها وعن أسرة بذاتها والتزم بهذا الدفاع يسارع اليه سواء دعا الى ذلك داع أو لم يدع وانما هى مهمة وضعها هو على كتفيـه · ولا أظن أنه اختار هـذه المهمة طواعية واختيارا فقد ارتبط اسمه هو وما نال من وظائف فى دنيا الصحافة المصرية وغير المصرية بتلك الفتـــرة وبناســـها · وبمن ينتسب اليها · فالدفاع دفاع عن نفسه وعن المديح الذى كان يكيله بغير حســاب لهذا الزمن ولأعــلامه وأقزامه على الســواء · وأخــونا الصحفى يحسب انه بما يدافع اليوم انما يدفع عن نفسه تهمة النفاق · ويعلم الله أنه أوقع نفسه فى منطقة من الرمال المتحركة الخائنة التى تبتلع الانسان كلما حاول أن يتخلص منها ويزداد الابتلاع كلما ازدادت محاولة التخلص عنفا واصرارا ·

وقال صديق البحر وهو يربت الأمواج بيديه :

هل قرأت ؟

قلت :

ــ نعم قرأت

قـال :

ـ اذن أستطيع أن أروى لك ما حدث لى فى هذا المضمار

قلت :

ـ وهل لنا عمل الا الرواية منك والاستماع منى أو الرواية منى والاستماع منك ؟

قـال :

ـ هذا طبيعى فأسرتك كلها عملها البناء أبا عن جد

قـال :

ـ وهكذا أصبحت مهندسا • وأنا مساهم فى شركة مقاولات

قلت :

ـ وهذا أيضا طبيعى

قـال :

ـ عرفنـا فى الشركة التى أسـاهم فيهـا أن هنـاك عملية انشائية طرحتها شركة أمريكية تكلفتها تتراوح بين أربعة ملايين وخمسة ملايين من الجنيهات وتقدمنا لنقوم بالعملية وتقدمت معنا شركات أخرى منها شركات أفراد وعنها شركات من جملة أفراد • وبعد الفحص جاءت شركتى الأولى بين الشركات الأخرى • ولكننى لم أسارع بقبول العملية • فقد كان من بين الشروط واحد يقضى بان أقدم للشركة خطاب ضمان بعشرة فى المائة من قيمة العملية • وخطابا آخر بخمسة فى المائة من قيمة العملية أيضا • ورأيت أن هذا سيكلفنا مبلغا ضخما من المال لا أحتمله • فذهبت الى الشركة الأمريكية ورجوتها أن تعفينا من بعض هذه المبالغ الضخمة ولكن الشركة رفضت قائلة أن هذا من قانون الشركة ولا يمكن أن يغيروا قانون الشركة •

وبناء عليه رفضوا العطاء الذى تقدمت به وقبلوا العطاء التالى : أتعرف من صاحب العطاء التالى ؟

قلت :

ـ ومن أين لى أن أعرف وأنا لم أعرف كلمة المقاولة الا مما درسته بكلية الحقوق •

قال :

وذكر اسما · لا أستطيع أن أذكره فالحديث بيننا فى البحر ولا دليل معه يقدمه لى ولا دليل عندى أقدمه للقارىء · وهذا كلام اذا لم نشفع فيه الأسماء بالمستندات نكن ظالمين لأنفسنا ولذلك اخترك كلمة « قصة » عنوانا لهذا الكلام لأن القصة قد تصدق وقد تكون تأليفا وخيالا ·

مع أنني واثق كل الثقة من محدثى الذى أعرفه منذ قرابة عشر سنوات لم أجرب عليه الا الصدق والأمانة والشرف · ثم انا رجل خالطت الحياة وعركتنى وعرفت من أخلاق الناس ما ينبغى أن يعرف من عاش حياتى · ومن صناعته فى الحياة كتابة الرواية والمقالات والقصص وهذه صناعة ان لم تكن فيها واسع الخبرة بالناس وبالحياة فلا أمل لك على الاطلاق ان تقدم الى الناس شيئا يستحق الذكر · فالكاتب يقدم الناس الى الناس واذا هم أحسوا أنك لا تعرفهم حق المعرفة انصرفوا عنك كل منصرف ·

فصاحبى صادق لا شك فى صدقه · ولكن الذى أخشاه ألا تصدقه أنت · فمن الخير له الا أذكر اسمه ومن الخير لى الا أذكر أنا الاسم الذى ذكره · فهو اسم لا يجهله أحد فى العالم لا فى مصر وحدها بما ينتسب اليهم من أقوام وبما ذاع عنهم من أحاديث ملأت الدنيا جميعا فى يوم من الأيام ·

أن الاسم الذى ذكره اسم فتى صغير ليس من المفروض ان يكون على أى قدر من الثراء · فطبيعة ما سمعناه عنه تقتضى أن يكون مستورا لا مليونيرا ولو سألناه أو سألنا المدافعين عنه من أين لانهالوا علينا بالأجوبة ولكن المؤكد الذى لا شك فيه أن أحدا لن يصدق حرفا من أجوبتهم ·

واذا شاء محقق صحفى أن يتصل بى ويسألنى عن صاحب الرواية التى سمعتها فى مياه البحر وعن صاحب الاسم الذى ذكره فانا على استعداد أن أذكره بشرط واحد · ان يتعهد المحقق الصحفى بتحرى النبأ وتتبعه وليس فى الأمر سر يخفى ولا سرقة فتستر انما هو عطاء شريف فى عملية مقاولة تقدم من فتى فى أول حياته العملية ففاز بها وكل الذى نبحث عنه هو « من أين » فلا داعى هناك للاخفاء أو التستر · سيجد المحقق الصحفى الطريق أمامه مفتوحا على مصاريعه ميسورا

لســـالكيه مرحبا بمن يسير فيه • وأكمل محدثى فى الماء الحديث فقـــال :

ـ تقدم هذا الشخص الأسطورة الى الشركة وقال لها اذا كان الأول لم يستطع أن يقدم خطابات ضمان بخمس عشرة فى المائة من قيمة المقاولة فهاندا أقدم اليكم خطابات ضمان بثلاثين فى المائة من العملية • ورسا العطاء عليه بطبيعة الحال •

وللقصة بقية لا تخلو من طرافة فقد جمعت مناسبة من مناسبات الأفراح بين أخت محدثى ووالدة الشاب الأسطورة فاذا الأم تقول للأخت ـ فلان بك (محدثى) يدخل فى عطاء مع ابنى فلان (الأسطورة) وعلى ابنى قده • ان ابنى عصـــفورة صـــغيرة لا تحتمل ثروة فلان بك (محدثى) •

وتنتهى القصة وأتساءل • اذا كان وهو عصفورة قدم ثلاثين فى المائة فى حين أن المطلوب خمس عشرة فماذا هو صـــانع حين يصبح نسرا •

قصة أقدمها اليك تقرؤها فى هذا الحر اللافح وهذا اليقظ الشديد وكل رجائى ألا تزيد وطأة الحر عليك • وألا تجعل القيظ غيظا • وقانا الله من الحر والغيظ جميعا أنه سميع مجيب •

١٩٨٥/٨/٢٥ الأهرام

بين القراءة والمشاهدة والاستماع

جاءنى فى البريد هذا الخطاب وقد وجدت فيه فرصة طيبة لأتحدث عن المصير الذى تتعرض له الأعمال الروائية التى تظهر فى كتب ٠ والكاتب كما سيتضح لك أديب ذواقة من الطبقة الأولى مما زاد حماستى أن أبادله الرأى حول موضوع يكثر فيه الحديث ٠ يقول الخطاب المرسل من د٠ أحمد ممدوح عباس مدير المركز الطبى بمنشأة ناصر ما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى أستاذنا الجليل والأديب المبدع ثروت أباظة

تحية طيبة مباركة وبعد :

تلك رسالة أقرب ما تكون الى استغاثة ، حافزى الى كتابتها هى صلتك الحميمة بمن أطلب له الغوث ، انه أديبنا الفذ نجيب محفوظ وروايته الخالدة « ملحمة الحرافيش » ٠

وقد كنت فى حل من الكتابة اليك لولا أنى أتابع اهتمامك بأعمال أستاذنا نجيب محفوظ على صفحات الجرائد مما جعلنى أستشعر تلك الصلة الوطيدة والنادرة التى تربطك به ٠

ولقد سبق لى أن تشرفت بالكتابة اليه وكنت وقتها فى بلد أفريقى بعيد جداً منذ أكثر من ست سنين ، وقد بسطت اليه انطباعى عن « الملحمة » وايحاءاتها والمغزى الكامن فى طيات حكاياتها ، ولدهشتى البالغة أنه تكرم بالرد على بأسرع مما كنت أحلم ،ووافقنى على ما توصلت اليه من فهم لبعض حكاياتها العشر ٠

وقد انتابنى شعور من الاشفاق والألم وأنا أتابع ضياع الاثارة وهم ينبشون أحشاء الملحمة ليخرجوا بها فى أعمال سينمائية فظة وساقطة ، مع أن الملحمة عمل متكامل لو قيض له أحد مخرجينا الملتزمين مثل

صلاح أبو سيف ، لخرج الينا بعمل لا يقل عما نراه من أعمال الأجانب مثل سبارتاكوس والوصايا العشر والرداء وغيرها ٠

ولست أدعى مهنة النقد الأدبى لأنى لا أملك أدواته وكل ما فى الأمر أنى قارىء قد لا يكون من هذا الطراز الذى يقرأ ليتسلى أو ليقتل الوقت، بل ليغوص فى عقل الكاتب وقلبه ليوفيه حقه فى الجهد الذى تكبده لكى ترى أعماله النور وتستقر بين يدى قارئها ٠

فاذا أذنت لى أن أعرض عليك انطباعاتى عن حكايات الملحمة ، فسأحاول أن أوجز بقدر طاقتى حتى لا يضيق صدرك أو يتسلل الملل اليك من أسلوب شخص مثلى لم يكن الأدب حرفته وان كان أعز هواياته ٠

فالملحمة هى سرد لتاريخ حارتنا فى مصر منذ باعث نهضتها محمد على باشا وحتى مقيل عثرتها وكبوتها وماسح عارها محمد أنور السادات ٠

والى هنا ينتهى ما اجتزأته من الخطاب لأن الجزء التالى يكشف رموزا كثيرة من رواية الحرافيش الخالدة ٠ وانى أوافق الدكتور على تفسيراته جميعا وأحبذها الا أننى أفضل ألا أنقل هذه التفسيرات الى القراء حتى تظل الرواية حرة توحى ما تشاء أن توحيه الى كل قارىء على حدة ٠ وحتى يظل كل قارىء أيضا حرا أن يستشف من الرواية المعنى الذى يتفق مع تفكيره هو ومشاعره هو ٠ وهكذا سأنتقل قفزا الى نهاية الخطاب لأتيح لنفسى بعد ذلك أن أعلق على المشكلة الأساسية التى أثارها الدكتور فى رسالته حول عبث السينما بالعمل الروائى لكبار الروائيين ٠٠ يختم الدكتور رسالته بقوله :

وعلى كل حال فليس أمامى شىء أختم به خطابى الا أن أرفع يدى بالرجاء الى الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أصبت فأظفر بحسنتين ، أو أخطأت فأظفر بحسنة وتصويب ، وفى أى الحالتين ، فان وزنك فى ميدان الأدب كفيل بأن يؤهلك للغوث ، لتنقذ بغيرتك على الأدب هذا العمل الرائع من براثين محترفى سير الساقطات ٠

والله من وراء القصد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

القاهرة فى ١٩٨٥/٧/٧ ٠

وهذا الذى أثار الدكتور وجعله يجزع على عمل أدبي ضخم يحترمه الدكتور وهو جدير فعلا بكل اجلال واحترام يشكل سؤالا يواجهنا نحن كتاب الرواية فى كثير من الأحاديث • وأغلب الأمر يأخذ السؤال سمت الاتهام أننا نترك أعمالنا نهبا للتمزيق والتشويه وهى تتحول الى أفلام سينمائية أو تليفزيونية أو اذاعية •

والحقيقة أن اتهام الكتاب جائر كل الجور يحملهم من المسئولية ما هم منه براء •

ولنضرب مثلا لذلك • نفرض أن أستاذنا نجيب تنازل عن رواية لتصبح مسلسلا فى تليفزيون الأردن أو قطر • هل من المفروض أن يسافر وراء روايته ليرى ماذا صنع بها كاتب السيناريو والمنتج والمخرج والممثلون •

واخترت مكان تنفيذ الرواية فى غير مصر على سبيل المثال فلنفترض الآن انها مصر • هل يعقل أحد أن يجلس نجيب محفوظ أو أى كاتب آخر بجانب أعماله وهى تتحول الى سينما أو تليفزيون أو مسرح أو اذاعة • اذن فهو سيتفرغ تفرغا تاما ولن يستطيع مع ذلك أن يلاحق هذه الأعمال •

فاذا نحن تركنا الاستمالة المادية جانبا • واذا نحن أرغمنا الكاتب أن يتفرغ هذا التفرغ فهو اذن محكوم عليه ضمنا الا يكتب شيئا جديدا • ومحكوم عليه حكما لا جدال فيه ألا يقرأ شيئا مطلقا وكاتب لا يقرأ كاتب قضى عليه بالافلاس الذهنى والنفسى فى وقت معا •

هذه واحدة

وأخرى

الرواية فى أغلب أمرها تتكون من محاور عديدة ولكل محور شخوصه وأسسه وأن كانت كل هذه المحاور جميعا تتوجه الى الفكرة الأساسية التى حملت الروائى على كتابة عمله الأدبى •

ولكن القاعدة فى العمل الدرامى أن يدور حول محور واحد •

اختيار هذا المحور من حق كاتب السيناريو أو اذا شئت الحق هو من اختيار المنتج الذى اشترى الرواية • فهو اذن يشتريها لمحور بذاته يرى أنه عائد عليه بالربح الأوفر •

وهكذا ينقلب الفن الى تجارة صريحة واذا لم يقبل الكاتب هذا فقد حكم على كتبه الا تظهر فى أى مجال من مجالات الأعمال الدرامية .

والأعمال الدرامية هامة للكاتب لأنها تخاطب الجمهور غير القارىء وهو الأغلبية الكاثرة من الشعب العربى . وهذا الجمهور غير القارىء يطمح الكاتب أن يجعل من بعضه قارئا فاذا انعدمت الوسيلة فان الكاتب يحاول على الأقل أن يصــل شىء من فكره الى هذه الكتلة الضخمة من غير القارئين حتى لا تظل كتلة صماء ترفض أن تكتسب فكرا فاذا هى على مجتمعها عبء يضر ولا يفيد .

وأخــــرى

الكاتب وحده هو المســئول عن كتابه لا يشــاركه فى مســئوليته انسان فى العالم أجمع . ومن هذه المسئولية عليه أن يتحمل كل نقد يوجه الى ما كتب كما له أن يتقبل فى اطمئنان كل مديح يتجه الى هذا الكتـــاب .

أما الأعمال الدرامية فيشترك فيها أولا المنتج باصراره أن يربح ولهذا لا عجب أن يختار من الروايات الفكرية المعارك الدموية والمواقف المثيرة لكل المشاعر رخيصة كانت هذه المشاعر أو كريمة . ثم يشترك معه كاتب السيناريو الذى يكتب وعينه على المنتج والمخرج معــا فهما يستطيعان بكلمة أن يرفضا ما يكتب ثم يشترك المخرج الذى يعتبر رئيسا فنيا على العمل وهو غالبا أيضا لا ينسى ما ينبغى أن يحققه من كسب للمنتج . ثم يشترك الممثلون كل ممثل بقدر ما يحققه اسمه من بيع فى الشباك وكل ممثل يحب أن يظل شاخصا الى الجمهور وأن يظل الجمهور شاخصا اليه طوال عرض الفيلم .

أين يذهب الكاتب بين هؤلاء جميعــــا ؟ ان الأمر فى الأفلام وفى التليفزيون يصبح غابة تتناولها الرياح من كل جانب .. رياح يجتذبها الربح وأخرى تجتذبها الرغبات الشخصية . وكثيرا ما يكون مصـــدر الرياح جميعا الجهل ومداعبة أحط الغرائز وأبعدها عن كرامة الانسان وقداسة الفكر .

وهكذا لا يجوز أن يتعرف أحد على أدب الكتاب الروائيين من أعمالهم السينمائية والتليفزيونية والمسرحية والاذاعية . والذين يعدون يصرون على ذلك بعيدون كل البعد عن معنى الأدب .

ولكن هل يجوز أن يعلن الكتاب رفضهم أن تقدم أعمالهم فى المجالات الدرامية · اذا قسوت وقلت بهذا الرأى وضربت عرض الأفق بالربح المادى الضئيل اذا قورن بأجر الممثل او المخرج أو بكسب المنتج · فهل ترى أن يترك الروائيون أصحاب الفكر الرفيع الميدان خلوا من أعمال فنية سامقة مثل الحرافيش التى اختارها الدكتور موضوعا لرسالته ·· ما أظن أن أحدا يقبل هذا ·

ولا يسعنا الا أن نردد الأثر المشهور مالا يدرك كله لا يترك كله · وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٥/٩/١

سـياحة من ؟

أكتب هذا من لنـدن قدمت اليها منذ أيام قلائل · مليئة لنـدن باخواننا العرب من كل قطر شقيق أو غير شقيق ·· لا أدرى لماذا أو ربما كنت أدرى كلما سمعت شقيق فى مكان وصفا للعرب يثب الى ذهنى الشقاق لا الأخوة اللصيقة التى اصطنعت لها كلمة شقيق والتى كانت تعنى فى معناها الأصيل الأخ من ادب والأم جميعا لا الأخ من الأب فقط أو الأم وحدها ·

اخواننا العرب على كل حال يملأون لندن فانت فيها تسمع لغتك أكثر مما تسمع لغتها · وقد استطاعت لندن ان تجعلهم يسيرون على نهجها هى · فاذا صدر من أحدهم فعل لا يرتضيه الخلق الأمثل اتجهت عيون شعب بأكمله اليه فما يلبث أن يعرف الجادة ويعود الى الطريق ·

وأنا هنا فى خارج مصر أحس أننى نزلت عن المسرح لأصبح من المشاهدين لبلدنا الحبيب · فانا فى مصر أقف على خشـبة المسرح ولا أستطيع أن أحسن مشاهدة العرض فانا واحد من العاملين فيه ينصرف همى الى الدور الذى ينبغى أن أقوم به وتصبح ملاحظتى للعرض مشوبة بانشغالى بدورى أنا · أما هنا وأنا هنا بلا دور فعيناى وقلبى ومشاعرى كلها الى مصر تقارن فتصرعنى المقارنة وتوشك ان تقتلنى حتى ليعلم الله وحده كم أبذل من الجهد لأضم أصابعى على هذا القلم لاستأنف دورى على مسرح مصر ·

لماذا يتكلم كل انسان فى مصر عن الشعب المصرى وكأنه غير · وكأنه وحدة منفصلة عنه كل الانفصال · كل انسان فى مصر يظن انه فى واد والشعب فى واد · فمتاعب الشعب ليست متاعبه وأفراح الشعب ليست أفراحه · اننى أحس الانجليزية هنا اذا قال الشعب فانما يعنى نفسه · هنا فى أقدم دولة عرفت الديمقراطية وطبقتها · فأنت تجد الشعب هنا هو الذى أراد حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب · وهو يعتبر الحاكمين جزءا منه هو الذى اختارهم وهو الذى أعطاهم سلطتهم وهو الذى يعينهم على ممارسة هذه السلطات فاذا حاولت جماعة ان تقتطع سلطة من هذه السلطات أو تخرج عليها وقف الشعب جميعه فى

مواجهة هذه الجماعة يحاربها بكل ما أوتى من قوة • وما أعظم قوة الشعب اذا عرف الشعب واجباته قبل أن يعرف حقوقه • ولهذا حين حاول العمال فى نقاباتهم أن يعتدوا على سلطة الشعب صاحت تاتشر بشعب انجلترا•• ادركوا انجلترا ان النقابات تريد ان تستولى عليها فانتخبت تاتشر وأعيد انتخابهـا •

فما لنا فى مصر نخاف اللافتات والشـــعارات ولا نراعى العلاج ولا نلتزم الحزم • ومالنا تلتفت آذاننـا الى أصـوات الأقلية الغوغائية ولا نلتفت الى أصوات ضمائرنا والقوانين التى وضعت لحمايتنا من كل العـــاديات •

أرى الانهيار التام فى الموظفين المصريين ولا أسمع عزيف العقاب ينزل ضاريا عادلا على المقصرين منهم •

بما عوقب أولئك الذين لوثوا ماء النيل وجعلوا مشربه أمراضـا • أصاب بنزلة معوية وأسأل الطبيب العالمى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشريف فيقول انه من ماء النيل الذى تشربه فأنا من الذين يشربون ماء النيل الذى كنت أحسب أنه قراح وأنا لا أعقمه ولا أشترى ماء الشرب من مخازن الأدوية وكنت أحسب أن هذا هو الطبيعى وغير هذا تزيد لا داعى له ومبالغة فى الوقاية لا معنى لها •

ماذا صنعنا بهؤلاء الذين لوثوا ماء النيل الذى سارت الركبان بذكره وبالجملة الخالدة التى ماتت اليوم « من شرب من ماء النيل فلابد ان يعود اليه » وكيف يعود وهو يحتاج الى طبيب يعوده هو ليشفيه مما أصابه من ماء النيل •

وأقول للمسئولين ونحن نضعها فى دائرة الاهتمام من هذا الذى يسبح وماء نيلنا العظيم ملوث بالجراثيم •

قبل أن ندعو الناس لزيارتنا لابد أن نهيىء البيت فاذا كان بيتك يشيع المرض فى أصحابه فهو على غير أصحابه أقسى وأشد هولا •

ويزداد الانهيار ويمعن الموظفون فى غيهم فيلوثون البحر ولا يكفيهم ان يلوثوا النهر • ويقول قائلهم ان تيارات مائية أتت بالقـــذر الى الشاطىء •• ماذا ؟ تيارات ماذا ؟ أى خرف هذا الذى يقال لنا ؟! وهل التيارات المائية أمر شاذ فى البحار •• هل هى عارض يأتى فجأة على

غير توقع ولا انتظار ؟! ٠٠ هل هى وباء لا يعتقد أحد أنه سيجىء فاذا هو حال كالقضاء ينزل لا يعرف انسان موقته ولا يدرك انسان موعده ٠

أليست التيارات البحرية علما له علماؤه درسوه فأتقنوا دراسته ثم درسوه لتلاميذهم ٠

ان هذا الذى حدث فى مياه البحر جريمة ارتكبت عن عمد وليست خطأ وان حاول مرتكبوها أن يقولوا انها خطأ وليست عمدا فلا فارق هناك فالقانون يساوى تماما بين الخطأ الجسيم والجريمة التى ارتكبها صاحبها عن عمد ٠ ولئن تكون عمدا خير لصاحبها على الأقل حتى ينفى عن نفسه الجهل الفادح والغفلة ٠

ان حياة انسان فى الدولة المتحضرة أمر جليل تهتز له أركان الدولة جميعا فكيف نسكت على اناس يتلاعبون بحياة أمة بأسرها حين لوثوا ماء الشرب فى النيل ٠

وحياة مدينة بأكملها حين لوثوا ماء البحر فى الاسكندرية ٠

لماذا لم نسمع ان أحدا من هؤلاء رفت وتقدم الى النيابة العامة ولا أقول النيابة الادارية انهم يحاولون ان يقتلوا مصر كلها قتلا وحشيا ويقضوا على سمعتها ويقطعوا عنها السياحة ويشوهوا وجهنا الحضارى الذى صنعته آلاف السنين ٠

ان هيرودوت حين جاء الى مصر قال عنها وهو مندهش « ومن عجب » ان أفراد الشعب المصرى يختلفون عن العيون اذا أرادوا أن يقضوا الحاجة ٠

فهيرودوت المؤرخ لم ير هذا الشىء لا فى وطنه ولا فى أى وطن مر به وهو مؤرخ عصره ٠

هكذا كنا انقياء وهكذا كان حياؤنا قبل أن يعرف العالم النقاء أو الحياء ٠

ماذا يصنع هؤلاء الموظفون بنقائنا وحياتنا وتاريخنا وأجسادنا وكرامتنا ٠

ان دولة لا تعاقب ، دولة لا تستطيع ان تعيش وقد خرجنا من حكم الطغيان الى حكم الشعب والشعب أقوى فى الحق ان كان الطغيان أقوى فى الباطل .

فبالحق ينبغى للشعب أن يعاقب المجرمين فيه ومرة أخرى تجمع القوانين على أنه لا فارق هنـاك فى العقـوبة بين الفعل العمد والخطأ الجسيم .. أدركوا مصر فانها مصر .. كنانة الله فى أرضه .. وهى حياتنا لا حياة لنا بغيرها وهى مثوى آبائنا وأجدادنا ومثوانا من بعد فاجعلوا التراب الذى سنصعد فيه الى السماء طاهرا كما كان دائما أو كما ينبغى أن يظل .. وفقكم الله .

الأهرام ١٩٨٥/٩/٨

لأنهم مصريون

فى يوم ٣٠ اغسطس كتب الأخ الصديق الأستاذ أحمد بهاء الدين مقاله اليومى فى الأهرام قائلا : ألم يستوقف نظر العقيد القذافى أن مئات من حملة شتى الجنسيات العربية مستعدون لبذل أى شىء فى سبيل الحصول على جنسية أى دولة بترولية فى العالم العربى ؟ أغناهم وأثقفهم وأفقرهم على السواء ولكنه لا ينالها منهم الا من يعدون على الأصابع • ألم يستوقف نظر الرئيس القذافى أن عربا آخرين متعلمين ومتخصصين يسعون سعيا مريرا لينالوا جنسيات أخرى من بلاد من نوع آخر أمريكا وكندا واستراليا •

وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الأهداف التى تستحث الانسان الى الهجرة كما ألم الأستاذ بهاء المامة سريعة مبتسرة عن فرص النجاح أمام المهاجرين ثم يقول الأستاذ بهاء •

(ألم يسأل نفسه على ضوء الحقائق لماذا لا يجد تونسيا معدما فقيرا أو مصريا فلاحا بسيطا يقبل التجنس بالجنسية الليبية وهى بلاد بترول ومساحات شاسعة وسكان قليلون وامكانات هائلة وشاطىء طويل جميل معتدل على البحر الأبيض) ثم يقول :

(••• وان الداخل الى الجنسية المعروضة عليه ليس كالطائر المهاجر الى أرض ميعاد ولكن كالداخل فى قفص يتحكم فيه مزاج رجل واحد متقلب المزاج ثم يقول فى آخر المقال (ان تاريخ العالم كله تاريخ هجرات وقتا من الصحراء الى الوديان الى البترول ووقتا من الجليد الى المناطق الدافئة ولكن هذا لم يحدث أبدا بالكرباج) •

والى هنا ينتهى ما أردت التعليق عليه من مقال الأخ الأستاذ أحمد بهاء الدين • وأبدأ باللغة فأسأله أين وجد كلمة أثقف ليستعملها أفعل تفضيل للمثقف فيما أحسب اما أنا فلا أعرفها ولكننى لا أستطيع أن أقطع بأنها خاطئة فقد يكون الأستاذ قد قرأها أو بحث عنها •

وأقف مرة أخرى عند كلمة أرض ميعاد فهو تعبير لم أسمعه من قبل قط • أيكون مقصد الأستاذ أرض المعاد ربما ومرة أخرى ربما كنت أنا المخطىء • ولنترك هذا ولننتقل الى المقال •

وأبدأ فأشكر للأستاذ بهاء الدين اعترافه بأن الكرباج الذى يعنى القهر وأن حكم الرجل الواحد أمران ترفضهما كرامة الانسان وكنت أرجو أن يقف عند كلمة رجل واحد دون أن يشفعها بصفة المتقاب أذن لكان أدنى الى الصواب وأقرب الى الحق • فحكم الرجل الواحد مرفوض على أى لون له والله سبحانه وتعالى يقول « أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » وليست الأمانة الا الاختيار فكيف يسوغ فى الأذهان أن يقبل الانسان الظالم لنفسه فى مقابل حرية الاختيار فكيف ثم ينزع عنى هذه الحرية فرد واحد يختار هو له فان أبى كان السـوط والتشريد والتعذيب والقتل والاعتداء على كل مقدسات الانسان هو الجزاء •

هذه واحـدة •

وأخرى ؟ لماذا يا أخى بهاء تظلم نفسك والشعب الذى ننتمى اليه هذا الظلم البين •

ولماذا قطعت أن المصريين رفضوا الجنسية الليبية لسبب واحد هو ظلم الحاكم الليبى • ومن قال ان المصريين يسعون الى الحصول على جنسيات أخرى عربية كانت تلك الجنسيات أم كانت أمريكية أو أوربية • حنانيك يا أخى حنانيك •

ليست هجرة المصريين الى الخارج تعنى بأى حـال من الأحـوال محاولتهم الحصول على جنسية البلد الذى يهاجرون اليه • فما أحسب العالم عرف أو رأى التاريخ انسانا حريصا على الانتماء الى بلده حرص المصرى على مصريته •• يهاجر المصرى ولكنه يظل مصريا بكل قطرة دم فى عروقه • وما أندر ما سمعنا عن مصرى حاول الحصول على جنسيات أخرى • انما هى حالات فردية لا تقيم قاعدة بقدر ما هى الاستثناء الذى لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه • وهى أيضا الاستثناء الذى يؤكد القاعدة فكلما قل الاستثناء كانت القاعدة أثبت وأرسخ •

وقد رأى المصرى فى وطنه أهوالا شدادا وسنوات عجافا وقهرا وجبروتا ولكنه قط ما ترك مصريته •

رأى الهكسوس ورأى الأتراك واصطلى بحكمهم الغليظ • وعمت بلادنا المجاعات حتى لقد أكل الناس بعضهم البعض • ولكن المصريين ظلوا مصريين • وشهدنا حكم الفرنسيس وظلمهم وقاسينا احتلال الانجليز وغطرستهم وغباءهم • وظل المصريون مصريين •

وحين قست مصر على بنيها فى الزمن الأخير • وحين اعتدى الحكام على الأعراض والأنفس والأموال والثمرات • هاجر المصريون ولكن ظلت عيونهم على مصر • وظلت قلوبهم مغروسة أشجارا لفاء سامقة فى أرض النيل • واكتسبوا المال واشتروا به الأراضى فى مصر وابتنوا لأنفسهم بيوتا فى مصر ولو ساومهم من هاجروا اليهم على مصريتهم لتركوا لهم ما كسبوه بكدهم وكدحهم من مال ومالوا الى مصر المرفأ والمنتج والأمل الأخير • فهى هى عندهم أرضى المعاد الذى اليه العودة ومن ترابه يكون صعودهم الى السماء •

لقد قرأت لا شك يا أخى بهاء ان الوفا مؤلفة من جنسيات أخرى قبلت التجنيس بالجنسية الليبية • ولكن مائة ألف مصرى أبوا جميعا أن ينزلوا عن مصريتهم • وان حرمهم القـذافى مالهم الذى بذلـوا فيه دماءهم •• نعم وان •• وان طردهم •• نعم وان •• وأن هددهم بما يعرفون من قسوة الحاكم الغاشم الظالم الطاغية •• نعم وان •• لان مصريتهم أعز عليهم من عروض الدنيا جميعا ولأن نفوسهم المصرية أقوى يشربون ويسقون أهلهم وذويهم •

مرحبا بالعائدين من ليبيا •• مصريين ذهبوا ومصريين يعودون •• كانوا فى حضن مصر وهم فى ليبيا وهم فى أحضانها وفى حبات العيون وملء القلوب وهم على نيلهم يمرحون وفى وديانه ينتشرون ومن معينه يشربون ويسقون أهلهم وذويهم •

ان كانوا للمال قد خرجوا فهم بما لديهم من سواعد وخبرة واجدون المال بين أهلهم وذويهم •• مباركون هم فى حلهم وترحالهم • مصريون هم أقاموا أم هاجروا • فمصر تعلم أن المهاجرين عنها كل المهاجرين انما هم مصريون بجذورهم ، مصريون ، بدمائهم ، مصريون ، بفروعهم وهل

أدل على ذلك من أنهم يجتمعون هنا فى كل عام يبحثون شئونهم مع أهل مصر لأنهم مصريون ويدبرون أمورهم مع ولاة الأمور فى مصر · لأنهم مصريون ·

لهذا يا أخى بهاء أبى المصريون أن يتركوا مصريتهم · هكذا صنعوا فى ليبيا وهكذا يصنعون فى كل البلاد العربية وهكذا يصنعون أيضا فى الأمريكتين وفى أوربا وفى كندا وفى استراليا وفيما شئت من بلاد العالم أجمع · وهكذا سيظلون الى الأبد الأبيد ·

الأهرام ١٩٨٥/٩/١٥

الغوث يا رحيم السماوات ...

هذا الغلام المفتون المقيم فى ليبيا كارثة تضاف الى كوارث العرب الكبرى . وكم من الكوارث تحيط بالعرب .

يحيط بهم الشقاق والخلاف والاصرار على الخلاف فى جنون أرعن مأفون . ومنهم من يصر على الخلاف رغبة فى الزعامة . وتلك فى ذاتها عجيبة فقد عرفنا الزعامة اجماعا أو اتفاق أغلبية على اختيار شخص للقيادة فهل ترى نجد جديد جعل الزعامة اليوم ايقـاع الخلاف بين المزعومين بعضهم وبعض .

ومن كوارث العرب تلك الحرب الطحون الدائرة فى لبنان أنها كما قال شوقى الخالد قطة تأكل بنيها فى ضراوة قاسية اليمة ولكن يبدو أن حمياً الحرب أشد ضراوة من وحشية الجنون . الا يدرى أولئك المتقاتلون فى لبنان أنهم ما يقتلون الا أنفسهم وما رأينا من قبل قاتلا بغير دافع الى القتل الا الموت فى سبيل الموت المأفون من أجل الفناء . عرب يقتلون عربا واخوة يقتلون اخوة وسوريا تخفى خزيها فى الجولان باشعال نيران القتل والدمار فى لبنان والأحمق المأفون فى ليبيا لا يكتفى بهذا الدمار بل يزيد لنا لهيبا بتصرفاته التى تزيدنا حسرة على العرب وحزنا على حالنا وتزيد الخروق اتساعا وتقطيع أواصر وتمزيق وشائج . ويجد من مصر من يتيح له أن يخطب فينـا ونقرأ ما ينقلون عنه فنجـد المصريين ـ وما أحســبهم كذلك ـ يتعاطفون معه ويتناغمون مع ألحانه المجنونة الحمقاء ويطعنون مصرية المصريين وقومية العرب فى وقت معا ومرة أخرى نذكر قول شوقى :

خطبت فكنت خطبـا لا خطيبـا   أضيف الى مصـائبنا العظـام

فاذا تركنا لبنان وما أكثر ما نحزن من أجل لبنان ولفتنا رؤوسنا الى العراق وايران وجدنا هذه الحرب الضروس تسفك دماء المسلمين وهم فى ايران يشعلونها باسم الاسلام . براء ديننا مما يفترون بل وبراء كل الأديان مما يسفكون من دماء .

واذا نسينا الدماء ـ وما أدرى كيف لنا أن ننسى الدماء ـ وجدنا أموال العرب ترمى فى أنهار الدم ـ ويجتمع على هذا المال جنوب الحرب فى العراق وايران وجهل المخـــابيل ممن يريدون أن يحققوا ذواتهم بالسيارات المجنونة الأثمان أو بالطيارات أو بالقصور التى تثير القرف لا الاعجاب أو الملابس التى ما كانت لتصنع لو لم تكن المصانع تعلم أن هناك مهازيل فارغين سيشترونها لجعلوا منها لجسومهم الجوفاء زينة ، وعلم الله ما هى زينة وانما هى قبح واستهتار وجمود مشـــاعر وعدم احساس بمآسى الانسانية حولهم • ولو أن الدول لم تصب بحرق العراق التى أحرقت فيها حتى اليوم آلاف المليارات من الأموال ولو أن الأفراد الأثرياء كانوا على شيء من الانســـانية والرحمة لتغيير وجه العالم أجمـــع •

وكم تسيل الدموع وهى ترى المال حين جاء الى العرب أصبح حربا ودمارا للعرب أنفسهم وللمسلمين أو أصبح مظهرا تافها حقيرا يثير من النفوس المرارة والأسى والحزن •

وأرقب هذا جميعه وأنا استشفى هنا فى لوزان أحاول أن استجمع فى أسابيع ما شتته العام منى عنتا وعملا ورهقا • فتطلع على جريدة مصرية بحديث عن ناقد مصرى تصـدر التلفزيون المصرى وراح يوجه أسهمه المسمومة التى تعود أن يرمى بها مصريتنا وعروبتنا ولغتنا ومن نجلهم من أشخاص وما نقدسه من أدب عربى رفيع •

وأقرأ أن الناقد قال أنه يخشى أن يعود المسرح الشعرى الى شوقى وعزيز أباظة •

رحماك يابن مصر • وهل ظهر مثل شوقى وعزيز أباظة ؟

رحماك يابن مصر فهل سمعت عمرك أن انسانا يخشى أن يصبح شعره العربى قمة مرة أخرى • أما نحن المصريين الذين لا لغة لهم الا العربية فنتمنى هذا الذى تخشاه • من أعماق نفوسنا نرجوه ويرجوه معنا كل من يحب لغته وأدبه وقومه ومقدساته • ان المسرح الشعرى الحديث الذى مثله الشرقاوى بقوة وعظمة وشموخ والذى تبعه فيه صلاح عبد الصبور بروايات قليلة والذى لم نر منه بعد ذلك الا بدايات تنبىء فى غير وضوح وتبشر فى غير يقين • هذا المسرح الشعرى يقوم على شعر التفعيلة واننا نرحب بهذا الشعر كل الترحيب فى المسرح ولكننا نظل نتمنى أن يعود الشعر الأصيل الى المسرح • والا فهل يحزن الانجليز ان عاد شكسبير أو يحزن الفرنسيون ان عاد لهم راسين •

ولكن لا ملامة على النـــاقد ولا تثريب عليه · وأى معنى عربى لم يحاول أن يمزقه وأى انسان شريف من عظمائنا لم يحاول أن يحطمه أنها سهام يعدها لكل ما هو عربى فى حياتنا ولهذا تعودت هذه السهام أن ترتد اليه لأن لغتنا العربية مصونة بكتاب الله الخالد · وبلسان العرب أجمعين · فان عرتهم اليوم لكنة وأصابتهم عجمة فما هى الا تعبير عن تمزقهم فى داخلهم وحربهم لأنفسهم وقتلهم لبعضهم البعض · ولكنها الغمرات ثم تنجلى والله سبحانه أرحم بعباده أن يتركهم هكذا فى غيهم يعمهون ·

وما بقى لنا الا أن نترقب الغوث من رفيع السماوات سبحانه وأنه لمدركنا برحمته التى وسعت كل شىء تقدست أسماؤه ·

الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٢

العود أحمد

أنا أعيد نفسي للعودة من بلاد الانسان فيها هو أعلى قيمة فى الوجود ٠ وأنا أكتب هذا وأنا فى سويسرا بلاد الجبال والبحيرات ٠ كيف استطاعوا ان يخضعوا الجبال وهى الشاهقة البالغة أعنة السماء للانسان فهي متعته وهى رياضته ونزهته ٠ والبحيرة يركبها ذلولا تشرق للانسان بأجمل ما فيها من وجوه ٠ أبت عليها بظل كثيف أصبحت الجبال الصخرية الصلبة أرضا خصيبة معطاء ٠ وكيف غدا الصحراء الصلب الشديد بيوتا هى زينة ومتعة فى عين الرائين ٠ وهناء ورغدا لعيش الساكنين ٠

وتمشي فى الطرقات فتجد المصاعد الكهربية توفر عليك عناء الصعود أو الهبوط وترى الطريق أمامك يضحك لك يستقبلك ٠ امش باذن الله سليما معافى فلا خوف عليك من عثرة ولا ضير على قدميك من مفاجأة أنت آمن فى خطاك ٠ هادىء سربك فى جنبات المسالك ٠

وكنت قد انتويت ان أعود الى مصر فى آخر هذا الشهر ٠ ولكن فجأة عافت نفسى الحياة فى أكناف لوزان الفيحاء وفى اشراقة الدنيا بها ملت نفسى السعادة فى صباح ومساء ٠ الصباح اشراق لاتلقى فيه الا الوجوه الوضيئة بالأمن الراضية عن العيش ٠ والمساء هدوء وسلام ٠

وتاقت نفسى الى مصر ٠ بكل ما فيهـا من وعثاء الطريق وغابات الأشجان ومتاعب الناس ٠ ونواقص الخدمات ٠

سئمت البلاد التى تعتبر الانسان أغلى عناصر الوجود وسيد هذه الحياة ٠ والح بى الشوق الى مصر بكل مصر ٠ بطرقاتها المخلعة الأرصفة المحفورة المســار ٠ بمائها وما فيه مما ندريه ولا يدريه الا عالم الغيب والشهادة ٠ بشكاوى الناس من قلة الايواء وصعوبة النقلة ووعورة اليوم ، وانكماش الغد وضآلة الرزق ، وغلاء المطالب ٠

وجدت الحنين الى مصر هذه يقتلعنى اقتـلاعا من مقامى بسويسرا ويدفعنى دفعات جائحة الى بلادى فالهناء فى سويسرا ليس هنائى والديار

ليست دياري ، والربوع ليست ربوعي • والنسمة تهفو الى من غزالة بلدتي بجوار الزقازيق أحب الى من كل الجمال في سويسرا ومن كل الهناء في أنحائها ومن كل الطمأنينة في جنباتها فكل هذا مبذول لأصحابه وليس لى وان شملني منه نصيب وأنا بينهم فكما يشمل المضيف ضيفه ببعض الرعاية • والضيف مهما ينل من العناية يظل ضيفا • وشعور الانسان بأنه ليس في بيته يجعله دائما حذرا يترقب يوم عودته الى كسرة بيته وان كان عشا بلا فخامة ، أو كن سقيفة بلا جدران •

وجئت وحمدت العودة وأحسست وأنا هنا أنني في مكاني الذي خلقني الله له وخلقه لى هنا استاف عبير آبائي وأجدادي من تراب مصر وأشم أجمل هواء عرفته في حياتي • هواء مصر • فان حبنا هنا وما مضى من أيامي هنا وما هو في مطوي الغيب قابل هنا مثوى الذين مضوا من أعز الناس علينا ومستقبل نفوسنا ومن هم أغلى من نفوسنا من أبنائنا •

نحن هنا غرس في أرضه ونبات في مكانه • أصل نحن هنا وفروع • وماض نحن هنا وحاضر ومستقبل • نحن هنا نحب هنا بقلوبنا ومشاعرنا ونبضات عروقنا وليس مع هؤلاء منطق الا الحب •

ودخلت الى مكتبي في الأهرام • أعز مكان على نفسي بعد قريتي وبيتي وقرأت بريدي • ورحت أقلب الصحف التي لم تكن تصل الى غربتي • ووجدت مجلة الأهالي في أسبوعها الماضي •

كلما قرأتها تملكني الحيرة

ماذا يقول هؤلاء الناس ؟ وما لهم ينصبون هكذا بعدوانهم الوقح على الحقيقة يريدون ان يدمغوها بالبهتان وما لهم يعترضون الطريق القويم بأسلحة الزور والكذب والتمويه •

في صراعهم مع عبد الرحمن الشرقاوي وليس الشرقاوي بحاجة الى أحد ان يقف الى جانبه فهو وحده قادر وأكثر من قادر ان يمحق حجتهم بقلمه الشامخ الجريء •

والحق في جانبه واضح • وهو ابن مصر لم يتلكأ على أبواب المخابيل من حكام ليبيا ولم يصانع أثرياء البترول بقلمه أو كلمة •

ولم يقل عن أحد انه نبى جاء فى غير موعده لأنه مسلم ويعلم علم يقين أن محمدا عليه صلاة الله وسلامه هو خاتم الأنبياء • وهو قد قرأ تاريخ الأنبياء وعلم أنهم قمم الانسانية وأى قمة أعلى من اختيار رب الناس ملك الناس اله الناس لحمل الرسالة • وهو يعلم كما يعلم كل مؤمن انه لم يحدث ان ظهر نبى مجنون يخرب الأرض حواليه ويحرق الدنيا جميعا فى جنون الزعامة وبمال الشعب الذى فرض عليه حاكما •

ولكن الأهالى تقول انه نبى جاء فى غير موعده • أهم مؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا فى موعدهم حتى يؤمنوا بالنبى الذى جاء فى غير موعده وجعل معجزته محاولته السافلة الحقيرة ان يغير فى القرآن الكريم •

ولم يقل الشرقاوى ان القذافى آخـــر الصقور • ولست أدرى من هؤلاء الصقور السابقون حتى أدرى آخر الصقور الا ان يكونوا يقصدون بقولهم هذا انه آخر الطواغيت الذين يختطفون ما ليس لهم بحق والذين ينهشون لحوم الموتى والذين يأكلون الجيف ان كان هؤلاء هم الصقور الذين يقصدون فاللهم نعم انه صقر • واللهم يا ذا المن سبحانك اجعله آخر الصقور فما أبغض الناس شيئا قدر بغضهم للطواغيت العتاة الظالمين السافكين دم شعوبهم وأهليهم •

أنا اذن لن أقف فى جانب الشرقاوى فهو ليس فى حاجة الى أحد أن يقف الى جانبه بل ربما عارضته أيضا فيما أطلقه من اسم اليسار الوطنى على جماعة بعينها فأنا لا أعرف فى مصر عددا من الناس يمكن انه يكون جماعة اسمها اليسار الوطنى وانما هم أفراد قله مثل الشرقاوى ومحمود توفيق وفتحى غانم وربما تكون هناك بعض أسماء أخرى لا تسعفنى بهـا الذاكرة ولكنهم على آية حال لايكونون جماعة يمكن ان تحمل اسما •

وانما أنا أريد أن أسأل الأهالى وأصحابها ما هجومهم هذا اللئيم الجائع على أنور السادات عملاق الحرب وعملاق السلام • أليس هو من انشأ حزبهم وانشأ مجلتهم واختار من بينهم اثنين جعل منهما وزيرين عاملين • أهذا ذنبه عندهم أم هذا جزاؤه • أم على قلوب أقفالها ؟!

وما قولهم ان الأهرام جريدة حـــكومية • ألا يعرفون أن الأهرام مؤسسة لها من المال ما يستطيع ان يخرج عشر جرائد فى حجم الأهرام بما كسبته من ثقة عند الناس فى مشارق الأرض ومغاربها • فالحكومة اذن لا تدعم الأهرام ولكن فليقولوا لى هم ـ ما داموا ينكرون أنهم يتقاضون

الأموال من الدول الشيوعية ودول اليمين ودول البترول ـ كيف تصدرون أنتم ومن أى الموارد تنفقون على مجلاتكم ان اشتراكات أعضائكم كلها فى عام بأكمله اذا كانوا يسددونها لاتكفى لاصدار عدد واحد من مجلة واحدة من مجلاتكم ٠

اذن فأنتم تصدرون بدعم من الحكومة ٠٠ منه الدعم الظاهر الذى قرره لكم السادات ومنه الدعم الباطن المتمثل فى اعلانات الوزارات والقطاع العام ٠ فان القطاع الخاص لا يمكن أن يعلن عندكم ٠ وكيف يعلن ويقدم مالا لاعلان فى جريدة لا يقرأها الا المئات مشتتين فى أنحاء مصر ٠

أنتم اذن الجريدة الحكومية أما الأهرام فانه الأهرام وأنتم تعرفون وان رغمت أنوفكم ما معنى كلمة جريدة الأهرام فى الآذان وفى النفوس وفى أنحاء العالم أجمع ٠

قرأت الأهالى عند عودتى لمصر وحزنت ان بين ربوع مصر أمثال هؤلاء ولكن مالى لا أقول مع المتنبى ٠

فان يكن الفعل الذى ساء واحدا
فافعالك اللائى سررن ألوف

الأهرام ١٩٨٥/٩/٢٩

اليوم عيد العرب

مثل هذا اليوم منذ اثنى عشر عاما قاد الجيش المصرى باسم العروبة بطل فرد فى تاريخ العالم العربى الحديث هو أنور السادات • وحطم بما فعل وبما فعل جيشه كل الأساطير من حقائق وأباطيل • وكان الطنين يملأ أرجاء الدنيا ان الحرب مع اسرائيل حرب مع الأقدار محتومة الهزيمة• وكان الكهنوت الأعظم لهزيمة سبعة وستين يملأ الدنيا بمقالاته التى يدعى أنه يعتمد فيها على العلم بالحقائق ما ظهر منها وما خفى وما لا يعلمه الا الله والنادرون المختارون من عباده وقد وكان يعتبر نفسه دائما على رأس هؤلاء النادرين المختارين بما عرفه من رؤساء وملوك وقادة وغطارفة أموال وأرباب سياسة وآلهة حروب •

وكان بكل هذا يقول ان الماء والنار والجبال والصواريخ التى لم تشهدها البشرية والطائرات التى لا تعرفها سماوات الشرق الأوسط والدبابات التى لم يعهد لها أحد مثيلا والمشاعل التى تحرق الماء والسيول التى تجرف الجبال كل هذا فى انتظار الجيش المصرى اذا هو فكر فى الحرب •

ونحن المصريين ظللنا السنوات الطوال نترقب مصائرنا ونتحسس ما يبيته لنا حكم الفرد من قرارات وأحكام وقوانين مما يكتبه الكاهن الأعظم فلم يكن عجيبا أن يرى الكتاب وأنا منهم أن الوعد بالحرب وعد مخلوف وكلمة للتسكين لا للتنفيذ • وقدمنا نحن الكتاب بيانا نقول فيه ما معناه أما الحرب فلا سبيل اليها • فاعطونا حريتنا عسى أن تحل الكلمة الحرة محل القنبلة التى لانتوقع لها أن تنطلق •

وغضب السادات يومذاك ـ رحمه الله فى الصديقين والشهداء ـ ولو علم أننا حين كتبنا ما كتبنا كنا فى حال من اليأس شديد ومتى يمكن ان يكون اليأس قاطعا اذا لم يتملك نفوسنا ونحن نقرأ ما نقرأ • ولو علم السادات أن الدافع الأول الذى حملنا على كتابة ماكتبنا هو ذلك اليأس القاطع ما غضب •

رحم الله أنور السادات في الخالدين · لم يحبس الذين غضب عليهم لم يأمر بهم ليقتلوا وانما كل ما فعله أن شطب أسماءنا من الاتحاد الاشتراكى وأنا لم أكن فى حياتى عضوا فى الاتحاد الاشتراكى فالعقوبة بالنسبة لى كانت مستحيلة التنفيذ شأنها شأن الجريمة المستحيلة التى نتكلم عنها القوانين الجنائية · ولكن هذا الشطب كان الأثر الحقيقى له أن منعت أسماؤنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وأنا من النشر بالجرائد أو الذكر فى الاذاعة أو التليفزيون · عقوبة بالنسبة لأمثالنا هينة الأثر ضئيلة الشأن وأنا اليوم التمس له فيها العذر فقد كان الرجل يعد لحرب فعلا فماله ألا يمنع أسماءنا والمقصود من أسمائنا منعنا من الكتابة حتى لا نصب بأسنا فى قلوب قرائنا من القوات المسلحة الذين هم أمله فى الغد الذي يعد له·وأنا اليوم التمس له العذر كل العذر فيما فعل·كما أعرف اننا كنا على حق فيما كتبنا من بيان · كنا جميعا على حق · نحن كتبنا البيان حين طالعنا اليأس من الكاهن الأعظم لكتـــاب الدولة · وغضب السادات لأنه كان يعد للحرب فعلا وفى خفاء وتستر عظيم حتى ان الكاهن الأعظم نفسه فوجىء بالحرب كما فوجىء بسائر البشر ·

وقبل الحرب بأيام أعلن السادات فى التليفزيون انه يرفع العزل عن جميع الكتاب · وكان هذا الاعلان حريا ان يفهمه العدو لو كان على هذا القدر من الذكاء الذى يتغنى به المتحمسون له · ما كان أجدرهم ان يعرفوا ان رفع العزل هذا كان اشارة من السادات العبقرى انه تخطى مرحلة القول واصبح فى مرحلة التنفيذ · وما هى الا أيام قلائل حتى وقعت الواقعــة وحلت باسرائيل الكارثة التى لم تشهد لها مثيلا فى كل سنوات اغتصابها للأرض العربية ·

ولم يكتف السادات بذلك بل انه شق التاريخ وأمواج الصخب الهازلة وميدان الأقوال الضخمة بلا عمل والهتافات الصارخة بلا فعل والبطولات العنترية بلا سيف من عنتر أو حصانه · وذهب الى القدس وفتح الباب للعرب أجمعين ان يفاوضوا كما فاوض ويستردوا حقوقهم كما استرد ولكنهم بدلا من هذا ثاروا عليه ورموه بالخيانة ولعمر أبيهم كيف يخون من يضع رأسه على كفه ويقول لا اله الا الله ، وكيف يخون ويفقد أخاه · وكيف يخون وينتصر · وكيف يخون ويسـترد لوطنـه الجزء الضـــائع من وطنه · وكيف يخون من يعمل فى رائعة النهار لا متخفيا ولا متسترا بليل ولا قائلا فى المساء غير ما يفعله فى الصباح ·

اللهم سبحانك ها هم أولئك يحاولون أن يخونوا كما خان ويفاوضوا كما فاوض وينالوا بعضا مما ناله فتلتوى بهـم الطرق وتتقطع دونهـم

المسالك · ولكن الهتافات والصراخ والعنتريات الكاذبة والبطولات اللفظية كل هذا على حاله لم يتغير ·

وبيننا وفى ربوع مصر التى استعادت كرامتها التى ديست فى ٦٧ بحرب ٧٣ فى ربوعنا نحن من يجعل مدح السادات جريمة لا تغتفر واثما لا يمحى · وعلى رأس هؤلاء الشيوعيون الذى انشأ السادات حزبهم وجريدتهم · وكم أتمنى ان يقولوا ولو لمرة واحدة كلمة حق فيذكروا لنا الى أى حال كانت ستصبح مصر لولا السادات الخالد ·

فكروا قليلا ثم أجيبوا · اما كان من الطبيعى أن تهاجمنا اسرائيل بعد حرب ٧٣ لتنال ثأرها · وكيف يسوغ فى الأذهان ان اسرائيل كانت ستسكت بعد حرب هى منهزمة فيها وهى لا تعيش فى المنطقة الا بقوة السلاح · وأقرب دليل على سلامة هذا التوقع أنها تحارب الآن فى تونس ولبنان فهى تريد بكل الوسائل ان تجعل العرب يعرفون ان الهزيمة لم تردعها · ولولا السلام الذى فرضه عليهم السادات لكانت الحرب مع مصر وفى شوارع القاهرة · ولكنها اليوم عاجزة يتخطفها الغيظ فهو سلام ضمنته ووقعت عليه أكبر دولة فى العالم أو فى التاريخ اذا شئت · وهذه الدولة هى فى نفس الوقت مصدر رزق اسرائيل وملاذها وملجؤها ·

فليقل لنا الشيوعيون ماذا كانوا يريدون من السادات · وماذا كان يمكن ان يقدم لمصر أكثر مما قدم · رحمه الله فى الخالدين ·

ومجلاتهم هذه أليست لفئة من السادات وعلم الله أنهم فيها لا يقولون الا الكذب والبهتان · وعلم الله أنهم فيها يتاجرون بالألفاظ ولا يلتزمون بما يقولون وأقرب دليل على ذلك أن المحررين عندهم جميعا وبغير استثناء محررون فى جرائد قومية يقبضون حتى اليوم مرتباتهم وعلاواتهم وحوافزهم من الجرائد القومية دون ان يقدموا لها أى عمل ·· الا يدركون انهم بذلك يأكلون من عرق الكادحين العاملين فى هذه الصحف القومية ولا يقدمون أى مقابل فى نظير المرتبات التى يقبضونها كل الشهر · أهذه هى النظرية الماركسية كسب بلا عمل وقبض بلا جهد · ألا يدركون أنهم بذلك يقدمون صورة لأسوأ صور الرأسمالية · ولكن لتذهب كل النظريات الى الجحيم ماداموا هم يقبضون ·

وليهاجموا السادات ماداموا هم يقبضون ·

وليهادنوا أعداء مصر والمتحرشين بها ماداموا هم يقبضون ٠

وليتمدحوا ويتغنوا بالقذافى الذى طرد عمال مصر الكادحين والذى استلب ما جمعوه من كدحهم وكدهم وليجعلوا منه النبى الضائع فى الزمن والصقر الأخير ماداموا هم يقبضون ٠

واذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ٠ انا لله وانا اليه راجعون ٠

الأهرام ١٩٨٥/١٠/٦

يفتقد البدر

اننا فى هذه الأيام نحتفل بذكرى الشاعر الاول فى الأدب العربى أحمد شوقى • وقد لقى شوقى من الهجوم فى حياته وبعد وفاته ما يضيق به أولو الصبر والأناة • وكان ـ رحمه الله فيما سمعت ـ يضيق بالنقد ولكن شيئا لم يستطع ان يرده عن الابداع الشعرى الذى جلس به متفردا على امارة الشعر فى عصره وفيما سبقه من عصور وأحسب انه سيظل متسنما هذه القمة الى أجيال كثيرة قادمة • ولا شك أنه سيتعرض فى قابل الأيام لما تعرض له فى ماضيها من تطاول •

ولعل أصدق دليل على توقعى ماحدث فى التليفزيون المصرى منذ قريب حين تصدر التليفزيون المصرى ناقد مصرى الجنسية والمولد ولا أقول الاسم ، أجنبى الثقافة والانتماء ولا أقول الهوى ، وحذر أن نعود الى عصر شوقى وعزيز أباظة فى المسرحية الشعرية • وكأنى به وجد من يستطيع البلوغ الى هذه القمة ولم يبق الا ان يحذره من بلوغها •

ولكن ما شأن الأجانب الغربيين بالشعر العربى • ان هذا الناقد يحرص على هدم الأدب العربى الخالص منذ هو فى أول حياته يتسلق ما يجد ليبلغ الشهرة ولكنه أخطأ السلم فتسلق سلما انجليزيا تارة وفرنسيا تارة وشيوعيا دائما فلا هو أصبح أديبا عربيا فى المكانة الجديرة بنسبه ولا أصبح أديبا فرنسيا ولا هو أصبح أديبا انجليزيا وان ظل على الدوام شيوعيا وحربا على اللغة العربية وهو بحربه لها يحارب معنى أكبر أكبر ان أصرح به مادام هو مصرا ان يتكتمه تكتما فاشلا فما من أحد يعرفه أو يقرأ له الا وهو يعرف ما يضمر وما يحاول ان يستره • والله من فوق عباده غالب على أمره •

وقالوا عن شوقى شاعر الأمير وقال هو عن نفسه :

شاعر الأمير وما   بالقليل ذا اللقب

ولكن شاعر الأمير هذا لم يسكت يوما على باطل ولا بارك يوما رأيا لا يدين به بل هو يصرخ فى قصيدته الرائعة « الهلال » :

سنون تمر ودهر يعيد — لعمرك ما فى الليالى جديد
أضاء لآدم هذا الهلال — فكيف تقول الهلال الوليد
على صفحتيه حديث القرى — وأيام عاد ودنيا ثمود
وطيبة حافلة بالملوك — وطيبة مقفرة بالصعيد
نعد عليه الزمان القريب — ويحصى عليه الزمان البعيد
يقولون يا عام قد عدت لى — فيا ليت شعرى بماذا تعود
لقد كنت لى أمس ما لم أرد — فهل أنت لى اليوم ما لا أريد
ظمئت ومثلى بزى أحق — كأنى حسين ودهرى يزيد
ومن صاحب الدهر صحبى له — شكا فى الثلاثين شكوى لبيد
وانى نواسى هذا الزمان — فمن للزمان يأذن الرشيد

فهو اذن يهاجم الأمير ويرميه بأنه لا يقدر شاعره حق قدره ، وهذا الشاعر الذى اطلقوا عليه شاعر الأمير ثم نصبه شعراء العروبة جميعا أمير الشعراء نال هذين اللقبين تمجيداً وفخرا • وكلا اللقبين كان يتمنى شعراء جيله ان يفوزوا بواحد منهما ولكن سعيهم أكدى وصدق عليهم قول شوقى :

قسما لو قدروا ما احتشموا — لا يعف الناس الا عاجزين

ذكرت شوقى اليوم واسرائيل تعربد فى العالم العربى كعاهرة ساقطة النقاب معدومة الحياء • وذكرت شوقى وأنا أرى أمريكا أكبر دولة فى العالم تبارك فجور اسرائيل وتحطيمها لكل سلام مرتقب مع العرب • وتولت القلب حسرة لاعجة بل حسرات اسرائيل تهزأ بكل الأعراف الدولية والخلقية وتصنع ما لا تصنعه دولة بل ومالايجوز أن تصنعه الجماعات الفلسطينية • ولكن اذا غفرنا للمظلوم المشرد أن يضرب ضربات رعناء غير واعية فكيف نسيغ ان تصنع دولة لها وزارة وكنيست ورأى عام أن تفعل فعل الجماعات التى شردتها هى •

ونرى أمريكا التى ينبغى ان تكون فى مكان الدولة الكبرى التى تردع مخلوقتها اسرائيل اذا هى سكرت وتخدرت وعربدت تبارك ذلك الهوس الدموى الآثم المجرم الذى تقوم به اسرائيل وأرى هذا وأنظر الى العرب • فأرى سوريا تصنع فى شقيقتها لبنان ما تصنعه اسرائيل فى أعدائها من الفدائيين وأرى سوريا أيضا تنقض انقضاض الوحوش

المسعورة على الفدائيين أيضا وكأنهم ما كفاهم ان استلبت منهم اسرائيل ارضهم وأمنهم ومأواهم . وكأنهم ما كفاهم تلك الأعمال الاجراميه التى تصبها عليهم اسرائيل فى غير حجل أو نفكير فى الرأى العام العالمى . كأن سوريا ما كفاها هذا جميعا فهى تطحن الفدائيين طحنا أخرق مأفونا حتى لا يسعنا الا ان نقطع بانها على اتفاق تام مع اسرائيل وما لنا ان نظن هذا والعالم كله يتكلم عن بيع سوريا أرضها فى الجولان لدوله اسرائيل التى ضمتها الى أقاليمها .

علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا تقطع الدول صاحبة الثراء والقدرة المالية الباذخة صامتة ساكنـة مكتفية أنها قطعت علاقتها بمصر وكأن مصر هى التى تعربد فى تونس ولبنان ولا نقطع الدول العربية علاقاتها بسوريا التى حاربت الفدائيين بأشد مما تحاربهم اسرائيل ولكنها دول تخشى التخريب السورى وتعلم أن مصر محكومة اليوم حكما ديمقراطيا وانها سلام حيث حلت . أمن حيث ذهبت وأنها من قبل ومن بعد تنظر الى كل الدول العربية الأخرى نظرتها الى الأخوة الصغار وشأن الكبير أن يعفو ويتسامح ويعف ويتعالى فى كبرياء ويصدق علينـــا قول الشاعر العربى القديم :

وان الذى بينى وبين بنى أبى — وبـين بنى عمى لمختلف جـــدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم — وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانمـــا — ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم — فليس كبير القوم من يحمل الحقد

أذكر هذا جميعه فى ذكرى مولد شوقى وفى ذكرى وفاته فاليومان متوافقان . وأتساءل هل كان شعر شوقى يستطيع اليوم أن يوقظ فى العرب عروبتهم ويردهم الى ضـــمائرهم ويعيدهم الى الطريق . فيقول لهم ما قاله فى رثاء الخلافة . لأحسب انه كان سيسمى القصيدة فى رثاء العروبة . فهى اليوم هى القتيل :

عادت أغانى العرس رجع نـواح — ونعيت بـين معـالم الأفراح
كفنت فى ليـل الزفاف بثوبه — ودفنت عنـد تبلـج الأصـباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك — فى كل ناحية وسكرة صـاح
ضــجت عليك مآذن ومنابـر — وبكـت عليك ممالك ونـواح
الهنـد والهـــة ومصر حزينـــة — تبكى عليك بمدمع ســـحاح

والشام تسأل والعراق وفارس   أمحا من أرض العروبة مــاح ؟

وطبعا أبدلت كلمة الخلافة بكلمة العـــروبة وأمضى فى قصــيدة شــــوقى :

يــا للرجــال لحـــرة موءودة   قتلت بغير جريرة وجنـــاح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخـــرهم   موشـــــية بمواهب الفتــاح
نزعوا عن الأعنـــاق خير قلادة   ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
وعلاقة فصمت عـرى أسبابها   كانت أبــر علائــق الأرواح

كان شوقى خليقا أن يقول مثل هذا وأكثر حين يرى حال العرب اليوم ولكن ·· كم تخادع نفســـها النفس · أو مثـل هؤلاء الباحثين عن متعتهم كانوا سيلبون دعوة شوقى هيهات · ان كانوا قد عزفوا عن دعوة الله لهم بالوحدة أيلبون دعوة انسان مهما يكن أمير الشعراء ·

اللهم انك قد فرضت علينا الحج ليكون للمسلمين وحـدة ورباطا واجتماعا فاللهم فشأنك اليوم مع عبادك الذين صاروا فرقا وشيعا وأحزابا وليس لهم من دينك عاصم ولا من نفوسهم عصـــام وحسبنا أنت فأنت وحدك نعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٥/١٠/١٣

ماذا فعلتم بأبيكم ؟

أشاهد فى هذه الأيام رواية زينب التى ألفها فى أوائل هذا القرن أبو الرواية المصرية الدكتور محمد حسين هيكل باشا · وهكذا تعتبر هذه الرواية تراثا أدبيا بدأت به الرواية المصرية مسيرتها حتى بلغت اليوم ما بلغته ·

وقد قدمت هذه الرواية فى السينما المصرية وهى صامتة ثم قدمت فى أول الخمسينيات ناطقة · ولا أعرف شخصا ذا اهتمام بالأدب عامة وبالقصة خاصة لم يقرأ هذه الرواية ويستمتع بها ·

وحين ألف الدكتور هيكل باشا هذه الرواية كان المذهب السائد فى الأدب الغربى هو المذهب الرومانسى · فالرواية رومانسية ناعمة تصور الريف المصرى الطيب وترسم الحب الصادق الذى يصطدم مع الظروف والتقاليد الريفية التى لم تكن حتى ذلك الحين تعترف بالحب ·

وجمال هذه الرواية ان تبقى كما هى تمثل بداية الرواية المصرية وتمثل الريف المصرى الناعم الهنيء السلس المجرى الصافى النمير الطيب القلب ، وقد كان من المستحيل فى تلك الأيام ان يحاول أى فرد أو أى حب مصارعة التقاليد الريفية أو الوقوف فى تيـارها الذى ينزل فى نفوس الفلاحين منزلة العقيدة أو قريبا من منزلها قربا يجعلها تختلط بالايمـان وبالدين ·

فرواية زينب اذن لم تكن صراعا طبقيا · ولا كانت هناك طبقات فى ذلك الحين بل كان الجميع فى بوتقـة واحدة يأخذ القوى منهم بيـد الضعيف والصحيح منهم بيد المريض · وكانت أجواء القرية كلهـا حبا خالصا وأخـوة وتكافلا ولم يكن قد ظهر فى أفقهـا من يثير قوما على قوم ولا طبقة على طبقة مازال الريف حتى يومنـا هذا وبعد كل المحاولات العنيفة التى بذلت للتفرقة بين أبنائه مازال حتى اليوم لا يعرف الطبقات ولا يطيق الشيوعية ولا يقبل الكراهية وحياة له أو ديدنا أو شعورا ·

وربما عرف الصعيد الثار وهذا جانب بعيد كل البعد عن سـائر ما يعرفه الريف من أخوة وصداقة وحب فالمكان يجمعهم وما يصيب الفرد منهم يصيب الجميع ·

في هذه الأجواء الصافية الشفيفة كتب هيكل باشا زينب . فبالله عليكم يا من كتبتم زينب الجديدة ماذا فعلتم بأبيكم ؟

ما هذا الحقد وتلك الكراهية وذلك السواد القاتم وهذه السخيمة المقيتة التي طمستم بها معالم الرواية ومن أين أتيتم بهذه الشخصيات الحقيرة النفس الوضيعة الأهداف الرخيصة التصرف ؟

هل تتصورون انكم مادمتم قد أنعمتم برتبة الباشوية على شخصية روائية لابد أن تنعموا عليها مع الرتبة بالسفالة والانحطاط والجشع والتآمر والسعار وجمود الحس وانعدام المشاعر هيهات .. قد جهلتم وانى سأذكر هنا أسماء باشاوات وأرجو أن أعرف رأيكم فيهم ما رأيكم في أحمد عرابي باشا وشريف باشا ومحمود باشا سليمان الذي رفض الملك قبل تولية السلطان حسين والذي جمع الأحزاب في داره وأزال ما بينهم من خلافات ود . محمد حسين هيكل باشا ود . مشرفة باشا ود . شوشة باشا وعشماوي باشا . ود . علي ابراهيم باشا عميد الجراحة ود . المنياوي باشا الجراح . ود . ابراهيم شوقي باشا عميد طب الأطفال ود . عبد الوهاب مورو باشا الجراح الشهير . ولطفي السيد باشا ود . عبد الحميد بدوي باشا رئيس محكمة العدل الدولية وعبد الرازق السنهوري باشا وعبد الخالق حسونة باشا أمين عام الجامعة العربية وسابا حبشي باشا ، وأحمد مصطفى باشا المستشار ومحمد صفوت باشا المستشار . هذه الأسماء أوردتها من الذاكرة وقصدت ان أتجنب ذكر جميع الباشاوات الذين لم يكن لهم شهرة الا في العمل السياسي ففي ميدان السياسة يختلف الرأي حول رجالاتها وأنا انما أريد أن أقدم أسماء لم يختلف حولها رأيان ولو أنك أمعنت النظر في شأن هؤلاء الباشوات لتبينت حقيقة يريد المؤلفون ان يخفوها عن عمد مزيف مزور سيء القصد فهم حين يكتبون عن الباشوات لابد أن يجعلوهم جميعا أثرياء ثراء فاحشا ويستخدمون ثرائهم في غرض واحد هو الاساءة الى خلق الله لوجه الشيطان وحده ما أجهلكم بعظمائكم .

أكان عرابي ثريا أم مصطفى كامل أم هيكل أم طه حسين أم منصور فهمي أم مشرفة أم كل هؤلاء ؟ هذا اذا كان الثراء جريمة وانما لا غفران له هذا هذر قابلناه في فترة سوداء من تاريخ أدبنا ولكن أعتقد ان هذه النغمة أصبحت نكراء كاذبة تشوه وجه مصر وعظماءها بغير كسب أدبي أو وطني أو سياسي .

وبعد فماذا صنعتم بأبيكم ومن اذن لكم أن تشوهوا الرواية الأم فى الأدب العربى هذا التشويه المريع ؟ لقد مزقتم رواية زينب شر تمزيق ولقد ضحكنا منكم ضحكات مريرة وأنتم تدخلون شخصية لطفى السيد فى الرواية والمؤلف برىء من ذلك كل البراءة فلطفى السيد باشا كان بمثابة خاله وأستاذه وما يتصور الدكتور هيكل باشا ان يجعل منه شخصية روائية ولقد ضحكنا ضحكنا على شر البلية وأنتم تحاولون ان تجعلوا من ابن الباشا شخصية موازية للدكتور هيكل من قال لكم أن هيكل باشا كان شيوعيا مثل هذا الفتى الذى وسمتموه والذى مثله بكل أسف ممثل أحبه وأعجب به وأشعر انه قادر على تقريب الناس اليه ومن هذه الفتاة فى الخمار الأسود الحزينة المكشرة عن أنيابها المتحفزة كنمرة شرسة كذئبة أهذه زينب شخصية هيكل باشا أم هى زينب بتروفيسكى أم ساشا المصرية ومن هؤلاء الشخوص جميعا من هذا الفتى الحاقد الملىء بالشر أهذا ابراهيم الذى رسمه هيكل نسمة من هوى وخلجة من فؤاد محب وأنشودة من الصفاء ومن الصفاء ومن هؤلاء ومن هؤلاء ومن أولئك الأمهات ومن هذا العمدة وما هذا الهواء ؟

فى هذه الرواية التى تدعون انها زينب كل الشخصيات المفتعلة متهرئة منهارة غير متكاملة ٠

ولكم كتبت أن كاتب السيناريو له رؤيته الخاصة ٠ وكم غير كتاب سيناريو من روايات لى فما غضبت لأنهم أبقوا الفكر الأساسى الذى كتبت له الرواية ٠

أما هذا الذى صنعتم بزينب فعجيبة من عجائب الدهر ٠ هو تمزيق استحياء وهو اعتداء لا تطور وقتل لا احياء ٠ ولكن زينب هيكل ستخلد الى الأبد لأنها فى كتاب ٠

واننى أحذر المشاهدين أن يظنوا ان هذا الذى شاهدوه له صلة بزينب هيكل أول رواية فى تاريخ الأدب العربى واذا كانوا يريدون ان يعرفوا زينب فليقرءوها فى كتاب أو يشاهدوا أحد الفيلمين السينمائيين اللذين ظهرا عنها ٠

أما هذا الذى يصنعه التيلفزيون فليس زينب من قريب أو من بعيد ٠

ياكاتب السيناريو ان كنت أنت الكاتب الذى أعرفه فقد أذهلتنى فأنا أعرفك كاتبا قديرا وأعرفك أيضا مخرجـــا مجيدا • فما هذا الذى تصـــــنع ؟

ياسيدى الأستاذ رواية زينب ظهرت فى مصر ولم تظهر فى الاتحاد السوفيتى ورواية زينب رومانسية وليست بأى حال من الأحوال ولن تكون رواية شيوعية كما صنعتها والعجيب أننى أعرف عنك أنك أبعد ما تكون عن الشيوعية والمخرج زميل العمر الذى أخرج المسلسل أبعد ما يكون عن الشيوعية فما هذا الذى تصنعان ؟

احسب أنكما معذوران لقد تمكن الشيوعيون ان يجعلوا كاتبا حرا ومخرجا عميق الديمقراطية يقلبان زينب التى ألفها الدكتور محمد حسين هيكل باشا رواية شيوعية والأمر من قبل ومن بعد للواحد القهار •

الأهرام ٢٠/١٠/١٩٨٥ م

خطـاب وتعليـق

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ أحمد محمد حسين هيكل المحامى ونجل أستاذنا المغفور له الدكتور هيكل باشا وانى أنشر الخطاب وأعلق عليـــه :

أخى ثروت لعلك بمقالك اليوم عن زينب المزعومة عبرت عما كان يجيش بصدرى وصدر كل الذين شاهدوا هذا التزييف الذى تعرضت له أو لقصة فى الأدب المصرى الحديث · وأقول التزييف لأنه ما من شخصية من شخصياتها تمت بصلة حقيقية لأصلها فى الرواية الأم كما سميتها ، وما من معنى من المعانى التى عبرت عنها تلك الشخصيات المزيفة تمت الى المعانى التى عبرت عنها شخصيات الرواية الحقيقية بصلة أو سبب واذا كان مثل ذلك يحدث فى شأن زينب وهى القصة التى قرأها الملايين فى أصلها المكتوب وشاهدتها ملايين أخرى على شـــاشة السينما ، واحتلت مما كتب النقاد والدارسون آلاف الصفحات ، فما بالك بما يمكن أن يحدث لروايات لم تتح لها مثل هذه المكانة !! يا حسرة على ما يصنعه التليفزيون بأدبنـــا كله ·

وما أظن صاحب زينب الحقيقية ليرضى عن هذا الذى يفعله التليفزيون بالأعمال الأدبية ، وما أظن أننا ــ وقد تحملنا أمانة حفظ تراثه وسنحمل هذه الأمانة الى النهاية ــ لنقبل ان نبقى مكتوفى الأيدى تجاه هذا العبث · ولو أن التليفزيون يريد ــ كدأبه ــ ارضاء ميول جمهور المشاهدين فلعله خانه التوفيق هذه المرة كما خانه من قبل فى أعمال أخرى رغم النقد الكثير الذى وجه اليه حينئذ · وما اخراج التليفزيون لحياة العقاد ببعيد · ولكن أحدا لايتعلم الدرس ولايعيه · على ان الذى لايمكن القبول به تحت أى ظرف من الظروف هو ان يتم ذلك على حســـاب خير ما فى فكرنا وأدبنا الحديث من أعمال كبرى نعتز بها و يفخر بها الوطن ·

ومسئوليتنا الأدبية والوطنية تقتضينا أن نحول دون أن يشــوه العابثون تراثنا · ومن هنا فانى أناشدك عرض الأمر بصـــفة عاجلة على مجلس ادارة اتحاد الكتاب ليرى فى الأمر رأيه وليصل من ذلك الى ما يكفل

حماية أعمالنا الأدبية الرفيعة من عبث العابثين • هذا هو الجانب العام في الموضوع • أما عن مسئوليتى الخاصة فأود أن أبلغك أن هذا الذى حدث لم نأذن به ولأجرى اتفاق بشأنه مع التليفزيون وسيكون له حديث آخر بيننا وبينه بالطريق الذى رسمه القانون ودمت لأخيك •

أنا أعرف يا أخى أحمد مقدار الألم الذى تعرضت له وأنت تشاهد رواية أبيك الخالدة تتحول الى رواية أخرى لا صلة لها بها • وأعرف أيضا الأسى الذى تعرض له أخوتك وأخوتى وهم يشاهدون رائعة أبيهم يمثل بها بدلا من ان تمثل ونحمد الله أنه أكرم المؤلف العظيم ولم يشهده • ولكن قد يهون الأمر عليك وعلى أخوتك اذا قدر لك ان تشاهد سائر البرامج فى التليفزيون فسترى يا أخى المد الشيوعى وقد طغى طغيانا مريعا على هذه البرامج • وسترى أنك رددت بجهد الشيوعيين الى تليفزيون الستينات •

وأنت تعلم يا أخى كما أعلم أنا أن هؤلاء الشيوعيين مهما يفعلوا فلن يصلوا الى قلوب الشعب أو مشاعره فانهم سيجدون دون سمومهم لا اله الا الله محمد رسول الله تردهم فاشلين خائبين وسيجدون الايمان بالله عند اخواننا المسيحيين يقصف أقلامهم ويحطم الحادهم مدحورا مهانا •

ولكن الخطر مع ذلك داهم وبيل فها أنت ذا ترى الموجة قد جرفت الرقباء وجعلتهم ـ وهم معذورون ـ لايسمحون الا بالروايات التى تهاجم كل ذى لقب أو ذى مكانة أو ذى كرامة • وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يملئون الدنيا بصراخهم : أن الشرف لا يجتمع مع الكرامة وأن الخلق لايكون لمن يحترم نفسه •

وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يرفضون أن يكون الانسان انسانا الا اذا كان معدما أما العاملون الكادحون على مكاتبهم أو بفكرهم أو بجهدهم أو باشرافهم فسحقا لهم وبعدا •

فالطبيب والمهندس والمحامى والمحاسب والكاتب والمعلم كل هؤلاء طبقة برجوازية ذات تطلعات •

والرقباء ليسوا شيوعيين ولكنهم يرون وجه الأعلام قد استولى عليه الشيوعيون فهم يصرخون فى جميع الصحف وهم يطلون عليك فى أغلب البرامج •

والأمر يا أخي أحمد ليس مجرد أعلام أو مقالات أو برامج انما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا ٠

ان الحرية الاقتصادية تتعرف وجه الدولة من أعلامها فاذا طغى هذا اللون الأحمر على صوت الدولة فهيهات هيهات أن يطمئن أصحاب رءوس الأموال المصريون ان يدخلوا بأموالهم الى ميدان التصنيع ٠ واذا كان المصريون يخافون فالخوف أعمق وأشد في نفوس رءوس الأموال الأجنبية سواء كانت لدول أم لأفراد ٠

ونحن – كما تعلم – يا أخي دولة أملهـــا الوحيد في الازدهـــار الاقتصادى ، والازدهار الاقتصادى يعتمد على الاستقرار وحرية رأس المال واطمئنانه والشيوعيون – كما تعلم – أملهم في الوصـــول الى الحكم معتمدين على تخريب الاقتصاد المصرى وزلزلة الثقة فيه عند العالم أجمع دولا وأفرادا ٠

وهكذا ترى يا أخي أحمد أن زينب جرى عليها ما يجرى لكل الأعمال الفنية الرفيعة في فترتنا هذه ٠

ولكن هون عليك يا أخي فوالدنا الدكتور هيكل خالد مهما تعبث بروايته موجات عارضة لابد لها أن تزول فمحمد حسين هيكل هرم ضخم هيهـــات أن يؤثـر فيه شيء وقد انتهت كارثة هذه الرواية التليفزيونية وما خلفت في نفوس عارفي أبيك الا بعض الحسرة ما تلبث أن تزول ٠ والكتاب من بعد ومن قبل هو الخالد ٠ أما هذا الزبد فانت تعلم انه جفاء زائل لا قيمة له ٠ ودائما دائما يا أخي أحمد لن يصح الا الصحيح ٠

الأهرام ١٩٨٥/١٠/٢٧ م

سنة ١٩٨٦

•• وبالحق نزل

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاما حاولت ان أجمع شـــتاته أو ألم شعثه فتأبى على ونفر أن يلتئم ، ورفض أن ينســجم بعضــه مع بعضــه • فقد قال القائل ان الشــيوعية لا تتعارض مع الاســلام وتلك عجيبة من العجائب وقد حاول الكاتب ان يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين فاذا بالأدلة تنهار جميعا واذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضا من هذاء وحطاماً من لغو الكلام •

فالشيوعية لاتجتمع مع الاسلام فى وعاء واحد أبدا • ولايستطيع أن يكون انسان ما شيوعيا ومسلما فى وقت معا مطلقا •

فالاسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال وانما هما كلام وعمل ، وقول وفعل ونطق وايمان •

لابد أن نؤمن أن الله واحد أحد وأنه سبحانه أرسل رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام • وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء • فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدها قوم النبى الذين أرسل اليهم والذين عاصروه • بل والذين تصــادف وجودهم وقت وقوع المعجزة •

أما الاسلام فمعجزته القرآن • كتاب لا يأتى عليه الزمان ويأتى هو على الزمان • باقيا خالدا دائما تتلقاه الأجيال كما أنزل لايختلف فى حرف من حروفه عن يوم أوحى به الى خاتم الأنبياء الى يوم أن تقوم الساعة •

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » سورة الاسراء ــ ١٠٥ تعاليت يا سبحانك • هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب • وفى كل ما تبعه من ألوان القول •

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة الا فى القرآن الكريم · فالله سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ولا يكتفى بهذا بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل ·

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ليصبح بلاغا الى العالمين · فيا أيها الناس اعلموا منذ نزل القرآن الى ان يرث الله الأرض وما عليها أن هذا القرآن صدر عن الحق وأصبح بلاغا لكم بالحق لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفا منه بظل مهما يكن هينا ·

وهو سبحانه يضمن للعالمين انه هو المسئول عن ذكـــره · فيقول سبحانه « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » صـــدق الله العظيم ســورة الحجر آية ٩ وقد فعل سبحانه وبقى الكتاب وهو باق الى الأبد الأبيـــد ·

فالذى يقول : (لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) يشهد بهاتين الشهادتين أن الله أرسل سيدنا محمدا بكتابه العزيز وأن الكتاب أنزله الله بالحق وأنه بالحق نزل ·

وليس فى الأمر اجتهاد اذن · ومادمت شهدت الشهادتين فأنت اذن تشهد أن القرآن من عند الله ·

وانت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى هذا الكتاب · ومادام كتاب الله فانت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض فهو ليس كلام بشر مثلك · وانما هو كلام الله الذى هو الله فاذا كان الأمر كذلك وانه لكذلك · فكيف يستقيم فى الأذهان ان يكون هناك شيوعى مسلم ·

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيوعية من ماركس الى من تبعه بالحاد الى آخر شيوعى وانما أريد أن أناقش مالاشـــك فيه ·

فالنظرية الشيوعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها ·

وترفض النظرية الشيوعية فكرة الميراث جملة وتفصيلا ·

واسأل هؤلاء الشيوعيين كيف يستقيم هذا مع ما جـــاء فى القرآن فهل تراهم يجيبون ·

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم وأنه يقيم الصلاة فى مواقيتها وانه حج بيت الله الحرام فكل هذا لن يغنيه عن الاجابة شيئا ·

فهو مادام مسلما فلابد أنه يعرف أن هناك سورة اسمها سورة النساء ومادام يعرفها فلاشك انه يعرف تفاصيل المواريث التى أوردها الله سبحانه فى هذه السورة · وفى تفاصيل لم يذكرها سبحانه وتعالى عن الصلاة وهى الصلاة · فالقرآن لم يذكر عدد الركعات فى كل صلاة ولم يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود ولست أريد بذلك ان أقول ان المواريث أهم ـ أعوذ بالله سبحانه ان أقصد الى شىء من هذا ـ وانما أردت فقط ان أشير الى مقدار الأهمية التى شمل الله بها فكرة الميراث فى قرآنه الكريم ·

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين ·· هيهات ·

لقد كان ماركس أكثر صراحة ، أم الأجدر بى أن أقول ـ انه كان أكثر وقاحة منهم · فقد علم يوم انشأ نظريته انها ستتعارض مع جميع الأديان فالغى الأديان جميعا واستراح وأتعب البشر من بعده ·

فاذا نظرنا الى تطبيق النظرية فى البلاد الشيوعية وجدنا الكنائس أصبحت متاحف · ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين ان يدخلوا الحزب الشيوعى · وويل وأى ويل لانسان فى البلاد الشيوعية لا يكون عضوا فى الحزب الشيوعى ·

ان الشيوعية حرب على الأديان جميعا بنص النظرية واذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية فى موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس الى نظريتهم فان الاسلام وجميع الأديان لاتتيح لاتباعها أن يختاروا من الدين ما يحلو لهم فيعتنقوه وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه ·

ان الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض ·

واذا كان الأوامر قد صدرت للشيوعيين فى الدول الاسلامية أن يدعو الاسلام كفترة يسمونها مرحلية · فان الاسلام والمسلمين يعلمون المؤمنين والكافرين ويستطيعون فى يسر وفى منطق لا يقبل الجدل أن

يعرفوا المسلمين اسلاما يسبترون به الحادهم والمؤمنين الذين يعرفون ماذا يعنى قولهم : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ٠

ومن عجب قولهم فى ميدان الالحاد ان أصل العالم مادة ثم هم يفصلون نظريتهم فى الخلق تفصيلا جريئا لا متيل لجرأته ٠ وهم بهذه النظرية يريدون أن يقولوا انهم يرفضون فكرة الايمان بالغيب وانهم لايؤمنون بغير العلم ٠

فاذا هم ــ ودون أن يشعروا ــ يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب لا يؤيدها أى دليل علمى أو روحى ٠ فالأمر الذى لا شك فيه أن ماركس لم يكن شاهدا على بدء الخليقة كما لم يكن انجلز أو لينين حاضرين ٠ فكيف اذن استقامت النظرية بين أيديهم ويطلقون عليها اسم النظرية المادية ويطمئنون الى ذلك ويستريحون ٠

بينما نصدق نحن المؤمنين ما جاء فى القرآن عن بدء الخليقة فى منطق منسجم مع طبيعة ايماننا كل الانسجام ٠ فالذى عرف سر الروح فى الانسان أرسل الينا كتابا هو معجزة الدهور وفى هذا الكتاب ذكر كيف نشأ الخلق ٠ ومادمنا لم نعرف سر أرواحنا فحتم علينا أن نصدق كل ما يقول ٠

ويصبح القرآن الكريم فى خلق الله أجمعين « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » سبحانك ما أعظمك ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن يبصروا ٠ فعلى القلوب أقفالها وهم يستمدون الحادهم من جيوبهم ومن أرباحهم ثم هم يزدادون جرأة على الحق ويدعون انهم مؤمنون ٠

ومادامو قد فقدوا الايمان بربهم فلا عجب ان يفقدوا الايمان بوطنهم وهاهم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم ويلقحونها بالسخيمة والأحقاد والضغائن ويستجيب لهم فتية أبرياء لايدرون أنهم جعلوا منهم الوقود ليحرقوا به أمن الوطن ٠

وليس لكافر ميثاق ولا عهد ٠ وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم لاينمو الا فى الأرض المحترقة وفى أنقاض الأوطان وهاهم أولاء يحاولون ان يحرقوا بلادنا ويهدموا أركانها ٠

ولكن هيهات أن الشعب لهم بالمرصاد ومن فوقه العزيز ذو القوة المتين • وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه •

ويصل الى خطاب من الصعيد يسألنى لماذا أكتب عن الشيوعيين وهو لا يعرف عنهم شيئا • هنيئا لك أنك تجهل أمرهم فقد أكرمك الله بهذا الجهل كل الاكرام • ولكننى يا أخى لا أعرف ماهو الموضوع الذى تعرفه أنت حتى أكتب فيه أنا • ومادام الأمر كذلك فاقرأ أنت عما لاتعرفه فان هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت ألا ترى ذلك ؟ •

١٥/١/١٩٨٦ م الأهرام

حين تتحطم الحقيقة

كانت دعوة جمعت الكثيرين من أصحاب الرأى وبدأنا نتجمع وكان من أوائل الذين جاءوا صديق صاحب نظرة وعمق وما هى الا أن اجتمع بعض المدعوين حتى بدأ الحديث ٠ وراح الصديق صاحب النظرة العميقة يقول وقال كثيرا ٠

الشـيوعيون يسيطرون على وجه الاعـلام المصرى وليس الأمر مجرد ظهورهم بعنف واصرار وليس هو مجرد الحاح شيوعى على شعب يكره الشيوعيين وانما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا ٠ ان الاعلام هو واجهة مصر كلها ٠ وواجهة مصر هو اقتصادها ٠ ويحدثنا العاملون فى السفارات الأجنبية أنهم يتابعون كل ما يقوله الاعلام المصرى فى شتى المناحى ٠ وهم لا يكتفون بالأخبار ولذلك فهم يدهشون لماذا يتجه الاعـلام هذا الاتجاه الشيوعى ٠ الأدب الآن شيوعى ومسيطر والفن شـيوعى ومسيطر وهذه أشياء لها دلالات خطيرة وخاصة على الاقتصاد وعلى الشباب الذى لم يختر بعد طريقه وهذا الشباب يريد أن ينشر وسيضطر أن يتلون بالشيوعية ليجد أمامه المجال مفتوحا للنشر ٠

ولم نجد بدا أن نوافق القائل فى كل ما قال ٠ فجميع الحاضرين كانوا يشعرون بأن الذى يقوله هو الحقيقة الكاملة ٠

ويعود الى الحديث :

وهكذا حين اطمأن الشيوعيون الى مكانتهم فى الاعلام المصرى تفشوا فى الجامعات تفشيا لم يتمتعوا به فى حياتهم كلها ولا أظنهم يتمتعون به فى أى دولة من دول العالم ٠ وها هم أولاء يتاجـرون بمصر ويستغلون الأحداث الفردية التى لاتحمل أى مدلول ليقيموا الأبطال من غير الأبطال ليجعلوا أنصارهم يحركون الاضطرابات كل يوم ويذيع زملاؤهم من العملاء فى المحطات الأجنبية الأكاذيب ويهولون من شـأن التحركات الطلابيـة ويجعلون منها ثورات شعبية ٠ وهـذه التصرفات كلها متصلة الحلقـات فيؤيدهم فيها أعداء الحكم والطامعون فيه والحاصلون على الأموال من الدول

التى تكن لمصر الديمقراطية كل عداء تلك الدول التى تنفق فى سبيل اثارة القلاقل فى مصر الأموال المجنونة فى انهمار لا ينقطع سيله ويحاول هواة البطولات الزائفه أن يركبوا الموجه ويبلغوا من هواياتهم البطولية ما يتيحه لهم المتطرفون من الملحدين وغير الملحدين · وليس يعنيهم أن الناس منهم يسخرون وهم يجعلون أنفسهم أشبه بالقراقورات ويبتعدون بتصرفاتهم الرعناء السخيفة عن ساحة الساسة المحترفين وهكذا ترون أن كل هذه الأمور لم تأت عفوا وانما هى مؤامرات حبكت عقدتها بأيد متمرسة على حبك المؤامرات · وهل هناك أكثر تمرسا من المتطرفين ملحدين وغير ملحدين فى حبك المؤامرات · ولا يستطيع أحد منا أن يناقش ما يقول صديقنا فجميعنا يرى أن ما يقول صدق لا شك فيه وحق لا يحتمل النقاش · ويعود الى القول ويزداد الأمر سوءا حين نجد من يتمدح بأيام الطغيان والاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال بل ان بعضهم يهدد من يحاول أن ينتقص من عظمة هذه الأيام وجلالها ويقول فى وقاحة لم نر لها مثيلا فى العالم ·· كان الاعتداء على الأعراض وعلى الأنفس وعلى الأموال قد وقع على كل فرد فى مصر · وهو يعلم انه مادام قد وقع على فرد واحد فكأنما وقع على مصر جميعها ·· وأذكر أننى قرأت كتابا لكاتب فرنسى يقدس نابليون بونابرت ويعجب به فى كل ما صنعه ولكنه حين يصل الى الحرية يقول ان بونابرت كان طاغية الى درجة أن عدد الصحفيين الذين اعتقلوا فى عهده كان أربعين صحفيا · وأذكر أن الكاهن الأكبر لعهد الطغيان فى مصر دافع عن عهده فى جريدة الأهالى قائلا ما معناه ·· ما هذه الضجة الكبرى التى يضجونها عن المعتقلين ان كل الذين كانوا فى السجون عند وفاة الرئيس الأسبق لم يتجاوزوا الأربعة عشر الف سجين · ويأتى الكاتب الآخر المدافع عن أيام الطغيان فيرى أنه مادام الاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال لم يقع على كل فرد فى مصر فهو مقبول مباح لاعيب فيه ولا ضرر منه وهو بعد ذلك يهدد وماله لايفصل وهو ربيب عهد القهر والتهديد ·

ويصمت الجميع ولايجدون شيئا يجيبون به الا الأسى والحزن ويعود الصديق الى الكلام ويزيد الأمر سوءا أن الأحكام حين تصدر لا تنفذ من فورها فيحسب المجرمون أنهم يستطيعون أن يتمادوا فى غيهم ويمرحوا ما شاء لهم اجرامهم · ونسمع عن لصوص سرقوا المال العام وتتطاول السنوات قبل أن نسمع خبرا عن مواجهتهم ثم نجدهم يتحصنون بشتى حيل ومختلف حصون حتى يؤجلوا مواجهة القضاء · والقضاء نفسه بطىء ولعله الجهة الوحيدة المعذورة فى هذا البطء فالعاملون فى السلطة القضائية عددهم أقل بكثير مما يعرض عليهم ولكن هذا البطء يجعل الشعب

يتململ ولا يستطيع أحد ان يلومه اذا ظن أن العقاب لا يقع على من يستحق في الموعد المعقول ، والأدهى من ذلك أن هذا التراخي في مواجهة اللصوص يشجع الآخرين على قبول الرشوة حتى أصبح الأمر ظاهرة عامة الاستثناء فيها يدعو الى الاجلال والاكبار وغاية الاحترام • وقد كان ينبغي أن يكون الأمر عكس ذلك فتكون الأمانة هي الأصل والرشوة هي الاستثناء • وأنتم تعرفون كم يؤثر هـذا على سمعة مصر عنـد المستثمرين كما تعرفون أن الاستثمار يعتبر هو العماد الأول في آمالنا الاقتصادية اليوم • ونوافق ويستطرد الصديق فاذا نظرنا الى الصحف المعارضة نجدها تذكر وقائع بذاتها الاجابة عليها اذا لم تكن حقيقية غاية في البساطة واليسر • ولكن لا نقرأ تكذيبا فاذا نشر يستخفى في خجل وكأنه هو الأكذوبة • ترى ألم يصبح شرف الذمة أمرا ذا أهمية وأصبح الحفاظ على نقاء السمعة أمرا لايستحق أي عناء ؟ فان لم يكن الأمر كذلك ــ وكم أرجو ألا يكون ــ فمالنا لا نقرأ الا تكذيبات نادرة وتظل اتهامات فادحة تصيب كرامة كبار الموظفين في مقتل دون أي تكذيب •

وقبل أن يتم الصـديق حديثه فقد كان يبدو أنه يحمل في جعبته أكثر كثيرا مما أفضى به • أقبل أحد الوزراء كان مدعوا الى مكاننا هذا وجاء متأخرا كعادة الوزراء • كان الله في عونهم فهم يشهدون من المناسـبات ما تنوء به العصبة ذات العدد •

ولم يكمل الصديق الحديث بطبيعة الحـال وانتقـل الكلام الى موضوعات أخرى ووجدت الصديق يقول حديثـا غير الذي كان يقول • ولم أعجب فمن الطبيعي في دعوة اجتماعية وليست سياسية الا نحاول أن نسيء الى أحد من المدعوين • فهم انما جاءوا جميعهم لينسـوا أعمالهم ويروحوا عن أنفسهم فليس عجيبا أن يحاول الجالسون جميعا أن يختاروا من الأحاديث ما لا يثير جدلا • وتفرق الحديث بددا وأخذ كل منا بطرف وبعد أن كنا جميعا أذنا واحـدة نسمع ما يقول الصـديق أصبحنا آذانا وألسنة وتناسينا مآسينا العامة والخاصة وسمرنا وانصرف كل منا الى شـأنه •

صديقنا هذا ليس كاتبا وليس صحفيا ولكنه يكتب في الصحف من حين الى آخر مقالات يشارك بها في الرأى العام • قرأت مقالا نشره بعد اجتماعنا هذا •

ما أعجب ما قرأت له ؟!!

انه يقول فى مقاله أشياء تتناقض كل المناقضة مع كل الذى قاله لنا فى أمسيتنا تلك · أنه يخاف الشيوعيين والمتطرفين وينافقهم وبالقطع هو لا يخاف الحكومة فالحكومة اليوم أصبحت لا تخيف أحدا · ويل لنا من أنفسنا اذن ·

اذا كان الفلاسفة قالوا الحقيقة لابد أن تكون واحدة واذا كانت الحقيقة اليوم قد أصابتها قنبلة النفاق فأصبحت جذاذات وقطعا صغيرة متناثرة على شتى أفواه وفى كل جهات العالم · واذا كانت الحقيقة اليوم عاجزة ان تكون واحدة فى مفهومها العام ·

· فلابد ·· لابد ·· لابد أن تظل الحقيقة واحدة وبالنسبة للشخص الواحد كيف تكون الحقيقة شتى حقائق بالنسبة للشخص الواحد وكيف يستطيع شخص واحد ان يعد حقيقة لحديث الأصدقاء وحقيقة أخرى لحديث المسئولين وحقيقة ثالثة للنشر فى الصحف وعلى الناس ·

أين الحقيقة يا أخى فيما تقول جميعا ·

واذا كان أصحاب الرأى لا يحافظون على الحقيقة الواحدة فمن يحافظ ·

تولانى حزن شديد وأنا أقرأ مقال الصديق فأنا لا أتصور أن شخصا له علمه يصنع بنفسه هذا الذى صنعه ·

ماذا هو قائل اذا التقى بى أو بأحد الذين شهدوه وهو يقول آراءه الصريحة الصادقة فى ليلتنا تلك ·

أغلب الأمر أن أمثال هؤلاء يعتمدون على حياء الآخرين فأنا لا أستطيع أن أقول له مواجهة أيها الصديق أنت منافق · ولكننى لا شك أستطيع أن أنقل أمره الى الناس جميعا وأحتفظ باسمه لا أذيعه فى هذه المرة ولكننى أشفع الحديث بتهديد لا تأمن أيها المنافق أن أذيع اسمك اذا تكرر منك ما رأيت · فان أصحاب الأقلام مسئولون ان يقدموا الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة الى قرائهم والى التاريخ فى وقت معا ·

١٩٨٦/١/١٢ م الأهرام

سيدة اللغات

أى حرب طاحنة تلقاها اللغة العربية من الشيوعيين الملحدين والمغرضين الكافرين وليست اللغة العربية هدفا فى ذاتها وانما يتقصدونها بسهامهم لأنها لغة القرآن الكريم ٠

والحرب ليست بنت اليوم ٠٠ ولكنها قديمة قدم الكفر والأغراض الخبيثة الخبيثة وقد خيل اليهم أن نجحوا يوم ألغوا جامعة الأزهر القديمة ٠ ولم يصبح حفظ القرآن شرطا للانتساب الى ساحة الأزهر الشريف ولا الى حصن دار العلوم العتيد الشامخ ٠

وتحطمت اللغة على شفاه الأساتذة وانسحقت على شفاه التلاميذ وشب جيل لا يعرف اللغة العربية ٠ وزاط الأعداء وتهللوا وحسبوا أنهم نالوا ما كانوا اليه يطمحون ٠

وما هى الا دورة زمن وما أسرع ما يستدير الزمن — حتى تبينوا أن اللغة على ألسنة الشباب تهشمت ولكن الدين الاسلامى يزداد فى نفوس الشباب رسوخا وثبوتا وتأصيلا ٠

وتطيش منهم السهام ويتولاهم الهوس يتخبطون فى حربهم كمن يتخبط من به من الشيطان مس ٠

ويعود الأزهر الى الأزهر ٠ وتملأ ربوع مصر المعاهد الدينية تكاد تغطى قراها جميعا ٠ وتعود اللغة العربية الى الشفاه وما هى الا دورة زمن أخرى نرى ملامحها منذ اليوم حتى يستقيم اللسان العربى كما كان مستقيما ٠

ويرى الشيوعيون الملحدون والمغرضون مراض القلوب مطالع الصباح فيهيج هائجهم ويقول قائلهم ان اللغة العربية ما هى الا صدى وتمر أيام ولا نقرأ تعليقا على ما قال الرجل المهلوس ٠

وأعجب ويتملكني الأسى والحزن والأسف · أهانت لغتنا على أصحابها كل هذا الهوان · أن الأمم العريقـة كلها تعتز بلغتها اعتزازها بشرفها · فكيف اذا كانت لغتنا هي لسان كتابنا الخالد · الكتاب السماوي الوحيد الذي بقي بلغته منذ نزل حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض وما عليهـا ويقول سبحانه في الآية ١٠٣ من سورة النحل ·

« ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » ·

ويقول جل شأنه في الآيات ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ من سورة الشعراء « وانه لتنزيل رب العالمين » · نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربي مبين » ·

ويقول تقدست كلماته في الآية ٩٧ من سورة مريم ·

« فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا » ·

ويقول تباركت آياته في الآية ٥٨ من سورة الدخان ·

« فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » ·

فاذا كان اللسان العربي صدى · فما الصـوت · وان كان ظـلا فما الأصل · ولماذا يحاول هؤلاء المغرضون في حمق واصرار أن يكونوا قوما لدا يصبون على الدين كراهيتهم سما ناقعا ·

أيحسبون اننا يخفى علينا ما يسعون اليه من محاولة تحطيم اللغة العربية · وهل يتصورون انهم سيبلغون الأمل الذي يصـوره لهم جهلهم من تحطيم الدين في نفوسنا اذا حطموا لغة هذا الدين وصوته الأصيل وصوت الآباء والأجداد على مدى آلاف السنين ·

لقد حاولوا أن يهاجموا علماء الدين والمصابيح الهداة من شيوخ العقيدة فانهالت عليهم الأقلام فعاجوا طريقهم الى محاولة تحطيم اللغـة العربية قائلين انها صدى · وعجزوا أن يقولوا لأي صوت كانت لغتنا العربية هي الصدى ·

أيريدون أن يقولوا انها صدى التراث الذي يسمونه رجعية وسلفية وتحجـرا ·

أو ليس لكل أمة تراثها في لغتها . أو ليس للفرنسيين وللانجليز والألمان والايطاليين واليونانيين تراث لغوى .

أهذه اللغات جميعها أصل . ولغتنا نحن التى هى لغة كتابنا هى الصدى بئس ما يدعون .

لماذا نكرمهم ويستخفون أمرنا . ولماذا نقدس حريتهم ولا يقدسون عقيدتنا . وهم الملحدون ونحن المؤمنون . ونحن الأصل وهم الاستثناء ونحن الأكثرية الكاثرة وهم الأفراد القلة . اما يستحون ؟ .

وكيف لهم ان يستحوا وهم الكافرون عقيدة وخلقا وقولا وقلما .

ويتصدرون وسائل اعلامنا الرسمية ويتبجحون بهذا الكفر وهذا التجديف ولا يجدون من يردهم واننا نربأ بأنفسنا ان نقول : من يمنعهم . فالحرية هى أساس ديننا فديننا الواثق من عظمة تعاليمه يرفض فى كبرياء أن يرغم أحدا على الايمان به هكذا نزل بالحق وهكذا دعا اليه نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهكذا سيظل الى قيام الساعة .

فالحرية فى ديننا أصل . ولهذا نحترم حريتكم ولكن عليكم أنتم أيضا أن تحترموا حريتنا . وعليكم لو كنتم على شىء ضئيل من الحياء ان تراعوا مقدساتنا ولا تمسوا عقيدتنا بسمكم الناقع .

اللغة العربية هى لغة القرآن : كتاب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . وهى اللغة الوحيدة بين لغات العالم اليوم التى بقى كتابهـا بلسانها لم يتغير منه شىء أليس من الطبيعى أن تكون هذه اللغة هى أعظم اللغات قاطبة . فأى لغة فى العالم الذى يعيش اليوم يقرأ بها كتاب الهى الا لغتنا نحن .

أهذه اللغة صدى فما الصوت اذن ؟!

وبعد فماذا نحن صانعون بتراثنا جميعا ؟ من قبل الاسلام حتى اليوم . وهل تراث الأدب العربى جميعا الا اللغة العربية ، ترى أيريدنا الملحدون أن نلقى بهذا التراث فى البحر ونتلقى عنهم لغتنا وأدبنا . لغة جديدة وأدبا مستحدثا .

ويل لهم بماذا يهرفون .

ان لم يكن للأمة تراث فليس لها حاضر · ولا ينبت جديد من معدوم · ولكل فرع أصول · فاذا قطعت الأصول قطعت الفروع جميعا ·

ان التاريخ العربى مرتبط بالتراث الأدبى كل الارتباط · وقد كان الشعر العربى هو المؤرخ لكل أحداث العرب · ومن هذا الشعر العربى ومن النثر العربى نكون تراثنا جميعا · فهل يكون هذا التراث جميعا صدى ·

· اننا اليوم ننزل بالبلاد العربية فاذا تحدثوا أمامنا بلغتهم الدارجة أصبح الكلام بالنسبة الينا غريبا لا نكاد نفهم منه حرفا حتى اذا نطقوا باللسان العربى استقام حديثهم وفهمنا ما يريدون ·

ربما كانت لغتنا الدارجة مفهومة فى البلاد العربية بفضـــل الفنون المختلفة التى تصدر من مصر الى العالم العربى · ولكن اللغة تفاهم بين طرفين · فان يفهم الطرف الآخر عنا فلابد لنا نحن أيضا أن نفهم عنه · فاذا لم يكن التفاهم بيننا باللغة العربية التى يقول عنها الكافرون صدى فبأى لغة يكون ·

يا أيها الذى قال هذا · لقد عدوت فى قولك على لغة القرآن وعدوت فى قولك على لغة التراث · وعدوت فى قولك على لغة الأدب العربى الحديث فلمن يكون الأدب أدبا أو يكتب باللسان العربى وعدوت فى قولك على لغة التفاهم بين العرب أجمعين ·

وبعد مرة أخرى فأى لغة تختارها ليكتب بها الأديب العربى أو الشاعر العربى · اذا كتب المصرى لغته الدارجة فان أحدا لن يستطيع ان يفهم ما يكتب حتى أبناء مصر · لأنهم تعلموا القراءة بالعربية الأصيلة وليس باللغة الدارجة واذا كان المصرى لن يفهم فما ظنك بأبناء العربية من الدول الأخـــــرى ·

والى أين ينتهى بنا الأمر اذا كتب كل عربى بلغته الدارجة ·· انهم حينئذ سيصبحون كالطيور العجماء تقول ولا يفهـم أحـد عنها شيئا بل سيكون شرا مصيرا وأسوأ حالا ؛ لأن الطيور تفهم عن بعضهـا البعض أما الانسان العربى فلن يفهم أحد عنه شيئا حتى أبناء وطنه · لأنهم جميعا تعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية لا بالدارجة · وبهذه اللغة تكتب صحفهم وبها تقرأ نشرات أخبارهم فى الاذاعة والتليفزيون ·

ما أحسب أيها الكافرون الا أنكم تهرفون بما لا تفهمون وكبر مقتا أن تقولوا ما لا تفهمون . فاحذروا أنفسكم فهى حين تجهل يبدأ جهلها عليكم وتصبح لكم شر عدو .

أما نحن المؤمنين فديننا يزداد مع الأيام قوة ومنعة وانتشارا ولغتنا ستظل الى ما بعد الزمان سيدة اللغات وان رغمت منكم كل الأنوف .

الأهرام ١٩/١/١٩٨٦ م

وجهان لعملة واحدة

كنت أحسب أن الكتابة فى موضوع ينبغى الا تزيد عن مرة واحدة أو مرتين على أكثر تقدير · وكنت أحسب أن المهتمين بالحياة العامة يتابعون عن كثب ما يكتبه الكتاب · ولكن يبدو أننى كنت ساذجا فى حسابى هذا غاية السذاجة والدليل على ذلك اننى كتبت مرة عن الصلة بالأدب والسياسة · فلم تكف ووجدت من يجادلنى فى هذا الشأن فكتبت ثانية · فلم ينته الجدل · فكتبت ثالثة واعتقدت اننى وفيت الموضوع حقه فى جميع أبعاده وأننى لن أجد من يناقش هذا الأمر مرة أخرى معى على الأقل ·

ولكن خذلتنى الحقيقة وتبينت أننى كنت فيما أظنه واهما · فقد فاجأنى أستاذ فاضل من أكثر الناس صلة بالحياة العامة بل هو من العاملين فى غمارها بل لا عمل له الا هذه الحياة العامة فهو كاتب متمكن وصحفى ذو مكانة · وأنا من المعجبين بما يكتب ومن المعجبين به صديقا وانسانا وصحفيا ·

فاجأنى الصديق برأى له عن الصفحة التى أشرف بالقيام بأمرها فى الأهرام · فهو يقول انك تكتب فى هذه الصفحة السياسة · بينما القراء ينتظرون أن يقرءوا فيها أدبا · ومساحة السياسة فى الأهرام ضخمة بينما الأدب ليس له الا نصيب قليل وصفحتك تمثل جانبا ضخما من هذا النصيب ·· فاذا كتبت مقالاتك فى السياسة أسهمت فى اضعاف هذا النصيب ·

وناقشت الصديق ثم رأيت أن حجتى ينبغى لها أن تكون للناس كافة وليس للصديق وحده ·

وبادىء ذى بدء أنا لست أستاذا جامعيا أكتب فى الأدب الخالص فان أحدا لا ينتظر منى ان أكتب فصلا فى خصائص الشعر الجاهلى أو أكتب مقارنة بين الأدب فى العصر العباسى الأول وبين الأدب فى العصر الحديث·

كما أن أحدا لا ينتظر منى ـ وأنا الروائى والقصاص ـ ان أكتب فصلا فى نقد رواية أو مجموعة قصصية وحين أفعل ذلك أدخل فى ميدان

ليس لى لأن النقد حين أكتبه أفعل ذلك عن تذوق شخصى وليس على المبادىء الأكاديمية • فأنا نفسى كاتب رواية وقصة ومن الطبيعى أن أكون من بين المتعرضين لنقد النقاد وليس من المفروض أن أكون أنا نفسى ناقدا •

والواقع ان المقالات النقدية القليلة التى أكتبهـــا هى على ســبيل التنويه وليست على سبيل النقد المنهجى المتخصص • فلهذا النـــوع من النقاد أساتذته المهيئون له بثقافتهم ودراستهم وطريقهم الذى اختاروه فى الحيـــاة •

واذا كان بعضهم يميل مع الهوى ومع الصـــداقات ومع المذاهب الأيديولوجية التى يعتنقها فهذا لا ينفى أن للنقد أهله • واذا كان أغلبهم لا يقوم بواجبه من متابعة الأعمال الأدبية التى تظهر فى حياتنا فهذا أيضا لا ينفى أن للنقد كتابه •

ومن المؤكد الذى لا شك فيه أننى لست من بينهم •

والآن أعود الى صديقى الذى دهمنى برأيه • أى نـــوع من الأدب الخالص تريدنى أن أكتب ؟

أنا أعـــرف ••

الذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ولا ينبغى لى غيره أن أكتب رواية •

وأحسب يا صـــديقى أننى لا أتكاسل عن هذا ما أسعفتنى الفكرة فالرواية ليست بحثا وانما هى فكرة تطرق ذهن الكاتب ويظل بها وتظل حتى يرى أنها تصلح ان تكون رواية فيكتبها •

والذى ينبغى لى فى ميدان الأدب الخالص ان أكتبه قصـــة قصيرة أو صورة قلمية •

وأحسب ياصديقى اننى أفعل ذلك ما وافتنى فكرة القصة أو الصورة القلمية • ولكن الأمر ليس يسيرا • وأنا فى هذا الشـــأن لست مطلق الارادة • انما أنا أتلقى الفكرة وحيا ، فان لم تأت فهيهات لى ان أكتب افتعالا أو تعسفا •

ولكن الأمر ياصديقى أخطر من هذا وأجـــل شأنا كيف استطعت وأنت تعمل فى الصحافة وفى الأدب أن تضـــع هذه التفـرقة بين الأدب والسياســة ؟

ان الأدب اذا انفصل عن السياسة أصـــبح أدبا ميتـا غير جدير بالوجود بله بالبقاء ٠

الأديب شاهد على عصره ٠ والأديب أديب بأسلوبه فى كل موضوع يتناوله ٠

والأديب حين يكتب الرواية ســياسى ٠ وهو سياسى حين يكتب القصة ٠ بل ان الأديب الناقد سياسى أيضا لأنه حين ينقد الرواية ينقدها فى ظل الحياة الاجتماعية التى تصورها ٠ والحياة الاجتماعية سياسة ٠

السياسة هى كل الحياة التى نعيشـــها ٠ والأديب فى كل باب من أبواب الأدب يكتب هذه الحياة ويترجمها الى الناس الى الذين يعايشونه والى الأجيال القادمة جميعا ٠

وعميد الأدب العربى كتب مقالات سياسية صريحة ثم هو سياسى حين كتب أحلام شهرزاد والمعذبون فى الارض وشـجرة البؤس والأيام ودعاء الكروان وأوديب ٠

وهيكل باشا من الزعماء السياسيين وصل الى الزعامة السياسية بأدبه وحده وهو أديب سياسى حين كتب كتبه الاسلامية وأديب ســياسى حين كتب روايته ٠ ان رسم المجتمع سياسة ٠ وآمال الأديب فى الحياة ســياسة ٠

والعقاد ما رأيك فى أدبه السياسى ألا يكفيك اسم العقاد مثالا رائعا على اندماج الأدب بالسياسة ٠ فعبقرياته أدب سياسى ومقالاته الصريحة فى السياسة أدب سياسى وكتبه فى البحث أدب سياسى ٠ ولا يستطيع الأدب ٠ الا أن يكون سياسة أو هو غير كائن ٠

وتوفيق الحكيم أديب سياسى منذ كتب أهل الكهف حتى يومنا هذا ٠ وقد كانت له فى أخبار اليوم مقالات سياسية أسبوعية ٠ ورواياته كلها سياسة منها الصريح الذى لا شـك فيه مثـل شـجرة الحكم والسلطان الحائر وايزيس ومنها ما تتوارى فيه السياسة خلف الرمز مثل بنك القلق والورطة والصفقة وكل رواياته لا استثنى عنها شيئا فمسرح المجتمع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع والمسرح المنـــوع كله سياسة لأن السياسة هى المجتمع ٠

واذا تركنا هذا الجيل الى الجيل التالى له ٠

أليست روايات نجيب محفوظ كلها سياسة ٠ فماذا تكون اذن ٠ ان منها الصريح مثل ميرامار والثرثرة والحب فوق الهضبة وأمام العرش ومنها غير الصريح وكلها تتناول المجتمع الذى هو السياسة ٠

ان مجال السياسة هو المجتمع ومجال الأدب هو المجتمع فلا يمكن أن يكون بينهما انفصال بأى حال من الأحوال ٠

ان ما يكتبه عبد الرحمن الشرقاوى فى الأدب التاريخى سياسة وكل مسرحيـاته سياسة فليس عجيبا أن يكون مقاله الاسبوعى فى الأهرام سياسة أدبيــة ٠

هو سياسة أدبية وأدب سياسى فى وقت معا ٠ ان الأسلوب الذى يكتب به الأدباء فى السياسة لا يتأتى الا لأدباء ٠ وهذا هو الأدب السياسى٠

وأرجع معك الى شوقى أليست رواياته سياسية ٠ وعزيز أباظة أليست رواياته سياسية ٠

واستعرض معى بعض ديوان شوقى انه تاريخ مصر فى عهده قدمه الى الأجيال شـــعرا ٠

اقرأ معى لشوقى :

ألم المالكين بنــى أمــون ... ليهنك أنهــم نزعــوا أمونـا
ولــدت لــه المأمين الدواهى ... ولم تلدى له قط الأمينـا
فكانوا الشهب حين الأرض ليل ... وحين الناس جد مضلليـنـا
مشت بمنارهم فى الأرض روما ... ومن أنوارهم قبست أثينـا

واقرأ معى لشوقى فى وداع كرومر :

أيامكم أم عهــد اسماعيلا ... أم أنت فرعون يسوس النيلا

أم حاكم فى أرض مصر بأمره لا ســـائلا أبـدا ولا مســئولا
يا مالكـــا رق الرقاب ببأســه هلا اتخذت الى القلوب سبيلا
لما رحلت عن البلاد تشهدت فكأنك الداء العيـــاء رحيـــلا

وبعد فماذا أنت قائل ؟ هذه المقالة التى قرأتها الآن أليست أدبا ؟! انها أدب ولكنها أيضا سياسة · أنهما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان ·

الأهرام ١٩٨٦/١/٢٦ م

كتـــاب الســـادات

انتهيت وشيكا من قراءة كتـــاب الســـادات الأسطورة للأستاذ موسى صبرى ولا شك ان تأخرت فى الانتهاء من قراءة الكتاب وقد كان ذلك لأنى أقرؤه فى امعـــان شـــديد وهو فى نفس الوقت كتـــاب ضخم تستغرق قراءته الكثير من الوقت ولكن المتعة التى تصاحب القارىء فى رحلته الطويلة تجعله يستعذب جهد القراءة ·

فالسادات علامة من أهم علامات جيلنا · وأثره ليس مقصورا على مصر وحدها وإنما هو اتسع فشمل العالم أجمع ·

فان هذا الأســـطورة المسماة أنور السادات استطاعت أن تبهر العـــالم أجمع · حتى لأذكر اننى كنت فى باريس وركبت مع زوجتى سـيارة أجرة وكان ذلك عقب ان عبر الســـادات التاريخ الى القدس · وسمعنى سائق السيارة أكلم زوجتى بلغة لم يفهمها فقال ·

ـ من أى البـــلاد ؟

قلـــت :

ـ من مصر

قـــال :

ـ ان لكم زعيما عظيما أتحبونه فى مصر أم لا ؟

قلـــت :

ـ بل نحبه كل الحب !

قـال :

ـ اننا لم نحب زعيما من خـــارج بلادنا مثل حبنـــا لديجول كما أحببنا أنور السادات ٠

وكم فرحت بما قاله السائق وقارنت بـين هذا الذى يقوله وبين ماكنا نسمعه قبل ذلك حين كنا نلم بباريس وخرجت من المقارنة بشعور طاغ من الاعتزاز برئيسنا أكرم الله مثواه ٠

ان انسانا لم يستطع أن يشـغل من صـفحات التـاريخ الحديث ما شغله السادات بعناوين المجد والسموق ٠ فالعالم لم يسمع عن دولة تنهزم هزيمة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ثم تستطيع فى مدى سنوات ست ان تقلب هذه الهزيمة الى نصر لم يشهد التاريخ له مثيلا أيضا ٠

والعالم لم يشهد انسانا يواجهه وينفذ ما يعتقد أنه الصواب على رغم كل التحديات الا أنور السادات ٠ والعالم لم يشهد زعيما يضحى بنفسه لينقذ وطنه ضاربا عرض الأفق بالدعايات والشعارات الجوفاء الفارغة الا أنور السادات ٠

وتمر السنوات ٠ ويتبارى الذين وجهوا اليه ســـهامهم المسنونة لينالوا بعض مانال فيخذلهم الطريق ٠ وهم فى غيهم بدلا من ان يعترفوا بالخطأ الذى وقعوا فيه يزدادون عداء للرجل حتى وهو فى مثواه الأخير ٠

ولست أدرى أى مصير كان ينتظرنا اذا نحن لم نستظل بالســلام وكيف يتصور انسان أن عدونا كان سيسكت على الهزيمة لتكون نهاية علاقته بمصر وهى الدولة الوحيدة التى تستطيع أن تحاربه ٠ والعدو يعيش فى المنطقة تحت شعار القوة وحدها ٠ والقوة مازالت كما كانت فى العصر الحجرى هى الحقيقة التى تحكم علاقات الدول بعضها ببعض ٠

ولو لم تكن اسرائيل مذعورة من أمريكا الطرف الثالث من معاهدة السلام لما خنعت ولافتعلت ألف سبب لتتدخـــل فى حـرب مع مصر ٠ رحم الله السادات فى عليين ٠ أدرك ـ رحمة الله ـ هذا جميعه وأصر ان تكون أمريكا شريكا ثالثا فى المعاهدة وبهذا الاصرار اكتسبت المعاهدة قوتها وجبروتها استطعنا أن نعيش السلام الذى نعيشه اليوم ٠ والحرية التى نحياها الآن ٠ واستطعنا ان نفرغ لأزمات جرها علينا حكم الطغيان لمدة تقرب من عشرين عاما ٠ وفرضتها علينا سنوات الحرب التى تواصلت منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ٠

ومع أن هذه الحقيقة ساطعة لا شك فيها نجد المغرضين والأفاكين والجبناء والنهازين لايتركون فرصـــة الا اهتبلوها لينالوا من الزعيم الأســـطورة ٠

ويظهر كتاب موسى صبرى وكأنه لم يظهر ويستطيع الشيوعيون والناصريون بما لهم من أصـوات صارخة وعلى رغم قلتهم الضئيلة أن يفرضوا الصمت أو شبه الصمت على الكتاب ولو ظهر لطفل منهم صفحة من كتاب لملئوا الدنيا ضجيجا وعجيجا فهو هو الكاتب الأوحد ٠ وهو هو العبقرية والخلود ٠ وهو هو المجد التليد ٠ والفن الأصيل ٠ والرفعـة التى لا تدانيها رفعـة ٠ والسموق الذى يعلو اليه سـموق وسبحان الله العظيم من قبل ومن بعد ٠

وأجد فى كتاب السادات الأسطورة شيئا ربما حلا لى ان أعلق عليه فقد أعاد الى شخصيا ذكرياته لا تنمحى من ذهنى فقد جاء فى الصفحة ١٨٠ من الكتاب هذه الواقعة أرويها كما جاءت ٠ وهذه الواقعة حدثت فى معتقل الزيتون حيث كان المؤلف معتقلا وحيث التقى لأول مرة بالزعيم الســـادات ٠

وذات صباح طلبنى جلال الدين الحمامصى للتحدث معه فى غرفته ثم أغلق الباب بالمفتـاح ٠

وقال : سأفضى اليك بسر سياسى خطير ٠ وحذار من البـوح به لأى انســـان ٠

قلت : خيرا

قال : هل لفت نظرك شيء فى أخبار الصحف ٠

قلـت : لا

قال : هناك خبر هام ٠ ان النائب ابراهيم دسوقى أباظة (باشا) عضو الأحرار الدستوريين قدم استجوابا للحكومة عن ســـوء معاملة المعتقلين السياسيين ٠

قلت : وما أهمية ذلك ٠

قال : لقد فكرنا هنا بأن من واجبنا الوطنى أن ندعم هذا الاستجواب
قلت : وكيف ؟

قال : هذا هو السر • لقد قررنا أن يهرب عدد من المعتقلين هنـا ووقع الاختيار عليك من ضمن من تقرر هربهم •

وشرح لى جلال الحمامصى التخطيط الكامل للهرب وباب الحجرة مقفل بالمفتـاح » •

ويمضى المؤلف بعد ذلك شارحا قصة الهرب من المعتقل ذلك الهرب الذى دبره الزعيم السادات والذى نجح •

وانما أروى هـذه الواقعـة لأذكر ما لم يذكـره المؤلف عن ذلك الاستجواب الذى قدمه أبى • والواقع ان المؤلف لم يكن محتاجا فى واقعة الاستجواب الا الى هذا الجزء الذى أورده فلا لوم عليه ولا تثريب انه لم يمض فى الواقعة الى نهايتها •

فالذى حدث أن حكومة الوفد اختارت اليوم الذى ستناقش فيه الاستجواب المقدم من أبى لتعتقل فى ذات اليـوم المرحـوم مكرم عبيد باشا • وهكذا وقف أبى على المنبر وبدلا من أن يناقش الاستجواب قال اننـا متضامنون مع مكرم باشا فى كل ما فعله ولتفعل بنا القوة الغاشمة ماتشـاء •

وجن جنون الحكومة الوفدية وفوجئنا فى بيتنا بعد منتصف الليل بقوات ضخمة من الشرطة تحاصر البيت ثم تقتحمه وتعلن أبى أنهـا ستفتش البيت وعرفنا أنها كانت تبحث عن الكتاب الأسود الذى أصدره مكرم عبيد باشا فى ذلك الحين بمعاونة من الأستاذ جلال الحمامصى وقد كنا فعلا نوزع هذا الكتاب من بيتنا ولكن أبى بعد أن ألقى كلمته فى مجلس النواب توقع ان يدهموا البيت ليبحثوا عن الكتاب أو المنشورات الأخرى التى كانت توزع فى هذه الأيـام فى ظـل الحكم العسكرى والصحافة المكممة فهربنا كل ما كان لدينا من نسـخ وجرى التفتيش وحسبنا نحن أهل البيت ان هذا الذى يحدث شىء بربرى بعيد كل البعد من أى معنى كريم •

واليوم حان لى أن أشهد أن التفتيش الذى تم كان تفتيشا هينا لينا شريفا اذا نحن قارناه بما كان يحدث بعد ذلك فى سنوات الطغيان الغاشمة · وأين بضع شرطة يمــــرون بالغــرف أو يفتحون الدواليب والأدراج المغلقة من تلك العواصف التى كانت فى عصر الطغيان تدمر البيوت تدميرا حتى اذا انحسرت لم تترك الا ترابا مهيلا وفناء ماحقا ·

ذكريات ومالنا لا نذكرها أليست الذكرى تنفع المؤمنين ·

الأهرام ٩/٢/١٩٨٦ م

عالى الصوت لم يزل

رأيته شابا يافعا فى أروقة حزب الأحرار الدستوريين • لم تكن سنه قد بلغت العشرين بعد وكان متحمسا للحزب حماسا جنونيا مندفعا حتى لقد كان رجالات الحزب لا عمل لهم معه الا كبح جماحه • والحد من اندفاعه • وكان فى الاجتماعات هو دائما البادىء بالهتافات وكان يظل يهتف حتى يضطر الخطيب الى أن يرجوه أن يعطيه فرصة ليكمل خطابه •

حتى اذا انتهى الخطباء تجده وقد بح صوته حتى لا تستطيع أن تسمع منه كلمة الا اذا ملت بأذنك حتى تلتصق بفمه •

وفى هذا السيل الجارف من التحمس المندفع المتدفق عرفنا أنه يذهب الى الهيئة السعدية وأنه يبدى من الحماس لمبادئها نفس ما يبديه لمبادىء حزب الأحرار الدستوريين وأنه يهتف لزعماء الهيئة السعدية كما يهتف لزعماء حزب الأحرار الدستوريين •

وكان الحزبان مؤتلفين فى الوزارة وأغلب الأمر بل من المؤكد أن أعضاء الهيئة السعدية عرفوا أمر اتصاله بحزب الأحرار الدستوريين كما عرف حزب الأحرار أمر اتصاله بالهيئة السعدية •

ومن المؤكد أيضا أن رجالات الهيئة كانوا يكفكفون من غلوائه ويعقلون المندفع من تهوره •

وظل هذا حاله حتى سقطت الوزارة المؤتلفة وتألفت الوزارة الوفدية وكان الفتى قد أصبح فى الجامعة فاذا هو فى سهولة ويسر يهجر حزب الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية جميعا وينقل تحمسه الى الحزب الوفدى فهو عضو فى لجان شبابه وهو هو المتزعم للهتاف حتى يبح صوته وهو هو المتصدر فى احتفالات الحزب – وما أكثرها – يوزع الأدوار على الهاتفين ويؤلف كلمات الهتاف ويخص كل وزير من الوزراء بفيض من الثناء • ويغمر كلا منهم بموفور من المديح •

والفتى مرن على الهتاف مرانا قل أن يجيده أحد فى مثل سنه وتلك ميزة ليست قليلة الشأن فى مكان توجد به تجمعات أو اجتماعات أو خطباء ٠

وكان الفتى يستفيد من هتافاته هذه فوائد ليست بالهينة الشأن ولا الضئيلة العائد فهو قد حصل على مدى سنوات هتافه على كل الاعانات التى تقدمها الوزارات لمن ضاق عليهم الرزق ٠

نال من وزارة الأوقاف ومن وزارة الشئون الاجتماعية وعمل فى كل صحف هذا الزمان لا كمحرر فلا شأن له هو بالتحرير وانما عمل كمورد للاعلانات من الحكومة وناهيك باعلانات الحكومة من مورد لا ينقطع سيله ، ولا ينضب غمره ، ولا يغيض ماؤه ٠

وقد كانت أغلب الصحف والمجلات تكاد تعيش على هذه الاعلانات وهكذا استطاع الفتى أن يصلح شأن نفسه ، أما شأن ذويه فهو غير مسئول عنهم فقد كان أبوه موظفا ضئيل الدخل هزيل المرتب وكان له أخوة ثلاثة فلم يفكر يوما أن يعين أهل بيته بما يجعل الحياة معقولة أو ممكنة بل انه يرغم أباه على أن يشترى له الملبس أيضا ٠ أما أنه يطعم بالبيت فهذا أمر يراه طبيعيا فما دام أبوه قد أتى به الى الحياة فهو مسئول أن يطعمه حتى يتخرج ٠ وهو لا يرى أن هذه القاعدة يمكن أن يرد عليها استثناء مهما يكن هو موفور الدخل ، ومهما يكن أبوه مجهدا قليل المال كثير النفقة ٠

ومع المران والأيام صار يسافر الى بلدته يبحث عن طلاب الحاجات ويتشفع لهم وينال من جدواهم ما يعتبرونه رشوة وما يعتبره هو حقا له لا شك فيه ولا مناقشة ٠

وما هى الا زيارة أو اثنتان الى البلدة حتى أصبح الفتى مقصد قريته والقرى المجاورة جميعا ٠ وأصبح أمره مشهورا وأصبحت أسعاره معلومة لا يجهلها أحد ٠ وما لقصاده لا يكثرون وكل من يقصده بمعضلة يحلها له فشفاعته عند ذوى الشأن مقبولة وهو دائما عندهم موضع ترحيب ٠

وأركان الصفقة معروفة واضحة المعالم ٠ يستجيب الوزير للشفاعة من الفتى ويهتف الفتى باسم الوزير فى حفلات الحزب ٠ ومن الناحية

العكسية لا يستجيب الوزير لشفاعة الفتى فلا يهتف الفتى باسم الوزير ·

وحتى أكون صادقا مع نفسي ومعك لم يكن كل الوزراء في العهد الوفدي أو غيره من العهود يهتمون في كثير أو قليل بهتافات الفتى أو صراخه فاذا استجابوا لشفاعة منه فهي استجابة حزبي كبير لشاب من شباب الحزب والفتى لا يهمه الباعث عند الوزير وانما كل ما يهمه أن يحقق ما كلفه به دافعو الرشاوى وليكن الباعث بعد ذلك ما يكون فهو لا شأن له به ·

واحترقت القاهرة ·

وراحت الوزارة تتنقل تائهة من عهد الى عهد فما استقرت على رئيس ولا تريثت عند وزير · وزاغت أعين الفتى فأصبح لا يدري باسم من يهتف · ولا بمن يصل أوشاجه ولا الى أي كرسي يمد حباله ·

وجاءت الثورة واتضحت المعالم ووضحت له الأمور وضوحا تاما ·

كان صوته بالمران والممارسة أعلى الأصوات في الهتافات وتنقل الهتاف من رئيس الى رئيس في مثل السهولة واليسر التي كان يتنقل به من حزب الى حزب فيما قبل الثورة ·

وحين استقر الحكم كان الفتى الذي أصبح شابا ذا خبرة واسعة بمعرفة الطريق الذي يختار أعظم الهاتفين شأنا وأعلاهم صوتا ·

انضم الشاب الى هيئة التحرير وما هي الا لفتة زمن حتى أصبح من أعظم أعضائه نشاطا · فكان طبيعيا أن يرشح نفسه لمجلس الأمة وكان غريبا أن ينتخبه الذين قضى مصالحهم فهم ينتخبونه على الرغم من أنهم هم أنفسهم كانوا يقدمون له الرشاوى في جميع العهود ·

وحين أصبح في هذا المكان المرموق رفع أسعاره في القيام بالشفاعات · ثم ضاعفها عدة أضعاف وقال ـ ووجد من يصدقه ـ انه لا يأخذ لنفسه وانما هو يشرك معه الكثيرين الذين يعاونونه في قضاء الحاجات ·

وبصورة تلقائية انتقل الشاب من هيئة التحرير الى الاتحاد القومي ٠ ورفع أسعاره مرة آخرى ٠

تم أصبح في مقدمة العاملين في الاتحاد الاشتراكى ٠ وكان من المعقول جدا أن يصبح عضوا فى التنظيم الطليعى ٠

وكان عضوا فى المجلس الذى رقص للهزيمة ٠ وكان تصفيقه يومذاك واضح المعالم بين السمات ٠

وذهب عهد بأكمله وجاء عهد آخر ٠ تسلل اليه فى أناة وخبرة فاذا هو عضو فى منبر مصر ثم هو عضو فى حزب مصر ثم هو عضو فى الحزب الوطنى ٠ وهو دائما عضو بمجلس الشعب ٠ وهو دائما يحصل على أعظم الأصوات من الناخبين ٠

وما دام قد صفق للهزيمة فقد أصبح من الطبيعى بل من الحتمى أن يصفق تصفيقا مضاعفا عشرات المرات للنصر الرائع الذى لم يشهد العرب له مثيلا فى العصر الحديث وصفق فى حماس لا مثيل له لما أعقب النصر من خطوات السلام الخالدة ٠

ولكن العجيب فى أمره أنه اذا جلس فى جماعة يهاجمون كامب دافيد وافق المهاجمين فى رأيهم ٠

فاذا انتقل الى جماعة يؤيدون كامب دافيد كان أشد منهم حماسا فى تأييدها ٠

ظاهرة عجيبة هذا الفتى ٠

أم ترى لم يصبح ظاهرة ولا عجيبة ٠ لست أدرى ؟!

وتسألنى أو لا شك أن ستسألنى من هو ؟

أهو هذا الرجل أم هو ذاك وكيف لى أن أعلم ربما كان هذا وذاك جميعا فقد تشابه الخلق علينا ٠

ومن أين لى أن أدلك عليه وأنا أروى لك قصة تمتد جذورها نيفا وأربعين عاما ٠ وأما أحسب أننى مقصر فالملامح المحددة قد انماعت فى عينى

ولم يبق أمامى منهـا الا الخطوط العريضة أقدمها اليك وأنا واثق أنك أنت · أنت أيهـا القارىء ستعرف الملامح بكل وضوح وستتبينها بكل دقة · فان ذاكرتك أنت دائما أكثر نشاطا وأعظـم تركيزا · فما على بأس أن أترك لك أنت أن ترى من ألمحت اليه وأن تتعرف أنت على اسمه وسماته · بل اننى واثق أنك ستصل من الأمر الى أبعد من ذلك ، فانك قادر لا شك أن تذكر لى اسم أمه وأبيه ، واسم زوجه وبنيه ساروا فيه جميعا من دروب وما ارتادوا من طريق فأنت دائما أيها القارىء أعظم النـاس علما بمن حولك وما حولك · فشأنك وهـذا الفتى الذى أصبح شابا ثم صار كهلا يأخذ طريقه الى الشيخوخة ولكن بخطوات نشطة وصوت عال مرتفع الضجيج لم تنل السن منه وما أوهنته السنون · ..

الأهرام م ١٩٨٦/٢/١٦

حتى أبطال أفغانستان

ليس شيء بغريب على الشيوعيين • وقد تعودنا أن يطلعوا على الناس في كل يوم بلون جديد من الجرأة على الحق • والاساءة الى مشاعر الناس قاطبة • والتهجم على العدل الواضح الذى لا يختلف حوله اثنان ما دام ليس بينهما من هو صاحب غرض ، أو مائل مع الهوى ، أو حائد عن الطريق القويم الذى لاشك فيه •

ليس شيء على الملحد بغريب • وما من شيء منه يدعو الى الدهشة وأى تصرف يمكن أن يثير العجب من قوم باعوا دينهم بالمال ، وتخلوا عن أوطانهم ورضوا أن يكون وطنهم بلادا أخرى • وانسلخوا عن جماعتهم ليخلصوا ولاءهم لجماعة أبعد ماتكون عن مقدسات جماعتهم ومثلها وقيمها وأخلاقها •

ليس شيء بغريب من قوم هذا دأبهم • ولكننى مع ذلك فجعت دهشة وعجبا وأنا أتابع الحملة الجديدة التى يشنها الشيوعيون على أبطال أفغانستان • وزادت فجيعتى وهم يطلقون على الشعب الأفغانى الذى يقاوم الاستعمار متمردين أيكون المدافع عن حقه متمردا ؟! ماذا يقول هؤلاء الملاحدة ؟! •

انهم لايشنون حملتهم على الجيوش الغازية المعتدية • ولا على الحكم العميل السفاح • لا •• ليست على هؤلاء حملتهم •

وانما حملتهم على المجاهدين الأبطال الذين يقفون بأيد عزلاء أمام الوحوش الضارية التى تغزو وطنهم •

ترى أتولاك العجب أيها القارىء ؟ •

أعرفت فى حياتك وقاحة مثل هذه الوقاحة • وما أضعف الكلمة فى وصف هؤلاء المصريين ــ أو الذين يقولون أنهم مصريون ــ وهم يؤيدون الاحتلال والغزو والجبروت وسفك الدماء والاعتداء على أمن الدول وسلامتها بلا وازع من ضمير أو حياء •

لايشك أحد ان الأوامر قد صدرت لهم من حزبهم بشن هذه الحملة الرعناء الظالمة الهوجاء على قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله لم يرمون بأنفسهم الى أتون الهول الذى فتحه عليهم الغزاة ٠

ولايشك أحد أن هذه الأوامر كانت مشفوعة بالمغريات وبالتهديدات فى وقت معا ٠

ولكن ألم يبق للشيوعيين فى مصر بقية مهما تكن هينة من خجل ؟!

أو ظل مهما يكن واهنا من حياء ؟! أو اثارة مهما تكن واهية من الحفاظ على مشاعر المسلمين الذين يعيشون بينهم ٠ بل لا يبالون بمشاعر المؤمنين جميعا ٠ لكم قرأنا كتابات فى أزمان مختلفات وفى عصور عديدة ٠ فما وجدنا كاتبا واحدا يدافع عن الاحتلال والقهر وعزو الدول المطمئنة الوادعة ٠ فأى كتاب هؤلاء الذين طلع علينا بهم الزمن الأخير ٠ وفى أى مداد يغمسون أقلامهم الا ان تكون الدماء هى مدادهم والمال المنهوب والرشوة باعثهم المنهمرة والذى تتكسر أمامه كل مشاعر الانسانية التى أودعها الله فى نفوس البشر ٠

يشهد غزو أفغانستان اليوم العام السابع له ٠ بعد أن بدأت روسيا هذا الغزو بجيش قوامه ثمانية آلاف وخمسمائة جندى وثمانمائة دبابة وثلاثمائة طائرة ٠

وما أضخم هذه الأعداد فى مواجهة شعب أعزل ليس بيده الا بنادق عتيقة الصنع ٠ ولأن روسيا لاتعرف معنى الايمان فقد حسبت ان الغزو لن يستغرق أكثر من بضع ساعات من نهار أو ليل ٠

ولكن روسيا تجهل ان هؤلاء الضعاف أجساما هم العمالقة نفوسا وان هذه الأجساد الهزيلة الضئيلة تملك قوة أعظم من أسلحة العالم أجمع ٠

ان قوتهم هى ايمانهم ٠ انها (لا اله الا الله) التى تخفق بها قلوبهم ٠ وان محمدا رسول الله التى تجرى بها دماؤهم فى العروق وبهذا الايمان صد هؤلاء العزل الزحوف الغازية ٠ وبهت الذى كفر واذا الغزاة الجبابرة يطلبون المدد ويتوالى المدد ارسالا فاذا جنود الغزو ترتفع أعدادها

ارتفاعا مذهلا . فالآلاف الثمانية لاتصبح عشرة أو عشرين أو خمسين أو مئة .

بل تصبح مائتين وثلاثين ألف جندى . واذا الدبابات التى تحارب اليوم فى أفغانستان تصبح ثلاثة آلاف دبابة واذا الطائرات تصبح سبعمائة طائرة ..

كل هذه الجيوش تحارب الحق والحق وحده .

ومع كل هذه الجحافل الضخمة لايستطيع الغزاة أن يستولوا على أكثر من عشر مساحة أفغانستان . ويظل المجاهدون المؤمنون محتفظين بتسعة أعشار أرضهم .

وترغم الحكومة العميلة الجيوش الأفغانية النظامية أن يحاربوا آباءهم وأخوتهم وأبناءهم . ويحاول بعض منهم أن يرفض هذا القتال المفروض عليهم مع ذوى قرباهم وأصحاب الأرض والحق .. فاذا بالحكومة العميلة ترغمهم ارغاما ساحقا ان يستمروا فى حرب أنفسهم وتطلع علينا وكالات الأنباء بخبر عنوانه اعدام عشرين جنديا أفغانيا رفضوا القتال ضد الثوار .

وتستمر الحرب سبع سنوات والجيوش الزاحفة بكل جبروتها محاصرة بالايمان حولها وتصبح كمن مشى الى رمال متحركة تبتلع كل قادم اليها ولاتتركه حتى يموت خنقا فيها .

ويزداد السعار وتتحول الجيوش السفاكة المغلوبة المدحورة من حرب الرجال الى محاربة الأطفال فاذا هم يعذبون الأطفال ويقتلونهم أمام أنظار آبائهم وأمهاتهم . ويذكر الأفغانيون ما شهده أتباع الرسول من كفار ذلك الزمان الجاهلى ويزدادون اصرارا على التمسك بايمانهم وبأرضهم .

وقد يقول قائلهم ولكن عتاة مكة والمجرمين من أهل الكفر لم يعذبوا الأطفال أمام والديهم . ثم ما يلبثون أن يرتدوا الى ايمانهم . اذن فبشرانا فبقدر الهول الذى نشهده يكون اكرامنا عند العدل المطلق عالم الغيب والشهادة .

هذه الوحشية التى لم يشهد أى تاريخ لها مثيلا يباركها الشيوعيون فى مصر بايعاز من شياطينهم وتتوالى مقالاتهم فى أكثر من مجلة تؤيد الغزو وتتمدح به وتذكر أفضـــاله وأثاره العظيمة على البــلاد • وهم فى حمأة اندفاعهم فى المديح لاينسون ان يقولوا : ان الغزو يعمل على نشر التعليم جميعه والتعليم الدينى خاصة ولايذكرون ان الهاربين من جنات الاحتلال بلغوا فى باكســــتان وحدها ثلاثة ملايين نفس • ولايهمهم ما تتناقله وكالات الأنباء عن السرقات والرشى والاعتداء على الحرمات التى تمارسها القوات الغازية على أفغانستان جميعا حكومة وشعبا •

مالهم هم وهذا ؟ ان الأوامر قد صـــــدرت لهم أن يمدحوا • وأن يقولوا ان الغزو حمل معه الى أفغانستان الحياة السعيدة الهانئة وانه طبق قوانين الاصلاح الزراعى • ومبادىء ماركس الخالدة • ووهب الشعب المكاسب الاشتراكية • وتتزايد جرأتهم على الحق فيصبون ســخيمتهم على السادات الزعيم الخالد انه سلم أسلحة روسية للمجاهدين ويرون ان هذا الذى صنعه السادات عمل من أعماله الجديرة باللوم فهم اليوم يرون أن كل ما صنعه السادات سيىء • حتى مساعدة أصحاب الأرض ان يستردوا أرضهم •

ويقول قائلهم ان الروس اكتشفوا البترول والغـــاز وفتحوا لهم العيادات الطبية وجهزوها • وأنشئوا مصانع للســـيارات بل انشئوا مصانع ونشرت الجيوش المعتدية المحبة والسلام فى ربوع البلاد الى غير هذا من المآثر والأفضال التى تعود الاحتـــلال ان يدعى انه يفعلهـــا فى الأراضى المحتلة • وكلها أكاذيب لا ظل لها من الحقيقة وما يقولها قائل الا نال ثمن قولها •

أحسب أن الغيظ قد تملكك مما تقرأ • ولكن ما يهم المهم أن يمتدحوا بالغزو والاحتلال والقضاء على الدين والايمان وحق الانسان الطبيعى أن يعيش آمنا فى وطنه مطمئنا •

وقد أسمع من يقول : وأى عجيبة فيما يصنعون ؟ أنسيت أنهم أيدوا احتلال اسرائيل لفلسطين هاتفين بحياة روسيا التى كانت الدولة الثانية فى العالم فى الاعتراف بالدولة الاسرائيلية لم تسبقها فى ذلك الا أمريكا التى مازالت الوطن الأم لاسرائيل حتى اليوم •

وهم هم أنفسهم اليوم الذين يلصقون بالسادات العظيم كل ما فى قاموسهم من سفالات لأنه وقع السلام مع اسرائيل •

وهم هم أنفسهم أعلى الناس صوتا فى الدفاع عن فلسطين وعن القضية ٠

متى كان لهم رأى يقفون الى جانبه ٠ أو مبدأ يثبتون عليه الا الالحاد بالله ورفض الانتماء الى الوطن ٠

ولايكتفون بالقول بل هم يشفعونه بالعمـــل ويؤلبون العمال فى المحلة وفى شركة أسكو ٠ بعد أن خاب سعيهم فى تجمعات الطلبة ٠ يريدون لمصر أن يتحطم فيها الانتاج وأن يعمها الخراب لأن تربتهم هم هى الأرض الخراب ٠

ولولا أن رئيس مصر مسلم قوى الايمان ، مصرى عميق المصرية لطالبوه أن يستدعى الجيوش الغازية فى أفغانستان لتنشر فى مصر الخير والبركات والســعادة والهناء التى لايخجلون أن يقولوا ان الجيوش الغازية قد نشرتها فى أفغانستان ٠

ليقل الشيوعيون ما يشاءون ٠ ولكن أحسب أنه ينبغى أن يقف بهم الأمر عند الكلام ٠ فاذا تعداه الى العمل والى التسلل فى الجماعات من عمال الى غير عمال فاننا لهم بالمرصاد ٠ فان الأمر جد لايصلح معه الهزل ٠ واذا كانوا يركبون الحرية ليقتلوا بها الحرية فليكن هذا فى الكلام فقط وهم فى هذا الميدان يمرحون ما شاء لهم المرح حتى لقد طغا صوتهم فى أجهزة الاعلام على كل صوت ٠ وهم يقولون فى مجلاتهم وفى الصحف القومية ماشاءوا أن يقولوا ٠ ولكن الفرق بعيد بين صيحاتهم هذه وبين أن تصبح هذه الصيحات عملا وفتنة تأليب المخابيل البلهاء على الديمقراطية والحرية التى تنعم مصر بها اليوم ٠

واذا كانت الحكومة قد وسعت لهم مجـــالات الاعلام جميعها من صحف الى مجلات الى اذاعة الى تليفزيون فان على هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم ان يثيروا الفتنة ويشعلوا الثورات ٠

واذا كان وجودهم الواضح بالاعلام يهدد الاقتصاد المصرى تهديدا عنيفا تدريه الحكومة كل الدراية ٠ فان الفتنة التى يريدون اشعالها هى القضاء الكامل على هذا الاقتصاد الذى لا يحتمل اليوم أقل هزة فحسبه ما يعانى وحسبنا نحن المؤمنين الله فانه نعم الوكيل ٠

من طوايا الحياة ..

ماذا أصاب قومى فى مصر ؟ أين الأيام الخضر ؟ وأين عصير الحياة العذب وأين ذلك الاشراق المضىء . وأين انطلاق الحديث ينتقل مرحا من قلب الى قلب ومن صديق الى صديق . ومن ابن أبيه . ومن أب الى ابنه . ومن أخ الى أخيه . بل أين المودة بين الزوج والزوجة وأين بينهما الذكريات والأمال . حتى الحب الجديد أصبح لا يولد حرا كما كان حرا ولا هو اليوم يعرف ذلك الاندفاع المتدفق لا يعوق دفاعه عائق ولا يجرؤ مانع أن يمسك عنانه . أين هو : هادرا صاخبا . وأين هو جدول من غير سلس المجرى لؤلؤى المياه . يجرى فى ضفتيه لأنه حب وكفى .

يا لشقاء الحب فى وطنى اليوم . الضفتان اليوم مال جامد حقير مسعور . وبحث عن مسكن بعد أن نضبت المساكن فى بلدى . لا هدير للحب اليوم بل هو معتقل فى حبال شديدة الأسر من التفكير المذعور من هول الغد . الفتى يبحث عن فتاة تكون ذات مال . أو ذات عمل . ولم يعد الغنى يبحث عن هواه وحبه فى شريكة الحياة التى يريد الله أن تكون له فى غده سكينة لا مسكنا ومودة لا منفعة .

أصبح يريدها الفتى ذات شقة لا ذات عاطفة وذات مال لا ذات رقة .

ماذا صنعت بك الأيام يا بلدى .

أين أنسام النيل وكانت رخاء وسماحة . أين انطلاق الريف وكان هناءة وجمالا . ما للريف اليوم قد كشر عن أنيساب المال . وزمجر عن صوت العصر العنيف الصارم .

كان الريف يماشى الأيام صفاء ونعومة . فاصبح يقضم الأيام قضم الوحوش ويكسرها ويحطمها . فلا الناى يعزف فى ريفنا ولا الآذان تصغى الى شدو الكروان والبلبل والعصفور ولا النديم فى ريفنا يعرف ندماء

ولا حلقات السمر فى أمسيات الحقول تتحلق تضيئها ألسنة اللهب من نار كنار ابراهيم فهى برد ودفء وهى سلام لا يحرق وانما يشيع فى نفوس البشرية حوله طمأنينة وهناء قدسية الاطناب الأمن وسادها وحب الله والناس وجميع المخلوقات عمادها وأركانها ٠

ماذا صنع بك الحقد يا ريفنا ٠ أين أريحك المعطار ٠ وأين أديمك المسامح ٠ وأين أجواؤك التي ما عرفت الا الحب والنقاء والسعادة والصفاء ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ٠ وكيف استطاع الحقد الآخذ الوبيل أن يعصف بجمالك هذا كله يا مصر ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ وكيف استطاعت السخائم السود الفاتمة أن تسحب الغيوم والسحائب الكشرة وتثبتها على أقطار بلدى وفى أنحاء سمائها التى كانت صافية مؤرجة بالعطر النقى والهواء الشريف ٠

ماذا صنع الأمس باليوم ؟ كيف استطاعت الكراهية والبغضاء الحقود أن تبدد أنوال الحب فى نفوس المصريين وقد كانت من قبل تنسج الهوى والتعاطف والرضا ٠ والكبرياء فى غير صلف ٠ والعزة فى غير تعجرف والأمانة فى غير افتعال ٠ والترفع عن الدنايا ٠ والبعد عن الصغار ٠ والعزوف عن الآثام ٠ فى طبيعة مواتية وفى سجية نقية بيضاء ٠

أين أيام كان الابن يذوب طربا اذا سمع صوت أبيه وتسجح نفسه اذا سمع دعاء أمه ٠

أين أيام كان الأخ للأخ عونا، والأخت لأخيها ابتسامة هوى موصول لا تشوبه على الأيام شائبة ٠

هل استطاعت سنوات الحقد العجفاء القاتمة السوداء أن تشق الابن عن أبيه وتنأى بالفتى عن دعاء أمه وتجهل الأخ للأخ عدوا لدودا والأخت لأخيها ناهبة للميراث الذى كان اليه سيؤول ٠

أضعيف هو الحب ؟! ٠

أم قوى هو الحقد ؟!

أم أن الأمر أدهى من ذلك وأمر :

أترى الخير والستر قد انسحبا من طوايا الحياة ومن وشائج القربى وهى ثنيات الصداقة فانكشف الوادى الأخضر الفسيح بالرضا عن غاية حمقاء مسعورة رعاياها ذئاب بشرية يأكل بعضها لحوم بعض فى غير رحمة ولا شفقة • ومن أين وطيوف الانسانية قد رحلت هى أيضا مع سماحة الخير ومع كرامات الستر الحبيبة •

لقد دخل الخوف بلدى فى السنين العجاف • والخوف سريع مجتاح حين يدخل بلدا • ثم هو عند الارتحال متلكىء وبطىء ثقيل الخطى •

والأمر بعد ذلك ليس ميسورا فهو كلما هم بالخروج من بلدى اجتاحها عاصف يعيد الخوف الى الفرائص والذعر الى النفوس • وهكذا استقر الخوف فى السنوات الأخيرة يطفىء شموع الأمن ويحطم أركان السكينة •

تمثل يوما فى قرارات اقتصادية خرقاء دمرت الاقتصاد بعد أن كان يوشك أن يستقر • وكان علاج هذه القرارات بطيئا فازداد الأمر سوءا • وما زال الخوف يظل اقتصادنا حتى اليوم • المال المصرى يخشى الخروج الى النشاط ، والمال الأجنبى يخشى الدخول الى مصر • والمصريون فى الخارج حبسوا أموالهم فى البلاد التى يعملون بها بعد أن كانت تنثال فى رضا وطمأنينة الى المصارف المصرية •

وتمثل الذعر فى الأصوات الناعقة من الشيوعيين نشروها فى كل مكان من أركان الاعلام فهم فى الصحف القومية لهم صفحات ومقالات وصولات وجولات • هم فى التليفزيون يوشكون أن يستولوا على الأركان الأدبية فيه لم تفلت منهم الا الأحاديث الدينية وهم فى الاذاعة يمرحون ويسرحون ، لهم برامج ثابتة ولهم فى كل حين حديث أو لقاء • والأجهزة جميعها حريصة على أن تسترضيهم حتى لأعلم أن بعض الأحاديث التى تناقش نظريتهم منعتها الاذاعة أن تخرج على الهواء • وليس انتشار الشيوعيين بالأمر الهين • فالأضرار الناتجة عنه أخطر مما يتصور المسئولون فانهم بصيحاتهم هذه لا يخيفون المؤمنين • فنحن واثقون من أن الشعب المصرى لن يلتفت اليهم ولن يأبه بهم • ولكن الخوف كل الخوف

أن تخيف أصواتهم رءوس الأموال فى خارج مصر سواء كانت مصرية أو أجنبية فليس فى العالم شيء أكثر جبنا وحذرا من المال · وهيهات لمال يأتى الى دولة يعلو فيها صوت الشيوعيين ·

وهكذا يزداد الخوف تمكنا فى ربوع مصر ويأبى أن ينقشع ويتحدث الناس بصوت جهورى مرتفع فالنـاس فى بلادى لم تعد تهمس وليس خوفهم اليوم من الحاكم فرئيسنا اليوم أعظم الرؤساء سماحة وبعدا عن العنف والجبروت وانما الناس تخاف من الأيام ومما يأتى به الغد ·

ويزداد الخوف رسوخا فى نفوس الناس ·

ثم هو يقوى ويشتد فيما نراه أخيرا من ظهور وجوه كانت اختفت يوم اختفى عنا عهد الطغيان والاعتداء على الاعراض والحريات والأنفس والأموال فقد علت بآخرة ، أصوات الفئة الباغية وعاد الى النعيق على نخل بلدى غربان الخراب والهزيمة الماحقة فى كل الحروب تضيف على القمة الخائبة منها ٦٧ علامة لا يمحوهـا الزمن لعواقب الفسـاد والسرقـات والاعتداء على انسانية الانسان وتحطيم الحرمات التى أمر الله أن يراعيها الحاكم فى الرعية· عاد عواء الذئاب فاهاج جميع مكامن الخوف فى نفوس المصريين· ويقول كاهنهم الاكبر للناس انه بغيره لن يكون قرار ما حكيما· وكأنه ما كفاه ما شارك فيه من قرارات كانت كلها خرابا ما زالت مصر تعانى منه حتى يومنا هذا وستظل تعانى منه لسنوات أخرى قادمة الله وحده يعلم عددها · هذه الجوقة التى تمثل السرقات بادئة من مجوهرات أسرة محمد على الى آخر من صودرت أمواله أو وضع تحت الحراسة والتى تمثل الهزائم المتوالية بدءا من ٥٦ مرورا بحرب اليمن الى انفصال سوريا الى ٦٧· عادت الى الظهور مع عازفها الأول ولا يجد الناس مفزعا الا القرآن الكريم أمنهم عند الكريهه ومفازتهم عند الذعر وجنتهم عند الملمات ·

ويذكرون أن هذا العهد جميعه لم يكن يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وانه ليس ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى **وبالآخرة هم يؤمنون** ·

وهم واثقون من كفر العهد ورجاله ليس مما فعـل العهد ورجاله بالبشر فحسب وانما بنص ما جاء صراحة فى كتب كاتب العهد وكاهنه الأكبر ·

ويستجيب القرآن الكريم لفزع الناس وكيف لا يستجيب لهم الله وهو قريب يجيب دعوة الداعى اذا دعاه · وتاتى الآية ١١٨ من سورة

آل عمران **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون** • صدق الله العظيم والناس تعلم أن القائمين على الأمر اليوم من هؤلاء الذين يعقلون وان رئيسنا من هؤلاء الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه •

وتتجمع هذه المشاعر جميعا وتصخب فى نفوس الشعب • ثم تنفجر فئة باغية جاهلة حمقاء تحرق أمن مصر وأمالها فى جنون أرعن مأفون وتبحث مصر عن السبب أو الدافع فاذا هى تجده فى جيوب الخونة المخابيل متمثلا فى مبالغ متشابهة ذات أرقام متتالية تصيح بأعلى صوت لها أن أعداء مصر فى الخارج قد أعطوا أوامرهم لأعداء مصر فى الداخل وشفعوا الأوامر بالأموال واستغل هؤلاء وهؤلاء حراس أمننا والأمناء على الطمأنينة فى بلادنا واستغلوا جهلهم ولا أقول فقرهم وغباءهم ولا أقول ضيقهم وصنعوا منهم قذائف حرقت أول ما حرقت أمن مصر والثقة التى تمكنت أن تشيعها فى نفوس العالم حولها •

وترفض مصر أن تصدق ما رفعوه من سبب لعدوانهم فلو كان ما أعلنوه ذا صلة بأى نوع من الصدق لكان من الطبيعى أن تكون وسيلتهم وهم رجال الأمن المجندون متمثلة فى شكوى يقدمونها أو تظلم يحمله عنهم قوادهم أو أى سبيل آخر يتفق مع الخلق •

ولكنهم لم يفعلوا ذلك وانما أذهلتهم الأموال التى تسربت اليهم فى خفية عن مصر وأصبحوا قنابل تحرق مصر • مصرهم التى رضعوا لبانها وتفيئوا ظلها • والتى لا ملجأ لهم الا حقولها ومغانيها ولا مشرب لهم الا نيلها •

ان تكن سنة قد زيدت على تجنيدهم وهم بها ضائقون فالى أين يريدون أن يتجهوا اذا لم تزد ان لم يتجهوا الى مصر التى يحرقون •

لا ليست زيادة سنة صحيحا كان أمرها أو كان أشاعة ــ بالسبب الذى تقبله مصر • انما هو الخيانة والرشوة ومصر تتساءل اليوم ان كان الذين قبلوا الرشوة جهلاء حمقى فأين كان رءساؤهم • وهو سؤال ضخم وكل اجابة عليه محزنة تمزق النفس حسرة وألما وذهولا فاجعا مدمرا •

والعجيب العجيب وفى نفس الوقت العظيم أن شعب مصر الذى يتحمل ما يتحمل من عناء هو الذى يقمع الخونة ويصدهم ويرفض فى اجماع منقطع النظير اجرامهم •

ان هذا الشعب هو النبت الصالح الذى يخرج من الأرض الطيبة ٠

وان أرض مصر العريقة عراقة الزمن لا يمكن أن تنبت الا هذا الشعب النبيل وصدق الشاعر :

وهل ينبت الخطى الا وشيجة   وتزرع الا فى منابتها النخل

الأهرام ١٩٨٦/٣/٢

هل هم منتهون ؟

للقلم وجمة · وبعد الحادثات يسود صمت فيه الم وفيه تفكير وفيه عجب وفيه ذهول ويصيب القلم فى ايدينا وجوم · فهو ذو نبض وذو حياة ومن كان ذا نبض وذا حياة يصيبه الوجوم كما يصيبنا ·

وماذا أنت قائل لقومك اليوم · أما الأحداث فقد تناولتها الأقلام جميعا ولم يعد فى جنباتها مجال للقول الا أن يكون القول وجوما وهموما وحزنــا ·

ومن الوجوم يثور التفكير ويعتلى ، وتنظر فى الجرائد القومية التى صدرت بعد الحوادث فتجدها على حالها · وكأنها لم تشهد الايدى الخائنة تحرك النفوس الجاهلة وتكاد تشعل الفتنة فى أرجاء مصر جميعا ·

أعداء مصر الملحدون · المنتمون لغير ترابها · الداعــون لغير حبها تتصدر صورهم وأحاديثهم بعض الجرائد القومية ·

وكان لم يكن بالأمس القريب حريق هــم مشـعلوه بأحـاديثهم وكتاباتهم قبل أن ينشب · وهم الذين أشعلوه بخيانتهم وبمؤامراتهم فى الليل ، وسيلتهم اليه الرشوة الحقيرة ينهالون بها على نفوس مأفونة لا علم لها يقف بها عن الشر · ولا خلق لها يردها عن التمرد ولا كرامة لها تمنعها عن الرشوة ، ولا وطنية لها تزعها عن اشعال الحريق فى وطنها ولا عقل يذودها أن تحرق نفسها فى عمل انتحارى جماعى ·

فما أحرق هؤلاء الغوغائيون الا أنفسهم وهل مصر الا هم لو كانـ يعقلون ·

وتطالعنى صفحات الشيوعيين فى الجرائد القومية يحللون ويتحللون ويفلسفون وينماعون وينافقون فى غير خجــل ويكذبون فى غير حيـاء ويقولون غير ما يعتقدون فى تبجح لا يتأتى الا لقوم باعوا ايمانهم بالالحاد· وباعوا أوطانهم بالخيانة ·

ولا ألوم الجريدة التى تسمح لهم بهذا ، فالصحف اليوم فى عصر الحرية هى المسئولة وحدها لا تقف على كتفيها سلطة ولا تتحلل أصابعها رقابة من خارجها • وانما ضمير الجريدة وحده هو الفيصل والحس والسياسى هو صاحب القرار •

فليقل الشيوعيون ما شاءوا أن يقولوا فى صحفهم وما هى بالقليلة العدد أما أن يفرضوا علينا فى جرائد تنتمى بجميعها الى مصر فتلك كبيرة لا تغتفر •

وهم يعلمون ان هـذا الذى يفعلون أثار نفوس الناس فى مصر جميعها وأثار مخاوف المهتمين بشئون مصر فى خارجها سواء كانوا من أبناء مصر أو كانوا من الذين يفكرون فى القدوم اليها ليستثمروا أو ليجعلوا من ربوع مصر وآثارها مكانا لسياحتهم الآمنة أو لسياحتهم التى تريد أن ترى آثار مصر التى يعتبرها العلماء متحف العالم أجمع •

هم يعلمون ذلك وكان من الطبيعى أن يعودوا الى العقل منهم والرشاد بعد هذه الفئة الباغية التى شهدتها مصر • ولكن لا عقل لهم ولا رشاد ولا تزال صفحاتهم كما كانت قبل الفتنة بل هى أشد سوءا وأكثر سوادا أو احمرارا ولك أن تختار أى اللونين شئت •

كان عليهم أن يعلموا أن مصر ترفض هذه الفئة • وتحاربها • لأن مصر وقفت بجانب جيشها الشرعى ولم تقف بجانب المعتدين المجرمين الآثمين كما يتمنى الملحدون المنتمون لغير مصر •

ولو لم يكن الشعب المصرى يؤيد رئيسه ويتمسك به لكانت الفرصة أمامه مواتية أعظم ما تكون المواتاة • ولاهتاجوا مع المهتاجين ولا حرقوا مع المحرقين ولا أتلفوا مع المتلفين ولا دمروا مع المدمرين •

ولكن الشعب المصرى لم يحرق ولا هو أتلف ولا دمر والشعب المصرى أيضا لم يتخذ موقفا سلبيا ولم يبتعد عن الأحداث فى غير مبالاة • انما وقف المصرى عونا على المفتونين وعلى المحرقين وعلى المتلفين المدمرين •

الشعب المصرى اليوم يحس أن مصر بلاده وما كان ليشعر بذلك لو كان رئيسه جبارا طاغية منفردا وحده بالسلطان مبعدا الشعب عن أى رأى فى مصير البلاد •

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى انك لم تكن فى يوم طاغوتا ولا منفردا برأى ولا متباعدا عن الشعب ولا متكبرا عليه •

وأشهد يا رئيس الجمهورية ويشهد الشعب معى أنك لم تمسك على شعبك سلاحا ولا كنت عليه سوط عذاب ولا حاولت أن تخرق الأرض أو أن تبلغ الجبال طولا •

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تصعر خدك للناس ولا ملت عنهم تهاونا بهم أو كبرا عليهم بل أنت منذ عرفناك ذو تواضع فى غير ضعف • وذو كبرياء فى غير تكبر • وذو حديث سلس المجرى قريب المأخذ لا تقف فى مجراه صخور من الافتعال أو التصنع أو التخلق بغير خلاقك بل أنت دائما على سجيتك المصرية الأصيلة • أن ثرت فلمصر وليس على مصر ، وان غضبت فلشعب مصر ولم تكن غضبتك يوما على شعب مصر •

لم نعرف فى عهدك أن مصريا زج به الزبانية العتاة الى معتقل • وما سمعنا يوما أن شخصا قتل خفية عن الناس فى أطواء المعتقل حتى اذا سأل عنه ذووه قيل لهم هرب فهو مجهول المصير • ولم تستول حكومتك على أموال الناس ولم تتعرض سلطة فى عهدك لأحد تستلب كرامته فالعرض فى عهدك مصون • ولم نسمع ولم يسمع أحد أن كلابا أو أدميين اعتدوا على أعراض نساء أو رجال باسم الدولة فى عهدك المبارك•

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك أعطيت المعارضة الطريق المفتوح على مصراعيه وان كثيرا منهم خفروا هذا الطريق بالأكاذيب والأثارة وبعضهم دمره بالافتراء والتآمر والخيانة • فلم تغلق يوما جريدة معارضة ولا أنت حتى منعت جريدة قومية أن تقول كل ما يعن لكتابها أن يقولوا • بعد أن كانت الأصوات كلها تصدر عن بوق واحد •

ولقد حذرت ولم تهدد وبصرت ولم تصادر : وكنت صادقا فى تحذيرك وتبصيرك • ولكن هل وعى الأخرون الدرس وهل ارعوى غاويهم أو رشد سادرهم •• لا أظن !

أحسب يا رئيس الجمهورية إنك كنت ترى المستقبل يوم قلت مرات أخشوا العواقب واحرصوا على ألا تشعلوا فتنة لن تصيب الذين ظلموا وحدهم •

وهاج هائج المعارضة ، ووجه بعضهم حديثه اليك فى محاولات صبيانية للبطولة الزائفة وبدلا من أن يختاروا الصدق طريقا للرأى ،

والامانة وسيلة للمعارضة راحوا يفسرون حديثك انه تهديد بزوال الديمقراطية والحرية ٠

واأسفى لهم فهم لا يعقلون ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم ترم مصير مصر الى شرك الحروب وأهوالها ومصائبها بغير داع لها الا الأمل فى زعامة عالمية أو رغبة فى مجد شخصى مزيف ٠ فأموال مصر فى عهدك أمنة فى مستقرها وان عدا عليها لص أو منحرف كنت له بالمرصاد لم تحم يوما قريبا وان كان أخا ، ولا تسترت على معتد وان كان منك فى أقرب مكان ٠ ولو ان الشعب قارن بين كل ما سرقه السارقون وما انتهبه المجرمون فى عهد الحرية وبين نفقات يوم واحد فى أى حرب من الحروب لكانت المقارنة وكأنها بين ابرة وصاروخ أو بين نقطة ماء ومحيط ٠ هذا ان لم نذكر الدماء التى نزفت والتى هى أغلى ما عرفته البشرية ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك لم تكذب على الشعب فى يوم من الأيام ولم تخدعه ولم تعد وعدا أنت تعرف أنك لم تنفذه ولم تعير الشعب المصرى انه كان بلا كرامة ولم تحاول يوما أن تهون من عظمة شعب مصر ولم تستخفه أو تستهن به ٠

وأشهد يا رئيس الجمهورية انك منذ توليت وأنت تعرف انك واحد منا يسعدك ما يسعدنا ويضنيك ما يضنينا ٠ تحيا حياتك فى غير سرف ولا مظاهر ،فى كرامة تليق بانسان ٠ تمشى على الأرض هونا فلا مختال أنت ولا أنت فخور ولا متأله أنت ، ولا أنت ذو شره ٠

لهذا يا رئيس الجمهورية كان الشعب معك لا عليك لانه يعرف عن يقين انك معه لا عليه ٠ ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفض من حولك ولما وقف حولك وحول وطنه يذود عن حياضه ويدافع عن أماله ويرد الخونة المعتدين فى اصرار وثبات وشجاعة وصمود ٠

ونحن يا رئيس الجمهورية اليوم ننتظر نتائج التحقيقات وليس لنا أن نقول ما لا نعلم ولكن من حقنا أن نفكر ، وأن نستنتج وأن نرى المقدمات لعلها تصل بنا الى الحقائق ٠

ان المتمردين مجرمون لا شك فى اجرامهم ٠ ولكن المجرم الأكبر مازال خافيا عن العيون وان كانت بعض ملامح منه بدأت تطل علينا ٠

من بين هذه الملامح تلك الجنيهات فى جيوب الفقراء الثائرين · من أين جاءوا بها !؟ وكيف توالت أرقامها تضيع أنها من مصدر واحد · ما المصدر ؟ ·· هذه واحدة من الملامح ·

وبعض الملامح التى تدل على المجرم الأكبر جاءت فى واقعة عظيمة الدلالة · هذه السيدة المصرية العظيمة التى لم تقفل شباكها ولم تهرب الى العميق العميق من سراديب بيتها وانما وقفت فى النافذة تصور الأحداث وهى تعلم تمام العلم أن هؤلاء المجانين لو رأوها أو راها واحد منهم لكان القتل هو أهون مصير لها هذا اذا لم يصحبه حرق لعمارتها كلها ولاهلها وذويها وجيرانها جميعا ·

صورة من حب المصريين لمصر ، تحمل صورة للخوانة الذين لا نريد أن نصرح بما نستنتجه فى شأنهم وان كان أمرهم معروفا للجميع · ولكن الأمر فى يد العدالة فمن حقها علينا أن ننتظر كلمتها فى ثقة كاملة بأمانتها وذكائها فى وقت معا وبعد فمن حقنا اليوم أن نقول مع شوقى :

أرى مصر يلهو بحد السلاح	ويلعب بالنار ولدانها
وراح بغير مجال العقول	يجل السياسة غلمانها
وما القتل تحيا عليه البلاد	ولا همه القول عمرانها
فأين النبوغ وأين العلوم	وأين الفنون واتقانها
وأين من الربح قسط الرجال	اذا كان فى الخلق خسرانها
لقد عبثت بالنياق الحداة	ونام على الأبل رعيانها

الأهرام ١٩٨٦/٣/٩ م

لا نخاف الا الله !

توالت الأنبـاء من داخـل المؤسسـات الحكوميـة عن اللصوص والمرتشين • لم تجامل هذه الأنباء أحدا فهى حينا تتناول وزيرا ثم هى ما تلبث ما تتفاقم وتصبح أحكاما نهائية على أربعة من كبار موظفى الدولة ولا تمثل هذه الأحكام الا جزاء يسيرا من قضايا مازال الجانب الأكبر منها متداولا فى أيدى القضاة ثم تهب ريح من وزارة الصناعة تتهم جماعة كبيرة العدد بالرشوة •

وكل هذه الأنباء تعيد الى المواطن المصرى ثقته بحكومته أن الجميع عندها سواء • وانها لا تتستر على أحد مهما يكن ذا سطوة أو ذا قرابة • وان القضاء فى مكانه الأسنى لا يعنيـه الا الحق والحق وحده معصوب العينين عن قيمة المتهم ومكانته متفتح البصيرة فى نظره الى العدالة المطلقة وما يؤيدها من أدلة وشواهد وشهود •

وليس شىء يدعو الى الثقة فى دولة ما مثل القضاء الشريف ، وكاذب كل من يدعى أن مثل هذه القضايا تهز الثقة فى الاقتصاد المصرى • فان هذه القضـايا تؤكد الثقـة فى الاقتصاد المصرى • وان كانت الثقـة فى الاقتصاد المصرى لا تتأتى الا بالتغاضى عن المرتشين والتستر على اللصوص والسكوت على المجرمين فليذهب هذا النوع من الثقة الى أى جحيم يشاء • ولتظل مصر على ما تنتهجه من ردع المجرمين وتقديمهم الى المحاكمة وليأخذ العدل مجراه وليكن بعد ذلك من أمر الاقتصاد ما يكون فالقاعدة الثابتة ان الاقتصاد والصلات المالية ان لم تتسم بالشرف فهى الى انهيار لا شك فيـه •

ولكن العجيب المؤسف أن هذه القضايا جعلت الموظفين الشرفاء فى حالة تجمد كامل عن اصدار القرار • أضع على رأس هؤلاء الوزراء أنفسهم، فقد أصبح الوزراء — وهـم يعلمون انهم شرفاء — يخافون من اصـدار القرار • فالقرار الذى يستغرق اصداره يوما أو بعض يوم لا يصـدره الوزير الا بعد عدة شهور • واذا كان الوزير خائفا فوكيل الوزارة هالع واذا خاف الوزير وهلع الوكيل فالسكرتير العام مذعور ومن يليـه من

المسئولين فى فرق مبين لا يملكون معه أن يضموا أصابعهم على قلم ليتحملوا به مسئولية رأى ٠

ما هذا الذى يحدث ٠٠ أمعقول هذا ٠ ألا تواتى الجرأة الا اللصوص٠ ويتجمد الشرفاء فى سجون الخوف والهلع المذعور والفرق المرتعش الآليم ؟

بمثل هذا يتجمد الاقتصاد ٠ ومن مثل هذا يفر من التعامل مع الحكومة كل الشرفاء مصريين كانوا أو كانوا أجانب ٠ أفراد كانوا أو دولا ٠ هل يعقل أن يصبح تخريب اللصوص عندنا واسع السطوة الى هذا الحد حتى انهم استطاعوا أن يمدوا أثرهم الخطير الى الوزراء وهم وزراء ؟

أخشى ما أخشاه الا يكون الوزراء واثقين من شرعية وجودهم على كراسى الوزارة ٠ فان هذا الشعور مدمر فتاك ٠ يفتك بمصالح الدولة ويدمر الوزير نفسه ٠

أحسب أن الوزير فى كل قرار يعرض عليه يظل يسوف التوقيع بانفاذ القرار موجها نظره الى أعلى حينا يستمد الشجاعة حتى اذا افتقدها وفقدها راح يقلب عينيه ذات اليمين واليسار يحاول أن يتلمس التأييد من معاونيه ومساعديه ومستشاريه ٠ وأحسب أن الوزير بهذا يمد جميع هؤلاء بشحنة من الرعب لا يملكون معها أن يقطعوا برأى ومن أين لهم الرأى وقد أكلهم الذعر أكلا وانتهبهم رعب الوزير انتهابا ؟

اننا اليوم أحوج ما نكون الى وزراء واثقين كل الثقة بشرعية وجودهم على كراسيهم ٠ يؤدون ما يرون أنه الحق ويتوكلون على الله العلى القدير ٠

لا يخشون فيما يفعلون الا الله وحده المطلع على الضمائر لا يخفى عليه من شئ فى الأرض أو فى السماء ٠

ان المعارضة ستعارض ٠ ولكن ما الباس ٠ ان المعارضة هى روح الديمقراطية وأساسها الأول ٠ وفى رفضها يستنير الناس ويعرفون تماما ما فى القرارات من محاسن وعيوب ٠ ولن يجمع الناس على شئ أبدا فما أجمعوا على شئ من قبل ٠ وانما الأغلبية هى صاحبة القرار وحسب من يصدر القرار أن تؤيده الأغلبية ٠

ولست فى حاجة الى القول أن صاحب القرار لابد أن يبذل أقصى جهده للوصول الى القرار الأمثل فعليه أن يبحث ويدرس ويستشير حتى اذا اطمأن الى القرار أصدره ٠

فان القرار الصادر فى عجلة وبغير دراسة وبال مستطير ٠

وفى نفس الوقت القرار الذى ينبغى أن يصدر ولا يصدر وبال مستطير ٠

وانه لمن المحزن أن تكون الديمقراطية مدعاة للخوف والهلع وهى النظام الذى يقوم على رأى الأغلبية وفى ظله يكون الخطأ نادرا لا يقع الا فى أضيق الحدود ٠

فى حين تتسم الديكتاتورية بالقرارات الرعناء التى لا يسبقها تدبر أو تفكير أو دراسة ٠٠

والديمقراطية تحتمى من الخطأ بحق الجميع فى المناقشة بينما لا حماية للديكتاتورية الا الارهاب فليس فى الديكتاتورية دراسة تسبق القرار ولا فى الديكتاتورية مناقشة للقرار اذا صدر وقديما قال الشاعر :

تلوا باطلا وجلوا صارما وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وانه لكارثة كبرى أن يخاف الوزير وهو فى حماية من المناقشة الحرة وتداول الرأى ٠

ولا يخاف الوزير فى ظل الطغيان وهو بلا رأى ولا فكر فهو فى هذا النظام البغيض لا شىء الا لسان ينطق عن الديكتاتورية حتى ولو كان ينطق بغير ما هو مقتنع به ٠

ولا يجوز للوزير فى ظل الديمقراطية أن يخشى الكتاب الذين دافعوا عن الديكتاتورية وارتبطت مصالحهم الخاصة بسيفها الظالم السفاك لأن هؤلاء أصحاب هوى ولا أمانة لهم ٠ وهم لن يؤيدوا الديمقراطية بقلوب خالصة أبدا ٠

وقد يقول هؤلاء ان السرقات قد كثرت وان هذا دليل على الفساد وهم يعلمون ــ ولكنهم لا يقولون ــ انه فى ظل الديكتاتورية قام الحكام بتأميم السرقات فلا يسرق الا أصحاب السلطان وحدهم والدليل حاضر

من قريب فحسبك أن تذكر جواهر أسرة محمد على والقصور المسلوبة والأموال التى صودرت لحساب الدولة فانتهبها حكام ذلك الزمان ٠

هذه واحدة وأخرى أنه لم تكن هناك حياة تجارية فى ظل الطغيان فالأموال كلها كانت خبيئة مستورة تتخفى وراء الجدران وتتباعد عن الظنون وتنأى عن الحدس والتخمين ٠ فما كان أحد ليفكر أن يستثمر ماله خشية أن تنقض عليه الحراسة فتستولى على أمواله جميعا هذا اذا لم تضم اليهم حريته وكرامته وعرضه أيضا ٠

فممن يسرق السارق ؟ وماذا يسرق ؟ وهل كان هناك مال حتى يسرقه سارق ؟

ولا يجوز للوزير أو أى مسئول فى ظل الديمقراطية أن يخشى من قضايا اللصوص المقدمين الى المحاكم فليس هناك دولة ليس فيها مرتشون أو لصوص بمناصبهم ٠

ولكن الأغلبية دائما من الشرفاء ٠

كل ما فى الأمر أن هذه القضايا جديدة علينا بعد فترة طويلة لم تكن لمصر فيها حياة اقتصادية على الاطلاق ٠ وهذه القضايا تشكل موجة ولكنها لاشك ستنحسر ٠ فلا ينبغى بأى حال من الأحوال أن تمسك هذه الموجة العارضة بأيدى الوزراء وأصحاب القرار أن يصدروا القرارات التى يتعين عليهم أن يصدروها فان خوفهم هذا قد أصاب الأسواق المصرية كلها بالرعب والتجمد ٠ وكم يحزننى أن أرى العاملين فى حياتنا الاقتصادية يصيبهم الظلم الفادح نتيجة الخوف من اصدار القرار العادل ٠

وكم يصيبنى الأسى لمصر وأنا أسمع من التجار أن الكثيرين من زملائهم يفكرون فى انهاء أعمالهم التجارية ٠

وانك لن تسأل أحدا ممن يعملون فى الحياة الاقتصادية الا قال لك ان حركة السوق متوقفة تماما ٠ وركود السوق خراب فما الخطب اذا توقف ؟!

ان الأدواء الاقتصادية التى تعانيها مصر معروفة حتى لغير أساتذة الاقتصاد ٠ والدواء الوحيد لمواجهتها هو الشجاعة فى اتخاذ القرار ٠

فان احاط بنا الخوف فى القرارات الفرعية فويل لاقتصادنا كل الويل حين يتحتم علينا أن نواجه القرارات الكبرى التى سترغمنا الأيام على اتخاذها شئنا أم أبينا ٠

فيا مصرنا الخالدة ناشدى المسئولين فيك أن يلوذوا بالجرأة فى الحق لا يخشون الا الله وحده ٠

فهو وحده سبحانه القاهر فوق عباده ٠ وهو أيضا الرحمن الرحيم الغفور ٠ جلت آلاؤه ٠

الأهرام ١٦/٣/١٩٨٦ م

بين النظرية والتطبيق

فى أهرام الجمعة ٧ مارس مقال للأستاذ السيد يسين رئيس مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام · والمقال يحمل على رأسه اسم المركز وهذا يوحى بشكل لا يقبل الجدل أن الأستاذ السيد يسين انما يتحدث باسم مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية · وأعتقد أن فى هذا افتئاتا على المركز · فان للأستاذ سيد يسين ـ اذا شاء ـ أن يكتب معلنا رأيه هو أما أن يكتب تحت راية المركز الذى يمثل الأهرام جميعه فأنا أرى أن هذا يؤدى الى نوع من الخلط بين رأى فردى ورأى جهة بأكملها فأنا أشرف بالاشراف على القسم الأدبى فى جريدة الأهرام ولكننى حين أكتب أنا أعبر عن رأيى وحدى ولا يجوز لى أن أطبع شعار القسم الأدبى على مقالتى كما لا يجوز لى أن أضع شعار اتحاد الكتاب الذى أشرف برئاسته ·

وبعد فهذا أمر يتصل بالشكل كان من الحتم أن أعرض له أما المقالة نفسها فتحمل عنوان « الديمقراطية والعنف والسياسة الاجتماعية » والمقالة تحمل سمات المعارضة العنيفة ولا بأس على الأستاذ سيد أن يعارض ما طابت له المعارضة فنحن جميعا نعارض حينا ونؤيد حينا نتغيا المصلحة العامة ما وسعنا الجهد وما اسعفتنا الحجة ·

وقد قدم الأستاذ السيد يسين آراءه فى اصلاح أحوال مصر من وجهة نظره وأنا لم أمسك القلم اليوم لأناقش هذه الآراء ·

وانما ثارت نفسى وفزعت الى قلمى والى كتابة هذا الذى تقرأه الآن حين انتهى بى المطاف الى العنوان الفرعى فى آخر المقال ، وانى ناقل اليك ما قال بادىء ذى بدء ·

يقول الأستاذ السيد يسين تحت عنوان فرعى « اعادة صياغة السياسة الاجتماعية » ما يلى ·· السياسة الاجتماعية فى بلد ما تترجم بشكل محسوس التوجيهات الأيديولوجية الأساسية للنظام السياسى ومن هنا تختلف السياسة الاجتماعية اختلافات جذرية فى النظم

الاشتراكية والرأسمالية . فى النظام الاشتراكى يعلو الصالح العام على حساب الصالح الخاص . وتتوجه السياسات الاجتماعية الى جماهير الشعب جميعا لكى تنهض بها من الناحية الثقافية والاقتصادية والسياسية ويظهر ذلك فى صورة برامج التعليم المجانية التى تسمح لأفقر العناصر الاجتماعية أن تبرز مواهبها وأن تكشف عن ابداعاتها ، وكذلك فى سياسات الدخول والأجور والتى لا تسمح للقلة أن تثرى — استغلالا — على حساب الأغلبية وهى التى تفتح آفاق الثقافة بلا حدود أمام كافة جماهير الشعب وتصل الى القرى والنجوع وهى أخيرا تدعم من ايجابيات الشخصية الانسانية وتكافح سلبياتها من خلال القدوة والتربية والتعليم والردع والاصلاح العقابى وعلى العكس تماما فى النظام الرأسمالى حيث يعلو صوت الصالح الخاص على حساب الصالح العام وتصاغ السياسات الاجتماعية أساسا لخدمة الأقلية والصفوة المختارة . وهى حين تتجه الى الجماهير العريضة فهى تتجه بقدر وبطريقة محسوبة ، والغرض الأساسى هو اشباع بعض الحاجات الأساسية لها تلافيا لعوامل السخط الاجتماعى وتفاديا لاحتمالات الصراع الطبقى .

وأكتفى بهذا القدر الذى يعلم الله كم قاسيت من جهد لأنقله وأنا أسأل الأستاذ السيد يسين هل ما زالت الشيوعية نظرية لفظية أم انها تجاوزت هذا الى التطبيق الطويل الذى يقارب اليوم نصف قرن من الزمان .

وما دام الأمر كذلك ألا يرى أن الأمانة العلمية تقتضى مناقشة التطبيق . واذا كنا لا نناقش التطبيق بعد خمسين عاما من أعمال النظرية فمتى اذن ؟!

ومادام قد اختار أن يضع على رأس مقاله مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ألم يكن واجبا حتميا عليه أن يذكر الرأى والرأى الآخر وبعد فلننتقل الآن الى ما قاله :

أيعرف الأستاذ حكومة فى العالم الحر جميعه تعمل لغير الصالح العام . أين تقع هذه الحكومة وفى أى دولة رأسمالية على وجه الأرض .

وكيف يصبح فى المعقول أن حكومة ما تعمل لصالح أفراد ولا تعطى الشعب الا الفتات .

وهل ما يناله العامل في امريكا يقارن بما يناله العامل في روسيا ٠

وهل فكر الاستاذ السيد يسين فيما يتمتع به الانسان في ظل الحكومة الديمقراطية من حرية وديمقراطية وانطلاق وهل يستطيع مقارنته بما يشقى به الانسان في ظل الحكومات الشيوعية ٠

هل الثقافة متاحة في الدول الشيوعية وغير متاحة في الدول الديمقراطية ٠ أيصدق هو هذا القول ٠ فأين اذن أدباء الاتحاد السوفيتي ومبدعوه ٠٠ أين ورثة تولستوى وديستوفسكي وتشيكوف وجوجول ٠ ألم يقتل النظام الشيوعي كل عبقرية حاولت التحرر من الخوف سواء كان ذلك في ميدان الفن الأدبي أو كان في ميدان العلوم والأمثلة حاضرة من قريب وهو يعرفها كل المعرفة ٠ أليس النظام الديمقراطي يقوم في جوهره على أساس الحافز الشخصي !!

أو ليس هذا الحافز الشخصي هو الهاوية التى تردى في فقدانها النظام الشيوعي حتى لقد اضطر لينين روسيا نفسه أن يسمح بالملكية الزراعية فيما يعرف بسياسة النيب (السياسة الاقتصادية الجديدة) عام ١٩٢١ م ليحقق حافزا شخصيا للزارع بعد أن أصبحت روسيا التى كانت مخزن القمح في العالم تستجدى القمح من الدولة الرأسمالية الكبرى أمريكا ٠

ألم تستبدل النظرية الشيوعية الحافز الشخصي الذى يتمشى مع الطبيعة الانسانية بنظام « الردع والاصلاح العقابى » وهل يعنى هذا التعبير شيئا الا القهر والنفى والقتل والمعتقلات ٠

أولا لايعنى هذا أن النظام الشيوعي يقول للانسان علانية وفي غير خفاء سأقتلك وأهين انسانيتك وأدمر كل ما هو شريف في حياتك لأجعلك سعيدا رغم أنفك فاذا لم تسعد فلك الويل ولك النفى الى صحراوات الجليد ولك الاعتقال في السجون ٠ واذا لم تسعد بعد هذا جميعا فلك القتل ٠ أليس هذا هو تطبيق النظرية يا أستاذ سيد أم شيئا آخر ٠

أو ليس هذا التطبيق هو الذى جعل كل الدول التى فرضت عليها الشيوعية تهرب منها وعلى رأس هذه الدول جميعا أضخم دولة في التاريخ ألا وهي الصين ٠ وهي دولة عدد سكانها ألف مليون نسمة ٠ وقد كان ينبغي أن ينجح فيها النظام الشيوعي ٠ فان ينال الفرد في هذا الزحام

البشرى المروع لقمة عيشه امر يدعو وحده الى التمسك بالنظرية ولكن النظرية فشلت فى أن تهب للانسان فى الصين حتى لقمة العيش ونجحت فى القهر وقتل انسانية الانسان فتركت الصين النظرية كلها واتجهت الى حرية الحياة ولاشك أن الدولة بحثت عن النظام الامثل لمواجهة متطلبات ألف مليون نسمة بعد أن خذلتها النظرية الشيوعية خذلانا مبينا .

ولعل انتخابات فرنسا الأخيرة تعطيك مثلا آخر عن فشل النظرية حتى لم تتحملها فرنسا الا فترة انتخاب واحدة .

أو ليست روسيا تعيش بامتصاص دول الستار الحديدى كلها . وكل هذه الدول تحاول أن تتخلص من جنة الشيوعية فتجد أمامها الوحش السفاح يسوى جثث الأطفال والشيوخ والعجائز بالارض فلا تملك الا الخنوع فى ألم قاتل . ولتتذكر ان كنت لا تذكر ما حدث فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ولا يزال يحدث فى بولندا . ناهيك بالغزو الأخير لأفغانستان محاولة ضمها الى جنتها .

أترى يا أستاذ سيد أن كل الدول الديمقراطية التى تعيش فى حرية لا تعمل حكوماتها للصالح العام .

أم ترى كل دول الستار الحديدى لا تعمل حكوماتها للصالح العام حين تحاول التخلص من عبودية الجنة السوفيتية .

وبعد أيها الصديق هل ترى أن التعليم المجانى فى مصر خرج مثقفين ؟

أترك هذا لضميرك . بل وأتنازل عن أمالى قليلا وأسألك هل خرج التعليم المجانى فى مصر متعلمين . أم أن الأمر لم يزد عن لافتة على فراغ بعد أن أصبحت المدارس المصرية تعلم الجهل فتحسن تعليمه .

هل أفلح الاصلاح الزراعى فى مصر فى الارتقاء بالزراعة يا أستاذ سيد . اذن فاجعل مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية يجيب على السؤال بالأرقام لا برأيك أنت .

هل ترى أن نظرية الخمسين فى المائة من الفلاحين والعمال نظرية مقبولة عندك وهل لها مثيل فى العالم . اجعل مركزك يجب ولا تجب أنت .

هل القطاع العام بصورته الراهنة فى مصر خراب لمصر أم ازدهار لاقتصادها · اجعل المركز يجب ولا تجب أنت ·

وبعد يا أستاذ فلو مضيت فيما أخذت فيه لما توقف القلم ولولا اننى أرده عن المضى فى طريقه لما انتهى به الحديث الى مئات الصفحات ·

وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٦/٣/٢٣ م

أعجب واعجب معى !

أعجب غاية العجب حين أمر بحرم الجامعة فأشهد صفوفا لا تنتهى من السيارات من بينها سيارات فارهة يتناقل الناس فداحة أثمانها وتصل هــذه الأثمان الى عشرات الألوف • وأرى الشــباب من تلاميــذ الجامعة يتقــاطرون الواحــد تلو الآخر ومن بينهم من هو فخور بســيارته ذات الثمانين ألفا أو التسعين •

أهؤلاء يتلقون تعليمهم بالمجان ؟!

أهؤلاء يحتاجون من الدولة الى دعم ليتعلموا به ؟!

كره الله هذا والمؤمنون •

وعند بدء العام الدراسى أجد ألاف البيوت تسعى لادخال الأطفال البادئين الى المدارس الخاصة ، ويتخرج هؤلاء الآلاف فى المدارس الخاصة وقد حملوا فى أيديهم شهادة الثانوية العامة بذل آباؤهم وذووهم آلاف الجنيهات ليتيحوا لهؤلاء الأبناء أن يحصلوا على هذه الشهادة ويحصلوا معها على لغة أجنبية تكون لهم سندا فى الحياة •• أعظم به من سند •

ويخطو هؤلاء الى الجامعــة المصريــة فاذا التعــليم فيها بالمجانيــة الكاملة ؟!

فهل هذا معقول ؟!

ينفق الطالب عشرة آلاف جنيه أو اثنى عشر ألف جنيه أو أكثر ليحصل على شهادة الثانوية العامة التى تؤهله للدراسة فى الجامعة حتى اذا أدرج اسمه فى كشوف طلبة الجامعة وأصبح يتلقى تعليمه من أساتذة أغلبهم حاصل على الدكتوراه اذا كانت الكليات نظرية أو هو يكلف الدولة التى تئن وتتألم من قلة الموارد مبالغ طائلة ليتعلم فى الكليات العملية

مثل الطب والهندسة دون أن ينفق مليما واحدا • كيف يسوغ هذا ، كيف يدفع هؤلاء الطلاب آلاف الجنيهات للمدارس الخاصة ويتعلمون تعليمهم العالى بالمجان •

ولماذا تهون الأموال وتقدم فى سماحة ويسر الى أصحاب المدارس الخاصة والأجنبية • حتى اذا بلغت هذه الأموال أبواب الجامعة المصرية التى تقوم الدولة بأعبائها جميعا أحجمت الأموال عن حرم الجامعة وتسربت الى سيارات مجرمة وقحة لا حياء فيها ولا خجل •

احرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا فى خبيث من المذاهب رجس

ان الجامعة أولى بهذه الأموال والدولة أكثر حاجة اليها من المدارس الخاصة ومن السيارات التى لا تتقى الله فى فجور أثمانها •

ليكن التعليم فى الجامعة بالمجان • ولكن ليكن هذا مقصورا على غير القادرين فقط أما هؤلاء الذين يحصلون على شهادة الثانوية العامة من المدارس الخاصة ويبذلون الآلاف المؤلفة وأولئك الذين يشترون السيارات ويقفون بها على أبواب الجامعة فليكن تعليمهم بالمصروفات الكاملة • بل ينبغى أن تكون المصروفات منهم كافية لتقوم بشأن غير القادرين من الطلاب فما قيمة المال اذا لم يكن عونا لزميل محتاج أو لأخ ضئيل المصادر •

وليس يصلح حجة أن الدستور ينص على مجانية التعليم ففى ظل هذا الدستور نفسه نشأت المدارس الخاصة • وفى هذا الدستور نفسه تتقاضى الجامعة الأمريكية المبالغ الفادحة نظير المصروفات •

ولم يحدث فى تاريخ العالم أن أجتمع فى بلد واحد نوعان من القوانين يعارض كل منهما الآخر •

ومصر الآن تمر بظروف استثنائية واذا لم نواجه مناحى الانفاق بالحزم وبالصدق وبغير محاولات رخيصة للتشدق بالألفاظ فان مصيرنا الى بوار لا يعلم الا الله مداه •

وأخرى •

فى أى بلد من بلاد العالم تلتزم الدولة بتعيين جميع الخريجين ، يعلم الله ان هذا القانون صـدر حين صـدر لرشوة الخريجين وتسميم الآبار أمام كل من يريد إصلاحا فى هذه الدولة ·

ويعلم الله ويعلم الناس ان هذا القانون لم تبذل فيه أى دراسة ولم يحظ بأى تعمق ولم ينل أى نظر رشيد أو غير رشيد الى المستقبل ·

وهل أدل على ذلك من ان الخريج الآن يظل قابعا فى بيته السنوات الطوال فى انتظار خطاب القوى العاملة حتى اذا جاءه هذا الخطاب تـم تعيينه بأربعين جنيها أصبحت لا تستطيع أن تواجه مطالب فرد وحيد فما ظنك بأسرة كاملة قد يكون الخريج مسئولا عنها ·

وهل هناك دليل على صدق ما أقول من هذا البيان الذى صدر منذ قريب عن الحكومة انها ستسمح للموظفين بالقيام بأعمال أخرى فى غير أوقات العمل الرسمية ·

ما هى هذه الأعمال ؟

اذا لم نكن نعرفها فنحن نتعامى عن الحقيقة ونشيح عنها فى اصرار على التجاهل ولا أقول الجهل ·

ألا يعمل هؤلاء الخريجون كسائقين للسيارات الأجرة أو هم يعملون فى الفنادق أو فى المقاهى أو عمالا فى المحلات العامة ·

أكنا نعلمهم فى الجامعة لينتهى بهم المطـاف سائقين للسـيارات أو عمالا فى المحال العامة ·

وأى الطريقين كان أجدى عليهم أن يتعلموا فى الجامعة لمجرد الزهو والتفاخر أم أن يتعلموا هذه الأعمال التى انتهى اليها مصيرهم ·

أما كان الأولى بهم أن يتعلموا الميكانيـكا أو يتعلموا فى المعـاهد الفندقية بدلا من اضاعة سنوات حياتهم للحصول على شهادات لا يعملون بها ·

وأخرى ·

ما قصة الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين · وما الاصرار عليها · ان كان ذلك للمحافظة على حقوق الفلاحين والعمال فالله يعلم ومصر جميعها تعلم انه ليس بين ربوعها من لا يتصل نسبه بالفلاحين أو العمال ·

ان جميع أبناء مصر بلا استثناء أبناء فلاحين أو عمال ·

ليس فى مصر طبقة تنتسب الى غير الفلاحين أو العمال · حتى طبقة التجار أباؤها فى أغلب الأمر من الفلاحين والندرة منهم من العمال ·

فما هذا التقسيم العجيب الذى لا يعرف بلد فى العالم له مثيلا ·

لا مثيل له فى دولة شيوعية ولا فى دولة اشتراكية ولا فى دولة ديموقراطيـة ·

هو فى مصر وفى مصر وحدها دون سائر الأمم ·· وكيف يصح فى الأذهان أن يختار الشعب أعضاء مجالسه التشريعية والمحلية من العمال والفلاحين الذين لم ينالوا الا أقل قدر من التعليم ·

ان الفلاح أو العامل اذا كانت له قضية هينة الشأن فى محكمة قصد الى محام وأغدق عليه الأتعاب لأنه هو المختص فى الشئون القانونية ·

والفلاح أو العامل ان شعر بألم فى ضرس له قصد الى الطبيب ودفع ما يطلبه منه هذا الطبيب ليريحه من ألم ضرسه · فكيف يجوز أن تختار الدولة نصف المشرعين فيها من غير المختصين لمجرد انهم فلاحون أو عمال·

ما بعجيب اذن أن تصدر القوانين دون دراسة مستوفاة فقد قام بدراستها نصف الذين كانوا يجب أن يقوموا بهذه الدراسة ·

ألا يدرك الفلاحون والعمال ان ضرر هذه القوانين الهزيلة يعود عليهم هـم أولا وأخيرا ، فما مصر كلها الا عمال وفلاحون أو أبناء عمال وفلاحين · لا أستثنى فى مصر أحدا ·

كيف نقبل أن يتولى المختصون أعمالنا الخاصة الضئيلة الشأن اذا قيست بأمور الدولة · حتى اذا احتاجت الدولة جميعا والشعب كله الى تشريع أحلناه الى غير مختص ·

ان قانون العمال والفلاحين الذى يحتم انتخاب خمسين فى المائة منهم يثير من الأحقاد بين أبناء الطبقة الواحدة ما لا يستطيع اى قانون فى العالم أن يثيره • فالفلاح أو العامل لا يرى أى غضاضة أن يمثله فى المجلس التشريعى أى فتى من أبناء قريته أو من أبناء زملائه العمال فى المصنع •• ولكنه لا شك يشعر بالغضاضة كل الغضاضة ان يذهب فلاح مثله أو عامل مثله الى المجلس التشريعى •وحين يقول لنفسه أو للناس فيم يزيد عنى ابن فلان هذا حتى يصبح عضوا بالمجلس التشريعى • ولا يجد جوابا تثور فى نفسه نيران الحقد • ولا لوم عليه •

ومن ناحية أخرى ما مصير العامل والفلاح الذى ينتخب فى المجلس التشريعى لمدة دورة ولا يصادفه النجاح فى الدورة التالية • انه يلاقى الهول الآخذ المبيد• فلا هو ظل فلاحا ولا ظل عاملا ولا ظل عضوا بالمجلس التشريعى• ولا هو يستطيع أن يعود الى حقله فلاحا ولا الى مصنعه عاملا•• وكيف له أن يعود وقد ظل سنوات وهو مشرع بين المشرعين لبس الحلة وركب السيارة التى يسر له المجلس الحصول عليها وأصبح فى دنيا أخرى ليس للفأس أو للنول مكان فيها •

● ليس فى مصر من لا يعلم ان هذا القانون انما كان تسميما للآبار لجميع الحكومات التى تتولى الأمر بعد يوم صدوره :

وليس شىء يصنعه بشر مقدسا • انه لا تقديس الا لكلمات الله وحدها ولشريعته • أما كل ما يصنعه الانسان فهو قابل للتفكير وللتدبر وللتغيير • ومن المؤكد الذى لاشك فيه ان هذه القوانين البشرية جميعا ليست مصنوعة فى السماء ومن المؤكد أيضا انها ليست مقدسة وانما ينبغى علينا وجوبا أن نقلب فيها النظر ونمعن الفكر • فان تكن مصر قد هزلت فى فترة طويلة من حياتها فقد حان اليوم لها أن تعدل عن الهزل الى الجد • ومن التهريج الى الصدق والتبصر •

ان شعبا انتصر على المستحيل فى حرب ٧٣ ليس كثيرا عليه أن ينتصر على الخرافات فى بيته •

وما دمنا قادرين على أن ننتصر على الأعداء فلابد لنا الآن أن ننتصر على أنفسنا ونكف عن الهراء ليكون الجد وحده هو طريقنا • فانه لا سبيل لنا أن نخرج من أزمتنا الا بمواجهة ما شاع فى حياتنا من هزل وترهات والله من فوقنا هو ولى التوفيق •

لا يخلف الله وعده

أنا من المقتنعين كل الاقتناع ان رئيس التحرير هو وحده المسئول عن السياسة العامة للجريدة • وطبيعى أن رئيس التحرير يعنيه غاية العناية أن تحقق الجريدة التى يرأس تحريرها النجاح الأدبى والمادى معا • ولذلك فهو بطبيعة الهدف الذى يتغياه يبعد نفسه كل البعد عن اساءة استعمال الحق المخول له بالقانون وبالأعراف الصحفية •

وأشهد أن ابراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام من هؤلاء الذين لا يسيئون استعمال حقوق رئيس التحرير • ولعل القراء لا يحتاجون فى هذا الى دليل فنحن نكتب ما نشـــاء فى حرية تامة • ولكن يحدث ـــ ونادرا ما يحدث ـــ ان يتصل رئيس التحرير بواحد منا يطلب اليه فى أدب جم أن يخفف من حدة مقالة أو عبارة • أو قد يحدث مرة كل عام أو عامين أو أكثر أن يطلب رئيس تحرير الأهرام ان يكتب أحد كتاب الأهرام مقالا آخر غير الذى كتبه • وطبيعى أن يغضب الكاتب ولكن هذا الأمر حين يحدث انما يتصل بالسياسة العامة للجريدة التى يقع على رئيس التحرير وحده واجب توجيهها وأنا أدرى بما أعرفه من خلق ابراهيم نافع أى حرج يشعر به وهو يطلب الى الكاتب هذا المطلب العسير •

ولعلك سائل نفسك فيم هذا الحديث اليوم ؟ الواقع ان مقالة الأستاذ سيد يسين التى نشرت فى صفحة الأدب فى الأسبوع الماضى وصلتنى متأخرة فبادرت بطلب جمعها وعزمت فى نفسى أن أرد على ما جاء فيها اليوم ، وكان طبيعيا ان أخبر الأستاذ ابراهيم نافع بما تتجه اليه نيتى • فكلانا كاتب فى الأهرام ومن الطبيعى أن يكون رئيس التحرير على دراية بما يكتبه كل منا ردا على الآخر أو تعليقا عليه • وهكذا رأيت ـــ ولأول مرة ـــ أن أنبىء الأستاذ ابراهيم نافع بما أنتويه من اننى أجلت ردى على الأستاذ سيد يسين الى الأسبوع التالى فاذا هو فى أدب جم يرجو أن نوقف النقاش عند هذا الحد •

وقد كان الأستاذ ابراهيم من الرقة والعذوبة بحيث لم أستطع مناقشته • وصبرت نفسى وقرأت المقال فاذا الأستاذ سيد يعفينى من

الرد تماما فهو لم يزد فى مقاله عن أنه صنفنى وصنف نفسه بالصورة التى يطيب له أن يطالع بها نفسه ولو كان الأستاذ سيد يسين قد تفضل فناقشنى ما جاء فى مقالتى لكنت عاودت الكرة ورجوت رئيس التحرير أن يسمح لى بالمناقشة ٠

ولكن الأستاذ سيد لم يناقشنى وانما صنفنى فيا استاذ ابراهيم نافع أنا أذن استجيب لطلبك وأكف قلمى عن الرد ولن أراجعك لا ولن أناقشك فأنت وحدك المسئول عن مقدار الحجم الذى ينبغى للنقاش بين كتاب جريدتنا الكبرى ٠

فلنضرب صفحا عن هذا ودعونا نلقى نظرة على أمنا التى تتجاذبها صراعات من الشـــعارات البعيدة عن الجدية فى وقت لا حياة لنا فيه الا بالجدية ٠ والويل لنا أقصى الويل اذا ظللنا نمضغ الألفاظ الجوفاء التى ألقت بهزلها وهزالها على كبريات المرافق فى حياتنا فاذا نحن نصير الى هذا الذى صرنا اليه ٠

ما بال أقوام يثور ثائرهم وتحمر معاطسهم وتبرق أقلامهم بالترهات اذا ذكر كاتب أو نائب فى مجلس الشعب أو الشـــورى كلمة القطاع العـــام ٠

أى عفريت كافر خبيث ألقى فى روعهم أن مصر تستطيع أن تستغنى عن القطاع العام ــ كل القطاع ــ هيهات ٠ قسما ما ارتعدت مفاصلهم ولا وجلت قلوبهم الا بما يعلمون كل العلم ما جره القطاع العام بصورته الحالية من خراب ودمار على اقتصاد مصر ٠ وأخلاق أبنائها الذين عملوا فيه فظنوا أنه مرتع للسرقة والاتلاف وللرشوة والاختلاس ٠

أما القطاع العـــام كفكرة فلا يمكن أن يلغى ففى الغائه انهيـــار لاقتصادنا لا شك فيه ٠ ولكن ألا ينبغى علينا وجوبا أن نجعل منه مصدر كسب لا خسارة ومورد دخل لا مصرف انفاق ٠

واذا نحن لم نفعل فما مصيرنا ٠٠ وما مصير علاقاتنا بالدول التى تقدم الينا الأموال معونات أو قروضا ٠

أما القطـــاع العـــام فى ذاته فهو مبدأ معمول به فى كل الدول الديمقراطية وما من دولة فى العالم تخلو من القطاع العام ٠ وقد درسنا فى كلية الحقوق نظام الريجى الذى كان معمولا به فى فرنسا وقد كانت

الدولة فى ظل هذا النظام تحتكر صناعة الكبريت • وفى ثلث القرن الأخير اتسع حجم القطاع العام فى فرنسا اتساعا كبيرا وشمل الكثير بل والكثير جدا من الصناعات الكبرى •

وكذلك الأمر فى انجلترا وكذلك هو فى جميع البلاد التى تعمل فى نظام الحكم الحر أو الديمقراطى ولا أعرف دولة على وجه الأرض تستغنى عن القطاع العام أو ترفضه • ولو أننا استقصينا بالأحصاء لتأكد هذا الذى أذهب اليه •

وانما ندعو فى مصر الى أمر آخر بعيد كل البعد عن الغاء القطاع العام جميعه ان كل ما نرجوه أن يبحث أئمة الاقتصاد وأساتذته فيما يجدر بالدولة ان تجعل منه قطاعا عاما وما يجمل بهـا ان تتركه للقطـاع الخـاص •

وأعتقد أن أحدا لا يستطيع أن يناقش أن الصناعات الكبرى لابد ان تكون من القطاع العام • مثال ذلك الحديد والصلب والغزل والنسيج وكل ما ترى الدولة بالنظرة الاقتصادية الواعية ، انه يحقق للدولة الفائدة الكبرى • وليس من الحتم ان تتمثل الفائدة فى الناحية المالية فقط • بل قد يكون بقاء هذه المؤسسات فى اطار ملكية الدولة أمرا يتصل بما هو أهم من المـال • مثـال ذلك الاذاعة والتليفزيون والتليفونات والسكك الحديدية •

ومن المؤسسات الهامة فى مصر على سبيل المثال لا الحصر شركات الأقطان التى فرضت بها الدولة ضريبة خفية تصل الى قرابة خمسمائة جنيه على الفدان الواحد • وبطبيعة الحال أصبحت هذه المؤسسات ترد على الدولة مبالغ خيالية لا نستطيع بأى حال من الأحوال ان ننتقصها من ميزانيتها والا أنهار الاقتصاد المصرى كله •

وهكذا ترى أننا لا نفكر مطلقا أن تنظر الدولة المصرية الى الدول الأخرى فيما تبقيه فى قطاعها العام وما تعفيه منه • فليس فى العالم الحر ــ فيما أعتقـد ــ دولة تستولى على محاصيل الأرض بالثمن الذى تفرضه الا فى مصر •

ولكن لا بأس فقد أصبح هذا ضرورة لا غنى عنها •

فولولة المنتفعين وأصحاب اللافتات وأبناء الشـعارات كلما ذكر القطـاع العام نوع من التهريج مرنوا عليه وأصبح ذلك دأبهم ، مرضـا أصيبوا به وليس لهم منه شفاء •

أذن فلنتجه بالحديث الى الجانب الآخر من القطاع العام ٠

هل حققت الفنادق ما كان يجب أن تحققه من أرباح ومن طيب سمعة ومن اجتذاب سائحين ٠ علم الله أن أميرا عربيا ينزل الآن بأحد الفنادق ويصرخ من سوء الخدمات فى الفندق صراخا يكاد يصل الى بلاده ٠ يطلب الطلب وتمر الساعات وينساه قبل أن يستجيب له المسئول ٠ وترسل اليه الرسائل فتظل فى حيازة من تسلمها من موظفى الفندق يوما ويومين قبل أن تصل ليد الأمير أو مرافقيه ٠ والطعام فى الفندق لا يسيغه أحد الى غير هذا مما نعلم جميعا ٠

ولكن أبناء الشعارات يصرخون ، حذار أن يقترب أحد من القطاع العام أو يمس ذكره بكلمة ٠ يناقشون الايمان وهو الايمان ويرفضون ان يمس أحد قدسية القطاع العام ٠

هل قدر الله لك أن تدخل محلا تجاريا من محلات القطاع العام ٠ لا شك أنك فعلت ٠ وانى أســألك بربك رجلا كنت أو كان القارىء سيدة ٠ هل شعرت ان مكانا ما من مناحى الحياة جميعا يمتهن انسانيتك كما يمتهن انسانيتك محل تجارى من محال القطاع العام ٠ ولم لا والبائع لا رقيب عليه من ضمير وهو سينال مرتبه سواء اشتريت أو لم تشتر ٠ وليس من أحد فى المحل جميعا يهمه أن يزداد البيع ٠ فالمحل يفقد الحافز الشخصى فقدانا تاما ٠

وأذكر هذه المتاجر حين كانت بيد أصحابها وأذكر «صيدناوى باشا» صاحب محلات صيدناوى واقفا على باب المتجر الخارجى وتمر به امرأة خارجة من المتجر وهى فى الملاءة الملفوفة وفى يدها طفلها ويقترب منها صيدناوى بمنتهى الأدب :

ــ لماذا لم تشترى شيئا يا سيدتى ؟

وتقول الســيدة :

ــ لم أجد ما أريد ٠

ــ وما الذى تريدينه ؟

تقول له : لقد كانت تريد مترا من قماش معين رخيص الثمن فاذا الباشا يقول لها فى أدب :

ـ موجود عندنا • تفضلى معى •

ـ ويذهب الى القسم الخاص ببيع هذا القماش ويجد لها ما تريد وينزل عقابه على العامل الذى استهان بالسيدة وبمطلبها •

اذهب أنت اليوم الى متجر من متاجر القطاع العام وأطلب شراء أغلى ما عندهم من أى بضاعة وستكون سعيد الحظ ان وجدت انسانا يكلمك كانســـان •

اننى أتصور أن تكون الدولة منتجة للصناعات الكبرى ولكن لماذا تكون الدولة وسيطا بين المصانع والمستوردين والجمهور فى نظام يدعى الحرية الاقتصادية •

لقد شهدنا الدولة المصرية تبيع سندويتشات الفول والطعمية وهكذا لم يكن عجيبا ان تبيع أيضا الكباب والفراخ المشوية •

أيهما اجدى على الدولة أن تكون التجارة حرة وتفرض ضرائبها التصاعدية على التجار ويدخل الربح المؤكد الى خزائن الدولة أم أن تنزل الدولة منافسا للتجار وتخسر الخسائر الفادحة التى أصبحت حديث الناس فى العالم أجمع •

ويتباكى المتباكون على العاملين فى القطاع العام • لكم الويل يوم يحشر المنافقون الى جهنم وبئس المصير • هل وجد هؤلاء العمال مكانا فى القطاع الخاص وتركوه الى القطاع العام ان العمال جميعا يعلمون ان دخلهم فى القطاع الخاص سيكون أضعاف ما يتقاضونه من القطاع العام • واذا كانت الدولة فى القطاع العام تعين أصحاب الشفاعات فان القطاع الخاص يجعل العامل يشعر بأهميته لأنه محتاج اليه فعلا بغير وساطة أو شفاعة •

وبعد فما هذا الا مثل أضربه ، له مئات الاشباه والأمثال وأساتذة الاقتصاد وجهابذته أقدر منى على دراسة القطاعات الخاسرة جميعا وهم أيضا قادرون ـ بعون الله ـ على جعل مصارف الخسارة موارد كسب للدولة

لو أننا رددنا عنهم الرعب الذى يثيره أصحاب الحناجر الكاذبة والشعارات الملفقة والذين لا عمل لهم الا تخريب الاقتصاد المصرى ليزرعوا أشجارهم التى لا تنمو الا فى الأرض الخراب ٠

فليعمل الاقتصاديون بحرية العلماء وشجاعة الوطنيين وليكونوا على ثقة ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ٠ بهذا وعد عباده ولا يخلف سبحانه وعدا ٠٠

الأهرام ٦/٤/١٩٨٦ م

الحرية مسئولية الفرد

ان أعباء الحرية على الفرد لا مثيل لها فى الديكتاتورية • ففي ظل الديكتاتورية يقول الديكتاتور للشعب بالعمل لا بالاعلان ، لا شأن لك أيها الشعب بدولتك • اعتبر نفسك مفصولا عنى كل الانفصال • أنت أيها الشعب بدولتك • اعتبر نفسك مفصولا عنى كل الانفصال • أنت لا غنى لك عنها حتى تبقى حيا على ظهر الأرض ، أما الدولة فلا شأن لك بها مطلقا •

أنا الديكتاتور المسئول وحدي عن الدولة وعن أموالها أنفقها بالصورة التي تطيب لى وأنا وحدي الذى أحدد صلات الدولة بالدول الأخرى فأنا لى أن أسب الدولة ورئيسها وأنا لى أن امتدح دولة أخرى ورئيسها • ولى أن أسالم ولى وحدى أن أحارب • وأنا وحدى الذى أعلن هذه الحروب وأنا وحدى الذى يعرف مدي فائدتها أو أضرارها • وأنا أعلم أنك أيها الشعب ستقدم لى أبناءك لأقتلهم فى ساحة القتال ولكن ما العجب في ذلك أن الموت هو النهاية الطبيعية لكل المخلوقات فأى بأس أن أحدد أنا الموعد الذى يموت فيه من أشاء من أبناء شعبى • وأعلم أن الحرب ستكلف الدولة أموالا لا طاقة لها بها ولكن أنا المسئول عن أموال هذه الدولة جميعا فقد أبيع أرصدة الذهب بها وقد استدين لأحارب • وقد أقبل السـلاح المتخلف بأثمان السلاح المتطور ••• كل هذا شأنى أنا وحدى وليس شـأنك •

ومادمت قد سألتك في استفتاء وقبلت أن أكون رئيسك فحتم عليك أن تترك لى وحدى حق التصرف في حياتك ومماتك ، ومادام الموت والحياة أصبحا من حقى • فان حرية الأفراد — من باب أولى — من خالص حقى أحبس من أشاء وأعتقل من أشاء وأثبت حكمى بكل الوسائل التى أراها صالحة لذلك وان أدى ذلك الى أن يعتدى أعوانى على الأعراض • ومادمت قبلت أن يعتدى أعوانى على الأعراض فمن الطبيعى — من باب أولى — أن أصادر أموال من أشاء وأمنع من أشاء عن العمل • ومن حقي — لا شك — أن أمنع أي انسان في الدولة أن يفكر مادمت أنا أفكر • وما حاجتك أيها الشعب الى التفكير مادمت أنا أفكر لك • وأنا أفكر لك بموجب

الاستفتاء الذى خولتنى به هذا الحق . ولست أقبل منك أن تدعى أن هذا الاستفتاء قد تم بالقهر والقوة والجبروت . وأن أدعى أحد من الشعب ذلك فان حقى أنا الشعب ؛ فأنا ـ كما تعلم ـ أنا الشعب أن أنزل به ما أشاء من عقاب .

وهكذا يصبح الفرد فى ظل الديكتاتورية متخففا من كل الأعباء . وهو لا يستطيع ان يقول رأيا حتى ولو حاول ذلك . ولهذا لم يكن عجب أن يلجأ الكتاب وهم صوت الانسان ورواد الحرية فى كل العصور الى كتابة ما يريدون قوله بالرمز فى أى شكل يستجيب لهم وكم من مقالة كانت رمزا وكم من رواية وكم من قصة . أما الشعب فقد كانت لغته مختلفة عن لغة الكتاب . كانوا يطلقون النكتة ليعبروا بهـــا عن رأيهم فيما يقاسونه من أهوال .

وكان الاعلام في الدولة يصدر عن لسان واحد لا تختلف فى ذلك جريدة عن جريدة كما لا تختلف الصحافة عن الاذاعة المرئية أو الاذاعة المرئية عن الاذاعة المسموعة . كانت كلمة واحدة لكل يوم واينما قلبت وجهك لن ترى الا هذه الكلمة واينما حولت أذنك لن تسمع الا هذه الكلمة وكل كلمة يقولها الديكتاتور هى الشعار وهى الحكمة وهى الرأى وهى الأولى والآخرة وهى كتاب التفرد بالحكم ودستوره وآياته .

تلك هى الديكتاتورية . وكل ديكتاتورية الى زوال ، لأن الديكتاتور مهما يكن عاتيا طاغوتا جبارا لا يزيد عن انسان يقع عليه ما يقع على الانسان فهو ليس الأحد ولا هو بالصمد وهو يلد وهو يولد أذن فهو يموت وتجرى عليه نواميس الحياة كما يجريها ملك الناس اله الناس القاهر فوق عباده .

وحينئذ تعود الحياة الى الحرية وهى فى عودتها ذات صخب وضجيج وذات أصوات مرتفعة تكاد تحسب أنها لن تهدأ أبد الدهر .

ومع الصخب والضجيج تنماع الحدود . ويصبح الانسان الذى عاش فترة من عمره مقصيا عن شئون الدولة مطالبا أن يتدخل فى كل شىء سـواء عنده أن يكون عالما بما يتكلم فيه أو غير عالم . المهم أن يتكلم .

وهنا تتضح الحقيقة الكبرى . فاذا كانت المسـئولية فى ظل الديكتاتورية على الديكتاتور وحده . فانها فى ظل الحرية والديمقراطية مسئولية كل فرد من الشعب .

والمسئولية ذات أصول • لأن للحرية أصولا • والحرية بلا أصول فوضى عارمة تؤدى بمصالح الدولة الى الخراب •

وأول هذه الأصول أن يكون كل فرد ملتزما بالقانون • والقانون حق وواجب • فاذا حاول الفرد في ظل الحرية أن ينال حقه ولا يؤدى واجبه مالت الموازين في الدولة جميعا •

ومن أصول الديموقراطية أن يحاسب الانسان نفسه على كلمة يقولها أو يكتبها • لأنه بكلمته التى أصبحت حرة يخاطب الشعب كله بل وشعوب العالم أجمع • فالدولة اليوم لا تعيش وحدها وانما الذى يجرى بها يؤثر فى مجريات الأمور فى شتى أنحاء العالم • وتوجه هذا الحديث الى بعض من الذين يحاضرون الناس ويعلنون أنهم يعبرون عن رأيهم هم • ولا بأس بهم فى ذلك ولكن لابد أن يكونوا على دراية وافية بما يعلنون والا رفضت الحرية ما يقولون والحرية هنا هى الشعب •

أننا نحن كتاب أحرار من كل القيود الخارجية ونحن فى نفس الوقت مقيدون بقيود نفرضها على أنفسنا هى فى ذاتها أعظم ثقلا من قيود العالم أجمع • أننا مقيدون بثقة الناس فى أشخاصنا وفيما نكتب • ونحن نعلم كل العلم أننا اذا كتبنا حرفا عن غير اقتناع شريف به عفيف فان الناس ستفقد ثقتها فى كل ما نكتبه •

ونحن نعلم أن الثقة فى الكاتب لا تتكون الا فى عشرات السنين وأن هذه الثقة نفسها قد يفقدها الكاتب فى لفظة واحدة يشعر القراء أنها صادرة عن غير اقتناع نقى من نفوسنا •

فاذا قدر لكاتب منا أن يتولى منصبا فعلى الكاتب حتما أن يكون رأيه مرتبطا بهذا المنصب. فاذا أراد أن يسترد حريته عليه أن يستقيل • فلا يقبل مثلا من مدير مكتب وزير الاقتصاد أن يحاضر فى ندوة عامة أو يكتب مقالا فى جريدة يختلف فيه مع الوزير • مدعيا أنه يعبر عن رأيه الخاص • فان أحدا لن يصدق أن ما يقوله انما هو رأيه الخاص • لقد فقد الحق أن يكون صاحب رأى خاص معلن يوم قبل وظيفته فى مكتب وزير الاقتصاد • فاذا أراد أن يقول رأيه الخاص فعليه أن يستقيل أولا • لأن رأيه هذا قد يقلب موازين الاقتصاد فى الدولة كلها •

ان الحرية المتاحة فى أمريكا واسعة فضفاضة ولكننا لم نسمع أن موظفا عاما قال رأيا وادعى أنه رأيه الخاص وليس رأى المنصب الذى

يمثله • وان قال فان أحدا لن يصدقه وعلى كل فان هذا لم يحدث قط ولن يحدث أبدا •

فليس الأمر مجرد رأى يقال انما هو سياســـات دولة يقوم عليها اقتصادها ومستقبلها ومستقبل صلاتها مع دول العالم أجمع • ومستقبل صلات الشركات العالمية بهذه الدولة وصلات الأفراد بها أيضا •

ان للحرية حدودا اذا اختلطت أصبحت فوضى • وان الحرية تعطى الشعور بالانسانية لأفراد الشعب وتمنحه عظمة الاحساس بالانتماء للدولة التى يعيش تحت سمائها وهى فى نفس الوقت تفرض عليه واجبات •

ولكل وظيفة حقوقها وواجباتها • فالذى نقبله من الموظف العادى لا نقبله من القاضى مثلا • لا يستطيع القاضى أو أعضاء النيابة أن يظهروا فى المحلات العامة بمظهر غير لائق ولا يجوز لهم ما يجوز لغيرهم من لهو ومتع • ان المجتمع الذى وهب لهم الاحترام فرض عليهم الوقار واحترام الـذات •

والطبيب الذى يدخل بيوت الناس اذا عرف عنه أنه صاحب نساء مثلا سقط قدره •

وما يفعله كل انسان ممارسا لحريته لا يستطيع الانسان الذى أصاب بعض الشهرة أن يفعله •

لكل وظيفة فى الحياة واجباتها وآدابها • ولكل وظيفة حدودها التى يتحتم على شاغلها أن يقف عندها • ويظل دائما حرا كل الحرية • اذا وجد أن القيود التى تفرضها عليه وظيفته أكثر مما يطيق فان له بتوقيع واحد منه أن يترك هذه الوظيفة إلى غيرها يستطيع أن يتحمل واجباتها وقيودها • وكل ميسر لما خلق له •

الأهرام ١٣/٤/١٩٨٦ م

تعليـــق

لا أتصور أن يمر هذا الأسبوع دون أن أقدم أصدق التحية للدكتور يوسف أدريس على مقاله الرائع فى يوم الاثنين الماضى بجريدة الأهرام حين ناشد أسرتى الرئيسين السابقين أن يتنازلا عن الأراضى الشاسعة التى ينتفعان بها دون ملكية بالمعمورة ٠ والتى لا تستفيدان من وجودها فى حوزتيهما أى فائدة ٠ فلا هى متاحة للشعب أن يبنى فيها ولا هى تمثل للأسرتين الكريمتين شيئا ذا قيمة ٠ وانى انضم الى الدكتور يوسف أدريس فى مناشدته وأدعو الكتاب جميعا أن يشاركوه فى هذه المناشدة ٠ فانه لشىء عظيم أن يحس الشعب أن الأسرتين الكريمتين منه يحسبان بآلامه ويشاركانه فى أزماته ٠ فهل من سميع ٠

لا اقتصاد بغير ثقــة

ان رئيس جمهورية مصر العربية رجل نادر المثيل فى طهارة اليد وشرف الذمة والبعد كل البعد عن مواطن الشبهات ٠

أذكر أننى كنت يوما فى مكتب أحــد الوزراء بالمملكة العربية السعودية فاذا أحد الجالسين يوجه الى الحديث ٠

ــ أسمعت ما فعله رئيسكم منذ قريب ٠

قلت :

ــ لا أعرف ما تقصده ٠

قــال :

ــ لقد شاعت هنا قصة نتناقلها جميعا وكلنا اعجاب برئيسكم ٠ فقد قيل أن ابنه سافر الى فرنسا فى رحلة دراسية فاذا أبوه يشترى له تذكرة ســفر سياحية فى الدرجة الثانية بعد أن أجرت عليهــا الشركة التخفيض الذى تمنحه للطلبة جميعا وسافر ابن رئيس الجمهورية دون أن يحيط به أى مظهر من المظاهر التى تلحق بأبناء الرؤساء ٠

قلت :

ــ أنا لم أسمع بهذه القصة ولكنها ليست عجيبة على رئيســنا فهكذا هو ٠

وحين عدت الى القــاهرة تأكدت من صــدق ما رواه لى المواطن السعودى ٠ وللناس همس مسموم ٠ ولهم بينهم حديث يستعذبون فيه الخوض فى أقدار الناس وأمانتهم ٠

ومثلى يكاد يسمع كل ما يدور به همس وأغلب ان لم يكن جميع ما يتناقله الناس فى تنادمهم ٠

وأقسم ـ وما أنا بحاجة الى قسم ـ أن أحدا لم يذكر الرئيس محمد حسني مبارك الا وتحدث عن طهارة يده وبعده كل البعد عن أى مظنة لشائبة ولقد قلت انني لست بحاجة الى قسم لأن هذا الذي أقوله سيؤيدني فيه كل قارىء سواء كان مؤيدا للرئيس مبارك أو معارضا له ٠

كان من الطبيعي أذن أن تصبح الطهارة هي سمة العهد جميعه ٠ وأن تكون هي الصفة التي يتحلى بها كل من يجلس على مقعد ذى سلطان وادارة ٠

ولكن ـ واأسفاه ـ الهمس يدور في كل مكان بكبائر التهم والناس تلوك كثيرا من الأسماء بشتى سرقات واحتيالات واستغلال للنفوذ وإهتبال للفرص واستيلاء على ما ليس لهم بحق وتستر على لصوص وحماية لمن يستحلون أموال الدولة ٠

والهمس يدور أن كثيرا من الاتهامات حولت الى المدعى الاشتراكي ٠ وقد أكرمنا الله في منصب المدعى الاشتراكي بقاض من أمجد القضاة ، وأشرفهم قصدا وغاية وتصرفا ، الى جانب علم وافر وقدرة فائقة على مواجهة قضاياه ، فالذى لا شك فيه أذن مع ما يعرفه الجميع عن هذا القاضي أن جهازه ليس فيه العدد الكافي للاضطلاع بذلك الكم الوفير الذى يتدفق على محكمته ٠

وليس الأمر يسيرا فان وظيفة المدعى الاشتراكي تعتبر من أخطر الوظائف ان لم تكن أخطرها في هذه السنوات التي نجتازها ٠ ومصر في أشد الحاجة الى هذه المحكمة لتواجه الفساد الذى يحيق بأجهزتها والذى حاق بها في خروج مصر من الاقتصاد المغلق الى الاقتصاد الحر ، ومن عصر الحكم المفرد الى عصر الديموقراطية والحرية ٠

وان التقرير الذى طلع علينا به مكتب المدعى الاشتراكي يظهر بجلاء حاجة مصر الماسة الى هذه المحكمة ٠ ولكن لابد أن يتهيأ للمدعى الاشتراكي كل ما يتطلبه عمله الخطير من معاونين يستطيع بهم أن يواجه هذه الموجة الطاغية من الفساد والرشوة والسرقة واستغلال النفوذ ٠

ولا مجال للقول هنا ان وظيفة المدعى الاشتراكي وظيفة استثنائية في السلطة القضائية ٠ فان الحالة الاستثنائية لابد أن تواجهها الدولة بقضاء استثنائي ٠ والقائمون بالأمر في مكتب المدعى الاشتراكي قضاة

جميعهم من السلطة القضـــائية وعلى رأسهم قاض من أعظم قضـــاة مصر فمن الطبيعي اذن أن يكون عددهم كافيا لما استشرى في مصر من فساد ، فانه لولا المدعى الاشتراكى لهربت من مصر أموال تزيد عن الأموال التى هربت أضعافا مضاعفة • ولولاه لأفلت من العقاب مجرمون ارتكبوا أبشع الجرائم معتدين على الآمنين من بنى مصر • وشر عدوان لهم على اقتصاد مصر نفســـها •

ان مصر اليوم تعانى أعظم ما تعانى من شاغلى مناصب كبرى ثارت حولهم وحول أقاربهم الأقربين تهم دامغة •

وتعانى مصر اليوم من قيادات تنحرف باتجاهها الى أسوأ ما واجهته مصر من أهوال سياسية واقتصادية وخلقية واجتماعية •

وقد عاشت مصر فترة طويلة من الزمن فى ظل حكم حطم القيم الأخلاقية والانسانية شر تحطيم • ونرى الكثيرين ممن عملوا فى ظل هذا الحكم يتولون أخطر المناصب وأكثرها حساسية وفعالية •

وللسياسة والحكم رجال أولا وقبل كل شىء • فاذا فقد الشعب ثقته فيمن يتولون المناصب الخطيرة فى دولته فكيف يمكن أن يثق باقتصاد دولته وكيف يجوز لنا أن نطالبه أن يقدم أمواله فى المشاريع الاستثمارية • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر • وكيف نريد ممن يملك العملة الصعبة أن يساهم بها فى اقتصاد مصر ؟! ويرسلوا أموالهم الى مصر وديعة • والوديعة لابد أن تكون وادعة أمينة فمن أين يأتى الأمن الى نفوس المصريين فى الخارج وهم يرون المصريين فى الداخل يخافون على أموالهم من هول الاشاعات التى تحيط بهم مع الهواء الذى يتنفسون ومع الماء الذى يشربون وأين الأمان فى بلد تتعالى فيه صيحات أقوام يشرفون على قطاعات هامة فى حياتنا نسمع فى رنين صيحاتهم القضاء على الحرية الاقتصادية أو الحرية السياسية •

ان أنصار الطغيان ودعاة الشيوعية أصبح لهم اليوم فى مصر صوت مرتفع عالى الطبقات تؤيد كوارثهم بعض مناصب غاية فى الأهمية وعلى درجة عالية من الحساسية •

والصوت المرتفع يستطيع أن يبتلع فى طياته الحقائق المؤكدة • والذى لا شك فيه أن شعب مصر يكره الطغيان كما يكره كل شعب فى أن يحكمه طاغية •

ولكن الأصوات المرتفعة التى هيـــأ لها الاعلام المصرى أن تكون صيحات بعيدة المدى استطاعت أن تبتلع المبادىء الحقيقية التى يعتنقها الشعب المصرى والتى يحافظ عليها حفاظه على الحياة وهى الحياة وهو يؤكد ذلك بالأدلة الدامغة أقربها الانتخابات التى لم يستطع الشيوعيون فيها أن يفوزوا بمقعد واحد ٠

ولم يكن عجبا أن يكون هذا دأب الشيوعيين فى كل مكان فى العالم ولعل آخر ما بدأ من كراهية الناس لهم انتخابات السودان وقد كان صوتهم فى السودان مرتفعا عاليا ذا هزيم كهزيم الرعد حتى لقد ظننا أنهم سيفوزون بالأغلبية فى انتخابات المجلس النيابى وتتم الانتخابات وتظهر النتائج فاذا هى حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقالى تسفر عن نتائج تؤكد أن الشعوب لا تطيق الشيوعية ولا تتصور ان تحكم بها ٠ فحين يفوز حزب الأمة السودانى بثمانية وثمانين مقعدا ويفوز حزب الاتحـاد بستين مقعدا ويفوز المستقلون بخمسة مقاعد لا ينال الشيوعيون الا مقعدين ربما نجحا برغم أنهما شيوعيان لا لأنهما شيوعيان ٠

هكذا الشعوب فى جميع أنحاء العالم من غربه الى شرقه لا يختلف فى ذلك شعب عن شعب ولا أصحاب دين عن أصحاب دين آخر ٠

وهكذا كان حتما علينا أن ننظر فى أمر هؤلاء الذين يتولون مناصبنا ولابد أن يكون اختيارنا لهم مبعثا للفوز بثقة الشعب فيهم ٠ فانه لا أمل لنا أن ينتعش اقتصادنا الا اذا استقرت الثقة كل الثقة بمن يتولون عظائم أمورنا ٠

الأهرام ١٩٨٦/٤/٢٠ م

حريق وكـوب ماء !

أحسب . أو أنا أخشى أن تكون الحكومة وقد أصدرت البيانات الطوال بضرورة الانتاج وحتميته قد اطمأنت أن الناس سيسارعون الى الانتاج وأن كل شيء سيسير فى نهجه الأمثل .

هيهـــات ؟

أنا لم أجد فى حياتى شيئا سوى الجهد المبذول فيه لا يأتى بثماره قدر هذا الذى يسمونه بالتوعية .

كم من أموال انفقت فى سبيل التوعية بعواقب زيادة النســـل والانفجار السكانى وما يصاحبه من أهوال فى الغد ومن ضيق فى العيش ومن تقتير فى الرزق . وكم قالوا انظر حولك وانظر أمامك وانظر خلفك . فكانت النتيجة مزيدا من الانفجار السكانى . ولعل التوعية صنعت عكس ما أريد منها فذكرت منصرفا عن زيادة النسل فجعلته يزيده حين كان لا ينوى أن يزيده .

والنـــاس لا تحب النصيحة . والذى يستنصحك انما يريد أن تؤيده فيما استقر عليه هواه فان كانت نصيحتك تؤدى الى غير ما يميل اليه ، بحث عن ناصح آخر يؤيد رأيه الذى اتخذه . وأذكر محاضرة للشاعر عزيز أباظة قال فيها ان النصائح هى أثقل الطيبات على النفوس وهو محق .

ولن تجد عاملا يستغل ما أتاحته له قوانين العمال من اجازات ومن تهرب ومن قعود على العمل يترك هذا جميعه ويسارع الى ما تفرضه عليه الأمانة وشرف المعاملة ويقبل على العمل الاقبال المفروض فيه .

استجابة الى النداء الصادر من الحكومة أو من غيرها .

لا شيء يرد السادر المنصرف عن الجدية فى الحياة الى الطريق القويم الا القانون . أما التى يسمونها بالتوعية فلا خير فيها مطلقا .

ان العامل حين يتهرب من العمل ويدعى المرض ويستنفد أجازاته جميعا يعلم كل العلم أن الذى يصنعه لا يتفق مع الأمانة ولكنه يصنعه مع ذلك . وهو مستعد أن يبذل نصحه لجميع الآخرين أن يقوموا بواجبهم خير قيام ولكنه يستثنى نفسه فالانسان يعتقد أنه دائما استثناء من القاعدة العامة . وان ما ينبغى للآخرين لا يسرى عليه . وما يجب أن يصنعه الآخرون انما هو واجب عليهم لأنهم آخرون أما هو فاستثناء من القاعدة . انه هو .. وهل فى العالم أجمع مثله هو .. هو فلتة الطبيعة . وهو الاستثناء الوارد على مخلوقات الله . وهو يحق له مالا يحق للآخرين .

فأى توعية توجه الى هذه الأنانية يعتقد هو أنها أصلا تقال للآخرين ولا تقال له هو . لأنه هو يعرف كل شىء ولا يحيط انسان بما يعلمه هو .

ولما كان الله هو الذى برأ النفوس وخلقها فانه يعرف مخلوقاته بكل ما يتذبذب فى جوانحهم من هواجس وهكذا أرسل سبحانه كتابه يحمل الى العباد الوعد والوعيد والإنذار والأمل .

لأنه يدرى أن الانسان لا يسير على الهدى الا خوفا وطمعا .

والآيات التى تعد الانسان بالفوز وبالجنة وبالنعيم كثيرة . والأخرى تتوعد الانسان بالنار والعذاب كثيرة .

ولكنى اختار من بينها قوله تعالى فى سورة الأعراف الآيات ١٦٥ وما بعدها « **فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين . واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم . وقطعناها فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** » . صدق الله العظيم .

والله سبحانه وتعالى كان يستطيع أن يضع مخلوقاته جميعا على الجادة ويلزمهم الطريق القويم ولكنه جلت مشيئته أراد أن يحمل الانسان الأمانة ويختار وارسل الى الناس رسله يبشرون بكل ما فى الجنة من هناء لم تره وما سمعت بمثله اذن من قبل وينذرهم بالسعير والغسلين والزقوم لمن لم يخش الوعيد .

فالبيانات اذن التى تدعو الى زيادة الانتاج ثرثرة فارغة لن يستجيب لها أحد • فكل الذين يعطون الانتاج يدركون جريمتهم التى يرتكبون • وهم فى غير حاجة الى هذه الدعوة الى زيادة الانتاج ليزيدوه • ومالهم لا يستلبون من الدولة ما أباحه القانون من أجازات تزيد على مائة وعشرين يوما فى العام • وأغلبهم يعتقد أن ما يسرق من الحكومة والقطاع العام حلال مباح فمال الحكومة عندهم سائبة لا صاحب له •

ان القوانين التى تحكم العمال عندنا لا مثيل لها فى العالم •

وانى لأعجب كيف نريد أن تنهض الصناعة عنـدنا فى ظل هذه القوانين • وأقرأ ما يكتبه المتخصصون من أن عمال العالم أجمع يعملون ثمانى ساعات فى اليوم ومنهم من تصل ساعات عمله الى عشر ساعات بينما لا يكمل العامل عندنا الساعة ونصف الساعة فى اليوم •

وكيف نريده أن يعمل وهو يعلم أنه لا رئيس له •

فى أى دولة فى العالم يفصل رئيس مجلس الادارة فى توقيع قلم ولا يفصل العامل المسىء الكسول غير المنتج بل ان الوزير وهو الوزير يبعد عن الوزارة فى غمضة عين بينما لا يستطيع الوزير أن يفصل أى عامل فى وزارته أو فى المصانع التابعة لوزارته •

الوزير تحاسـبه المجالس النيابية والعامل لا حسـيب عليه ولا رقيب •

وأذكر قصة رواها لى مدير عام لمصلحة السكك الحديدية استقال منذ بضع سنوات وكان معروضا عليه العمل في شركة أجنبية بمرتب يفوق مرتبه عدة أضعاف • واستدعاه رئيس الوزراء ورجاه أن يبقى فقال المدير السابق •

ـ اننى من أجل مصر مستعد أن أترك المرتب الضخم المعروض على فى العمل خارج الحكومة وأبقى ولكن بشرط واحد •

وقال رئيس الوزراء :

ـ ما هـو •

قـــال :

ـ حين عينت مهندسا بالدرجة السادسة بمصلحة السكك الحديدية تسلمت دفتر جزاءات • فاذا وجدت أى تقصير أثناء تفقدى للآلات والعربات وقعت الجزاء الفورى على العامل المقصر واليوم وأنا فى أكبر منصب فى المصلحة لا أطلب شيئا الا أن يكون عندى دفتر مثل الذى تسلمته وأنا موظف أبدأ حياتى فى هذه المصلحة نفسها •

وقال رئيس الوزراء :

ـ هذا غير ممكن

واضطر المدير أن يقول :

ـ وأنا آسف لا أستطيع البقاء فى منصب لا مسئولية لى فيه الا أن أتمتع باللقب دون أى فعالية •

واستقال المدير العام • وأعتقد أن كل الذين جاءوا بعده يريدون أن يقولوا نفس الذى قاله هو ولكنهم يعلمون أنه مستحيل التنفيذ •

ان عهد الطغيان قدم الرشـــاوى من دماء مصر الى التجمعـات الكبرى •

واليوم تغلق دوننا المسالك •

فاذا قلنا ادركوا المجالس التشريعية فى مصر وحافظوا على كرامة مصر ، بالغاء نسبة الخمسين فى المائة فى مجلسى الشعب والشورى وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا أن الاقتصاد المصرى قد دمر تدميرا تاما بالقطاع العام على صورته الراهنة والقوانين التى تحكم العمال وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور •

واذا قلنا ان مصر قد تدهور التعليم فيها حتى أصبح جهلا وحتى صارت الشهادة العالية فيها لا تعنى أن صاحبها نال ما ينبغى من التعليم

واذا قلنا أدركوا التعليم بالمال من القادرين .. من القادرين وحدهم وجدنا من يقول هذا مخالف للدستور .

ووسائل تغيير الدستور واردة فى الدستور نفسه فاذا لم يتغير الدستور لانقاذ مصر فلأى شىء يتغير الدستور .

الأمر الذى لا شك فيه أن هذا الدستور قد وضع من أجل المصلحة العليا لمصر . فاذا لم يتغير من أجل المصلحة العليا لمصر فمتى يتغير .

ان الدستور قد وضع من أجل مصر . ولا يعقل أن نضحى بمصلحة مصر من أجل الدستور . اذا كان ما نطالب به عدلا فالعدل أحق بأن يتبع فى الدستور أولا .

فالدستور هو أبو القوانين فاذا تحققت فيه العدالة فهيهات لها أن تتحقق فى أى ناحية من نواحى الحياة .

وان هذه الموضوعات التى نثيرها أساسيات فى حياتنا ونحن ندرك الآن الأزمة الطاحنة التى نواجهها فاذا لم نأخذ طريقنا فى شجاعة وفى اصرار الى الأساسيات فكل الذى يصدر من قرارات ومن قوانين لن يفيد الا كما يفيد كوب ماء تلقيه على حريق يلتهم بلدا بأكمله . ويأبى الله هذا والمؤمنون .

الأهرام ١٩٨٦/٤/٢٧ م

غربة الزمان والمكان !

ما هكذا كنا ولا هكذا كان الزمان ولا كانت مصر • ماذا دهانا وماذا ألم بالزمان والمكان جميعا ؟ •

لقد عايشنا هذا الزمن • واختلط تراب مصر بكل ذرة من كياننا البشرى فاختلط بالقلب منا وبالمشاعر وبكل شهيق لنا أو زفير •

لا •• ما هكذا كنا :

لم يخل زمن من الأزمان من شرار الناس وخيارهم • وقد بدأت الجريمة من عهد قابيل وهابيل • ولكن بدأت معها التوبة أيضا • وعرفت الجريمة منذ ذلك الحين الأسف والندم • يقول سبحانه وتعالى فى سورة المائدة فى الآيتين ٣٠ و ٣١ « **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ـ فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة أخى فاصبح من النادمين** » •

ولكن الجريمة اليوم أصبحت تتبجح فى غير خزى فلاهى تعرف التوبة ولا الخجل ولا الندم •

كانت الجريمة تتوارى فى أستار الخفاء فاذا هى اليوم تسفر عن وجهها فى ضياء العلن وفي وقاحة الاستهتار •

وكان المجرم ان ارتكب عملا ينافى ما استقر المجتمع على احترامه يخفى فعلته ويواريها كما وارى قابيل سوءة أخيه فاذا هو اليوم يفضح ما استتر ويكشف ما استتر ولا يبالى أن يعرف الناس عنه ما ارتكب •

واتشهد مصر صحفا تقسم للقراء فى كل يوم ولفترة استطالت أسابيع متصلة أحاديث واعترافات عن سفاح قاتل وكيف كان يقتل ضحاياه وكيف كان يعذبهم • فلا المجرم السفاح يخجل ولا الصحف تعود الى الرشد منها •

وتشـــهد مصر اللصوص ينتهبون الأموال العامة انتهابا ضاريا لا يستحون فهم يصرخون فى الناس معلنين أنهم لصـــوص وانهم خانوا الآمانة التى استأمنتهم عليها دولتهم والتى سلمها الشعب اليها • وانهم ليس يعنيهم أن يعرف الناس جميعا ما اختانوا وما استلبوا •

وان صراخهم ليتمثل فى السرايات ذات القلاع يسكنونها وأبناء الشعب لا يجدون حجرة يظلهم سقفها • وفى السيارات ذات الفجور يركبونها ويغدون بها ويروحون فى رائعة النهار وفى مفضوح المجاهرة وأبناء الشعب لا يجدون موضعا لقدم فى وسائل المواصلات العامة • وهم يصرخون بألهم بالملابس الفاخرة يرتدونها وبما يشـــترون من أدوات التسلية ذات الأسعار التى أصابها السعار •

لقد انقلب هؤلاء الآدميون الى ذئاب ضارية تنهش فى غير رحمة وتسرق فى غير مبالاة وتقتلع جذور الانسانية فى وحشية لا تجرؤ عليها الوحوش وهى الوحوش • وقد تتوارى الوحوش وهى تأكل الفريسة فى حين يعلنون هم جرمهم بكل وسائل الاعلان •

واذا الزمان غير الزمان • واذا المكان غير المكان •

لقد كانت الأزمان تجعل المجتمع يرفض هؤلاء القتلة ويحقرهم ويرفض أن يوسع لهم مكانا أى مكان فى القمة منه أو فى القاع •

كان الناس يرفضون أن يعرفوهم أو أن تقوم بينهم وبين هؤلاء أى صـــلة •

أما اليوم فهم القمة وهم الصـــدارة وهم بأموالهم المنتهبة ذؤابة المجتمع وسادته لا يرفضهم أحد بما عربدوا وبما قتلوا من ضمير وما اجتثوا من أشجار الكرامة والخلق الرفيع •

وكان المكان فى مصر يضيق بهم فتزحف أموالهم التى سرقوها الى رقابهم يختنقون بها وتصبح عليهم وبالا ونقمة غابت عنها نعمة الثراء • وما المال بغير مجتمع يوقر صاحبه ويجعل من مكانته شيئا مذكورا •

أما اليوم فالمكان موسع لهم غاية السعة ، وهم فى كل محفل لهم من المكان موضع الصدارة والناس تتصايح بأفضالهم وتتغنى بأمجادهم

وتسكب عليهم سيول المديح والاجلال والاكبار والمفاخر • التهليل لهم — لا عليهم — يحيط بهم ويسبقهم فى كل مكان •

ويل للزمان من الزمان وويل للمكان من المكان •

أصبح الشرف غريبا في مصر طريق الأنبياء ومنارة الأديان ومصباح الهدي وملهمة الوحى على مدى الأزمان وفى كل مكان •

كان الكتاب فى مصر ثروتها وغناءها وانشودتها وكلمتها • وكان الكتاب مثلا يقدرون حق الأمانة التى يحملونها وكان الكاتب اذا نافق أو اعوج سيره أو مال به الطريق ينصرف عنه الناس غاضبين غضبا قد لا يبدونه لغيره • فقد خذلهم وحطم الثقة التى شرفوه بها •

وانظر اليوم فأرى كثيرا من الكتاب يقولون مالا يفعلون • ويبشرون بالطهارة وهم غارقون في العفن • ويدعون الى الأمانة وهم يخونون اقلامهم • ويتصايحون بحب مصر وهم يطعنونها بأسلحة شرسة فتاكة فى صحف لا تصدر فيها • مستغلين النفوس الحاقدة على مصر مادين أيديهم لأعداء لا عمل لهم الا عداوة مصر يتربصون بها الدوائر ويحلمون بأوهام المخابيل أنهم بما يفعلون سيتمكنون من حكم مصر التى هى مصر • وما بالهم لا يحلمون مادام بعض الكتاب يباركون أحلامهم ويصورونها لهم على أنها أفكار معقولة مؤكدة التحقيق •

ونسمع ان فئات من المصريين يعقدون اتفاقات مع بعض المتهوسين من الحكام أنهم سيمهدون لهم الطريق الى زعامة مصر ليصبحوا بعد ذلك زعماء العالم العربى أجمع • ويقدم هؤلاء الخونة المصريون معسول الكلام ويقدم أولئك الحكام أموال شعوبهم التى فرضوا أنفسهم أوصياء عليها بقوة السلاح وبغير شرعية حق •

واذا الزمان غير الزمان واذا المكان غير المكان •

ويرى الشباب هذا الهول ولا يجد المثل الأعلى الذى سمع عنه بل يرى اللص يحيط به التمجيد والاجلال والخائن تصفق له الأيدى •

وتنقلب أمام الشباب أمل الغد موازين الامور •

والوقت عصيب والمال يسيطر على حياة الناس بشراسة لم يعرفها التاريخ فحين يبارك المجتمع السرقة والخيانة وانعدام الشرف تصبح

الصورة أمام الشباب مطموسة المعالم مشنوهة السمات فالشرف الذى عرفه من الكتب يراه مشوها فى الحياة وقد حلت مكانه كل نقيصه كان المجتمع فيما مضى يزدريها ويرفضها فكيف نريد لهذا الشبـــباب أن يكون عماد المستقبل ودعامة الآتى من حياة مصر ٠

لكل زمن مضى مفاخره ونقائصه ٠ ولكن النقائص كانت تنزوى خجلا وتتباعد عن النهار وتتخفى فى اطواء الظلام ٠ وكانت المفاخر شهيرة جهيرة واضــحة المعالم بينة المعارف يمتدحها المجتمع ويتغنى بها الشـــعراء والكتاب ٠

ولكن زماننا هذا انقلبت فيه المعايير ٠ أصبح الذى يرتكب المعاصى يهتف بها ويصنعها وهو جهير الصوت فخورا سعيدا متفرحا ٠

وأصبح الشريف يتوارى خجلا ٠٠ انه يأبى أن يسرق ٠ ويعف عن المال الحرام ٠ ويمتنع نفسه أن تقبل ما ليس لها ٠

نحن فى زمان يشربون فيه الخمر علنا ويقيمون فيه الصلاة سرا ٠ نحن فى مكان يسرقون فيه وتهتف لهم المظاهرات والمظاهر ٠ ويعفون فيه فى الخفاء وحتى لا يرميهم المجتمع انهم أغبياء سذج جهلوا الدنيا وضلوا طريقها الذى يؤدى بهم الى الثراء والعظمة والسعادة والهناء ٠

ان الدين الحنيف يأمر بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغى ٠ فلا وربك لا يرضينى التهوس الدينى والارهاب باسم الاسلام الحنيف وانما يرضى المجتمع حين يرى المعاصى تخجل والشرف يعلو وليس يرضى المجتمع حين يرى من يدعون الحفاظ على الاسلام يشهرون السلاح ويريدون أن يركبوا الدين مطية الى عرض الدنيا ٠

فلئن تعف نفس واحدة وتسمو عن المخازى أكرم ألف مرة من أن تتكون جماعات تريد أن تحكمنا فى دنيانا باسم ديننا الذى نفديه بالأرواح وهم أبعد ما يكونون عن الدين ٠ وزمانهم أيضـــا ٠ الدين الاسلامى صلة مباشرة بلا وساطة بين المسلم وربه ٠ حتى ليقول سبحانه لنبيه ﷺ **لست عليهم بمســـيطر** فاذا كان النبى ﷺ وهو النبى ليس بمسيطر فبأى حق يريد هؤلاء أن يسيطروا علينا وعلى مقادير أمورنا ٠

ويل للزمان من الزمان ٠ حتى الدين وهو الدين لم تتركه النفوس الجشعة وتريد أن تتخذ منه وهو الرحمة المطلقة سلاحا للعدوان والقهر والاذلال ٠

غرباء نحن فى هذا الزمان . وغرباء نحن فى هذا المكان ولكننا سنصمد . وستنجلى الغمة . وعما قريب ستعتدل الموازين ويعود الشرف الى قمته ويذهب الزبد جفاء ..

فان ربك لايخلف وعده وهو غالب على أمره وهو ناصر دينه وما غرسه هذا الدين من سموق وعظمة وكبرياء ؟

الأهرام ١٩٨٦/٦/١٥ م

أطفــــال

لك الله وحده يا مصر يا أم الأمجاد ويا واهبة الحضارة للتاريخ ويا مشرق العلوم والفنون والآداب ٠٠ أهذا الذى يحيط بك اليوم حتى بعد أن زالت وانكشفت عن سمائك سحب القهر والدمار ٠

ان أبناءك حتى اليوم لا يزالون يعيشون فى هذه الأيام المريرة من حياتك تسيطر عليهم بالسلب حينا وبالايجاب حينا آخر ٠

والا فما هذا الذى تصنعه بعض صحف وما هذا الذى به يعبثون ٠ أتراهم قد جهلوا أن هذا الهذر الذى يهذرون لا يصيب الا مستقبل مصر وحريتها وغدها وآمالها وآلامها ٠

هل هانت مصر عليهم فجعلوا منها لعبة لأقلامهم ٠٠

لك الله وحده يا مصر ٠٠

لقد غابت الحرية عن حياتنا فترة سوداء حالكة السواد ٠ ثم عادت ٠ وكنا نحسب أنها حين تعود سنكون أهلا لها وكفئا لأعبائها ٠ رجالا فى حريتنا شدادا فى الحق مترفعين عن الصغار متأبين عن الهوى ، متعففين عن السقوط ٠

فاذا ببعض ممن أتاحت لهم الحرية صدور الصحف يذكروننا بالطفل الأهبل نال بعد طول الحرمان لعبة جديدة فلا يزال بها يستخدمها فى غير ما أهلت له ويجربها فى غير طريقها ويقذف بها ذات اليمين وذات اليسار حتى تتحطم ٠ وينسى الطفل فى سذاجته وجهله أنه هو ٠٠ هو نفسه سيكون أول الباكين عليها ٠ ويذهل عن نفسه ذهولا أرعن مأفونا ناسيا أن هذه التى حسبها لعبة قد تنفجر عن قنبلة تصيبه هو أول ما تصيب ثم تصيب معه أهله وبيته أجمعين ٠

ما لهؤلاء الكتاب يلعبون ويلهون ويعبثون والوقت جد كل الجد والأمر خطير غاية الخطورة ٠٠ والشدة التى تمر بها مصر تحتاج الى العزم

كل العزم · والحزم كل الحزم · وهى فى غناء كل الغنـــاء عن ثرثرة المخابيل وهراء المهازيل ·

انهم يريدون ــ وبكل الجهـــد يريدون ــ أن يزحزحوا مصـــر عن حريتها · ويريدون ــ وبكل الجهد يريدون ــ أن تستعمل السلطة اجراء استثنائيا ويسعون أشد السعى أن يصدر أمر بمصادرة أو آخر باعتقال ·· وهيهات ·· خاب سعيهم فهو الى بوار · لن يكون هذا ·

أنهم اليوم أصحاب أصوات عالية وسيوف يحسبون أنها باترة ··

وأناشدهم الله والحق والوطنية · أين كانوا أيام المعتقلات تفغر أفواهها تلتهم أبناء مصر فى غير مرحمة ولا مساءلة ولا حتى تفكير ·

وانهم اليوم يهددون بالويل والثبور وعظائم الأمور · ويحسبون أنهم بهذا الذى يهرفون يهزون أعمدة الديموقراطية التى لا تزال مصر تهفو الى تثبيتها وتعميق أسسها · ولو ان رئيس الجمهورية شخص آخر لما جرأوا أن يقولوا ما يقولون ولا فكروا أن يكتبوا ما يكتبون · ولكنهم يعلمون أن حسنى مبارك ثابت كالجبل الأشم · يكبر عن الصغار · ويعلو عن الوهاد · واذا مر كريما ، وان خاطبه الجاهلون قال سلاما ·

يطالبون فيما يطالبون أن يترك رئيس الجمهورية رئاسة الحزب ولعمري أى ديموقراطية تلك التى لا ينتسب فيها رئيس الجمهورية الى حزب · فلينظروا الى ديمقراطيات العالم الرئاسية أجمع · أليس كل رئيس دولة فيها ينتمى الى حزب من أحزابها · فأى عجيبة أن يكون رئيس جمهورية مصر رئيسا لحزب مصرى ·

ويقولون ــ ولا أدرى أيصدقون ما يقولون أم هو اللغو ــ أن الحزب الديمقراطى لا يمثل الشعب ــ فكيف السبيل الى معرفة رأى الشعب ان لم يكن بالانتخاب وان الانتخاب بالقائمة بالذات هو أصدق معيار على رأى الشـــعب فى الحزب نفســه · فى حين نجد أن الانتخاب الفردى يختار الشخص لشخصه فى أغلب الأمر دون النظر الى حزبه · والاختيار فى هذا النوع من الانتخابات يتم للصلات الشخصية والمنافع الفردية وأقرب مثال على ذلك يوم اتهم أحد أعضاء المجالس النيابية بالاختلاس وأدانته المحكمة الابتدائية وتقدم الى الانتخابات فكان الناخبون يهتفون « حرامى حرامى لكن بنحبه » الله الله ·· أهذه هى الديمقراطية التى يريدون ·

وان قالوا أن الحزب الديمقراطى ليس له تاريخ أو جذور فأبسط ما يقال لهم وكيف تريدون له جذورا أو تاريخا بعد أن انعدمت الديموقراطية وقتلت الأحزاب فى مصر لمدة ربع قرن ٠ وكيف كان يمكن للديموقراطية أن تعود الا بأحزاب جديدة ٠

وربما وافقتهم أن الحزب الجديد ينبغى أن تكون له مبادىء واضحة المعالم محددة السمات جلية الملامح ٠ ولكننا مازلنا فى خطواتنا الأولى من الديمقراطية ولابد ــ مع الأيام ــ ان يصبح للحزب الوطنى مبادؤه ومعالمه وسماته ٠

ونسألهم أين أنتم من المبادىء وكيف تطبقونها وأنتم الحزب الذى نشأت دعائمه منذ أكثر من ستين عاما ؟

طلبت الحكومة رأيكم فى الدعم وكيف يصل الى مستحقيه فنكصتم عن ابداء الرأى ولذتم بترهات وحجج منهارة دون أن تفكروا فى مصلحة مصر ولا فى موقفها الاقتصادى وأصررتم أن تدخروا رأيكم وتحتفظوا به حتى تعارضوا أى قرار قد تتخذه الحكومة فى هذا الشأن ٠ وكان الأحرى بكم أن تؤيدوا الحكومة كل التأييد فيما تفكر فيه لأن هذا المذهب الذى تذهب اليه الحكومة يتفق كل الاتفاق مع مذاهبكم وآرائكم التى تدعون أنكم تعتنقونها ٠

وحين تكلم أقوام عن مجانية التعليم فى المدارس والجامعات كان رأيكم غمغمة مبهمة وكلاما معجما يسوده الحرص على المعارضة لمجرد المعارضة وليس المعارضة من أجل مصر ٠

وبدلا من أن تحاربوا الاصرار على بقاء الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين فى المجالس التشريعية ومجالس الادارات رحتم توجهون أسهمكم الى الأشخاص وليس الى الأفكار ٠ وتحتسبون أنفسكم أبطالا دون بطولة فى الهجوم على رئيس الجمهورية وأنتم تعلمون كل العلم أنه لن يصادر لكم جريدة ، ولن يحبس قلما ، ولن يعتقل أحدا ٠ فهكذا هو وهكذا تعرفونه وعلى الرغم من وثوقكم بهذا ٠ أو لأنكم واثقون من هذا ــ رحتم تهاجمون بسيوف ورقية ــ وجعلتم من أنفسكم أضحوكة بين الناس ٠

ثم أنتم ــ ويا للعجب ــ تطالبون أنه بالغاء حزب الأغلبية٠أليس لكم وازع من عقل أو منطق ٠ كيف تظنون أنه يمكن أن يصدر أمر بالغاء حزب الأغلبية والابقاء فى الوقت نفسه على أحزاب الأقلية ٠

ألا تدركون أنكم بهذا الذى تطالبون تفتحون بابا واسعا لالغاء الديمقراطية جميعها ٠٠ أتراكم الى هذا تسعون ؟

احذروا أنفسكم واذكروا مصر ٠٠ فانكم بما تصنعون تعملون جاهدين أن تدمروا الديمقراطية تدميرا كاملا ٠ ولو لم يكن رئيس الجمهورية كالجبال الرواسى لكان جوابه عليكم غير هذا الذى تشهدون ٠

بعض هذا الذى تصنعون بمصر فانكم ألستم منطقيين مع أنفسكم ولا مع مبادئكم ، بينما أرى الشيوعيين والناصريين منطقين مع أنفسهم ومع مبادئهم ٠

فهاتان الفئتان اذن تسيران فى الطريق الطبيعى للمبادىء التى تدينان بها ٠ فالشيوعيون يعلمون ان لا حياة لهم مع الديمقراطية وان نادوا بها فما ينادون بها الا ليقتلوها ويجهزوا عليها ٠

والناصريون يريدون أن يعود الطغيان والجبروت والحكم العاتى ذو الظلام الدامس والارهاق والعنت ليعودوا هم الى السلطان وامتصاص دم الشعب وأكله حيا أو ميتا ٠

الفئتان فى طريقهما الذى اختارتاه ٠

أما أنتم فتسيرون فى عماية من طريقكم وعلى مبادىء غير التى تدينون بها وترفعون شعارات غير الشعارات التى ينبغى أن ترفعوها ٠

وقد عرفتم الظلم وذقتم علقمه وطحنكم الطغيان فيما طحن فافيئوا الى الرشد منكم وكونوا من الذين اتقوا والذين قال عنهم الله « **ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون** » (الأعراف ـ ٢٠١) ٠

ولا تنسو قوله سبحانه فى سورة الانفال ٢٥ « **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب** » ٠

صدق الله العظيم ٠

الأهرام ١٩٨٦/٦/٢٢ م

العمل الجيد منارة

كان شهر رمضان حافلا بالأعمال الدرامية • وقد كان العمل العظيم الرائع ـ الذى قدمته الكاتبة الاسلامية والدرامية القديرة أمينة الصاوى ـ جديرا بكل اجلال واببار فقد استطاعت فى مهارة فائقة أن تمزج بين تاريخ التوحيد والتاريخ السياسى لمصر • كما استطاعت فى فنية باذخة أن تجعلنا نتتبع عملها فى تشوق ولهفة • وقد رأينا فى هذا العمل الفنى العظيم الموحدين المؤمنين متفرجين سعداء لا ترين عليهم فترة الحزن ولا كآبة النفس •

فقد جرى العرف فى الأعمال الدينية السابقة أن يظهر المؤمنين وقد لبسوا قناعا شمعيا من الغضب لا تختلج وجوههم بنأمة فرح • بينما الايمان هو السعادة المطلقة وكلما كان ايمان الانسان عميقا كان تفرحه وهناؤه غامرا • وأنا ـ فيما أكتبه الآن ـ أقدم اعجابى الشديد بما كتبته الكاتبة العظيمة أمينة الصاوى ولا أقيم العمل من الناحية التاريخية فليس هذا شأنى بل اننى أرى أن للكاتب الدرامى أن يمزج من أحداث التاريخ ما يشاء ليقدم عمله الفنى ، على أن العمل مع ذلك عرض على المتمكنين فى التاريخ وأجازوه •

ومما زاد اعجابى بهذا العمل الفنى العظيم أن الفرصة فيه كانت سانحة غاية السنوح للخطب المنبرية والوعظ المباشر ولكن أمينة الصاوى استطاعت أن تجعل الأحداث هى التى تقول ما تريد المؤلفة أن تقوله دون اثقال على المشاهد أو عنف به •

وينبغى لى وجوبا أن أهنىء المخرج أحمد طنطاوى على براعته الفائقة التى قدمت العمل فى أحسن صورة يمكن أن يظهر بها فقد كان موفقا كل التوفيق فى كل لحظة من لحظات العمل التى قاربت الثلاثين ساعة •

كما أهنىء الممثلين جميعا لا استثنى منهم جميعا أحدا • فهم فى تناغم سيمفونى سامق استطاعوا أن يكونوا داخل أدوارهم دون أن يفرضوا على أدوارهم عنتا أو رهقا •

ثم أنا من بعد ابتعد تماما عن المسلسلين الآخرين اللذين قدما في القناتين الأولى والثانية فنحن في أيام أعياد ولا أريد أن أسيء الى أحد • وانما لابد لى أن أهنىء الممثل العملاق صلاح قابيل الذى أدى دور الترزى في قدرة فنية شاهقة تصل به الى قمة يندر أن يصل اليها ممثل عالمى كما أهنىء الأستاذ كرم مطاوع ذلك الفنان الرفيع المشاعر المتمكن على دوره في المسلسل الآخر فقد استطاع أن يقدم الشخصية المعقدة غاية التعقيد والتى تتصرف تصرفات حمقاء رعناء دون أى باعث انسانى أو درامى في موهبة لا تتأتى الا للقلة النادرين •

ولا يفوتنى ان أهنىء القمة صلاح ذو الفقار على دوره أيضا ـ فقد أداه بالروعة التى لا ننتظر منه أقل منها •

ولا أستطيع ان أغفل المسلسل الدينى « نور الاسلام » للكاتب الفذ المتمكن الأستاذ محمود شعبان فقد كان الكاتب رائعا كعهدنا به دائما فى كل ما قدم من أعمال سواء للاذاعة أو التليفزيون •

أما مسلسل « الأفيال » للكاتب الكبير فتحى غانم فيمثل نموذجا فنيا شاهقا للأعمال التليفزيونية وكيف تستطيع أن تصعد الى قمة الفكر والفن جميعا ولكن من أين للتليفزيون بكاتب فى حجم فتحى غانم الذى أبى أن يترك روايته تمزق بين أيدى الآخرين وكتب هو لها السيناريو والحوار •

ولو أن الذين يكتبون تفاهاتهم للتليفزيون درسوا مسلسل الأفيال وكيف يستطيع الكاتب الكبير أن يكون كبيرا فى كل انتقالة لمشهد وفى كل حرف من حوار لعادت عليهم دراستهم هذه بالخير العظيم • ولكن هيهات فكل كاتب منهم يعتقد أن الله خلقه وحده وترك الآخرين • وكل صغير منهم يعتقد ان الكبار أصبحوا كبارا بالصدفة العمياء وليس بالموهبة الرفيعة وبالمراسة الشاقة العنيفة •

اننى أهيب بالأساتذة فى المعـاهد أن يدرسوا مسلسل الأفيـال لتلاميذهم ليعرف التلاميذ ماذا يستطيع القمم أن يقدموا •

واذا تركت الأعمال الدرامية وانتقلت الى البرامج الأخرى فانى أختار برنامج المربية الفاضـلة السيدة نوال السجوى فقد كان برنامجا خليقـا بأستاذة فاضلة وانى أنتهز الفرصة لأتفق معها فى رأيها عن عمل المرأة فقد جرى البعض أن يجعلوا منه قضية قاطعة لا مناقشة فيها فرأى البعض

أن المرأة لا يجوز أن تعمل ورأى آخرون أن المرأة لابد أن تعمل والأمر أيسر من ذلك . فالاسلام لا يمنع المرأة أن تعمل . ولكن على المرأة نفسها أن تقدر ان كان عملها خيرا لها أم بقاؤها فى البيت هو الأولى بها . فان كانت بلا أطفال فما الذى يمنعها من العمل . وان كان أطفالها يذهبون الى المدرسة فما بقاؤها فى البيت ؟ ولكن لابد أن تعلم أن تركها لأطفالها جريمة لا تغتفر . فليس فى العالم انسان يعوض الطفل عن حنان أمه . وعليها أن تقدر أيضا اذا كان عملها أكثر مجلبة لخير بيتها أم لا . فان أجر الخادمة اليوم أصبح يتساوى مع مرتب وكيل الوزارة فهل اذا عملت المرأة ستستطيع أن تدر على البيت دخلا يقارب ما تنفقه فى أجر الخادمة .

هذه كلها أمور لكل سيدة فى البيت أن تقدرها وان تقرر على هدى تقديرها ان كانت تبقى فى البيت أم تتركه الى العمل خارج منزلها وأذكر ان مائتين وخمسين ألف سيدة فى أمريكا أضربن عن العمل والحجة الوحيدة التى سقنها ان العمل أفقدهن أنوثتهن . على المرأة المصرية أن تدخل هذا أيضا فى حسبانها وهى تقارن بين البقاء فى البيت والعمل خارجه .

ولكننى مع السيدة نوال الدجوى ان هذا الأمر لا يكون بحكم قاطع شامل ينطبق على الجميع .

ومن البرامج التى استمتعت بها طول شهر رمضان البرنامج الذى قدمه التليفزيونى القدير طارق حبيب . فقد كان عملا ممتازا يمزج بين التسلية والعلم والفن فى باقة طريفة حبيبة قريبة الى نفس المشاهد . وأشهد أن بعض الأسئلة التى كان يقدمها كانت غاية فى الصعوبة لا يستطيع معرفة أجوبتها الا متخصص فى مادتها . ولكن ما الباس فهو يريد أن يصل بهذه الاجابات الى المستمع عبر برنامجه ولا يهم من بعد أن كان المتسابقون يعرفون الاجابة أم لا يعرفونها .

كان التليفزيون مزدحما بالأعمال طوال شهر رمضان حتى أن بعض الأعمال كانت تتوارى فى الزحام . ولهذا أرجو من السيدة الفاضلة رئيسة التليفزيون أن تعمل على اعادة تقديم مسلسل (نور الاسلام) الذى كان يذاع فى موعد أغلب المشاهدين كانوا منصرفين أثناءه الى القناة الأولى . ولذلك فقليل أولئك الذين شاهدوه وهو جدير بأن يشهده الجميع .

وبعد فليس هناك عمل فنى يجمع على الاعجاب به كل المشاهدين . وان كنت فى هذه العجالة قد أبديت اعجابى بأعمال معينة وحجبت رأيى عن أعمال أخرى فلا شك أن هناك غيرى من يختلف معى فى الرأى .

وانى أهيب بالسيدة الأستاذة سامية صادق أن تحاول المحافظة على هذا المستوى الجيد الذى حققه التليفزيون فى شهر رمضـــان المبارك فمادمنا نعرف الطريق فالطبيعى أن نسير فيه ولا نحيد عنه مهمـا تكن الأسباب فلا شيء فى العالم يساوى ان يتقن الانسان عمله ما دام يعرف كيف يتقنه · ولنضرب صفحا عن كل رجاء أو شفاعة · فان الرجاء والشفاعة فى العالم الفنى يكونان فى غرفة مغلقة والنتيجة السيئة منشـورة على الدنيا جميعا ·

وينبغى ألا يخاف التليفزيون قطاع الطرق فى الصفحات الفنية وغير الفنية بالصحافة فان مكر هؤلاء الى بوار ومهانة · ويبقى العمل الرفيع منارة على طول الزمان · والجمهور يعرف الطيب من الخبيث · ويعرف النقد المغرض حين يراه · ويعرف الكلمة الصادقة حين يقرؤها · والله من قبل ومن بعد يجزى العاملين المحسنين خير الجزاء ·

الأهرام ١٩٨٦/٦/٢٩ م

أعزك الله يا عزة !

جاء فى الأخبار تحت عنوان طفلة تنقذ ثلاثين مواطنا من الموت ·· الخبر التالى أسوقه كما ورد « كتب ـ محمد رجب ـ أنقذت طفلة فى الثامنة من عمرها ثلاثين مواطنا ومواطنة من الموت ·· دخلت الطفلة عزة محفوظ مكتب العقيد أمين بهجت مأمور قسم الجيزة وأبلغته بأن المنزل المجاور لمنزلها خلف مبنى القسم على وشك الانهيار ·· وانها سمعت والدها ووالدتها يتحدثان عن سماع أصوات غريبة تنبعث من جدرانه التى تهتز وقالت ان والديها قررا عدم ابلاغ الشرطة خوفا من سكان المنزل ·· انتقل المأمور والضابط للمكان ·· وحينما تأكدا من صدق الطفلة ·· قررا اخلاء المنزل فورا من سكانه ·· وبعد دقائق من الاخلاء انهار المنزل وبدأ التحقيق ·

كانت الطفلة ترتجف وهى تدخل من باب القسم ·· لاحظ المأمور أن نظراتها يملؤها الفزع ·· اتجه اليها ·· سألها عما تبحث ·· قالت له ان صديقتها الطفلة تسكن بهذا المنزل الذى سمعت من والدتها أنه سينهار بين لحظة وأخرى وانها تخشى على صديقتها من الموت ·· وتخشى أن يعلم والداها بحضورها للقسم ·· تردد المأمور فى تصديق الطفلة وأمام الحاحها وبكائها المستمر اصطحبها ومعه المقدمان ماجد الباز وعمر الفرماوى رئيس المباحث ·· وتبين أن المنزل متصدع الجدران ومائل قليلا فقرروا اخلاءه فورا ·· وبعد دقائق انهار المنزل ·· وتبين من المعاينة المبدئية ان أسقف المنزل من خشب النخيل ··

والى هنا ينتهى الخبر تقريبا ·

وأنت يا عزة لا تدرين أية سعادة غامرة أدخلتها الى قلوبنا · فقد رأيت فيك أملا من بعد يأس قاتم خيم على حياتنا ·

فأنت يا بنية استطعت بعملك الذى صنعته عن فطرة أن تصبحى ابتسامة مشرقة على شفاه قوم طال بها الزمن وهى تحس المرارة والأسى ·

ان عزة لم تلتق بالشرطة من قبل • وواضح من الخبر انها كانت خائفة هالعة مرتعشة من الاقدام على هذه المخاطرة التى لا تدرى الى أى مصير تقودها •

زادها خوفا وهلعا ذلك الحديث البعيد كل البعد عن الانتماء الانسانى والذى بلغ مسامعها من أمها وأبيها •

وان كان الخبر لم يأت من الحديث الا بعجالة سريعة الا أنه من المؤكد ان الحديث كان مستفيضا متطاولا • وماله لا يكون •• زوجان فى بيتهما والأحداث التى يمكن أن تكون مادة تسلية قليلة نادرة وها هى ذى فرصة متاحة للحديث الوافر • تكلما عن الناس الذين يقطنون بالمنزل والشروخ التى داهمت المنزل • ومتى داهمته وكيف سكتوا عنها • والولدان يرفضان ان يبلغا عن المنزل المتهالك ويطمئنا ضميرهما انهما انما يصنعان ذلك حتى لا يغضبا سكان المنزل من أصدقائهما •• اذن فالأبوان الكريمان يخافان أن يغضبا قوما ولا يخافان أن يقتلاهم أجمعين • ولا شك أن الأبوين فى حديثهما تخوفا أن يذهبا الى القسم حتى لا يشغلا وقتهما ويضيعا يوما بأكمله فى الابلاغ ومصاحبة الشرطة الى المنزل •

ان الأبوين من ذلك الجيل الذى نشأ فى الأيام الداكنة من تاريخ مصر والتى جعلت الناس يشعرون أن مصر غريبة عن المصريين وهم عنها غرباء يوم قال الحاكم ان الوطن شأنى أنا وشأنكم أن تقبلوا رشوتى بالخبز الرخيص والتعليم المجانى فى جميع مراحله وان تهملوا فى مصانعكم ووظائفكم ما طاب لكم الأهمال ولن يمسكم أحد بسوء • بل ولكم أيضا أن تكون نسبة الجهلاء من فلاحين وعمال خمسين فى المائة ويشتركوا فى التشريع للبلاد وحكم الناس وقد كان التشريع يصدر من الحاكم المنفرد ويمر بالمجلس النيابى لاقراره وليس لمناقشته •

جيل ساومه الحاكم واشترى منه حقوق المواطن الانسان ، ودفع له الثمن تخريبا للوطن وتدميرا لكرامة مصر واقتصادها •

انه جيل تعود ألا يكون صاحب رأى فى أى شىء يخرج عن نوع طعامه فى بيته وفى بيته فقط •

جيل بعيد كل البعد عن الحياة العامة وما يضطرب فيها وما يمس شئون الناس من ناسهم الذين يحيون من ماء نيلهم ويأكلون من أرض مصرهم •• شاه زمنا •

والقاطنون فى البيت ماذا نحن قائلون لهم أنلومهم انهم لم يبلغوا عن الحال الذى صار اليه بيتهم ، من السهل أن نلوم ولكن أترانا كنا نصنع غير ما صنعوا • أسرات بأكملها يضمها بيت متهالك ان تركوه فهم نهب للتشريد والضياع فى تيه العالم أجمع •

ان سكان هذه البيوت جميعا أحياء وأمواتا ضحايا القانون الذى أصدره الطاغية فى الستينيات لتخريب العلاقة بين ملاك البيوت وسكانها وجعل الملاك يتوقفون منذ صدوره عن البناء توقفا تاما وها هى ذى النتيجة اليوم •• مقاتل جماعية لسكان البيوت المتهالكة أو تشريد لمن تركوا المنازل المتصدعة وضياع كامل للشباب الذى يريد أن يبدأ حياته ويكون أسرة •• هذا الضياع الذى أدى الى وحشية بعض الأبناء لتتخلص لهم بيوت والديهم •

أما عزة ابنة الأمل ونبت الأرض الحرة والهواء النقى فقد غالبت كل هذا وذهبت وحدها الى القسم ترتجف ولكنها تغلبت على خوفها لتنقذ صديقتها فى البيت المجاور فأنقذت معها سكان البيت أجمعين •

أنت يا عزة تشعرين أن الصداقة تستحق ما تعرضت له من خوف وحرج وأنت يا عزة تشعرين أنك تنتمين الى الناس حولك الذين هم وطنك •

وأنت يا عزة ضربت المثل الرفيع لكل المصريين • فلو ان الوزراء اتخذوا قراراتهم بنفس الجرأة التى اتخذت بها قرارك لصلح حال الاقتصاد المصرى • واستقام المعوج من الأمر • فنحن الدولة الوحيدة فى العالم التى تعرف أمراضها وتعرف دواءها ولكنها لا نحاول أن نستخدم الدواء لتقضى على المرض • مازلنا نصر على مجانية التعليم الوهمية ونحن نعرف الخراب المحيق بمصر وبالتعليم من هذا الداء ومازلنا نصر أن تكون نسبة العمال والفلاحين خمسين فى المائة ونحن نعلم اننا بهذا نخرب التشريع المصرى والكرامة المصرية بقانون لا مثيل له فى العالم أجمع • ونحن نصر أن ينال الدعم الأغنياء مهما يتفاقم حجم غناهم • ونحن مصرون ألا يعمل العامل ثم يظل فى عمله •

ولو أن أعضاء مجلس الشعب يا عزة أدركوا أنهم مسئولون عن مصر جميعها وليس عن ناخبيهم وأقاربهم فقط ولو أنهم فعلوا مثلك فقدموا الصالح العام على الصالح الخاص لكان حال مصر غير هذا الحال •

ولو أن الموظفين أدركوا أنهم ينبغى أن يتقنوا عملهم مهما يكن أجرهم ضئيلا لأن القيام بالواجب فى ذاته قيمة عليا أدركتها أنت يا عزة لأصبح وجه مصر جديرا بتاريخها العريض •

ولو أن كل فرد فى مصر يا عزة أحس انه مسئول عن أخيه كما أحسست أنت أنك مسئولة عن صديقتك لاستطعنا يا عزة أن نعلو فوق المحن ونسمو فوق الأزمات ولغير الله ما بنا لأننا غيرنا ما بأنفسنا ٠

وبعد يا عزة ربما كنت فيما أقول حالما فى وادى الآمال ٠ لكنك انت يا بنيتى قد فتحت لى الباب الى هذا الوادى ٠ ومادامت مصر قد أنبتتك فمالى لا أرجو أن يكون جيلك كله مثلك ٠ فان صح هذا الرجاء فان لنا نحن المتفائلين أن نتوقع لجيلك هذا أن تكون أيامه كلها اشراقا ٠ ومالى يا بنيتى ألا أرجو فان لكل ليل صباحا وقد كنت أنت تباشير هذا الصباح ٠

الأهرام ١٩٨٦/٧/٦ م

المبادىء ٠٠ والتطبيق

أصاب الوفد الدستور والديمقراطية بأمراض وهزال وكان هذا فى الفترة السابقة على قيام الثورة وكان من أهم العوامل التى عجلت بقيامها ٠ فقد تصرف الوفد بغباء منقطع النظير فى فترة حكمه الأخيرة ٠ وكانت فلسفته ان يكون رئيسه وأعضاؤه عبيدا ساجدين فى ساحة الملك العربيد حتى يظلوا فى الحكم أطول فترة ممكنة ٠ ورأينا رفعة رئيس الوفد يقبل يد الملك المدنسة بكل ما هو وضيع ومنحط من مخاصرة للنساء الى لعب ميسر ٠ ورأينا رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا يؤم حزبه فى صلاة مؤلمة قبلتها الملك فاروق فى مصيفه بكابرى ٠ ورأينا القاهرة تحترق فى عهدهم ٠ ورأينا مذبحة الشيوخ فى زمانهم وبهذه المذبحة دمروا الدستور وكرامة مصر جميعا ٠

ومن عجب أن بعضهم يدافع عن هذه المذبحة الدستورية بأن تعيين هؤلاء الشيوخ لم يكن بادىء ذى بدء بالطريق الدستورى والسؤال البسيط الذى يستطيع أن يوجهه لهم أى انسان عاقل فلماذا لم تعيدوا تعيين الأشخاص أنفسهم بالطريق الدستورى لتبقوا على الدستور قيمته وعلى مصر كرامتها ٠

وقد ورث حزب الوفد الجديد نفس الغباء بل أشد منه هوانا ولعلك لو قرأت المقالة الأخيرة التى هاجمتنى بها مجلة الوفد تدرك ــ ان لم تكن قد أدركت بعد الى أى حضيض من الغباء يتردى حزب الوفد الجديد ٠

فى عنوان المقالة جعلوا اسمى زروت بدلا من ثروت وأصروا على هذا الابدال للاسم فى المقالة كلها ٠ أليس هذا غباء ٠ أليس من الطبيعى أن أقلب اسم رئيسهم كما فعلوا باسمى فأسميه ظلام الطين مثلا أو غير ذلك وغيره كثير فاذا سألونى ما ذنب الرئيس أجبتهم ان المقالة بغير توقيع فالحزب اذن مسئول عنها جميعا وعلى رأسه زعيمه فالخطاب اذن لابد أن يتوجه اليه من باب الأدب ووضع الأمور فى نصابها ٠ ثم ان مجلة الوفد صدرت فى يوم قريب بمقال فى صدرها بعنوان العين بالعين والرأس بالرأس فأنا لم أستحدث جديدا بل هم الذين أحدثوا وفى هذا المقام وقبل أن أتركه الى غيره أجد المقالة تسبنى لضخامة جسمى وأتساءل أليس

هذا غباء منقطع النظير أم ترى كاتب المقالة أراد أن يسب رئيس حزب الوفد عن طريقى والا فكيف يهاجم حزب رئيسه حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا شخصا آخر لضخامة جسمه الا اذا كان يريد مهاجمة الطول فقط لا الضخامة كلها • وبعد أليس هذا أسلوب النساء اللواتى يفرشن الملآت على قوارع الطريق ويعيرن الأخريات بالنحافة حينا أو بالضخامة حينا آخر • فى أى عرف سياسى رأى أولئك النسوة حوارا عقليا يتجه الى معالم الجسوم وليس الى معالم العقول ومعالم الضمائر ومعالم الوطنية •

وبنفس الغباء يقول الوفديون اننى كاتب دساس أدس بينهم وبين رئيس الجمهورية • يا لهم من حقراء العقول • هل سمع أحد فى العالم ان دساسا يدس عند أى شخص ضد آخرين ويعلن دسه فى صحيفة الأهرام كبرى جرائد المشرقين جميعا • وما حاجتى للدس وهم القائلون فى مقالهم الرئيسى العين بالعين والرأس بالرأس •

بهذا الغباء نفسه أصاب الوفديون الحيـاة الديمقراطية فى مصر بالمرض العضال ثم جاءت الثورة وشملت الفرحة مصر جميعا من أقصاها الى أقصاها وقد كنت فى ذلك الحين شابا صغيرا فى الخامسة والعشرين من عمرى ولكن ملازمتى لأبى جعلتنى ألازم فى هذه الفترة شلة من زعماء مصر من غير الوفديين وقد كانوا جميعا سعداء بما تم ، فهم الذين أبدوا سخطهم على تصرفات الملك بعريضة الثلاثين الشهيرة •

وجاءت الثورة ورأينا أهدافها •

وانى اليوم أكتب ما أكتب لنرى معا ماذا حققت الثورة من أهدافها وكيف حققتها كان الهدف الأول « القضاء على الاستعمار وأعوانه » •

أما الاستعمار فطبيعى ان يكون المبدأ الأول لأى حكم هو القضاء عليه ولكن الاستعمار كان يلم أذياله من العالم أجمع حتى لقد ترك الهند التى كانوا يسمونها درة التاج البريطانى •

وكانت مصر قد وصلت مع بريطانيا الى معاهدة صدقى ــ بيفن التى تجمع الآراء السياسية انها كانت خيرا من المعاهدة التى خرج بها الانجليز من مصر •

أما أعوان الاستعمار الذين ورد ذكرهم فى المبادىء فقد ثبت من المحاكمات الثورية المتعاقبة ان ارض مصر الطاهرة لم يكن فيها خائن لبلاده

مطلقا • ولولا الحادث المؤسف الذى وقع فى ٤ فبراير وقبول النحاس باشا الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ولولا انحطاط شباب الوفد فى ذلك الحين الذين حملوا السفير البريطانى على أكتفاهم لظلت صـــفحة الوطنيين المصريين ناصعة البياض • ولظل الشرف الذى كان هالات نور حول الرءوس من أبطال ثورة ١٩ مضيئا متوهجا لا يغض شىء من توهجه •

أما المبدأ الثانى فقد كان القضاء على الاقطاع •

وقد نفذت الثورة هذا المبدأ فعلا وقضت على اقطاع الأرض واقطاع العمارات • ولكن الثورة لم تستطع أن تمس الصلات الحميمة بين الناس بعضهم وبعض وظل المحترمون محافظين على احترامهم بين الشعب ولهذا عادت اليهم الثـــورة فى عـــام ٦٦ لتنكل بهم أشـــد التنكيل بدعوى أنهم استعادوا أموالهم • وصاح بهم الشيخ الجليل خالد محمد خالد لقد كونوا ثرواتهم فى ظل قوانين ثورتكم ولكن هيهات • اعتدوا يومذاك على أعراض الرجال وعلى حياء النساء وفرقوا كل معنى من معانى الانسانية •

وبعد فهل قضت الثورة على الاقطاع أم قضت فقط على الاقطاعيين الذين كانوا يعيشون عند قيام الثورة • ان نظرة عابرة لا تحتاج الى امعان تظهرنا على الحقيقة القائلة وهى ان رجال الثورة واللائذين بهم والمنافقين لهم أصبحوا شرا من كل الاقطاعيين الذين قضت الثورة على اقطاعهم •

لقد استولى رجال الثورة على القصور والأموال واجتمع فى أيديهم كل السلطان الغاشم الذى لا يعرف القانون ولا الانسانية • وأذلوا مصر كلها شر اذلال فصاروا أشد وبالا على المصريين من الاحتلال والاقطاع جميعا • وان ما أصدرته المحاكم فى عهد الحرية الأخير من أحكام لخير دليل على بشاعة ما شهدته مصر على يد الذين يدعون أنهم خلصوها من الاحتلال والاقطاع •

وجريمة أخرى لا تقل بشاعة ارتكبت فى ذلك الحين فانهم فى حماة حقدهم على كل مالك تدخلوا بين مالك المسكن والمستأجر فتوقف البناء تماما فى مصر وكانت النتيجة هذه الأزمة الطاحنة التى نشقى بها اليوم والتى يعانيها أشد المعاناة شباب مصر حتى لنرى الوحشية تتملك من قلوب بعضـــــهم ـ وان كانوا نادرين ـ فيحاولون التخلص من آبائهم لتخلص اليهم مساكنهم • وهذا الشباب هو الذى تدعى الثورة أنها علمته مجانا ولولاها ما تعلم ونسيت الثورة ان الكثيرين من قوادها كانوا فقراء بل كان بعضهم معدما ومع ذلك تعلم ولم تكن المصاريف المدرسية حائلا

ولا عائقا يردهم عن التعليم · لقد أعطت الثورة الفتات للشباب متمثلا في التعليم المجاني الذي أصبح اليوم وهما كاذبا واستلبت حقه في الحياة وفي أن يكون صاحب بيت أو صاحب رأي أو صاحب حرية · ويا ليت ما ناله الشباب من التعليم كان تعليما حقـــا · علم الله ما هو الا ورقة تمثل شهادة ما تلبث عند الاختبار وملاقاة الحياة والعلم الحقيقي ان تصبح هباءة لا تساوي قلامة ظفر ·

أما المبدأ الثالث فهو القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال ·

وقد حققوا هذا المبدأ بالاستيلاء على مصانع مصر كلها وأقاموا القطاع العام · والنتيجة واضحة للعيان ولا تزال الدولة منذ عهد السادات حتى اليوم تحاول أن تصلح المنهار من القطاع العام فتتقطع منها الأنفاس ويتسع الفتق على الراتق وما أهون كلمة الفتق في هذا المقـــام ولعل الكلمة المناســـبة لم تعرفها اللغـــة بعـــد ·· ربما كانت الاهتراء أو التمزق أو الاختراق ··

أما المبدأ الرابع فهو اقامة عدالة اجتماعية ·

وهذه طبعا كان لا يمكن أن تتحقق · وكيف لها أن تتحقق وقد أزالوا طبقة وكونوا هم من أنفسهم طبقة أخرى أشد منها سعارا وأبعد منهـا سلطانا وأقسى منها قلوبا وأعتى منها ضراوة وهي من قبل ومن بعد أقصى ما تكون نأيا عن الانسانية ·

ولقد أقاموا بدلا من العدالة الاجتماعية ارهابا شاملا واغتالوا كل معنى للعدالة : اجتماعية كانت أو غير اجتماعية ·

أما المبدأ الخامس فقد كان اقامة جيش وطني قوي وان الذي حدث في عام ٦٧ يغنينا تماما عن أي حديث في هذا المضمار وان كان ينبغي ألا ننسى أن الجيش الذي كان قائما كان يستخدمه الطاغية لاستجلاب الأمجاد الشخصية لنفسه هو ولم يبال بشأن القتلى على جبال اليمن والكنغو وغيرهما · ومادمنـــا نتكلم عن الأرواح فما يجوز لنا أن نذكر الأموال الضخام التي ألقيت في ميدان هذه الحروب والتي أسهم القاؤها في الخراب الذي نعانيه اليوم ·

أما المبدأ السادس فهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة · وواقع الأمر أن الديمقراطية كانت تحتضر على يد الوفد قبل الثورة ولكنهـا كانت موجودة وكان الناس يعيشون في ظلال منها لا شك فيها · وكان المنتظر

ان تقدم الثورة الدواء للديمقراطية فتصبح من بعد مرض وتزدهر من بعد ذبول . ولكن الثورة رأت أن أيسر شيء أن تقتل الديمقراطية قتلا تاما فلم يكن لها وجود مطلقا ولم تعد الى الحياة الا على يد الزعيم الخالد أنور السادات . ثم هي اليوم تشهد أزهى عصورها في عهد الزعيم العظيم حسني مبارك .

كم من مبادئ لها عند نطقها وقع في النفس رائع وجليل ولكنها عند التطبيق تصبح ازهاقا لكل معنى كريم عرفته الحياة ؟ .

١٩٨٦/٧/١٣ م الأهرام

الى الدكتور النمر ...

أهنئك يا فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر على جائزة الدولة التقديرية واعتذر اليك عن هذا الذى قرأته فى بعض الصحف لقوم تعودوا أن يصوتوا ولا يقولوا شيئا . ولا بأس عليك يا مولانا فانهم حشرات تخرج من جحورها اذا سمعت صفير الأم صادرا من هناك من تلك البلدة التى يحكمها مجنون فهى حكومة بلا عقل ، أو من هنا لك من تلك البلاد التى يحكمها ملاحدة فهى دولة بلا دين .

وأعتذر اليك مرة أخرى عن ذلك المأفون الذى اتخذ الحديث عنك طريقا للنيل منى وقد دأب على ذلك وهو يستثيرنى اليه بشتى طرق ووسائل على أمل أن أرد عليه يوما فأجعل منه شيئا مذكورا وما هو بشىء حتى يكون مذكورا .

وانى يا سيدى الدكتور أنصحك ـ ان كان لمثلى ان ينصح مثلك ـ الا تفكر فى الرد على ما كتب فأنا قد أخذت على نفسى الا أرد وليس موقفى هذا لأنى أذكر بيت المتنبى الخالد :

واذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

اضرب عن هؤلاء جميعا صفحا واطو صفحتهم وهى مطوية بطبيعتها وهيا الآن الى كتابك الجليل الذى أصدرته منذ قريب والذى اعتقد أن العالم الاسلامى أحوج ما يكون اليه اليوم .

ان كتابك « الاجتهاد » الذى أقرأه الآن من أعظم الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة الأخيرة وكم كنت موفقا حين كتبت تحت عنوان « الاجتهاد ضرورة من ضرورات الدين والحياة . كيف كان ! وكيف صار ! وواجبنا الآن .. » .

واسمح لى يا مولاى أن أشد على يدك فى قوة لشجاعتك النادرة أن أصدرت هذا الكتاب تواجه به فئات كثيرة لا ندرى أيها أكثر ضلالا من الأخرى . فهناك الجامدون المتحجرون الذين يأبون أن يكون ديننا الحنيف

صالحا لكل زمان ومكان · وهناك المتكسبون بالدين ولا يريدون أن يتطور التشريع عند الشرح ومواجهة الجديد فى حياتنا والذين يأبون أن يقرءوا التاريخ ويروا الشافعى وهو الشافعى يغير الكثير مما أثبته عندما جاء الى مصر · فاذا كان هذا الامام الجليل يغير أراءه حين استبدل مكانا بمكان فكيف كان صانعا لو استبدل زمانا بزمان ·

لأحسب يا سيدى الدكتور ان الأئمة جميعا لو أنهم عاشوا زماننا هذا لغيروا الكثير من أرائهم وتفسيراتهم واجتهاداتهم ·

وأنت يا دكتور تواجه بشجاعة جماعات تريد أن تجعل الدين طوع أمرها وتجعل منه سلاحا فتاكا تشهره على حياتنا وأمننا وكرامتنا والمستقر الثابت من معيشتنا · يخيل اليهم فى خبال وجنون أنهم بما يمزقون من جنبات الحياة سيصلون الى الحكم ويصلوننا نيرانهم البعيدة كل البعد عن الدين القيم ·

واجهت هؤلاء جميعا بكتابك هذا الجليل وانه ليطيب لى أن أنقل هذه الفقرة الهامة التى جاءت فى كتابك تحت عنوان « هل أحاديث الرسول كلها وحى » وفيما تقول « يعنى : هل كل ما نطق به الرسول أو فعله أو أقره انما كان بناء عن وحى ، أو حراسة وحى ، بحيث لو كان غير سليم أو صحيح ينزل الوحى عليه ليصححه كما حصل فى بعض الأمور · بعض العلماء قال بهذا مستظلين أو مستدلين بقوله تعالى مدافعا عن رسوله « **والنجم اذا هوى · ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى · ان هو الا وحى يوحى · علمه شديد القوى** » ·· الآيات واعتبروا النطق عاما فهو لا ينطق ولا يقول الا عن وحى يوحى اليه ·· ومثله الفعل ·· ومع ان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد برأه الله من الميل الى الهوى والغرض الشخصى فى كلامه وفعله اجماعا الا أنهم فى تفسيرهم انه لا ينطق الا عن وحى فى أى موضوع يتكلم فيه · ولو فى شأن من شئون الحياة العادية ، ولو كان فى الزراعة ، أو الطب ، أو الحكم فى أمر من الأمور ·· كل كلامه الذى ينطق به عن وحى أو الهام من الله ·· هكذا تصوروا استنادا لهذه الآية · وهو استناد خاطىء ·غفلوا فيه عن سياق الآية وسبب نزولها فالآيات مسوقة للرد على المشركين ، الذين ادعوا أن محمدا يكذب أو يفترى ويقول قولا يدعى انه من عند الله · وانه القرآن · وهم فى هـــذا الادعاء يتجنون ويتجاوزون ما عرفوه عنـــه طول حياته · من أنه لا يكذب · وانه الصادق الأمين ، وذلك حين أراد الله نفى اتهامهم له بالافتراء فى القرآن أومأ الى هذه التجربة فى حيـــاته وقال : « **ما ضل صاحبكم وما غوى** » فهو صاحبكم ومغاشركم منذ الصبا والشـــباب ولم تجربوا عليه كذبا قط فكيف تتهمونه بالكذب الآن بعد كل هذا النضج » ·

وتقول يا دكتور فى موقع آخر ٠٠ ونتيجة هذا كله أن الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يجتهد أحيانا ويقول باجتهاده ٠ وكان اجتهاده قائما على القواعد العامة من القرآن » ٠

وهكذا استطعت يا فضيلة الدكتور ان تقدم أعظم دليل على ضرورة الاجتهاد وعدم الوقوف بالآراء الشرعية عند آراء مضى عليها أكثر من ألف عام ٠ فاذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الموصول الأسباب بذات الله العلية يجتهد أفلا يجتهد علماء الشريعة والفقه الاسلامى ونحن نبدأ القرن الخامس عشر من ظهور الاسلام ٠

والذى لاشك فيه أن الله ـ سبحانه ـ فى علياء سمائه قد أراد لنبيه أن يجتهد وأن يناقشه أصحابه الرأى ولو لم تكن هذه مشيئته لأوحى لنبيه بالرأى قبل أن يقول وبالعمل قبل أن يعمله فمن غيره ـ سبحانه ـ يعلم السر وأخفى ٠ ولكنه يريد الرأى أن يكون شورى ويريد لنبيه أن يشـاور أصحابه فى الأمر ٠ بل ويريد لنبيه أن يكون انسانا من الناس يعتب عليه كما تفضل سبحانه وتعالى وكما ذكرت أنت فى عتابه للرسول فى أسرى بدر بقوله جل شأنه فى الآية ١٧ من سورة « الأنفال » ٠٠ « **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم** » ٠

وكما عتب عليه سبحانه وتعالى فى أذنه السريع لبعض المسلمين المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد وذلك بقوله جل شأنه فى الآية **٢٣ من سورة « التوبة » « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين »** ٠

وكما عتب أيضا فى اعراض النبى عن ابن أم مكتوم بقوله تعالى : **« عبس وتـولى ان جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكـرى »** ٠

فالنبى اذن انسان يجتهد ويستشير ويشار عليه الا حين يتنزل عليه الوحى من السماء٠هنا تعنو لوجوه وتنحنى للحى القيوم ولا رأى هناك ولا مشورة وانما نسمع ونطيع ونخشع وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ٠

والنبى صلوات الله عليه وسلامه أدرى الناس بهذا بل هو فى خلقه الرفيع يتواضع حتى لنراه حين يقبل اليه رجل يريد أن يسلم ويقف

ببابه وقد أخذه الرهب وتمتلكه هيبة الرسول يقول له فى ايناس كريم وفى عظمة لا تكون الا : لنبى ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة . يا صلى الله عليه وسلم أهو هكذا فقط أليس هو نبى الله المختار وحامل الرسالة وخاتم النبيين وسيد البشر أجمعين .

ومن أعظم الوقائع التى رويتها يا دكتور تلك التى حدثت من بربرة التى أعتقها أهلها وكانت زوجة لمغيث العبد فحين ملكت أمر نفسها بالعتق طلقت نفسها . وكان مغيث شديد الحب لها وكانت شديدة الكراهية له فكلم مغيث رسول الله فى ذلك فكلمها فى أن تراجعه وتظل زوجة له فقالت « أتأمرنى يا رسول الله » .. قال « بل أنا شافع » فأبت بربرة أن تراجع زوجها وردت شفاعة رسول الله . أى دين سامق شامخ سماوى رفيع ديننا هذا . نبى اختاره الله ليتلقى كلامه من السماء يشفع لدى امرأة كانت فى أمسها القريب جارية نباع وتشترى .. يشفع ولا يأمر صلى الله عليه وسلم . وهى ترد الشفاعة . ثم هى لا تجد بعد ذلك من الصحابة أى أعراض أو غضب عليها اذ ردت شفاعة رسول الله وسيد البشر أجمعين .

فماذا ترى يا سيدى الدكتور اليوم من بعض أناس قد ورمت أنوفهم ومسهم الكبر بزيفه يخيل اليهم انهم سيخرقون الأرض أو يبلغون الجبال طولا فاذا بلوتهم وجدت انتفاخ أوداجهم هواء ووجدت رءوسهم فراغا .

أهنئك يا سيدى الدكتور بكتابك هذا القيم وأرجو الله سبحانه أن يستجيب العلماء فى مشارق الأراضى الاسلامية ومغاربها لدعوتك ويقيموا مؤتمرا يتناولون فيه كل مسائل الفقه الخلافية حتى يقطعوا الطريق على الجهلاء والمدعين والمتاجرين بالدين القيم .

وفقك الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الأهرام ١٩٨٦/٧/٢٠ م

من فيض الــكريم

اقرأ هذه الأيام كتابا من أعظم ما كتب كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حقى · الكتاب بعنوان « من فيض الكريم » · وهو فعــلا من فيض الله سبحانه وتعالى على الكاتب ·

والكاتب الكبير يحيى من هؤلاء الذين حين تســتمع اليهم تحس بشعور عميق أن الكاتب كثير التفكير يعمل عقله فى كل ظاهرة من ظواهر الكون وهو لا يكاد يفلت خلجة من خلجات الحياة دون أن يوسعها تفكيرا وتقليبا لكل وجه من وجوهها · وهو فى هذا الكتاب مؤمن مستقر الايمان مطمئن كل الاطمئنان انه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله · ويطالعك هذا الايمان المستقر المطمئن منذ العنوان الأول فى كتابه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » ·

وتطالعك هذه المقالة بأعظم أنواع الايمان · ذلك الايمان الذى يمتزج فيه العقل بالروح والفكر بالشعور ، يقول فى مطلعه ·· « اننا فى الأغلب الأعم نرث ديننا · نشب على عقيدة أبائنا · فلو كنت مسيحيا مثلا ثم أسلمت بعد بحث ومقارنة واختيار لحق لى ان أكتب هذا المقال تحت عنوان « لماذا أنا مسلم » فمن أجل الصدق وحده أجعل عنوانه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » ولا أكتبه الا فى نطاق مبدأ عام : ان الأديان كلها طرق متباينة متفرقة ولكنها تؤدى جميعها الى ساحة واحدة · ومع ذلك فأنا سعيد لأنى ولدت مسلما لأن الاسلام جاء للانسان بنظام يجد فيه فكره سموه لا انحطاطه ، راحته لا عناءه » ·

ثم يمضى الكاتب الكبير فى مقالته التى أسمح لنفسى ان الخص ما حوته فهو يرى أن هذا النظام الذى أتى به الدين الأعظم يستند الى وحدانية الله سبحانه وكل تفكير لابد أن يؤدى الى وحدة الكون فى عقل الانسان · وازاء الكون الواحد لابد من اله واحد · هو خالق هذا الكون الواحد · وبما أنه خالق الكون كله فهو رب البشر جميعا لا يختص به شعب الرسول دون بقية الشعوب · ويقول الأستاذ يحيى حقى فى نقلة أخرى انه ليس فى كتاب غير القرآن مثل هذا الالحاح المفصل على الانسان

ليعمل عقله ويتدبر الكون ويفهم أسراره حتى لقد ارتفع طلب العلم الى مقام الفرائض • ثم يقول الكاتب الكبير ان العقيدة علاقة حميمة بين الخالق والمخلوق لا تحتاج لوسيط •

ويمضى الأستاذ يحيى فى مقاله على هذا النسق الرفيع من المنطق الذى يجعل الايمان أمرا يحتمه العقل ، واذا سرنا عمقا مع مقالة الأستاذ يحيى هذه لوجدنا أن الانسان الطبيعى غير ذى العوج فى المنطق أو الفهم • وغير ذى الهوى لابد أن يؤمن بوحدانية الله وبعظمة الدين الاســـلامى وسموقه وتمكنه • وان دعوة الكتاب المنزل للتفكير هى وحدها أعظم دليل على قوة الدين ومتانته • وانك لتذكر آية واحدة من القرآن فلا تملك ألا أن تخر ساجدا للواحد الديان « **وفى انفسكم افلا تبصرون** » سبحانك جل جلالك •

وتذكر هذه الصلة المباشرة بين الانسان وبين ربه فترسخ فى نفسك عظمة الخالق •

فالخالق وحده هو الذى يجعل نفسه موئلا لكل الناس وليس لفئة دون فئة ولا حتى لأتباع دين دون دين آخر •

وقد يطيب لى أن نتعمق معا ذلك العنوان الذى اختاره الأستاذ يحيى « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما » فقد يدخل فى روع البعض أن معنى ميلادى مسلما اننى لم يكن لى اختيار فى عقيدتى وانما هى فرضت على بحكم المولد • وهذا معنى مرفوض جملة وتفصيلا • فاننا نولد مسلمين ونظل مسلمين بحكم المولد حتى نصل الى مرحلة التأمل والفكر وحينئذ نتعمق ديننا ونلبث عليه مختارين بالحرية الكاملة وبالفكر البعيد عن كل مؤثر خارجى وان فعلنا غير ذلك نكن منافقين مخادعين لأنفسنا وللناس جميعا •

ويكون اسلامنا غير مقبول عند الله لأنه سبحانه فى علياء سماواته رضى لنا الاسلام دينا على أن ندخله مختارين لا مرغمين • أحرارا لا تابعين •

والآيات كثيرة كقوله سبحانه لنبيه « **لست عليهم بمسيطر** » الغاشية آية ٢١ • وكقوله سبحانه « **فانما عليك البلاغ وعلينــا الحساب** » الرعد آية ٤٠ ، والآيات فى هذه المعنى متواترة •

فاذا عجبت فاعجب معى لقوم يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء ومســيطرين فى وقت معــا ويريدون أن يكونوا مبلغين وما هم بمبلغين ومحاسبين وما هم بالهة •

فان لم يكن هذا هو المروق والفوضى فماذا يكون ·

وانتقل فى ربوع الكتاب القيم « **من فيض الكريم** » للأستاذ يحيى حقى فأقف عند مقالة له بعنوان « لبيك اللهم » يقول فى مطلعها « نويت أن أصلى » نويت أن أصوم نويت أن أحج ، يتطلب الاسلام ممن يؤدى فرائضه ان يكون أول شىء يفعله هو أن يحزم أمره · ويعقد نيته على أداء الفريضة ولو سرا بينه وبين نفسه والجهر بها أفضل ينطق اللسان وتسمع الأذنان ويستقر فى الوجدان ويتجسم المعنى فى كلمات واضحة لها رنينها ومذاقها وأريجها فى عقد النية واعلانها توفيرا لكل الضمانات على صدقها وقضاء على نوازع التشكك والتردد · وهذا هو التوقيع على صك التعهد والاحساس بالالتزام واعلانه وقبول تحمل مسئوليته ، فهو يتطلب منه أن يتيقظ كل التيقظ لما هو قادم عليه من قبل أن يقدم عليه فلا يؤديه أداء آليا ، وذهنه سارح أو غافل أو مشغول بأفكار ومطامع » ·

الى أن يقول الأستاذ يحيى : « لا عجب أن بدأ البخارى بحديث شريف كأنه لحن افتتاحية ليسيمفونية عظيمة · لا حد لاعجابى به ، وحبى له ولا ينقطع لسانى عن ترديده كأن كلماته فصوص من الماس » ·· الى أن يذكر الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام ·· « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » ·

وقد أعجبت بهذه المقالة فى الكتاب كل الاعجاب ورحت أفكر وما لبث أن ومض فى ذهنى خاطر مضىء كأنه نور مشع · انما الاسلام كله مسئولية ونية المسئولية هى ظاهر الأعمال والنية هى الباعث الخفى · ونحن أمام البشر أجمعين ليس لهم منا وليس علينا لهم الا الأعمال أما خافية نفوسنا فهم لا يريدون منها شيئا وان حسبوا انهم يعلمون · أما نحن أمام الخالق فمحاسبون على العمل وعلى النية جميعا ·

وقد نخطىء فى عملنا مع البشر فيحاسبنا البشر حسابا عسيرا لأنهم لا يعرفون ما تنطوى عليه ضمائرنا · اما ان أخطأنا عن غير قصد فى مسئوليتنا الدينية أمام الله سبحانه الذى يعلم السر وأخفى والمطلع على طوايا النفس وأحنائها فانه يمحو عنا خطأنا وكأننا ما أخطأنا · ولذلك فاننى أدهش حين أسمع قائلا يقول لآدمى « يا أخى اغفر خطأ فلان فان الله يغفر » وهذا منطق مقلوب ان الله يغفر لأنه الله · ولأنه الرحمن ولأنه الرحيم ولأنه الغفور ولأنه المطلع على خفايا الضمائر وأعماقها · أما البشرى

فما هو برحمن ولا هو برحيم ولا بغفور ولا هو بمطلع على الضمائر وان ادعى ذلك • ومن أجل هذا فانه لا يغفر الا القـــوم الأقربون الى الله جل علاه •

ومن هنا أعجب معى مرة ثانية وثالثة وألفا من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم قواما على ديننا • أين هم من ذلك • وهموا وضلوا وضللوا • وخاب سعيهم • وفشل رجاؤهم من أى تشريع أعطوه لأنفسهم هذا الحق • وما هو لهم حق •

أيحسبون أنفسهم آلهة • • أين هم من ضمائرنا ومن ايماننا الذى لا يدريه الا الله وحده • والذى اختص نفسه سبحانه بالاطلاع عليه • أم يريدون أن يجعلوا الناس أمامهم يقومون بمظاهر الدين وما يبدو منه • أفهذا هو الدين عندهم • ساء ما يحكمون • ان الدين لله وحده • وهو وحده سبحانه موئلنا وملاذنا اليه صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحجنا • وان لم نؤد هذه الفروض بالنية الخالصة لذاته ــ جلت ذاته ــ فهو وحده القادر على أن يردها علينا غير مقبولة • فما هو بحاجة الى توحيدنا ولا الى صلاتنا ولا صيامنا ولا زكاتنا ولا حجنا • فانه سبحانه هو الغنى عن العالمين • فكيف لهؤلاء المتطرفين أن يعرفوا عن أى مصدر فى نفوسنا نقوم بطقوسنا الدينية •

انهم يريدون أن يركبوا الدين وسيلة الى التحكم فينا • وويل لنا كل الويل اذا تمكن منا هؤلاء • وأى فئة أكثر ضلالة من فئة تستغل دين الله وهو دين الله ليصلوا به الى مطامع دنيوية فانية • واذا كانوا لا يعرفون أن كل سلطان الى زوال الا سلطان الله • فما شأنهم بالدين الذن •

واذا كانوا لا يعلمون أن الدين انما هو احتقار للدنيا وسعى الى العليا • وعزوف عن الفانية نظرا الى الباقية • واذا كانوا لا يعلمون أن الانسان كادح الى ربه كدحا فملاقيه • فهم اذن أبعد ما يكونون عن جوهر الدين ولبابه •

فليتخذوا لأنفسهم ملعبا يلهون فيه وبه وليتركوا الدين لعلمائه وفقهائه وليتركوا الناس ليعبدوا ربهم الذى خلقهم والذى يعلم ما ظهر منهم وما بطن وهم له عابدون • حبا وأملا ورغبا ورهبا • وان الناس فى غناء كل الغناء عن قوم يريدون أن يفرضوا أنفسهم عليهم طواغيت وجبارين • والله سبحانه وتعالى جل أن يكون الجهلاء دعاة لدينه الأقوم ولكتابه الكريم ••

الأهرام ١٩٨٦/٧/٢٧ م

انهـــا مصر

كنت أشاهد فى التليفزيون فيلما أجنبيا تدور أحداثه فى الحرب العالمية الثانية • وبطل الفيلم يقوم بدور جندى من الجنود البواسل فقد الثقة فى الهدف الذى تحارب من أجله انجلترا وطنه •

واذا ببطلة الفيلم تطالعه بالنقد الشديد لتصرفه وفى منولوج رائع تذكره بأن الهدف هو انجلترا ذاتها • وفجأة وجدت نفسى أصحو الى حقيقة مصرية دامية • ان أغلب الشعب المصرى جنود هاربون من الميدان فى وقت مصر فيه تواجه حربا سفاكة ضارية •

ان مصر تحارب أخطاء أربعين عاما أورثتها الفقر والانهيار فى كل مرافقها والنقص فى ضرورات حياتها • ولكن أدهى ما تواجهه مصر فى هذه الحرب هو هرب أبنائها من الميدان • فقد أصبح أغلب أبنائها يفكرون فى الشئون التى تدور فى حجرات بيوتهم ولا يفكرون فى شأن مصر على أنهـــا الوطن الأكبر الذى لولاه ما وجدت هذه الحجرات التى يدورون باهتمامهم فى داخلها وينصرفون كل منصرف عما يحدث فى خارجها من معاناة شعب هو شعبهم وأمه هى أمتهم • انها مصر •

مصر هى تلك الصلة الحميمة بين الأم وابنها • لا ليست صــلة فرد لأمه • وانما تلك العلاقة الالهية الرفيقة الجبارة التى تصل الأم بابنها : وهذه الصلة الشامخة الخفية • الصارخة الهامسة • التى تصل بين قلب الأب وكل نبضة حياة من نبضات الابن •

هذه العلاقة وتلك الصلة فى معناها المجرد والأسمى وليس فى مفهومها المحدد الضيق الذى تضعه الأسماء فى اطار له طول وعرض • انما أريد المعنى المطلق للأمومة والأبوة • هذا المعنى الذى لا ينتهى الى نهاية ولا تشمله معالم بينة الحدود • انها علاقة الأم بوليدها وعلاقة الأب بابنه طليقة لا تقيدها أسماء أو أشخاص أو اطارات بذواتها •

مصر هى صلة الانسان بكل شجرة نشأ فى ظلها وغرست جذورها فى صميم مشاعره وفى الأعماق البعيدة من كيانه • كل شجرة وجدها

أمام بيته أو على ضفاف الجدول الذى يجرى فى حقله أو فى طريقه وهو طفل الى المدرسة أو تلك الشجرة التى سمع مع حفيف أوراقها همسة حب أو كلمة حنان ٠ أو تلك التى رأى تحت أغصانها نظرة وفاء ٠ أو تلك التى أحس وهو مستند الى جذعها ناظرا الى الماء الرقراق يجرى تحتها لحظة رضا عن الدنيا واقبال على الحياة ٠

انها مصر بكل ذرة أنبتت مطعمه ٠ أو سار عليها فشعر بالحنان يتصاعد الى قلبه دفئا فى الشتاء ونفحة هواء رطيب فى حر الصيف ٠ بكل ذرة استنشقها فشم فيها حضن الأم الرءوم ٠

انها مصر بكل نسمة عبير استافها شهيقا وأعادها الى وطنه زفيرا يشارك الوطن نضح عرق يروى الحياة فاذا الجاف من الزرع يضحى أخضر خضلا يهب للحياة دماءها ومعناها ٠

انها مصر بكل صلاة فرض من فروض الله ٠ وبكل آذان يتعالى فى أنحائها وبكل تسبيحة حب وشكران للخالق الوهاب ٠ الرحمة المطلقة والغفران العريض يلف التقى فى سيبه والمعاصى ٠

انها هى بكل كلمة صدق خطها قلم كاتب وكان مداده دماء القلب ٠ وكان هدفه الأعلى خير مصر ٠ انها هى بكل نغمة جميلة رددتها شوارع مصر وحواريها وأزقتها وحقولها وشواطئها ٠ مصر بكل لمسة ريشة لفنان رسم بها خلجة من خلجاتها ووجها من وجوهها ولوحة من جناتها وشاطئا من بحارها وغديرا من خلجانها ٠

مصر بكل ضربة فأس أنبتت الحياة وشقت ظلام الفقر عن نور الوفرة ٠ مصر بكل لحظة جهد مقدسة يبذلها عامل فى مصنع ٠ بكل خطوة مشاها شرطى فى سبيل أمنها ٠

مصر بكل قطرة دم جاد بها محارب فى سبيلها ٠ وبكل ما ضحى به الأبناء تركهم آباؤهم ليستشهدوا من أجلها ٠ وبكل ما ضحى به الأمهات والآباء وهم يرون أبناءهم الذين هم أعز عليهم من أنفسهم يصعدون الى السماء فى عليين ويتركونهم صرعى ، حيارى ، الموت عندهم أجمل من الحياة ، يتخبطهم الحزن ويأكلهم الأسى ثم لا يجدون الصبر الا احتسابا من أجل مصر ٠

مصر بكل بيت شعر قاله شوقى أمير شعراء العربية منذ عرف الناس الشعر العربى حتى اليوم . وبكل بيت قاله شاعر مصرى سبقه أو شاعر مصرى لحق به .

مصر بكل نبضة حب طهور بين فتى وفتاة وبكل خلجة تعاطف ورحمة بين زوجين . وبكل ايثار يبذله أخ لأخيه أو صديق لصديقه .

بكل سماحة علوية يعفو بها أخ أكبر عن أخ أصغر . وبكل خطرة مودة يسعى بها أخ أصغر الى أخيه . بكل وشيجة وفاء بين أبناء الانسانية . بكل كلمة سلام فى ثورة غضب . بكل تحية معطرة كريمة يحطم بها عدو سياج عداوة ليقيم مكانه بناء مودة وحب .

مصر بكل قمة مجد تسنمتها منذ مشرق التاريخ وقبل التاريخ . بكل منارة علم قامت باسمها فى أنحاء الدنيا العريضة . وبكل أهزوجة فن طارت من أهرامها الى أنحاء العالم .

مصر بكل لحظة هناء فى حياة مصرى أو مصرية . بكل فرج من بعد ضيق . وبكل يسر من بعد عسر . بكل برهة عناء كشفه الرحمن عنها بكل هنيهة شقاء رادفتها سعادة . وبكل خلجة قلق واكبتها مشاعر أمن وسكينة واطمئنان .

مصر هذه تحتاج اليك لتكون جنديا فى الساحة . سلاحك من حب وركابك من عزم . والعاقبة فى حربنا هذه مؤكدة لا شك فيها . فليس غير النصر فى انتظارنا . فان الله ينصر من ينصره . وان مصر التى تعودت دائما أن تعطى لا يضيع عندها أجر الصادقين المحسنين العاملين .

الأهرام ١٩٨٦/٨/٣ م

الكاتب حق

قد يحسب بعض الشباب من الكتاب ان الكاتب ثورة دائمة • ورفض مطلق ، وتلك نظرة سطحية فجة • ان الكاتب أولا وأخيرا كلمة حق • انه صدق مع نفسه ليكون عند الناس صدقا • وان لم يكن الكاتب عند الناس ثقة وحقا فهو لا شيء وليس يجدى أن يكون له مصفقون وهتافون ودعاة بين الصحفيين • فكل هؤلاء لا يستطيعون أن يجعلوا القراء يحترمون الكاتب فى دخيلة أنفسهم •

ليس الكاتب مجرد ضجة فى الحياة • وليس هو طلقات مدافع فى الهواء • فذلك شأن أصحاب السرك والبهلوانات وليس شأن الكاتب • ان الكاتب لا عمل له فى الحياة الا أن يكون موصول الوشائج بالجماهير • يخاطب عقولهم • ويهز عواطفهم • ويصل الى الخوافى البعيدة عن نفوسهم • ولن يستطيع كاتب أن يبلغ من هذا شيئا اذا لم يصل الى مكانة شريفة عند القارىء • فان القارىء لن يفتح عقله وقلبه وعواطفه الا لمن يثق به ويقدر مكانته • قد يختلف معه فى الرأى ولكنه يحترمه •

ومادام يحترمه فانه سيناقش رأيه ويواجه كل حجة بحجة • وكل رأى برأى فاما أن يقتنع بما يقول الكاتب أو يرفضه ولكنه على الحالين يوقر الكاتب وينزله من نفسه منزلة التقدير والاكبار والاجلال •

والقارىء الذى يستحق لقب قارىء لا يأبه بحفلات الزفاف التى تقام لأى كاتب وليس يعنى بالمواكب التى يصطنعها أصدقاء كاتب ما لأعماله ولا يأبه القارىء الجدير بهذا اللقب بطلقات النار التى يطلقها الصغار فى زفة الصحافة مصوبة الى الهواء • انما القارىء يعنى فقط بما أنتجه الكاتب من عمل • مقالة كان هذا العمل أو رواية أو قصة أو كتابا أو كان العمل قصيدة أو ديوانا •

قد تصلح هذه المواكب أن تجعل الكاتب شهيرا • ولكن ان كانت الشهرة وحدها هى ما يسعى اليها الكاتب فهذا أتفه من أن يكون كاتبا وأحقر من أن يحمل قلما • انما الشهرة التى يصيبها الكاتب أثر جانبى يتم له دون أن يسعى اليه • فليس الكاتب مهرجا يوزع اعلانات الحفلات ولا هو طبالا يضرب طبوله ليعلو منها الصوت ثم لا تقول شيئا •

انما الكاتب رأى · والرأى منطق · والمنطق ثقافة · والثقافة جهد وبحث وعناء · وان حاول الكاتب أن يستغنى عن هذا جميعا بادعاء الثورة على مجتمعه · أو بالتظاهر برفض كل ما هو مستقر من قيم جماعته وأمته · فانه قد يشتهر أمره بين الناس حينا ثم ما يلبث أن يخبو منه الضوء فما هى الا عشية وضحاها حتى يصبح بين الناس أضحوكة · أو يصبح على الأقل نسيا منسيا · وان دام حوله التهليل وان علت باسمه الطنطنة فانه سيظل عند الناس غير ذى مكانة ولا احترام ولا توقير ·

وقد تسألنى ما حديثك هذا عن القارىء الجدير بهذا اللقب ·· ومن حقك أن تسأل · فقد يظن بعض الناس أن كل من يقرأ قارىء وتلك أغلوطة ما أبعدها عن الصواب ·

ان القارىء هو الذى يقرأ للكاتب وليس القارىء من يكتفى بأن يقرأ عن الكاتب · وانه كثيرا ما نكتب الصحف أخبار الكتاب · وأنباء ما يشهدون من ندوات أو ما يذيعون من مقابلات بالاذاعة والتليفزيون · وكثيرا ما تتناول الصحف والمجلات أنباء طريفة عن بعض الكتاب قد تكون مسلاة للقراء · أو قد تروى الصحف والمجلات أخبارا عما يعد للكاتب من رواياته فى السينما أو الاذاعة أو التليفزيون أو المسرح · ولكن الكاتب ليس هذه الأخبار · وانما الكاتب هو ما يكتب وما يقول لا ما يكتب عنه من أخبار وما يقال عن أعماله من أنباء ·

ولا بأس بالقارىء أن يطالع هذه الأنباء ولكنه ان لم يقرأ ما كتبه الكاتب من انتاج أدبى فهو ليس قارئا وانما هو واحد من الناس الذين يريدون أن يتسلوا بالحديث عن أنباء الكتاب ·

القارىء الجدير بلقبه هو هذا الذى يتابع الكاتب فيما يكتب وليس فيما يحيا من حياته الخاصة · وهؤلاء القراء نادرون ·

أذكر اننى كتبت بجريدة الأخبار مقالة نقدية عن عمل لأستاذنا نجيب محفوظ وفى يوم ظهور المقالة وكان ذلك منذ عشرين عاما ونيف — ظهر بالصفحة الأخيرة من الأهرام خبر عنى أننى دعوت ممثلة كانت مرشحة لدور فى فيلم عن احدى رواياتى الى بلدتى بالشرقية وأننى قدمت لها الفطير المشلتت · وأذكر فى ذلك اننى لم ألق أحدا من الناس الا حدثنى عن خبر دعوتى للممثلة الى بلدتى غزالة · ولم ألق أحدا حدثنى عن المقالة التى نشرتها بصحيفة الأخبار · كل هؤلاء الذين لقيتهم فى هذا اليوم لا أعتبرهم قراء · انما هم مطالعون يبحثون عن الأنباء المسلية ليملأوا فراغ يومهم فهم يتسلون بنا ولا يقرءوننا ·

وأذكر اننى دعيت الى ندوة عن رواية لى بقصر الثقافة بالاسكندرية بمناقشة رواية لى كانت قد عرضت بالتليفزيون · ولكن الندوة كانت لمناقشة الكتاب طبعا لا العرض التليفزيونى · فأنا مسئول عن كتابى الذى أوقع عليه ولست مسئولا عن أى عمل ينتج عن رواية لى سواء كان ذلك فى السينما أو التليفزيون أو المسرح أو الاذاعة ·

وقبل الندوة جلست بحجرة رئيس قصر الثقافة ليقدم لى فنجان قهوة · وبينما أنا فى هذه الحجرة قدم الى أستاذ ذو وقار ووجاهة وقدم نفسه لى فاذا هو أستاذ أدب عربى باحدى الجامعات فرحبت به واستقبلته بما يخلق بأستاذ جامعى · وجلس الدكتور الى جانبى وراح يمتدح روايتى موضوع الندوة ويبدى اعجابه الشديد بها وفى سؤال عابر لم أكن أشك فى اجابته بل ربما دعانى الى طرحه ذلك الارتباك الذى أشعر به دائما اذا طالعنى المديح مواجهة · فأنا حينئذ لا أجد شيئا أقوله الا غمغمة ليس لها معنى وهمهمة لا تكاد تبين · وجمعت كلمات سؤالى بصعوبة بالغة وقلت للدكتور ·

ـ طبعا حضرتك تتحدث عن الكتاب ·

وصعقت وأنا أسمعه يقول فى بساطة بلهاء ·

ـ لا والله فأنا لم أقرأ الكتاب وانما شاهدته بالتليفزيون · وطبعا لم أكمل الحديث معه والتفت الى الآخرين الجالسين معنا ورحت أتحدث اليهم وكأن الدكتور غير موجود · انه ليس بقارىء فكيف يكون أستاذا ·

والكاتب لا يعنى بهؤلاء الذين يقرءون عنه وانما يهتم اهتماما بالغا بمن يقرءون له ·

والكاتب أيضا ليس يعنى بمن يسبه لمجرد السباب أو يمتدحه لمجرد المديح · وانما يعنى كل العناية بمن يعارضه رأيا برأى وحجة بحجة · ويعنى كل العناية ويحمد غاية الحمد أولئك الذين يمتدحونه عن بينة ووعى مقدرين فنية العرض عنده وعمق المعانى التى يعبر عنها والأبعاد التى تنبعث من أعماله ·

ولا يستطيع كاتب أن يرضى الناس جميعا · وأذكر فى عام ١٩٥٨ م أن ناقدا تناول عمـــلا لى بنقد قاس عنيف فى احدى المجـلات العربية · ووجدت نفسى وأنا أقرأ المقال أثور ثورة عارمة وأعد نفسى للرد عليه ·

وفى غضبتى طلبت أستاذنا نجيب محفوظ لأشهده على هذا النقد الجائر الذى كتبه ذلك الناقد فاذا نجيب يشعر بالثورة التى تعتمل بنفسى ويقول فى هدوء رزين ·

ــ الله ·· ماذا جرى يا فلان · وهل تنتظر أن يرضى عنك كل الناس · اننا اذا أرضينا نصف قرائنا نكون قد حققنا نجاحا ساحقا ·

ونزلت كلماته على ثورتى ماء قراحا ووجدت نفسى سـعيدا بعد غضب هادئا بعد فورة · اذا كان نجيب محفوظ يقول هذا فانه يصبح حتما على من الحتم الا أغضب لنقد أبدا · ومنذ ذلك الحين لم أرد على ناقد لعمل لى قط وما أحسب أننى سأرد على ناقد لى أبدا · وفلسفت هذا الموقف لنفسى بأننى اذا كنت اليوم حيا وأستطيع أن أناقش ناقدا فماذا أنا صانع فى غد حين أكون بجوار رب كريم وينقد ناقد كتابا لى · واقتنعت أيضا أنه ما دام الناقد قد كون رأيه عن كتابى على النحو الذى نشر به نقده فذلك شأنه · فانه اذا كان صادقا مع نفسه فهو يعبر عن موقع عملى فى نفسه تعبيرا أمينا · أما اذا لم يكن صادقا مع نفسه فما حاجتى اليه وما حيلتى فيه ·

أما الذى يسبنى دون نقد فاننى أجد نفسى كانسان مسوقا الى الرد عليه لأبين له على الأقل أن السباب أيسر الأمور وأنه اذا كان يبيح هذا لنفسه فعليه أن يتحمل ما أبيحه أنا أيضا لنفسى ·

أما اذا كان السباب من نكرات يحاولون به أن يتواثبوا على أكتافى فاننى أحرمهم من تحقيق أملهم ولا أذكرهم وكأنهم ما قالوا وماكانوا ·

والكاتب صاحب رأى ولكل صاحب رأى معارض · وكم اختلفت مع أبى الروحى وزعيم كتاب العرب توفيق الحكيم وكم احتدم بيننا النقاش ولكن هذا الخلاف لم يستطع يوما أن يمس شعورى نحوه بالبنوة وشعوره نحوى بالأبوة وهى بنوة وأبوة لا تقف عند المشاعر بل وتعدوها الى أنه يعتبرنى المسئول الأول عن كل ما يمكن أن يطلبه أب من ابنه فى مألوف حياة الأبناء والآباء ·

وكم اختلفت مع أخى الأعز الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى · وقد كتب كل منا رأيه المعارض للآخر فما ندت منى كلمة تمس احترامى له واكبارى وما خط قلمه فى معارضتى الا كل حب وعفة ·

واذكر انني عارضت رايا له في مجلس الشورى معارضة عنيفة ثم خرجنا معا من الجلسة بعد انتهائها وجلسنا في استراحة الأعضاء نتبادل الحديث ونرتشف القهوة . ويمر بنا اخواننا الكرام أعضاء المجلس فيصيبهم الدهشة والعجب . كيف عارض كل منا الآخر داخل الجلسة ثم خرجنا وكأن كلا منا يؤيد الآخر . ولم يدهش الأعضاء بعد ذلك حين رأوه ورأوني يؤيد كل منا الآخر داخل الجلسة في كثير من الآراء . فان المعارضة بيننا هي في ذاتها عارضة وليست أصيلة . وهي أيضا لا تجرؤ أن تمس تلك الصلة الحميمة الحبيبة العميقة التي تربط الصديقين الأخوين منه ومني .

الوحيد الذي لم أختلف معه قط هو أستاذنا نجيب محفوظ على طول سنوات الصداقة الحميمة بيننا وهي صداقة تزيد عن صلات كثير من الأخوة وقد زادت ـ أدامها الله ـ عن أربعين عاما . والعجيب أن توافقنا في أعمال أدبية كثيرة صدرت له ولي في أوقات متزامنة .

وبعد فأنا لا أعرف أنني ـ والحمد لله ـ لا أحمل عداوة لأحد من الكتاب ومهما تختلف بنا الآراء فانني أكن له الاحترام مادام كاتبا حقا وليس مزيفا وأعتقد أو ربما يحلو لي أن أعتقد انه هو الآخر يحتفظ لي بنفس هذه المشاعر .

الأهرام ١٠/٨/١٩٨٦ م

الفضل لا يضيع !

قرأت منذ قرابة أسبوعين فى عمود فكرة للصحفى الكبير الأستاذ مصطفى أمين مقالا هز مشاعرى وجعل الأفكار تنثال الى ذهنى فى ترسل بعضها يمض النفس وبعضها يمدها بالاشراق والسكينة ·

قال الأستاذ الكبير فى فكرته ، كانت هوايته أن يخدم الناس ، كل الناس · السجين يفك أسره والمظلوم والمقهور يفك ضيقه · الباكى يجفف دمعه · الجريح يضمد جراحه · الواقع على الأرض يأخذ بيده · وشاء قدره أن يكون بقرب أحد الحكام وتصور الناس ان بريق السلطة سوف يغيره وان هيلمان النفوذ والسلطان سوف يبدله · واذا به يزداد قربا من الناس وتفانيا فى خدمتهم واصرارا على رفع الظلم عنهم · وكثيرا ما ضاق به الحاكم · كل يوم يراه يجده يحمل على رأسه المظالم والشكاوى والالتماسات » ·

ويروى الأستاذ مصطفى أمين بعد ذلك أن الحاكم ضاق بما يحمله اليه من مظالم وماس وحاول أن يتنيه عن هذه الخصلة التى من شأنها ان تجعل صدر الحاكم غاضبا حرجا فلما أبى ان ينثنى ومضى فى طريقه يرفض ان يرى ظلما ويسكت عنه أو قهرا ولا يحاول ان يرفعه أو مقتا يحيق بانسان ولا يسعى أن يكشفه · فلم يجد الحاكم بدا من ابعاده عنه ·

ولم يعد يقابله كل يوم فى الصباح والمساء كما كان يفعل فى أول عهده · وأصبح يراه مرة كل أسبوع ما لبثت أن أصبحت مرة كل شهر ثم مرة كل عام والرجل مع ذلك لا يكف عما دأب عليه فان لم تسعفه مقابلة الحاكم لجأ الى الخطابات يرسلها اليه ·

وينتهى الأستاذ مصطفى أمين بكلمة حزينة دامعة ليس الحزن فيها أو الدمع من أجل الرجل وانما من أجل الوفاء والانسانية جميعا · يقول الأستاذ مصطفى أمين ·

« ثم مات الرجل وفوجئت ان أحدا لم يشترك فى جنازته أو يحضر مأتمه أو يعزى أسرته » ·

أنا لا أعرف هذا الرجل الذى روى عنه الأستاذ الكبير وأنا أيضا بطبيعة الحال لا أعرف الحاكم الذى يشير اليه الكاتب · ولكننى أعرف اننى لم أشعر بعجب من نكوص الانسان عن أداء واجب العزاء فى رجل قضى حياته فى خدمة الانسان وأقصى عن الصدارة من المقاعد التى تحف بالسلطان من أجل الانسان ·

وتذكرت أبيات شوقى للأميرة أم المحسنين التي تبرعت بمجوهراتها لانشاء جامعـــة القاهرة وقد وقعت بينها وبين الملك فؤاد جفـوة فمنع استقبالها وهى عائدة من الحج فقال شوقى :

برىء الرفق من السيف الذى   منـــع الأم ملاقـــاة البنين
حجب النعمـــة حتى وجدت   بينها سـدا وبين الشاكرين
رب يوم عدت فيـنه من منى   ومن الخيف ومـــن دار الأمين
من دنـا من ركبك العـالى به   آب فى القرية معدوم القرين
نســـيت روعتـــه فـى بلد   كل شىء فيه ينسى بعد حين

فاذا كان هذا يحدث للأميرة وهى أميرة والناس تعلم ان الشقاق بينها وبين الملك ما يلبث ان يزول فالملوك دائما كالبحر القلب لا يدوم لهم رضا ولا يمكثون على غضب · وأنهم فى أغلب أحوالهم يحبون بلا مبرر ويكرهون بلا سبب وينطبق عليهم البيتان القديمان ·

لا تمدحن ابن عمار اذا نديت   كفاه يوما ولا تذممه ان حرما
فانهـــا خطرات من وساوسه   يعطى ويمنع لا بخــلا ولا كرما

اذا كان الناس يعلمون ذلك ومع هذا يمسكهـــم الرعب ان يهنئوا الأميرة على عودتها وهى على قيد الحياة · فهم اذن أكثر منطقا مع أنفسهم ان يردهم الحذر من السلطان ان يشيعوا من بذل حياته من أجلهم الى مقره الأخـير مخافة أن يسمع السلطان بسعيهم هذا الى التوديع فيقبض عنهم رضاءه ان كان راضيا أو ينزل بهم سوط عذابه ان لم يكن عنهم راضيا ·

وذكرنى مقال الأستاذ مصطفى أمين بقوم دأبوا الا ان ينتقموا من أولئك الذين أغدقوا عليهم الخيرات اغداقا · فأنا أعرف بعض الناس كان

لهم أصدقاء قريبون من بيوت الحكام • فكانوا يلجأون اليهم ليستطيعوا ان يعيشوا وكان أصدقاؤهم يلبون رغباتهم وكانوا بهذه التلبية يمكنونهم من العيش • ثم انقلبوا عليهم أعداء ذوى شراسة وحقد وكراهية لا تتأتى لاعدى الأعداء •

أعرف واحدا كان يتعلم على نفقة قريب له وأصبح هذا الفقير ذا سطوة وبطش وسلطان فاذا هو يتقصد قصدا ان يهين قريبه هذا ويحاول ان يذل أبناءه بكل وسائل الاذلال ولولا ان صاحب الفضل كان أرفع من الهوان ولولا ان أبناءه كانوا ذوى كرامة وشموخ لتمكن منهم قريبهم هذا الذى لم ينل شهادته الا بفضل بيتهم •

ولا أنسى حوارا بين الكاتبين الكبيرين يوسف السباعى ـ رحمه الله ـ وعبد الرحمن الشرقاوى ـ أطال الله عمره ووهب له الصحة والعافية ـ منذ أكثر من عشرين عاما • يقول يوسف : ـ يا أخى هذا الفتى يشتمنى ويسبنى فى كل يوم بالجرائد مع اننى قدمت له خدمات لا أول لها ولا آخر وبعضها كان له أثر ضخم فى حياته •

فاذا الشرقاوى فى ذكاء وظرف ومعرفة بنفوس الناس يقول :

ـ طيب انت يشتمك لأنك صاحب أفضال عليه فلماذا يشتمنى أنا وأنا لست صاحب فضل عليه •

وهذان المثالان أقدمهما الى الناس والى الكاتب الكبير نموذجين عابرين فى حياتى أسعفتنى بهما الذاكرة ولو أننى تقصيت أمثالهما لما نضب القلم ولملأت مئات الصفحات •

ان الكراهية التى رأيتها من المفضولين على المتفضلين كراهية تتقاصر دونها كراهية أشد الأعداء لددا وأعمقهم خصومة وأبعدهم حقدا •

كأنما يحاول هؤلاء الجاحدون ان ينتقموا من الزمن فى أشخاص المحسنين اليهم وكأنى بهم يريدون أن يقتلوهم ويفنوهم حتى لا يبقى على ظهر الدنيا من يعرف انهم كانوا يوما فى شدة وانهم مدوا أيديهم واحتاجوا فى فترة من فترات حياتهم •

ولا أستطيع أن أنسى ذلك الشاب الفقير الذى سعى الى موظف بوزارة الأوقاف لتقرر له الوزارة راتبا شهريا من الخيرات • واستطاع الموظف

أن يحصل للطالب على هذه الاعانة . ويتخرج الفتى محاميا . ويذهب اليه صديقه بأوراق قضية خطيرة فى حياته ويقبل المحامى أوراق صديقه فى ترحاب وفى تظاهر بالفرح أنه سيتمكن أخيرا من رد بعض أفضال صديقه .

لا لم يطلب منه أتعابا ويا ليته فعـــل . وانما باع أوراق القضـــية للخصوم وخسر صاحب الفضل دعواه وكانت حصيلة الدعوى آلافا من الجنيهات وكانت الأموال تخصه وتخص اخوته معه . وحتى لا أبث الحزن فى نفس القارىء أبادر فاذكر أن الخصوم كانوا أشرف من المحامى الخائن وتصالحوا فى الدعوى صلحا عادلا .

ولا تعجب اذا قلت لك ان صاحب الفضل أبى الا أن يظل صاحب فضل ورفض أن يتقدم بشــكوى الى نقابة المحامين فى تقية منه لله أن يضيع مستقبل المحامى ضياعا كاملا .

ولا تعجب أيضا ان قلت لك أن هذا المحامى لم تمر عليه الا فترة قصيرة فى المحاماة ثم رفع اسمه من الجدول دون أى تدخل من صديقه الذى آثر أن يظل كريما الى النهاية .

وبعد فهل يصنع الانســـان ذو النفس الكريمـة المعروف وينتظر الجزاء . عند من يمد لهم العون .

أنا واثق ان الأمر ليس كذلك . ان الذى يقدم الخير للناس ينال أحسن الجزاء وأفضله وهو يقـــدم هذا الخير . لا شىء فى الدنيا يساوى ما يشعر به الانسان حين يحس أنه رفع ظلما عن مظلوم . أو أنه أتاح من الحياة فرحا لقوم سدت دونهم منافذ الحياة . أو استجاب لأمل علقه به ضعيف لا حول له ولا طول .

ان لحظة السعادة التى يحسها صاحب الفضـــل وهو يقدم فضله لا يعادلها شىء فى العالم أجمع . وهو لا يفكر ولا يدور بخلده أن ينتظر ممن قدم له الفضل عرفانا بالجميل أو ردا للفضل . أو شكرا على ما قدم . ان سعادته هى أكبر من كل عرفان انه يشعر فى دخيلة نفسه أنه أرضى نفسه قبل أن يرضى الآخرين . وان فرحه بأنه استطاع ان يقدم فضلا

لاى انسان لا تعادله فرحة فى العالم. بل وأحسب انه حين يقدم الفضل لعدو له تصبح سعادته مضاعفة اضعافا .

وأعتقـــد ان من حقى الآن ان أقول للصحفى الكبير مصطفى أمين لا تحزن على صديقك الذى مات بغير وداع فقد نال من الخير الذى قدمه أنواعا من السعادة لا يستطيع كل من وقف الى جانبهم أن يقدموها اليه .

وناهيك بما هو ملاقيه عند رب السماوات والأرض الذى يمحق الربا ويربى الصدقات . سبحانه .

الأهرام ١٩٨٦/٧/١٧ م

المتاجرة بالعدم !

يبدو ان الحالة التى تمر بها مصر ليست واضحة المعالم فى أذهان البعض · ولا أستطيع ان أقول ان مصر هانت على كتابها · ولكن الذى أشاهده يجعل الانسان المصرى فى محنة مروعة لما تقاسيه مصر من تصور الأمر هزلا لا جد فيه · فهم ينتهزون الفرصة ليمارسوا بأقلامهم مهنة الخطابة الجوفاء ووضع اللافتات على الفراغ واللهو بحاضر مصر والتسلية بالألفاظ ضاربين عرض الأفق بالمصلحة الكبرى لمصر وأبناء مصر ·

قرأت فى الأسبوع الماضى مقالتين لكاتبين يهاجمان فى ضراوة أولئك الذين يدعون الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة ·

والكاتبان يعلمان حق العلم ان أحدا لم يدع الى الغاء مجانية التعليم فى الجامعة أو فى غير الجامعة ·

والكاتبان ينشدان نشيدا واحدا عن الطبقات الفقيرة وكيف ان الأثرياء يريدون ان يستلبوها الحقوق المقدسة التى حصلت عليها ·

وتلك مضحكة أخرى تدعو الى البكاء على حال القلم عندنا وما أصبح يستخدم فيه ·

ان الذين كتبوا ضد مجانية التعليم فى الجامعة لم يطالبوا بالغائها بالنسبة لغير القادرين وكل ما قالوه أن يدفع القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين ·

وأعيد الجملة مرة أخرى ·· ان يدفع القادرون ·· وثالثة أقول القادرون المصاريف ويعفى غير القادرين ·· يعنى الطبقة الفقيرة · يعنى الطبقة الكادحة لا تدفع · ويدفع الأثرياء ·· الأغنياء ·

فهل هذا استلاب من الفقراء · وهل قال أصحاب هذا الرأى انهم سيأخذون هذه الأموال ويضعونها فى جيوبهم أم قالوا ان القادرين يجب

ان يدفعوا للدولة ماداموا قادرين حتى تستطيع الدولة ان تعلم غير القادرين فما هذا اللهو الذى يلهو به بعض الكتاب . ان الأمر خطير . وأكبر ملايين المرات من التناحر بالشعارات والتنابذ بالأحزاب والترامى بالفقر والثراء . انها مصر كلها وما هى فيه من أزمة اقتصادية طاحنة . ان الوقت متسع بعد ذلك أمام أصحاب الشعارات ان يرفعوا عقائرهم بما يحلو لهم . ولكن اليوم دعونا نبحث عن المصلحة العامة لمصر وننسى الخلافات الحزبيـــة والعقائدية وننسى — ولو الى حين — الأوامر القـادمة من الخارج والمغلفة بما لا يعلمه الا الله .

كيف يسوغ فى الأذهان ان يستطيع أب ادخال أبنائه فى المدارس الأجنبية ويدفع لأبنائه مصاريف تبلغ آلاف الجنيهات فى العـام مضافا اليها ما ينفقه هذا الأب القادر على الدروس الخصوصية حتى اذا حصل أبناؤه على الثانوية العامة حملت الدولة وحدها عبء تعليم أولاده دون أى عون منه . وتقول الاحصاءات ان التعليم فى الكليات النظرية يكلف الدولة مبلغا ضخما لكل طالب ولكن هذه المبالغ تتضاعف ثلاثة أضعاف أو أربعة اذا كان الطالب يدرس فى كليات عملية مثل الطب أو الهندسة .

أليس من الطبيعى ان يساهم الأب القادر فى عبء التعليم الجامعى مادام قد أغدق أمواله فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى .

وكيف يسوغ فى الأذهان ان يأتى الطالب الى الكلية بسيارة يتراوح ثمنها بين عشرة آلاف جنيه وخمسين ألف جنيه ويدخل مزهوا فخورا مدلا على زملائه ثم يقبل هو ويقبل أهله أن يجلس الى الأستاذ يتلقى تعليمه دون ان يدفع مليما للدولة التى تقدم له هذا العلم .

أن هؤلاء القادرين يدخلون فى متافسة غير شريفة مع زملائهم من الفقراء ، لأن الأثرياء يستطيعون أن يدفعوا أجور الدروس الخصوصية البالغة الارتفاع فى حين لا يستطيع الفقراء . ولكن النبوغ على كل حال لا يعرف الفقر ولا الغنى ولا يعرف الشعارات الجوفاء ولا يعرف اللافتات المقامة على الخواء ، وانما يعرف أن يكون الطالب جادا يؤدى واجبه باخلاص واتقان . وان نظرة منك واحدة على المتفوقين تقنعك أن النبوغ يكون حيث يكون الاخلاص والاتقان فأنا لم أقرأ أن متفوقا كان يستعين بدرس خاص . جميعهم يعتمد على نفسه ويؤدى واجبه فيتفوق .

وهكذا يصبح كلام المدافعين عن الفقراء استغلالا لغير موجود ومتاجرة بعدم . فالذين يدعون الى دفع المصاريف فى الجامعة انما يدعون الى ذلك بالنسبة للأثرياء لا للفقراء .

وأخرى • هل حسب هؤلاء أن الدولة حين تدعم أيا كان موضع دعمها انما تقدم أموالا من جيوب الوزراء أو من حسابات الأثرياء •

ان هذه الأموال التى تستهلكها الدولة انما تأخذها من أموال الشعب من كدح الكادحين ومن عرق العارقين • ليس هذا المال سائبة ولا هو قادما من السماء • فالخطب المستفيضة للابقاء على الدعم انما تدمر على غير وعى الأموال التى تملكها الدولة والقطاع العام • فالدولة تدعم الشعب من أموال الشعب ولا مجال هنا للمزايدة والمتاجرة •

وثالثة الأسافى • أيرى هؤلاء المدافعون عن مجانية التعليم أن يظل التعليم الجامعى مجانيا مهما يسقط الطالب • أليس من الطبيعى ان يحرم الطالب الفاشل الذى سقط تلك المنحة التى تهبها له الحكومة ليعطى فرصة لطالب آخر فالح أن يأخذ مكانه • أم ان الدولة ينبغى أن تنفق على الناجحين والساقطين والفالحين والفاشلين والجادين والهازلين •

أفيقوا الى ما تكابده مصر فليس الأمر هينا ولا يسير ، انه تراكمات عشرات السنين تحملها أكتاف مصر فى هذه الفترة من حياتها ويتحتم علينا نحن المصريين أن نقف صفا واحدا متراصا فالمصير مصيرنا جميعا واذا نحن لم نتكاتف فسترغمنا الحياة ارغاما على مالا نحب ولا نرضى • فعالم المال عالم بغيض صلب المشاعر ، جامد الحس ، وليس يعنيه الى أى مصير يلقى ضحاياه •

وهو عالم لايعرف الخطب الرنانة ولا الكلام المتثائب ولا يعرف نفاق الجماهير على حساب الجماهير • ولا يعرف التظاهر بغير الحق ولا التشدق بغير علم •

ومصر اليوم تعتمد على ثقة الدول • والثقة لاتأتى عفوا وانما لابد ان يراها العالم تسير فى الطريق الأقوم والاقتصاد الأمثل • وهيهات أن تقوم ثقة من فراغ أو من خطابة لا تعنى شيئا أو الفاظ لا تتسم بالمنطق أو العقل أو الفهم الصحيح •

ومصر هى الدولة الوحيدة فى العالم التى تقدم التعليم المجانى فى الجامعة لا يماثلها فى ذلك دولة شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية • ونحن مع ذلك لا ندعو الى الغاء هذه المجانية انما ندعو أن تحجبها الدولة عن القادرين الأثرياء حتى تطيق أن تتيحها لمن لا يتمتعون بالسعة والغنى -

ومصر هى الدولة الوحيدة التى تتحمل تعيين جميع الخريجين فى وظائف أصبح الخريجون يزدرونها حتى لقد رأيت بعينى خريجين تخرجوا فى الجامعة يعملون خدما فى المنازل · لا فى الفنادق · ومع ذلك لا تزال الدولة مصر أن تعين جميع الخريجين وقد نتج عن هذا بطالة فى داخل الوظيفة وتحميل لميزانية الشعب بما لا يطيق ولا يعنى هذا الا ضمور الأموال التى ينبغى أن تنفق فى مواضعها الصحيحة وانهيارا فى المرافق العامة وذلك الانهيار على ما فيه من ارهاق للمواطن المصرى يحمل فى طواياه تدمير ثقة القادمين الينا بأموالهم مصريين كانوا أو أجانب وفى طواياه أيضا ما فيه من آثار محطمة لصلاتنا الاقتصادية بالدول التى يهمنا كل الأهمية ان تتوثق صلاتنا الاقتصادية بها ·

ومصر هى الدولة الوحيدة فى العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه التى تجعل نصف المشرعين فيها من العمال والفلاحين · وهو أمر لا تأخذ به روسيا دولة البروليتاريا ولا أى دولة أخرى فى شعارها وطبعا لا تأخذ به دولة حرة فى العالم · وفى ظل هذا النظام هيهات لنا أن نتمكن أن نصل بمصر الى ما يجدر بمصر حتى تواجه أزمتها الاقتصادية · والذى لا شك فيه انه لا أمل لنا أن نصل الى الطريق الأقوم الا بالمواجهة دون زيغ أو خوف أو تهريج أو هتاف حناجر ··

وان الله سبحانه الذى يمحق النفاق لايبارك الا الصادقين مع ربهم ومع أوطانهم ومع أنفسهم ·

الأهرام ١٩٨٦/٨/٢٤م

الشريف الغريب !

.. نشأنا فى جيل كان شأنه عجبا · كان يقول ان الانسان لابد ان يكون شريفا حتى لا يحتقره الناس · وان الانسان ينبغى أن يحافظ على كرامته وان يكون صادقا مع نفسه ومع الآخرين حتى يقبله المجتمع النأى ، وكان يقول ان الانسان ان خادع الآخرين فترة ما فما أسرع ما يكتشف الناس أمره ويصـــــبح بينهم مهينا محاطا بكل ألوان الاحتقار والازدراء وينصرفون عنه ·

وكان فى جيلنا الكاتب يكتب ويترك للناس ان تحكم على ما يكتنب فى غير تمويه ولا دعاية كاذبة جوفاء ودون انه يصرف همه الى الانحنـــاء جبنا وهنـــاك على مكاتب الصحفيين لينشروا عنه كاذب الأنبـــاء ومختلق الأقاويل · ونشأنا نرى أنه ليس هناك شرف يعدل شرف الكاتب · وكان الكاتب يعرف قيمة الأمانة التى يحملها بقلمه · وهكذا كان الناس يحلون الكاتب أرفع مكان من قلوبهم ومن ضمائرهم ومن مجتمعهم ·

كان جيلا عجبا ، الشرف فيه هو الأصل · والخيانة استثناء · والأمانة مفروضة فيمن يتولون الوظائف العامة · وخيانتها نادرة · فما أن تقع حتى يرتفع لوقوعها ضجيج ضخم · والذين أشيع عنهم أنهم قبلوا الرشوة كانوا قلة يعرفهم المجتمع ويتجنبهم الناس فلا يدعون أحدا منهم الى بيوتهم ولا يوسعون لهم فى مجالسهم ·

تقدمت سيدة أشيع عنها مالا يرضاه الخلق الرفيع الى محمد باشا محمود وذكرت اسمها له ومدت اليه يدها ليصافحها فاذا به وهو الرجل الذى تلقى علومه فى لندن التى تقدس التقاليد وتحترم السيدات غاية الاحتـرام ·

اذا بهذا الرجل يضع يمينه خلف ظهره ويأبى أن يصافح السيدة وهى من أعرق عائلات مصر · ثم يستدير لها ويتركها ذاهلة ·

وجاءت سيدة كانت حريصة ان تذكر المجلات أخبارها فى صفحات المجتمع الراقى الى وزير جليل وكان صديقا لأبيها وقصدت الى الوزير

على أمل أن يجيب رجاءها الذى تحمله اليه بما كان من صـــداقته لأبيها فاذا بالوزير يطالعها بصراحة لم تسمع مثيلا لها فى حياتها :

ـ هل أنت سعيدة أن تنشر الصحف عنك فى كل يوم خبرا وأنك دعوت فلانا وفلانا ودعاك فلان من الناس وفلان · لقـــد كان أبوك رجلا عظيما وأنا واثق انه لو كان حيا ما سمح لك أن تصنعى هذا الذى تصنعينه الآن من اساءة لنفسك ومن امتهان لذكرى أبيك · عودى الى بيتك يا ابنتى وكونى فى المكان الطاهر الذى تركك أبوك فيه ·

ولم يستجب لرجائها ولم تستجب هى أيضا لنصيحته فكان جزاؤها أن جفاها المجتمع وحطمها وماتت بعد ذلك بعد أن سحقتها الحياة · فقد كانت الحياة تسحق أولئك الذين يحاولون أن يستهينوا بمقدسات المجتمع وقيمـه ·

كان جيلا عجيبا · ثقافته كتاب ، وحديثه حول كتاب ، ومبتداه أدب رفيع وشعر سامق حلو الرنين عذب اللفظ كريم العطاء ·

اذا أراد أن يسمع فأم كلثوم وعبد الوهاب فى القمة ومعهما أسماء لامعة متألقة تشق أصواتها ظلام الحياة بالنور والأمل والسعادة والهناء ·

يختارون شعر أغنياتهم من أعظم شعراء العربية ان أرادوا شعرا ومن أعظم كتاب الكلمة المصرية ان مالوا الى الأغنية المصرية :

وبأصوات هؤلاء أصبحت اللغة المصرية عالمية بين الناطقين بالعربية جميعا تؤازرها المسرحية المصرية والفيلم المصرى · فان أراد العرب ثقافة فكتاب مصر وشعراؤها · وان أرادوا طربا وغناء فعلى القمة دائما أم كلثوم وعبد الوهاب وكل من نشأ فى ظلالهما · ومن أراد أن يشتهر أمره من المغنين العرب فمصر مسرح شهرته ومصدر اذاعته يعلمون جميعا أن الصوت الذى لا يسبقه (هنا القاهرة) لا يسمعه أحد ·

وغنى الشعب أشعار شوقي وحافظ وعزيز أباظة وابراهيم ناجي وعلي محمود طـه وأحمـد فتحي وأحمد رامي وأبي فراس الحمـــداني وعبد الفتاح مصطفى وصالح جودت ومصطفى عبد الرحمن ٠

وغنى لامام الزجل المصرى بيرم التونسي وكتب شوقي الكلمة العامية وغناها له الشعب وكتب رامي وجودت الأغنية التي تسمو كلماتهـــا الى أرفع ألوان الشعر وجاء من بعدهم الجيل المتألق من الذين رحلوا عنا منذ قريب ومن الذين مازالوا معنا أطال الله حياتهم حسين السيد ومرسى جميل عزيز وعبد الوهاب محمد وأحمد عبد المجيد وأحمد شفيق كامل وأخوانهم ٠

كان جيلا عجبا ٠ بدا فيه رعيل العمالقة ألوانا من الأدب لم يسبقهم فيه سابق ٠ جيل طه حسين وهيكل والعقاد والمازني والزيات وأحمد أمين وتوفيق الحكيم وتيمور ويحيى حقي ٠ كان جيلا كتب المقالة والقصـــة والرواية والمسرحية والتاريخ والنقد ٠ فلم يكن عجبا من بعد أن يأتى جيل التخصص نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف الســباعى وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوى واحسان عبد القدوس وأمين يوسف ويوسف جوهر وباكثير ومحمود البدوى ٠ ولم يكن عجبا أن يلحق بجيلهم الجيل الثاني ٠

كان جيلا عجبا ٠ اذا أراد ان يضحك شاهد الريحاني وان تواضع فالكسار ٠ وجاء جيل المهندس ومدبولي وعبد المنعم ابراهيم وزملائهم وظلوا يقدمون على المسرح الفن الرفيع بلا اسفاف ولا استخفاف بعقلية الجمهور ولا بكرامته ٠

ما الذى حدث ؟؟؟ وما هذا الذى فشـــا فى اعراق الحياة وفى أنحـــائها ٠

ما الذى حدث ؟ ٠

كيف صارت السرقة والرشوة في الأصل ٠ وكيف أصبح المجتمع يقبل المجرمين ويضعهم فى الصدارة من أبهائه ٠ كل من سرق أموال مصر أصبح عظيما وكل من مص دماء الشعب أصبح عند الناس علما ٠ أمسى المجتمع لا يعاقب أحدا بل غدا المال وحده هو السيد ٠

لم يصبح الشرف في ذاته قيمة ٠ فاذا لم يصحبه المال فهو عند ناس اليوم خيبة وجهل بالمسالك وغباء للطريق وانحراف عن معرفة الحياة ٠

أصبح خريج السجون خيرا من خريجي الجامعة ٠ وأرى بين الناس من يتباهى بانه منافق وبانه جبان وبانه صانع كل عهد ومسح كل حذاء

وقبل كل يد وجلس على كل مائدة فان لم يجد حولها كرسيا التقم الفتات كما يفعل الكلب الذى لا صاحب له . ذليل قيده من داخله . ضئيل فرض هو صغاره على نفسه ولم يفرضه عليه أحد .

كنا فى جيل يبدأ الاحترام فيه من احترام الانسان لانسانية نفسه هو ويفرض بهذا احترامه على الآخرين . وأصبحنا اليوم نرى السفلة المنافقين يسدون من الحياة آفاقها . ويصفق لهم المجتمع وتهلل لهم

أصبح الشرف غريبا فى حياتنا يتخفى عن العيون حذر السخرية وخوفا من التندر به . علا صوت اللصوص وطغى سلطانهم حتى أصبح لهم كتاب يمجدونهم ويتغنون بدناءاتهم لا يغنيهم ان يحقرهم النبلاء .

اذا أراد الناس أدبا فما لا يفهم من الأدب وممن لا ثقافة له . وفيم يجهدون أنفسهم وما هى الا انحناءة هنا ومعها رشوة ومذلة هناك ومعها دعوة حتى يصبح أمرهم شهيرا جهيرا وان كانت شهرتهم من فراغ واسفاف وغموض وتفكك وانحلال للشكل والمضمون معا .

واذا اراد الناس أن يسمعوا فتلك الأغانى التى يرفض القلم أن يذكر من كلماتها كلمة ، بلة جملة .

واذا أراد الناس أن يضحكوا فهذه الروايات التى يؤلفها الممثلون بالتعاون مع الجمهور على خشبة المسرح . وصفعة وركلة وبهلوانية وسخف وهذاء وتنابذ بالشتائم ومباريات فى الانحطاط أيهما اشد أفولا وأعظم تدهورا .

غريب هو الشرف فى دنيا الناس اليوم وغريب هو السموق فى عالم الفن اليوم ، ترى ماذا يقول الأمس اذا أطل علينا من غيابات الماضى .

لأحسب أن سيحمد الله أنه أصبح أمسا وأنه لن يعود الى الحياة أبدا .

١٩٨٦/٧/٣١ م الأهرام

المشـــتمة

كان لأحد وجهاء الريف محصول من القطن باعه الى أحد التجار ، وكان القطن في تلك الأيام نوعين : أحدهما اسمه زاجورا وهو الأرخص والآخر اسمه سكلاريدس وهو الأغلى ثمنا .

باع الوجيه قطنه على أنه سكلاريدس وقبض العربون وحل يوم الاستلام وجاء التاجر وفتح الوجيه مخزنه وطالع القطن التاجر .

ـ ما هذا يا سيد بك ؟ .

ـ قطن يا خواجة مسعود .

ـ أعرف أنه قطن ياسيد بك ولكن هذا ليس سكلاريدس .

ـ بل هو السكلاريدس بعينه شئت هذا أم أبيت .

ـ يا سيد بك هذا موضوع ليس فيه مناقشة . هذا القطن زاجورا .

ـ بل هو سكلاريدس .

ـ من قال لك هذا ؟

ـ أنا لا أحتاج لأحد أن يقول .

ـ كيف ؟

ـ القطن قطني أنا وأنا وحدي صاحب الحق في تسمية قطني .

وضحك الواقفون جميعا وصارت هذه الواقعة أمثولة عندنا في الشرقية يرويها جيل عن جيل ، وكانت الأجيال وهي ترويها تعلم طبعا ان الوجيه صاحب القطن يعرف الحق ولكنه يحيد عنه قاصدا متعمدا ليمزح مع صديقه التاجر ولينتفع أيضا بفارق العربون الذي كان أكبر من عربون الزاجورا وقد تم له ما أراد وسلم قطنه بثمن الزاجورا بعد أن ضحك ملء قلبه من صديقه التاجر .

وظلت هذه القصة تثير في نفسي الضحك كلما خطرت على ذهني وظللت أرويها على أنها ضحكة من ضحكات الحياة وربما كتبتها في الأهرام

قبل اليوم • ولكن الذى ذكرنى بها اليوم اننى تأملتها تأملا جديدا على ضوء أو على ظلام ما نشهده فى حياتنا فرأيت فيها عجبا •

تأملتها فى الساحة الأدبية فاذا بى أجد أن كثيرا من النقاد يفعلون فعل الوجيه سيد بك فى حكايته هذه التى مر عليها ما يقرب أو ما يزيد عن ســـتين عاما •

ان كثيرا من النقاد يرفضون الكتاب دون ان يقرءوه وهناك نقاد كثيرون آخرون جـــرأة يرفضـــون الكاتبين دون ان يقرءوا لهـــم • وتناقشهم فلا حجة لهم الا :

ـ هذا رأيى وأنا حر فيه •

ـ ولكن على أى أساس بنيت هذا الرأى ؟ •

ـ أنت لا تملك أن تسألنى فرأيى لى وحدى وأنا وحدى صاحب الحق فى القبول أو الرفض •

وهذا الحوار طبعا مؤلف فان نقادا على هذه الشاكلة يخطىء كل من يحاول أن يناقشهم •

أذكر أن أحد هؤلاء النقـــاد وهو أســـتاذ جامعى ومتخرج فى أعظم الجامعات قال لى يوما :

ـ أتدرى لماذا لا نكتب عنك •

والنـــون هنا ليست للتعظيم وان كان هو صـــاحب غرور منقطع النظير • انما النون تعنى القوم الناقدين الذين يدينون بعقيدته ويلتفون حول مذهبه • والحقيقة أننى كنت أدرى كل الدراية لماذا لا يكتبون عنى • بل أن كتابتهم عنى بغير المهاجمة أمر لم أتوقعه فى حياتى وأحسبه أنه يعلم أننى أدرى ولكنه أراد أن يضيف الى الأسباب التى تردهم عن الكتابة عنى سببا لا أدريه • قلت :

ـ ربما كنت أدرى ولكنى أحب ان أسمع منك •

فاذا هو يقول :

ـ اننا نرفض الكتابة عنك لأن طه حسين كتب عن أول رواية لك •• ماذا هل ولدت عملاقا كالتليفزيون •

وأذكر انني ضحكت فرحا أن كتابة العميد أحد الأسباب التى تحجب عنى كتاباتهم • وأنا باليقين اعتبر ان حرفا واحدا مما كتبه عنى العميد يعدل بل ويفوق كل ما كان يمكن ان يكتبوه عنى وان كالوا لى المديح الوانا وأشكالا على الصورة التى تعودوا ان يكتبوا بها عن الذين ينتمون الى دينهم ومذهبهم •

وأذكر قصة أخرى لا أستطيع أن أنساها • وقع خلاف بين أحد الروائيين وبين أحد النقاد واحتدم الخلاف وتطاير منه الشرر • وتصادف ان كنت جالسا مع الناقد فاذا هو يقول فى غيظ شديد •

ــ والله ليرين كيف يكون عقابى عندما تصدر له رواية جديدة • ماذا يظن أليس روائيا ولابد أن يكتب رواية جديدة •

ولم أعلق ولم يعلق أحد من الجالسين معنا وبماذا يمكن أن نعلق انه يرفض رواية لم يكتبها الكاتب بعد ويتوعدها بالويل والثبور وبعظائم الأمور وحتى لا نعدو الحق لابد أن نذكر ان الناقد قال ما قال فى فورة غيظ وغضب والمرء لا يحاسب على قول قاله فى فورة غيظ • ولكن الذى دهشت له ومازلت أدهش الفكرة التى راودت الناقد • وكيف أنه يتصور انه يستطيع أن يرفع ويخفض دون موضوعية ودون تعمق للعمل •

وثالثة كنت أشترك أحيانا فى الاذاعة فى ندوة لمناقشة كتاب أو رواية • وكم من مرة شهدت نقادا يشتركون معنا فى الندوة دون أن يقرءوا العمل موضوع المناقشة •

كان هؤلاء يذكروننى بصاحب القطن الزاجورا الذى يرى من حقه ان يجعله سكلاريدس • فهم يدمغون الحق بالباطل فى جرأة منقطعة النظير وان كان صاحب القطن يمزح بما صنع فهم ــ للأسف ــ يظنون أنهم جادون •

وظللت أحسب ان هذا الصنف من الناس موجود فى ساحة الأدب وحدها حتى أذن الله للحرية أن تعود الى مصر وظهرت الجرائد المعارضة •• ياسبحان الله •• ما هذا الذى يطالعوننا به ؟ اذا كان الأدب فنا والناس فيه تعتمد على ذوقها فان السياسة شان آخر •• انها شأن دولة •

لقد بدءوا معارضتهم بالشتيمة وكان لها حين بدأت وقع فى نفوس المصريين ، فقد ظلوا قرابة عشرين عاما لايقرءون فى صحفهم الا تمجيد

الحكام ورفعهم الى سماوات الآلهة · وظلوا قرابة عشرين عاما يهمسون بالنكتة وان قرءوا فى صحفهم نقدا فمغلف بالرمز متنكرا بالفن القصصى أو الروائى ·

فالشتيمة فى أول أمرها كانت نغمة جديدة على مسامع القراء · ولكن كل جديد من شأنه أن يصبح قديما · وان رحب الناس فترة بالجديد فانهم بطبيعة النفس البشرية سرعان ما يملون · ثم سرعان ما يزهدون · ثم ينصرفون والذى لاشك فيه ان الشتامين المعارضين يدركون ذلك كل الادراك ولكن يبدو أنها البضاعة الوحيدة التى يملكون ·

ولكن المعارضة أسمى من ذلك وأرفع · وبغير معارضة لا ديمقراطية ولكننى أحسب أن الديمقراطية تستطيع أن تقوم بغير الشتائم ·

فالشتائم أيسر شىء كتابة · وهى لا تليق بأصحاب الرأى · فكيف اذا صارت هى عمادهم الوحيد ·

وقد يكون الشتم مظهرا للجرأة والشجاعة اذا كان رئيس الجمهورية سفاكا ظالما يعتقل معارضيه ويحطم أقلام الكتاب الذين لا يؤيدونه ويغلق الجرائد التى تهاجمه ويشرد الجماعات التى ترى غير رأيه وتسير فى غير نهجه ·

وكم يمض النفس ويملؤها حسرة أن الرئيس لو كان كذلك لأصبح الشتامون مداحين والمهاجمون مصفقين والمعارضون مؤيدين يرقصون على طبول الحكام ويهتفون بأبواقهم ·

ولكن رئيس الجمهورية لا يصنع هذا الصنيع وما هو بجبار فى الأرض ولا بالظالم العتى ولا هو من المنتقمين · فأى بطولة يجدونها فيما يكتبون ؟

وان لهم من الكتاب العلماء أسوة · وهم أيضا معارضون ولكنهم شرفاء لا يتاجرون بأقدار مصر ولا يحاولون ان يعتدوا على الحق بالسباب ولا يمكرون ان يقيموا من أنفسهم أبطالا مزيفين بائعين فى سبيل ذلك مستقبل مصر وبلا ثمن · ومن أمثال هؤلاء الشرفاء وعلى رأسهم أستاذنا العلامة الجليل د· وحيد رأفت مالهم لايتخذون منه مثلا أعلى ولست أقصد بذلك الوفديين وحدهم وانما أوجه حديثى الى المعارضين جميعا بدلا من هذه المشتمة التى يبذلون أقصى الجهد ان يرسموا بها من أنفسهم زعماء

وقواد سياسة أو قواد حروب . ان كثيرا مما أقرأ لكتاب المعارضة كلمة واحدة لا تتغير في عدد عن عدد آخر . أتراهم لا يحسون مقدار الملل الذى يستقبله به قراؤهم ؟

يا أبناء مصر . أذكروا مصر . ان المعارضة هي أهم ملامح المعارضة وبغيرها لا ديمقراطية . وما أوسع المجال لرأى المعارضة على ان يكون رأيا لا شتما . وحجة لا سبابا . ومناقشة لا همجية .

انها مصر وهي تواجه فترة من أشد أوقاتها عسرا أحوج ماتكون الى الرأى . الا تدركون هو عصب هذا الزمن الذى نمر به ، اننا نعانى الأزمة العالمية ومعها تراكمات ثلاثين عاما من التجهيد والعنت والحروب والمؤامرات الخارجية التى كانت مصر تصدرها الى العالم في الستينات وأصبحت اليوم مسرحا لها من أعدائها .

أتحتمل مصر هذا جميعا مضافا اليه الشتائم والسباب والهجوم بدون مناقشة والاعتداء بغير حجة .

علم الله ان مصر لا تحتمل اليوم الفتنة التى تثيرون . والفتنة — كما لابد انكم تعلمون — لا تصيب الذين يشعلونها وحدهم بل هي تحرق ولا تفكر ، وتندلع ولا ترعوى ، وتفشو ولا تتريث .

اتقوا الله ، واذكروا مصر ...

الصفح أجمل

حاولت بكل الجهد ان أصرف نفسي عن هذا الموضـــوع فتحت على الحاحا أعرفه منها اذا انشبت فكرة أظافرها فيها فهي لا تنثنى ولا ترعوى ولا يردها عما تريد كتابته شيء .

الكاتب الذى أريد أن أناقشــه من أحب الكتاب الى نفسى ومن أحب الى القراء ونحن أبناء جيل واحد واتصلت أســبابى به منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما كلها ود وحب واخاء . لم نختلف الا فى مقالين كتبناهما قبل أن نتعارف فكانا سبب صداقتنا بعــد ذلك . ولذلك فأنا أرغم القلم ارغاما الا يذكر اسمه ولا أكاد أسيطر عليه .

وحتى هذه اللحظة يبدو أننى سأتمكن من الجام القلم عن ذكر الاسم، وأرجو الله أن أظل قادرا عليه حتى أنتهى من كتابة هذه المقالة بسلام .

فأنا لا أشك فى ان الكاتب الكبير حين كتب ما كتب كان واقعا تحت تأثير لحظة من لحظات الضيق الشديد التى تحيط بنا نحن الكتاب ولا نجد لنا عونا بعد الله اقلامنا نفزع اليها لعلها تفرج عنا بعض كربنا أو لعلنا نبثها ما يعتلج فى حنايا نفوسنا من شدة وسخط .

وأنا لا أشك أن شخصا ما كان السبب فيما ألم بكاتبنا من كروب ووقفت بينه وبين هذا الشخص سندود تذوده عن أن يذكر اسمه صراحة فأنزل سخطه على الناس أجمعين لا يستثنى أحدا . حتى نفسه ما استثناها ولا هو أعفاها وكأنما يعاقبها لأنها غضبت ولأنها ترده عن انزال غضبه بمن يستحقه .

بدأ كاتبنا مقاله بمثل شعبى يقول (ان كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى) وهو مثل يرفضه كل انسان شريف وما جرى على ألسنة

الناس الا على سبيل النكتة والفكاهة والممازحة · وكل من يقول للكلب ياسيدى يصبح أقل من الكلب شأنا · ولكن كاتبنا الكبير لا يكتفى بهذا بل هو يصر على صدق المثل ويبادر قائلا وهو مبدأ صـــحيح فى العلاقات السياسية والتجارية بين الدول والأفراد وهو يرى أن المعدة لا دين لها ويقول « نحن كلاب أسياد كلاب » والحقيقة أننى رفضت أن أجد الأهرام يشتمنى على الصبح ويشتم معى الانسانية جميعا دون ذنب جنيته أو جناه أحد من بنى الانسان · بل اننى غضبت لصديقى الكاتب نفسه وأبيت له ان يشتم نفسه ثم يستبيح ان يشتم الناس أجمعين مادام قد مهد بشتيمة نفسه · وليست العلاقات السياسية علاقة كلاب بعضها ببعض ولا علاقات الأفراد علاقة كلاب بعضهم ببعض ·

وليست العلاقات التجارية علاقة كلاب · فالتجارة مهنة من أشرف المهن فى التاريخ والعلاقات بين التاجـــر والناس علاقة منفعة متبادلة · ولولا هذه المنفعة المتبادلة بين الناس لأصبحوا ــ فعلا ــ كلابا يتخطفون مطالبهم بلا شرف ولا عقل ولا منطق ولا خلق · فالكلاب وكل الحيوانات لا تتبادل المنافع بينها ولكنها تأخذ ما تريد غصبا وبغير حق الا حق القوة والمزاحمة ، ولهذا فهى حيوانات ولهذا لم يكرمها الله وكرم الانســـان ولم يجعل من الناس كلابا ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الاسراء « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » الاسراء آية ــ ٧٠ · فالانسان لن يكون كلبا الا اذا اختار لنفسه هذا وكم طلب ناس من صديقى الكاتب أنواعا من المعروف وكم أجاب وما كان الناس حين طلبوا كلابا وما كان صديقى · وانما كان حين يستجيب لرجاء انســانا فى أرفع درجات الانســانية · وما الانسانية ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجة ، وتفريجا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحياة ·

وصديقى الكاتب من هؤلاء الذين لا يخيب عندهم رجاء وقد جربته فى كثير من الأمر فكان عندما أعلمه عنه ·

أخى الكاتب الكبير لقد ضقت بواحد من الناس ذرعا ولم تدر كيف تقول عنه انه كلب فشتمت نفسك لأنك لم تعـرف كيف تشتمه وحده ثم أفرغت غضبك على الناس أجمعين •

ولكننا نحبك ويحبك القراء الذين شتمتهم • فما ذنبهم عندك •

الله ان أظل قادرا عليه حتى أنتهى من لحظات الضيق الشديد التى تحيط لما بعض كربنا أو لعلنا نبثها مايعتلج فى وانما كان حين يستجيب لرجاء انسانا فى أرفع درجات الانسانيـة • وما الانسانيـة ان لم تكن تواصلا ، ورحمة ، وحبا بين الناس ، واجراء للخير فى القنوات ، واشاعة للمعروف ، واستجابة لنداء مظلوم ، أو ذى حاجـة ، وتفريجـا لكربه ، وتخفيفا لأعباء الحيـاة •

والناس يا أخى حين تتواصل انما يجرون على سـنة الحياة التى أرادها لهم الله فى علياء سمائه وهو جل علاه يقول فى سورة الحجرات •• « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبـائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** » سورة الحجرات آية ١٣ •• هكذا أراد لنا العليم الخبير • واذا كان قد جعلنا شعوبا وقبائل لنتعارف فمن الطبيعى ان نتراحم وان نتواصل واذا كانت هذه حكمة الله بين الشعوب فلا عجب ان تكون المودة هى أساس الصلات بين الأفراد فى هذه الشعوب •

والشاعر القديم يقول :

الناس للنـاس من بـدو وحاضرة

بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

وهم حين يفعلون انما يمارسون معنى من أكرم معانى الانسانيـة وأشرفها وأرفعها مكانا وأعلاها مرتبة •

والحطيئة يقول :

من يصـنع الخـير لم يعـدم جوازيه

لا يذهب العـرف بين الله والناس

وانت ياصديقى من هؤلاء الذين يصنعون الخير · وانت ياصـــديقى لم تهتم جوازى هذا الخير · وانت ياسيدى كريم حين صنعت الخير وكريم حين استقبلت جوازيه مشكورا حين صنعت ، مباركا حين استقبلت ·

وأنت يا أخى الكاتب تكتب للنـــاس فليس يقـرؤك الكلاب · وقد أكرمتهم حين اجتهدت جهدك وبذلت بذلك فى تثقيف نفسك · وما كنت لتفعل لو لم تكن تحمل كل الاجلال والاحترام لقارئيك · وقد جازوك عن هذا حبا واقبالا واعجابا ·

أخى الكاتب الكبير · لاشك أن بين الناس كلابا ولكن الناس تحتقرهم حين تعرف كلبيتهم وتسقطهم من قوائم الآدميين وتنزلهم منزلة أحقر من منازل الكلاب الذين خلقهم الله كلابا ·

فحين يدلل الرحماء الكلاب ويهيئون لهم المطعم والمشرب تراهم يحتقرون كلاب الناس ويقبضون عنهم صداقتهم وودهم ·

فكلاب الناس كانوا بشرا واختاروا لأنفسهم أن يكونوا كلابا حين لا يملك الكلب أن يجعل من نفسه بشرا ولو ملك ما نكص ولما استأخر ولبادر وسارع ·

وهناك أيضا نوع آخر من الكلاب ذكره ابن الرومى فى بيتين شهيرين له اظنك تعرفهما وربما كانا من محفوظاتك وهى وفيرة ·

يقول ابن الرومى :

ان للحظ كيميـــــــاء اذا مـا
مس كلبـــا احـــاله انسـيـــانا

يفصـــل الله ما يشـــاء متى شـاء
كمـــا شـــاء كائنـــا ما كانـا

ولاشك ان الحظ مشغول بكيميائه فى أيامنا هذه مشغلة عظيمة فهو دائم الدوران بين أسافل الكلاب يحيلهم اناسا ولكنهم مهما يتكاثروا يظلوا فى الناس قلة قليلة ويظل الانسان هو الأصل وهو الأغلبية الساحقة ٠

أخى الكاتب الكبير أرجم من أهاجك ما طاب لك الرجم ولكن اياك أن تقسو على نفسك هذه القسوة التى أنزلتها بها ٠

أو الصفح وأنت به أولى ٠ وكم نسيت وكم نسينا وكم صفحت وكم صفحنا ٠ وما هى الا لمحة من زمن ثم نجد أن الصفح كان أحلى فى نفوسنا من النقمة ٠ وأن النسيان من أعظم منن الخالق على الانسان ٠

١٤/٩/١٩٨٦ م الأهرام

حرية خصمي حريتي

طالما ضقنا ذرعا بأولئك الذين يأبون علينا أن نتكلم فى السياسة نحن الأدباء • وكم عجبنا أن تكون السياسة متاحة للجميع لايردهم أحد عن الحديث فهى موضوع من لا موضوع له وهى النقل بين المتنادمين وهى الشراب بين المتسامرين ، حل ماح للجميع أن يقول فيها ما يشاء وان خلا قوله من منطق وان جهل التاريخ القريب والبعيد • ومع ذلك نجد من يرسل لنا الخطابات مالكم أنتم الأدباء وما للسياسة وعجبنا • أتكون لسان المجتمع ونبضه ومشاعره وأمله وغضبه ورضاءه بعيدين عن السياسة فى حين يسومها كل جاهل بها •

احرام على بلابله الدوح
حلال للطير من كل جنس

كل دار أحق بالأهل الا
فى خبيث من المذاهب رجس

وبعد فقد كنا من قولهم هذا نعجب ، وكنا نقدم عجبنا بين أيديهم حتى فوجئت فى الأسابيع الماضية بخطابين من شيخين ، أما أحدهما فيناقش الدكتور عبد المنعم النمر فيما رآه من وجوب الاجتهاد ولا بأس على الشيخ ان يناقش الموضوع بما يراه من حجج اما الخطاب الآخر فان الشيخ يرفض منى أن أتدخل فى شئون الدين • ولو كانت هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها هذا الرأى لصرفت عنها القلم ولم أشغل نفسى ولاشغلت القراء بها •

وأنا لا أدرى ماذا يريد الناس من الأدباء اذا كانوا لا يرضون لهم الكلام فى السياسة ولا الدين !؟ أنا أفهم ان نمتنع عن الافتاء فى المسائل الدينية الشرعية التى استأثر بالعلم فيها المشايخ الاعلام والتى اختلفوا حولها اختلافا بعيدا حتى اننا نجد للمسألة الواحدة ما يزيد عن خمسين رأيا • ولكن ألا يحق لنا أن نناقش مشايخنا فى أمور ديننا ونعمل المنطق فيما يصدرونه لنا من فتاوى فى الأمور الخلافية من ديننا القيم الذى أرسل به سيد البشر وخاتم الأنبياء للناس كافة •

ألا يسمح لنا المشايخ أن نكون ناسا من هؤلاء الناس مادمنا نقف خاشعين مخبتين عند الفرائض التى لايجادل فيها الا ملحد أو زنديق ٠ والتى لا مجال فيها لأعمال رأى أو لاجتهاد ٠

أما الموضوعات التى اختلف حولها الأئمة الكبار وعلى رأسهم الأربعة الاعلام ، ألا يجوز لنا أن نسأل فى شأنها وقد احتدم فيها الرأى بين مئات العلماء ثم صدر فرمان باقفال باب الاجتهاد لا نعلم من هذا الذى أصدره ولا نعلم من الذى جعله مقدسا لاتجوز مناقشته ٠ ثم ها هو ذا شيخ من أعلام مشايخ المسلمين يزيل عن هذا الفرمان قداسته ويطرح الموضوع كله للمناقشة ٠ فاذا أيدناه وجدنا من يقول لنا ما شأنكم أنتم بالدين فتزداد الأمور استبهاما علينا ٠ أيريد بعضهم من الكتاب أن ينفى عنهم وطنيتهم ويريد البعض الآخر أن ينفى عنهم عقيدتهم ٠ فماذا يبقى للكتاب بعد ذلك اذا حرم عليهم الكلام فى السياسة وهى عماد وطنهم وفى الدين وهو عصام عقيدتهم ٠

وكان مما أدهشنى أيضا هذا الأسبوع خطاب من سوهاج من فتى لن أذيع اسمه حتى لا أجعله بين ذويه أمثولة وانى أضع صورة الكتاب بين يديك ٠ فاذا كان الفتى لايعرف كيف يكتب مادة قرأت فكيف يريد لنفسه ان يكون كاتبا والفتى يتهمنى إننى لم أقرأ أعمال الماستر ومع ذلك أرفضها ٠ الحق يابنى أننى قرأت بعض ما وصل الى يدى من أعمال الماستر ولن أناقش هنا قيمته فأنا لم أرفضه ٠ وانما أكبرت اتحاد الكتـــاب أن يكون بين أعضائه أولئك الذين لم ينشروا شيئا ورفضت اعتبـــار طريقة الماستر وسيلة من وسائل النشر فمنذ ظهرت المطبعة كف الناس أن يعتبروا بهذه الطريقة وسيلة من وسائل النشر ٠ وقانون اتحاد الكتاب ينص على ألا يقبل بين أعضائه الا من كان له عمل أدبى ملحوظ ٠ وانى اسأل أصحاب الماستر هل أصبح أى عمل لهم أدبيا ملحوظا ٠ واذا كان هذا الذى أرسل لى خطابه نموذجا لكتابهم أيرضون لاتحاد الكتاب أن يضم بين أعضائه من يخطىء أخطاء املائية بالغة السذاجة الى هذا الحد حتى ليكتب قرأت بهذه الصورة المضحكة التى تدل على أنه لم يقرأ فى حياته شيئا فاذا كان لم ينته بعد من مادة قرأ يقرأ قارىء فكيف يريد أن ينتقل الى مادة كتب يكتب فهو كاتب وعضو أيضا فى اتحاد الكتاب ٠

ومن الظلم القديم الذى تعرضت له حكاية مضى على وقوعها أكثر من عام ولم أشأ أن أرد عليها فى حينها لما توسمت فيها من هوان الشـــأن وكم كنت بعيدا عن معرفة قومى يومذاك ٠

.. نشرت احدى الصحف العربية خبرا مؤداه أن ثروت أباظة طالب بصفته رئيسا لاتحاد الكتاب ان تمنع مصر دخـول الشـاعر نزار قباني الى الأراضي المصرية ٠

وتولاني العجب فالخبر مختلق جملة وتفصيلا ٠ فأنا ــ أولا ــ لست بوابا على مداخل مصر وليس لى الحق أن أطالب بخروج أحد أو بدخوله ٠

وأنا في هذه المرة التى زعموا فيها أننى تقدمت بهذا الطلب لقيت الشاعر الكبير نزار قباني في جريدة الأهرام ورحبت به كل الترحيب ودعوته أن يتناول العشاء في منزلى على عادتى كلما لقيته في القاهرة ٠ وطلب الى يومئذ أن أنظره حتى يستقر به المقام وكان هو قد دعانى الى بيته في بيروت حين كانت بيروت لا تزال على قيد الحياة ٠ وان صلتى بالشاعر الكبير كلها حب متبادل واعجاب متبادل ٠ وأنا في دخيلة نفسى لا أحاسب الشعراء على آرائهم السياسية وأمتثل لقوله تعالى عنهم « **ألم تر انهم في كل واد يهيمون ٠ وانهم يقولون مالا يفعلون** » الشـعراء الآيات رقم ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠ وأتمثل في شأن الشاعر نزار بقول المتنبى :

فان يك الفعل الذى ساء واحدا   فأفعـاله اللائى سررن ألوف

ولا بأس عليه أن يغضب فيقول فهو ما يلبث أن يعود فيرضى ويقول أيضا ٠ هذا هو موقفى من الشاعر نزار قبانى الذى أعتبره علامة من العلامات الكبرى للشعراء ٠ في العصر الحديث والذى أكبر موهبته الفذة واستعذب شعره الأصيل وأستمتع به ٠

لهذا جميعا كففت نفسى أن أكذب هذا الخبر السخيف الذى نشر عنى وتوقعت أن يكذبه نزار القبانى نفسه ولكنه لم يفعل والتمست له العذر وقلت ربما لم يعلم به ٠ ولكننى فوجئت بالجرائد والمجلات العربية كلها وليس لها حديث الا هذا الخبر ٠ وكيف يمنع ثروت أباظة الشاعر القبانى أن يدخل البلاد المصرية ٠ وأقرأ وأزداد دهشة وعجبا ٠

وكتب صديقى رجاء النقاش مقالا يسيل رقة ويقطر سما في مجلة « التوحة » يعيذنى أن أفعل هذا الذى يظن أننى فعلته ويذكرنى بأننى ابن دسوقى أباظة الذى لقب بأبى الشعراء فكان ملاذهم وموئلهم وراعيهم٠

وازداد عجبي فرجاء يعرفني ويعرف انني أبعد ما أكون عن مثل هذا الصنيع · ولكنه لم يكتف بهذا بل زاد أنني أطلب مصادرة الكتابات الشيوعية فكانت هذه بداية حملة أخري شنها الشيوعيون كيف يجوز لرئيس اتحاد الكتاب أن يطالب بمنع الكتاب من قول رأيهم · وقد تمكنوا من اختلاق الأكذوبة ومهاجمة الشخص الذى ألصقوها به ووجدوا من يصدقهم · ورئيس تحرير مجلتهم رآني أدافع عنهم فى المجلس الأعلى للصحافة لأن الأمر المطروح كان يتعلق بالحرية وبالعدالة ومع ذلك استباحوا لأنفسهم أن يرموني بهذه التهمة حين طالبت أن تكون لكل صحيفة فى مصر سمات واضحة ولا تكون الجرائد متميعة الرأى مختلطة المفاهيم · وهم قد رأوني فى اجتماع هام خطير طالب بعض الحاضرين فيه باغلاق جريدتهم أعارض هذه المطالبة فى حسم قاطع وأرفضه كل الرفض · وأنا لم أصطنع موقفي هذا من مكاني في اتحاد الكتاب وانما الحرية هي عقيدتي التى أدين بها بعد الاسلام · وهل الإسلام إلا الحرية · واذا خنت حرية خصمي خنت حريتي وخنت نفسي وأنا والحمد لله أعتقد انني ما خنت نفسي قط · ولا دعاء لى الا أن ألقى الله قبل أن ترغمني الحياة أن أصنع ما لا أرضى لنفسي من صنيع · وانه سبحانه قادر أن يبلغني هذه النشيدة · فانه هو القريب وهو هو تقدست أسماؤه يجيب دعاء المخلصين من عباده جل علاه ·

الأهرام ١٩٨٦/٩/٢١ م

هـــم والآخـــرون

من عجب أن الانسان يأبى أن يستفيد من تجارب الآخرين • ولو أن كل جيل انتفع بتجارب الجيل الذى سبقه لأصبحت الانسانية فى مستوى غاية فى الرفعة ولأصبحت الحياة نعيما لا مثيل له •

وهذا الرفض لتجارب الآخرين قديم قدم البشرية فان يكن آدم قد أخطأ فأكل من الشجرة المحرمة • وان يكن قابيل ارتكب الخطيئة الأولى فى حياة البشر فان أبناء آدم أصبحوا جميعهم خطائين وان تفاوتت بينهم درجات الخطيئة •

ثم تعاقبت الأجيال وكل انسان يعتقد أن ما حدث لغيره لا يمكن أن يحدث له • وأصبح كل مجتمع يظن أن ما حاق بالمجتمع السـابق لا يمكن أن يحيق به • ولو أن الأجيال المتعاقبة أخذت العبرة من التاريخ ما تعاقب الأنبياء • ولما أرسل الله سبحانه وتعـالى الى الأرض الا نبيـا واحدا • ولكن كيف وكل أمة فى التاريخ تجاهلت ما وقع للأمة السابقة ويقول سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـارون وكذلك نجزى المحسـنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضـلنا على العالمين • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم** » الأنعام الآيات من ٨٣ ـ ٨٧ صدق الله العظيـم •

فهو سبحانه أرسل كل هؤلاء الذين جاء ذكرهم بالآيات الكريمات لأن أقوام هؤلاء الرسل جميعا لم يعتبروا بما وقع للقوم الذين سبقوهم الى الحياة والى الموت أيضا • ولم يتدبروا العظة فى اهلاك الله للقوم الكافرين على مدى السنوات الطوال التى أرسـل فيها هؤلاء الرسل • وقد كان العقاب من الضخامة والهول بحيث أن بعضا منه كان كافيا أن يردع الأمم التى بعده ، ولكن هيهات فما قمعهم الأهـلاك بالرياح ولا بالعواصف ولا بالحواصب • لا شىء أجدى معهم • حتى شاء سبحانه أن يختم رسالاته

الى الأرض فأرسل سيد الأنبياء وخاتمهم بالكتاب الكريم المعجزة الخالدة الباقية حتى اليوم لأن كل المعجزات البصرية لم تكن ذات جدوى مع الأمم التى خلت • فما نفع معهم سفينة نوح ولا نار ابراهيم ولا عصا موسى ولا احياء الموتى من الانسان والطير • فجاء القرآن • فهل من مدكر • هيهات • قليلا ما يذكرون •

ان القرآن الكريم هو الرسول الخالد على الأرض • ولكن الناس أبعد ما يكونون عن روحه السامية الرفيعة • فهم لا يأخذون من تجارب الأمم قبلهم ما ينفعهم فى حاضر أيامهم وقابلها •

والعجيب الأعجب أن الدولة وهى الدولة لا تنظر الى تجارب الآخرين ولا تفيد منها وتحل بها الأزمة الاقتصادية الطاحنة فتغض النظر عن الأدواء السفاكة التى تنشب أظافرها فى كيانها وتروح تبحث عن الدواء فى شتى مظان ومختلف سبل وتأبى كل الاباء أن تعمل الدواء الوحيد الذى ينقذها والذى تعلمه غاية العلم ومع ذلك تتجاهله •

فى أى دولة من دول العالم صدر قانون يجعل الفلاحين والعمال يمثلون على غير أساس من علم أو ثقافة أو حتى دراية الخمسين فى المائة من المشرعين فى الدولة والخمسين فى المائة من مجالس ادارات الشركات فتكون النتائج فادحة الخسران بالغة التدهور • وهل سمع أحد فى العالم أن دولة ما بها أربعة عشر ألف قانون سارية المفعول فى وقت واحد • صدر أغلبها بغير بحث ولا استقصاء ولا دراية ولا خبرة •

وتكون النتيجة أيضا قطاعا عاما يمتص فى شراهة سرطانية أكثر من مليار جنيه سنويا ونجد محلات بيع مملوكة للقطاع العام ، الأمر الذى لا نشهد له مثيلا فى أى دولة حرة • ولا فى أى دولة اشتراكية • ذلك ان المحلات فى الدول الاشتراكية جميعها مملوكة للدولة فهى كلها قطاع عام فليس لها منافس من القطاع الخاص مثلما الأمر عندنا والنتيجة الطبيعية انهيار هذه المحلات ويدفعها الى الهوة عمال بها لهم وجوه ذات جهامة وكشرة ، وكبود ذات غلظة وقسوة ، غير منتمين هم الى مصادر رزقهم وما بعجيب منهم الا أن ينتموا لوطنهم ولا يشفقوا على مواطنيهم فى الخطاب على الأقل وفى اللسان الرطب • وما لهم لا يغلظون وهم يعلمون أنهم بالغون مرتبهم أول الشهر فقابضوه حتى وان قبضوا أرواح الزبائن وما لهم لا يعنفون بالمشترين وهم يعلمون لا عقاب هناك بل ولا حساب ولا مساءلة • هكذا قانونهم وهكذا قوانين جميع العاملين فى القطاع العام •

وأعجب معى لدولة تستطيع أن تخرج الوزير فيها والمدير فى غمضة عين ثم تقف عاجزة أمام كل العاملين فيها .

لا عبرة عند الدولة فلا هى تنظر الى يمين من دول ولا الى اليسار . فالدول ذات اليمين تفصل عمالها . والدول ذات الشمال تنزل بعمالها المهملين ألوانا من العقوبات لا حدود لها ويكفيك أن تعلم أن القتل من بينها بما يقف فى حظيرته من نفى وسجن وما يلى ذلك من عقوبات .

ويتوقف الانتاج فى القطاع العام أو يكاد ولا تنظر الدولة الى ديننا السماوى القيم الذى يعد المحسنين بالجنة وأنهار من عسل ولبن لم يتسنه وحلوا أساور من ذهب ويتوعد المخطئين بالنار وشجرة الزقوم وماء من حميم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولا تنظر الى القول المأثور أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والدولة تأبى أن تستفيد بتجارب دول العالم من يمين ويسار فى التعليم فتسمح للطالب القادر الفاره الغنى أن يستلب من أموال الدولة آلاف الجنيهات يتعلم بها دون أن يبذل للدولة بعض حقها عليه وليس يخجل أن يقصد الى معاهد الدراسة بالسيارات الفاخرة اشتراها له ذووه بالأثمان التى لا يطيقها الا أولو الثروة الخالبة البأذخة .

يسرفون على أنفسهم اسرافا لا خجل فيه ولا قصد وينتهبون الدولة بغير حياء ولا خلق . ومالهم لا يفعلون والدولة تفسح لهم من الطرق أوسعها ليسوموا أموالها الخسف والانتهاب .

والمعارضة لا تتخذ من الماضى القريب عبر فتعتبر ، فاذا هى اثارة للفتن وتهجم على كل ذى كرامة . وتنابز بالألقاب وتدمير للمعانى الشريفة . لا عمل لهم الا السخرية دون النقد والهدم بغير بناء والاساءة خلت من العقل ، والتمزيق الفاحش لكل انســـان ، لا يراعون الله ولا يفكرون فيما قد تجره عليهم الفتنة من وبال وجحيم .

واذا كان هذا شأن الدولة والمعارضة فما بعجيب أن يكون هذا شأن الأفراد من وزراء ورعية .

فأما الوزراء فكثير منهم يفكر فى قول الحكيم : (لو دامت لغيرك ما آلت اليك) ، فهم يعضون على كراسيهم بالنواجذ وهم فى عضهم هذا

يخشون أن يوقعوا قرارا أو يصيبوا أمرا محيرين هم عيونهم تدور فى رءوسهم خوفا على كراسيهم وذعرا من المعارضة ومن غير المعارضة ٠

ولو أن كل وزير منهم استلهم ضميره ونظر الى ربه والى صوالح وطنه وأصدر ما يرى أنه الحق من القرارات لما كان هذا حالنا ٠ فما لهم يخشون الناس ولا يخشون الله ، والله والوطن أحق بالخشية ٠

واذا كان هذا شـــأن بعض الوزراء فما بعجيب أن نرى الافراد لا يعتبرون بما وقع على أمثالهم عبر الحياة معتقدين أن ما حدث للغير لايمكن أن يحدث لهم ، فكل مجرم منهم يحسب أنه أوتي من الذكاء والفطنة ما لم يتأت لأحد قبله ٠ وان كان المجرمون من قبله قد حل بهم العقاب فلأنهم لم يكونوا فى مثل ذكائهم وفطنتهم ولباقتهم وعلمهم بأبواب السرقة والنهب والفجور ٠

ان جميع المجرمين والمنحرفين تزخم نفوسهم بالغرور ويظنون أنهم يستطيعون أن يماكروا الله والقانون والمجتمع ٠ ويرفضون أن يصدقوا أنهم بشر من البشر وأن العقـــاب الذى حل على من قبلهم واقع عليهم لا محالة ٠ وأن الله سبحانه وتعالى هو خير الماكرين ٠

خطاب كريم

جاءنى هذا الخطاب الكريم من الأستاذ العالم عدنان أسعد ٠

كاتبنا الكبير الأستاذ ثروت أباظة ــ دام تحية وبعد :

فى مقالكم بالأهرام تحت عنوان (الصـلح أجمل) ٠٠ ذكرتم بيتا لشاعر قديم هو :

الناس للناس من بدو وحاضرة ٠ بعض لبعض وان لم يشـــعروا (خدموا) بقولـــكم (خدموا) فى آخر البيت على أنه فعل ماض ٠٠ والصـــواب هو (خدم) على صـــورة جمع التكسير ، جمع لخادم ٠ والذاكرة قد تخون أحيانا فى المحفوظ صوصا اذا صح الوزن وصح المعنى ٠

٣٠٥،١٠

وقلتم كذلك (أخى الكاتب الكبير أرجم من (أهاجك ما طاب لك الرجم) ، والمعروف لغة أن الفعل (هاج) ثلاثى متعد بنفسه فيقال (هاجه) ولا يقال (أهاجه) .

هذا ولولا أستاذية الكاتب الكبير ومكانته بين محبيه من القراء ، لما ذكرت هذه الهنات الهينات ، فللأستاذية مسئولية القيـــادة . ولكم تقديرى والسلام .

تعليق : أشكر لك كريم تصحيحك وكريم رأيك واستاذنك اننى وجدت أهاج بالقاموس فيقول أهاجت أهاجة الريح النبت : ايبسته فأرجو أن أكون مصيبا وأكرر شكرى .

١٩٨٦/٩/٢٨ م الأهرام

خـــواطر ونقـــد

كم من خاطرة راودتني في هذا الأسبوع وكم أردت أن أصيح بأقوام أن اسكتوا عن باطلكم حتى يتاح لنا ان نسكت عن حقنا • فويل لزمان يعلو فيه صراخ الباطل ويتخافت فيه صوت الحق ، وويل لزمان يجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا • ويجعل الهوان مجدا والمجد هوانا ويل لزمان يتواثب فيه الزبد على أكتاف الجوهر • والخبث على أعمدة السموق وكم قاسيت من نفسي وكم قسوت عليها أن تكف عن المضي في هذا السبيل الذي أصبحت أضيق بالكتابة فيه زهدا واجلالا للقراء أن أجعلهم يقرءون عن أمر هم به محيطون • وبعضهم اصطلى أواره وبعضهم به من أثاره جروح دامية لم تزل وما أحسب ان دماءها ستنضب • وكم كففت نفسي حتى لا أقول ما يعرفه جميع بني آدم ان كرامة الانسان وعرضه هما أثمن ما في الانسان ، وان الانســان هو سيد المخلوقات • ولا شيء في العالم يعوض الانسان عن سحق الآدمية فيه • ولا شيء في العالم يعوض الشعب عن اذلال وطنه في ساحات الشرف وامتهان عقيدته وهي طريقه الى السماء •

أيها القلم فلتكف فورا عن الاسترسال فاني أعلم انني اذا لم أقمعك بعزم ستمضي لا تقف •

هل بنا الى ديوان شعر جديد ظهر لصديق قريب الى نفسي قرابة أخ وحي ديوانه معي فان هذا لا شك أحب اليك من حديث تمقته وأين حلاوة الشعر من مرارة الأسى •

أما الديوان فهو « **لا تسأليني** » وأما الشـــاعر فهو العالم الأديب **الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف** • وما عبد العزيز بغريب عن قراء العربية عامة ولا عن قراء هذه الصفحة خاصة فهو من عمدها •

هذا الديوان فيض شعور فهو أشبه ما يكون بلحن جميل متناغم المقاطع عذب اذا قرأته انتشيت واذا أعدت قراءته أعجبت ، اقرأ **معي** :

كنت ألقـــاها صـــباحا   فتلاقيني العشــــية
ثم تأســـو لي جروحـــي   بالأغـــاني العبقريـــة

آه من لفظ حبيبي في أغانيها الشجيه
آه من جرح قديم قد تولت هي ريه
وتناءت ذات يوم مثل أعراض التحيه

كم هو جميل قوله مثل أعراض التحية · ولا أحسب أن الدكتور عبد العزيز قد ذكر الأبيات الجميلة عن التحية حين ألهمته شاعريته هذا التعبير الشعرى المشرق أما أنا فتذكرت تلك الأبيات القديمة ·

بيضاء باكرها فصاغها بلباقة فادقها فأجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة من بعض رقبتها فقلت لعلها

وما أجمل الشعر الذى يذكرك بالشعر الجميل وهكذا استطاع عبد العزيز أن يجعل هذه الأبيات الرائعة تثب الى خاطرى · ونعود الى الديوان ونمضى بين بساتينه الفواحة العبير · ونقف عند نفثه :

ضاقت بى الدنيا كأنى خصمها يا قلب واللقيا طوتها الأنجم
صحبى وحبى والكرامة كلها مما أعاهد بالوفاء واكرم
ان الوفاء سجية لك هل ترى تدع السجية للشكاة وتحجم
وأنا الذى قد عافها ، ومقاله ما زال ينضح بالسلام ويبسم
آثرت بالحب الذين وددتهم ما بالهم ظلموا ولم أك أظلم

وأن أجمل ما فى هذه الأبيات أنها تجمع بين البساطة الحديثة وبين الأصالة العربية العربية · وأعجب معى لأقوام يقيمون موازين للجمال من صنعهم ما أنزل الله بها من سلطان · ان الشعر الجميل جميل فى كل عصر · وان أثره هو أثره منذ الجاهلية الأولى وحتى اليوم وانه ليتسرب الى النفس فيشيع فيها اسمى معانى الانسانية وأشرفها حتى كان الانسان يدف بجناحين ملكا فى السماء بعيدا عن الأرضية وكل ما فى البشر من شرور ·

وقد أحسن الدكتور شرف صنعا بذلك الفصل الذى أضافه الى الكتاب بعنوان « **مع النصوص الشعرية** » بقلم الدكتور كمال اسماعيل والفصل من أعمق البحوث التى قرأتها عن الشعر · وحين يتكلم الدكتور كمال عن عبد العزيز شرف يقول فى أول حديثه : زعم أحد المثقفين ان الدكتور عبد العزيز شرف رومانسى وتساءل هل نحن بحاجة الى مزيد من

الرومانسيين • وأترك الدكتور كمال اســـماعيل يجيب اجـابة مفصحة
وأتناول هذه القضية التى يثيرها بعض النقاد حين يصنفون الشعراء والكتاب عامة الى رومانسيين ورمزيين وواقعيين فتلك من المضحكات المبكيات فالشاعر أو الكاتب لا يعير هذه التصنيفات أى التفات • وانما هو يلتقى مع نفسه ويكتب فنه وليس يعنيه فى قليل أو كثير هذا التصنيف بل اننى أحسب انه لا يعنى أحداً •

واسمحوا لى الآن أن أقدم رواية قرأتها فما دمت قد أمسكت قلم الناقد وطفت به فى بحور الشعر فمن حق الرواية على أن أتناول ربوعها بالحديث وأنا منها وهى منى على وشيجة من القربى وعلى آصرة من الحب لا تجيزان لى أن أنساها اذا أنا ولجت من باب الناقدين •

الرواية من أعظم ما قرأت فى السنوات الأخيرة وكاتبها الناقد العالم المتمكن العميق الدكتور نبيل راغب • وليس نبيل غريبا على الرواية فقد مارسها سنوات ناقدا وأستاذا ودارسا ثم كتب بعد ذلك عدة روايات فاستطاع أن يفلت من أسوار النظريات الى ساحات الفن المترامية الأطراف •

وروايته هذه التى قرأتها أخيرا هى « **درب الشوك** » وقد استطاع نبيل فيها أن يمزج فى براعة فائقة بين التاريخ القريب وبين الابداع الفنى حتى لقد ظن كثيرون ممن قرءوها أنها وقعت وانه انما يروى وقائع ولا يبدع فنا • ويوشك كثير من القراء أن يردوا كل اسم من أسماء الرواية الى اسم انسان عرفه الشعب المصرى وذاع أمره فيه •

وأشهد اننى لم أقرأ عملا مشابها لرواية الدكتور نبيل راغب قبل هذا وأشهد أنه وفق غاية التوفيق فى هذا المزج الرائع بين التاريخ القريب وبين الفن الروائى •

وأما الرواية من الناحية الفنية فهى شـــائقة السرد • ولا يزال التشويق من أهم مقومات الرواية وان رغمت أنوف •

واننى أهنىء الأســـتاذ الدكتور نبيل بروايته هـــذه وأهنئه بلغته العربية الجميلة المتدفقة فى طبيعة وفى غير قسر ولا اصطناع وأرجو أن يضيف الى مكتبة الرواية كثيرا من هذه الأعمال الرائعة •

الأهرام ٥/١٠/١٩٨٦ م

الحيـاء قـوام الحيـاة

ما أكثر الأقلام التى حاولت أن تزيف التاريخ فاذا التاريخ يدفع زيفها ويكشفها ولا يبقى على صفحاته الا الحق أبلج ناصعا نقيا • وما أكثر هؤلاء الذين كتبوا التاريخ من أغوار مصالحهم الشخصية ، ومن ثنايا عواطفهم ، ومن أعطاف منافعهم ومن كشوف حساباتهم فى البنوك • والتاريخ من هؤلاء جميعا بمرقب عتيد •• فهو بعين نافذة ، وبصيرة تخترق الحجب يصل الى البعيد القصى من أغوار الحقيقة فلا يصـح عنده الا الصحيح ويذهب الزبد جفاء تذروه الرياح وكأنه ما وجد •

وكم من أقوام حاولوا أن يمسكوا الدفوف فى زمن المنافقين وكم تباروا أن يرفعوا أصواتهم لتلتهم أصوات الحق فبحت منهم الأصوات وسجل الحق صوته على صفحات التاريخ وذهبت دفوفهم ومزاميرهم أدراج الرياح كأنها ما كانت •

ولقد نشـهد اليوم أقواما منهم يكتبون عن أكتوبر ولا يذكرون السادات العظيم ، وهم فى عماية منهم وحمق يحسبون أنهم يستطيعون بذلك أن يقصوا السادات عن التاريخ •• وهيهات •• فان أعمال السادات الخالدة قد حفرها الزمن فى سجل التاريخ وما قدره الله كان ولأراد لمشيئة الحق سبحانه تعالت أسماؤه وتقدست •

ان السادات هو صاحب قرار أكتوبر ، وهو الذى صنعه ، وهو الذى اختار قواد جيشه عن علم منه واخلاص ، كل الاخلاص لمصر دون نظر الى هوى ودون ميل عن القصد • ثم هو ــ وقد وثق بوطنيتهم وعظمتهم ــ أطلق أيديهم ليجهزوا جيوشهم ليوم اللقاء • فكان نصر أكتوبر الذى يبقى على الزمان حتى يرث الله الأرض وما عليها •

ولقد يسقط الحياء عن وجوه بعض الكتاب فيقولون انه لولا اندحار يونية الذى لم يعرف العالم له مثيلا فى الذل ولا شبيها فى الهوان ولولا ما تلاه من هزائم منكرة تزيد البلاء فداحة والجروح عمقا والخيبة مرارة والفشل احباطا••ولولا ما كان من حرب الاستنزاف التى بكى لها المصريون

بالنكته الحزينة الملتاعة والتى سخر منها العالم والتى مع ذلك زادت قتلانا عددا وجراحنا ألما ومصيبتنا سوادا ونفوسنا أسى وحزنا وفجيعتنا ثقــلا ٠

لولا حرب يونية الماحقة لكرامتنا ولولا ألعاب الاستنزاف وأكاذيبه وأضاحيكه التى كان ثمنها أرواحا هى أرواح أبناء وآباء وأخوة استهان بها الحكام من أجل تمثيلية حقيرة أكثر ضآلة وهوانا من أن نقول عنها انها هازلة ٠

لولا هزيمة يونية وما تلاها من صمود واستنزاف خائبين لما كان لنصر أكتوبر معنى ولا قيمة ٠

أيستطيع الحياء أن يغيب عن الوجود الى هذا الحد ٠ ان الحياء هو قوام الحياة ٠ وبلا حياء لا حياة ٠ وما الانسانية كلها الا الحياء والا صار البشر شأنهم شأن الحيوانات التى لا عقل لها والتى تصنع كل صنيع فى علن فهى حين يتخفى البشر حين يأتون ما يخدش حياء الآخرين ٠

واذا كان الحياء هو قوام الحياة لســائر الناس فهو عند الكاتب حياته كلها وقيمته وبغير حياء الكاتب تسقط حياته جميعا لأن الكاتب يعلن الناس بوقاحته على الحق ٠

وحين يفعل يكون واحدا من اثنين لا أدرى ولا يدرى أحد أيهما شر من صاحبه ٠ فهو اما أن يصارح الناس بأنه خلع أثواب الحياء وليس يعفيه أن يمشى بينهم بغيرها أو هو يجابه الناس أجمعين والتاريخ أيضا بأنهم أغبياء وأنهم لا يفهمون وأنه يستطيع أن يخادعهم ولا يكشفوا خداعه ويماكرهم ويقصروا عن الوصول الى حقيقة أمره ٠

وكلا الأمرين أكثر فجورا من صاحبه ٠

اذا قلنا انه لولا هزيمة يونية لما كان نصر أكتوبر ٠ لجاز لنا اذا أصاب شخص آخر فى مقتل وجاء طبيب فانقذ المصاب المشفى على الموت أن نصفق للقاتل لا للطبيب البارع ٠ فانه لولا أن القاتل رمى المصاب فى مقتل لما استطاع الطبيب أن يحقق المعجزة التى حققها ٠

بهذا المنطق الأخرق المأفون يتحدث عبيد الطغيان عن أكتوبر والأدهى من ذلك والأمر انهم يريدوننا ان نلغى عقولنا وعقيدتنا ومشاعرنا ونؤمن بهذا السخف الذى يحاولون أن يفشوه بين الناس ٠

ولكننا نذكر قول الله تعالى « **أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء أنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا** » سورة الكهف آية ١٠٢ وصدق الله العظيم ٠

لقد كان السادات رجل التاريخ وان رغمت من الأنوف أنوف ٠ ولقد خط اسمه على مشارق الأرض ومغاربها ٠ وحقق النصر الذى أعاد الكرامة لمصر وللعرب أجمعين ٠ وجعل الأعزة حماة مصر يشعرون أن مصر مصرهم لا مصر فئـــة ولا جماعة ٠ وانها هى الأم والنشيدة ٠ وانهـــا أمسهم ويومهم وغدهم وغد أبنائهم وأحفادهم حتى تقوم الساعة ٠

وبايمان عميق بالله العلى القدير القـــاهر فـوق عبـاده وبحب صادق مبارك من السماء لمصر ٠ انتصر العمالقة الاعلام من بعد هزيمة كانوا فى مواجهتها محجوبين عن أبواب السماء ٠ وكانوا حين وقعت بهم أبعد ما يكونون عن مصر لا يشعرون أنهم يملكون من أحضانها أنملا ولا من احنائها ضلعا ولا من أنحائها ركنا ٠ فكانت الهزيمة ٠ فاذا قالوا الله أكبر أظلهم الله برعايته واذا قالوا مصر لنا انقدحت شرارة حبها فى كيانهم ٠ وكان النصر ٠

وأتبع السادات نصر الحرب بنصر سياسى لم يشهد التاريخ له مثيلا فكان أن شق صخور اللهو والشعارات الفارغة والصراخ الأجوف والهزل المائع واتخذ سبيله أمما الى بيت المقدس ووقع الصلح الذى تتقطع الأنفاس اليوم من الذين عارضوه ليصلوا الى قصاصة منه فتنغلق دونهم المسالك وتقفل الأبواب ويحيط بهم الفشل والاحباط ٠

لقد أنقذ السلام أرض مصر من الضياع ٠ وأوقف تدفق الدماء التى سالت من أبناء مصر على مدى ثلاثين عاما ٠ وحول مجرى المال الذى كانت تبتلعه صحراوات الحروب المتتابعة الى مرافق مصر المتهرئة المنهارة ٠

وانى لأسأل ولن أجد من يجيب ٠ الى أى مصير كانت ستلقى مصر لو أنها ظلت الى اليوم فى حروب لا تنتهى ٠

واذا كنا فى ظل السلام نعانى هذه الأزمة الطاحنة التى نشـــقى بها فماذا كنا صانعين اذا كنا لا نزال فى حالة حرب تنتهب فى وحشية ضارية كل أموال مصر مخضبة بدماء الأعزة الأبرار من الشهداء ٠

ويل لهؤلاء الذين يحاولون أن يغضوا من شأن السادات العظيم ٠ وويل لكتاب أسقطوا الحياء عن وجوههم وأقلامهم ٠

فان قلم الكاتب قبســـة من نور الســـماء ونفحه من روح الأنبياء فليكرموا ما حباهم به الله • أو همأكثر ضلالا من ابليس وأعظم مقتا عند الله والناس من الجن والشياطين •

ان فى أعطافهم وعلى لهواتهم وفيما تخط أقلامهم شرور كل وسواس خناس يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس •

وبعد فلقد نرى بعض الناس يطلبون الينا أن نكتب أدبا •• وانى اليوم أستحلفهم بكل مقدس عندهم • ان لم يكن هذا الذى نكتب أدبا فما هو الأدب وحسبنا الله ونعم الوكيل •

١٢/١٠/١٩٨٦ م الأهرام

المسرح والسلطان

شعاع الأمل حين يشق سحابات اليأس يكون فى النفس فرحة لا مثيل لها واشراقا ضاحيا . وقد شاء لى المولى الرفيق بعباده أن أقصد الى المسرح القومى يوم الاثنين الماضى لأشهد مسرحية « لعبة السلطان » . وكنت شهدت من قبلها رواية « ايزيس » . وما دمت اليوم سأتحدث اليك عن الرواية الجديدة فالعدل يقتضى أن أقدم أعظم اعجابى للفنان العظيم كرم مطاوع . فقد استطاع فى رواية ايزيس أن يقدم عملا رائعا فى اخراج مبهر ذكى دون أن يعدو بالاخراج على النص . وقد كان أيضا ممثلا عظيما شأنه دائما وكانت سهير المرشدى فى القمة وكذلك كان كل من شارك فى تقديم هذا العمل الرائع .

لم أكتب عن ايزيس يومذاك خشية أن تكون هى الأولى والأخيرة فى هذا الانتاج الرائع المشرف . وقلت فى نفسى فلتكن فرصتى حبيسة حتى يصبح الأمل حقيقة .

وظهرت بعد ذلك رواية مجنون ليلى لشاعر العربية الأول أحمد شوقى وأبت ظروف الحياة أن تتيح لى رؤيتها .

ثم جاءت لعبة السلطان ورأيتها .

مؤلف الرواية كاتب من أعظم الكتاب الذين يكتبون للمسرح اليوم فهو يتمتع برصيد ضخم هائل من الثقافة العامة والثقافة المسرحية على السواء .

وهو يملك حسا فنيا مرهفا . وحبيب الى نفس مثلى ان يشهد عملا لكاتب له ما **للدكتور فوزى فهمى أحمد** من أصالة وثقافة وفن .

وصدقنى شعورى ورأيت لعبة السلطان فاستطاعت كل جملة حوار فيها أن تمدنا بسعادة ومتعة غامرين .

والحوار فى الرواية حوار شعرى قريب كل القرب من النفس لا تجد فيه كلمة واحدة تستعصى عن الفهم .

وقد استطاع المؤلف أن يجمع فى الرواية بين الأصالة والمعاصرة ٠

فالرواية تبدأ فى القاهرة فى عصر المماليك أو ما يشبهه وينتهز المؤلف هذه الفرصة فيطرح قضايا مصر المعاصرة فى فكاهة حبيبة تجعل مرارة المشكلة مكسوة بالضحكة المنطلقة من أعماق الصدور ٠

ثم هو فى مهارة فائقة ألقى بزمن الرواية الى عصر الرشيد وطرح مشكلة الحكم فى هذا العهد المزدهر الملىء بالأحداث والأمجاد والمظالم فى وقت معا ٠ وفى ثقافة ثرية عميقة بعيدة الغور ناقش آراء المعتزلة ٠ والأفكار الشرعية فى عدالة الحكم ٠ ومدى حرية الحاكم ٠ والى أين ينبغى أن تنتهى حريته واقرأ معى هذا الحوار :

الأشرس : الله لا يرضى بظلم ٠

الرشيد : أنا لم أظلمك ٠

الأشرس : اذا وقع ظلم منك على الرعايا أو من عمالك فتلك مسئولية اختيارك ٠

وأقف هنا قليلا فالقضية التى تثيرها هذه الجملة غاية فى الخطورة والأهمية معا ٠ فالحاكم وصاحب المسئولية فى أى مكان ليس مسئولا عن عمله وحده ولكنه مسئول عن كل شخص اختاره ليقوم بعمل ٠ فاذا ظلمنى عامل فى مكتب رئيس فليس الظلم واقعا منه وانما واقع من الرئيس ٠ واذا ظلم وزير فالظلم وقع من الذى اختاره للوزارة ٠ وعلى هذا المنطق الطبيعى الذى لا يقبل رأيا آخر يجرى القياس فى كل أعمال أعضاء السلطة التنفيذية وبهذا المنطق الذى لا يقبل رأيا آخر ينتفى أن يدافع بعض المغرضين عن أخطاء الطغاة بأنهم لا يعلمون بالطغيان الذى يحيط بالناس من عمالهم ٠ فانهم هم الذين اختاروا عمالهم وهم الذين فرضوهم على الناس فرضا لا مشورة فيه ٠ وهم فى اختيارهم لهم لابد قد تحروا أن يكونوا مثلهم طغاة ان كان الرؤساء طغاة ٠ لصوصا ان كان الرؤساء لصوصا ، عادلون ان كان الرئيس عادلا ، شرفاء ان كان الرئيس شريفا ، فالذى أصدر الأمر بالتعيين يحمل مسئولية الأعمال التى يقوم بها كل من عينهم ٠ وأذكر البيت الشهير :

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة ٠٠ أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وأعود الى حوار المسرحية ٠٠ ونختار موضعا آخر من الحوار لعله سابق بعض الشىء عن هذه الجمل التى اخترتها ٠

الأشرس : مولاى الست الأمام ٠

الرشيد : أوتشك ؟

الأشرس : بل أجزم غير أن العصمة لا تثبت عليك ٠

الرشيد : أنا امام بالبيعة ٠٠ أنا للمسلمين حجة ٠

الأشرس : وأيضا عليك تجوز الشبهة ٠

الرشيد : افصح ٠

الأشرس : ألست تفعل تخطط وتقدر ٠ ألست حرا فى اختيـــار ما تنفذ ٠ لك اذن مشيئة وارادة ولك استطاعة وقدرة ٠

الرشيد : لك الله ٠٠ اكمل ٠

الأشرس : ويبغى مولاى الرشيد من الامامة أن يعود الصلاح على الكافة أم أن تلك منك للبشر افاضة ٠

الرشيد : كلا ٠٠ كى اربح عند الله الثواب ٠

الأشرس : فالوعد والوعيد لكل منا يا مولاى ، على كل حر أفعاله والجزاء وفاقا لما قدمه البشر المكلف ، فى كفره وايمانه ، وفى المعصية والطاعة ٠ ذاك عدل الله وأنا من دعاته ٠

الرشيد : اذن فأنا حر يا ابن الأشرس فى أفعالى ٠

الأشرس : انت يا مولاى حر ٠ وبالعقل حصنت فكلفت ٠

فاذا كنت معصوما فأنت لأفعالك لا تملك اختيارا ٠ وعندئذ يسقط التكليف عنك حيث لا ثواب على لا شىء ٠

الرشيد : لا عصمة اذن فى أفعالى ٠

الأشرس : الله وحده المعصوم وأنت بشر لا تفعل أفعاله سبحانه ٠

الرشيد : اذن فأفعالى يا ابن الأشرس حكمها مرجأ لله وحده يوم القيامة ٠

الأشرس : الأرجاء يا مولاى فلسفة الملوك والحكام كى يبقى حال المظلوم فلا يغضب ، يقبل دون تذمر حكما الهيا لا ينقض ٠ ويحلم بالعدل يوم البعث والبلسم هى الجنة ٠

واكتفى بهذا القدر من الحوار ٠ فأنت لا شك ــ قد استطعت أن تلمس هذه الأعماق البعيدة التى يســـتمد الكاتب المسرحى العظيم فنه منهـــا ٠

ولا أستطيع الا أن أحمد الله الذى من لمينا بالديمقراطية التى قضينا بها على فكرة الحاكم المعصوم وأصبح لا يوجد الا الحاكم الطاغية ولا يكون طاغية الا حين يلغى الديمقراطية وينفرد بالحكم ٠ وهكذا أصبحت فلسفة الأرجاء لا معنى لها فالشعب ان سكت عن طاغية فهو انما يسكت مقهورا لا مختارا وهو فى سكوته مجبر لا اختيار له وهو بالقطع واليقين لا يفكر بفلسفة الأرجاء التى روجها الحكام الذين ادعوا العصمة ٠

وبهذه الفلسفة العميقة يضع **فوزى فهمى** مشكلة زواج العباسة من جعفر البرمكى على المسرح ويجعل منها بؤرة الأحداث ويناقشها من جوانبها الشرعية والعنصرية والانسانية جميعا ٠

وبعد فأنا أهنىء الكاتب العظيم وأودع بين يديه أملا كبيرا فى مسرح رفيع يطلع به هو وأبناء جيله الذين أناروا لنا شعاعا رائعا فى ظلمة سواء يئس أو شك ان يكون خانقا ٠

ولابد لى أن أهنىء المخرج العملاق **نبيل الألفى** الذى أصبح اليوم هو ورعيله روادا للمسرح الحديث وأساتذته وأعلامه ٠

وقد استطاع أن يقدم النص فى اتقان رفيع دون افتعال وتكلف واستطاع أيضا أن يقدم لنا مسرحا متطورا عظيما فى غير جلبة ولا صراخ ٠ وما هذا جميعه بغريب على من كان فى قدرة **نبيل الألفى** وفنيته وثقافته ٠

أما عن التمثيل فحدث عنه ولا حرج فقد شهدنا سيمفونية من الفن الرفيع المايسترو فيها هو الألفى والعازفون جميعا قمم وأعلام شاهقة ٠ مرحبا بالنجم العظيم **نور الشريف** فى بيته من المسرح وما أعظم **عبد الرحمن أبو زهرة** وما أرفع موهبته ضاحكا وباكيـــا وما أروعه وهو يقوم بدور المهرج وما أعظمه وهو يقوم بدور الواعظ وعلى نفس القمة تقف **عايدة عبد العزيز ومحمد وفيق وأشرف عبد الغفور** حتى لقد خرجنا من المسرح عاجزين تماما أن تفضل واحدا منهم على الآخر فقد كانوا جميعا على أعلى مستوى من الفن لا أقول المسرحى المصرى أو العربى وانما أقول وأنا فخور بهم على المستوى العالمى ٠

وبعد فقد شهدت المسرحية كما قدمت فى يوم الاثنين وقصدت أن أذكر اليوم ٠ فيوم الاثنين من الأيام التى تخلو فيها المسارح عادة ولكن المسرح كان موشكا على الاكتمال ٠

اذن فالجمهور يحب الفن الرفيع ويقدره .

اذن فلماذا لا نعود بمسرحنا الى شموخه القديم ويعرض مع الروايات الرفيعة الجديدة مثل لعبة السلطان روايات العمالقة الاعلام « **شـــوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وباكثير** ومالنا لا نعيد الى المسرح الأعمال العالمية الكبرى التى كانت وجها مشرقا عظيما فى تاريخ المسرح العربى .

وما أعظم أن يكون المسرح القومى هو ميدان الأعمال السامقة التى تبقى على مصر ريادتها الفنية الباذخة .

وبعد فاننى أهنىء السيدة الفنانة العملاقة **سميحة أيوب** مديرة المسرح القومى بهذا الجهد الرفيع الذى يتفق وتاريخها الفنى العريض .

١٩/١٠/١٩٨٦٨ م الأهرام

السيف والذهب

صورة قلمية

قد يطيب للحياة بين الحين والآخر أن تؤلف قصة فنية تلتزم فيها بجمع قواعد القصة التى وضعها النقاد . وهذه القصص الفنية نادرة فى مجموعات الحياة القصصية . فأغلب قصصها بعيدة عن المعقولية التى يلتزم بها القصاصون فهى لا يعنيها فى شيء اقناع المطلع على ما تكتب ولا يعنيها أيضا رضاؤه أو عدم رضائه . ولعل شوقى هو أعظم من وصف قصص الحياة الضارية فى قصيدته الخالدة مصاير الأيام . وان الحياة حين تؤلف قصصها تبدو لبنى الأرض كأنها ظالمة لأن الانسان لا يعرف إلا عدالة ضيقة الحدود ضئيلة المعالم . أما عدالة السماء فتشمل الكون كله وهو سبحانه وحده يعلم وليس غيره يعلم ما هو خير لعباده فهو يطبق عدالته تقدست اسماؤه بالصورة التى تمكن العدالة أن تتاح لجميع عباده وهو حين يطبقها يشفعها بكرمه ولطفه ورحمته التى كتبها على نفسه .

فشوقى حين كتب أبياته هذه الخالدة التى سارويها لك سجل ما تجرى عليه الحياة فى ظاهر أمرها ، لأن الله وحده هو الذى يملك ما وراء أحداث الأرض من عدالة تشمل الجميع . وقد أعجبت باحصاء قامت به سيدة أمريكية أثبتت به أن الناس جميعا يتمتعون بأنصبة متساوية من السعادة تقابلها أنصبة متساوية من الشقاء فكل انسان حظى بقدر من السعادة يعدل ما أصاب الآخرين وناله قدر من الشقاء نال مثيله الأخرون ، والله وحده يعلم مداخل السعادة والشقاء فى نفوس أبناء البشرية . فقد يقع الحدث الهين ولكن الشقاء به فى نفس من وقع عليه يكون فادحا . وقد ينال انسان ما خيرا ضئيل الشأن ولكن سعادته به تفوق كل سعادات الدنيا .

يقول شوقى :

قطيع يزجيه راع من الدهر ليس بلين ولا صلب
أهابت هراوته بالرفاق ونادت على الحين الهرب
وصرف قطعانه فاستبد ولم يخش شيئا ولم يرهب

أراد لمن شـــــاء رعى الجـديب وأنزل من شـــاء بالمخصـب
وروى على ريهـــا الناهـــلات ورد الظمـــاء فـلم تشـــرب
وألقى رءوسـا الى الضـــاربين وضــن بأخرى فـلم تضــرب
وليس يبـــالى رضـا المستريح ولا ضـــجر النـــاقم المتعب
وليس بمبـق على الحاضـــرين وليس ببـــاك عـلى الغيـب
فيا ويحهم هل أحســوا الحيـــاة لقـــد لعبـــوا وهى لم تلعـب

هكذا الحياة اذن حين تؤلف . ولكن القصة التى سأرويها لك اليوم كاملة الخطوط لن ترى فيها عوجا ولا أمتا وان كنت سترى فيها أموال مصر كيف امتهنت . وأقدار الناس كيف ضاعت . وسترى فيها الرعب وكيف فشا فى حياتنا فى عهد الطغيان الأسود والجبروت العاتى .

كان أستاذا فى الجامعة وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا فكان . وكان قد استطاع على مدى أيام حياته أن يبنى لنفسه ولبنيه عمارة يسكن بها هو وأولاده ولم يترك بالعمارة شقة خالية لابنه حين يتزوج مطمئنا الى القانون الذى كان ساريا فى ذلك الحين ان من حق صاحب العمارة أن يخلى شقة فى ملكه أو أكثر اذا كان الاخلاء من أجل أبنائه أو بناته عند الزواج .

ولكن هذا القانون ألغى فجأة ودون مناقشـــة وبأمر قاطع باتر لا مراجعة فيه ولا تدبر .

وبلغ ابنه سن الزواج . ووجـد العروس ولم يبق الا ان يجـد العروسان سقفا يضمهما .

ووقع الوزير فى حيرة . ووجد بين سكان عمارته شخصـــا فردا يستأجر شيقة ولكنه لا يقيم بها وانما له غيرها فظن فى سذاجة أنه يستطيع أن يفاوض صاحب هذه الشقة أن يتركها لابنه . ولكن كيف ؟ ومتى كانت الانسانية عاملا ذا قيمة فى دنيا الجشع .

رفض الرجل وراح يرسل البرقيات الى كل ذى سلطان . أن الوزير يريد أن يخرجه من مسكنه وانه يستغل منصبه .

وملأ الرعب قلب الوزير المسكين ، وانطوى قطا هالعا . وذهب الى صاحب الشقة يعلنه أنه تنازع عن رجائه وانه لا يريد الشقة وأنه ليس

من الضرورى أن يتزوج ابنه على الاطلاق · فلا بأس أن يظل الابن بلا زواج اذا كان فى زواجه سجن الأب وسحقه · فقد كان الوزراء من أساتذة الجامعة أكثر الناس قربا الى الهوان والتدمير اذا ما غضب عليهم السلطان أو أحد الأمراء المقربين للذات العلية ·

ولكن هل سلم الوزير ·· هيهات · كان كلما لقى وزيرا من أمراء الزمان طالعه فى جهامة ؟

ـ ما حكاية الشقة !!

ويقول الوزير المغلوب على أمره ·

ـ لا ·· شىء ·· لقد صرفت النظر عنها ·

كان الوزير أستاذ الجامعة السابق يدرى كل الدراية أن العلم الذى يحمله يجعله عرضة للتمزيق والتحقير · ففى عصر الجهلاء يصبح العلم تهمة وتصبح الثقافة جريمة لا تغتفر · فأبشع أنواع الجهل العلم الناقص ورحم الله شوقى أيضا حين قال :

كل تعليم تـــــراه ناقصـــــا سلم رث اذا استعمل خانا

وفى يوم اجتمع مجلس الوزراء برئاسة القطب الأعظم وجرى الحديث من فرد واحد يلقى الأوامر لتصبح نفاذا !!

ولاحظ الدكتور والوزير أن الذات العلية مشيحة عنه فأوجس كل شرور الدنيا وانتهى الاجتماع ونظر السلطان الى الوزير المذعور ·

ـ لا تنصرف قبل أن أراك ·

ـ أمرك ·

ـ ستعرف متى ألقاك حين أرسل اليك ·

ـ أمرك ·

ودلفت الذات العلية الى حجرتها الخاصة ·

وظل الوزير مرتجفا فى انتظار طال ثم جاء له السادن حامل الأختام وقال له :

ـ ما هذا يا دكتور الذى صنعته ·

ـ ابنى ـ لعنة الله عليه ـ أراد أن يتزوج ·· وهل تأتى المصائب الا من الأبناء هل كان لابد له أن يتزوج · وهل ستخرب الدنيا اذا لم يتزوج ، سخف وحماقة أنصبت على دماغى · وعلى كل حال انا اعتذرت

لصاحب الشقة وسحبت رجائى الذى توجهت به اليه ولا داعى أبدا أن يتزوج ابنى .

ـ اسمع انت ستدخل الآن الى السلطان قبل أن تدخل حجرته ستجد كوب ماء وأقراص فليوم للتهدئة خذ قرصا .. أو لعل من الأحسن أن تأخذ قرصين وادخل ولا تناقش واسمع فقط .

ـ أمرك .

وتوجه الوزير مرتعش الأطراف وفتح بابا فوجد الأقراص والماء فتناول ثلاثة أقراص . وانتظر لحظات يقرأ الآيات القرآنية لعلها تثبت بعض قلبه الذى أصبح وكأنه بين مخالب طائر يهوى فى السماء صعدا .. ثم قرأ الفاتحة وبسمل وبيد توشك على الشلل فتح الباب وطالعه الهول الآخذ والرعب المبين .

ـ ما هذا يا دكتور .

وصمت الدكتور وقد أصبح فقدان الوزارة أملا له فى تلك اللحظة . فهو انما كان يخشى ما يلى هذا الفقدان من سجن وعذاب وتمزيق أعراض وأجساد أو كان يخشى التشريد فى أقطار مصر بلا مأوى ولا ملجأ ولا أمان .

صمت وظل البركان ثائرا حتى اذا استوقفت الثورة وبلغت قمتها قال السلطان :

ـ مر على السادن حامل الأختام قبل أن تغادر الى بيتك .

واستطاع الوزير أن يستجمع لسانه ليقول :

وخرج وذهب الى السادن حامل الأختام منتظرا أن يصدر اليه الأمر بأن يلزم البيت ويترك الوزارة ولكن أمرا عجيبا حدث قال السادن حامل الأختام :

ـ مثل هذه الأمور لا تكون هكذا .. كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف .

ـ لم أكن أعرف .

ـ على كل حال خذ هذان : مفتاحان لشقتين مفتوحتين على بعضهما البعض من شقق الحراسات فى أفخم عمارة فى القاهرة وأخذ الوزير المفتاحين وهو لا يصدق نفسه .

ولم يجرؤ الوزير وهو يركب سيارة الوزارة فى طريقه الى البيت أن يفكر ولو لحظة واحدة .. أكانت الحراسات قد وضعت على الناس

لتصبح أموالهم ملكا خاصا للذات العلية والأمراء والسدنة وحملة الأختام والقماقم ٠

لقد كان التفكير جناية عقوبتها فى تلك الأيام لها من الشراسة والفجور ما يجعل الاعدام معها رحمة وشفقة ولطفا ٠

ومع ذلك مازالت هناك السنة تلهج بمديح تلك السنين السفاكة التى أنقذنا منها الله بواسع فضله وغامر نعمته جل جلاله وسبحانه وتعالى عما يشرك به الطغاة المشركون ٠٠ له الحمد وله الشـــكر فانه لا موئل للانسان الا كريم وجهه !

الأهرام م ١٩٨٦/١٠/٢٦ ٠

الـــكاتب وابليس

أقرأ فى كتاب الأجوبة المسكتة وقد وجدت فيه حوارا أعجبت به غاية الاعجاب · فقد كان الحجاج يستعمل كاتبا له اسمه أبو العلاء يزيد ابن أبى مسلم · وكان من شأن الكاتب أن يكون موضع سر الأمير الذى يعمل له وكان من الطبيعى أن يكون مقربا اليه أثيرا يعرف خاصة شأنه ، وكان من الطبيعى أيضا أن يكون الكاتب ذا شفاعة مقبولة ·

والحجــاج بن يوسف الثقفى من أكبر عتاة التاريخ ومن أعظمهم ارتكابا للمظالم ولعل تاريخ العرب لم يعرف فى عصوره الأولى ــ وليس فى العصر الحــديث ــ طاغية فى مثـــل طغواه · وله الجبروت والفجور احداث واحداث حسبك أن تعلم منها انه وهو المسلم هاجم الكعبة واستباح حرمتها ليحارب عبد الله بن الزبير وابن أسماء ذات النطاقين وكانت عــلى قيد الحياة حين اقتحم الحجاج الكعبة وأسر عبد الله بن الزبير وقتله وعلقه مقتولا امعانا منه فى التمثيل به ·

ولو مضينا فى الرواية عن جبروت الحجاج ما وقف بنا القلم · فلنتركه جانبا فان أمره شائع ذائع لا يحتاج الى مزيد من تفصيل ·

ومات الحجاج لأنه انسان مهما يبلغ به البغى أقصاه فهو يموت وهو لا يستطيع أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طــولا وزعموا أنه قال وهو يموت : « اللهم اغفر فقد زعموا انك لا تغفر » وهكذا أقر بكفره وهو يموت أيضا فمهما يكن فجوره فهو يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يشرك به ·

ولا تقتصر أنواع الشرك على القول وحده بل ان ألوانا من الشرك أبشع وأفدح · فحين يشارك انسان الله فى ملكه فيقتل فى غير ذنب · ويعذب دون سؤال ، ويندفع فى الحياة اعصارا من الهول الوبيل ، يصبح مشركا بالقول والفعل جميعا · لمثل هؤلاء تفتح جهنم أبوابها · ومهما يحاول الحجاج أن يوقع بين الله وعباده فان الله مبطل مكره · فهــو من يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور ·

مات الحجاج اذن وجرى عليه ما يجرى على كل بنى آدم ٠

وتولى بعد فترة سليمان بن عبد الملك الخلافة وكانت قد أصبحت أشبه بالملك منها بالخلافة ٠ وأراد سليمان بن عبد الملك أن يتخذ كاتب الحجاج أبا العلاء كاتبا له وأراد أن يحتضنه ويقربه اليه ويصبح كاتم سره وأمين عرشه ٠ والكاتب حين ينال هذه المكانة يصبح ذا شفاعة عند الملك مقبولة ، وذا رجاء مجاب ، ومن كان هذا أمره استطاع أن يكون عاصفة ضارية فى شتى مجالات الحياة ٠

ولعل هذا الحوار الذى أنقله اليك يعيننى على تفصيل ما أجملت ٠

حين أراد عبد الملك أن يختار ذلك الكاتب ويحتضنه ، عارضه فى الأمر خامس الخلفاء والمثل الأعلى فى العدالة عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ ولم يكن قد ولى الخلافة بعد بطبيعة الحال وقد نصحه بالعدول عن أبى العلاء ذاك وقال له :

ـ أناشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تعيد ذكرى الحجاج بن يوسف وتحيى سيرته باستكتابك كاتبه وجعله أمين سرك ٠

فقال له أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

ـ يا أبا حفص انى كشفت عنه فلم أقف له على خيانة فهو لم يسرق فى أيام الحجاج دينارا ولا درهما ٠

فقال أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ـ أنا أدلك يا أمير المؤمنين على من هو أعف عن الدرهم والدينار من كاتب الحجاج ٠

فقال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ٠٠

ـ من هو يا أبا حفص ؟ ٠

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ـ هو ابليس لقد أهلك الحرث والنسل وأشاع الضلال والفساد فى الأرض ولم يلمس درهما ولا دينارا ٠

فقال سليمان بن عبد الملك :

ـ لقد تركناه بعد أن لزمتنا الحجة ٠

والى هنا ينتهى الحوار الذى نقلته نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب الأجوبة المسكتة ورحت أفكر فى الأمر ٠

اذن فالكاتب الفاسد الضمير بجانب العاتية معدوم الضمير أشد هولا على الناس من ابليس وهو ابليس ٠

فابليس واضح المعالم جلي السمات قال سبحانه وتعالى فى سورة « الحجر » « **فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين • قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين • قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون • قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك اللعنة الى يوم الدين • قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون • قال فانك من المنظرين • الى يوم الوقت المعلوم • قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** » الحجر الآيات من ٣٠ : ٤٠ صدق الله العظيم •

فابليس اذن واضح مع نفسه أخذ على نفسه العهد أن يغوى الناس ويحيد بهم عن الصراط المستقيم وهو فى حضرة رب العرش وقد أنظره سبحانه وتعالى وأمهله الى يوم البعث بمشيئة الهية فما من شيء فى الكون يحدث الا بمشيئته سبحانه فابليس اذن يقوم بالعمل الذى رصد نفسه له منذ أبى ان يسجد لآدم مع الساجدين •

أما الكاتب المخادع فهو شر من ابليس ، وأشد وبالا لأنه حين أصبح كاتبا انما أصبح كذلك بثقة أولاها اياه القراء وبهذه الثقة أفسحت له الصحف صدورها ، وبهذه الثقة قد يختاره السلطان ليكون كاتبا وكاتم سره ونجيه • وهو ــ لا شك ــ سيسأله المشورة فان لم يكن بعيدا عن الهوى • يخلص السلطان الرأى ويقدم له النصح بعيدا عن الرأى بريئا من النفع الشخصى نقيا من الغرض فهو اذن كارثة لا مثيل لها ومصيبة لا دفع لأهوالها •

وحين يقترب الكاتب من السلطان ويصبح قربه منه شهيرا بين الناس معروفا ، يصبح لكتاباته وقع آخر غير الواقع الذى يثيره الكتاب الآخرون عند عامة الناس من القراء بل وعند الخاصة أيضا •

وحين يشتهر قرب الكاتب الذى خلا من الحياء والذى تجرد من الضمير يصبح موئل نفاق عند الناس • وتصبح كل مطالبه مجابة بل هى قد تصبح أوامر لا تقبل المراجعة • فالحاكم الطاغية يصبح كل من حوله طغاة • والكاتب فيهم هو أوسعهم طغيانا وأبعدهم فجورا لأن صلته بصاحب السلطان معلقة بكل وسائل الاعلان • وهو أيضا يعمل بكل جهده على اذاعتها حتى لا يصبح أحد فى العالم جاهلا بها •

وهذه الصلة فى عصرنا الحديث جسور ممتدة الى جميع أنحاء العالم • فوسائل الاعلام فى كل مكان يهمها أن تنشر كل ما يتاح لها عن رؤساء الدول • فاذا وقعت على كاتب محترف كان لصيقا لكل ملتصق برئيس دولة فهذا الكاتب طلبتهم وبغيتهم ونشيدتهم وهدفهم يوسعون له مجالات

النشر ويغدقون عليه الأموال اغداقا لا يمكن أن يتاح لهذا الكاتب لولا هذه الصلة الحميمة من رئيس دولة ٠

ولما كانت الطيور على أشكالها دائما تقع ٠ فاننا نجد الطغاة يختارون أصفياءهم وكتابهم وذوى الرأى عندهم وأصحاب المشورة من المنافقين حتى لا يعارضوا ، ومن السفلة حتى يحمدوا الظلم ، ويمجدوا الأخطاء ، ويحمد الجرائم ، ويباركوا ألوان الخسف والجبروت التى ينزلها الطاغية على عباد الله ٠ ومن الحتم أن تكون هذه البطانة من الذين لا يؤمنون بالله ولا بالآخرة ، لأن المؤمن بالله يخاف عقابه ٠ والمؤمن بالآخرة يخشى نيرانها وجهنمها وبئس المصير ٠

وهكذا ترى أن الكاتب المعدوم الضمير شر من ابليس ٠ لأن ابليس أعلن أنه سيغوى الناس ، بينما الكاتب المنافق يعلن للناس انه سيرشدهم الى الحق ثم يروغ به الى الباطل ٠ ويقول لهم فى العلن انه سيقدم اليهم الهداية ثم ينحرف بقرائه الى الغواية ٠

فما كان أعظم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين نصح سليمان ابن عبد الملك ألا يتخذ كاتب الحجاج كاتبا له ، لأن هذا الكاتب الذى استخلصه الحجاج لنفسه طالما مدح الطغيان وهون الجبروت وجعل من فجور الحجاج فخرا ومن ظلمه عدلا ومن قبحه جمالا ومن كفره ايمانا ٠

ومثل هذا الكاتب اذا كان سليمان بن عبد الملك اختاره وختم له بالوظيفة لأمسى وبالا عليه ولجعل الناس يتوقعون من سليمان بن عبد الملك حجاجا آخر مسلطا على أقدارهم وأرزاقهم وكراماتهم وحريتهم وحياتهم ٠

ما أعظم عمر بن عبد العزيز خامسا للخلفاء الراشدين وما أعظمه وهو بعد لم يصبح أميرا للمؤمنين ٠

الأهرام ١٢/١١/١٩٨٦ م

« البحـر لا يحترق » ..
والجيل الذى يحترق

مازال الواقع المتغير أبدا يفرض ظله الثقيل على الكاتب فلا يجد بدا من التوقف عنده والاغراق فيه .

غير أن الواقع يتخذ فى كل جيل شـكلا جديدا ، فاذا اتخذ عند طه حسين فى « **شجرة البؤس** » الشكل الحضارى ، حيث كانت تواجه مصر فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى الدين والعادات والتقاليد ، فان هذا الواقع يتخذ عند ثروت أباظة فى أحدث رواياته « **البحر لا يحترق** » مجموعة من المتغيرات التى تنعكس فى شكل الحياة وطبيعة تصاريفها .

فاذا كان الحاج طه حسين حضاريا اجتماعيا كان الحاج ثروت أباظة اجتماعيا فى المقام الأول واذا كنا مضطرين الى مقارنة « **شجرة البؤس** » و « البحر لا يحترق » ، فلان العنصر الدال منها يتحدد عند تطور الأجيال ، فضلا عن تشابه الأحداث الا قليلا .

اننا فى « **البحر لا يحترق** » أمام التاجر لمبرو وزوجته التى تساعده فى احدى القرى المصرية ، حتى اذا ما رحلت يسعى لمبرو اليونانى الى سويلم ليساعده عوضا عنها ، ويسعى سويلم بدوره ـ وهو لم يجاوز العشرين ـ الى العمل مع لمبرو ويتزوج ويلعب طيلة النص دورا محوريا ، فهو يسعى بمعسول كلامه الى الحاج محمدين تاجر الحمزاوى فيوثق علاقته به ، وهو يسعى ليزوج ابن الحاج فؤاد بابنة عمدة الفؤادية ـ وهيبة ـ وهو يجنى صنيع عمله ، وأمانته من الخواجة الذى يترك له كل أمواله قبل وفاته ... فاذا بسويلم ، وقد أصبح تاجرا مرموقا ، يجىء الى القاهرة ويقيم مع الحاج وابنه لتتكون الأسرتان (أسرة سويلم وأسرة فؤاد) فيشتريان العقارات وينجبان الأولاد (سويلم / مجدى ، فؤاد / فكرى ، والهام) ، وحين تهيأ أسرة فؤاد لتزويج ابنتها من ابن سويلم يرفض أبناء الجيل الجديد مثل هذا الاقتران الموعز به فى وقت يمضى الزمن فيه بمجدى فيستقيم فى دراسته وعمله ويتزوج من أخرى أحبها ،

أما فكرى ، فانه يلحق ببعض رفاق السوء ويؤثر طريق المخدرات والرقيق الأبيض ويقترن من غانية ، ويستيقظ مجدى فى أحد الأيام على رجاء زميل له بالعمل لينقذ ابنه من هذه العصبة التى تضم فكرى ، فيقنع الزميل ابنه ليستنقذه بارغامه على السفر ··· ويذهب مجدى الى أسرة فؤاد بالفعل ··· وحين يخلص فؤاد الأب وزوجته النصح للأمين هو لا يلتفت اليهما ، ويكون على الأب أن يضع أمواله كلها ــ كما فعل لمبرو مع سويلم ــ فى أيدى مجدى الأمين ليعيدها الى الأب فى حالة واحدة بعد رحيله أم عودته للرشد ، ففى كل جيل دائما « الشرفاء وغير الشرفاء » ·

على هذا ، فان العنصر الدال فى الرواية يظلل تطور الأجيال بحيث يحدد فيه الأجيال الفعل ، ففى حين يمضى جيل الى الأمام فان ثمة جيلا آخر يمضى الى الخلف ، فالجيل الأول يمضى كالبحر « لا يحترق » والجيل الآخر يقضى بأن يحترق حين يحكم عليه بالبتر ، وهو المصير الذى اختارته أم فكرى لابنها العاق « ان العضو الفاسد اذا لم يبتر يقتل » ·

وفى هذه الحالة الأخيرة ، فان المقابل ، لتطور الأجيال ، فى جانب منه ، يكون ، الفعل الردىء ، وهو قرين الشر الذى يوجد دائما فى كل جيل ، ويوجد دائما معه سلاح الحسم القادر على البتر من أجل القصاص والاصلاح والتغيير ·

الرواية على ما تحمله من رؤية اجتماعية ، فان التطور الداخلى فيها يفوق التطور الخارجى ويطغى عليه ! ، فالرمز يتطور فى أحشاء الحدث بطيئا لا يعلو الى طفرة التحول الكبير المباشر ، والرؤية الاجتماعية تتحدد حول ردود فعل أفراد فى المجتمع دون أن تضع هذا الفعل فى موضع التساؤل والدهشة ، فكان التغيير هنا يظل أسيرا للداخل (الانسان) وليس للخارج (وتطور المجتمع وتداعبه ·· لفعل الفرد وليس لفعل هذا الواقع الكابوس ·

وهو مأخذ لا تفلت منه أغلب الأعمال الابداعية الآن ··· فالحاضر يرصد جيدا دون سبر أغوار وتكشف بواعث التغيير فيه مما يحول بيننا وبين التنبؤ بالمستقبل أو الهجس به ·

وثمة أمر آخر لا يمكن اغفاله ، فان الرؤية التى تستمد خيوطها من الحاضر لا تلتزم بضمير الحكى الروائى الذى التزم به صاحبه دائما ، وانما شهدنا خروجا غير مبرر ، كأن يعلو صوت سويلم فى اللوحة الثانية بضمير المتكلم ، أو أن يعلو صوت الهام فى اللوحة السادسة عشرة ، دون

أن يبرز أيضا خروج الضمائر وتباينها ··· وعدم ذوبانها في النسيج العـام ·

غير أن هذا كله لا يجب أن ينسينا الاشادة باللغة الجزلة والأسلوب الطبيعى الذى يميز نسيج الحكى الروائى ، وهو ما يمكن أن يلحظ أكثر فى الحوار الذى لم يغادر العربية الفصحى بأية حال ··

مما يكن ، فان رواية « **البحر لا يحترق** » حرصت على أن تؤكد أن الجيل هو البطل ، كما جعلت من عقد السبعينيات وامتداده محورا أساسيا من محاور العمل فى حدود الحاضر دون وضع هذا الحاضر موضع تساؤل أو تفسير كبير ·

الأهرام ٦/١١/١٩٨٦م

تعقيب عـلى المسـئولية

قدر لى أن أشهد بالتليفزيون فيلما عن حياة ايزنهاور • والفيلم يبدأ بايزنهاور حين تولى قيادة جيوش الحلفاء تمهيدا للهجوم الشـامل على أوروبا • ذلك الهجوم الذى بدأ من الشاطىء الفرنسى وأدى الى نهاية الحرب بهزيمة جيوش المحور •

والفيلم من الناحية الفنية غاية فى الروعة • وانك لواجد فى أغلب مشاهده مواقف انسانية تهز المشاعر فى قدرة حوارية فائقة •

وقد استثارنى الى الكتابة عن هذا الفيلم فقرتان من الحوار رأيت أنهما يمثلان معنى الديمقراطية فى أعظم صورها • بل هما يمثلان فلسفة الحكم فى كل أشكاله ونظمه •

ففى أحد مشاهد الفيلم يحدث لقاء فيه كثير من العنف بين منتجمرى وايزنهاور • بعد هزيمة ساحقة للقوات الأمريكية فى أفريقيا •

ويقول ايزنهاور :

ـ لقد نحيت القائد الذى كان مشرفا على العمليات الحربية وعينت آخر بدلا منه •

ويقول منتجمرى :

ـ فاذا كان شيئا مثل الذى نحيته ماذا أنت صانع ؟

ـ أنحيه وآتى بغيره •

ويقول منتجمرى فى لهجة ساخرة قاسية •

ـ انى لأعجب أيها الجنرال من سينحيك أنت اذا أخطأت •
ويبتلع ايزنهاور الاهانة على مضض ويصمت •

وفى حوار آخر نشاهد ايزنهاور يتفقد ميدان القتال ويحس بالألم المزوع من رؤية الشباب القتيل •

ويقول لرفيقه فى المسير •

ـ أتمنى ألا ينظر هؤلاء القتلى الى هذه النظرة المتهمة النافذة ••

ويقول رفيقه ·

ـ ان قوادك لم يحسنوا معاونتك ·

ويقول ايزنهاور في شجاعة منقطعة النظير ·

ـ أنا الذى اخترت هؤلاء وأنا وحدى الذى أحمل المسئولية ·

وسواء كان هذا الحوار منقولا عن ايزنهاور وهو الذى قال هذه الجملة أم أن كاتب الحوار ألفها فهي تمثل قاعدة أساسية في الحياة السياسية ·

فالشخص الذى يختار يحمل مسئولية من وقع عليه اختياره · وخاصة اذا كان الاختيار ليس نتيجة انتخاب من عدة أشخاص ·

ففي النظام الديمقراطي حين يتقدم حزب بأسماء الأعضاء الذين يمثلونه في الوزارة يصبح الحزب مسئولا عن كل وزير مسئولية تضامنية · فاذا أخطأ الوزير أصبح الحزب كله متهما ولابد أن يتخذ الحزب اجراء حاسما وقد يستقيل كل وزرائه من الوزارة اذا كانت التهمة فادحة الأثر ·

وفي نظام انتخابات القائمة يكون الحزب مسئولا عن كل عضو رشحه الحزب في قائمته · بل هو يحمل نفس المسئولية في الانتخاب الفردى لأنه حين يرشح شخصا ما لعضوية المجلس النيابي فهو انما يعلن بذلك ثقته في هذا الشخص ·

فاذا خذله النائب واتضح أنه لم يكن جديرا بهذه الثقة يقع في ضمير الحزب جميعه أن يتخذ اجراء ضد هذا النائب الذى خان الأمانة ولم يرع ما علقه به حزبه من ثقة حين رشحه ولا ما أولته اياه دائرته من تأييد حين انتخبته ·

وفي النظام الرئاسي يعين رئيس الدولة الوزراء جميعا بمعاونة رئيس الوزراء ولا شك أن الرئيس حين يصدر المرسوم بالتعيين يكون قد جمع في يديه المعلومات الوثيقة التي تؤكد له أن هذا الاختيار الذى يقدم عليه اختيار موفق · وأن الوزير الذى يختاره جدير بأن يحمل الأمانة الملقاه على عاتقه · فاذا فشل الوزير في القيام بالعبء · واذا لحقت بتصرفاته أو ضار الشك التى ترقى الى اليقين · واذا أصاب صوالح الدولة بالضربات القاتلة يكون الرئيس الذى عينه هو المسئول أمام الشعب عن هذا الاختيار ، لأن هذا الوزير لم يتقدم في قائمة حزب ولم يختره للكرسى

أعضاء جماعة بذاتها ۰ وانما اختاره الرئيس ۰ فالاختيار أولا وأخيرا بيد رئيس الجمهورية الرئاسية ۰ وطبيعي أن يقيل الرئيس ذلك الوزير وطبيعي أيضا اذا فشا في الوزراء الضعف والتردد والعجز عن مواجهة المسئولية التي أقسموا اليمين أن يحملوها أن تستقيل الوزارة أو تقال وليس هناك في الحكم الرئاسي فارق بين الاقالة والاستقالة ۰

الا أن الرئيس وزيره الأول يعلن غضبه عليه ، وحين يأمر رئيس الوزارة في خفاء عن الناس أن يستقيل يكون حينذاك راغبا أن يجعل غضبه على وزيره الأول طي الكتمان غير معلن اعلانا رسميا ۰ ولكن الغضب واقع في الحالين فليس من المعقول أن يكون رئيس الدولة راضيا عن رئيس وزرائه وفي نفس الوقت يطلب منه أن يستقيل ۰

والرئيس في الدولة الرئاسية في مواجهة غير ذات قناع مع الشعب۰ فهو وحده يحمل مسئولية كل تقصير يقع فيه أي وزير من الوزراء ۰ لأنه هو الذي اختار هؤلاء الوزراء ۰ وهو وحده الذي وضعهم على كراسي الحكم وأسلمهم أزمة التحكم في أقدار الشعب ۰ وأصبح يقع في ضمائرهم أيضا سمعة الدولة التي يمثلون فيها السلطة التنفيذية وهم المسئولون أن يرفعوا دولتهم الى قمة الثقة بها عند الدول الأخرى ۰ فليس في العالم دولة تستطيع أن تحيا الا اذا ظفرت بثقة المجتمع الدولي ۰ وهم أيضا المسئولون اذا تردوا بدولتهم الى حضيض الاحتقار في نظر الأمم الأخرى حكومات وشعوبا في وقت معا ۰ والرئيس حين عينهم يعلم علم يقين أن بيدهم أن يبثوا في نفوس الدول والشعوب الثقة بدولتهم وبيدهم أيضا أن يحطموا كل ثقة بها ۰

والرئيس حين يختار يعتمد على ما يتقدم اليه من بيانات فاذا اتضح له أن الوزير الذي اختاره لم يكن جديرا بهذا الاختيار أصبح من الحتم أن يعيد رئيس الدولة النظر في هؤلاء الذين قدموا له المعلومات التي اعتمد عليها في هذا التعيين ۰ فانه يستحيل على رئيس الدولة ان يعرف كل الجديرين بتولي الوزارة وهذه الاستحالة واقعة بصورة مضاعفة آلاف المرات عند اختيار المرشحين للمجالس التشريعية ۰ فالاختيار اذن يتم بناء على معلومات من جهات ومن أشخاص ۰ وهؤلاء يمثلون أخطر أجهزة الدولة فانه بناء على ما يقدمون من حقائق يختار الرئيس معاونيه من الوزراء ۰ والوجوه الصالحة لتمثيل حزبه في المجالس النيابية ۰

فاذا كان هذا الجهاز وهو يضم ــ لا شك ــ مؤسسات وأفرادا في وقت معا ، غير صالح ۰ واذا كانت المؤسسات فيه لا تحسن تقصي الأنباء

عن المرشحين ومعرفة أخلاقهم وتاريخهم في داخل الدولة وخارجها ، اذا كانوا قد عملوا خارج الدولة . واذا كانت هذه المؤسسات يديرها أشخاص يميل بهم الهوى الى الظلم . ويهوى بهم الغرض الى قلب الحقائق أو اختلاق المحاسن أو المثالب بغير حق . أصبح من الحتم ازالة المؤسسة جميعا وانشاء أخرى لا تتحرى الا الأمانة والصدق والعدالة . أفرادها كلهم لا هوى لهم الا دولتهم ولا عرض لهم الا الصالح العام .

واذا كان بين المستشارين الذين يأنس الرئيس الى رأيهم ، من يقدم رأيه بناء على صداقات في الماضي وطيدة ، أو آمال عريضة غير مشروعة في المستقبل . فالمستشار هنا غير جدير بأن يكون صاحب مشورة ، لأن الرأى في أمور الدولة اذا قام على غير العدل والعدل وحده فهو كارثة الكوارث .

فاذا تبين للرئيس ــ وما أيسر ان يكشف هذا ــ أن الذى يستشيره صاحب هوى أو باحث عن منافع ذاتية أصبح من الحتم ان يستبعده عن المكان الذى يتيح له أن يقدم رأيا أو أن يكون من أهل المشورة .

ان أى رئيس انسان . والانسان لا يستطيع الا بغيره في خاصة شأنه وفي مألوف حياته . فكيف بهذا الانسان وهو يحمل على كتفيه أقدار الملايين من عباد الله في حاضرهم ومستقبلهم ومستقبل أولادهم . فاذا لم يتهيأ لرئيس الدولة أصحاب مشورة يصدقونه عند الرأى ويخلصونه عند المشورة . فويل كل الويل . للشعب ولمصائره جميعا .

هذا الحديث لا يصلح الا للدول التى تتخذ الديمقراطية واجهة للحكم فيها فانه لولا الديمقراطية ما علا صوت من رأى ولا كتبت وجهة نظر . وما الديمقراطية ان لم تكن قولا شريفا وقلما حرا لا قيود على سنه ، ورأيا متخففا من كبول الديمقراطية بريئا من قيود الطغيان .

فبحق هذه الديمقراطية يكون هناك الرأى وتلتمس المشورة ويسعى رؤساء الدول الى من يتوسمون فيهم الصدق والأخلاق ليعرفوا منهم الحق والباطل والعدل والظلم .

أما الديكتاتور فلا رأى هناك الا ما يرى . ولا قول عند اعتابه الا النفاق وزور القول وما يطيب لغبائه أن يسمعه وما يحلو لوحشيته أن يصغى له .

فالديكتاتور خلية سرطانية من البشر وحسبك نظرة الى بهلوان ليبيا أو فرعون سوريا وما أسرع ما تعود اليك نظرتك بالاشفاق على الشعوب التى يحكمها الفرد والآسى على البشرية التى يمثلها أولئك الطغاة الذين لم يفلت أحد فيهم من الخبال والتخبط تخبط من به من الشيطان مس ان هؤلاء الذين يحكمون بالقهر والعذاب يتعرضون لحلقة شيطانية تصيبهم بالجنون المسعور ٠ فهم يرتكبون الآثام والمخازى ٠ وهم يدمرون البشرية ويحطمون كل نبالة فى الحياة ويمزقون كرامات البشر ٠

وبدلا من أن يسمعوا كلمة حق تردهم أو تحاول أن تردهم الى بعض صواب ينسكب عليهم المديح والتمجيد ارسالا ، وكيف لا والناس تعلم ان الذى يصمت عن تأليه ذواتهم الشيطانية مصيره أن يمزق عرضه ويشتت أهله ويصبح الموت بالنسبة اليه أملا يحلم به ولولا خوفه أن يذهب الى الآخرة كافرا لسعى اليه جاهدا سعيدا ٠٠

فالطغاة اذن استثناء من القاعدة البشرية العـامة انما هم خلايا سرطانية تفنى الخلايا التى حولها ولكنها أيضا ـ ودون أن تشعر ـ تفنى نفسها وتكسب لذكراها على التاريخ الاحتقار والكراهية والمقت الشديد حتى يرث الله الأرض ومن عليها وما أعظم شوقى حين قال :

وعنـــد الــذى قهـــر القيصرين	مصـــير الأمـــور وأحيانهـــا
ويختـــلف الدهـــر حتى يبين	رعـــاة العهـــود وخوانهـــا

الأهرام ١٩٨٦/١١/٩ م

فما معك أحد

كان أحد الأمراء يلعب مع صديق له النرد حين قدم الى مجلسيهما رجل ذو هيبة فى منظره ، فهو طويل القامة عريض المنكبين أنيق الملبس ٠ ورحب الأمير بزائره وتعرف على اسمه وأذن له بالجلوس وأخرج من جيبه منديلا وألقاه على النرد والتفت الى الضيف يحييه ثم سأله :

ـ هل الشيخ من العلماء ؟

قـال :

ـ لا ٠

ـ فالشيخ اذن محدث ٠

قـال :

ـ لا ٠

قال الأمير ٠

ـ فالشيخ اذن شاعر ٠

قـال :

ـ لا ٠

قال الأمير ٠

قـال :

ـ اذن فالشيخ راوية

قـال :

ـ لا ٠

قال الأمير ٠

ـ فالشيخ أديب ٠

قــال :

ـ لا ·

قال الأمير ·

ـ فالشيخ اذن من أهل النجارة ·

قال الشيخ ·

ـ لا ·

فالتفت الأمير الى صديقه الذى كان يلعب النرد معه وقال له بعد أن رفع المنديل عن النرد ـ العب فما معك أحد ·

واستأنفا اللعب ·

ترى لو أن هذا الأمير عاش فى زماننا هذا ماذا تراه كان يفعل اذا وجه أسئلته تلك الى كثير ممن يتولون أعلى المناصب فى مختلف مناحى الحياة ·

علم الله ان الأمير لو فعل لظل يلعب النرد طوال يومه وأمسه ولما وضع منديله على النرد أبدا ·

فكم نرى المناصب مشغولة وكأنها شاغرة من فرط الفراغ الذى يتسم به شاغلوها · وهم من فراغهم هذا فى ذعر هالع تدور رءوسهم حواليهم يحسبون كل صرخة عليهم · حتى لقد سمعت أن أحد أفراد الشعب من أصحاب الحقوق ذهب الى وكيل وزارة وعرض عليه ظلامته فاذا بالوكيل يقول :

ـ انك صاحب حق لا شك فيه ·

فقال صاحب الحق ·

ـ فاكتب هذا على الورق المعروض عليك ·

ـ لا يمكن ·

ـ كيف ؟

ـ اذا أنا وافقت قالوا عنى اننى وافقت لأننى أخذت منك رشوة ·

ويذهل صاحب الحق ·

ـ مادمت صاحب الحق فلماذا أقدم رشوة ·

– وهل أنا الذى أقول هذا · انهم هم الذين سيقولون ·

– من هؤلاء ·

– من أدرى ومن لا أدرى · صحف المعارضة وزملائى الذين يطمعون فى الكرسى الذى أجلس عليه والمرءوسون الذين قد أكون قد أوقعت بهم الجزاء لتقصير أو تدليس أو تأخير وآخرون ممن لا أعلمهم والله يعلمهم ·

– اذن يضيع حقى ·

– وأنا أليس من حقى أن أحافظ على نفسى ·

– لا حول ولا قوة الا بالله ·· اذن فأكتب على الورق انك ترفض ·

– وأيضا لا أستطيع ·

– ماذا ··· حتى هذا لا تستطيعه ؟!

– بالطبع لا أستطيع ·

– لماذا بحق السماء ؟ ··

– لأنك صـــاحب حق فاذا كتبت على الورق بما يفيـــد الرفض فسيقولون اننى لم أوافق على مطلبك لأننى طلبت منك رشوة ولم تقبل أن تستجيب لى ·

– واذن ··

– لا اذن ولا يحزنون · ليس أمامى الا طريق واحد هو أن أضع الورق فى درج مكتبى وينتظر حتى يأتى غيرى ويتحمل المسئولية ·

– هل هذا معقول ؟

– وهل ترى شيئا معقولا حولك حتى تلتمس المعقولية عندى ·

أنا لا أعرف صاحب الحوار هذا وانما نقله عنه ناقل فيما يسمر به الناس · وقد ظللت طول ليلى صاحيا مفتح العينين حزينا أو قل مفجوعا · ما مصير بلادنا اذا كانت مقدراتها فى أيدى قوم مثل هذا الموظف ·

والأهم من ذلك هل هذا الموظف محق أم مخطىء · لقد أصبحت الاتهامات تلقى جزافا لا تفرق بين لص وشريف أو بين ظالم وعادل والعجيب أن اللص ذو جرأة على الحق فهو يتصرف والشريف أحيانا يكون ذا رعدة فهو يتوقف عن التصرف ·

ولكن الشريف العادل الذى يمتنع عن اعطاء الحق يصبح لصا وظالما · بل يصبح شرا من اللص والظالم فى وقت معا ·

والشريف العادل الذى يصنع ذاك هو ذلك الرجل الفارغ ذو القامة الفارعة والأكتاف العريضة الذى لا يحوى كيانه شيئا والذى دخل الى الأمير فانصرف عنه ٠

أصبح هذا الرجل هو السمة الغالبة على أصحاب العقد والحل فى مصر قاطبة ٠ الموظف يرفع الى رئيسه والرئيس يحيل الى رئيسه حتى يصل الورق الى الوزير بغير رأى فيه ولا مشورة ٠ وحينئذ يصبح الورق الذى تقدم الى الوزير هلعا ورعبا وخوفا وتتولاه الحيرة الآخذة وتدور رأسه فى الجهات الأربع أو الجهات الثمانى ان شئت وتدور عيناه فى المحاجر ٠ ولا يجد خروجا من المأزق الا بأن يعيد الورق الى من أصعده اليه ليبدى رأيه لينزله الآخر الى من رفعه اليه ليزيحه الآخر الى من أحاله عليه ٠ وهكذا يصدق على هذا الورق بيت الهجاء القديم ٠

لعن الله صاعدا وأباه فصاعدا ٠ وبنيه فنازلا واحد بعد واحد ٠

ويظل الورق اما قعيدا كسيح الحركة فى أحد المكاتب أو متحركا فى تخاذل كمريض أشفى على الموت ٠ ثم يموت وتموت معه حقوق وآمال وتصاب مصر أشد ما تكون الاصابة فى اقتصادها وفى سمعتها فى الخارج وفى الداخل على السواء ٠

فلو أن كل مسئول كان يتمتع بنصيب مهما يكن ضئيلا من الثقة بالله ومن الثقة بالنفس ومن التوكل ـ لا التواكل ـ على الواحد الحق لصدرت القرارات وســــارت الأمور فى الطريق الأقوم الذى ينبغى أن تسير فيه ٠

لا أمل لمصر فى أزمتها الا المواجهة ٠

مواجهة من السلطة التنفيذية ، قوامها الجرأة فى الحق والحسم كل الحسم فيما يعرفون أنه العدالة ومصلحة مصر ومصلحة مصر ٠

دون خوف ودون تحسب للغوغائيــــة والهتافات الهوجاء المجنونة الفارغة ٠

ومواجهة صادقة أمينة من السلطة التشريعية فتصدر عنها القوانين الحازمة الأمينة ، لا يراعون فى ذلك صوت ناخب مغرض وغير باحثين عن نفع شخصى فليس أقتل للرأى الحر من النفع الشخصى ٠

ان مصر هى البلد الوحيد فى العالم التى تعرف أدواءها وأمراضها كما تعرف دواءها ومصــــادر شفائها ، وتقف مع ذلك عاجزة عن تناول الدواء والسير فى طريق الشفاء ٠

وان الداء الأول هو تجنب الحق الى الزيف والميـــل عن الطريق الأقوم حذر أقوال المخربين والهازلين والزاعقين والصـــارخين والفارغين وأولئك الذين يصيبون النفع من الدول والأفراد على السواء ٠

وان الله لن يكون معهـم الا اذا كانوا هم مع الله فانه لا يفلـــح الا الصادقون المؤمنون ٠

مصرى مـؤمن

قال لى صاحبى العالم الطبيب العظيم وهو يحاورنى :

ـ هل كان الخلفاء الراشدون يحتفلون بالمولد النبوى

وادركت لهجة الاستنكار فى سؤاله وقلت :

ـ لا ٠

فقال وكأنما وصل الى مبتغاه :

ـ شكرا هذا كل ما أردت أن أعرفه ٠

ولم تتح لى الفرصة أن أكمل الحوار فقد كنا فى جماعة توشك على الانصراف ولم أستطع أن أقول ما أردت أن أقول ٠ وحمدت الله ٠ فلو أننى كنت أجبت لغنيت بأجابتى الشفوية التى كانت ـ لا شك ـ ذاهبة ادراج الرياح ولما أعددت نفسى لكتابة هذا الحديث اليك واليه والى من يشاء أن يقرأه ٠

لم يكن الخلفاء يقيمون إحتفالا بالمولد النبوى هذا حق ، ولكن الاحتفال بأى ميلاد لم يكن معروفا ـ فيما أحسب ـ فى عهد الخلفاء ٠ أما فى العصر الحديث فأغلب الناس يحتفلون بأعياد ميلادهم ٠ ويسعدون به فأى عجيبة أذن فى حضارتنا الحديثة ان نحتفل بعيد ميلاد سيدنا وسيد البشر أجمعين ، النور الهادى ، حامل رسالة السماء الأخيرة الى الأرض ٠

النبى الأمى الذى اختاره الله فى رفيع سماوته ليبلغ قرآنه المبارك الى دنيا الناس فقدم للبشرية المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى خلدت بأمر الله بها أن تحفظ بسر كلمة (كن) فى آيته الكريمة « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » فاذا الذكر محفوظ بأمره واذا أمره يتم على أعيننا وفى عصرنا والذكر اليوم فى مصاحف مطبوعة بالآلة ولم تكن تلك الآلة معروفة يوم بدأ هبـوط الوحى بادئا بالأمر الالهى المقـدس « **اقرأ باسـم ربك الذى خلق خلق الانسـان علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسـان ما لم يكن** » سـورة العلق الآيات من ١ : ٥ ٠

وهكذا شاء الله تقدست أسماؤه أن يكون القلم • والعلم أول شيء يذكره لنفسه بعد معجزة الخلق التي أوجد بها الانسان •

النبي الأمي حمل هذه الرسالة التي هي القرآن ويقول عنه جل علاه سبحانه « **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** » الاسراء آية ١٠٥ • تباركت يارب السماوات انه يبشر عباده ببشريين لا واحدة البشرى الأولى أنه أنزل بالحق ، وهل الحق الا اسم من أسمائه •

وأخوانُنا المسـيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية اليكم أيها البشر كما أنزلها الله • وأصبحت هذا القرآن نزل بالحق وأبلغه من نزل عليه وحيه بالحق أيضا •

أفلا يستحق الأمين الذى حمل الأمانة أثقل ما تكون الأمانة وبالحق أبلغها أصدق ما يكون الحق أن نحتفل بعيد مولده •

وأخواننا المسـيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية أيضا في مولد المسيح وجعلوا حياتهم وأيامهم مؤرخة بتاريخ مولده • فأي بأس علينا نحن المسلمين أن نذكر الله ونصلى ونسلم على نبينا في عيد مولده ـ صـلى الله عليه وسـلم ـ فيقول سبحانه : « **ان الله وملائكته يصلون على النبي يا يها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسـليما** » الأحزاب آية ٥٦ •

وبعد فما أحسب عالمنا الطبيب العظيم حين سأل ما سأل واستنكر ما استنكر ، ألا يريد أن ينتقد فحسب • وان للنقد في أفواه الناس حلاوة لا يجدونها في المديح • فالنقد يظهر المتحـدث وكأنه في المكان الأعلى ناظرا الى عباد الله في مضطرب حياتهم نظرة تنصب على الخطأ ولا تريد أن ترى الى الصواب •

دأب الناس في ذلك كدأب بعض الكتاب المصريين في أيامنا هذه فهم في اعتداء على الحق يمزقون كل شرف ويحطمون كل جميل ويهدمون كل أمل •

وكان أحرى بهؤلاء الكتاب أن يتغيـوا المصلحة لا التشويش •• وينشدوا النفع للوطن لا الركوب على أزماته وما يعانيه ليظهروا بصورة الأبطال ناسين أنه لا بطولة هناك • فما تنتظرهم السجون وماتهم بهم الأيدى الفراسة الطاحنة من أعداء البشرية الذين مزقوا الأعراض في عهد الطغيان ولا تلتقمهم أفواه الكلاب المسعورة التي شهدها الأبرياء من المعتقلين •

لا بطولة أذن اليوم فيما يصنعه بعض الكتاب ·

انما البطولة الحقة أن يذكروا الداء والدواء · فالطبيب الذى يذهب اليه المريض فيخبره أنه مريض بكيت وكيت دون أن يذكر له الدواء يكون وبالا على مريضه لا شفاء له ·

والمريض اليوم هى مصر أم الجميع لا تفرق هى فى أمومتها وعظمتها بين أحد من أبنائها وآخر ·

يقول بعض الكتاب فيما يقولون اهدموا القطاع العام ألا يعقلون · ان القطاع العام ركيزة لا يستغنى عنها الاقتصاد المصرى وهيهات أن نستطيع ان نهدمه فى طرفة عين ·

فأولى بهؤلاء الكتاب ثم أولى بهم أن يقولوا أقيموا المعوج فى القطاع العام ثم على الحكومة من قبل أن تنظر فيما لا يجوز أن يكون قطاعا عاما فتبيعه لينصلح ما فسد منه وما انهار من بنيانه ·

والأمثلة قريبة · ان كل المحلات التجارية لا يجوز أن تكون قطاعا عاما وليس فى أى دولة مثيل لهذه المحلات ، لأن القطاع العام هنا قليل ولا يملكه قطاع خاص أما الدول الشيوعية فكل المحلات التجارية فيها كانت الى الأسبوع الماضى ملكا للدولة لأن الفرد فيها لا يجوز أن يملك ما يغل ، وقد بدأت الصين تصفى القطاع العام فيها ليعود على الأفراد بالربح ويدفعوا عن أرباحهم الضرائب فيصبح الكسب مؤكدا للدولة لا مشاكلة فيه ولا شك ولا مضاربة ولا مخاطرة وبالأمس القريب تبعتها روسيا ·

والدولة الديمقراطية لا تتصور أن يكون هناك محل تجارى تابع للدولة فليس من عمل الدولة أن تتاجر على بنيها ·

فالأجدر بمصر أن تبيع كل المحلات التى تعمل وسيطا فى السوق مثل عمر أفندى وصيدناوى والصالون الأخضر وشيكوريل وكل المحلات المشابهة لها مما نعرفه ومما لا نعرفه من محلات تبيع الفول والطعمية والسمك وغير ذلك مما يجعل الدولة تاجرة من الطبقة العاشرة ومما يحقق لها خسائر فادحة بفضل التهاون الزرى الذى تدار به هذه المحلات

وبفضل المعاملة الظالمة الجائرة التى يعامل بها البائعون فى هذه المحلات عباد الله الذين كتب عليهم أن يدخلوا الى ساحاتهم غير المقدسة ٠

قال لى أحد الاقتصاديين والعهدة عليه ان مصر لو باعت هذه المحلات لاستطاعت أن تسدد ديونها جميعا ٠

ولقد نعلم أن القطاع الخاص لا يمكن أن يشترى هذه بما تحمله ميزانياتها من أعباء فادحة من تزاحم العاملين بها من غير عمل يؤدونه ٠

وبالطبع لا يستطيع انسان فى قلبه ذرة من الرحمة أن يطالب الدولة بابعاد هذه الجموع الحاشدة من الموظفين عن موارد رزقهم ٠

ولكن ماداموا هم لا يقومون بأى عمل فى مواطن عملهم الحالية فأى بأس أن ينقلوا الى مواطن أخرى من القطاع العام ويظلون على حالهم أيضا من البطالة ٠ ان التوقف عن أداء عمل حين يصبح وظيفة معترفا بها لا يضيره فى شىء أن ينتقل الى أى مكان ٠ فانهم يستطيعون أن يمارسوا عدم أداء العمل فى أى مكان وتظل مرتباتهم جارية عليهم كما كانت تجرى وحينئذ تصبح هذه المحلات متخففة من أعبائها وتستطيع أن تحقق ربحا لمن يشتريها ٠ وهو حين يربح ستربح الدولة لأنها ــ باليقين والقطع ــ ستحصل الضرائب عن أرباحه ومثل هذه الدور التجارية الكبرى لاتستطيع أن تتلاعب فى أرباحها أى تلاعب فالرقابة عليها ميســورة وأصحابها لا يفكرون مطلقا فى تشويه حقائق الأسعار فى البيع أو الشراء ٠

لو أن هؤلاء الكتاب بحثوا هذا الموضوع وقدموا عنه الدراسات الوافية المستفيضة البريئة من الغرض البعيدة عن المهاترة لأدوا الأمانة وأصبحوا أطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء ٠

ولو أنهم أرادوا أن يلبسوا ثوب البطولة حقا فمالهم لا يلبسونه فى قضية العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأراضى الزراعية على الأقل اذا كانوا لا يسـتطيعون أن يتحدثوا عن العلاقة بين المالك والمســتأجر فى المساكن أيضا ٠

الأمر فى الزراعة واضح لا يحتاج الى مزيد من الحديث وحسبك نظرة الى هؤلاء المساكين الذين حكم عليهم الزمان ان يكونوا ملاكا لخمسة أفدنة أو لعشرة أو حتى لعشرين فدانا ٠ وانظر اليهم فى بؤسهم لا يطيقون أن يواجهوا العيش فى مألوف حياتهم اليومية وأبك معهم حين تلم بهم

كارثة من الكوارث التى كانت فيما مضى أفراحا وسعادة وهناء · أبك معهم اذا جاء لابنتهم خاطب يريد أن يتزوجها · أو شب ابنهم الى طوق الشباب وأراد أن يتزوج من فتاة أحبها أو فتاة اختارها · الأفراح فى بيوتهم حزن وعنت وألم وضيق ·

وويل لهم كل الويل اذا فكروا أن يبيعوا فدانا مما تقول سجلات الشهر العقارى أنهم يملكون · يقف لهم المستأجر الغنى المتكبر لا بيع هناك فان كان من المحتم أن تبيعوا فلى نصف الثمن وقد أفكر فيما هو أكثر من النصف · فكأن هؤلاء الملاك الضعاف من جنس لا ينتمى الى بنى الانسان · أو من وطن عدو ليس هو مصر على أى حال من الأحوال ·

أما فى السكن فلأضرب المثل بنفسى وأحس قلمى يبكى وأنا أقدم ما أعانيه أنا · وأنا لست من نفسى كمستأجر لا كمالك · فقد استأجرت من رجل طيب الخلق عفيف النفس شقة فى الاسكندرية فى عام ٦١ على ما أذكر · وهى على البحر ومكونة من ست حجرات وبها حمامان وكنت أدفع ايجارا حين استأجرتها سبعة عشر جنيها أصبحت أربعة عشر أى أننى أدفع فيها مائة وثمانية وستين جنيها فى العام كله · بينما الكابينة فى المتنزة ارتفع أجرها من مائة وعشرين جنيها فى العام الى ألف وثلاثمائة جنيه فى العام · وهى أقل من حجرة وأقل من حمام وأقل من شرفة ·

فالحكومة أباحت لنفسها أن ترفع أجور مساكنها الى أكثر من عشرة أضعاف ضعف ما كانت عليه ولولا أننى أستأجر الكابينة أنا وأخوتى أجمعين ما أطقت البقاء فيها · وفى نفس الوقت حرمت الحكومة أن يرفع ملاك المساكن مليما واحدا على قيمة ايجاراتهم ·

ادفع للمسكين صاحب العمارة أجره وقلبى يبكى من أجله ونفسى تتقطع حسرات ·

فليكتبوا فى مثل هذا وليقترحوا له الحلول الاقتصادية وليحاولوا أن يفشوا العدل فى ربوع الوطن بدلا من أن يفشوا أسرارا أمر الله بها أن تستر ان كانت صحيحة وأمر بقائليها أن يقتلوا ان كانت كاذبة وأغلب الأمر فيها أنها كاذبة ·

أمعارض أنا أم مؤيد ·· لا أدرى ·· ولكننى واثق اننى مصرى وأننى مؤمن ·

الأهرام ١٩٨٦/١١/٢٣ م

المحافظات وفلسفة الاعــلان

خرج علينا العالم الغربى بنظرية أدبية ذات أسماء كثيرة منها العبث، ومنها اللامعقول وكلها تؤدى الى معنى واحد هو البعد كل البعد عن المنطق، والعقل ٠

وسار فى ركب هذه النظرية كثير من شبابنا ووقع فى أحابيلها جيل، كثير بالغ فى الاعجاب بها حتى لقد أنشأ بعضهم مجلة خاصة لهذا العبث، لم تستطع أن تقيم فى الحياة أكثر من عددين أو ثلاثة ثم اختفت تماما ٠ وأذكر أننى حاولت أن أفهم شيئا من هذه المجلة فاستعصى على الأمر ٠ ولكننى كنت أشاهد كتاب هذا اللون يقرءون لبعضهم البعض ويتبادلون عدم الفهم مع تبادل الاعجاب ٠

وقد كتب فى هذا الشكل أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فجنحا الى طريق آخر فقد استطاعا أن يجعلا المعنى الاجمالى لأعمالهما واضحا وان كانت سطوره غير واضحة ٠ وبهذا وصلا الى المعقول عن طريق اللامعقول ٠ وقد أغرانى هذا الذى صنعاه فكتبت فى هذا الشكل قصتين أو ثلاثا لا أذكر ٠

وطغى هذا الشكل طغيانا كبيرا على المسرح وكثرت الأعمال فى ميدانه وتكاملت له مدرسة ٠

وكان لى فيه رأى : انه يصلح أن يكون موضوعا لعمل أو اثنين أو ثلاثة ولكنه لا يستطيع أن يكون نظرية أدبية ثابتة تستمر على مدى أجيال ٠ وأحسب أن ما توقعته قد حدث فعلا وماتت النظرية وعدل عنها روادها بعد أن اختانت من حياة الشباب فترة غير قصيرة من حياتهم الأدبيـــة ٠

ومجمل النظرية فيما أحسب أن هذه الحياة عبث وأن التعبير عن العبث لا يكون الا بالعبث ٠ وكما ترى تصلح هذه القالة أن تقال وتسمع مرة أو اثنتين أو ثلاثا ٠ ولكنك ان ظللت تقولها فى كل عمل عزف عنك الذوق الأدبى ورفضت نفوس المستقبلين أن تستجيب لك ٠

وهكذا ماتت النظرية حتى لم يعد أحد يسمع عنها شيئا ٠

ماتت النظرية في أدب القصة والرواية والمسرح واتجه روادها الى الأعمال الأدبية المعقولة ٠ بل لقد بالغ بعضهم ورضى أن يكتب الرواية البوليسية وهي أقل الروايات شأنا في ميزان الأدب وأرتاى هذا البعض أن الرواية البوليسية أكثر قيمة بالنسبة اليه وللقارىء جميعا ٠

ماتت النظرية أذن قبل أن تعيش وانصرف عنها كتابها مادام الكتاب توقفوا عن كتابتها فالنتيجة الحتمية أنها أصبحت بلا قراء ٠ فلا يمكن عقلا ان يكون هناك قراء لشىء ليس له كتاب ٠ وربما كان هذا القول يعكس مثالا رائعا لأدب العبث ٠ وقد رأينا فى ظل النظرية من يقرأ ورقا أبيض لا كتابة فيه ٠ أو ساعة بلا عقارب أو غير هذا مما لا يسيغه منطق أو عقل ٠

ماتت النظـرية فى الفن الأدبى ولكننى أراها لا تزال تعيش أقوى ما تكون الحياة فى شتى مناحى حياتنا العامة ٠

والا فبربك أذكر لى سببا واحدا يجعلنى أرى فى تلك الاعلانات التى تنشرها المحافظات أمرا معقولا يسيغه منطق أو يرضى به عقل ٠

ما هذا الذى تصنعه المحافظات ومن أى أمـوال ينفقون على تلـك الاعلانات التى ينشرونها فى الصحف اليومية ٠

وقد اسيغ ان تحتفل المحافظات بعيدها القومى فى حفل وسمر يعيد الى أبناء المحافظة ذكرى أمجادهم وأمجاد أبناء المحافظة من العظماء ٠

وقد يصلح ان تختلق المحافظة الأسباب للترفيه عن بنيها فى وقدة الحياة الثقيلة الخطى الشديدة الوطأة ٠ فالنفوس فى أيامنا هذه تحاصرها أنواع من الهموم شتى وتحيط بها ألوان من الأسى لا يقف لها عدد أو تنتهى بها حدود ٠ وحسبك ما نعانيه من ضيق الطريق عند الموارد واتساع الطرق وانفساحها عند المصارف والانفاق ، فلعل حفلا أن ينسى هما وان كان من المؤكد انه لن يزيحه ٠

فلسفة الحفلات اذن قد تجد لها عنـد العقل مبررا أو هى واجـدة باليقين عند النفوس ٠

ولكن ما قصة هذه الاعلانات التى نراها فى الجرائد اليومية ٠ الذى أعرفه أن الاعلان يكون فى أغلب الأمر صادرا من تاجر يريد أن يبيع بضاعته أو مالك لعقار أو منقول يريد أن يستبدل بالمال السائل قـال :

ويكون الاعلان فى حالات قليلة من مشتر يبحث عن شىء لا يجده فى مألوف حياته اليومية ويريد أن يعلن عن حاجته وليشترى هذا الذى يريد شراءه منقولا كان مبتغاه أو كان عقارا .

هذا هو ما أتصوره فى الاعلانات . ولكننى ـ كعادتى دائما اتشكك فى كل معلومة أنا غير متخصص فى شأنها . وأنا فى باب الاعلان لا أعرف شيئا على الاطلاق فتلك صناعة أنا بعيد عنها كل البعد ومن أجل هذا لم أطبع لنفسي كتابا على نفقتى الخاصة قط . وما أظن أننى فاعل ذلك أبدا . وقد جعلنى شكى فيما أعلمه عن الاعلان ألجأ الى الأستاذ الأخ الصديق « **أبو السعود ابراهيم** » أمين مكتبة الأهرام استعينه أن يرسل الى تعريفا عن هذه المادة . وانى ناقل اليك ما أرسل .

الاعلان وفلسفته : هو عملية اتصال تهدف الى التأثير من بائع الى مشتر حيث يفصح المعلن عن شخصيته ويتم الاتصال من خلال وسائل الاتصال العامة أو هو فن اغراء الأفراد على السلوك بطريقة معينة تؤدى الى اتمام الصفقات المنشور بشأنها الاعلان .

هذا ما يعرف به الاعلان اذن . فأنا غير بعيد عن فلسفته . وما أحسب أحدا يبتعد عن هذا المعنى فيما يدريه هو بخبرته عن الاعلان .

اذن ما خطب هذه المحافظات المعلنة . وعن أى شىء تعلن . أنه من الطبيعى والمعقول أن تنتهز المحلات التجارية فرصة عيد المحافظة لتعلن عن نفسها وتروج بضائعها . وانما سؤالى . وعجبى عن الاعلان الرئيسى للمحافظة تتصدر به اعلانات التجار جميعا .

أليس هذا الاعلان يثبت أن نظرية العبث وغير المعقول مازالت تسيطر على بعض الناس .

انه من المؤكد أن المحافظة لا تنوى أن تبيع نفسها لأى مشتر مهما يكن شأنه .

وهى باليقين ليست سلعة . بل هى باليقين أيضا لا مالك لها . فهى جزء من دولة ذات دستور وسلطات تنفيذية وتشريعية وقضائية ويسرى عليها ما يسرى على ربوع هذه الدولة فى حدودها الأربعة .

فعن أى شيء تعلن المحافظة اذن ؟ .

أتراها تريد أن تعرف الناس بها . فتلك اذن مصيبة لا كاشف لها الا الله القاهر فوق عباده . أم تراها ــ وأنا لا أدرى ــ تعلن عن نفسها لتعرف الناس باسم محافظها .

وأن كان الأمر كذلك ــ وما أحسبه الا ذلك ــ فأى فائدة تعود على السيد المحافظ أن يقرأ الناس اسمه فى اعلان .

ان الناسى تحب أن تقرأ أسماء الناس حتى المحافظين ــ حين يقومون بعمل يستحق ان يذكروا من أجله . ولا يحب الناس ــ وهم محقون ــ أن يقرءوا أسماء الناس لا لشيء الا لأنهم فى وظيفة معينة .

فاننا اذا ما ذكرنا اسما دون أن نذكر له فعلا معينا نكون بهذا قد كتبنا جملة غير مفيدة نقش فيها المبتدأ دون أن يذكر الخبر . ولا يمكن أن تستقيم جملة بغير مبتدأ وخبر . فأى معنى يمكن أن يصل الى عقولنا « نعمان » مثلا ولم نقل ماذا فعل نعمان هذا لنذكره . وأكتب نعمان ما شاء لك هواك من عدد المرات فانك مهما تكتب تظل غير مفهوم عند من تخاطبهم وكأنك لم تقل شيئا الا أنك زدتنا بنعمان جهالة .

وقد أرى فى هذا الاعلان أن المحافظ يرفع الى السيد الرئيس تهنئاته واجلاله ودعاءه .

وغريب أن يكون المحافظ ــ وهو بدرجة وزير وقد لقى الرئيس عدة مرات ــ على غير علم واف بأخلاق رئيس الجمهورية .

أبعد ما يكون حسنى مبارك عن الرغبة فى التأليه . وأكثر الناس عزوفا هو عن تحية تقدم بغير داع أو تهنئة تسعى اليه بلا مناسبة .

متواضع هو كل التواضع . انسان عميق الشعور بالانسانية . أزهد ما يكون فى البريق وفى المظهر . أعرف الناس أن منصبه جهد وعمل ومسئولية ومشقة . وليس منصبه ــ كما يتخذه آخرون ــ وسيلة لدعاية أو استجلابا لمديح أو طريقا الى تكبر .

يعرف رئيس الجمهورية الدافع خلف كل هتاف فردى . الباعث الذى يتخفى وراءه أى تبجيل . بل ويعلم أن بعض الناس يطلبون أن يقابلوه لمجرد أن يقولوا فى مجالسهم أنهم قابلوا الرئيس . ويعرف أن هناك أثرياء وذوى ثراء باذخ أصابوا من المال ما شاءوا ولم يبق لهم الا أن

يتخذوا سمت أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة فهم يحسون - وهم محقون - أن المال وحده لا يصنع للفارغين قيمة . ويعرف الرئيس أن كثيرا من هؤلاء يحاول أن يلقاه ليقنع نفسه أنه بلغ من الحياة تلك القيمة التى يفتقدها فى ذاته فيفقدها .

ففيم اذن يحاول المحافظ أن يقدم التحية للرئيس . علم الله أن الرئيس يرى أن انتاج وحدة واحدة من سلعة مصرية أحب اليه من ألف تحية لا معنى لها . ولو أن المحافظ أنفق الوقت الذى بذله فى تدبيج التحية والمال الذى أنفقه من الخزانة العامة فيما يعود على اقليمه الذى هو جزء من مصر بشىء من الخير لكان هذا أجدى له وأنفع . ولكان فعله حبيبا الى رئيس الجمهورية فى حين يكره الرئيس أن يتخذ المحافظ من اسمه وسيلة لاعلان عن لا شىء . فان الرئيس حسنى مبارك يعمل نهاره وليله ليحطم اللافتات المرفوعة على الفراغ ليحل مكانها عمل وجهد واتقان وجدية وصدق وشرف والله على ما أقول شهيد .

الأهرام م ١٩٨٦/١١/٣٠

السلطان والبهلوان

هذه قصة طوتها يد النسيان من قصص ألف ليلة وليلة . ربما رواها الرواة ولكنها لم يكن لها حظ الاثبات بين دفتي كتاب . ولست أدرى أسمعتها فأرويها أم شدتها فأحكيها أم تخيلتها كما يتخيل المؤلفون فسنعيت اليك بها .. أقصها عليك فيما تعودت أن أقص عليك .

يحكى أنه فى زمن من الأزمان ولى الحكم سلطان طاغية جبار . لا يطيب له الحكم الا بالحديد النار . يقتل الناس لأهون الأسباب . ويغتصب الأموال فهى له أسلاب . ويستحل كل حرام . ويعامل الناس بالاجرام . نشر جواسيسه فى كل مكان . وبث عيونه بجميع الأركان . والويل والثبور لمن قال « الا اله الا الله » فالموت ينتظر كل أهله وذوى قرباه . أمر السلطان ألا يغادر أحد البلاد ومعه أمواله . فاضطر كل فرد فى الشعب أن يرضى بحاله . واقفل جميعهم فمه . حتى لا يريق الجبار دمه . وصار الناس لا يتكلمون الا همسا . فاذا مررت بالديار فلن تسمع حسا . وامتنع عن الاجتماع فى الأماكن العامة . فقد كانوا يخشون اذا اجتمعوا أن تقع عليهم الطامة . وكان المكان الوحيد الذى يضطرون أن يحتشدوا فيه هو السوق . وهو مكان مرموق . لا يجرؤ فيه أحد أن يتكلم فى غير التجارة . فقد كانوا يعلمون ان الجواسيس قد تكون فى جداره . وأن عيون السلطان تحصى أنفاسهم . تكاد تمسك الكلمة التى تدور فى أذهانهم .

وكان للسلطان وزير على شاكلته . يحبب اليه كل ظلم ويجمل له كل قبيح . فاذا حرم الله فهو يبيح . وأن منع الشرع فهو يتيح . كان كلبا عقورا . ويظل طول ليله مخمورا . حتى اذا صحا الصباح لا يشعر به الوزير اذا لاح . فهو من خمر الأمس سكران . وان بدا كأنه يقظان . فهو مفتوح الأجفان . ولكن بعقل نعسان . يلوح لمن يراه كأنه يفهم ما يقال بينما هو من السكر فى شر حال .

نزل السلطان والوزير الى السوق متخفيان . يريدان أن يريا الناس رأى عيان . ولم يطل انتظارهما ، فسرعان ما شهدا الناس لا تقول

الا ما يسر الطاغية • وما يجعل نفسه راضية • ولم يحاول واحد منهما أن يشهد الحزن الذى يتحرك فيه الناس • ولا البؤس الذى يسـيطر عليهم من شدة اليأس • فعين الطاغية ومعاونيه • لا ترى الا ما يرضيها ويرضيه •

وبينما السلطان والوزير يتخذان من مكانهما ستارا خفيا • رأيا بهلوانا يطوى السوق طيا • ويقف الى جانب حصان هزيل • له صاحب أشد منه هزالا فهو فى وقفته يميل • واقتربت رأس البهلوان من المالك المتهالك • ثم اعتدل الرأسـان وقد وضحت أمامهما المسـالك • وبدأ البهلوان يصيح • مفتريا صفات البطولة للحصان القبيح • فهو الأسد الوائب • وهو فى الميدان هو الغالب • وتقاطر الناس من كل حدب • وتجمعوا حـوله من كل صوب • وراح هو يجعل الحـديث فى كذب مفضوح ويسويه • حتى وجد الحصان من يشتريه • وفرح البائع أى فرح • وأعطى البهلوان نصيبا من الثمن فأكرم وسجح •

ثم رأى السـلطان البهلوان ينتقل الى حمار شـأنه شـان الحصان الواهن الضعيف ويقول عن الحمار فيزيل من هزاله والى قوته يزيد ويضيف • ويباع الحمار ويجنى البهلوان الثمار • ويتكرر فعل البهلوان والسلطان والوزير مندهشان •

قال السلطان لوزيره :

ـ أريد هذا البهلوان •

وقال الوزير :

ـ لك الأمر وعلى الطاعة ولكن هل لى أن أسأل سؤالا حائرا فى نفسى لا يجد اجابة •

وقال السـلطان :

ـ القاعدة الأصيلة أنك لا ملك السؤال فهو ليس حقك ولكن وقد قلت ما قلت فانك أثرت فى نفسى حب الاستطلاع •

فأسأل سؤالك على سبيل الاستثناء لا القاعدة • والاستثناء كما تعلم لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه •

ـ فيم تريد هذا البهلوان الحقير ؟ وهو انسان لا قيمة له لم نسمع منه الا كذبا • ولم يقل الا الزور والبهتان •

ـ كنت أحسب أنك فهمت ·

ـ لا وحياتك ما فهمت ·

ـ لو لم تكن طول ليلك سكران ما فاتك ما قصدت له ولا غبيت ما هدفت اليه ·

ـ أنا الآن على الأقل لست فى حالة سكر ·

ـ بل أنت فى حالة خمار دائم من مخلفات السكر ومما تصنعه بك الخمر · فشراب المساء تبدو عليك آثار منه شديدة فى الصباح ·

ـ لا أستطيع أن أعارضك ·

ـ ولا يستطيع أحد ·

ـ ولكننى مازلت لا أدرى فيم تريد البهلوان ؟ ·

ـ ألم تر كيف هو ماهر فى اتمام الصفقات ·

ـ ولكنك يا مولاى السلطان لا تعقد صفقات فانك اذا أردت شيئا من ملك غيرك أخذته بالأمر من غير شراء وان أردت أن تبيع فرضت الثمن ونلته ففيم انتفاعك بالبهلوان وانت لا بيع عندك ولا شراء ؟

ـ ومن قال لك أننى أريده لبيع أو شراء ·

ـ ففيم أذن ؟ ·

ـ اذا خالط هذا البهلوان الناس · ودخل الى البيوت وراح يمتدح السلطان جعل الناس يصدقون مديحه ولا يكرهون السلطان ولا يبغضونه ·

ـ ومنذ متى يا مولاى تهتم برضاء الناس أو سخطهم ·

ـ أليس من الأحكم أن أصنع بهم ما أشاء ومع ذلك أجعلهم يمدحون بدلا من أن يذموا ·

ـ وهل يجزؤ أحد على ذمك ·

ـ أنهم جميعا يذمون السلطان فى دخيلة نفوسهم ·

ـ وماذا يهمك من دخيلة النفوس ·

ـ أن تكن راضية خيرا من أن تكون ساخطة ·

ـ وهل تظنها سترضى ·

ـ ربما ·

ـ أيستطيع هذا البهلوان أن يصل الى خافية الصدور ·

– يستطيع على الأقل أن يجعلهم يلتمسون العذر لأنفسهم فلا تبدو نفوسهم أمامهم مهينة ويهيئون لأنفسهم أنهم يقبلون حكمى وهم به راضون وأنهم ليسوا جبناء ولا ضعافا مهازيل .

– قلت الصواب يامولاى السلطان .

– فالتمس لى هذا البهلوان .

– سأحضره من فوره . ولكن هل أخبره من يريده .

– بل أكتم حقيقتى عنه .

– فماذا أقول ؟

– قل تاجر من كبار التجار واسع الثراء موفور المال .

وانصرف الوزير الوسنان من فوره . وما لبث ان عاد بالبهلوان . ووضعه بين يدى السلطان .

– ما أسمك أيها البهلوان .

– عبدك يامولاى .

– أو عرفتنى .

– منذ شرفت السوق يامولاى

– يالك من داهية .

– دهائى كله ملكك .

– اذن فانت تعرف فيم أريدك ؟ .

– اذا لم أكن قد عرفت من أول وهلة فلست جديرا باستدعائك لى .

– فهل تستطيع أن تقوم بما انتدبتك له .

– وأكثر .

– قبل أن تذهب الى الأكثر قل لى فيم أردتك لأختبر مقدار ذكائك .

– تريدنى أن أجعل الناس يمتدحونك فى دخيلة نفوسهم كما يطيعونك فى جهير أقوالهم .

– أصبت فهل تستطيع .

– لك أن تجربنى .

– وما الأكثر .

– ان أجعلك أنت دائم السرور موفور الحبور .

ـ بالكذب والتحـــايل ·

ـ بل برواية دخائل الناس ومخبوء أسرارهم وكل ظريف طريف من أحوال معيشتهم ·

ـ هل أنت أيضا صاحب حكاية ·

ـ لن أقول لا أو نعم حتى تشهد لى ·

ـ ولكنك لم تقل ما اسمك ·

ـ خادمك الأمين حسونه هنداوى ·

ـ ومتى تبدأ عملك ·

ـ لقد بدأته فعلا يامولاى ·

وضحك السلطان فى سرور واستظراف · واستأذن حســونه فى الطاف · وما لبث أن بدأ العمل فى غير تأخر ولا مهل · وراح يندس بين الجموع · ويختلق المحامد للسلطان ويذيع · ولم يلحظ الأبله الموهوم · ان الناس تستمع اليه فى وجوم · وأنها تدعو للسلطان فى الظاهر · لأنها لا تملك أن تقول ما يدور بالخاطر · وكما فشا حسونه فى الشعب · أضحك السلطان من القلب وجهل أنه قد يستطيع أن يضحك سلطانا · ولكنه لا يستطيع أن يخدع انسانا ·

ومر الزمان واستدار · وجاء موعد السلطان لملاقاة الجبار القاهر فوق عباده · والذى لا يخرج شىء عن مراده ·

وانقلب الحال الى حال جديد · وانتهى زمن حسونه والوزير غير الرشيد · وذهب الوزير الى كسرة من زاوية النسيان · ولكن حسونة أراد أن يغالب الزمان · فنزل الى النـــاس فى السوق · فاذا هم يضربونه ضربا لم يذقه مخلوق · وهو يجرى أمامهم مذعورا · ويتخاضع لهم مذلولا مدحـــورا ·

وأصبح دأب حسونه منذ ذلك اليوم · أن يظل قابعا فى بيته بعض الوقت ثم يعود الى الناس أملا فى أن يكونوا قد نسوا ما أحاطهم به من وهم · ولكنهم كلما عاد اثخنوه ضربا وشتما وحملوه ما يطيقون ولا يطيق غما وهما · وظل هذه حاله وسنته · حتى توارى فى تربته ·

وهكذا ترى أن دولة الظلم ساعة · ودولة الحق الى قيام الساعة ·

قصة وقعت فى يدى بعد أن أخطأت طريقها الى مؤلفى ألف ليله وليلة · نقلتها اليك راجيا رضاءك أملا أن تقع من نفســك فى خير مـــكان ·

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢

ان النفـاق قـديم

خرج جماعة من العرب فى زمن الجاهلية يريدون العراق بتجارة لهم . وكان كسرى يحكمها . وحين اقتربوا من العراق قال قائلهم :

انا من مسيرنا هذا لعلى خطر . فلقد قدمنا على ملك جبار . ونحن ندخل بلاده دون اذن منه . وما أحسب ألنا نستطيع أن نتجر فى هذه البلاد . والرأى عندى أن يذهب واحد منا بالتجارة . فان قتله الطاغية كسرى فنحن براء من دمه وان غنم فله نصف الربح .

وتقدم شاعر جاهلى اسمه غيلان بن سلمة الثقفى وقال :

ــ أنا لها .

فلما دخل بلاد كسرى وضع كثيرا من الطيب ولبس ثوبين أصفرين . وهذا عجيب فى ذاته فقد كشف علماء الألوان بعد هذا الزمان بأزمان ان اللون الأصفر من أكثر الألوان اجتذابا للأنظار وهكذا تجد أن للمنافقين موهبة خاصـــة يعرفون بها كيف يصلون الى المكامن الخفية من مواطن الارضاء عند الناس .

جلس غيلان بباب كسرى وقد أصبح أمره بين الناس شهيرا . وأخيرا اذن له كسرى .. وخرج اليه الترجمان وقال له :

ــ يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى .

فقال :

ــ قل له لست من أهل عداوة لك . ولا أتيتك جاسوسا لضد من اضدادك وانما جئت بتجارة تستمتع بها فان اردتها فهى لك وان لم تردها وأذنت فى بيعها لرعيتك بعتها . وان لم تأذن فى ذلك رددتها .

وبينما هو ماض فى حديثه سمع صوت كسرى فاذا به يهوى ساجدا ويدهش كسرى والترجمان ويسأل الملك .

ــ لم سجدت ؟

فاذا هو يقول فى دربه المنافق الأصيل .

ـ سمعت صوتا عاليا فى القصر • وليس من المعقول أن يعلو فى القصر صوت الا صوت الملك فعلمت أنه بمقربة منى فسجدت اجلالا واعظاما لصوت الملك •

وطبعا استحسن كسرى ما فعل وأمر له بمخدة توضع تحته فى جلسته فحين أمسك بها غيلان وضعها على رأسه • فضحك الملك وظن بالشاعر الجهل والحمق وقال : عن طريق ترجمانه •

ـ انما بعثنا بهذه لتجلس عليها •

فقال غيلان :

ـ أعلم هذا ولكننى رأيت عليها صورة الملك فلم يكن من حق مثلى أن يجلس عليها ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها على •

ما أحسب الا انك عرفت النتيجة المحتمة لهذا النفاق العظيم فان للمنافق الى العتاة مسلكا لا يخيب وطريقا لا يكدى وسبيلا لا يخطىء •

لقد اشترى كسرى التجارة من غيلان بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه بنائين من الفرس ابتنوا له قصرا بالطائف • فكان أول قصر شيد بالطائف •

أرأيت • قديم هو النفاق قديم •• موغل فى الزمن الى الأعماق الغائرة من أوائل التاريخ • وان كان هذا الذى حملته الينا أنباء الرواة قد حدث فى الجاهلية فهناك مما لم يروه الرواة ما يخطئه الحصر وما يعجز عن الالمام به ذكر أو رواية •

سمعنا أنباء النفاق أحاديث ورأيناه رأى العين • واحتقرناه فلم يعبأ بالاحتقار وسخرنا منه فلم يلق أى عناية بالسخرية •

وعلى الرغم من أن النفاق قديم الا اننى أعجب من شأنه كل العجب فهو واسع الانتشار حتى يوشك أن يكون هو الأصل • وما لى لا أقول انه أصبح هو الأصل حين انكمش الصدق خزيان خجلا وكأنه هو الخلق الشائن المعيب •

ولا ننسى واحدا من زعماء المنافقين فى العصر الحديث سأله طاغوته عن أمر يشغله فاستأذنه المنافق أن يتيح له بعض الوقت حتى يعود اليه

بالرأى الأسد الرشيد · ويروى المنافق نفسه فيقول انه راح يدور فى الماشى ويلوب حول نفسه ويروى أنه راح يصعد ويهبط ويتهم وينجد حتى أوحى اليه الشيطان ما أوحى واقتنع هو انه الرأى لا رأى مثله حتى اذا فرغ من الهامه نصب · والى مولاه الطاغية رغب · يقول له فى سعادة غامرة ، وفى هناءة طاغية ، وفى جذل مسرور محبور ·

ــ ما كان لنا ان نقول لك رأيا فأنت وحدك صاحب الرأى · فأنت ملهم يصل اليك الرأى من حيث لا نعلم فكيف لمثلنا من البشر أن يفكر فى امر انت تفكر فيه ·

وقد كان المنافق وطاغوته كلاهما لا يؤمنان بالله · فالالهام الذى قصد اليه زعيم المنافقين الهام هابط من مكان آخر غير السماء ، وهو وحده الذى يعرف هذا المكان ولا يعرفه سواه ·

ان يحدث هذا كارثة بشرية بالغة الحقارة · فاذا وقع سرا دون أن يعلم به أحد كان فى ذاته عارا أما أن يرويه صاحبه فى كتاب ويفاخر به ويزهى كما يزهى ويفاخر انه وسيده لم يكونا من المؤمنين بالله فذلك هو الفجور أو هو أمر أعظم فداحة من الفجور لم تستطع لغة فى العالم بعد أن تجد له لفظا ·· ولكن ربما ــ ومع انتشار النفاق ــ تجد له فى الغد القريب وصفا يحيط بمدى سقوطه وهوانه ·

والمجتمع لم يوقع على المنافق جزاء · بل هو يكرمه ·· وهو أيضا يوسع له فى المكان ·

وأرى من بعده أنواعا شتى من المنافقين ·· أشاهدهم بعينى يتقافزون فعل القردة · ويسجدون فعل العبيد ·· ويجعلون من رءوسهم مواطىء أقدام لينالوا منصبا كبيرا مرموقا أو يهتبلوا مالا ·

وأعجب ·· انما يطمع الانسان فى المنصب ليكون بين الناس ذا كرامة ووجاهة وجاه · فكيف يمتهن كرامته ويمزقها ويحقر ما أكرمه الله به حين جعله انسانا · وينسلخ عما وهب له المولى من عزة الأحرار من أجل أن يكون بين الناس ذا كرامة ·

أيشترى المنصب بالكرامة وهو فى ذاته جانب قليل من معنى الكرامة ·

كيف يقبل انسان عاقل رشيد أن يبيع الكل فى مقابل الجزء ، والقليل التافه فى مقابل العظيم النبيل ، كيف يقبل انسان أن ينحدر الى هاوية الهوان ليكون أمام الناس فى قمة العزة ؟

تناقض لا يسيغه منطق . ولكننى أرى المنافقين فى كل مكان .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه : ففى كل انسان ضعف الى المديح وكم رأينا الصلب العنيد عند الاشادة به وتعظيم شأنه يلين ويسمح ويقدم ما كان يمنع .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون اليه ، فان لهم لجاجة لا تنتهى . فالمنافق بطبيعة تكوينه صفيق الوجه ساقط الحياء . فهو يستطيع أن يلح بصورة لا يستطيعها غيره . فان الحياء وحده هو الذى يرد الانسان عن كثرة الالحاح . فمن ضاع حياؤه وجف ماء وجهه فأى شىء يمكن أن يرده عن المبالغة كل المبالغة فى الالحاح .

والنفس ذات ملالة وكثيرا ما يصاب من بيده شغل المناصب بالملل من شدة النفاق ومن كثرة الطلب . والانسان – من قبل ومن بعد – إنسان ولعله قائل لنفسه فلاضعه فى هذا المنصب الذى يكاد يموت شوقا لبلوغه وهو – على أية حال – ليس شرا من غيره .

وما البأس أن نجربه فاذا لم يرتفع بنفسه الى مستوى المنصب عزلناه وكل ذى منصب لابد يوما أن يعزل .

وينسى الانسان ان فى رفع الذليل الى منصب رفيع اهانة للمنصب وحطا له عن كرامته وسفولا به عن مكانته .

ولا عجب أن يكون إنسان من الناس ذليلا ولكن شين أن يشغل المكان الكريم انسان ارتضى أن يمحق كرامته ويمحو حياءه ويريق ماء وجهه حتى يجف .

ان يكن التاريخ قد روى لنا قصة غيلان بن سلمة الثقفى مع الطاغية كسرى فان التاريخ نفسه لا يهمه شأن غيلان وما استطاع أن يناله من مال كسرى . لأن مال كسرى كان يمكن أن ينفق فى أى مصرف من مصارف البذخ الأرعن المجنون التى يرمى فيها الطغاة بأموال شعوبهم .

ولكن أن يصل انسان بلا كرامة الى منصب له مسئوليته فتلك اذن هى الطامة الكبرى . لأن المنصب ليس جاها فحسب ولا هو وجاهة وكفى .

وانما هو حياة أقوام وصوالحهم . فلن بيد صاحب المنصب مستقبل جماعات وأقوام وأسرات وبيده أيضا حاضرهم وعيشهم وحياتهم !!

والدليل في المنصب عنوان كريه لكل من يعرف حقيقته . واذا استطاعت الحقيقة من أمره أن تتخفى عن سائر الناس قبل صعوده على أربع إلى منصبه فان هذا المنصب نفسه سيجعل المخفى من أمره معلنا والمستتر من هوانه شهيرا جهيرا .

وبعد فان النفاق قديم كما قد علمت . وهو يتجدد مع كل يوم من أيام الحياة لا ينتهي أمره ولن ينتهي .

وتسألني ففيم اذن تكتب ما تكتب مادمت تعلم أن النفاق سيبقى ما بقيت الانسانية .

انما أكتب لانه لابد أن يجد المنافق من يقول له انك منافق . ولابد أن نظل نقول ان النفاق هوان واذلال للبشرية ومحو للكرامة وتمزيق لكل ما هو شريف نبيل في حياتنا .

لعلنا - من يدرى - لعلنا أن نمنع مشروع منافق أن يصبح منافقا كاملا .. فان الطريق الى النفاق - للأسف الشديد - ملء بالاغراء والطريق الى الشرف - للأسف الشديد أيضا - محشود بالصعاب !

والجنة - كما نعرف جميعا - محفوفة بالمكاره . والقابض على دينه كالقابض على الجمر . كان الله فى عون الشرفاء المؤمنين ..

١٩٨٦/١٢/١٤ الأهرام

الحطيئة في عصرنا

أما الحطيئة فشاعر من أعظم شعراء جيله اذا وضعناه في ميزان الشعر وحده اما اذا انتقلنا به الى ميزان الأخلاق فالأمر مختلف كل الاختلاف • وحتى أغنيك عن التفصيل أروى لك بعضا مما ذكره عنك المؤرخون •

قيل فيما قيل انه لقى الزبرقان بن بدر وهو رجل من وجوه عصره وسمى بابن بدر لحسنه وجمال وجهه • وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه وأقره أبو بكر في مكانه لم يغيره وتوفى الزبرقان أيام معاوية •

لقى الحطيئة وعرض عليه أن يستضيفه فرحب بذلك كل الترحيب ولم يكن الزبرقان متجها الى بيته وانما كان في بعض شأن له سيبعده عن داره بضعة أيام فكتب خطابا الى أمه وأعطاه للحطيئة وطلب اليها في الخطاب أن تحسن الى الشاعر وتكرمه وتكثر له من التمر واللبن • وكان الحطيئة دميما لا تحترمه العين فلما رأته أم الزبرقان احتقرته وقصرت في شأنه •

واهتبل أعداء الزبرقان من بنى بغيض الفرصة فمازالوا يغرون الحطيئة أن يترك ضيافة ابن بدر الى ضيافتهم حتى استلان لهم وقبل عرضهم وراح يمدحهم •

ثم راحوا يطلبون اليه أن يذم الزبرقان والحوا عليه حتى قال أبياته الشهيرة •

لما بدا لى منكم عيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحى فيكم أس
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كالياس
ما كان ذنبي بغيض أن أرى رجلا ... ذا فاقة حل مستوعر شاسى
جارا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها وأقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه نرى مرح فقال عمرو بن العاص
لا يذهب العرف بين الله والناس ما أظلت الخضراء ولا أقلت

ولم يجد الزبرقان ماذا يلجأ اليه من هول هذا الهجاء الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد يعجب قراء هذا الجيل أن يلجأ شخص الى أمير المؤمنين وامام المسلمين وأعظم من أقام فى التاريخ عدلا ليشكو اليه شاعرا نال منه ببضعة أبيات .

وقد يجهل قراء هذا الجيل ان الشعراء فى ذلك الزمان كانوا التليفزيون والاذاعة والصحافة والسينما والمسرح والندوات أيضا . وكان يكفى الحطيئة أن يقول أبياته حتى يتناقلها الرواة فما هى الا أيام قلائل حتى تصبح على كل لسان ناطق بالعربية فى العالم أجمع .

فليس عجيبا أن يفزع الزبرقان الى عمر بن الخطاب وليس عجيبا أن يستنشده عمر الابيات ويرويها له ويقول عمر :

ــ ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

فقال الزبرقان : ...

ــ أو تبلغ مروءتى الا أن آكل وألبس .

فاستقدم سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله :

ــ أتراه هجاه .

فقال حسان :

ــ لقد هجاه شر هجاء .

فأمر عمر بالحطيئة فحبس وراح الحطيئة يكتب الشعر لأمير المؤمنين لعله أن يصفح عنه وكتب له فيما كتب هذه الأبيات الشهيرة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الأمام الذى من بعد صاحبه ألقيت اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

وبكى عمر فان عمر أواه حليم . بكى وهو يسمع « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » فقال عمرو بن العاص « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء اعدل من رجل يبكى على تركة الحطيئة » وقال عمر « ما أرانى الا قاطعا لسانه » ثم قال « على بالطنست » ثم قال « على بالسكين » ثم عاد فقال

« لا بل علي بالموسى فهو أسرع » فضج الحطيئة وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامرأتى ونفسى وتبسم عمر وقال فماذا قلت قال « قلت لأبى » :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالى

وقلت لأمى :

تنحى واجلسى منى بعيدا أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر العالمينا

وقلت لأمرأتى :

أطوف ما أطوف ثم أوى الى بيت قعيدته لكاع

وقلت لنفسى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لى وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

فقال الذين مع عمر « أصفح عنه يا أمير المؤمنين ولن يعود الى هذا أبدا » وأشاروا الى الحطيئة أن يقول انه لن يعود فقال « لا أعود يا أمير المؤمنين » فقال عمر « كأنى بك عند فتى من قريش قد بسط لك وسادة وكسر لك أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فرحت تنشده بأعراض الناس .

ويكمل رجل اسمه ابن أسلم القصة قائلا « فما انفضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عمر قد بسط له وسادة وكسر له أخرى وقال أنشدنا يا حطيئة فراح ينشد بأعراض الناس فقلت له « أتذكر قول عمر ؟! » ففزع وقال « يرحم الله ذلك المرء ، أما انه لو كان حيا ما فعلت » .

ولعلك اليوم تسالنى فيما رويت لك مارويت . وما تذكرى لشاعر من شعراء صدر الاسلام . وانى لأسمح لنفسى أن أسألك أنت . ألم يذكرك ما رويته عن الحطيئة بماتراه اليوم ، اننى فى زمان الحطيئات فيه ملء الدنيا لو كنت بعيدا عن مجالات الصحافة والمجالس التشريعية فانك لن تعرف ما دفعنى الى رواية ما رويت والى قول ما أقول عن الحطيئات وهو جمع لا أدرى مدى صحته للحطيئة .

انى أرى بعينى كثيرا من الذين يكتبون فى الصحافة يهددون كل من بيده مسئولية سواء كان ذا شأن فى التليفزيون أو الاذاعة أو المسرح اذا هو لم يستجب لما يفرضونه عليه من أعمال هزيلة حقيرة تافهة شائنة لهم

أو لأصدقائهم أو لمن يقدم اليهم الرشا فانهم سيشهرون به ويرصدون أعمدتهم الغليظة وأقلامهم الخائنة لحربه واختلاق السوء عنه اذا لم يجدوا من الحقيقة ما يسعفهم ولقد رأيت رأى العين المسئولين وهم حيارى لا يدرون ماذا يصنعون · اذا هم قبلوا ما يفرضه عليهم هؤلاء السفاحون من حملة أقلام حطيئة الذليلة ·

قدموا للناس أعمالا غثة تثير عليهم ثائرة الناس وغضبهم · واذا هم رفضوا خرجت عليهم الأعمدة الثقال تتهمهم بالحق والباطل وتلقى عليهم ظلالا كثيفة من شكوك وتختلق عنهم الأكاذيب وتشوه أمام الناس صورهم بلا حسيب من ضمير أو وازع من شرف ·

وقد أرى ما هو أدهى من ذلك وأشد وطأة حين أجد الأسئلة والاستجوابات وطلبات الاحاطة تنهمر على الوزراء من أجل مطالب شخصية ·

فأين المفر ؟

وأين لنا بعمر بن الخطاب ؟

بلى لقد أحسب أن عمر وهو عمر اذا عاد لعجز عن مواجهة هذه الأزمة الأخلاقية الطاحنة · ومالى لا أظن هذا الظن وأنا أذكر ما كان من أمر عمر بن عبد العزيز حين سأله أستاذه في خطاب أرسل به اليه ·

« ماذا تريد أن تصنع بعدلك الناس هذا الذي تفرضه على الناس »·

فقال يرد على خطابه :

« أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب » ·

فكتب اليه أستاذه يقول : « لن تستطيع واذا استطعت تصبح أعظم من عمر بن الخطاب نفسه · لأن الذين حول عمر كانوا يعينونه على هذا العدل ويؤيدونه ويؤازرونه أما أنت فان الذين حولك سيمنعونك ويحاربونك ويقاتلونك وقد يقتلونك » ·

وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتم سنتين من حكمه ·

ويل لنا اذن من زماننا وقد أصبح حملة الأمانة هم حملة الظلم والابتزاز ··

وأراك تسألنى عن أمل وارى نفسى تبكى وقد تمزقت ليس من أمل الا فى وجـــه الله وان ســألتنى فلماذا أكتب فاننى مجيبك اننى أكتب لاننى لا أملك الا أن أشكو العاتية الى نفسه لا أرجو أن يثوب الى فضل من نبالة وانما أرجو أن يعلم ان أمره ليس على الناس سرا . وما هذا ينافح أيضـا ولا شافـع فان الذى يعتو لا يعنيـه فى شىء أن يظهر أمره للناس . ثم هو يتحصن منى ومن غيرى بأننا لا نملك الدليل . فالتهديد غير مكتوب فى عقد مشهر وانما هو كلمة تقال فى السر فاذا لم تصب من الذى هدده مواطن خوف وفزع نشر المبتز ما عن له من هجوم ضار واعلنه على الناس وصوره لهم على انه رأى برىء من كل غرض بعيد عن كل غاية :

والنتيجة كما نرى . اعلام هابط . واقتصـــاد متعوز خائف . وعضر مرتعش وأجف . وحسبنا الله وحده فانه نعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢١

مصر المنــــارة

الأبناء أجمل ما وهب الله للانسان ، هم حياتنا ٠٠٠ بل انهم أعز علينا من حياتنا ٠٠٠ يسعدنا أن نموت من أجلهم ٠ نسـعى فى الحياة سعينا ونشقى ، وتؤودنا الأيام بشتى أنواع العنت ، وتلاقينا بمختلف صنوف الجهد لنوفر لأبنائنا الهناء ونجنبهم كل ما يمس سعادتهم ورغد عيشهم وأمن نفوسهم ٠

الابتسامة على وجه أبنائنا أعظم ما ينير لنا الحياة ٠ وجوه كل الأبناء عند أبويهم هى أجمل الوجوه وأنضرها ٠ وهى الخفقة السعيدة من قلوبنا ٠ اذا انحرف بهم طريق ، جزعنا كأننا نواجه عواصف العالم أجمع ٠ واذا استقام سبيلهم فكل ما نلقـاه من أحداث الحياة محتمل ٠ اذا جحدوا التمسنا لهم المعاذير ، وان جنحوا لقسوة اختلقنا لقسوتهم الدوافع أكرم ما تكون الدوافـع ٠

نغضى عن خطاياهم حتى كأنها ما كانت ونحتفى بحنانهم بالغا ما بلغ حنانهم من هوان الشـأن ٠

نلتمس عندهم نظرة رضا ٠ وقد نكون أعزة على أنفســنا نشمخ بأنوفنا على القمم والهامات العالية ولكننـا عند أطفالنـا أطفال ٠ نسعد بأوهى ما يعطون ، اذا أعطوا ٠ وماذا يمكنهم أن يعطوا الا كلمة فيهـا حنان ٠ أو سؤالا عند مرض ٠ أو مشاركة باللفظ عند شدة حاطمة ٠

هؤلاء الأبناء ٠ هناؤنا وشقاؤنا ٠ عزنا وحرصنا ٠ أمننا وفزعنا ٠ غاية الغاية لحياتنا ٠ هم نهايتنا وبدايتنا ٠

فماذا حدث فى العالم اليوم ٠ ماذا صنع البشر بالبشر ٠ وكيف سمحت الحياة لنفسها أن تخرج علينا صبيحة أحد الأيام تعلن الينا أن أبوين فى لبنان عرضـا أبناءهما للبيـع ٠ ماذا صنعت القوة الغـاشمة بالانسانية هنـاك ٠

ان ما فعله الأبوان ليس قسوة منهما على أبنائهما وانما ما فعـلاه أبشـع من انتحار كل من الأبوين ٠ ولكن كليهما كان ممزقـا بين جوع

أبنائه فى ظله وعريهم وهوانهم وذلهم فى حماه • وبين أن يبتعدوا عنه كل البعد مكتفيا أن يطمئن انهم على قيد الحياة • مرتئيا أن حياتهم فى رعاية غيره ينالون عنده غذاء مهما يكن قليلا وعناية مهما تكن غير حانية • حنو الأب • خير لهم من حيـاتهم فى بيته جوعى مهزولين يقتـلهم البرد أو يحرقهم الحر وأجسادهم بلا كساء •

وادرك كل من الابوين أنه لو انتحر فقد دينه وفقد معه مستقبل أولاده وهرب من واجبات الأبوة فاقدم على هذه الخطوة التى ما أحسب الا انها زلزلت كل من قرأ عنها أو سمع بها •

أى عذاب تعرض له كل من الأبوين حتى انتهى الى هذا القرار • اتراه يوم اتخذه وأعلنه خرج من حيرته الى طمأنينة أم زاد حيرته هلعا وذعرا واشفاقا على بنيـه •

هل تملك الانسانية أن تلوم الأبوين أم هى تقف واجمة مستخزية حسرى ازاء ما صنعه الأبوان أو ما صنعته بهما الانسانية •

هل هى الانسانية التى صنعت أم الوحوش الضارية التى صعقت لبنان وفرقتها شيعا وحطمتها جذاذات قاتلة سفاكة ! واأسفا على لبنان بلاد الجبال الشماء تعممها الثلوج كأنها مصابيح الشيوخ الأئمة والجداول الرقراقة صفا نميرها وطاب منها المجرى والمرأى والمشرب • بلاد الأرز الأشم يغطى السهول منها والوديان كأنه أيد مرفوعة بالدعاء والشكر لمن جعل لبنان جنات النعيم وطريق الخلد كما كان يراها خالد الشعر العربى أحمد شوقى •

الى أى مصير ألقى بها التعصب والغناء والأصدقاء والأعداء• أصبحت جبالها كالمجرمين العتاة الزنادقـة واستثيرت الجداول منها هادرة فهى أنهار صاخبة من الدماء الحمراء القانية • وتهدلت الأيدى المرفوعة من الأرز واسترخت فى استسلام الموتى ويأس المطحونين •

وما أخال الجبال والجداول وأشجار الأسى الأصـارخة اليوم فى عويل طويل مفجوع من هذين الأبوين أحدهما فى شمال لبنان والآخر فى الجنوب يعلنان الرغبة منهما أن يبيعا كبودهما لمن يشترى •

اذن فهكذا يصنع التعصب والتطرف بأصحابه • أترانا سنسمع فى قريب عن أباء وأمهات يبيعون أبناءهم فى ايران •

وهل يمكن أن تنتهي هذه الحرب هنـاك الا بهذا الفتـك بأسمى العلاقات الانسانية وأشرفها معدنا وأنبلها أصرة ٠

أيريد الارهابيون هنا أن تتمزق نحن أيضا كما مزق الارهابيون لبنان وكما يمزقون اليوم ايران !

أيريد المتطرفون في مصر أن يوقعوا بين الأخوة حتى ينتهي بنـا الأمر الى بيـع أبنائنـا ؟

ألا من مدكر ٠٠٠ ويحهم ألا يعقلون ؟! ويل لهم ألا يبصرون أم على القلوب منهم أقفالها ؟

ان المتطرفين من شتى الأنواع والنحل تعاقدت منهم الأيدى واتحدت الطرق وأصبحوا حربا على كل قيمة يحـاولون أن يحطمـوا مصر أول ما يحطمون ٠

أيريدون أن ينتهي بنا الأمر أن نبيع أبناءنا كما صنعوا في لبنان ؟

إن الذى يحدث اليوم في لبنان هو المصير المحتوم لكل بلد يحاول فيه المتطرفون أن يفرضوا أنفسهم على الحكم على أى لون كان تطرفهم هذا وعلى أى عقيدة أو ملة أو مذهب ٠

وتلك الأقلام التى لا تنفث الا سما ولا تكتب الا خزيا ولا تخط الا سفولا ، أما آن لها أن تدرى أن الطريق الذى فيه يسيرون يتجه بوحدة مصر الى تمزيق ؟

لماذا يتاجرون بالأمنا ولا يحاولون أن يخففوا منها ٠ ولماذا يزيدون أوجاعنا أو صابا ولا يحاولون أن يكونوا دواء لداء ٠ وهم يدعون أنهم أبناء مصر ويزيدون انهم هم هم وحدهم الأبناء المخلصون ٠

أما آن لهم أن يرعوا الله فيما يصنعون ؟

كره الله هذا والمؤمنون ٠

انما الله سلام ٠ وأمن وطمأنينة ٠ وهو سبحانه يرى الفتنة أشد وبالا من القتل ٠ فما لكم ترفعون اسم الله وتشيعون الفتنة بين عباده ٠ وما لكم تدعون الوطنيـة وتفشون الفرقة والتنـابذ والأحقاد بين أبنـاء

الوطن · وما لكم ويلكم تجعلون صحفكم سوداء بالسخيمة غبراء بالكراهية قاتمة بالسباب الى اين وماذا تريدون ؟

أتراكم قرأتم من بيع الاباء لبنيهم · أو تراكم فزعتم كما فزعت الانسانية جميعا على شتى ألوانها وصنوفها ومعتقداتها وأديانها · أم انكم أنتم بلا انسانية ولا معتقدات الا الخراب ولا دين الا التمزيق والحرق والتدمير ؟

ستبقى مصر · ولن نبيع أبناءنا ولن نبيع قيمنا ونبالتنا وان تكن منا فئة عاجت اليوم عن الطريق أو حادت عن الشرف فان وجه مصر المشرق بتاريخها الذى كان بكر الحضارات وأولها · وبدينها الذى ظل عماد الحياة فيها وأسسها · وبخلقها الذى ورثته عن أعظم ما فى الحياة من سجايا سيعيد المعوج الى الطريق والحائد الى السبيل وستبقى مصر كما أراد لها الحى القيوم كنانة الله فى أرضه· اختارها سبحانه مسرى أنبيائه وطريقهم واختارها أن تكون مئذنة العالم العربى ينطلق من مناراتها : الله أكبر فيرددها من ورائها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ·
واختارها أن تكون الضياء الغامر للعالم العربى أجمع ·

هكذا كانت وهكذا هى وهكذا ستظل وان رغمت من المارقين الأنوف والله سبحانه غالب على أمره ·

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢٧

واغــوثاه

لابد للدولة أن تعيش • ومهما تكن الصعاب والعقبات والعراقيل فان الدولة تجتازها وتعبرها الى الحياة •

فالدولة أصل • ولن يمنع الدولة أن تصل الى الرأى السديد لافتات على فراغ • أو شعارات جوفاء • أو نداءات تصدر عازفة بشقشقة فارغة أو الفاظ غنائية •

وما أرى الا أن مصر اليوم تؤجل ما ستضطرها الأيام أن تتخذه من قوانين • وعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة •

ان الرشاوى غير المنطقية التى قدمتها بعض الحكومات الى فئات من هذا الشعب الطيب لابد أن تصدر القوانين بالعدول عنها •

فالرشوة بعيدة كل البعد عن العدالة • والعدالة فى النهاية هى صاحبة الكلمة العليا • لأن العدالة ليست الحق وحده وانما هى أيضــا تمكين صاحب الحق أن يناله • وكل حق يقابله واجب • فالحق والواجب وجهان لعملة واحدة • ولن يســتقيم فى العقول أن تكون عملة ما ذات واجهة واحدة •

وحقوق مصر مهدرة عنــد كثير من الفئات • هذه الفئات لم تؤد واجبها ونالت أكثر من حقها • فالعدالة اذن بينها وبين الدولة غير قائمة بل هى منهارة •

ان العــالم جميعــه يدهش أن تكون فترة العمل اليوميــة فى مصر سبعا وعشرين دقيقة • وان جامع حروف هذه المقالة سيجدنى كتبت عدد ساعات العمل بدلا من فترة العمل ثم شطبتها وكتبت فترة • لأن الجملة لم تستقم فى ذهنى • ففترة العمل عندنا لا تحسب بالساعات شأنها فى جميع دول العالم وانما تحسب بالدقــائق • التى لم تصل الى الثــلاثين دقيقــة •

فكيف تستطيع هذه الحقائق اقالة اقتصاد مصر مما يتردى فيه ·
وما هو موقفنا أمام العالم وهو يسخر من هذه الحقيقة الموجعة الأليمة ومالى لا اقول المضحكة وشر البلاء ما يضحك ·

ليس فى العالم أجمع دولة تماثلنا فى هذا · ذلك لأن الجزاء رفع تماما عن العامل ·

فحين نجد الدول الشيوعية تعاقب المتكاسلين من العمال لا بالرفت وحده · وانما بالسجن والنفى وما لا يعلمه الا الله من وسائل التعذيب نجد العمال متحصنين فى مصر من أى عقاب مهما يكن هينا · ونحن دولة تتخذ الديمقراطية التى هى حكم الأغلبية عنوانا لحكمنا · بينما ترفع الدول الشيوعية شعار حكم الطبقة العاملة لافتة على نوع الحكم فيها ·

فاذا كان حكم الطبقة العاملة يوقع الجزاء أشد ما يكون الجزاء على العامل الذى لا يؤدى واجبه أليس من الأولى أن نعيد نحن النظر فى قوانين العمال عندنا حتى ينال الكسول والمهمل وغير المبالى جزاءهم ·

وهل من العدالة فى أى شرع أو منطق أن يتساوى المحسن والمسىء والجاد والهازل · والخامل والنشيط ·

ان قوانين العمل التى نحاذر اليوم أن نأتى بذكرها وكأنها ذات مصونة لا تمس لن تستطيع أن تواجه الأزمة الطاحنة التى تعيشها مصر · ويأتى حين على الدولة تشعر أن الأمر جد لا يحتمل المراوغة · وحين يأتى هذا الحين تصبح الدولة ولا خيار أمامها · فاما أن توجد أو لا توجد واما أن تعيش أو لا تعيش · والدول دائما تعيش على الرغم من كل اللافتات ·

وحينئذ تتخذ سبيلها قصدا الى الصحيح من الأمر · ويقول القائل يومذاك المثل العربى القديم « مرغم أخاك لابطل » · فقبل أن نكون هذا المرغم لابد لنا أن نفىء الى الرشد · وأن نفيق الى الهول الذى يحيط بنا · فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

وقوانين التعليم المجانى ذات اسم عريض على غير المسمى · فانه بفضل اللافتات التى رفعتها والشعارات التى اصطنعتها نجحت كل النجاح ان تجعل الاسم المطلق على هذه القوانين اسما على غير مسمى · وأنشودة بلا صوت · وجعجعة ولا طحن ·

لم يعد فى مصر تعليم • والمدارس والكليات فى مصر ليست مجانية •

وليصرخوا بأعلى صوت لهم • ليس فى مصر اليوم تعليم •

والانتساب الى دور العلم الموجودة الآن ليس مجانيا •

أين المجانية مع هذه الأرقام الهائلة التى يدفعها الأباء المطحونون فى الدروس الخصوصية • وأين التعليم فى بلد نرى فيه خريجى الجامعات لا يقيمون جملة صحيحة بلغة بلادهم •

وكم نادينا أن يدفع القادر أجرا لنعين به غير القادر فى التعليم وهباء راح نداؤنا ، وتصايح هواة اللافتات ، أصطرخ أبناء الشعارات ، وتهاتف الجبناء الحريصون على الخراب •

ان التعليم حق • هل ننادى بأن يدفع القادر الا لكى نؤدى هذا الحق لأصحابه •

ان التعليم حق • فهل ناله أبناء مصر ؟! علم الله انهم لا ينالونه الا من دروس خاصة يبذلون فيها دماء آبائهم •

ويعلن بعض رؤساء الجامعات انهم هيأوا مواقف لسيارات الطلبة تتسع لآلاف من هذه السيارت • اشتراها أصحابها بالعشرات الكثيرة من الألوف وأصحابها فى داخل الكليات يعتصرون دماء مصر المأزومة ويزيدون الرهق الذى تعانيه • وبعض هؤلاء الطلبة نال شهادة الثانوية العامة وتلقى تعليمه الاعدادى والابتدائى بل والحضانة بمدارس أجنبية كانت المصروفات فيها آلافا مؤلفة دفعها الآباء عن رضا وطيب خاطر طوال سنوات الدراسة دون أن يقول واحد منهم كلمة معارضة أو احتجاج حتى اذا نال أبناؤهم الشهادة الثانوية استباحوا لأنفسهم أن يتلقى أبناؤهم تعليمهم العالى وهو العالى مجانا على نفقة مصر •

ويتدهور التعليم فى المدارس والجامعات • والهتاف بمجانية التعليم يعلو ويتفاقم • وهيهات •

لن يصح الا الصحيح •

وها نحن أولاء نصيح • ادركوا الأمر وأنتم بعد فى نهاية الطريق من الاختيار قبل أن ينغلق دونكم الاختيار ويقول القائل • مرغم أخاك لا بطل فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة •

أنا مؤمن ايمانا وثيقا انه لا سبيل الآن الى الغاء القطاع العام فان في الغائه سحقا للاقتصاد المصرى ٠

ولكن الا من نظرة أمينة اليـه ٠

ما معنى أن يشغل القطاع العام نفسه بالتجارة فى دكاكين انما نعرف أن يكون القطاع العـام فى الصناعات الكبرى ٠ وقد يكون من المعقول أن يتصدى للصناعات المتوسطة ٠

أما أن يكون عمر أفندى وشيكوريل وصيدناوى والصالون الأخضر وأشباه هذه المتاجر قطاعا عاما فتلك عجيبة من عجائب الزمن ٠

وأسـمع أخيرا ان بعض هذه المحلات العـامة تؤجر الأركان فيها للقطاع الخاص ٠٠ ما هذا ؟! ٠٠ وأى نوع من الاقتصاد ذاك ! ٠٠ أهو عام أم خاص أم هو خليط شائه مضحك لم يعرف العالم له مثيلا ٠٠

ويقولـون أين يذهب عمـاله الذين تكاثروا بصـورة سرطانيـة وأصـبحوا يقبضـون مرتبـات دون أن يقـدموا عملا ٠ ونقول لهم انقلوهم بدرجـة البطالة التى يشـغلونها الى أى مكان وازيحوا أورامهم عن هذه المتاجر التى تستطيع ـ ان هم زحزحوا عنها ـ أن تصبح قطاعا خاصا مربحا لمن يشتريه ومربحا للدولة فى وقت معا ٠

فالخسارة فى هذه المتاجر ليست ناتجة عن العمالة الزائدة أضعافا مضعفة فحسب وانما هى بادىء ذى بدء من انعدام الحافز الشخصى الذى اعترفت به الدول الشيوعية نفسها ٠

فلو أن لهذه المتاجر أصحابا لعرفوا كيف يستخلصون منها أحسن ما يمكن أن تعطى ٠ وهم بعد سيدفعون عن أرباحهم ضرائب للدولة خالصة بغير جهد من الدولة ولا نصب ٠

أما الدكاكين التى تبيع فيها الدولة الفول والطعمية والكباب فتلك فى ذاتها مسرحية من المسرح الهزلى العابث وأنا لا أستطيع أن أصدق انها موجودة حتى ولو كانت فعلا موجودة ٠

واليوم الذى يتحتم فيه على مصر أن تواجه هذه الخسائر أن لا شك آت ٠ ان لم يكن قد أتى فعلا ٠ وستضطر مصر مرغمة أن نقيم القواعد

على الأسس الصحيحة · لأنه ـ ودائما ـ لا يصح الا الصحيح وكم نرجو أن تحزم الدولة أمرها قبل أن يصيح صائح مرغم أخاك لابطل · فعزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

وبعد فما أسوق الا أمثلة قليلة من أشباه كثيرة سيأتى اليوم عاجلا لا آجلا نجد أنفسنا فيه مضطرين أن نتخذ القرار الأمثل بغير هتاف ولا لافتات ولا تهريج ولا مغالطة · فقد تصلح هذه الأشياء بعض الحين ولكن ما أقل هذا الحين · ثم سرعان ما ينجلى عن الحق الذى لا حق غيره · وسرعان ما يستبين الصواب ويصح الصحيح · فادركوها ·· فانها اليوم تصيح بكم واغوثاه · ولم يبق أمامكم الا أنه تستجيبوا لصراخها فانما تستصرخ بنيها ولا يصرف الأبناء أذانهم عن الأمهات الا ان كانوا صما أو كافرين بحق الأمومة وما نحن بصم وما نحن بحق الأمومة بكافرين ودائما والى الأبد عزيز على كل مصرى أن يرى مصر مرغمة ·

الأهرام ١٩٨٦/١٢/٢٨

سنة ١٩٨٧

جفـــاء .. لا يمـــكث

كان قدري ان أعيش مع الناس منذ البواكير الأولى من حياتي . فقد ولدت وأبي عضو مجلس النواب . وعضو مجلس النواب لابد أن يعرف كل البلاد التي انتخبته فله في كل بلد أصدقاء منهم التاجر ومنهم الفلاح ومنهم شيخ البلد . وهو باليقين يعرف عمد هذه البـــلاد جميعا وعلى صلة وثيقة بهم وكل عمدة منهم يظن انه الأثير عند النائـــب . وفي هذا الحين من الزمان كان بيت النائب مثابة لأهل دائـــرته جميعا والدوائر المجاورة أيضا . واذا احتاج بعضهم ان يبيت بضع ليـــال في القاهرة فانه يكرم النائب ويبيت في بيته فلا يصح ان يكون بيت النائب موجـــودا ويبيت زوار القاهرة من أبناء المنطقة في فندق أو عند قريب لهم أو نسيب .

وكان أبي أيضا محبا للشعر والشعراء حتى لقبوه بأبي الشعراء . فكان بيتنا منذ وعيت لايخلو من الشعراء .

واتصلت أسبابنا بذوي الحكم والسلطان وهكذا قدر لي ان أعرف جميع فئات المجتمع وأن تقوم بيني وبينهم أواصر ألفة ومودة .

فأنا أرضى من الناس بما لا يرضى به غيري . أقبل الالحاح في الطلب وأقبل الازعاج في غير وقت العمل . واسترضي أولئك الذين يتظاهـــرون بالغضب لأهون الأسباب ولأكثرها تفاهة . وأذكر البيت القديم :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

مرنت على أن أقبل الناس على ما فيهم من عيوب . وأغضي عن عيوبهم عينا تعرف ما بهم من شوائب . فمن غلبت فضائله على مثالبه قبلته . ومن غلبت مثالبه على فضائله قطعته وكأنني لا أعـــرفه . وأذكر حكمـــة مأثورة مؤداها « نصف الفطنة تغافل » وأعمل بها ما وسعني الجهد ولكن الجهد قد ينفد . وقد لا تسعفني سعة الصـــدر . وقد يضيق بي التغافل فأثور ولكن ما أقل ما تدوم ثورتي وما أسرع ما أثوب الى سكينة النفس وهدوء الطبـــع .

ولكن هناك بعض صفات فى الانسان لا أستطيع أن أغتفرها فيما اغتفر من مثالـب ·

لا أطيق الذى يحسب أن الناس أغبياء وهو وحده الذكى ولا أطيق الكذوب الذى لا تستطيع ان تعرف منه حقا · قد أغضى عن صادق اضطرته الظروف الى الكذب أحيانا ومن فى الناس لا يضطر الى ذلك · وغفر الله لابن الرومى حين قال ·

وانـــى لـذو حلـف حاضر
اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق
وهل من جنـــاح على مؤمن
يدافـــع باللـــه مالا يطيق

اما ان يكون الكذب هو الأصل فى الانسان والصدق صـدفة فتلك خلة لا أستطيع ان أعرف صاحبها ولا أقبل ان يعرفنى ·

وأذكر واحدا ممن عملوا مع أبى كان مصـــابا بداء الكذب حتى اذا أراد أن يقول الصدق عصاه لسانه وقال الكذب وكان أبى يقول عنه انه لو عرف ان الصدق سينقذه وان الكذب سيحيطه بالمهالك كذب وفاء منه للكذب وحرصا عليه ·

أما أبشع من عرفت من الناس فهو ذلك الذى يتظاهر بما ليس فيه فهو شخص يعلن على الناس انه ليس راضيا عن نفسه كما هى فهو يحاول ان يضفى عليها ما ليس فيها ·

وفى هذه الحمـاة من المهـــانة يقع الذين يعشقون المظاهر الكاذبة فتراهم وقد انتفخت أوداجهم وورمت أنوفهم وعلت صـــدورهم · وتراهم يصطنعون دواعى العظمة · فان كانـوا من ذوى سلطـــان استكثروا من الحراس واختاروا من السيارات أكثرها اجتذابا للأنظار ·

مساكين هؤلاء انهم لا يهدأون أبدا اذا أرادوا ان يسلموا على صديق رسموا لأنفسهم شكل السلام · وان أرادوا ان يبتسموا فكروا طويلا فى صورة الابتسامة وان أرادوا ان يمشوا شكلوا خطاهم ، وان أرادوا أن يجلسوا تحيروا كيف يجلسون فى عظمة وكيف تحتفل بهم الأنظار وتحيط بهم الأصدقاء وتتحلق حولهم الاهتمامات حتى لا يصبح أحد فى الجالسين ذا شأن الا هم · وقد يكون فى جلستهم من يسمو عنهم منصبا أو من

يعلو عليهم علما وشهرة ومكانة ولكنهم مساكين يحسب كل صغير منهم انه مركز الكون وانه لولاه ما دارت الأرض ولتوقفت الحياة ٠

كم هو هزيل ذلك الأدهى من هؤلاء وكم تضيق به الحياة على سعتها وكم أريد ان أصيح به كن انت ايها الانسان فانك مهما تتخذ من أبهة فارغة ومن مظاهرة كاذبة لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ٠

هؤلاء الناس يحسبون ان أى منصب أقل من عبقريتهم الباذخة ومن شخصياتهم العلوية السامقة ٠ يحفرون بأيديهم المهاوى لخطواتهم لأنهم يطمعون ان ينالوا من الحياة أكثر مما تستطيع الحياة ان تعطيهم يتمثلون قول المتنبى :

أريد من زمنى ذا ان يبلغنى
ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

ناسين ان المتنبى ـ على عظمته ـ مات حتف غروره وكان موته نهاية طبيعية لسعيه المجنون الى امارة أو بعض امارة ٠

وهؤلاء الصغار لا يقف بهم طموح ٠ وويل كل الويل اذا ولوا من المناصب كبيرها ٠ فانهم بعد ذلك يلهبون ظهر الزمن لينالوا المنصب الذى يليه ٠ هيهات أن ينتهى جنون العظمة عندهم الى غاية أو يبلغ بهم الى مرفأ ٠ فإن ملكوا الأرض طلبوا السماء ٠ يقتلهم صغارهم ٠ ترديهم تفاهتهم ٠ تقضى عليهم رغبتهم المشتعلة ان يحيط بهم الاهتمام والتكبير والتعظيم ٠ وانك لترى العاملين معهم يؤلهونهم فى ذلة وهوان فان غفلوا لحظة عن التملق لهم ٠ والتمدح بالائهم ومآثرهم استحثوهم ان يمدحوا وأرغموهم على التغنى بقدراتهم الخارقة ٠ وهؤلاء الصغار الذين يتخذون ملابس الكبار لا يرضون ان يكون نبوغهم فى جانب واحد من الحياة أو فى ناحية واحدة من التفوق فهم يتوهمون انهم علماء وأدباء وساسة وأصحاب وسامة وجمال ورشاقة وانهم على كل شىء قادرون والذين حولهم لا يقف بهم نفاق عند حد وهم ـ والعياذ بالله ـ بلا حياء ومن فقد حياءه زاد نفاقه لأنه بلا كرامة ترده وبلا خلق يردعه ٠ والذى يصدقه أشد منه وقاحة وأكثر منه جهلا ٠٠

مصير هؤلاء معروف ٠ فان الحياة ترفض من يريد ان يخلق لهـا ناموسا غير ناموسها أو يحاول أن يضع لدورانها دستورا غير دستورها ٠ وسبحان الذى قال « فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ٠٠ ومثل هذا النوع من الانسان زبد فهو جفاء وهو لا يمكث ؟

الأهرام ١٩٨٧/٢/٦

نقيق

للشيوعيين - والعياذ بالله - نوع من الخلق ينفردون به عن سائر المخلوقات في العالم - وهم - فى أنماط أخلاقهم هذه يتشابهون حذوك النعل بالنعل فى كل جماعة لهم لا يختلف رهط منهم عن رهط ولا تجمع لهم عن تجمع ·

فهم جميعا ينطقون عن لسان واحد والحجة التى تجدها عند أحدهم تجدها عند الآخر وان تباعدت بين الاثنين الأماكن ·· وان شط مستقر أحدهم عن مستقر الآخر · والمراقب لهم يدرك من فوره ان جميعهم أبواق لمصدر اذاعى واحد · وان جميعهم صدى لصوت آمر ينطلق من هناك وينقله حجر منهم فى شكل انسان · أو ان شئت فقل فى وعاء انسان الى حجر آخر يتخذ هو أيضا شكل الانسان ·

وتصبح أصواتهم جميعا وكأنها نقيق ضفادع يتعالى منها الصياح وتصوت جميعها فى وقت واحد لاتستطيع اذنك ان تميز صوت ضفدعة منها عن أخرى · وانما تنطلق الضفادع جميعا بصيحة واحدة · والعجيب العجيب فى شأن هؤلاء الشيوعيين انهم اذا صمتوا ·· صمتوا جميعا فى لحظة واحدة ويسود سكون ينبىء ان الأصوات الى عودة · وتكون العودة دائما بنفس الضجيج كثيرون هم يتصاخبون وجميعهم يقول مايقوله الآخر ·

تصاعدت أصوات ضفادعهم فى الفترة الأخيرة موجهة نقيقها الى شخصى ، وغاية ما أسفر عنه صياحهم اننى كنت ضد حرية الرأى فى ساحة فخامة رئيس الجمهورية حين اجتمع بالكتاب وهو يفتتح معرض الكتاب ·

وان لهم لصفاقة هيهات وألف هيهات ان تتأتى لغيرهم · وقد رمونى بتهمة لم أصنعها والشهود على صدقى وكذبهم أكثر من مائة كاتب كانوا يشهدون اللقاء وقد استمعوا الى كل كلمة قيلت فيه ولو كانوا على ذرة من حياء لخجلوا ان يفتروا فريتهم تلك والشهود جميعا يعرفون كذبهم واختلافهم واعتداءهم على الحق ·

أما الواقعة كما حدثت فهى أن عالمهم محمود أمين العالم طلب الكلمة من فخامة الرئيس فأعطاه اياها فراح يلقى حديثا طويلا لم يجعل له عنوانا وانما كل كلمة فيه تطالب بأن تطبق مصر النظرية الشيوعية الماركسية .

ولم يفجر المتحدث ان روسيا وهى روسيا بدأت باخرة تتخلى عن كل ما كان ينادى به سيادته ويريد تطبيقه .

وزاح الرئيس يستمع ويناقش فى هدوء وفى أدب جم نعرفه فيه جميعا واستمر النقاش حتى سأل الرئيس فى هدوء :

ـ يعنى ماذا تريدنا ان نفعل .

وقلت أنا فى محـــاولة طبيعية لوضع عنـــوان لحديث الأستاذ محمود أمين العالم :

ـ انه ياسيادة الرئيس يريد أن يطبق النظرية الشيوعية الماركسية على حكم مصر .

وارتبج على الأستاذ محمود أمين العالم وكأنما لم يكن يتوقع أن يعلن واحد من الحاضرين عنوان الحديث الطويل الذى ألقاه ولم يجد شيئا يقوله الا جملة متلعثمة مترددة :

ـ لا .. النظرية الشيوعية .. لا .. هذه موعدها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة .

وانتهى النقاش .

وخرج جميع الشيوعيين من جحورهم . ما كان لرئيس اتحاد الكتاب ان يمنع أحدا من ابداء رأيه وثروت أباظة يصـــادر الرأى . والمدافع عن الحرية يتصدى للحرية . وتجاوبت أعمدتهم ومجلاتهم متناوحة تحمـــل نقيقا واحدا الا كاتبا منهم هو الأستاذ عبد الستار الطويلة الذى أكن له احترام الخصم فى الرأى الذى يمنعه كرم نفسه أن يخلط خصومته بدخل أو كذب أو ادعاء باطل .

فقد كان شريفا فى حديثه عنى وما أحسب التهمة التى وجهها الى الا سوء تفاهم لا ألومه عليه وأشكره فى ذات الوقت على نبيل رأيه فى .

وما هذه هي المرة الأولى التي يختلق فيها الشيوعيون الأكاذيب عني ثم يصدقونها ثم تتوالى مقالاتهم في مهاجمتي من أجل الواقعة التي يعلمون هم علم يقين انهم اختلقوها . ولكن هذا دأبهم فما رأيت في حياتي أجرأ على الحق منهم . وما العجب ؟ والمذهب بأجمعه يقوم على انكار الحق وهو الحق سبحانه وتعالى عما يشركون .

قال قائلهم ونشر بجريدة عربية تصدر في دولة غربية: ان ثروت أباظة طالب بمنع دخول الشاعر نزار القباني الى مصر . في هذه الزيارة التي أدعوا فيها انني أريد ان أمنع دخول الشاعر الى مصر التقيت بالشاعر في « الأهرام » ودعوته ان يشرفني ببيتي في غداء أو عشاء فنحن صديقان قديمان ولقد طالما شرفني ببيتي والتقيت به أكثر من مرة في بيت عمي عزيز أباظة باشا الذي كان يصر على دعوته كلما جاء الى القاهرة . وقد دعاني نزار الى بيته أكثر من مرة . فكيف تنوطد بيننا هذه العلاقة . وكيف أدعوه الى بيتي وفي نفس اليوم أطالب بأن يمنع من الدخول الى مصر .

هذه واحدة وأخرى . من نصب رئيس اتحاد الكتاب بوابا على مداخل مصر . وبأي صفة يحق لي ان أطالب بادخال أي شخص أو بعدم دخوله .

وكيف يسوغ في الأذهان ان يطالب رئيس اتحاد الكتاب وهي نقابة حملة القلم باتخاذ اجراء تعسفي ضد واحد من شعراء العصر أو أي حامل للقلم .

كانت الفرية مضحكة واضحة الهزل والضحالة فأوليتها أذنا غير صاغية وأهملت شأنها .

ولكن الكذبة سعت بأصوات الضفادع الى أركان الأرض العربية جميعا وتصايحت أقلام الشيوعيين من كل حدب وصوب ترفض موقفي الذي لم اتخذه ولم أفكر في اتخاذه ولم أتصور ان من حقي أو من واجبي ان أقفه .

وجاءني محرر من الجريدة العربية التي نشرت الخبر أول ظهوره فبادرت بتكذيب ما اختلقوه اختلاقا ونشر المحرر الأمير الخبر ووضعته الجريدة مشكورة في مكان واضح من صفحاتها .

فهل أجدى التكذيب هيهات .. مازال الشيوعيون حتى الأيام الأخيرة الماضية ينددون بالموقف الذي لم اتخذه ولم أفكر في اتخاذه .

ونزار قبانى شاعر من أعظم شعراء جيله . ونحن لانحاسب الشعراء على مواقفهم السياسية . ولو فعلنا لتعرض أغلب الشعراء من الجاهلية الى يومنا هذا لرفض شديد . ولكان المتنبى أكبر شعراء العربية بعد شوقى اكثر الشعراء تعرضا للمحاسبة وانما ينبغى ان يكون دأبنا مع الشعراء ما وصفهم به الخلاق العليم فى محكم قرآنه « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون » . صدق الله العظيم .

ومالنا أن نحاسب نزار على تقلب رأيه بشأن نقده لمصر او مديحه لها وبين كتاب مصر الذين ينتسبون بآبائهم وأمهاتهم وعظام أجدادهم الى مصر من باعوها حين ذهبوا الى الدول العربية بيع السماح أو بيع اللئام وراحوا يكيلون الشتائم لمصر وحكام مصر ويتقاضون أجر أعراضهم ثمنا دنسا حقيرا .

ثم هاهم أولاء اليوم بين ربوع مصر يقولون آراءهم مديحا ونقدا كأنهم ما باعوا مصر بأموال مازالت حتى اليوم تملأ خزائنهم . وغفرت لهم مصر ومن يغفر اذا لم تغفر الأم . وغفرنا نحن أبناء مصر ما أساءوا ومن أولى بالغفران للأخ من أخيه .

وها هو ذا الشاعر الفنان نزار قبانى يعود الى مصر منشدا لها نشيد الحبيب العائد الى حبه . وما زالت مصر هى حب العرب أجمعين . يحبونها على أى حال هى عليه . وقد يضيقون بما تعانيه ولكنها عندهم أجمل من أمريكا التى يجدون فيها آخر ما وصل اليه الانسان لتدليل الانسان . ولكنهم لايجدون فيها أو فى غيرها دفء الأخوة العربية ولن يجدوا . ولا يجدون فيها ولن يجدوا مايلتقون به فى مصر من فن يخاطبهم ويخاطبونه ويناجيهم فيفهمون نجواه .

فمرحبا بنزار الشاعر المطبوع الذى أعتبره أنا ويعتبره كل منصف واحدا من علامات جيله فى الشعر العربى . ومرحبا به فى بيتى الكبير مصر . ومرحبا به فى بيتى الصغير الذى طالما زاره والذى اعتقد انه يعتبره واحدا من أقرب البيوت الى نفسه بين البيوت الكثيرة التى ترحب به فى مصر .

الأهرام ١٩٨٧/٣/١

الأيدى الفصيحة

أحسب ان هذه الكلمة ستظهر وقد انتهى كل نبا فى شأن المرشحين الى مستقر ٠

ومع انتهاء الأحزاب من اختيار قوائمهم سنرى وجوها راضية وأخرى عليها من الغضب قترة ٠٠ ولا علينا من هؤلاء ولا من هؤلاء فكل من تطمح نفسه للترشيح يظن انه مكتسح خصومه وان الناس لا تحب أحدا قدر حبها له ٠ وسبحانه وتعالى هو وحده الذى يعلم القلوب وهواها فى سخطها ورضــــاها ٠

لم يكن الناس على أية حال راضين عن المجلس المنحل ولذلك نرى الشعب جميعه مقتنعا لأول مرة فى تاريخ الاستفتاء بصحة نسبة التسعين فى المائة ٠ فهى نسبة تمثل اتجاه الشعب حقا فى غير افتئات عليه ٠

وكره الناس فى أعضاء المجلس القديم انصرافهم عن مصالح الوطن العليا وسعيهم الحثيث لتحقيق المصالح الخاصـــــة ٠ وكره الناس كثرة التصفيق والتهليل ٠ وكره من المعارضة الصوت المرتفع الجهير الذى لا يقول شيئا ٠ وكره منها ادعاء البطولة فيما لا بطولة فيه ٠ وكره الناس تصادم المنصة مع الأعضاء وحجبها للأسئلة والاستجوابات وهى الوسائل الجادة للمعارضة التى يستطيع بها المعارض ان يقدم رأيــــا ذا قيمة وتستطيع الحكومة عن طريقها ان تبين وجهة نظرها ان كانت سليمة أو العدول الى الطريق الأقوم ان لم تكن سائرة فيه ٠ وكره الناس من أعضــــاء المجلس القديم حرصهم على اثبات أسمائهم لينالوا مكافأة الحضور ثم انصرافهم بعد ذلك عن الجلسات ليسعى كل منهم الى شأن يغنيه ٠ وكره الناس خوف الأعضاء من مواجهة كبريات الأمور وأمهات المسائل والخطير الخطير من شئون الدولة ٠ وكره الناس من المجلس جميعه منصــــة وأعضــاء حرصهم غاية الحرص ان يحجبوا القوانين عن مجلس الشورى وهم يعلمون كل العلم انه يجمع بين جنباته عقولا باذخة تشرف بها مصر بل يشرف بها كل فرع ثقافى بمثلونه فى أنحاء المعمورة ٠

وكره الناس ان تخرج احصائية مخجلة تثبت ان أكثـــر من مائتى عضو لم يفتحوا فما بكلمة واحدة وتساءل النـــاس وانى معهم أتســاءل ما حرصهم اذن على مقعد فى مجلس نيابى وهم بكم الأفواه فصحاء الأيدى • فهم عن الكلام معرضون وهم الى التصفيق يتسابقون • ولقد نعلم - وبئس ما نعـــلم - ان التصفيق الذى يرتكبونه هو على صغاره وهوانه أشرف ما تصنعه أيدى البعض منهم مهما يكن هذا البعض قليلا • وكره الناس تجمع نواب الشعب والرقبـــاء على السلطة التنفيذية حـول الوزراء فى مقاعدهم وبايديهم مطالبهم أو مطالب أصدقائهم • وجميعنا يعلم ان كل وزير يخصص لأعضاء مجلسى الشعب والشورى أياما محددة فى الاسبوع ليلتقى بهم وينظر فى مطالب دوائرهم •

وكره الناس من أعضاء المجلس الماضى ان نواب الشعب رفضوا ان يتحرروا من ربقة الناخبين وقد كانت انتخابات القائمة كفيلة ان تجعلهم نوابا لمصر جميعها وليس للدائرة التى يمثلونها وحدها • وهذا هو الأصل الدستورى الذى تقوم عليه عضوية المجالس التشريعية • كما ان الأصل الدستورى أيضا ان عمل الناخب ينتهى عند صندوق الانتخاب • ولايمنع هذا النائب ان يرفع ظلما عن ابن دائرته اذا وقع عليه ظلم أو ان يرد عنه غائلة الحياة اذا ما غالته الحياة على ان يكون عمله هذا بجانب واجبـــه الأصلى الذى تفترض الديمقراطية انه انتخب من أجله نظرا فى التشريعات ومساءلة للحكومة •

وكره الناس ان تتحدد صلات أعضاء مجلس الشعب بالوزراء على أساس الخدمات الشخصية التى يقدمها الوزراء لممثلى الشعب وذويهم ومن يلوذ بهم ومن يجعل منهم وساطة الى الوزير • فاذا أجابهـــم الى مطالبهم مهما تكن جائرة صفقوا له وأحبـــوه وان أبى الا الحق انصرفوا عنـــه وكرهـــوه •

واليوم تلك هى القوائم وأولئك هم المرشحون فى الدوائر الفردية • وهذه هى الانتخابات قد بدأت فهل يدرى المرشحون ماذا ينتظر الشعب منهم كمرشحين ثم ماذا ينتظر منهم اذا قدر لهم النجاح وأصبحوا ممثلين للأمـــة •

. . . . . .

أحسب انهم يعرفون • ولكن لم أخش ان يضربوا صفحا عما يعلمون •

الوعود البراقة • والكلمات المعسولة • والألفاظ الرنانة والجلسات الهامسة • والعلاقات الدفينة • والايمان الكاذبة • والتلطف الذى لا يخدع

أحـــدا . والعزاء في كل ميت . والتهنئـــة لكل مناسبة ولغير مناسبة . والسرادقات واللافتات والهنافات والطبول والزمور . كل هذا لن يفيدهم شيئا ، ان من محاسن أنتخاب القائمـــة ان الناخب ينبغي له ان ينتخب المبدأ لا الشخص . ويعطي صوته للقائمة التي لا تضم بين أعضائها من يعلمون عنه ما يخدش الشرف او يجرح الأمانة .

فاذا فاز من فاز أفيدرى ماذا عليه أن يواجه .
كبريات الأمور لا صغائرها .
ومصير أمته ومستقبلها .

لم تعد مصر تستطيع أن تصبر على ما ابتلاها به الزمن من قوانين هازلة ، ومن شعارات كاذبة ، ومن مقولات فارغة . أدت بهـــا الى هذا الإنهيار الاقتصادى الذى لابد لنا أن نواجه مواجهة صادقة لا ميوعة فيها ولا مهادنة .

سيواجه المجلس الجديد القوانين الظالمة الغاشمة التي تجعل العامل الكسول الخامل ينال نفس الحقوق والحوافز التي ينـــالها العامل المجد الأمين الصادق . هذا الحيف القاتل للانتاج يقع في غيبة الجزاء والثواب غيبة لاتعرفها دولة في العالم من شرقيه الى غربيه .

سيواجه المجلس موقفا حاسما مع العاملين في القطـــاع العام الذى بلغت جملة أرباحه المتدهورة واحدا في المائة بنسبة لايعرفها التاريخ . ولم لا والعاملون فيه يشعرون انهم سينالون رواتبهم وعلاواتهم وحوافزهم ومكافآتهم وبدائل طبائع العمل والوقت الاضافي والأجازات المدفوعة الأجر مهما تكن الشركة التي يعملون بها خاسرة خسارة فادحة قاتلة مهينة .
وما لهم الا تنماع نفوسهم وهم يحرقون الآلات بملايين الجنيهات لأنهـــم لم ينالوا حوافز الخسارة التي حققوها والخراب الذى أحلوه بالبلاد .

المجلس القادم سيواجه هذا واما أن يأخذ موقفا حازما واما ان تضطر مصر ان تأخذ هي الموقف . فالدول لاتموت ولكن يموت فيها من لايؤدى واجبه بالصدق الذى ينبغي له وبالأمانة الخليقة بأعضاء مجالسها التشريعيـــة .

المجلس القادم سيواجه وحتم عليـــه ان يواجـــه مشاكل التعليم أو ان شئت فقل مشاكل عدم التعليم في مصر ولا تقل الدستور فالدستور

قانون أم . والأم رحيمة بأبنائها . نعمة هى وليست نقمة، حنان هى وليست تدميرا . فى ظل لافتة مجانية التعليم لابد ان يحرم من المجانية كل طالب يرسب فى الامتحان فى أى سنة من سنوات الدراسة سواء كانت ابتدائية أو اعدادية أو ثانوية او جامعية . وفى ظل مجانية التعليم وجدت المدارس الخاصة ينفق فيها التلاميذ آلاف الجنيهات حتى اذا أصبحوا تلامذة فى الجامعة حجبوا أموالهم وكنزوها واشتروا بها لأبنائهم السيارات الفارهة تتبجح فى صفوف أمام الجامعات حتى لقد أعلن أحد رؤساء الجامعات انه أعد لهم الأرض الشاسعة لتكون مرتعا لسياراتهم . أتقف سياراتهم بالخارج ويدخلون هم الى المدرجات والمعامل يتلقون تعليمهم مجانيا بلا مقابل .

أى دستور يقر هذا وأى عرف وأى أمانة وأى شرف . سيواجه المجلس القادم أهوال القطاع العام جميعا . سيواجه حالة فريدة فى أنحاء المعمورة . دولة فى قطاعها العام المحلات التجارية والذى تعرفه الدول ان تكون الصناعة قطاعا عاما وما عرفت الدول ذات الاقتصاد الحر محلات بيع فى اطار القطاع العام قط . وان كانت الدول الشيوعية تعرفها فها هى ذى تتخلص منها .

سيواجه المجلس الشعبى القادم ان يقول كلمته وان يحسم الرأى فى القطاع العام الخاسر الجائر الذى يبتلع أموال الدولة وعليه ان يقر الرأى الاقتصادى الذى لا رأى غيره الا يبقى الا القطاع العام الأكبر الذى لابد للدولة ان تقوم بعبئه وان يصفى القطاع العام الخاسر مع الانسانية كل الانسانية بعمالة فما يقبل مجلس نيابى أن يضيع حق فرد من أفراد الشعب . وانما كما تراعى الدولة الناحية الانسانية فى معاملتها لأبنائها لابد من الناحية الأخرى ان يراعى أبناؤها الناحية الانسانية فى معاملتهم للدولة . وانما الدولة هى هؤلاء الأفراد كلهم ومعهم أبناؤهم وأزواجهم وآباؤهم وأمهاتهم وكل ذويهم .

فى أى عرف فى العالم تبيع الدولة الدبوس والفول وتبيع الطعمية . أى مهانة للدولة ان تتصدى لمثل هذا . والعجيب المضحك المفجع انها أيضا تخسر حين تبيع الفول والطعمية .

ونسمع وويل لنا حين نسمع ان متاجر القطاع العام مثل عمر أفندى والصالون الأخضر وصيدناوى وغيرها وغيرها كثير تؤجر للقطاع الخاص أركانا فيها ليبيع القطاع الخاص منتجاته .

ويل لدولة تتحايل على نفسها وويل لقانون يتستر على قانون وويل لنا من أنفسنا اذا نحن لم نواجه الحقيقة المؤكدة من انهيار القطـــاع العام بالحق الذى لا حق غيره • بالقانون نواجه الزيف وبالجرأة نواجه الجبن • وبالصراحة نواجه الاحتيال وبعون الله يكتب النصر للمفلحين الذين على ربهم يتوكلون والذين اذا عـرفوا الحق لزمـوه غير مخادعين ولا محاذرين ولا مجانبين •

على المجلس القادم ان يواجه هذا ويواجه الكثير من أمثال هذا المين والخداع والغش ويدعو الله من أعمــاق القلوب ان رب أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين •

وحينئذ سيقول شعب مصر جميعا أمين •

الأهرام ١٩٨٧/٣/٨

مصريون ••• مصريون

مصريون •• مصريون نحن بكل قطرة من دمائنا •• بكل مسرى من مجرى دمائنا ، مصريون بأعراقنا التى ورثنـــاها عن آبائنا ، ومصريون بأعراقنا التى تختلج بها قلوب أبنائنا • آمالنا كلها تطوف بأرض مصر وسمائها ومسالك الهواء فى أجوائها ومجرى الجداول من نيلها وأمواج البحرين على ضفافها •

وغاياتنا ان يكون الرغد والرخاء والأمن والنماء أحضان مصر وحياتها وترابها ونبتها من الشجرة اللفاء عريقة الجذور الى أعواد الزروع الحديثة الاخضرار •

وفى يوم من الأيام هتف قائل محموم لا يكفى أن نقول مصر حتى تنحنى الرؤوس ويله يوم نادى هذا النداء •• ما أعظم ما تبجح وما أبغض ما فجر به • كان فى ذلك اليوم ذا منصب واتخذ من منصبه جنة يستجن بها ليهاجم مصر وهو مصرى من الفاف حنايا مصر •• جعل منصبه دريئة ودرعا ليطلق صيحته الرعناء الحمقاء التى لا أشك ان مددها كان مالا دنسا تسرب اليه فى ليل من الحاقدين على مصر والشانئين من أقزام الدول • وحسب الأحمق أن صيحته ستبتلعها أفناء مصر ولا تلتفت اليها ويكون هو قد زاد خزائنه مالا وزاد ذمته المالية المتجردة من الأمانة ثراء بالنقود وليس يعنيه من بعد ان تزداد فقرا الى الشرف والكرامة والوطنية والانتماء •

ويحه ماذا قال •• وأى غاية تغيا •• وأى هدف تقصد •• اننا نحن أبناء مصر اذا سمعنا كلمة مصر خشعت منـــا القلوب ووجفت مناحبـــات الأفئدة وخضعت منا الجباة •

فان يكن هناك يسار فليكن يســـارا مصريا أو يمين فليكن يمينـــا مصريا •

وان تزيا اليسار بالاشتراكيـــة أو تسربل اليمين بالتطرف الدينى فلابد للقلوب ان تظل مصرية أصيلة عميقة الايمان بمصريتها •

ليس مصريا يسار يمد يديه خارج مصر ليصيح ان العالم كله وحدة وإن الوطنية شعوبية وان الوفاء للدولة تفريق بين أبناء الانسانية ٠

فمن أحضان الأم تنبت الانسانية فى العالم ومن عبير تراب الوطن نشعر بالوجود البشرى ومن لم يعرف كيف يحب أمه جهـــل كيف يحب وطنه ومن لم يعرف كيف يحب وطنه جهل كيف يحب الانسان فى كل مكان ٠

كاذب ذلك الذى يدعو الى خير البشرية قبل ان يدعو الى خير وطنه ٠ وهو يتقاضى من أجل ذلك أموالا هى أحقر ما يصيب انسان من مال على وجه الأرض ٠

بل ان الذين يدعون الى عالمية الفن يدركون كل الادراك ان عالمية الفن لا تكون ولن تكون الا من محلية هذا الفن ونمائه فى أحضان وطن تغذى من لبانه وشب من بين أحضانه ومضى شأنه الى العالم بجناحين راشهما الوطن الذى ولد فيه ونما وشب ٠

وما أصبح الكتاب العالميون عالميين الا لأنهم كتبوا عن مواطنهم وكانوا على أوسع علم بخفاياها وبالبعيد البعيد من أسرارها ٠ كان هؤلاء الكتاب بين كل اثنين يتناجيان ٠ وفى كل جماعة تتنادم ٠ وفى كل رهط يسمر ٠٠ ومع كل عامل فى دكانه وبيته أو حجرته ٠ وكان يتعرف على الأسرار الخبيئة فى بيته ٠ وكان مع كل فلاح يفلح أرضه ٠ كان الكاتب فاسه ومنجله وكان معه وأبناؤه به يتحلقون أو يتغاضبون ٠٠ كان يعـــرف آمال كل فرد فى شعبه كما يعرف آلامهم وكان فرحتهم وحزنهم وابتهاجهم وغضبهم ورضاهم وسخطهم ٠ وبهذا الامعان فى المحلية أصبح تولســـتوى ودستيوفسكى وبسترناك وشكسبير وديكنز وهاردى وهيجو وبلزاك وزولا ودوديه وجيته وهمنجواى وستاينبك ومورافيا وكل من بلغ مكانتهم عالميين ٠

ان العالمية بنت الوطنية ٠ والمحلية هى الأساس الأول ليجوب اسم الفنان أنحاء المعمورة ٠

فحين ينادى اليساريون أو غيرهم ممن لف لفهم بالتخلى عن الوطنية انما يفترون فرية عظمى تحضهم عليها الدول الشيوعية التى تريد ان تمتص كل ثروات الدول الأخرى ٠

وحين ينـــادون بأن الدين هو أفيــون الشعوب ٠٠ وانه لا يؤمن الا الرجعيون الجامدون تضحك منهم البشرية ــ وتسخر من جهلهم ٠٠

فان الأديان هي حضارة البشرية وهي الفكر التقدمي الذى جاء ليهدى الرجعيين السلفيين الذين يتجمدون كالحجارة التى كان آباؤهم يعبدون ولو كان الشيوعيون يقرأون القرآن لقرأوا الآيات الكثيرة التى تذهب الآيات الكريمة ·

« أم أتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون · بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة انا على آثارهم مهتدون ·· وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية الا قال مترفوها ! انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » · صدق الله العظيم ·

ولعرفوا ان الرجعية هى الالحاد · ولكنهم لا يريدون ان يعرفوا · أو لا يريدون ان يعلنوا انهم عرفوا أو يعلنون هذا فتنقطع عنهم الأموال التى تنهال عليهم من كل حدب وصوب ·

انما نرفع شعار مصر ليرتد عنا المتطرفون الشيوعيون الملحدون بالله والوطن خاسرين حيثما وجدوا لا قبلة لهم الا الخزى ولا عاقبة لهم فى الدنيا أو الآخرة الا الفشل والبوار ·

ونرفع شعار مصر لقوم آخرين يريدون ان يتخذوا الدين مطية ليصلوا بها الى حكمنا فيصبح أمرنا على أيديهم فرطا ·

فهم قرأوا القرآن ثم أبوا ان يتدبروه · نسوا قوله تعالى « هل كنت الا بشرا رسولا » ونسوا « لست عليهم بمسيطر » ونسوا « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » وقوله تعالى « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين » وقوله تعالى « ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » ·

فاذا كان الله جل وعلا رفيع الدرجات ذو العرش لم يقدر لرسوله وهو رسوله وسيد البشر أجمعين وصلة السماء بالأرض الا ان يكون رسولا فقط ومبلغا فحسب ونفى عنه ان يكون مسيطرا فكيف تريدون أنتم لأنفسكم ان تفرضوا علينا عصاكم قهرا ، وكبرا وطغيانا تا لله ما تريدونها الا عوجا · وتبغونها نارا تضرمون لهيبها · وما أضرم انسان نارا بالباطل الا أكلته أول مأكول وكان هو أول حريقها وحطبها ·

اننا نرفع مصر شعارا ·· ينادى منادينا فى كل منتدى مصر ·· وأسألكم يا أبناء مصر الخلص الشرفاء ·· أتعرفون نداء أجمل فى القلوب أو أعذب فى الآذان أو أسعد للنفوس من هذا النداء ·

اننا نرفعه شعارا لأننا نعرف ان هنـــاك فئات من الناس انتمت مصالحها الى غير صالح مصر ·· ونعرف ان مصالح هذه الفئات أصبحت مرتبطة ارتباطا وثيقا بما يجر على مصر الخراب والهوان · وهيهـــات ألف هيهات لن يصل الخراب الى مصر مهما يجهد بهم السعي وهيهات ألف هيهات فلن يمس الهوان نسمة من أجواء مصر · انها كنانة الله في أرضه ونحن أبناؤها دماؤنا حصنها دون أي عربيد يحاول ان يمس ذرة من ترابها بهوان هذا شعارنا نرفعه ونموت دونه ويرفعه معنا أبناء مصر قاطبة من أقصى بحرها شمالا الى أقصى أسوانها جنوبا ومن حدود صحرائها في المغرب الى حدود صحرائها في المشرق ·

لن يخدعنا فاجر كافر ملحد ولن يزايد بديننا تاجر بضاعته زيف وحجته مين ووسيلته خداع ·

والله سبحانه سيفتح بيننا بالحق فانه جل علاه بالحق أنزله وبالحق نزل ونحن نرفض كل من يعاديه كما نرفض من يتخذ منـــه في الدنيا تجارة ومتكئا لغير ما يرضى الله تقدست أسماؤه وعلا وتباركت الاؤه ·

الأهرام ١٩٨٧/٣/١٥

اتقــوا الله فى الحـــرية

ان الأمر جد لاهزل فيه ٠ واللاى يجرى الآن على الساحة المصرية أمر خطير كل الخطورة وأحسب أن السكوت عليه تآمر صريح على مستقبل مصر ومستقبل الديموقراطية فيها ٠ وانى لأخشى كل الخشية أن يشعل اللاعبون الفعل النار فى مستقبلنا ومستقبل أبنائنـــا الى مدى لايدرك الا الله وحده نهايته وأبعاده وأعماقه جميعا ٠ انها فتنة يمدها بالمال أعداء مصر من الدول العابثة بأقدار بنيها والحريصة كل الحرص على احراق مصر ٠

ليس الأمر هتافا وتعصبا أحمق ومتأجرة بالدين وانما هو حريق يشب فيأكل كل ما نما فى بلادنا من حرية وديموقراطيـــة وما ثبت فى أرجائها وعلى طول تاريخها من ألفة دينية ووفاق بين الأديان فى ربوعها ٠

ان الذى يجرى الآن تحايل هازل مضحك ٠ فهو مخالفــة صريحة للدستور واذا لم يكن الدستور ذا قيمة فعلى البلاد السلام ٠ ان كل دستور لابد أن يكون مقدسا مادام قائما ، وان لك أن تطلب تغييره ولك أن تختلف معه فى الرأى ولكن ليس لك أن تحطمه بأى حال من الأحوال وعلى أى صورة من الصور وليس لك أيضا أن تتحايل على نصوصه وهذا التحايل يجرى الآن فى علانية صريحة بتعاون حزبين قائمين على أسس قانونية مع جماعات دينية ليس لها أن تكون حزبا وليس لها أن تكون ممثلة فى المجالس التشريعية ٠ ان الذى يحدث ينافى المنطق والدين وقانون الأحزاب فى قيام حزب على أسس دينية ؟!! ألسنا مسلمين نحن ؟! أليس الاسلام عقيدتنا التى نعبد بها الله الأحد فمن أعطاهم الحق أن يكونوا قواما علينا فى صلة مقدسة بين الانسان وربه ؟! ومن نصبهم أوصياء على ديننا ومعتقداتنا ؟! واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لنا الخيرة فيما نعبد فما بالهم هم يشهرون علينا أسلحتهم وان تصرفاتنا فى ديننا ودنيانا هى الأمانة التى عرضها سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملناها نحن الانسان ثم نحن الى ربنا كادحون واليه جل علاه منقلبون فتجزى كل نفس بما قدمت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولاتظلم فتيلا ٠

أيضعون أنفسهم آلهة علينا بالسلاح هيهات ٠ والله الذى لا اله الا هو لن يكون هذا أبدا ٠

ان دستورنا كان صريحا جاء فى المادة الخامسة منه :

يقوم النظام السياسى فى جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الأحزاب وذلك فى اطار المقومات والمبادىء الأساسية للمجتمع المصرى المنصوص عليها فى الدستور وينظم القانون الأحزاب السياسية ٠

وهكذا يصبح القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بنظام الأحزاب السياسية قانونا مكملا للدستور وتصبح مخالفته مخالفة للدستور وفى المادة ٤/٣ :

عدم قيام الحزب فى مبادئه أو برامجه أو فى مباشرة نشاطه او اختيار قياداته أو أعضائه على أساس يتعارض مع أحكام القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى أو على أساس طبقى أو طائفى أو فئوى أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب الجنس أو الدين أو العقيدة ٠

وقد كان الدستور والقانون جميعا حصيفين غاية الحصافة فى رفض أن تقوم الأحزاب على أساس دينى ٠ وهذا المذهب الدستورى تطبيق لقوله تعالى فى سورة النساء « يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » ٠

ثم لقوله تقدست أسماؤه مرة أخرى فى سورة المائدة « قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » ٠

سبحانك جل شأنك كانما نزلت هذه الآيات لهؤلاء الذين يحاولون اليوم أن يفرضوا علينا أنفسهم بالطغيان والجبروت وبالجهل فشابين جماعاتهم وانك سبحانك تخاطب أهل الكتاب أفلا يعقلون أم على القلوب منهم أقفالها ٠

ألا يدركون أنهم بهذا التعصب يثيرون فتنة طائفية ، الله وحده يعلم عواقبها وآثارها ، وبيننا وفى كل ناحية من حياتنا وفى كل ثانية من مصرنا

اخوان لنا أحباء يدفع الله عنهم ويحميهم ويقول تباركت آلاؤه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ! ان الله لقوى عزيز ‥ » ٠

ثم يذكرهم سبحانه وتعالى مرة أخـرى فى محـكم قرآنه بقوله « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنـا آمنـا فاكتبنا مع الشاهدين » سورة المائدة الآيتان ٨٢ و٨٣ ٠

ألا يدرك أولئك المتعصبون أى كارثة يعرضون لها البلاد بما يفعلون انهم أصبحوا أحزابا لا شك فى ذلك وأنهم يتقدمون الى الانتخابات بهذه الصفة وليس يجديهم هذا التحايل الذى يصطنعونه من لبس عباءة أحزاب أخرى قامت على أسس قانونية ولكن ليس لها فى الشارع المصرى حليف أو نصير ٠

فهى اذن صفقة تبيع الجماعات المتطرفة تطرفهـا الدينى الذى تخادع به المسلمين عن حقيقة دينهم فى مقابل أن تنال الأحزاب المتحالفة معها مقعدين للرئيسين فى مجلس الشعب ٠

فالدين أصبح سلعة والأحزاب المتحالفة أصبحت خدعة والمشاعر الدينية المقدسة أصبحت بفعل المتطرفين ثمنا فى الصفقة الباطلة ٠

ويكتب بعض كتاب أن هذا قد يؤدى بمصر أن تصبح لبنان أخرى وما هذا بواقع وهيهات له أن يكون ٠

فما أمست لبنان على حال من الهول الوبيـل والحريق المتـأجج والتمزيق المروع الا لأنها كانت بلدا بغير جيش وكان السلاح بها فى يد عصابات ترفع شعارات وتشابكت الأهواء وعميت الأبصـار وتجمدت الأفئدة فهى أحجار واقتتل الأخوة وصدق فى شأنهم قول البحترى :

شـواجر أرماح تقطع دونهـا
شواجر أرحام ملوم قطوعهـا
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعهـا

ولكن لبنان أصبحت دماء بلا دموع وسلاحا بلا قلوب ورجالا بلا أوطان ومخلوقات بلا هوية وبشرا بلا انتماء ٠

ولن تكون مصر هكذا ٠

ففي مصر أقوى جيش في الشرق الأوسط والذى نخشـــاه كل الخشية لها أن تصبح مثل لبنان ٠٠ فمثل لبنان لن نكون أبدا ٠ وانما الذى نخشاه ان يضطر جيشنا ان ينزل الى الساحة ٠

وان حرية الوطن وما بلغناه من الديموقراطية أمانة فى أعناقنا فان ثمن الحرية يدفعه كل فرد من أفراد الشعب وحرية كل فرد فى الوطن تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين ومن يعتدى على حرية الغير حتم عليه أن يتوقع اعتداء الغير على حريته ٠

أيها المتطرفون فيئوا الى رشـــد من دينكم وعودوا الى أحضـــان أوطانكم واتقوا الله فى أبنائكم واخوانكم وذويكم واحـذروا أن تلهبوا ألسنة النار فى حرية رأينا الحياة بغيرها جحيما من الجحيم ووبالا ونكالا وغصصا وهموما ثقالا ٠

والله من فوقنا وفوقكم هو حسبنا وهو العدالة المطلقة اليه عاقبة الأمور وحسبنا جل علاه موئلا ووكيلا ٠

الأهرام ١٩٨٧/٣/٢٢

مصباح فيهديه

جاء في كتاب قصص العرب حكاية رواها فقيه من فقهـاء الشافعية اسمه أبو حامد الأسفرايني وانني سأروى لك القصة في صياغتي أنا فانما أريد أن أخرج منها بحديث أهفو ان أطرحه عليه يقول فحوى القصـة أنه كان يوما عند فخر الملك وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن الشـاعر الذى اشتهر باسـم الشريف الرضي فأعظمه وأكبره ورفع من منزلته . ترك ما كان بيده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن أنصرف .

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم . فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام .

وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها ، فجلس قليلا ، وسأله أمرا فقضاه ثم انصرف .

ويقول أبو حامد أنه تقدم الى الوزير وسأله :

ـ أصـلح الله الوزير . هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب العلم وهو الأمثل الأفضل منهما . وانما أبو الحسن شاعر فقط .

ـ انتظر حتى يخلو بنا المجلس فأجيبك .

وخلا المجلس . ومد الوزير يده الى أبى حامد بخطاب كان يحفظه بين أوراقه وقال :

ـ هذا كتـاب الشريف الرضي . اتصل بى أنه قد ولد له ولد فأرسل اليه ألف دينار وقلت هذه للقابلة ـ فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء الى أخلائهم وذوى مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ـ فردها وكتب الى هذا الكتاب فاقرأه .

ويقول أبو حامد انه قرأ الخطاب فوجده اعتذارا عن الرد وأنه يقول في جملته « اننا ـ أهل بيت ـ لا يطلع على أحوالنـا قابلة غريبـة وانما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا . ولا تتقاضى عجائز بيتنـا أجرة ولا يقبلن صلة » .

ثم يقول أبو حامد أن الوزير قال له بعد أن قرأ الخطاب :

— وأما المرتضى فاننا قد قررنا على الأملاك ما يشبه الضريبة فى مقابل حفر نهير . وكان المبلغ المقرر على المرتضى عشرين درهما وقد كتب الى من أجل الدراهم العشرين هذا الخطاب لأرفعها عنه .

ويقرأ أبو حامد الخطاب فاذا هو أكثر من مائة سطر كلها خضوع وخشوع واستمالة والحاح فى المسألة ليسقط عنه الوزير هذه الدراهم .

حتى اذا تم أبو حامد قراءة الخطاب قال له فخر الملك :

— فايهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل . هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشهر الا بالشعر وحده . ونفسه تلك النفس ؟ فقال أبو حامد :

— وفق الله الوزير فمازال موفقا وما وضع الأمر الا موضعه ولا أحله الا فى محله تلك هى القصة رويتهـــا عليك وقد أذكرتنى ببيت المتنبى الخالد .

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

وعجبت غاية العجب أن يقول أبو حامد هذا الذى لا أعـرف من شأنه شأن أن الشريف الرضى ليس الا الشاعر . وهل أعظم من أن يكون الانسان شاعرا فنانا خلاقا . ان الأديب الخلاق يصدر المرسوم بتعيينه خلاقا من فوق سبع سماوات . وتستطيع السلطات فى الأرض أن تعين من تعين فيما تشاء من وظائف الأرض جميعا . ولكن لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصدر مرسوما بتعيين انسان ما كاتبا أو شاعرا .

انها قوة اختص الله بها نفسه سبحانه وتعالى وليست تجوز لغير الذات الالهية جل شأنها وتقدست آلاؤها .

والفنان الحق هو الذى يعرف قدر نفسه وما اختصه به الله من موهبة لم يتحها لأحد غيره . فحين يقول سبحانه عن نفسه « فتبارك الله أحسن الخالقين » لا نتصور نحن عباد الله وجود جمع للخالقين الا هؤلاء الذين وهب الله لهم منحة الخلق الفنى . ولا تجرؤ صفة الخلق أن تنصرف لغير الفن على أى لون له . ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين « يا أيها

الناس ضرب مثـــل فاســـتمعوا له ٠٠ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه · ضعف الطالب والمطلوب » الحج ٧٣ · والحديث كما ترى للناس كافة على كل مذاهبهم · والمقارنة هنا معقودة بين الانسان وبين ما يسلبه الذباب من الانســان وليس حتى بينه وبين الذبـاب ٠٠ الا ما أهون الانسان · وما أعظم غروره وما أشد ادعاؤه · وهو يدرى كل الدراية أنه حين يمسه الضر ذو دعاء عريض ·

عجبت اذن من أبى حامد هذا واحتقاره لشأن الشعراء ثم مالبثت أن ارتددت عن العجب الى ادراك الحقيقة ، فقد أهان الشعراء أنفسهم · والانسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نفسه ذليلا أو ذا كرامة ·

وليس الفقر بمستطيع أن يذل انسانا · وكم من فقراء قبلوا الجدوى وظلوا مرفوعى الرأس موفورى الكرامة · وها قد رأيت المرتضى يذل ويرخص نفسه من أجل عشرين درهما وهو لم يجد غضاضة أن يستجدى بالنفاق والكذب اعفاءه من دريهمات لا قيمة لها ·

وليس بين الناس ممدوح لا يعرف الحق فى المديح الموجه اليه · ولكن بين الناس من يضعف أمام المديح ويخــادع نفسه يوهمها أنه بهذا المديح جدير · حتى اذا خلا بنفسه وخلت به أدرك الحق من صــفاته · وربما خيل اليه أنه ذكى عرف كيف يمكر بالمادح ويجعله يظن به هذه الصفات الكريمة التى أضفاها عليه ·

بينما المادح المنافق يظن بنفسه هو أيضا أنه واسع الحيلة جم الذكاء وأنه لفق المديح عن الممدوح وفاز منه بما قدر لنفســـه من عطـاء أو من مسألة أو من منفعة ·

وكلاهما يعرف الحق عن نفسه وعن الطرف الآخـــر · وكلاهما يخادع نفسه بقدر ما يخادع شريكه فى السذاجة التى يظنانها خبثا وفى الهبل الذى يحسبانه ذكاء ومكرا وسعة حيلة وحسن وسيلة ونحن اليوم فى الموسم · فحذار ·

الناخبون لا تجوز عليهم حيلة ٠٠ وليس يفوتهم من المرشحين نفاق أو افتعال · فقد كنت فى بلدتنا غزالة منذ أيام واجتمعت بأبنائها فاذا هم كعادتهم ساخرون أذكياء يعرفون الحق من الباطل والصدق من الزيف فالجموع لا تخــادع نفسها وليس من اليســير أن يخدعها أحـد أو جماعة

يقول أبناء بلدتي : ان جماعة ممن يدعون الحفاظ على الدين قد زاروهم في مواكب من الأطباء لأن كبيرهم طبيب ويقول أبناء بلدتي انهم طالعوهم بالحق الذي وجم له المنافقون ٠٠ أين كنتم ٠٠ وما مجيئكم اليوم فقط ٠

أمن أجل الانتخابات تمرون بنا لتوهمونا أنكم حريصون على صحتنا وعلى مصالحنا ٠ وأبناء بلدتي مسلمون عميق اسلامهم اذا نودي للصلاة من يوم الخميس لا تجد في شوارع القرية أحدا ٠ وكلهم صائم في رمضان ، وأغلبهم يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع وكل من تجب عليه الزكاة يؤديها ، وكل من استطاع الى الحج سبيلا أدى الفرض بل ان كثيرين من حجاج بلدتنا أرهقوا أنفسهم ارهاقا شديدا ليحجوا الى بيت الله الحرام ٠ وبين بلدتنا من حج منذ قرابة ثلاثين عاما على جمل وليس بالباخرة لأنه لم يكن يملك أجر الباخرة ٠ وهو الحاج حسن أبو عويضة رحمه الله ٠

فحذار أيها المرشحون ٠٠ حذار ٠٠ والتحذير موجه اليكم كلكم على جميع صنوفكم ٠ ان الشعوب في غاية الذكاء ٠٠ فلا تظنوا بأنفسكم ما ليس لكم بحق من المكر والدهاء فما ينطلي مكركم على الناخب ولا يجوز ما تحسبونه دهاء على المجموع ورحم الله عزيز أباظة حين قال :

شعور الشعب ياجعفر ... حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج ... مصباح فيهديه
يميز بوحي فطرته ... عداه من محبيه

الأهرام ٨٧/٣/٢٩

ويل للكبار من الصغار

حين يجلس صغير على كرسى كبير يصبح أمره عجبا · تراه زائغ البصر ، ضائع البصيرة ، كثير الحركة ، قليل الفكر ، مخدور العقل ، ضامر العزيمة ، مسلوب الارادة ، لا قرار له فى مكانه ولا قرار له يصدره فيما يعرض عليه من أمور ·

وكلما أحس الصغير مقدار صغره وكلما رأى ضخامة الكرسى الذى يقتعده ماعت نفسه وراح ينفخ أوداجه ويوسع من صدره فيزداد دون أن يدرى صغرا ويزداد الكرسى اتساعا ويتضاعف شعوره بالهزال فيصبح فى كرسيه مهزلة · والمهزلة مجلبة للضحك · ومن الضحك ما يكون قهقهة عالية ومنه ما يكون مكتما ·

والقهقهة معلنة ويمكن للمضحوك عليه أن يناقشها أما المكتمة فمؤلمة لمن يثيرها موجعة ولا يستطيع أن يناقشها بل هو لا يحاول أن يعلن أنه رآها أو أدركها أو أحسها ·

ويزداد الصغير ارتباكا ويحاول أن يوارى اضطرابه بمزيد من الاستئساد المثير لا عمق السخرية ويصير مخلوطا لا يصلح لشىء · والقرارات التى تعرض على الكراسى الواسعة خطيرة ذات تأثير ضخم على الحياة فى الأوطان ، ولكن هيهات لمثل هذا الثمل من الحقارة ، الضائع فى كرسيه ، المثير للسخرية فى أهون التصرفات وأبسطها ان يصدر قرارا ·

فالصغير على الكرسى الكبير أشد الناس حرصا على هذا الكرسى فهو يعض عليه بالنواجذ · ويتمسك بوثير وسادته بكل ما يملك ومالا يملك من هوان نفس ، وضآلة شأن ، ويبذل كل مايملك من ماء وجه · وجميع ما وهب الله للانسان من كرامة ·

والصغير فى الكرسى الكبير · متكبر بلا كبرياء · ذليل فى ثياب مهرج يمثل دور ذى القدر الرفيع وهو يدرى فى دخيلة نفسه أنه بلا قدر على الاطلاق ·

ومادام الصـــغير فى الكرسى الكبير لن يستطيع ان يتخذ قرارا فى جليل الأمور وخطيرها فهو يبحث فى حرص جاهل على توافه الأمور وهينها فيصدر فيها القرارات العاجلة والحاسمة حتى اذا وقعها خادعت نفسه صاحبها وأوهمته انه قام بالأمر العظيم ، وحسم كبريات المشاكل ٠

وتنتظر الأمور الخطيرة من ينظر فيها ٠ ويطول بهـــا الانتظـار ٠ وتتعطل صوالح الناس ويقف دولاب العمل ٠ ويزداد حال البلد وبالا ٠ وتختل الأسس التى كانت متماسكة أهون تماسك ٠ ويدخل الوطن فى فى حلقة شيطانية مفرغة لا ينتهى وبالها ٠ السيىء يتفاقم سوءا والحسن القليل النادر ينحسر وتتصدع الجدران القليلة التى كانت باقيـــة بعد أعصار الطغاة ، وبعد الحروب الطاحنة ، وبعد السرقات الفاحشـــــة ٠ ولا يبقى لمصر من ملاذ غير الله وحده وغير رئيس جمهورية يريد كل الخير لبلاده ثم لا يجد من يعينه على عظيم نواياه ٠ ومن أين له بالمعين ٠ والصغار ٠ واقرأ الكلمة هذه المرة بفتح الصاد ـ يسيطر على المناصب التى لا يستقيم المعوج من أنحاء مؤسساتها الا بالقرار الحاســـم الجامع المانع ٠ ولكن الصغار ـ واقرأها هذه المرة بكسر الصاد ـ لا يصـــدرون قرارا ذا قيمة ولا يصدرون عن رأى سوى ٠ ولا هم حتى يبحثون عنه فى رؤوس الكبار ٠

فالصغار لا يعترفون بالكبار ـ لأنهم فى هوان شأنهم يحسبون أنهم هم الكبار ماداموا يشغلون من المناصب كبيرها ٠ ومن الكراسى فاخـرها ومن الحجرات فخمها ٠ وحسب مصر الله ونعم الوكيل ٠

ومصر التى مسها شظف العيش ٠ والتى تعانى من فقر المال من أغنى البلاد بالرجال الكبار ٠

فى مصر الأفذاذ العظماء ٠ ولكن هؤلاء أصـــحاب كرامة ٠ يعتزون بما وهب الله لهم من علم ٠ وبمـــا حصلوه من درس ومن خبرة ٠ وهؤلاء ليس يعنيهم فى شيء ان ينالوا منصبا ٠ أو يقتعدوا كرســـيا أو يشغلوا حجرات من حجرات الصغار ـ وفى هذه المرة أقرأها كما تشاء بكسر الصاد أو بفتحهـــا ٠

وهؤلاء الكبار لا يبحثون عن مكان لأسمائهم فى صفحات الجرائد أو عن ذكر لهم فى الاذاعات أو عن صـــورة تظهر لهـــم على شاشـــات التليفزيون ٠ وهكذا يظل هؤلاء مجهولين تردهم مكانتهم العلمية عن تقديم أنفسهم للناس ٠

ويرتفع بهم كبرياؤهم عن استجداء الشهرة · ويقف بهم احترامهم لذواتهم ان يعرضوا انفسهم للعمل العام ·

ولكن فى مصر جهات كثيرة تعرفهم كل المعرفة · وتدرك قدرهم وتقدر عظمتهم · فما لهذه الجهات تطوى سجلاتهم ! وتخفى أنباءهم ! وتتستر على ما ينبغى أن يذيع من فضلهم !

ألا تدرى هذه الجهات أنها حين تخفى شأن الكبار تفسح الميدان للصغار ·

فالمناصب لابد أن يشغلها شاغلها · فاذا غاب الشموخ يسود الهوان ·

وعودا الى العنوان ·

ان هذه المناصب التى يشغلها الصغار تسيطر على كثيرين من الكبار · ولهؤلاء أبكى فان الزمان لايفجع انسانا فى عمله بشر من معاملة الصغار · فما الخطب اذا كان الصغير ذا رئاسة مفروضة له فرضا بحكم القرار الذى وضعه على هذا الكرسى وفى هذه الحجرة ·

ويل يومذاك للكبار ·· وأى ويل ·

انهم يقومون بما تفرضه عليهم ضمائرهم · ويؤدون واجبهم أحسن أداء · ولكن الصغار فى صغارهم يحسبون أن رضاءهم عن مرؤوسهم منقصة لا تنبغى لهم · فهم يمثلون دور العظماء · ولما كانوا ليسوا بعظماء · فهم لا يدركون أن من مقومات العظمة أن تعطى لكل ذى حق حقه · وأن تكون مقسطا اذا حكمت لا قاسطا ولا ظلوما ·

وهم لا يدركون أن شكر المحسن على اتقانه واجب محتوم على الرئيس مثله مثل توقيع الجزاء على المقصر سواء بسواء ·

واذا لم ينل المحسن حقه من الشكران كما ينال المسىء حقه من العقاب يختلط الأمر ويصبح فوضى تضرب باطنابها فى أنحاء العمل جميعه ·

والمحسن انسان يرضى ويسخط اذا أصاب وأتقن ولقى النكران بدلا من المكافأة والجحود بدلا من العدالة أدى عمله فى غير اقبال ومال عن الجهد الى الزهد فى العمل وعدل عن النشاط الى الكسل وعن الهمة والاهتمام الى القعود وعدم المبالاة ·

وفى غد يكون الانتخاب والانتخاب اختيار وأنت فى غد تختار من يكون لك فى مجلس الشعب ممثلا وأنت حين تكون لك قضية هينة الشأن تروح تسأل كل من تعرف ومن لا تعرف عن أحسن من توكله فيها وأنت فى غد تختار وكيلك فى قضية الوطن جميعا .

ومن هؤلاء الذين ننتخبهم يتكون وجه الأمة وتستبين ملامحها .

وهؤلاء الذين تنتخبهم فى غد هم الذين سيحاسبون الصغار والكبار على السواء فى كل وظائف السلطة التنفيذية بدءا من الوزيـر على قمة الوزارة الى الساعى الذى يقف على أبواب الموظفين . فان الوزير مسئول عن وزارته جميعا بكل من فيهـا من عاملين وحين تكون الرقابة شريفـة صادقة لا تخشى ولا تحابى . يدرك كل موظف فى الدولة ان طائلة العقاب له بالمرصاد لأن فى الوطن نواب شرفاء .

فاذا اخترت فحاذر أن تختار من رشح نفسه لنفع شخصى أو لينال منصبا وجاها انك أيها الناخب تختار فى غد وكيلا عنك وعن الأمة جميعها من أسوانها الى ثغرها طولا وعرضا وان شرفك لفى الميزان .

والوطن يمر بفترة من أحلك فترات تاريخه والكثير الكثير من العاملين فيه صغار تسيطر عليهم الخشية حينا أو السخافة حينا آخر فاذا صلح وجه المجالس التشريعية استطاعت هذه المجالس أن ترغم الخائف الراعد أن يتنحى أو يتصدى وتمكنت أن تجعل السخيف يفىء الى رشده أو يختفى من دنيا الصدارة الى غيابات المجاهيل يجد فيها مرتعا وموئلا وملاذا مع كل الهزلاء الذين يريدون أن يمروا بالحياة وكأنهم ما وجـدوا واذا اخترت فاختر رجلا لا يتاجر بالدين على الدنيا ولا يبيع آخرته بيومه ولا يشتريه الحاقدون على مصر من الدول **الهزيلة** .

ادعوا الله أيها الناخبون أن يهيىء لكم من أمركم رشدا وأن يوفقكم الى التغلب على ما يوسوس به الشيطان الى نفوسـكم من الجنة كان هذا الشيطان أم كان من الناس وفقكم الله .

الأهرام ١٩٨٧/٤/٥

مناقشـــــة

أرسل الأستاذ صلاح شادى مقالا الى الأهرام وكنت أنوى أن أنشره وأناقشه لولا أن الصفحة فى الأسابيع الماضية كانت لا تستطيع أن تتسع لمقـالته الطويلة . ولم ألبث أن وجـدت الأستاذ صلاح ينشر مقاله فى جريدة حزبية فأصبح الذى يقع فى ضميرى أن أناقش ما نشره دون حاجة الى نشر مقاله كاملا وأحسب أن القارىء سيدرك مما سأقتبسه من مقاله فحواه جميعا .

يتساءل الأستاذ صلاح « لماذا ينافى المنطق أن تكون هذه الجماعات الدينية ممثلة فى المجالس باختيار الشعب ؟ » .

والواقع يا أسـتاذ صـلاح أننى لم أقل أن تمثيلكم فى المجالس التشريعية ينافى المنطق . فمنافاة المنطق أو الاتفاق معه مسألة خلافية تحتمل القبول أو الرفض .

انما الأمر الذى لا مناقضة فيه ولا شك انها تخالف الدستور وليس فى هذا خـــلاف . وهذا هو الذى ذهبت اليه . وتمثيلكم فى المجالس التشريعية وقيام حزبكم بادىء ذى بدء يقتضى تغيير الدستور وهذا ليس رأيا يحتمل المناقشة وانما هو نص دستورى قانونى لا شك فيه ولا شبهة ولا خلاف .

واسمح لى والأمر كذلك أن أستشهد بالآلة التى سقتها فى هذا السياق وهى قول الله تعالت أسماؤه « ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

وأحسب أنك لا تخالفنى أن العدل يتم من القاضى اذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله . والعدل يتم من الفرد اذا وضع القانون نصب عينيه وهو يدلى برأيه فيما يعرض له من أمور الحياة .

أما لماذا اعتبره تحايلا على القانون فأمر لا يحتمل أن تستعمل فيه كلمة اعتبار التى اخترتها . هو تحايل على قانون قائم لا شك فى ذلك ولا شبهة .

وتسأل يا سيدى : « فهل ترى أن مجرد النداء بتطبيق الشريعة الاسلامية يقع تحت بند من هذه البنود » تقصد التى وردت فى القانون رقم ٣٣ سنة ١٩٧٨ ٠

وجوابى عليك يا سيدى « اللهم نعم » ٠٠ « اللهم نعم » ٠٠ « اللهم نعم » لا شك فى ذلك ٠

وهو أيضا ينافى قانون الأحزاب فى مادته الرابعة فى فقرتها الثالثة ٠ وهو أيضا ينافى الدستور فى المادة الخامسة منه التى تحيل على القانون سالف الذكر ٠

وانى أســـألك يا سيدى فيم تخالف القوانين القائمة الشريعــة الاسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ٠

وأنا يا سيدى أرى أن الاسلام أعظم وأضخم وأكرم وأرفع وأسمى من أن يكون مجرد عقوبات ٠

وانى أسألك يا سيدى وأرجو أن تجيب بهدوء المؤمنين وبسلامهم وباسلامهم ٠٠

حين حث القرآن الكريم على الشورى هل جعلها الزامية للحاكم أم هى استطلاع رأى ثم للحاكم بعد ذلك أن يتخذ الرأى الذى يريد ؟ ٠

أو ليس أقرب الى روح الاسلام الرفيعة العالية أن تكون الشورى ملزمة للحاكم ٠ فهل ترى التمسك بحرفية النص أقرب الى روح الله القدس وقرآنه المعجزة أم التوسع فى النص وجعل الشورى عصاما للحاكم ٠

وأخرى حين شرع النبى عليه الصلاة والسلام حد الزنا للمحصن جعله الرجم حتى الموت ٠

كيف كان الوضع الاجتماعى فى ذلك الحين ٠٠ ؟ ان زواج الأربعة فى الاسلام يا سيدى جاء قيدا لا اباحة ٠٠ فقد كان الزواج قبل نزول الآية الشريفة مطلقا بلا أى حدود كان للرجل أن يتزوج من أى عدد من النســاء ٠ وجاء الاسلام فسمح بزواج أربع نســاء مجتمعات ٠٠ أربع نساء يا سيدى ٠

فهل ترى المجتمع أو طبيعة الحياة التى نحياها تسمح بزواج أكثر من واحدة ٠ ولعلك تعلم أن نسبة المتزوجين من أكثر من واحدة فى مصر جميعا هى نصف فى الألف ٠

وكانت فى أيام الرسول اباحة أخرى أشمل وأوسع ‥ وهى أن الرجل كان يستطيع أن يشترى من يشاء من النساء بغير حدود ‥

فى ظل هذه الاباحات العريضة رأى النبى العظيم أن الذى يزنى بعد كل الاباحات يستحق القتل ٠

اربع نساء ‥ وعشرات من ملك اليمين ثم يزنى ‥ ؟ ان القتل اذن قليل بالنسبة اليه ‥

وانى أسوق المثل من حد الزنا فهو مجرد مثل وليس احاطة بكل الحدود ٠

وروح الاسلام ترفض الرق ٠ وهو أول دين جعل عتق الرقبة تكفيرا من التقصير الدينى أو الدنيوى ٠

أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين حين تطبق الشعار الذى ترفعه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الاسلامية ؟ ٠

أم أنك ستطبق أشياء وتتغاضى عن أشياء ؟

بربك يا سيدى أتريد لأكرم كتاب أنزله الله الأعظم بدينه الأقوم أن يكون وسيلة لأفراد أن يتحكموا فى الرقاب ويعتلوا كراسى الأمراء ؟ ٠

لقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة ٠

وحكم به النبى عليه الصلاة والسلام وهو سيد البشر أجمعين ٠ وهو المعصوم ٠ وهو الملهم ٠ فهو استثناء من كل البشر ٠ يتفرد عنهم بحمل الرسالة ٠ والالهام والعصمة ٠ وبأنه على خلق عظيم ٠

ثم حكم به أبو بكر الصديق فكان عدلا وحزما وكان مثلا أعلى كريما على الناس والزمان وكيف لا وهو ثانى اثنين اذ هما فى الغار ٠ وهو الصـــديق ٠

ثم حكم عمر فكان رمز العدالة على مدى التاريخ ٠ لم يعرف الزمان له مثيلا مضى وما أحسب أنه سيعرف له مثيلا فى آتى الزمان ٠

ثم حكم عثمان ولا نملك الا أن نقول : انه ذو النورين ثم حكم على فكان عدلا مطلقا ٠

وانتظر الزمان بعض حين وحكم عمر بن عبد العزيز فكان خامس الخلفاء الذين طبقوا الشريعة الاسلامية فأكرموا تطبيقها ٠

دع هؤلاء اذن يا أستاذ صلاح والق نظرة على الملوك ومن أسموا أنفسهم بالخلفاء وأنظر كيف ظلموا وكفروا وتجبروا وعتوا • وادعوا مع كل معاصيهم أنهم طبقوا الشريعة الاسلامية •

أذكر معاوية وكيف أخذ البيعة ليزيد بحد السيف وكيف قتل عليا والحسن والحسين وكل آل البيت المطهرين •

وأذكر يزيد العربيد السكير الذى لم يستطع أحد أن يطبق عليه حد السكر مع أنه كان ـ فيما يروى عنه ـ لا يفيق •

وأذكر المنصور ، وأذكر السفاحين جميعا ، وأذكر من أطلق الحجاج يقتل حفيد الصديق ويقتحم عليه الكعبة ويقتل بغير حساب عباد الله المؤمنين •• ان كل هؤلاء يا أستاذ صـلاح ادعوا أنهم كانوا بالاســلام يحكمون •

أترضى عنهم • أم أنت واثق أن الزمن سيجود بمثل أبى بكر أو عمر و عثمان أو على • أو خامسهم ابن عبد العزيز ؟

على مدى ألف وأربعمائة عام والملوك والخلفاء يدعون أنهم يحكمون بالاســـلام • فاذا هم يجعلون الشريعة وسيلتهم الى كل ما تعرف أنهم صنعوه بعباد الله الأبرياء المسلمين وغير المسلمين •

وأذكر هارون الرشيد وسرفه • وأذكر المأمون وفقهاء الاســـلام وما صنع بهم من أجل قضية كلامية •

وبعد يا أستاذ صلاح فانظر الى الخمينى الذى قتل من بنى وطنه المسـلمين فى سنوات ست اثنين وثلاثين ألفا بأحكام أعدام ، غير مئات الألوف أو الملايين الذين قتلهم فى ساحة الحرب من مسلمى ايران والعراق جميعا • وهو هو الذى يرفع شعار الحكم الاسلامى •

وفى السودان قطع الطاغية من الأيدى بحكم الاسلام فى بضعة أشهر ما لم تقطعه الشريعة على مدى ألف وأربعمائة عام •

ألا تخشى أن تضـــع قرآن الله بين أيدى طغاة يستغلونه أسـوأ أستغلال ؟ •

ألا ترى أن دين الله الأقوم ينبغى أن يظل صلة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى بغير قسر منكم ولا اجبار ؟ •

واذا كان الله يقول لنبيه فى آيات شريفة كثيرة عليك البلاغ وعلينا الحساب ٠

فمن سمح لك يا سـيدى أن تبلغ وما أنت بمبلغ أو أن تحاسب وما أنت باله ٠

ان المتطرفين من المسلمين فى مصر ٠ قتلوا أحمد ماهر والنقراشى والقاضى الخازندار ووضعوا القنابل فى تجمعات الأبرياء تصيب من تصيب فى غير دين وأنت تعرف أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا ٠

وان كان هذا ماضيا راح واندثر ٠

أليسوا هم من قتلوا فى أيامنا هذه الشيخ الذهبى وهو من هو خلقا وعلما ٠

ثم قتلوا أعظم زعيم عرفته مصر السـادات ٠ الذى انتصر فكان انتصاره لمصر وللاسلام ٠ والذى أفشى السلام فحقق دعوة الله وهو سبحانه من اختار اسم الاسلام ليكون آخر رسالة له من رفيع سماواته الى عباده فى الأرض ٠

وبعد يا سيدى فأراك تقول فى آخر مقالك عنى :

فهل نسى كاتبنا حديثه السابق عن هؤلاء الأطهار فماذا حولهم اليوم الى مردة وشياطين ٠ أهى لعبة الانتخابات أم تراك نسيت » ؟ ٠

وهانذا أجيبك اليوم وقد انتهت الانتخابات فلا لعبة هناك ولا هنا وأما أنا فلا وحق الحق ما نسيت ٠

انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة فى جريمة شروع فى قتل لم تتم ولم تثبت ٠

وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان ٠ بينهم البرىء وبينهم حسن الطوايا وكلهم أبنـاء أو أباء ويكره الله والحق أن يرمى بهم الى السـجون زمرا بلا محاكمة ٠

ولكن الله يكره أشد الكراهية القاتل منهم ويحكم فى محكم آياته أن الذى يقتل فردا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ٠

وقد استعمل كثير منكم القتل وسيلة لتخويف الآخرين واستعمل كثير منكم الارهاب بكل وسائل الارهاب · بل كان لكم في الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد · واشاعة للذعر بين الناس ·

ولا والله لستم اذا فعلتم ذلك بأطهار · وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله · وان كلمة الله هي العليا مهما تحاولوا أن تجعلوا منها طريقا الى حكم في الدنيا · وعليك السلام حيث كنت ·· بالاسلام ندين وبالسلام تكون بيننا التحية ·· والسلام هو الرباط بين قوم يؤمنون ·

الأهرام ١٩٨٧/٤/١٢

خطـاب ٠٠ واجـــابة

جاءنى هذا الخطاب من الأخ الأستاذ محمد جمال وقد كنا زميلى دراسة فى مدرسة فاروق ٠ وقد أرسل الأستاذ صلاح شادى بطاقة مع الخطاب يقول فيها ما معناه : أن الأستاذ جمال يعبر عما كان يريد هو أن يقوله وانى حين أنشر هذا الخطاب فانما أنشره للاثنين معا كما يجيب خطابى عن رأيهما مجتمعين ٠

حياك الله ٠٠ وبعد ٠

قرأت لكم بجريدة الأهرام يوم ١٩٨٧/٤/١٢ تحت عنوان (مناقشة) فى ردكم على مقالة الأستاذ صلاح شادى التى لم أجد الفرصة لقراءتها الا أننى اكتفيت بما جاء بمقالكم الذى لخص المقالة والرد عليها ٠

ونظرا لأهمية الموضوع أرجو أن تعتبرنى طرفا ثالثا يعشق الوحدة وينبذ الفرقة التى مزقت الأمة فهانت هوانا لم يسبق له مثيل ٠

وقد أعجبنى فى ردك أنك أنصفت الأستاذ صلاح ورفاقه حين قلت : [انما هم أطهار اذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة ٠٠ الخ وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان ٠٠ الخ] ٠

كما أعجبنى احترامك الشديد للحكم الاسلامى فى عهد سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ٠

كما أعجبنى حرصـــك الشديد على ألا يحمل هذه الراية المقدسة الا من كان على مستوى حمل هذه الأمانة التى تفوق طاقة معظم البشر فى هذا الزمن ٠

وحينما انتقدت حكم معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وهارون الرشيد والخمينى ونميرى وغيرهم ، فلا أتصور أبدا انه قد غاب عنك أن الاسلام شيء والمسلمين شيء آخر ٠٠ واذا تعمقنا فى التاريخ فقد نجد أن

حجم الايجابيات لبعض هؤلاء أكثر من حجم سلبياتهم كما قد ترون سيادتكم أن ثورة ٢٣ يوليو حجم ايجابياتها أكثر من حجم سلبياتها ·· وقد كان الأستاذ صلاح شادى ضمن من مهدوا لها قبل أن يكون لها سلبيات ·

أخى العزيز : ان شدة حرصك على نقاء الحكم الاسلامى جعلت البعض يظن أنك تميل الى النظم العلمانية التى تفتقر الى الوجدان الدينى والتشريع السماوى ·· ولا أظن أن تاريخ الحكم العلمانى فى مصر يغريك على أن تقف مدافعا عنه وان تهب له اسمك ومكانتك الأدبية الفكرية فى عصرنا هذا ·· ولست أنت ممن يخفى عليهم أدق التفاصيل ·· خصوصا وأن الصحافة وهى أداة التفاصيل تتمتع اليوم بحرية أكثر مما مضى ·

ولكن لى بعض الملاحظات الأخرى كالآتى :

قلت للأستاذ صلاح : (من سمح لك يا سيدى بأن تبلغ وما أنت بمتبلغ ، أو تحاسب وما أنت باله ؟) ·

وأقول اليك برفق : ان الأستاذ ثروت أباظة مكلف أيضا بمقتضى الآيات القرآنية الكريمة أن يحمل الرسالة بالقدوة والموعظة الحسنة فى حدود امكاناته وطاقاته ·· وليس هذا تكليفا مقصورا على رجال الدين الموظفين لذلك ·

وقلت له : (أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين ؟ حين تطبق الشعار الذى ترفعه انت وصحبك من تطبيق الشريعة الاسلامية ؟) ·

وأقول : انك تحترم قطعا دستورنا الوضعى الذى جعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ·· ولا أتصور أبدا أنه بمستوى فكرك وفكر الأستاذ صلاح ان يعود (ملك اليمين) بتطبيق الشريعة الاسلامية التى يحترمها دستور الدولة ·

وقلت : — [فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الاسلامية الا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ؟] ·

وأقول : كان ينبغى توجيه هذا السؤال الى اللجان المختصة فى الدولة والتى تعالج جوانب الاختلاف فى القوانين القائمة عما تنادى به الشريعة الاسلامية ·· ولو كان الأمر سهلا وبديهيا لأعلنت هذه اللجان

جهودها على ضمائرنا ٠٠ وانت خير من يعلم ان الشريعة الاسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع ٠٠ واننى أعتز بشهادة قادة اخواننا الأقباط فى هذا الشأن ابان عهد عمرو ابن العاص ٠٠ ذلك هو الكم الاسلامى الذى يقصده الأستاذ صلاح ٠

وقلت : [ان المتطرفين من المسلمين فى مصر قتلوا بعض الأفراد من المسئولين فى الدولة] ٠

وأقول : هؤلاء المتطرفون لم يمارسوا الحكم الاســـلامى فى مصر يوما واحدا ٠٠ كما ان الأستاذ حسن البنا مؤسس تلك الجماعة أعلن رأيه فيهم قائلا عنهم [انهم ليسوا اخواننا وليسوا مسلمين] ٠٠ وان الاسلام شىء واخطاء المسلمين شىء آخر ٠

وقلت : [ان العدل يتم اذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله] ٠

وأقول : ان العدل شىء وجدانى يتصل بالضمير ٠٠ وقد تعلمنا فى دراسة القانون ان القاضى العادل يستطيع أن يصدر حكما عادلا بقانون ظالم بين يديه ٠٠ ان سلطان العدل هو الذى ينجح دائما فى تغيير القوانين لتحقق عدلا أفضل ٠٠ ان القوانين كلها وما تستند اليه من دساتير فمع احترامنا الشديد لها فكلها متغيرات يسيطر عليها العدل أخيرا وان غلبته أحيانا ٠٠

وقلت : ضاربا المثل بالثورة الخمينية والثورة النميرية ٠٠

وأقول : أرجو الا تسقط من حساباتك الدور الرئيسى الذى تقوم به الدولتان العظميان وهما مختلفتان فى كل شىء الا شيئا واحدا وهو هدم حضارتنا وعقائدنا ٠٠ وقد حدث فعلا ٠٠

وقلت : [انهم كان لهم فى الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد واشاعة للذعر بين الناس] ٠

وأقول : ويجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم ان كان ذلك صحيحا ولكن أرجو أن تقارن عدالتهم بين طاقتهم الضئيلة وطاقة الدولة بكل امكاناتها فى هذا المجال ، ومدى صحة ما قيل فى الصحف ٠

وقلت : [ان كلمة الله هي العليا مهما حاولوا أن يجعلوا منها طريقا الى حكم الدنيا] .

واقول : لقد كانت أعظم جملة تختتم بها مقالتك ، وانني على يقين من انك تتفق معى فى أن عهود أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر ابن عبد العزيز ـ التى سجلت اعتزازك بها كل الاعتزاز ـ كانت كلها أمور دنيا وحكم دنيا ممتزجة بالقرآن الكريم ولن يختلف معك الأستاذ صلاح وصحبه فى هذا الشان .

محمد جمال الدين

واليـــك .....

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد فشكرا لله ما أرضاك من حديثى وما أعجبك منه ولأنتقل الى ما حاولت ان تجعله ملحوظات بعد ذلك . واسمح لى بادىء ذي بدء أن أقول ان خطابك وملحوظاتك لا تناقش فى شىء ما ذهبت أنا اليه . وانما هى خواطر استدعاها الى ذهنك ثم الى قلمك ما قرأته لى .

وعن هذا سوف اغضى ثم أمضى معك الى آخر الطريق .

كانت عجيبة منك يا أخى أن تظن ـ وأعيذك من بعض الظن ـ انه قد غاب عنى ان الاسلام شىء والمسلمين شىء آخر . فما كان هذا ليغيب عنى أبدا وكيف له ان يغيب بل وكيف لك ان تفكر هنيهة من لحظة انه يمكن ان يغيب عن أى انسان .

الاسلام يا سيدى دين الله .. وليس لنا ازاءه الا أن نؤمن به ونخبت ونخشع .

انه مرقى الانسان من عبودية الأرض الى ملائكية الملكوت الأعلى ، فهو تنزه وسما ان يكون لحية وجلبابا وخفا ووشاحا وهو خير ما عرفته البشرية وكيف له الا يكون وهو هدى الله تعالت أسماؤه للناس وهو ختام آياته التى وعد بها بنى آدم حين قال « يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الأعراف .

أما البشر يا سيدى فهم الخطاءون : وهم الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى « انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولاً » الاحزاب ٠

فالانسان يا سيدى هو ذلك الظلوم الجهول ٠ وكل الذين انتقدتهم بشر من البشر وانسان من الانسان الذى وصفه ربه بأنه ظلوم جهول ٠ ولا عاصم للناس منهم الا الديمقراطية والحرية التى لا يعرفها الطغاة ٠

وكم أخشى يا سيدى ان يتفرد الظلوم الجهول بالحكم مدعيا انه بكتاب الله يحكم فيسرف فى الأرض ويبغى ويعتو ، كما أسرف وبغى وعتا معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وكل من تفرد بالحكم فى قديم أو حديث الا من رحم ربك وما أندرهم ، وانى للبشر ان يطلع عليهم أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على ، أو شبيههم عمر الأشج بن عبد العزيز ٠

أما قولك انت اننا اذا تعمقنا فى التاريخ قد نجد حجم الايجابيات لبعض الطغاة أكثر من حجم سلبياتهم فعجيبة تذهل لها العجائب ٠

تعمق انت يا أخى التاريخ ما شاء لك التعمق ، ولكن الناس عندى ليسوا فئران معامل يجرى عليها الطغاة تجاربهم فيسرقون ويقتلون وينبهون ، ثم يقول عنهم التاريخ ان ايجابياتهم كانت أكثر من سلبياتهم ٠ فان قتل انسان واحد بغير حق ينسف كل حسنات ذلك القاتل ٠ فان الله من فوق سبع سماوات حكم عليه إنه كانما قتل الناس جميعا ٠ وما أظنك يا سيدى بقاتل للناس جميعا ٠

أما الثورة يا سيدى فأمرها ليس مطروحا للمناقشة فى هذا الحديث مطلقا ٠ ولا يعنينى ولا يعنى الناس فى شىء أن يكون الأستاذ صلاح بين من مهدوا لها أو لا يكون ٠ ويبدو ان هذه الجملة جميعا قد أرغمت ارغاما على أن تساق فى خطابك هذا ٠

أما قولك يا سيدى ان الحكم العلمانى والنظم العلمانية تتفق مع ميلى ، فتلك هى الأخرى عجيبة تذهل لها العجائب ٠

متى حكمت مصر حكما علمانيا وكيف تقول هذا وفى مصر الأزهر منذ ألف عام ٠ والحكم والأحوال الشخصية فى مصر يتبع مذهب أبى حنيفة منذ قديم ٠ وكل قوانين مصر المدنية متفقة فى الأساس الجوهرى منها مع الشريعة الربانية ٠ وان اعتبر بعض الفقهاء فوائد البنوك نوعا من الربا

فان بغضا آخرين من عظماء الأئمة لهم فى ذلك رأى آخر ، وعلى رأسهم الشيخ الامام محمد عبده . والربا كما تعلم معاقب عليه بين الأفراد فى قانون العقوبات المصرى . فأين هو هذا الحكم العلمانى الا انكم ترفعون لافتات على غير مكانها وشعارات هى أبعد ما تكون عن واقع الأمر .

وأما قولك اننى مكلف بمقتضى الآيات أن أحمل الرسالة بالقدوة والموعظة فهذا حق ، ولكننى يا سيدى أصدر فى ذلك عن رأيى أنا ولست فى ذلك مبلغا ، فكلمة مبلغ فى سياق مقالتى تعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وحده ، وما ينبغى ان يرقى الى هذا المكان فى البشر أحد من بعده فهو الخاتم .

وهو صلى الله عليه وسلم كلفه الله بالبلاغ وحده وأمره جل علاه أن يترك الحساب له وحده ، فهو وحده العدالة المطلقة ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يتاح هذا لأحد من الناس بل انه غير متاح لسيد البشر قاطبه محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه صلى الله عليه وسلم والمشفع عنده فى الخلق أجمعين .

أما أنتم ياسيدى — أو المتطرفون منكم على الأقل — فأحسب أنكم تريدون — بما نشاهده من أشياعكم فى مصر — ان تبلغوا رسالة لم يكلفكم الله بها فما كنتم ولن تكونوا رسلا . ثم تريدون ان تتهموا ولستم مؤهلين من الله بذلك . وتريدون أن تحاسبوا والحساب لله وحده ، وتريدون أن تنفذوا أحكامكم . وكبر هذا عند الله . وأعيذ نفسى وأعيذكم أن أصف هذا الذى تريدون أن تفعلوا بما يستحقه من وصف .

أما ما ذكرته عن القاضى والقانون فهو هو ما أخشاه فأنا لا أخاف من الشريعة ، وانما أخاف من الانسان الذى يطبقها . فالشريعة كلمة الله والانسان ظلوم جهول ، وأما ما تراه يا سيدى من أن الشريعة الاسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع ، فهو أمر اتفق معك فيه كل الاتفاق ، بل اننى أهتف به وأنادى . فماذا يريد اذن الأستاذ صلاح وشيعته من المتطرفين ممن يصرخون بغير هذا ، ويمتد بهم التطرف الى القتل وسفك الدماء والجبروت . وما لهم لا يتركون لمن ذكرتهم من القضاة والمشرعين ان يصدروا فى أحكامهم عن هدى القرآن دون تعسف منكم أو عدوان .

أما دفاعك عن المتطرفين الذين قتلوا فأمر لا أسمح لنفسى بمناقشته ، فما كنت لأتصور أن مسلما يدافع عن شارب خمر فكيف به ان يدافع عن قاتل نفس : أشهد الله انى برىء مما تزعمون .

واما ان الاسلام شيء وأخطأ المسـلمين شيء آخر فتلك مقالة عدت لها . ولهذا أسمح لنفسى ان أعود .. ان المقارنة بين الاسـلام وهو شرع الله وبين البشر لا يجـوز أن ترد بذهن انسان ، فكيف سـمحت لنفسك يا سيدى ان تفكر فيها وتكتبها أيضا . هيهات ... لا مقارنة .

فما دار لى هذا بخلد وانما أخشى يا سيدى من أقوام يريدون ان يفعلوا فعل أنصار معاوية فيرفعوا المصاحف على أسنة السيوف ، ويصبحوا متحايلين يرفعوا حقا ويريدون به باطلا .

فالمصحف حق . أما الوصول عن طريق رفعه على السيوف الى كراسى الحكم فباطل يا سيدى .. باطل وحق الله ... باطل بطلانا مطلقـا لا سبيل الى تصحيحه ، أما حديثك الباقى يا سيدى عن الدولتين العظميين فأمر أراه أيضا دخيلا على ما نحن بصدده فما أحسب يا سيدى انكم تنوون الذهاب الى أمريكا أو روسيا لترفعوا عليهما الشـعارات التى ترفعونها هنا علينا ، فأرجو يا صديق الصبا ان تعفينى من مناقشة هذا الحديث ، وأشكر لك ما حسن من ظنك بى داعيا الله سبحانه ان يهديك ويهدينا الى ما يحبه ويرضاه . وان يرحم مصر ويقيها من كل عادية ؛ سبحانه كتب على نفسه الرحمة وسبحانه وحده هو الملاذ فى الشدة يدرأ عن عباده المؤمنين عادية أنفسهم وعدوان الظالمين ... جلا علاه .

١٩٨٧/٤/١٩ م الأهرام

بين الخلود والهوان

فى كتاب بلوغ الأرب هذه القصة التى سأقدمها بين يديك • ولقد حاولت أن أدافع هذه الرغبة فالحت على الحاحا شديدا • فظللت بها وبنفسى أتعمق كلا منهما حتى وجدت نفسى ممسكا بقلمى باسطا صحائفى ناقلا اليك ما طالعنى من هذا الكتاب العظيم • وأنا فيما أنقل ما فى القصة من طرافة ولست بمستبعد أن تكون القصة من غير واقع الحياة وانما اختلقها شاعر ذكى ودفع بها الى مجالس المنادمة والسمر فسارت طريقها فى التاريخ حتى أدركها قلم كاتب فأثبتها وبقيت حتى ظهر أعظم كشف عرفه الانسان وكانت المطبعة وسعت اليك القصة اليوم فى العصر الذى اعتلينا فيه الأقمار وسمعنا عن ذلك الأمريكى الذى قال أنه سمع الآذان يتردد فى آفاق السماوات العليا وهو فوق سطح القمر •

ألم أقل لك ان المطبعة هى أعظم كشف فى التاريخ • كيف كان يمكن أن تلتقى هذه القصة البالغة القدم • بعجائب هذا الزمن الذى نعيش فيه فى بوتقه واحدة هى رأسك ورأسى الا بما خلدته المطبعة من تاريخ الأقدمين •

ولا تعجب أن يساورنى الشك فى صدق القصة التى أقدمها اليك • فقد كان العرب لا يعرفون القصة التى يبدعها القصاصون اليوم • وانما كانت القصة عندهم قصا للأثر والنبأ وتتبعا للحدث • وحين قال القرآن الكريم « نحن نقص عليك أحسن القصص » فان الكلمة هنا تعنى التاريخ الصادق الذى لا يأتيه الباطل أو الاختلاق من أى ناحية له •

أما البشر اذا قصوا فهم يتزيدون ويكذبون ما شاء لهم الكذب ويبتدعون ما شاء لهم الابتداع من الأحداث ولكنهم يوهمون السامعين ان ما يرونه انما هو الحق • ولو كانوا عرفوا القصة التى نؤلف نحن اليوم أحداثها ما احتاجوا الى الكذب وما كان هناك داع أن يزوروا على سامعيهم ويدعوا أن القصة التى اختلقوها انما هى خبر وقع وليس حدثا أنشأه خيالهم •

واليك القصة • ولنا بعد نقلها اليك حديث آخر •

« صحب زجل كثير المال عبدين فى سفر ، فلما توسطا الطريق هما بقتله ، فلما صح ذلك عنده قال : أقسم عليكما — اذا كان لابد من قتلى — أن تمضيا الى دارى وتنشدا ابنتى الاثنتين هذا البيت ؟ قال :

من مبلغ بنتى أن أباهمـــا   للـــه دركما ودر أبيكمـــا

فقال أحدهما للآخر ما نرى فيه بأسا •

فلما قتـــلاه جاءا الى داره وقالا لابنته الكبرى : ان أباك قد لحقه ما يلحق الناس والى علينا أن نخبركما بهذا البيت فقالت الكبرى : ما أرى فيه شيئا تخبرانى به ، ولكن اصبرا أستدعى أختى الصغرى •

فاستدعتها فأنشدتها البيت فخرجت حاسرة بلا خمار على رأسهـا وقالت : هذان قتلا أبى يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء ، قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : المصراع الأول يحتاج الى ثان ، والثانى يحتاج الى ما يكمله ، ولا يليق أحدهما بالآخر • قالوا : فما ينبغى أن يكون ؟ قالت ينبغى أن يكون :

مـــن مخبـــر بنتى ان أباهمـــــا   أمسى قتيـــلا بالفـــلاة مجنـــدلا

للـــه دركمـــــا ودر أبيكمـــــا   لن يبـــرح العبـــدان حتى يقتـــلا

« فاستخبروهما فوجدوا الأمر على ما ذكرت » •

والى هنا تنتهى القصة التى رواها التراث • ولا شك أن شكا مريبا اعتمل فى صدرك كهذا الشك المريب الذى اعتمل فى صـــدرى • ولكن لا شك أيضا انك استمتعت بالقصة مثلما استمتعت •

والشك يعتمل فى العقل والمتعة تنداح فى النفس •

والعقل يتساءل • كيف يتسنى لرجل معرض للقتل من عبديه أن يؤلف بيتا يعرف انه لا يعنى شيئا الا اذا أكملته ابنتاه • وكيف خطر له وهو فى هذا الكرب العظيم ان ابنتيه ستكملانه بما يفيد أن العبدين قتلاه • وما لهما لا تكملانه بأن العبدين أكرماه فيما يسبق الوفاه • فان كان الأب والابنتان يعلمان ان العبدين لئيمان ولا أمان لهما • فلماذا

اختارهما الأب ليكونا رفيقى طريقه الذى لا يصاحبهم فيه آخرون • ولماذا قبلت الابنتان ان يخرج العبدان مع أبيهما وهما لا يتمتعان بالثقة الكاملة منهما ؟ ولماذا أدركت البنت الصغرى ما لم تدركه الكبرى الا أن يكون ذلك مبالغة فى محاولة الابهار واثارة العجب فى نفوس المستمعين حين كانت القصة تروى شفاها ثم فى نفوس القراء حين أصبحت القصة فى شكل حروف مكتوبة ثم مطبوعة • والا أن يكون هذا جريا على عادة مختلقى القصص فى ذلك الحين من جعل الأصغر دائما هو الأكثر ذكاء وفصاحة والأعظم ارتفاعا فى الخلق ونقاء فى الدخيلة والتصرف • ومن هذا المورد تجد أن ألف ليلة وليلة استنبعت طريقتها فى القص والحكاية • مع اختلاف جوهرى • ان ما كان يرويه العرب كانوا يدعون انه حق وقع وحدث وأنهم له ناقلون لا مختلفون • وان رواة ألف ليلة وليلة لم يدعوا هذا الادعاء ولا كان يعنيهم أن يدعوه كما لم يكن يعنيهم أن يصدقهم الناس أو لا يصدقون •

وعودا الى تلك القصة • ولنحاول ان نفكر فى انسجام التصرف عند العبدين • فالقصة التى يكتبها القصـــاصون اليوم تحتم أن يكون التصرف متسقا مع الشخصية التى تقوم به • فكيف لقاتلين سارقين لا أمانة لهما ولا شرف ولا ذمة أن يحملا رسالة غير مفهومة الى بنتى الرجل الذى قتلاه •

ان حمل الرسالة نوع من الأمانة النادرة • فهما تجشما العودة الى ديار القتيل خصيصا ليؤديا أمانة كلامية كان من الطبيعى أن ينتهباها مع ما انتهبا من حياة الرجل ومن أمواله جميعا •

القصة اذن مختلقة • ولا بأس على العرب فى نديهم وسمرهم أن يستمعوا الى المختلفين من القصاصين • ولكن العرب كانوا أذكياء غاية الذكاء وكانوا يغضون الطرف عن القصص الجيدة السبك التى يجدون فيها ذكاء فى القص وفى الموضوع واذا تحلى هذا أيضا بشعر جميل فأنعم به وأكرم •

ولكنهم كانو يرفضون الهزيل من القصص • حتى أن رجلا كان اسمه خرافة كان يسير بين أحياء العرب ينقل اليهم ما يدعى أنه أخبار رآها أو سمعها • ولكنه كان لا يجيد بناء خبرة وتمويه قصته فأصبح بين العرب سخرية وأصبح حديثه بين أحياء العرب هزلا لا جد فيه • حتى لقد أطلقوا اسمه على كل كلام لا معنى له وأصبح صفة واشتقوا له الفعل والمصدر واسم الفاعل فيقال خرف الرجل تخريفـا فهو مخرف ولا يقول الا خرافة هكذا كان الأمر •

وأعود اليوم الى نفسى · ما الذى جعلنى أجبرها على أن أنقل اليك هذه القصة · أتراه ما شعرت به من متعة فى قراءتها بعثتنى أن أشركك معى فيها بما كان الأمر كذلك ·

ولكننى أحسب ان دافعا آخر أهم بكثير من مجرد المتعة استحثنى أن أنقلها اليك ·

لقد رأيت بآخرة بعض الكتاب الذين يظنون أنفسهم كبـارا وهم أصغر من الهوان يقدمون الى الناس أحاديث يسوقونها على أنها تاريخ من التاريخ وصدق من الصدق وحق من الواقع ·

ويقرأ الناس ما يقولون فيجدون الكاتب يجعل من نفسه الها متفردا يدور العالم كله على ركيزته · وتلف الكرة الأرضية حول دماغه · والعجيب أن التاريخ الذى يزورون ، عليه أن هذا الذى يرويه الكاتب الكاذب الغبى الأحمق ما هو الا حديث خرافة ، وان كان خرافة فى زمانه يلف كذبه بغشاء واه من الحقيقة ليموه الحدث على سامعية فان الكتاب الذين يزورون الحق اليوم أعظم وقاحة ألف مرة من خرافة وحكاياته السخيفة الهازلة ·

والعجب العجيب أن هؤلاء الكتاب ينصبون أنفسهم بتاريخهم المزور معلمين للنـاس أجمعين فلا رأى الا رأيهم ولا قول الا قـولهم ولا أدب الا أدبهم ·

وهم بوجه جامد صفيق يدعون أنهم يعرفون كل شىء فى أى شىء فهم علماء القانون والطبيعة والمجتمع والأدب والفن وما شئت أو لم تشأ من المعارف الانسانية ·

وليس بعجيب أن ترى هؤلاء الصغار يهاجمون كل عظيم فى حياتنا سياسيا كان هذا العظيم أو كان عالما أو كان أديبا · ويحاولون ان يرفعوا كل خامل خافت الصوت هزيل العمل ·

لأنهم واثقون ان العظماء يعرفون حقيقة أمرهم · وأنهم على علم دقيق بخفايا كذبهم وخفايا حياتهم والحقير الدنىء من تاريخهم العفن ·

والكاتب عند الناس اما أن يكون صدقا أو لا يكون · وليس كاتبا من يحاول ان يخادع الناس حتى وان لجأ فى خداعهم الى تملقهم والهتاف بما يهتف به الغوغاء منهم والجهلاء والمضللون الذين يضللون الناس أو

المضللون الذين أضلهم الملفقون واستغلوا سذاجتهم أو جهلهم أو غباءهم أو هذه جميعا ٠

وكل كاتب لا يراعى الله والحق مع النفس ليس جديرا أن يحمل لقب كاتب ٠ فالكاتب فى عصرنا الحديث أمره يختلف كل الاختلاف عن عصور ما قبل المطبعة ٠ حينذاك كان الشعر فى أغلب أمره تكسبا للنمال ٠ وكان الكتاب يصوغون ما يريد الحاكم أن يقول :

ولكنهم منذ ظهرت المطبعة أصبحوا هم لسان شعوبهم ونبض قلوبهم وصيحتهم فى وجه الظالمين وحريقهم للضلال ونورهم الذى يكشف الزيف وأملهم الذى يردد المستقبل ٠

ولعل أعظم مثل فى عصرنا الحديث هو عباس العقاد ٠ الذى لم يحاول يوما أن يصانع الغوغاء أو ينطق بهتافهم أو يجرى وراء الجهلاء ٠ ولم يقبل ان يمدح الا اذا اقتنع ان الممدوح جدير بأن يخط العقاد اسمه ٠ ولم يكن عجيبا ان يحاول الطغاه أن يحولوا بينه وبين الصحف فاذا اسم العقاد أعظم دورانا وانتشارا من أى صحيفة أو أى وسيلة من وسائل الاعلام ٠

وحين يعوزه المال ٠ وينضب منه وعاؤه يرفع قلمه الى أعلى ويرفض أن يذله من أجل كسرة خبز ويقبل ان يكون اعلانا لآلات الطباعة من دار الهلال ليعيش من ثمن الاعلان ولكن هيهات ان يكتب كلمة هى غير صادرة من صميم وجدانه ومن صادق مشاعره ومن شريف نفسه ٠

وفى نفس الوقت كان ينتهب أموال مصر والعرب أطفال لا يصلون الى نعل حذائه ولا يصلحون أن يكونوا قراء لقرائه ٠

ولكن التاريخ لا يفلت من صدقه أحدا ولا يغضى عينه عن مخادع أو منافق أو كذاب ويبقى الصغار الذين هانوا على أنفسهم فكانوا عند الناس هوانا صغارا ويبقى العقاد عقادا اسمه هو الشموخ وهو الصدق وهو الخلود ٠

الأهرام ١٩٨٧/٤/٢٦ م

شوق قبيل الرحيل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته · نعود اليكم بعد أن شاء الله لنا أن نغيب عن هذه الصفحة شهر رمضان المبارك ·

ويشاء العزيز أن أكتب هذه المقالة وأنا أعد نفسى للسفر الى الصين بدعوة كريمة من اتحاد الكتاب الصينى ·

والشقة بعيدة ، والسفر طويل ، ولكن الرغبة فى أن أشاهد بلاد السحر والطلاسم والأصول العريقة والخلق الرفيع تدفعنى دفعا لأغالب الاشفاق من الرحلة والبعاد ·

وكيف لا أسعى الى دولة يمثل ساكنوها نصف البشرية · لا مناص وأسافر فى غدى باذن الله وفى النفس حنين بدأ يدب فى خلجان قلبى · وشوق الى مصر وأهلى وأهليها وأنا بعد لم أغادر الوطن ·

ولكن مجرد تصورى أننى سأكون فى النصف الآخر من العـــالم يملأ جوانحى شوقا الى كل مصر · وأنا بعد ما زال فى ربوعها لم أبارحها ·

وكم أخشى أن ينفرد بى ذلك الحنين فى آسيا وأذكر ما تركت فى مصر من حب وما تركته فيها أيضا من حقد · وما خلفته فى جوانحها من عظمة وشموخ وما خلفته أيضا من صغار ومن نفوس هانت فهان مقصدها وصغر مطلبها وهامت بالتوافه دون العظائم وأصبح هدفها حقيرا وصار أمرها فرطا ·

لك الله يا مصر · على رأس الحكم فيك رجل قل مثله فى الرجال · هو من أعظم الناس حبا لمصر ، ومن أنقى الناس ضميرا ، ومن أشرف الناس يدا وقصدا ومتجها وذمة ·

فما للعاملين فى مصر لا يجعلون منه نبراسا ، ولا يتخذون من قبلته قبلة ، ولا من ديدنه ديدنا ·

ما لهم لا يتخذون قرارا وان اتخذوا فعلى حرف وهم راعدون وعلى وجل وهم خائفون ، أترى يعتريهم كل هذا الذى يعروهم حرصا على منصب ، وضنا بالكرسى ، وعضا بالنواجذ على سيارة ذات تليفون وحرس بجانب السائق وتحية شرطى عند مرور ٠

هانت الدنيا وهان مظهرها وهان من ينظر الى مثل هذه الصغائر ويفارق بينها وبين مصلحة وطن ومستقبل أمة ، وخير شعب ، وحاضر اخوة ، ومستقبل أبناء ٠ ورحم الله المتنبىء وهو يقول : وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم ما للدولة وكأنها فى خمار لا من سكر وانما من خوف ٠ وما لكبارهــا لا يواجهون لهو اللاهى ، ولا عبث العــابث ، ولا اعتداء المعتــدى ، ولا اهمال معدوم الضمير ، ولا تحايل خرب الذمة ، ولا سارق أموالها ، ولا ناهب مقدراتها ، وما لقوم يتاجرون بمحكم القرآن وهو القرآن وبرفيع الدين وهو الدين ويعتدون ولا يردهم اسلامهم عن العدوان ويتجبرون ولا يقف بهم دينهم عن جبروت٠ والله رحمة وغفران ودينه حب وسلام ونبيه كان على الناس عزيزا طهره مولاه أن يكون للخلق عنتا ٠ وكان صلى الله عليه وسلم بشرى للعالمين وكان رسولا وبلاغا لا مسيطرا كان ولا كان حسيبا ٠

ما لهؤلاء يعيشون فى البلاد ولا يجدون فى مراحها قمعا ولا ردا ، وما للصوص أمن وسارقى أموال ومحطمى أخلاق ومدمرى قيم يفشون بيننا كوباء ولا علاج ، وكطاعون ولا مصل ٠

أين نجد مما بين الأخ وأخيه من حب ومرحمة وتسامح ووفاء حتى كان الاثنين انسان واحد ٠

أين حب بين الناس ٠ أين بينهم تراحم وايثــار وعون عند شدة واسجاح عند مكنة ، وكرم بلا مبخلة ، وعطاء بلا من ، وانجاز بلا فخر ، وعمل بلا شقشقة ٠

أنا فى طريقى الى الصين ٠ وفى الســماء سوف أدعو وهناك فى الغربة سوف أدعو فالغريب ضعيف بلا نصير الا الله وهو سبحانه أقرب للضعيف يوسع له من رحمته ويفسح له من كرمه ٠

سوف أدعو لمصر جميعا ٠

الأهرام ١٩٨٧/٥/٣١ م

عـودة ونشـار من الخـواطر

عودة الى مصر . فأنا أكتب هذا الآن فى أحد فنادق بانكوك منتظرا موعد الطائرة المصرية التى أصبحت بفضل محمد فهيم ريان علامة مشرقة فى جبين مصر والموعد يحين فى الموهن الأخير من ليل بعد غد . وأنا الآن على موعد مع الستين فى هذا الشهر فمن حقى أن أحمل بين جوانحى خوفا من طول السـفر ويعلم الله ما على حياتى أخاف فما خفت عليها وأنا فى باكر الشباب فكيف بى وأنا رجل فى السنة الستين من عمرى . ولو اننى خفت عليها فيما مضى من سنواتها ما كتبت ما كتبت ولا صنعت ما صنعت . فقد عشت عمرى أتحسب وجه الله الكريم ولا أخاف الا يوما أنا فيه ملاقيه سـبحانه وتعلم يومذاك ماقـدمت نفسى وما أخرت . وانما أخشى من طول السفر وندرة الرقاد ، وقلق النومة ،وبعد الشقة ، ومتاعب الجسم ، الذى عاش هو أيضـا ستين عاما ، يعلم الله وحده مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة أنا وروحى وجسمى من معارك مع الأباطيل وصراع مع الأراجيف ، وحروب مع الطغيان ، ورفض لكل ما تأباه نفسى من حاكم سفاح أو جماعة كافرة بالله والوطن وحق الانسان فى الحرية أو ثلة من الآخرين اتخذت الدين تجارة وستارا للصعود الى الحكم الدنيوى على سلم رث متهالك من ادعاء التقوى ودفاع عن حق الله فاذا هم اعصار من الطغوى . والله رحمة ، وعزيف من المقت والكراهية والقتل والارهاب . والله يقول فى محكم كتابه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » سورة مريم ٩٦ . يا سبحانك يا عظيم يا خلاق يا من تدرى وحدك ما تخفى الصدور . فالود اذن عندك سبحانك هو الجزاء الأوفى لمن آمنوا وعملوا الصـالحات . فهؤلاء الذين يدعون أنهم حماة دينك يحاكمون الناس وما ندبهم أحد للادعاء ، ويحكمون عليهم وما خولهم أحد القضاء ، وينفذون أحكامهم قتلا ورميا بالرصاص ، وما هم أولياء دم ولا هم ـ ولن يكونوا ـ أولياء حكم ولا ذوى سلطان .

خواطر تواكبت على قلبى وأنا أكتب اليك فى انتظار السفر الى القاهرة من بعد غد وفى انتظار الستين من عمرى فى هذا الشهر .

وإذا قدر الله لى العودة فى الموعد المنتظر أكون قد غبت عن مصر ستة عشر يوما • وأنا الآن أحس أنى بعدت عن مصر دهرا بأكمله • فالأيام لا تقاس بعدد ساعاتها وانما بما حدث فى هذه الساعات • فهل ترانى محدثك عما عرض لى فى هذه الأيام التى هى عندى من الزمان دهر اذا قدر للانسان أن يعيش من السنين دهرا •

أى وحقك • قد تكون اللحظة دهرا •

فالغياب عن مصر لحظة هى عندى دهر •

وفى كل بلدة زرتها واجهت لحظات كانت كل لحظة منها عندى دهرا •

والغياب عن ابنتى وابنى لحظة وليس عندى عنهما نبا دهر •

كانت دهرا داهرا تزف الى قلبى وقد بلغ معى الستين أيضا أن حياتى لم تكن عبثا وان ما كتبت ما كان باطلا وأن جهادى فيها لم يضع فى هذه الدنيا سدى •

كانت دهورا من السعادة وما أقل ما نلتقى بلحظة من السـعادة ومن الرضا وما أندر ما ترضى منى النفس عنى • ومن الطمأنينة أننى صنعت فى حياتى شيئا وما أكثر ما تخلج الشك فى نفسى أننى صنعت شيئا يستحق الذكر •

أ أروى لك ؟ أم يخلق بى أن أكتم ما طالعتنى به الحياة من تكريم فى بلاد لم أزرها فى حياتى • خشية أن ترانى ما دحا نفسى ؟ •

أنا من أمرى فى حيرة واجفة • اذا لم أقل • ضاقت نفسى واذا قلت خشيت أن يمسنى زهو وأن ألقى منك أذنا غير مصغية ، أو عينا غير ناظرة أو نفسا غير مقبلة •

أحسب أننى سأقص عليك • ولكن ما أحسب اليوم موعدنا • فأنا بعد ما أزال فى غمرة من تكريم الناس ولما أملك من أمر نفسى ما أحب أن أملكه حين أكتب اليك •

والى موعد لا أحدده أقص عليك فيه ما تتوق نفسى أن أقصه عليك •

وان كنت على غير ثقة اننى فاعل ذاك • فانى سأقلب الأمر على كل جانب • وقد أخطرك بما انتهيت اليه اذا عزمت نفسى أمرها أن تقص عليك • وقد أضرب عن الأمر كله صفحا وكأننى ما قلت شيئا •

وماذا على وأنا على مشارف الستين أن أجعل منك أخا لى أو ابنا أبادلك المشورة · لا بأس عليك ولا ضير على ·

دعنى الآن أحدثك عن زميلى فى الرحلة · فالحديث عن الغير أيسر · وأنا عنده أملك من الأمر ما أحب أن أملكه اذا كتبت اليك ·

ولكن فلينتظر الصديقان الكريمان صاحباى فى رحلتى حتى أهنىء مصر بممثليها فى كل البلاد التى زرتها ·

سلمت مصر وبقيت غنية أنت برجال أن أغتنى غيرك بالمال · عظماؤهم أبناؤك · شرف هم لمصر وللانسانية جميعا على كل مستويات الانسانية ·

كان أول سفير لقيته الدكتور العظيم ايهاب سرور سفيرنا فى تايلاند ومعه السيدة الرائعة زوجته ·

لم أكن أعرفهما الا يوم استقبلنى السفير · هكذا مصر ورجالها العظماء يبذلون كل جهدهم ليرتفع اسم مصر الى السماء ولا يرجون من مصر جزاء ولا شكورا كذلك كان ايهاب سرور فى تايلاند وكذلك رأيت سفيرنا العظيم ابن العظيم أحمد سليم والسيدة الفاضلة الكريمة زوجته · وكذلك رأيت قنصلنا العام فى هونج كونج نبيل فهمى والسيدة المشرفة العظيمة زوجته ·

دع عنك ما تفضلوا به جميعا قبلى ·

تعال فانظر كيف توطدت العلاقات بين ايهاب سرور وجميع السفراء في تايلاند سواء كانوا سفراء دول عربية أم سفراء الدول الكبرى والدول الغربية · ان كل سفير منهم يعتقد أنه الصديق الأول للسفير المصرى القادر المتمرس الموفق دائم الابتسام عذب الحديث المتمكن من الانجليزية تمكنه من العربية ايهاب سرور سفير مصر فى تايلاند ·

وتايلاند التى عاصمتها بانكوك هى محط الطائرات الذاهبة الى الصين أو اليابان لسفيرنا فيها رجل ما أحسب أن أحدا من السفراء مضطر اضطراره الى الاهتمام بكل الذاهبين الى هذين البلدين الكبيرين وكل العائدين منهما الى القاهرة · ولا يدرى عدد هؤلاء وضخامته الا من قام بهذه الرحلة وشهد ما شهدت من تقاطر المصريين الذين لا يفكر أحد منهم أن يعبر بانكوك دون أن يقيم فيها بضعة أيام ثم يكمل سفره ذاهبا أو عائدا أو ذاهبا وعائدا معا ·

تحية اعجاب وحب الى هذا السفير راجيا أن يعفينى من شكره على ما تفضل هو وزوجته الودود الرائعة من اكرام لى ولزوجتى · وان كنت لا أستطيع أن أعفى نفسى من شكره على مصاحبتى فى لقائى لرئيس مجلس الشيوخ التايلاندى الدكتور أوكريت وهو الشخص التالى لملك تايلاند ثم دعوة هذه الشخصية العظيمة مع سفراء الدول من أمريكا الى أمريكا اللاتينية الى بلدان أوروبا الى افطار خـــاص على شرفه وعلى شرفى · ولا أستطيع أن أغضى عن شكره على تفضله الى دعوتى الى افطار مع سفراء الدول العربية على شرفى أيضا فكانت فرصة رائعة أن تعرفت بأخوة كرام أعزة ·

وأنتقل الى الصين ويلقانى فى مطارها السفير العظيم أحمد سليم ويغمرنى يفيض من كرمه وأفاجأ بدعوة أن ألقى نائب رئيس الجمهورية الصينية أنا والوفد المصرى فيكون السفير القدير فى اللقاء وندرك كم يحظى بالاجـــلال والاكبـــار من الرجال الرسميين · وأجد نائب رئيس الجمهورية شخصية عظيمة على علم بأحوال مصر فأدرك أن سفيرنا هناك خبير بشئون عمله طب بها · ويدعونى مع الوفد الى عشاء فاخر مع اخوة مصريين ·

وقبل أن أترك لقاءنا بنائب رئيس الجمهورية لابد لى أن أذكر أن الرجل كان سعيدا كل السعادة وهو يخبرنى أن كثيرين من الأفراد العاديين فى الشعب الصينى أصبحوا يعاملون البنوك ويودعون بها أموالهم الخاصة التى ربحوها من أعمالهم وأعلم من سفيرنا أن الحكومة فى الصين سمحت للفلاحين أن يبيعوا محاصيلهم للتاجر الحر · وأن النتيجة كانت زيادة المحصول عشرة أضعاف ما كانت عليه حين كان الفلاح ملزما ببيع المحصول الى الحكومة وان الحكومة اضطرت أن تدخل السوق مشترية بأثمان أعلى من أثمان الأفراد التجار وأن الفلاح اليوم أصبح يبيع الى الحكومة بيع سماح واقبال والمحصول يتضاعف ·

وربما ينبغى لى أن أذكر هنا للمتشدقين بمكاسب العمال وحقوق الكادحين وتلك الأقوال الهلامية التى خربت اقتصاد مصر · ان مجلس الشعب فى الصين لاذكر فيه لنسبة الخمسين فى المائة المضحكة المخزية التى يجرى عليها الحال فى مصر وان الجامعة هنا لا تعلم الطلبة مجانا ·

أشياء ذكرتها ·· كان لابد أن أذكرها والا انفجرت نفسى بما يعتمل فيها من آلام لهذه الرشاوى الجماعية التى قدمها حكم أرعن مأفون وما زلنا نحن نعانى بلواها حتى اليوم ·

وأعود الى سفيرنا العظيم ابن الأستاذ العظيم . فسفيرنا فى الصين ابن أستاذ مؤرخى الآثار المصريين المرحوم العلامة العالمى سليم بك حسن . أما السيدة الرائعة زوجته فهى حفيدة مولانا الفقيه المتمكن الشيخ حسنين مخلوف أطال الله حياته ونفع به وبعلمه . وهكذا لم يكن عجيبا ان نسعد نحن والوفد المصرى فى بيت يجتمع فيه أمام المؤرخين لمصر الفرعونية ممثلا فى ابنه والشيخ الجليل الشامخ وأحد الأئمة الثقاة فى ديننا الحنيف ممثلا فى حفيدته رعاها الله .

وأعرج وزوجتى الى بانكوك الى هونج كونج فألقى القنصل المصرى العام بها وأعجب به غاية الاعجاب وأعجب بزوجته الاعجاب نفسه . فنبيل فهمى على صلة خبيرة متأصلة بهذه السوق العالمية التى يمثل مصر فيها وهو وزوجته على وعى كامل بشئون الوظيفة التى يشغلها وليعفينى من شكره على كريم لقائه الذى تفضل به على وعلى زوجتى ولتعفينى أيضا السيدة الفاضلة زوجته فالحديث حديث عام لا دخل للعاطفة فيه .

وأعود الى زميلى فى الرحلة . الدكتور الجليل المتمكن العميد حسين نصار والأديب الفذ المتميز عبد العال الحمامصى .

لحقا بى فى بانكوك ونحن فى طريقنا الى تلبية الدعوة فى الصين . وركبنا الطائرة معا الى بكين ثم لم نفترق الا حين اعتذرت أنا من اكمال الرحلة فى سائر البلدان التى اختارها لزيارتنا اتحاد الكتاب الصينى وعدت أدراجى أنا لأكتب لك هذا ولأعفى بنفسى من أسفار لا يحتملها من يستقبل الستين وصحته مثل صحتى .

أما الدكتور حسين وعبد العال فقد أكملا الرحلة وأحسبهما سيقرآن هذا المقال معنا هنا فى القاهرة .

ما هذا العلم الوافر الذى يفيض به أخونا الدكتور حسين نصار . لقد كان مشرفا وكان لمصر فخرا فى كل لحظة قال فيها كلمة . وكان يتدفق بالعلم والرأى فى ثبات وتواضع وهدوء وثقة .. ان فى مصر رجالا .

وكذلك كان أخى عبد العال يلقى برأيه فى عمق وأصالة وثبات . وقد لا يعلم الكثيرون أن عبد العال الحمامصى من أكثر الناس عمقا ومعرفة بالسياسة المصرية وخفاياها وله فيها آراء يحسده على ذكائه فيها كثيرون أعرفهم يعملون بالسياسة .

ولم يشتر الدكتور حسين الا هدايا قليلة لحفيدته . أما عبد العال فأحسب سوق الصين ستغلق أبوابها بضعة أسابيع حتى يمكن أن تقوم المصانع بتعويض المتاجر التى أصبحت بمرور عبد العال بها قاعا صفصفا . كان فى الشراء ريحا عاتية لا تبقى ولا تذر .

وبعد فهذه نثار خواطر أنت ترى أنها أخذتنى متلاصقة أخذا بعضها برقاب بعض أقدمها اليك . ولا يعلم الغيب الا الله . وربما أعود اليك مرة أخرى بحديث آخر عن نفس الموضوع وربما اكتفيت .. لا يعلم الغيب الا الله .

الأهرام ١٩٨٧/٦/١٤ م

فى هـذا فاكتبوا أو فاصمتوا

طالعتنى جريدة اسلامية بمقالين متتاليين لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحى · فقرأت عجبا · فما حسبت يوما أن يحتاج كلامى الى من يشرحه لقارىء ما فكيف بى وأنا أرى ما كتبت يستبهم بل ويستغلق على شيخ جليل القدر أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر ·

ويقول الأستاذ فى بداية مقاله الثانى « تناولنا فى حديثنا السابق مع الأستاذ ثروت أباظة الرد على ما زعمه من أن الحدود الاسلامية عقوبات فيها قسوة والاسلام لا يجوز أن يكون فيه قسوة » واكتفى بهذا · وأطرق محتسبا رب العرش العظيم فهو وكيلى وأنعم به حسيبا ووكيلا ·

وأعوذ بالله من سوء التأويل والادعاء على بغير ما قلت · من أنا حتى يتهم حدود الله بالقسوة · حنانيك أيها الشيخ الجليل · وكيف جاز عندك اننى أناقش الحدود وهى حدود الله فى محكم كتابه وفى كريم تنزيله · الذى نزله بالحق · وبالحق نزل ·

فرق كبير بين أن أقول أن العصر الذى نعيش فيه عصر تخلف عن حدود الله ونكص عنها وبين أن أناقش الحدود فى ذاتها ·

أنا حاولت أن أناقش محاولة تطبيقها بين أقوام لا شرف عندهم ، ولا ذمة ولا ضمير ، ولا خلق · وضربت بالملوك والخلفاء مثلا · واستثنيت الأئمة الهداة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعمر بن عبد العزيز ·

فكيف جاز لك يا سيدى أن تتصور اننى أناقش الحدود وهى حدود الله · وانما كل خشيتى من أقوام يطبقونها فيميلون بها عن العدل الى الجور · وهؤلاء سيزعمون أنهم يطبقون الحدود الشرعية بينما هم يحتالون بها ليحققوا مصالحهم الشخصية فيصيبون بالحدود خصومهم فى الرأى ويعفون منها منافقيهم والسائرين فى مواكبهم ·

هيهات · هيهات : وأنا المؤمن شديد الايمان أن أجرؤ على حد من حدود الله · فوالله الذى لا اله الا هو ما خفت الا من بشر لا شرف عندهم

ولا ذمة ولا خلق يحرفون كلام الله ــ جل وتعالى ــ عن مواضعه ويجعلون منه أداة ظالمة جائرة لحكم ظالم جائر .

فأنا يا سيدى أوافقك فى كل كلمة شرحت بها حدود الله . ولكن اسمح لى أولا أن أروى اليك قصة عمر بن عبد العزيز التى رويتها عدة مرات ولم أر لها أثرا فيما يساق من حجج فى الرد على .

أرسل أستاذ عمر بن عبد العزيز اليه وهو خليفة يسأله « الى أى هدف تقصد بكل العدل الذى تقيمه » .

فرد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قائلا : أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب . فأرسل اليه الأستاذ يقول « لن تستطيع واذا استطعت تكون أعظم من عمر لأن الذين كانوا حول عمر كانوا يعاونونه على العدل أما الذين حولك فسيحاربونك على هذا العدل وسيقتلونك ان أصررت عليه » وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز ولم يكمل سنتين فى الحكم .

فالناس اذن هم العامل الأساسى فى تطبيق الحدود . وبتلك الحدود التى لا يجوز للبشر أن يناقشوها حكم الخلفاء الأربعة وتبعهم خامسهم ابن عبد العزيز فكانوا عدلا حيث حكموا . وكانوا مقسطين غير قاسطين . شرفاء غير ظالمين .

وبكتاب الله وحدوده التى لا يأتيها الباطل من أى جانب لها ادعى خلفاء لا حصر لهم ولا عدد أنهم حكموا . فكانوا جورا حيث حكموا وكانوا وبالا على الاسلام والناس جميعا .

هذا يا مولانا ما أناقشه وحاشاى واستغفر الله العلى القدير أن أجرؤ على التفكير فى مناقشة حدوده وهى حدوده .

انما أناقش الزمان الذى نحن .. ولا أناقش ولا أجرؤ أن أفكر فى أن أناقش كتاب الله الباقى الخالد من الأزل والى الأزل .

فكل ما كتبته يا سيدى لم يكن له بالنسبة لى أى داع ولا أحب أن أقول عنك ــ وأنت الفقيه الذى يفترض فيه انه محقق لا يكتب كلمة الا بعد أن يضعها فى ميزانها الدقيق ــ انك ظلمت ، لم تنصف ، وجرت ولم تقسط ، وتجاوزت ولم تعدل .

واسمح لى يا سيدى أن أورد بعضا مما كتبت واسمح لى أن أناقشك فيه وما أظن أننى اذا ناقشتك أكون قد جاوزت مكانى ·

أليس تفسير الحدود والتشريع جمعيا ظل مطرحا على أهل الفقه منذ مئات السنين · فما البأس به أن أناقشك ولو على سبيل الاستفتاء ومثلى والناس جميعا من حقهم السؤال · ومثلك والفقهاء من اخوانك عليهم جميعا أن يفتوا بما يعرفون اذا عرفوا أو بالقول أنهم لا يدرون · فانه قيل : من قال لا أدرى فقد أفتى ·

أليس للشيخ الامام محمد عبده رأى فى فوائد البنوك ؟ وما لى يا مولانا الا أحترم رأى الامام وهو الامام ·

دع عنك هذا وبنا الى الفقرة التى وردت فى بعض ما كتبت ·

قلت يا مولانا بالحرف الواحد « انه كما تنزل العقوبات الدنيوية بالناس للمعاصى يقترفونها وللأعراض عن هدى الله الذى أنزله فيغير الله تعالى نعمه عليه من العزة والكرامة والقوة والسعادة الى الذلة والمهانة والضنك والشقاوة · فكذلك فى المقابل بسبب الطاعات والالتزام بهدى الله احكامه تهبط عليهم الرحمات ويرفع الله عنهم الضنك والعيش المهين والحياة الرديئة » ·

واكتفى بهذا منك وأسألك يا مولانا من أعطاك علم الله وكيف عرفت عدالته العليا والنبى نفسه وهو النبى يقول ما معناه :

« بين الناس من يبدو فى عمله فى الدنيا أنه من أهل الجنة بينما هو من أهل النار ومنهم من يبدو فى الدنيا من أهل النار وهو من أهل الجنة » ما أصدقك وأعظمك يا رسول الله · ولكننى يا رسول الله أشكو اليك علماء فى زماننا هذا جعلوا أنفسهم مكان الله ذاته وأفتوا ثم حكموا · ولا حول ولا قوة الا بالله ·

ماذا أنت قائل أيها الأستاذ الدكتور فى أقوام بغير دين على الاطلاق أترى أنهم وهو أكثر من ألف وثلاثمائة مليون جميعا تعساء ·

وماذا ترى يا سيدى العالم الجليل فى عالم متحضر لا يدين بالاسلام ألا ترى معى أنه أولى بك ثم أولى أن تردد معى قول الامام محمد عبده انه رأى فى باريس الاسلام وان كان أهلها غير مسلمين وانه رأى فى مصر مسلمين ولكنه لا يرى الاسلام ·

الا ترى معى يا سيدى ان لله وحده الحق فى اسعاد من شاء واشقاء من أراد حتى يرد اليه كل انسان كادحا فيلقاه ويومئذ تعلم نفس ما قدمت وأخرت ٠

أترى يا سيدى كل الدول التى يختلف الأمر فيها بين الالحاد الكامل بفكرة الأديان وبين اعتناق الدينيين السماويين الأخرين وبين الدول التى تؤمن بآلهه من البشر مثل بوذا وغيره ٠ أترى أن هؤلاء ينزل عليه الله فى حياتهم اليوم سخطا : فكيف اذن هم سعداء ٠

أليس ما هم فيه اليوم لحكمة يعلمها الله سبحانه وبتقدير منه جل شأنه سبحانه ، فكيف سمحت لنفسك يا مولانا أن تحكم هذا الحكم المطلق العام ٠

ان عدالة السماء لا يعرفها الا الله وحده ٠ وهو وحده الذى يحدد لها الثواب والعقاب وبالصورة التى يحددها هو وحده سبحانه والقول بغير هذا تجاوز لحدود العبد المؤمن وافتئات على المنطق واغفال للأمر الواقع الذى نراه فى روسيا الملحدة وأوروبا المسيحية والصين واليابان وأغلب دول آسيا التى تعبد مخلوقا ، هذا غير أديان كثيرة يدين بهـا أهلها أقليات كانوا أو كانوا كثيرا من بينها من يعبد البقر وهو البقر ٠ وكل بما يدين به مؤمن ٠

كيف يا سيدى الأستاذ تحكم على سعادة هؤلاء فى الدنيا جميعا حكما مطلقا جامعا مانعا انهم ماداموا لا يدينون بالاسلام الحنيف فهم أشقياء فى دنياهم تحيط بهم الفواجع والمصائب ٠ أترى هذا واقعا ٠ أو ترى هذا من حقك ٠

ان الدين عند الله الاسلام ٠ لا شك فى ذلك ولا نقاش ٠ أما عقاب الله ومثوبته فى الدنيا والأخرة فأمر اختص به نفسه وما أحسب أنك تفكر أن تشارك الله فيما اختص نفسه به ٠

وبعد يا سيدى فأنت ناقشت ما ناقشت وقلت فأسهبت ولكنك لم تعرض للأمر الأساسى فيما أكتب ٠

هل من حق أقوام أن يفرضوا علينا رأيهم بدعوى أنهم يدافعون عن الدين ٠ وهل من حقهم بموجب هذا الادعاء ان يقتلوا الناس بغير محاكمة وهل من حقهم أن ينصبوا أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين وقتلة ٠

أترى هذا اسلاما • أتراه حقا ؟ ! فى هذا فاكتب ؟

أترى أن تصبح جماعة تدعى أنهـا مسلمة ذعرا فى طول البـلاد وعرضها تقتل بغير حساب وتطلق الرصاص بلا سؤال منهم لمن يتقصدونه فيثيرون بذلك الخوف والهلع فى نفوس اخوانهم من البشر • أو ترى أن أن الاسـلام يبيح لهم أن يكونوا قتلة مجرمين وسفاحين بلا ضـمير • أو ترى من حقهم أن يرفعوا راية الاسلام الحق • الشريف • الأسمى • السلام على اجرامهم ورصاصهم وجرائمهم •

فى هذا فأكتب يا مولاى •

وفى هذا فليكتب كل شيخ يرعى الله ودينه القيم وشرعه الحنيف • أترضى الفتنة يا مولانا تضطرب فى البلاد •

أترضى الخوف يا مولانا يتملك قلوب المسلمين وغير المسلمين •

أترضى أن يصبح الأمر فوضى •

فى هذا فليكتب اليوم كل عالم من علماء الاسلام •

فى هذا يا مولانا فأكتب •

وفى هذا ينبغى أن يكتب كل مسلم اليوم •

من جعل هؤلاء السفاحين مسيطرين والله لم يرض لنبيه سيد البشر أن يكون مسيطرا وهو حامل رسالته وخاتم أنبيائه وعلى لسانه نزلت آخر كلمة من السماء الى الأرض •

واذا لم يكتب فى هذا •• وفى هذا وحده •• فليصمت فانه خير له وللاسلام ألف مرة أن يصمت من أن يميل عن الجد الى الهزل •• وعن خطير الأمر الى هينه وتافهه •

ان الفتنة تطل على البلاد من وراء ستار يدعى مثيروها أنه اسلامى • وعلم الله أنهم يفترون على الدين ما يأباه ويرفضه بل ويحاربه واذا لم يتصد لهؤلاء السفاحين علماء الاسلام •• فواضيعتا اذن لديننا عند علمائه وفقهائه والأئمة منهم المفروض فيهم أنهم المصابيح والهداة •

فى هذا فليكتبوا •• أو فليسكتوا ولا يقولوا شيئا مطلقا وحسب الاسلام وحسبنا نحن المسلمين المؤمنين الله وانه سبحانه نعم الحسب وانه نعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٧/٦/٢١ م

أين أنتم من النبي صلى الله عليـه وسـلم

الخوف من أبشع المشاعر الانسانية · فان النفس الانسانية بلطف من الله الرحمن الرحيم تستطيع أن تواجه الشدائد حين تقع · والانسان فى مواجهة البلاء له من عون الله ملجأ ومرتفق · وله من اشفاق اللطيف سبحانه مرفأ وما من وجنة · وللانسان فى هجير الحياة واحة من ايمانه وله من يقينه فى عزيف الرياح الهوج حوله حصن وسياج ·

ولكن الانسان عند الخوف مذهوب العقـل ذاهل الفكر · ضـاع رشده واختل حكمه · عصر الرعب مشاعره فاذا هو حطام وبتايا ·

فالخائف لا يدرى قدر الكارثة القادمة · ولا هو يعلم كيف ستحل به · ولا فى أى جانب من جوانب حياته ستصدعه ·

ولهذا يقول الرحمن جـل وعلا وهو الرفيـق بعبـاده الشـفوق « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » البقرة ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ·

وأنت ترى أن الله حين يختبر عباده يبلوهم بشىء من الخوف وليس بالخوف كله · وبعض الخوف هذا أشد وقعا وفتكا من الجوع وهو الجوع ، ونقص الأموال بل هو أشد فتكا من نقص الأنفس وهى الأنفس ·

فالموت يهون اذا نحن قارناه بانتظاره ·

هكذا هو الله جل وعلا ·· رحمن رحيم رؤوف شفوق عطوف حان حنانا لا تعرف البشرية له مثـلا ·· ضئيل كل الضآلة حنـان الأم على وليدها اذا نحن ذكرنا معه حنان الله · وهزيل غاية الهزال اشفاق الأب على بنيه اذا نحن تمثلنا معه اشفاق الله بعباده ·

هذا هو الله ٠

فمن اين أتت هذه الطغمة القاتلة السفاحة بقسوتها تلك ومن اين استوحت جبروتها وطغواها ٠ وكيف أذنت لنفسها أن تدعى نسبا الى روح الله وهو رحمة ٠ والى دين الله وهو حنان ٠ والى كتاب الله وهو الهدى ٠ والى أحكام الله وهى عدل وقسط وقسطاس مستقيم ٠

وكيف تفجرت هذه الجماعات بيننا ذعرا وهلعا وجبروتا ٠ تفشى الخوف وتدفع به دفعا الى أفئدة الوادعين من شعب طيب النفس كريم العنصر مؤمن جميعه بروح الله ورحمته وهداه ٠

وكيف سمحت لنفسها أن توجه التهمة فى غيبة الاتهام وتحاكم المتهم فى غيبة المتهم وفغيبة كل مدافع ٠ وتصدر الحكم فى غيبة الضمير وتنفذ الحكم فى غيبة الايمان منها وفى غيبة العدالة وفى خفاء عن رجال الأمن الذين لا يجوز أن ينفذ حكم الا بأيديهم بناء على حكم صادر من قضاء ينظر القضية مثنى وثلاث ورباع ٠

أبدين الله يدين هؤلاء ؟ لا ورب الكعبة ٠ لا وبيت الله ٠ لا وحق الكتاب المنزل بالحق ٠

أيتوهمون أنهم ماداموا قد أطلقوا لحاهم أصبح لهم حق قتلنا باسم الدين وبشرع الله ؟ ضلوا والله وفسدوا وأفسدوا وجنح بهم الطريق كل الجنوح ٠

أيتوهمون أنهم وقد لبسوا جلابيبهم مسوخا وزيفا أصبحوا قوما على المسلمين يرعون أمنهم ويقتلون بريئهم ويجتاحون شوارع مصر يصيبون من يتقصدون ومن لا يتقصدون ٠ أطفالا وعابرى السبيل ومن لا شأن لهم بالقضية الباطلة الهازلة الحزينة الدموية التى نصبوا أنفسهم زورا وبهتانا رعاة لها ومدعين وقضاة ومنفذين ؟ ٠٠٠ خاب رأيهم وضلوا وحق الله ضلالا مبينا ٠

ان الفتى من هؤلاء يقف أمام المرآة فلا يرى شيئا ٠ فراغ هو حيث وقف ٠ لا وجود له وان كان ذا وجه وجسم ويدرك الفتى أنه ليس له معنى ولا أعماق وانه يمر بالناس حين يمر فكأنه ما وجد ٠

والفتى غرير ٠ والرأس فارغ ٠ والعقل هزيل خواء لا أثر فيه لعلم ٠ ولا نصيب له من وسائل تفكير ٠

والفتى يحب أن يشعر به الناس اذا هو بدا للنـاس • والغالبية الكاثرة من الشـباب تحسـن التفكير وتعلم ان قدر الانسان انما يكون بمخبره لا بمظهره وبعلمه لا بتنكره • ولكن الفتى الغرير الجاهل فارغ الرأس هزيل التفكير يريد أن يصبح شيئا مذكورا • بلا جهد عقلى وان كان على استعداد أن يقوم بجهد جسدى شأن البهم والدواب والوحوش •

اذن ليحل لنفسه أن يقول تشبها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، خسئت أيها الفتى • وأين أنت من هذا الرحاب ؟ وأين الثرى من ثريا البشرية وكوكبها المفرد وحامل أعظم رسالة من السماء • ومن هو على خلق عظيم • ومن أدبه ربه فأحسن تأديبه ؟

خسئت أيها الفتى • وجل النبى عن هذا وصلى الله عليه وسلم • وصلى عليه المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها وسلموا تسليما • جل متسودا على البشرية أن يكون التشبه به فى لحية أو جلباب انما التشبه بقمة البشريـة وذؤابتها يكون فى الايمان سما حتى السحاب وما فوق السحاب •• فى الخلق العذب•• فى الرحمة بالناس•• فى حب الشر •• فى الايناس فى أدب السماء •• اذا مر باللغو مر كريما واذا خاطبـه الجاهلون قال سلاما •

أما اللحية يامن ترتدون اللحية نفاقا وجهلا فقد كان يلتحى بها أبو لهب الذى تبت يداه وتب • وكان لعنة الله عليه يلبس الجلبـاب أيضا ، وكان كل كفار العرب يطلقون لحاهم ويلبسون الجلابيب فقـد كانت اللحية والجلباب سمة العصر • وكان النبى صلى الله عليه وسلم بشرا رسولا • هكذا بعثه ربه وهكذا سار بين الناس • لا يختلف عنهم فى مظهر أو هيئة أو ملبس • انما المعجزة فيه أنه بشر رسول لم يحى ميتا ولم يلق بعصاه لتلقف أفكار • هو بشر يحمل المعجزة ألم يقـل عنه ربه جـل وعلا « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » أو لم يقـل سبحانه « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فان مت فهم الخالدون » أو ألم يقل تقدست أسماؤه « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » •

هكذا أراده ربه • أراده بشرا يحمل معجزة السماء • والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم هذا كل العلم ويحرص عليه كل الحرص ويقول للناس انما أنا بشر مثلكم آكل وأشرب وأمشى فى الاسواق • وكانت اللحية سمة البشر فالتحى النبى وكان الجلباب ملبس العصر فارتداه • بشرا كسائر الناس معجزته أودعها ربه صـدره وأعلنهـا للناس لسانه وفعله •

فما لكم لا تتشبهون بالنبى فى أخلاقه العظيمة وانه لعلى خلق عظيم · ولماذا لا تتأثرون بسيرته فى أمانته وتتأثرون بلحيته · ولماذا لا تأتسون به فى عدله وشرفه ورحمته وعفته وصبره وتواضعه ونزاهته وطهارته · وتأتسون به فى لحيته وجلبابه ونعله · وأين أنتم من نعله · واللحيـة والملبس والنعل عارض والخلق هو الأصل وهو الحقيقة · ألم يقل الله عنه فى سورة التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ·

فأين ·· أين أنتم من عنت اخوانكم ذوى أرحامكم وأين أعزازكم لهذا العنت ؟

وأين حرصـــكم على المؤمنين وأنتم تثيرون بينهم الرعب وتشيعون القتل وتفشون الدمار ؟ ضل سعيكم كم تفسدون ·

وأين رأفتكم ورحمتكم ؟ أهى قتـل الناس ممن تتقصـدون بغيـا وعدوانا أم أصابتكم من لا تعرفون من الأطفال والمارة قاتلين أو محطمين أو ممزقين ؟ أم تحسبون الرأفة والرحمة نعلا تنتعلون ؟ خاب رأيكم كم تضلون ·

وما أكثر اللحى الصـالحة المشرقـة بنـور الله وما أكثر اللحى الفاسدة المفسدة وما أكثر الجلابيب على جسوم ضالة وما أكثر النعال فى أقدام تسير فى طريق عاج عن الهدى وابتعد عن الايمان وشط به الفساد وكانت الرذيلة نبراسه وأمامه ومهواه ·

لو أن النبى سيد البشر صلى الله عليـه وسلم شهد التليفزيون والمذياع لكانـا وسيلتيه لاعلان الدعوة · ولو أنه شهد الطائرة لركبها لينشر الرسالة · لقد كان النبى قمة الذكاء · وكيف لا والوحى يأتيه من الخالق الأوحد الفرد الصمد ·

ولكن أين أنتـم من طريق الله ؟ وأين أنتـم من الرسـالة ؟ واين أنتم ·· أين من الرسول الكريم ؟

ما ذكرونى الا بقول ابن الرومى لأحد أغنياء عصره ممن كانوا يتنكرون باللحية عن حقيقة غبائهم :

ان تطل لحية عليـك وتعرض   فالمخالى معروفـة للحمـير
علـق اللـه فى عـذاريك   مخـلاة ولكنها بغـير شـعير

وان كنت ـ أستغفر الله ـ ان تمثلت بالبيتين فشتمت الحمير . والحمير لا تقتل ولا تخيف الأمن ولا تشيع الفساد ولا تحطم الطمأنينة ولا تفشى الرعب بين الناس .

فمعذرة للحمير حيث لامعذرة لكم ولاسلام عليكم ولا رحمة وانتظرو أمر الله فانه سبحانه بالظالمين محيط .

الأهرام ١٩٨٧/٦/٢٨

انهـــا لـــكبيرة

ومن عجب أن اقرأ لأساتذة أجلهم واقدرهم ٠٠ ان بعض الناس يخافون على الاسلام ! ويحهم هؤلاء الخائفون الا يعقلون ٠ ماذا يظنون بالاسلام ؟! انه أعظم أديان العالم ٠ انه المعجزة الوحيدة من معجزات الأديان كلها التى بقيت خالدة على الزمان انه الدين الذى ارتضاه الله للبشرية جميعا وفق كلمات كريمات يعلن الله فيها ان المشركين الكافرين قد يئسوا من ديننا فلا خشية منهم ولا خوف ٠٠ اقرأ قوله تعالى فى الاية الثالثه من سورة المائدة « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ٠ ما شانهم ؟ وكيف يجوز لهم أن ينصبوا أنفسهم حراسا على الاسلام والله من فوق سبع سماء ومنذ ألف وأربعمائة سنة يعلن المسلمين جميعا من أبناء عصر التنزيل الى يوم القيامة أن الكافرين قد يئسوا من ديننا ٠ وان سعيهم فى محاربته قد خاب وأكدى وفشل ٠ وان على المؤمنين أن ينبذوا أمرهم نبذ النواة فلا تنشغل أفئدتهم الا بخشية الله ٠

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ٠ وبأى منطق أو عقل قواعده ورفع بناءه ، وأعلى صوته يجوب الأفاق والسنوات والتاريخ يخشون ، والله هو الحفيظ للاسلام ٠ وهو الذى ثبت دعائمه وأرسى قواعده منذ ألف وأربعمائة عام فى أسماع التاريخ والزمن والأجيال والأحقاب والناس يصدع مناوئيه ويمحق محاربيه ويبقى بأمر كن من خالق الأكوان وتعلو الكلمات القدسية الالهية على الأيام والأحداث والمرجفين الكفار الملحدين فاذا هى تذهب بريحهم وتدمر تدبيرهم وتمحق كيدهم وتبيد ما يمكرون وتدحض حجتهم وتنقض غزلهم انكاثا وتفرى كبودهم كمدا وغيظا وهوانا ٠ ولم لا والله من فوق سدرة المنتهى ومن عرشه ورفيع سماواته يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٠

كانت عندما حملها النبى صلى الله عليه وسلم كلمة ربانية ووعدا للمسلمين ووعيدا للكافرين ٠ وهى اليوم حقيقة اكتملت٠ ووعد تم انجازه ووعيد حاق بالكافرين واحاط بهم فما لهم عليه من سبيل ٠

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟ وما قيمتهم عند الاسلام وماذا شأنهم بدين أئمة الله وأمر المؤمنين الا يخشوا عليه بعد يوم مر عليه ألف وأربعمائة عام · وما هم ؟ الا ما أهون حرصهم وما أجدرنا ان نسخر منه · أيخشون هم على دين نزل الله ذكر وتعهد هو بحفظه حتى تقوم الساعة · وقد فعل وهو من بعد فاعل بما كتبه على نفسه عز وعلا · ان القرآن معجزة السماء الباقية والتي ستبقى ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟

ان الانسان لا يخاف الا من قادم الأيام وقابل الأحداث · أما الماضى فقد وقع · وقد نشقى به ولكننا ابدا لا نخشاه ولن نخافه فانه لا يستقيم فى العقول أن يخشى الانسان مما حدث فعلا الا اذا كانت آثار الماضى لم تتم فصولا وكان لها خفايا المستقبل أثار وعقابيل فأين هم اذن من الاسلام ·

ان الاسلام واقع تم وحاضر شاهق عميق عريق الأصول ثابت الرواسى رفيع الهامات رأسه فى السماء ·

هكذا كان ، هو الآن ، وهكذا هو فى المستقبل بأمر من الله تم نفاذه على مدى أربعة عشر قرنا ويتم نفاذه الى يوم يبعثون · ويوم يخالجنا فى ذلك خلجة من شك نصبح أبعد ما نكون عن الايمان بالله الواحد القهار الحق الصادق فهو دائما والى الأبد منجز وعده · واذا كان المسلمون فى عهد النبوة قد آمنوا به سبحانه منجزا للوعد بوحى من ايمانهم وحده ، فننا نحن أبناء هذه الأيام التى تتسم القرن الخامس عشر من أيام الاسلام نؤمن بقوله سبحانه لأننا مؤمنون أولا ثم لاننا شهدنا الوعد منجزا قد أصبح حقيقة ثابتة رأيناها وعاصرها التاريخ على مدى ألف وأربعمائة عام وما زلنا نحن نعاصر الذكر الذى نزله الله والذى أعلن سبحانه ووعد انه له حافظ · فقد حفظه فعلا ··· وها نحن أولاء نقرأ الذكر فى صباح ومساء وظهيرة وأصيل وعند غروب ويقرأه معنا أبناء كوكب الأرض فى كل الأفاق· بل ان صاعدا الى القمر يسمع الأذان هناك فوق القمر ويعلن· سيظل الاسلام ثابتا على الأيام شامخا عاليا رفيعا حصينا يكلؤه ويرعاه ويحفظه ويحميه الخالق · وكفى به حافظا ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ؟!

ما أشبههم بشخص متخلف العقل غائب الفهم يذهب الى حصن تحميه القنابل الذرية والطائرات الحربية والمدافع الثقيلة والقادة الحربيون

السداد ويقف هو ومعه خنجر من صفيح صدىء ويصيح : أنا أحمى هذا الحصن ·

وأعجب ما أعجب له أنهم يدعون أنهم يخافون على الاسلام من الغزو الحضارى · خسئتم ما أنتم وما تدعون ·

ان الاسلام هو قمة الحضارة وهو الذؤابة العليا من الادراك الرشيد السليم · وما كل هذا التقدم الحضارى الا أسرار الكون العليا هى عند الله ، يتيح كوامن خوافيها للبشر حينا بعد حين ·

ان العلماء فى أنحاء العالم أجمع لا يخلقون قوة وانما يكشفونها فقط ثم هم لا يعرفون سرها ولا يدرون من الذى أودع فيها خواصها الا أن يقولوا هو الله جل وعلا وتباركت آلاؤه · ويصيح بهم القرآن والمسلمون : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » ·

ان الغاز الذى اخترق به الانسان طبقات الجو العليا وبلغ به القمر من صنع الله وليس من صنع البشر · وصل الانسان الى سره وركب مكونات من عناصر هى من خلق الله وليست ـ وما كان لها أن تكون ـ من صنع البشر · فما الحضارة فى أسمى مراقيها وأعلى مراتبها الا قوة كونية ، الله هو خالقها كما خلق كل شىء وهو وحده من أذن للانسان أن يصل الى أسرارها وخوافيها بأمر كن منه وحين أراد هو ولحكمة لا يعلمها الا هو ·

وان الذى أودع الروح فى الانسان وجعله سيد مخلوقاته هو وحده الذى خلق كل عناصر الحياة · من غاز الى نبات الى حيوان الى دواب وما الانسان العالم الا أداة شاء الله فى كرسيه الأسنى أن يتيح له سرا من أسراره · وخافية من وسيع علمه وقبسة ضئيلة من أنواره العلوية كانت مستترة عن العلم فأعلنها · وكانت فى مطوى علمه وأذان لها أن يعرفها الناس ·

فمن هؤلاء الذين يخشون على الاسلام ·

انهم قوم سمحوا للملحدين أن يفرضوا أنفسهم على صحفنا ويتكلموا مقارنين بين العلم والدين وكأنما العلم أصبح مستقلا على الدين · أو كأنما العلم كافر والعلماء ملحدون ·

ان هذه الحجج الواهية التى يصطنعها الشيوخ الأجلاء لا تصلح أن تستر ما ينبغى أن يتصدوا له من هذا العبث المجرم السفاح الذى يلهو به فتية لم يؤمنوا بربهم وانما آمنوا كل الايمان بدنياهم وبالأموال التى تنهمر عليهم انهمارا من أعداء مصر وأعداء الانسانية وأعداء الدين قبل كل شيء ·

ان المشايخ الذين يدعون أنهم يخافون على الاسلام انما يخافون على أرواحهم والله على ما أقول شهيد ·

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية مخابيل يطلقون الرصاص الأحمق على من يريدون ومن لا يريدون ·

أين أيها المشايخ الاسلام من فتية يريدون أن يروعوا الأمن والطمأنينة فى الحياة وان يقضوا مضاجع السكينة والاستقرار فى مصر·
أين أيها المشايخ الأجلاء الاسلام من عابثين كفرة يرفعون شعائر الاسلام لافتة كاذبة ويقتلون كل ما هو كريم شريف فى حياتنا من أمان ·

أين الاسلام من القتل والله يحكم أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ·

أين الاسلام من الذين يثيرون الفتن والله يحكم أن الفتنة أشد من القتل ·

وأين الاسلام من قوم مالوا عن طريق الله الى طريق الرشوة والضلالة · وعملوا على حرق الوطن بأموال أعدائه ورصاص الحاقدين عليه ·

لا ، ما على الاسلام خفتم ولكن على حياتكم والا فأين أنتم ؟

أين فتاواكم وأنتم تنثرون الفتاوى كل يوم فى ضامر الأمور وهزيلها وفى أحقر ما يمر بحياتنا اليومية · وأشهد الله ان كثيرا منكم يعتسف الفتوى اعتسافا ويختلقها اختلاقا ·

فما لكم لا تفتون فى الذين يقتلون الناس ظلما وعدوانا وبهتانا وزورا وافكا وضلالة ·

أين فتـاوى مصـباح الألف عام ازهرنـا الشريف • أين رجالـه الأكرمون • اين علمهم الوضاح : أين فتواهم فيما تحاول هذه الفئة الضالة أن تصنع بمصر •

وبعد هؤلاء •

أين الحزب الوطنى ؟

اتراه يحسب أن دعايتـه للرئيس محمد حسنى مبـارك هى التى ستجعله يفوز فى الانتخابات • لا وحق الاله الأعظم •

انما الصلة بين مبارك والشعب صلة مبـاشرة لا يد للحزب فيها ولا فضل • بل اننى أعتقد اعتقاد يقين أنه سينجح رغم دعاية الحزب له •

ان الشعب المصرى لم يحب زعيما واستمر على حبه له فى الزمن الأخير قدر حبه لذلك الرجل • والشعب لا يعرف عنه الا كل ما يزين الرجال ويرفع قدرهم • الشرف عند الوعد ، والتعفف كل التعفف عند أى مغنم • يمر باللغو فلا يمر الا كريما وان خاطبه الجاهلون قال سلاما •

وقد أعطى الشعب حبـا ، والشعب من طبائعه الوفـاء • فكيف لا يكافئه حبا بحب • واعزازا باعزاز واكراما باكرام •

بأمر من الله الذى يطيعه حسنى مبارك ولا يخرج فى أى فعل له عن طاهر ساحته سينجح حسنى مبارك •

على الرغم من دعاية الحزب •

فما للحزب لا ينصرف الى صنع مبادىء يلتف حولها الشباب حتى لا يجتذب الأبرياء منهم كل ضليل محتال افاك لص من شيوعى ملحد أو من ارهابى يدعى الاسلام •

أيها المشايخ فى هذا فاكتبوا أو فاقبلوا منا أن تثور حولكم بنفوسنا ما يثور من صفات نجلكم أن نذكرها ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نقمعها فى نفوسـنا •

وأيها الحزب الوطنى • بهذا فانشغل أو انك لا شـغل لك فانه لا أحد يجهل أن الحزب يعتمد فى كيانه ووجوده وانتخاب الناس له على حسنى مبارك •

فاذا كان الناس ينتخبون الحزب من أجل مبارك فكيف يسوغ فى العقول أن ينتخب الناس مبارك من أجل الحزب ؟ انما الحزب أما أن يكون صاحب مبدأ واضح أو هو بلا وجود الا كيانا مؤقتا لا يدوم والله يوفقكم ويرعى خطاكم اذا أنتم على الطريق وضعتم خطاكم ·

الأهرام ١٩٨٧/٧/٥

زمـــان وزمـــان

الى غير رجعة يا زمن الاجماع المزيف · والى غير عودة يا عهد الهمس والصراخ · ان انتخاب الرئيس اليوم من القلوب لا من الحناجر ، ومن الاقتناع لا من الرعب · ومن الاختيار الحر لا من الأمر الذى يعلم مخالفه أنه مسلق الى الموت وقد أصبح الموت له أملا ، أو الى السجن والتعذيب والاعتداء على كل المقدسات · زمان قال فيه الشاعر :

جلسوا صارما وتلوا باطلا　　وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وقال فيه شاعر آخر :

على الذم بتنا مجمعين وحالنا　　من الرعب حال المجمعين على الحمد

وقال فيه المتنبى :

كفى بك داء ترى الموت شافيا　　وحسب الأمانى أن يكن أمانيا

زمان كان فيه الموت سعادة وهناء · زمان اعتدى على أعراض الرجال والنساء فى خسة لم تعرف لها الانسانية ولا الوحشية مثيلا · زمان دمر كل معنى للقيم وحطم كل رمز للطهارة ومحق كل نبضة حب تصل بين الابن وأبيه أو الزوج وزوجه أو الأخ وأخيه · زمان تجرد من النور وانفصل عن مسار الأيام ليصبح وحده قطعة من حياتنا مجردة من كل تعاطف أو مودة · كل لحظاته قهر وحطم وجبروت زمان غاب عنه وجه الايمان ليطالع الناس فيه وجه ملعون مكشر عن أنياب شيطانية بشعة · الخوف قوامه ، والرعب أساسه ، والتمزيق للجسم والروح دبدنه وسبيله · زمان تحكم فيه غول من الجان له أعوان من القردة وبنى النسناس يتقافزون ، اذا ضحك ويتوارون هلعا ان احمرت عيناه ·

زمان بلا رأى · ألغى فيه صاحبه العقل أن يفكر الا فى خدمته والكلمة أن تقال الا لنفاقه · والصوت أن يصوت الا بحمده · والشفاه أن تنبس الا بما يشتهى ·

زمان السيد الواحد والعبيد الراكعين الساجدين له لا لوجه الله أو الوطن ·

زمان أبى للحياة أن تحيا أو للانسان أن يأنس أو للسكينة ان تلم ببيوت الناس · أو للرحمة أن ينبض بها قلب بشر ·

زمان أخرس جبار · زمان صم · ليس فيه الا صوت واحد جهير مخيف يثير الفزع عى أنحاء مصر من أسوانها الى ثغرها · فاذا الهواء نار وجليد واذا النسيم فى أعصاف الوادى رياح ذات شرة وعزيف فهى أعصار ذو لفحات هوج طائشة تدمر حيث تهب فلا تبقى ولا تذر ·

زمان اعتصر أبناء مصر فاذا هم آلات · واذا كل بيت له نائب يمثله فى السجن أو المعتقل تنصب عليه ألوان العذاب فنونا مبتكرات · يعتدى فيها على عرضه فيحطم كل معنى موجود فى كيانه ، أو على جسمه فيدمر وعاء الروح فيه ، أو على روحه فاذا الموت عنده أمل ورجاء ·

ويبقى من هذا الزمان ذكرى · هى أصوات نكيرة تذكر به ونحن نريد أن ننسى · وتعبه ظلاله الدنسة الى أذهان من عاصروه فتتعالى اللعنات على الزمان وذاكريه · وتنصب على من يرفعون شعاره كل ألوان المقت والسخط والكراهية ·

فالذاكرون ما ذكروه الا لأنهم من أعوانه وخدمه ومن زبانيته ومناصريه ·

وناصريه ومنتفعيه أيضا خابوا زبانية ومناصرين · وناصرين ومنتفعين ·

أيعودون الى أبواقهم اليوم والحرية تملأ الحياة حولنا ·

ها هى ذى انتخابات الرئاسة تتعالى فيها أصوات المعارضة فتثبت أن مصر فيها رأى آخر · وان المعترض فيها ــ حتى وان كان باطل ــ يستطيع أن يجاهر برأيه · فى أمن هو غير خائف ولا هو مذعور ·

وينتهز بعض كتاب المعارضة هذه الفرصة ليركبوا خيولا من الوهم ويشهروا سيوفا من الورق ويصرخوا بكل الأكاذيب ولا يمسهم من الحكم ارهاب ·

أين كان هؤلاء وأين كانت شجاعتهم · علم الله انهم كانوا فى مواكب النفاق زمرا · وكانوا المنشدين فى مواكب الهوان أو كانوا المرتعدين فرائص وقلوبا ·

خرج الذين كانوا فى السجون يرتدون الملابس الزرق وأصبحوا قادة وزعماء وبدلا من أن يدلوا بأرائهم بريئة من الغرض بعيدة عن الهوى هاجموا فى ضراوة وحجبوا ثقتهم أالمين حين هاجموا بعيدين عما يعرفون أنه الحق حين حجبوا ·

وانتفض الذين كانوا يتعرضون للاعتداء على أعراضهم وجسومهم وأرواحهم وأصبح لهم حزب تجمعوا فيه وصحف يملأون أنهارها بالكفر والالحاد وكراهيــة الوطن وعهد الحريــة والكرامة المصونــة والعرض السليم ·

وخرج الارهابيون ممن اتخذوا الدين وسـيلتهم ليصـلوا به الى مناصب الدنيـا وانتشروا فى جنبـات مصر تقتيلا وذعرا فلقيهم الحكم بالحزم الرفيق بالمواجهة لا بالارهاب ·

أيريد المعارضون أن يعودوا الى السجون والمعتقلات والاعتداء على الأعراض والأنفس والجسوم ·

فليتقوا الله فى أنفسهم إذا هم كانوا أهون من أن يتقوا الله فى دينهم وفى وطنهم وفى أبناء شعبهم وليتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا وحدهم · فانهم هم سيكونون أول الأعواد التى تلقى الى حريق هذه الفتنة اذا هم أضرموها ··· ما لهم الا يعقلون ؟

انهم جميعا ونحن معهم كادحون الى ربنا كدحا فملاقونه · ويل يومئذ كل الويل لمن لا يؤتى كتابه بيمينه هاؤم اقرءوا كتابيه · أنى ظننت أنى ملاق حسابيه ·

الأهرام ١٩٨٧/٧/١٢

انه جد لا هزل فيه

لقد أذن الله لمصر ان يتولى أمرها رئيس يتحلى بأكرم ما يتحلى به الرجال • شريف هو صادق الوعد امين لا يقطع على نفسه عهدا الا اذا كان واثقا انه قادر على انفاذه • ليس فى سجاياه كبر ولا هو عاتية او غليظ القلب وانما سلس المأخذ هو قريب المورد ، يحرص على دينه كل الحرص فى غير حرص على دنياه • بعيد كل البعد على المظهر الكاذب ، والزينة الفارغة ، فى ملبس أو مسكن أو مركب • يعلم كل العلم ان المنصب الذى يتولاه عبء فادح وليس تشريفا ولا جاها ولا مظهرا • أطيب الناس هو نفسا لا شرة له ولا قسوة فيه • لا ينتقم ولا تمر فكرة الانتقام بذهنه • ترك الأطفال من هواة ألعاب البطولة السركية يقحمون اسمه فى المقالات فما تنازل يوما أن يتخذ منهم موقفا مثل الذى يتخذه كل العاملين فى الحياة العامة من رفع الدعوى أمام القضاء لقمع الكاذبين والمدعين بغير حق والذين يرمون الشرفاء عن كيد أثم ومكر سيىء بلا تدبر أو رعاية لأمانة الكلمة أو اقدار الكرام •

تفتح اذاعات ليبيا وسوريا عليه كل منافذها مطلقة كلابها النابحة الجرباء فما يفكر رئيسنا أن يواجهوا بمثل ما يرتكبون • فهو رجل ديدنه فى الحياة انه اذا مر باللغو كريما يمر واذا خاطبه الجاهلون قال سلاما •

ومحمد حسنى مبارك لا يقيم بينه وبين الشعب أعوانا ولا أنصارا وانما يذهب هو الى الشعب وكم كان يتمنى أن يأتى الشعب كله اليه • وما دام ذلك غير متاح فهو هو الذى يذهب الى التجمعات الشعبية ويسأل الأفراد عن أحوالهم ما استطاع الى ذلك من سبيل ثم هو يزور البيوت بلا تفرقة ويتحرى أن تكون زيارته للفلاح الضارب بفأسه فى الأرض أو للصانع الذى يعمل بيده على الآلة ليشعر كل فلاح وعامل فى مصر انه جدير بزيارة رئيس جمهورية مصر •

ورئيسنا ذو أناة فى القرار لا يتخذه الا اذا قلبه على كل جانب له بعيدا فى تفكيره عن كل غرض شخصى أو غاية ذاتية وانما يسأل الخبراء

ويتبين رأيهم ويجرى بينهم النقـــاش حتى تلتقى الحجة بالحجة والرأى بالرأى ٠

والرئيس محمد حسنى مبارك أبعد ما يكون عن اتخاذ أفراد من الناس يجعلهم مقربين اليه ليتاجروا بأسمه أو يتخذوا من صـــلتهم به وسيلة لجاه لا يستحقه صاحبه أو مال يستلبه عن غير طريقه الشرعى ٠

أصدقاؤه الخلص الذين وصلته بهم حياته الخاصة لا يسمح لأحد منهم أن يتحدث عن شخص مسئول بحديث مرسل أو باشارة فيه انتقاص أو مديـــح ٠ فالرئيس محمد حسنى مبـــارك يعرف خطورة المكان الذى يشغله ولا يسمح لأصدقائه أن يجعلوا من صداقتهم به وسيلة لرفع من لا يستحق أو لقدح فيمن لا يستوجب أمره انتقاضا ٠

وهكذا فنحن أبناء الشعب لا نعرف أسماء هؤلاء الأصـــدقاء لأن صداقتهم به بعيدة كل البعد عن الحياة العامة فى مصر سياسية كانت هذه الحياة أو اقتصادية ٠

والرئيس محمد حسنى مبارك لا تجوز عنده الأقـــاويل ولا يأخذ بالظن ولا يصدق بغير دليل ٠

وهو يدرى المنـــافقين حين ينافقون ولا تختلج نفسه بمديحهم فهو يعرف ماذا يقف وراء مديحهم والانسان الشريف لا يطرب لمديح ينطلق عن تزلف أو يندفع الى منفعة شخصية يتغاياها المادح المنافق ٠

لم يسمع أحـــد عن محمد حسنى مبـــارك الا ما يشرفـــه ويزينـــه وما سمعنا عن أسرته جميعا ــ رعاها الله ــ الا ما يشرف الأسر الكريمة ٠

السيدة الفاضلة زوجته تهتم بما لا خلاف حوله من الحياة الاجتماعية وأمور الطفـــل وثقـــافة المجتمع مما تتفق حوله كل الآراء مهما تتبـــاين المعتقدات السياسية أو الدينية والفكرية ٠

وابناه ــ أكرمه الله فيهما ــ موفقـــان كل التوفيق فى حيـــاتهما تخرجا متقدمين ويمارسان حياتهما بعيدا كل البعد عن الحكومة حريصين كل الحرص أن يخرسا أى لســـان يحاول أن يمس سمعة واحـــد منهما مقدرين كل التقدير المكانة التى فرضت عليهما فرضا لا يد لهما فيه فهما يتحملان قدرهما فى الدائرة الضيقة كل الضيق التى يتيحها لهما منصب

والدهما راضيين بأن يحرما من كل ما يتمتع به اخوانهما فى مصر وفى أنحاء العالم أجمع من حرية وانطلاق ·

وبعد فالله يعلم أننى مهما أمدح هذا الرجل فأنا مقصر فى شأنه لم أبلغ ما يستحقه هو وما تستحقه أسرته من تقدير واجلال ·

وبعد فالله يعلم اننى سألاقى من هذا الذى أقول عنتا أى عنت وسيدعون اننى منافق واننى أتمدح بالرئيس زورا وبهتانا ولكن هؤلاء سيعجزهم أن يجدوا سببا لنفاقى فهم يعلمون اننى أولا وقبل كل شىء كاتب والكاتب لا يحتاج لمخلوق فى جميع حياته فأنا لا أستعين الا بالله وحده فى علياء سمائه تقدست أسماؤه · عبد أنا فى رحابه · وليس لى فى غير رحابه مأرب أو مطمع ·

وانه لجبن غاية الجبن أن نحبس الحق من المديح خوفا أن يقال عنا منافقون · كما هو جبن غاية أن نحبس نقدا نعرف انه الحق خوفا من طاغية أو ظالم والذين تتبعوا حياتى يعلمون أننى — والحمد لله — لم أكن يوما جبانا ومن لم يكن جبانا هيهات هيهات أن يكون منافقا ·

وبعد مرة ثالثة ففيم هذا الحديث عن الرئيس ؟ الحق اننى انما وجهه الى الحزب الوطنى أرجوه بكل ما أملك من صدق أن يقف بين الشعب والرئيس فالشعب لا يحب الزحوف المصطنعة ولا التأييد المدبر ولا المبايعات المفتعلة ولا اللافتات الرخيصة ·

ان محمد حسنى مبارك عظيم · وكريم المكانة ومكين عند الشعب والشعب يكره كل الكراهية الصخب والضجيج الذى لا داعى له · فهذا اللون من التأييد الذى ابتدعه حزب الوفد قبل الثورة وتبناه الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى وهيئة التحرير ومالا أدرى من أسماء لا تدل على شىء ·· هذا اللون الغوغائى الرخيص أنزه تأييد حسنى مبارك أن يتسم به ·

ان حب محمد حسنى مبارك مكين عميق الجذور فى نفوس أفراد الشعب وهذا الصخب الذى نراه يظهرنا وكأننا نحن محبيه نخاف ألا يختاره الشعب ·

ولماذا لا يختاره الشعب وهو لم يكن يوما الا حبا وما كان فى يوم من الأيام قهرا أو عنفوانا أو ظلما وجبروتا ·

واستحلف الأخ العزيز صفوت الشريف أن يمنع أى محاولة لتأليف أغنيات عن حسنى مبارك • فإن القلوب حين تغنى بحب رئيس دولة تكره أن تفرض عليها أغنيات من الحناجر • لأن الأغانى التى تؤلف وتلحن عن الرؤساء لا تكون الا فى دول ديكتاتورية الحكم فيها مطلق وليس فيها الحرية التى ننعم بها فى مصر •

لقد صان الرئيس محمد حسنى مبارك الأمانة وحملها فى جدية لا هزل فيها ولا لهو ولا عبث •

فيا حزبى الوطنى كن جادا مثل رئيسنا وابتعد — بحق الله والوطن — عن الهزل واللهو والعبث • حتى يدرك الشعب انك تقف على نفس الأرض التى يقف عليها رئيسنا أعانه الله وأيد خطاه وسدد يمناه •

الأهرام ١٩٨٧/٧/١٩

والــد ومــا ولــد

يطل هو اليوم يدبج المقالات النارية يحاول بها أن يخادع الناس عن حقيقته وماله لا ينتقد ويبالغ فى النقد وماله لا يؤجج الحماسة فى نفسه فيتجاوز النقد والرأى الى الهجوم والسباب · لعل الناس أن يقولوا عنه صنديد فارس ، وجرىء · مقدام ، والناس تعلم كما يعلم هو ان شرا لن يمسه مهما يبالغ فى الهجوم ومهما يتجاوز حد النقد الى منطقة التنابز بالألقاب واصطناع الكلمات الفخام والالفاظ الضخام وما شاء له هواه من صيال وتجوال عبدا فى ثوب عنترى ضئيلا فى ثوب الكبار ·

والصورة التى أقدمها اليوم صورة مزدوجة ليست له وحده وانما له ولأبيه على السواء وقديما قال الناس كل اناء بالذى فيه ينضح وقديما قيل أيضا الأصل غلاب كما قيل لا تلد الحية الا حيية· وشدد الياء الثانية حتى تتضح الصورة وتبين ·

كان أبوه يعيش فى مدينة من مدن مصر وكان يستأجر بيتــا من صاحبه ولم يكن أبوه فقيرا أو معوزا أو متكففا للرزق · وانما كان موظفا فى زمان كان يقال فيه ان فاتك الميرى تمرغ فى ترابه فالحياة بالنسبة اليه فى ذلك الحين لم تكن عنتا ولا محلا ولا يابسة ·

وانما كان هو كما سأروى لك ·

ظل الشهور الطوال لا يدفع أجرة البيت وكانت فى ذلك الزمان قروشا أقل من أن تعد · ولما ضيق عليه صــاحب البيت الخناق فعــل عجبــا ·

كان الانجليز يومذاك يحتلون الوطن المصرى وكانوا يفرضون عليه نظاما ظالما قاهرا · وأى محتل عدل ! ·

كان النظام يسمى الحماية وبمقتضاه لا ترفــع الدعوى من مصرى على انجليزى أو اى أجنبى الا أمام محكمة خاصــة كانت تسمى المحاكم المختلطة وكان قضاتها معروفين بالظلم والحيف والميــل كل الميــل الى

الأجنبى والميل كل الميل على المصرى • وكانت الاجراءات أمام هذه المحاكم تجعل المصرى يأنف يائسا أن يتقدم اليها بظلامة • وكانت الاحكام فى مجملها تزيده يأسا أن يفكر فى رفع الدعوى أمامها •

وهكذا تفتق ذهن والد البطل الذى اروى لك قصته عن أمر عجيب فلقد كان يستأجر بيتا بأكمله لا شقة وهكذا ترى انه لم يكن فقيرا من المال وسترى من فورك انه كان الى الخلق والى الوطنية افقر خلق الله أجمعين •

جاء صاحب البيت الى بيت والد البطل ليطالبه بالأجرة فرأى عجبا ••• رأى الوالد الحقير يرفع على قمة البيت علما من أعلام الدول الأوروبية التى يتمتع رعاياها بالحماية فى مصر •

وادعى المصرى المسلم ابن الأرض المصرية والفلاح المصرى انه من رعايا هذه الدولة ومن ثم لا يجوز رفع الدعوى عليه الا أمام المحاكم المختلطة • وهيهات لحق أن تحكم به المحكمة المختلطة لمصرى على أجنبى •

باع المصرى وطنه ومصريته من أجل قروش زهيدة ليأكل حق صاحب البيت ما أهون الوالد وأحقره ! وما أرخص ما باع مصره ومصريته •

ولم يجد صاحب البيت مناصا من أن يرجو المستأجر الوضيع أن يترك البيت ولا يدفع شيئا •

وكانت البيوت فى ذلك الحين تبحث عن مستأجريها وكانت البيوت خالية فى كل مكان وقد ظلت كذلك حتى أراد عهد جائر جاهل أن ينافق المستأجرين فتدخل بينهم وبين الملاك فتوقف البناء فى مصر وطمت الأزمة التى تنشب أظافرها الحادة اليوم فى شبابنا وفى أمالهم ومستقبلهم •

لا عليك ولا علينا • انتقل والد البطل الى بيت آخر وأقام فيه ما حلا له أن يقيم رافضا أن يدفع أجرا وكان المالك قد فطن الى ما صنعه آنفا فأصر أن يكتب والد البطل فى العقد أنه مصرى الأصل والجنسية ولم يجد بدا من الاذعان فكتب وأصبح ممتنعا عليه أن يرفع علم دولة من أعلام الحماية •

ولكنه حين ألح عليه المالك أن يدفع أجر البيت عمد الى بعض أثاث قديم من بيته كان يعده للحريق فألقى عليه كميات ضخمة من الماء وأعلن المالك انه أجر له بيتا متهالك السقف وان الأمطار انهمرت على أثاث بيته

فأفسدته وهدد المالك انه سيرفع عليه دعوى تعويض عن الأثاث قيمتها أضعاف الايجار فخاف المالك المسكين وظل والد البطل النصاب يقيم فى البيت دون مقابل ٠

وهكذا كان الأب فى أيام الاحتلال فماذا صنع الابن فى أيام القهر والعدوان وفى زمان الطغيان المصرى لا الأجنبى ٠

كان محاسبا لشركة كبرى وضعت تحت الحراسة وقصد اليه أصحاب الشركة أن يقدم حساباتهم لتثبت حقوقهم الشخصية التى لا تخضع للحراسة الظالمة المفروضة فاذا هو ينكل عن هذا ويعدم الوثائق ويهرب من أن يذكر اسمه وتتكرر منه مواقف الجبن الراعد والضمير الغائب ٠ حتى يجىء عهد الحرية فاذ هو يشرع القلم ويستل السيف الورقى ويهاجم فى سفالة ونذالة وصغار ٠ وما العجب فانه فتى نشأ على ما كان عوده أبوه لقد باع الأب وطنيته من أجل قروش وباع الابن ضميره ومازال يبيعه بالمال حينا وبادعاء البطولة دائما وبدلا من أن يمتدح الحرية ويطالبها بما يرنو اليه وطن انهارت الأركان فيه وجفت موارده بصب الرعديد ابن الخائن جام غضبه على الحرية وعلى النظام الذى أتاح لها ما لم يكن متاحا ألم أقل لك ان الحية لا تلد الا حيية أو لم أطلب اليك أن تشدد الياء الثانية حتى تتضح الكلمة وتبين معالمها ٠

الأهرام ١٩٨٧/٧/٢٦

هيهـات لمـوت أن ينـاله

لا أعرف أحدا بذاته أعزيه فى وفاة توفيق الحكيم وانما أعزى فيه الأدب العربى جميعه قديمه وحديثه وأعزى فيه الانسانية فى شتى معانيها ومختلف صورهـا ٠

ثم بعد من أى جوانب توفيق الحكيم يبدأ الحديث ٠ ان الأمر يستغلق على الكاتب اذا اتسع الموضوع فاذا هو محيط لا يدرى الكاتب من أى شاطىء له يبحر والى أى شاطىء له يرسو ٠

ان توفيق الحكيم ملأ العالم جميعه بأدبه وفنه السامى الرفيع حتى أصبح علامة مشرقـة على الأدب العربى فى شتى أنحاء العـالم لا يضىء بجانبه الا قلة من الأنداد أمثال شوقى وهيكل وطه حسين والعقاد ٠

وقد كان توفيق الحكيم فنانا مبدعا عميق الفكر يقدم اليك أعظم الآراء الفلسفية فى مسرحية يقرءوها القارىء الساذج فيراها قريبة منه ميسورة وكلما ازدادت ثقافة القارىء زاد اعجابه بتوفيق الحكيم ٠

فقد كان موسوعى الدراسة قرأ فى كل الآداب وفى كل الفنون ودرس جميع الفلسفات ، وألم المام العالم الخبير ، وقدمها فى روعة المسرحى الفنان القدير المتمكن عميق الجذور مشرقة اللفظة فى حوار لم تعرف له العربية مثالا من قبله ٠

عرفنا توفيق الحكيم نحن أبناء جيلنا فى نفس اللحظة التى عرفنا فيها أن هنـاك شيئا اسمه الأدب وعشقناه يوم عشقنا القراءة وأمسك بيدنا جميعا فى حنان الأباء ليصل بنا الى الأدب الكبير دون أن تنقطع منا الأنفاس أو يشق علينا الطريق ٠

كنت اذا أمسكت كتابا لتوفيق الحكيم لا أغلقه أو أنتهى منه حتى اذا اضـطرتنى الحياة أن أغير ملابسى لخروج كنت أضـع كتاب توفيق الحكيم بحيث أستطيع مواصلة قراءته ثم أنا أصحب الكتاب حيث أذهب

حتى أفرغ منه . ولا أذكر أنني قرأت كتابا له مرة واحدة فقد تعلمنا القراءة وكتب توفيق الحكيم فى المكتبة لا تزيد على أربعة كتب أو خمسة أو ربما أقل وكنا نظل نرنو الى أبواب المكتبة فى انتظار الوافد الجديد من ابداعه الفكرى الشامخ وقرأنا مسرح المجتمع والمسرح المنوع وهما ينشران أجزاء منجمة فى الصحف . ثم قرأنا المجموعتين الكبيرتين مرات ومرات وهما كتابان ضخمان .

أما توفيق الحكيم الانسان بالنسبة لى فان لى به صلة تمتد على مدى سبعة وثلاثين عاما كنت قبلها أعرفه ولا يعرفنى ، وانما كان يعرف أبى وقد تعرف به يوم تولى أبى وزارة الشئون الاجتماعية وكان أستاذنا توفيق الحكيم مديرا لمصلحة الفنون بالوزارة وكان ابى شديد الاعجاب بتوفيق الحكيم وكانت ثقافته الفرنسية تتيح له أن يصل الى أعمق أغوار توفيق الحكيم .

وقد دعاه مع الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى لتناول الغداء ببيتنا بالعباسية وكنت فى ذلك الحين قد بدأت أنشر مقالاتى بمجلتى الثقافة والرسالة ولكننى مع ذلك خجلت أن أرحب بالكاتبين الكبيرين مرتئيا أننى لا يجوز لى بعد أن يعرفنى واحد منهما . ولم يكن هذا الخجل يتولانى وأنا أرحب بالوزراء أو رؤساء الوزارات أو الأمراء اذا هم جاءوا الى بيتنا . لقد كان مكان الأديبين الكبيرين فى نفسى أكبر من كل هؤلاء الذين ذكرت . واكتفيت أن أراهما وهما ينصرفان سائرين على الأقدام يعتمد كل منهما عصاه فكانت عصا الكاتب منهما أعظم عندى فخامة من أروع أنواع السيارات التى تقل الحكام والأمراء .

وكان توفيق الحكيم يجلس فى المقهى المقابل للبنك الأهلى فكنت أعبر الشارع وأقف عند البنك الأهلى وأكتفى بالنظر الى الكاتب الأسطورة وهو جالس بمقهاه .

وكنت أذهب فى ندوة الخميس بلجنة التأليف والترجمة والنشر وكنت أظل صامتا وتمر السنون ويأتى يوم أخرج من الندوة لأجد العملاق واقفا فى ممشى الدار الخارجى ونظره الى المبنى فى شكل يقطع بأنه ينتظر خروج شخص من الدار فحسبت انه ينتظر صديقا له فاذا هو يبدأنى بالحديث .

– هل أنت فلان .

فاقول :

– نعم .

ـ يقول : انني أستمع الى تمثيلياتك في الاذاعة وأعجب بها ويوم أعرف ان لك تمثيلية لا أخرج من البيت حتى أسمعها ٠

وهيهات أن يدرك أحد مقدار النشوة التى شعرت بها يومذاك ٠٠ وانما حسبك أن تعرف أننى اليوم وأنا فى الستين وقد نلت ما أشكر الله عليه من تكريم فى مصر وفى خارج مصر ولكننى قط لم أشعر بخفق الفرح فى قلبى الذى أحسست به فى تلك اللحظة الا مرة واحدة أخرى يوم امتدح لى عميد الأجيال طه حسين روايتى « هارب من الأيام » ثم كتب عنها مقاله بجريدة الجمهورية ٠

بدأت معرفة توفيق الحكيم بى منذ ذلك اليوم ٠ وتواصلت العلاقة ٠٠ بيننا هو منى دائما بمكان الوالد وأنا منه مكان الابن ٠

وأنا اليوم أكتب ما أكتب وأنا مريض بالاسكندرية يمنعنى المرض أن أستقبل فيه العزاء ولا أعزى فيه فأنا لا أعرف أحدا أجدر بالعزاء منى بعد ابنته أطال الله عمرها ٠

وبعد فما هذا الذى أكتبه ولمن أكتبه ٠ وماذا قلت ولمن أقول وماذا يفيد القول أو ماذا تفيد الدموع ٠ انما هى نفوسنا تموت شيئا فشيئا فلا صبر يجدى ولا جزع يفيد ولا عزاء بنافع ولا بكاء يستطيع أن يعدنا بالصبر ولا هلع يطبق أن يمدنا بعون وانما هى الحياة تحمل فى حروف لفظها الموت أيضا فكلنا نحيا يعنى اننا كلنا نموت ٠ ولكن توفيق الحكيم توارى بشخصه ولكن توفيق الحكيم خالد بفنه يصدق عليه معنى الحياة وهيهات للموت أن يناله ٠

الأهرام ١٩٨٧/٨/٢

ألـوان من الحقـــد

لحكمة لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى قضى أن يكون اعتمادى فيما أكتب على وجدانى وحده لا استنبع الكتب ولا أنقل منها ولا أترجم عنها ٠ وأذكر كلمة للعقاد العظيم يقارن بين كاتبين قال عن أحدهما انه اذا كتب فانما يحك رأسه أما الكاتب الآخر فيحك رأس الأخرين ٠ وقد أراد الله لى أن أكون من صنف الكاتب الأول فما أذكر أننى حككت رأس أحد ٠

وأنا اليوم عازف عن الكتابة فى السياسة وكثر عزوفا عن الكتابة فى الأدب وأحب أن يكون حديثى اليك عن الناس ٠ وحين أتحدث عن الناس فانما أتحدث فى السياسة والأدب جميعا ٠

ويثور بنفسى اليوم أن أتحدث عن الحقد وقاك الله شره وجنبك لفحه وأبعدك عن وقده ٠

فما أعرف داء هو أفتك بالانسان من الحقد ٠ وأذكر أننى كنت صغيرا الى درجة أننى كنت واقفـا بسيارة أبى حين هو مع صـديق له يستقلان السيارة فى سفر له وأذكر أن أبى قال لصديقه فى ذلك اليوم ٠

ـ أنا ما حقدت فى حياتى على أحد وما غضبت عمرى من حاقد على ولا تمنيت له شرا وانما أنا دائما راحم له مشفق عليه من النار التى تأكل صدره وطالما قلت لنفسى كفاه ما هو فيه من محنة حقده على الناس ٠

فالحاقد لا يرضى مهما تهب له الحياة من نعم ٠ هكذا نجد الله سبحانه وتعالى حين يعد عبده ويبشره بقوله جل علاه لنبيه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فهو تقدست ألاؤه يعلم ـ ومن غيره يعلم ـ ان النعمة ليست فى أن ينال الانسان وانما النعمة الحق فى أن يرضى بما نال ٠ تلك هى السعادة التى لا تقاربها سعادة وذاك هو الهناء الذى لا يشبهه هنـاء ٠

أما الحاقد فلا يرضى أبدا ٠ وهكذا نجد الحقد عند الأغنياء كما نجده عند الفقراء ونجده عند ذوى الجاه كما نجده عند من لا جاه له ٠

فلا المال الغامر يرد الحقد عن النفس ولا المنصب الرفيع يذوده ولا الشهرة تمنعه · فالحقد داء وبيل يتسرب الى النفوس فيقلب النعمة عندها شقاء وأسباب العز نقمة ووبالا ·

فأما ذو المال الحاقد فانه لا يرضى مهما يبلغ به الغنى · بينما قد تجد الفقير راضيا قانعا سعيدا · فقل لى بربك أيهما أهنأ حالا غنى لا يرضى فهو لا يعرف السعادة أم فقير يرى ما عنده على قلته ـ وفرة ونعيما ·

ولا حدود للمال والأرقام لا نهاية لها وصاحب المليون يحقد على صاحب المليونين وهكذا دواليك الى ما لا نهاية فما للأرقام مدى تقف عنده ولا مرفأ ترسو اليه ·

وهكذا ينقلب المال نقمة ووبالا مع أن الله جعله احدى الزينتين وقدمه سبحانه على البنين ·

ولكن الغنى الحاقد مسكين أنزل الله عليه سخطه وغضبه حين وهب له المال ولم يهب له الرضا ·

أما ذو المنصب من الحاقدين فهو شر حالا والعن مالا · فمصيبته ليست مقصورة عليه وحده وانما هى تشمل كل من يسعهم منصبه وجاهه ·

والجاه هو أيضا لا يعرف قصدا فالمدير الحاقد يريد أن يكون وزيرا والوزير الحاقد يصبوا الى رياسة لوزراء ورئيس الوزارة أو من ماثله يريد أن يكون الحاكم المطلق ·

والويل كل الويل لشعب يرأسه حاكم مطلق يملأ الحقد جوانبه ويأخذ عليه مسالك حياته · فان الحاكم حينئذ يحقد على كل فرد فى شعبه نال مالا أو نال شهرة أو نال علما أو أصاب قيمة ترفع فى الحياة ذكره · والرئيس الحاقد اذ تفرد بالحكم لا يكتفى بحكم شعبه وانما تمتد مطامعه للشعوب الأخرى يريد أن يحكمها ويتولى أمورها ويتمكن من مقدراتها · وحينئذ يصبح شعبه هو أول ما يلقى على منضدة المقامرة ·

أما صاحب الشهرة الحقود فكارثته هو أيضا عميقة الجذور بعيدة المدى · فهو لا يكتفى أن يكون مشهورا فى دولة واحدة أو عدة دول وانما هو بحقده يصر أن تتسع شهرته حتى يصبح اسمه على كل لسان

العالم وهكذا تجده أشبه ما يكون بالبهلوان فى السرك يتقافز حين ينبغى له الوقار ويقف على رأسه حين يجمل به أن يقف على قدميه فيصبح دون أن يدرى أضحوكة للقوم وهو يجاهد أن يكون عندهم ذا شهرة ومكان . والحقود صغير النفس يشقى بصغاره شر ما يكون الشقاء .

ومن عجب أن ترى الحقد فاشيا بين الأصدقاء وأبناء المجال الواحد ولكن أقبح صورة وأكثرها انحطاطا وأبعدها فحشا حين تراه بين الأقارب. وهى صورة قديمة بعيدة الغور فى أعماق الزمان يصرخ بها الشاعر العربى القديـم .

وان الذى بينى وبين بنى أبى	وبين بنى عمى لمختلف جـدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم	وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قـومى وانمـا	ديونى فى أشـياء تكسبهم حمـدا
ولا أحمل الحقـد القديـم عليهمو	فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم كم من محقود عليه يردد أبياتك تلك فيجد فيها مقنعا وشفاء

بل رعى الله ذكراك أيها الشاعر القديم فان مصر الكبرى تردد هذه الأبيات فى مواجهة بنى أبيها وبنى عمها من العرب أجمعين . وانها لتجد فيها مقنعا وشفاء .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٩

المستقردون

هذا اشتقاق لم أعرف أن أحدا قاله قبل اليوم · فالذى لا شك فيه أن اللغة العربية لم تكن محتاجة اليه ولا احتاج اليه العرب قبلا · فقد عرف العرب اناسا حاولوا أن يتشبهوا بالأسد وهم بأخلاق الفيران أوالكلاب فقال عنهم العرب استأسد الفأر أو استأسد الكلب · وعرف العرب بعضا آخر حاولوا أن يظهروا بمظهر النمور وهم بأخلاق القطط فقال عنهم العرب تنمر الهر أو القط واختر ما شئت ·

ولكن العرب لم تعرف ولا عرف أحد غيرهم على مدى تاريخ البشرية ناسا من البشر الذين رفعهم الله وجعلهم سادة المخلوقات حاولوا أن يتشبهوا بالقردة عن علم منهم بما يفعلون متقصدين هدفهم فى وعى به وادراك له ·

أنهم بعض انسان أعرفهم وأعرف أنهم على قدر من الثقافة والدراسة ولكنهم يتعجلون الشهرة ويضربون ظهور الأيام بالسياط لتصل بهم الى المنصب الرفيع · والذكر المنتشر والقدر العزيز ، وظنوا أن خير طريق لهم أن يتقافزوا على الحبال فعل القردة ويتواثبوا على أوراق الجرائد فعل النسناس ليعلو بهم الصيت ويلقى فلان من الناس فلانا ويسأله هل قرأت للقرد ما كتب اليوم أو ما صرح به فى منتدى من الناس ·

هؤلاء وجدت نفسى مضطرا أن اشتق لهم فعلا ما عرفته البشرية من قبل هو استقرد وفاعله مستقرِد وجمعه مستقردون ·

وكم يحز فى نفسى أنهم ــ كما انتهيت اليك من قبل ــ على قدر من الثقافة كان جديرا أن يصل بهم الى المكان المرموق والتقدير والاحترام · ولكنهم امتهنوا ثقافتهم وعلمهم ، وسحقوا جهدهم الذى بذلوه فى الدراسة والتحصيل ليستبقوا الشهرة وان كانت رخيصة وليذيع أسمهم وأن كان بالانحطاط يذيع · جهلوا أن الشهرة ان لم يصحبها التقدير فهى فضيحة وأن الذيوع اذ لم يحط به الاجلال والاكبار فهو انهيار الى حماة سحيقة من الخمول والضياع والفقدان ·

وهؤلاء المستقردون أهون شأنا من القردة فهم مهما يحاولوا أن يقلدوا يظلوا مقلدين لا اصلاء · فهم حين يتقافزون ويتواثبون لا يصلون فى هذا المضمار الى مدى المهارة التى خلق عليها القردة ، لأن القردة تصنع ما تصنع عن سليقة وهبها الله لها غير مكتسبة ولا هى مفتعلة ·

وحين يدق المستقردون صدورهم ليتخذوا مظهر الأبطال الصناديد يشبهون القردة ولكن تظل القردة هى الأصل ويظلون هم مستقردين لا مقلدين ولا أصلاء ·

واذا كانت حركات القردة جميعا تثير عند البشر مكامن الضحك والتسلية والسرور فان حركات المستقـردين تثير عند خلق الله الاسى والاشفاق والاحتقار لدى هذا فى كتاب يكتبون فى بعض الصحف لا عمل لهم الا الشتيمة ولا أقول النقد والسب ولا أقول الرأى والتطاول ولا أقول الحجـــة ·

ولأنهم مستقردون ولأنهم يريدون أن يسبوا فانهم يختارون لسبهم أرفع الناس مقاما وأعلاهم قدرا ومالهم لا يفعلون ماداموا واثقين أن يدا من البطش لن تمتد اليهم بل لن تمد اليهم يد بأى سوء · وأشهد الله أننى فى زمان القهر شهدتهم فئرانا مذعورة متهالكة يحاول كل منهم أن يبحث عن جحر أو مهجر يتوارى فيه · وأشهد الله أننى رأيتهم يستأسدون اذا آمنوا ويصبحون خرافا هالعة اذا طالعهم من الطاغية ناب يتوهمون انه على صلة به أو ظفر يحسبون أنه قريب من قريب له ·

أصبحوا اليوم ليوثا ضـــارية وملئوا الصفحات سبابا وسخيمة ووقاحة وسفولا ·

مستقردون هم وليسوا قردة لأن القردة حين تختار حبالها تجيد الاختيار ولا تثب بالحبل من شجرة الى شجرة أو تثق كل الوثوق ان الحبل سيصل بها الى الهدف المنشود والغاية المرجوة ·

أما المستقردون فيختارون حبالهم من خيوط رثة متهرئة تسقط فور امساكهم بها وتنهار بهم أول الطريق فهم فى هوة من سخرية الناس ومن احتقارهم مرشحون ·

مستقردون هم وليسوا قردة ·

ومن عجب ـ وقد أصبحنا نعيش فى دنيا الأعاجيب ـ ان الاستقراد ـ والكلمة كما ترى مصدر لا محيد عنه ـ لم يصبح مقصورا على أفراد من الأغبياء شغلوا ببشريتهم وانحطوا بانسانيتهم ·

وانما أصبحنا نرى حكام دول تستقرد وتتقافز فعل القردة والنسناس وقد كانوا الى أمسى القريب اثنين فقد صـــاروا بعد احداث الحجيج ثلاثــة ٠

والمستقرد الأخير رجل ادعى زورا وبهتانا وافكا أنه من رجال الله والاسلام فاذا هو يفجر الدماء في البيت الحرام وفي الشهر الحرام وفي الأيام المباركات التي قدسها الله أن تكون للمسلمين اجتماع كلمة وألفة بين شعوب المسلمين في العالم وبين أفراد المسلمين يقضون هناك في الرحاب الأطهر سواسية لا يفرق بينهم عرق ولا مال ولا طن ٠٠ لبيك اللهم لبيك ٠٠٠

واذا حكام ايران يلبون للشـــيطان ويرمون أبناء وطنهم للموت ويعرضون الحجيج جميعا للهلاك ويصبح المستقردون ثلاثة واحد في ليبيا وآخر في سوريا وثالثهم في ايران ولله في خلقه شئون ٠

حيا الله عاهل السعودية خادم الحرمين الشريفين كان حازما في المواجهة وقضى على الفتنة الوافدة في صدق وأمانة واخلاص ٠

جدير هو أن يكون خادم الحرمين ٠ الأراضي المقدسة في ظل حكمه مطمئنة قريرة ٠ وما صدق منه وايمان أمده الله بعونه وثبت يمينه وأيد على الحق ملكه ٠ والله غالب على أمره وهو سبحانه يختار لمشيئته المخلصين من عباده الصادقين في عبادته جل علاه ٠

الأهرام ١٩٨٧/٨/١٦

هم أصحابه ومجرموه

فى ذلك الحوار الرائع الذى يتصدر خالدة شوقى كليوباترا نرى أثر الغوغائية فى مخاطبة الجماهير ٠

حابى – اسمع الشعب ديون كيف يوحون اليه
ملأ الجو هتافا بحياتى قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
ياله من ببغاء عقله فى أذنيه
ديون – حابى سمعت كما سمعت وراعنى
ان الرمية تحتفى بالرامى
هتفوا بمن شرب الطلى فى تاجهم
وأصار عرشهمو فراش غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئا
ولو استطاع مشى على الأهرام

وقد وصل شوقى الى أعماق الحقيقة فى أبياته تلك ٠ فالهتافون لا عقل لهم وانما هم حناجر تنشق عن غير فهم ودون تفكير ٠ فى مظاهرة بكلية الآداب راح قائد المظاهرة يهتف والحناجر تردد هتافه وفجأة أحس القائد بلذعة برد تحيط به فصاح وكأنما يخاطب نفسه « الدنيا برد » وانشقت الحناجر من ورائه « الدنيا برد » ٠

ومازال الغوغاء يشقون حناجرهم وراء كل صوت عريض جهير دون أن يعملوا فكرا أو رأيا وبغير أن يتدبروا قولهم ويتقصوا الحق فيه والباطل ومصر اليوم تتكاثر فيها الأصوات العالية ويندر فيها التبصر والرؤية ونحن اليوم نعرف أدواءنا كلها ٠ والحكومة القائمة تعرف هذه الأمراض وتعرف وسائل علاجها تمام المعرفة وليس العلاج محتاجا الى عبقرية نادرة وانما يعرفه كل الناس ٠

فليس فى دول العالم جميعه من شرقيه الى غربيه دولة تعرف أن القطاع العام فيها مدمر خراب وتبقى عليه • والحكومة تعرف ذلك فما هو بسر ولا هو بشيء مكتم متخف على أحد • ولكن الحكومة أيضا تعلم أن الغاء القطاع العام بقانون واحد يؤدى الى انهيار اقتصادى لا مثيل له • وأحسب أنها تتدبر الأمر وتحاول أن تصل فيه الى العلاج الأمثل والأمر يحتاج الى كثير من الوقت ويحتاج أيضا الى بلوغ الطريق الأمثل لمواجهة الشعب والعاملين فى القطاع العام والمنتفعين منه والسارقين لأمواله والناهبين لحقوقه التى هى فى الواقع حقوق الشعب •

وليس فى دول العالم دولة تدعم السلع للفقير والغنى على السواء الا مصر • فلا الدول الغنية ولا الدول الفقيرة تتيح أن يحصلوا على السلع بأثمان أقل من أثمانها الحقيقية الا مصر • وليس فى دول العالم دولة تخدع نفسها كما تفعل مصر حين تدعى أن بعض شركاتها تكسب مصطنعة لذلك حسابا وهميا لا يقبله عقل أو ضمير مثل هذا الذى يحدث فى صناعة الألومنيوم التى تستهلك من الكهرباء المدعمة ملايين الجنيهات ثم تدعى أنها تكسب غير محتسبة الخسائر التى توقعها بأموال الدولة حين تحصل على قوة كهربية بأقل من عشر تكلفتها ومثل هذا يحدث فى شركة الحديد والصلب التى تكلف الدولة الملايين من أجل هتاف غوغائى ان لدينا شركة للحديد والصلب •

وليس فى العالم أجمع دولة كمصر يعمل فيها العامل سبعا وعشرين دقيقة فى اليوم بفضل القوانين الهازلة المتسيبة التى يعمل فى ظلها عمال القطاع العام • والحكومة تعرف ذلك وتعرف أنه لا صلاح للانتاج فى وطننا أو تصبح قوانين مصر مثل أى قوانين فى دول العالم شيوعية كانت هذه الدول أو كانت حرة •

وليس فى العالم مالك محطم كالمالك فى مصر سواء كان هذا المالك يملك أرضا زراعية أو بناء • والكلام فى شأن مالك البناء ينصرف بطبيعة الحال الى ذلك الشقى الذى ترك له أبوه عقارا قبل الفجور الذى حدث فى أثمان العقارات فى السنوات الأخيرة •

أولئك الذين أخنى عليهم الدهر بكلكله وحكم عليهم أن يكونوا مالكين فى زمن أسود اعتبر أن المالك ليس مصريا ولا انسانا فانهال عليه بقوانين مجرمة سفاحة جعلته اليوم لا يجد قوت يومه وأوقفت البناء فى مصر ايقافا تاما نتج عنه هذه الأزمة الطاحنة فى المساكن والتى هصرت آمال الشباب أن يجد مأوى يأوى اليه بأسرة جديدة ينشئها ـ ونتج عنه ما نسمعه مما يمزق وجه الانسانية ويدمر أواصر الرحم المقدسة من ابن يقتل أباه أو آخر يقتل جدته أو أب يطرد أبناءه • الى غير هذه

الحيوانات الشرسة التى فجرتها فى حياتنا قوانين الاســكان العاتية المجنونة • وليس فى العالم برلمان يتمتع خمسون فى المائة من المشرعين فيه ببعدهم كل البعد عن العلم كما هو الحال عندنا فى مصر • وليس فى العالم دولة تقبل أن يقوم فيها مجلس نيابى يضم صفوة العقول وكبار العلماء وتحرمه مع ذلك من ممارسة حقوقه التشريعية مثلما تفعل مصر • والدليل على انهيار المجلس التشريعى الواحد المتمتع بالخمسين فى المائة من غير المتعلمين ما حدث أخيرا فى شأن قانون النقابات الفنية • أنها لطخة حقيرة فى وجه المجلس التشريعى الواحد • وكيف لا وهو يصدر قانونا يموت قبل أن يحيا ويقضى نحبه وهو جنين لم يتشكل ولم يتخذ فى الحياة سمتا ولا رسما ولا هيكلا •

فلو أن هذا القانون عرض على القمم الأعلام فى مجلس الشورى لما سمحوا لهذه المهزلة أن تتم • وكم نصيح أن القوانين تستطيع أن تعرض على مجلس الشورى دون تغيير فى الدستور وأن الدستور الحالى يحتم عرض بعض القوانين ويتيح لكل القوانين أن تعرض على مجلس الشورى ولكن مجلس الشعب يعض على القوانين بالنواجذ يصر على أن تعرض عليه وحده ثم هو اذا عرضت لا يناقشها وانما يجعلها تمر فى هزالها وهزلها ونظل نصيح ولكن :

لقـد أســمعت اذ ناديت حيــا ولـكن لا حيــاة لمن تنــادى

ونلقى نظرة على كل هذه المصائب التى تشقى بها مصر فنجد ان زمان الطغيـان مازال يحكمنا بها • اننا بقوانين القطـاع العام والمالك والمســتأجر وقوانين العمال والخمسين فى المائة من العمال والفلاحين لانزال نحكم بحكم الستينات • ولانزال بحريتنا العظيمة التى نلناها نحاول أن نرفع هذا المقت عنا وما نزال نخاف ذلك الببغاء الذى وصفه شوقى بأن عقله فى أذنيه •

وأعجب معى ما شاء لك العجب حين ترى رجال الستينات الذين عملوا على هوان الشعب واذلاله والذين كانوا أعوان الطاغية فى طغواه هم الذين اليوم يشقون الجيوب ويلطمون الخدود ويثيرون الثائرات غضبا على ما بلغه حال مصر • ويحهم أحسبوا أننا نسينا أن الخراب الذى نرزح فيه والذى نعانى فى ازالته ما نعانى انما هم أربابه وصـانعوه وانما هم •• هم وحدهم أصحابه ومجرموه •

هيهات لم ننس وهيهات لنا أن ننسى • ونما نقول ما يقول المؤمنون المحتسبون لا حول ولا قوة الا بالله •

الأهرام ١٩٨٧/٨/٢٣

بــرىء دين من فتنــة

هيهات هيهات أن يحسب هؤلاء السفاكون أن الدين يرضى أن يكون ستارا لاجرامهم يتخذونه ذريعة ليرتكبوا هذا الفجور الذى يرتكبون ٠

الدين هو قوام الدنيا والآخرة وهو ميزانها القسط وهو الرحمة كتبها الله على نفسه نفتتح برحمته القرآن وكل آية نتلوها من كتابه المنزل ٠ فهو الرحمن الرحيم وهو العدالة المطلقة وهو جل علاه يرفض فى فيض رحمته المعتدى والآثم والظالم والفاجر ويسفل عن هؤلاء جميعا القاتل الذى يحل نفسه مكان الخالق الأعلى الذى يملك النفوس يخرجها الى الحياة ويقبضها اليه وهل نحن الا ملك يمينه نولد بمشيئته وننتقل الى جواره بمشيئته وحده ٠ وهؤلاء السفاحون لا يملكون ولا يملك غيرهم من بنى آدم ان يخلق شيئا وأقرأ معى قوله عزت الأؤه ٠

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسـلبهم الـذباب شـيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » فالخلق قدوة الهية لا يملكها الا الواحد الأحد الذى لا اله الا هو أما القتل فما أيسره وما القتل الا اعدام الوعاء الذى أنشـأه الله ليحمل سره الذى ينفرد بعلمه من الروح ٠ فالحيوان فى الغابة يقتل والميكروب الذى لا تراه العين المجردة يقتل والهواء يقتل وشعاع الشمس ٠ ولكن كل هؤلاء لا جناح عليهم ولا لوم ٠ فالحيوان يقتل ليأكل أو ليدافع عن نفسه مما يتوهم انه خطر يواجهه والميكروب يقتل ليعيش وقد جعله الخالق سببا من الأسباب التى ينهى بها حياة الانسان الذى يكدح الى ربه كدحا فيلاقية والهواء يقتل ليدرك الانسان أن موته يمكن أن يحدث بأهون الأشياء وشعاع الشمس يقتل ليعلم الانسان ان موته قد يكمن فى حياته ٠ فبغير الهواء وبغير الشمس ليس للانسان حياة ٠ وهكذا يرينا سبحانه وتعالى ان فى حياتنا موتنا ٠

أما القاتل السفاك من بنى الانسان فيقتل اعتداء على الحياة وهو يرتكب جريمته مختارا لأنه من ذلك الانسان الذى قبل ان يحمل الأمانة وهي ما عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها ٠

فان يقتل هؤلاء المجرمون انسانا ويجعلوا من أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين أمر لا يقبله منطق أو شرف أو عقل وجل الدين وتسامى أن يكون حجة لأمر يرفضه المنطق والشرف والعقل جميعا • أما هؤلاء الذين حاولوا أن يعتدوا على الوزير السابق نبوى اسماعيل فأمرهم أعظم هولا وأكثر سفولا وأشد حقارة •

لا •• أنهم ليسوا مجرد قتلة مجرمين يريدون أن يعتدوا على انسان يكنون له الحقد والبغضاء •

بل أنهم يريدون أن يثيروا فى مصر فتنة ، ويجعلوا الأمن يضطرب فى جنباتها • ويبعثوا الفوضى تضطرم فى ربوعها • ويفجروا القلاقل تهشم الأمن فى أنحائها ، وتثير الذعر والهلع بين أبناء الشعب • فالقاتل الذى يريد أن يقتل شخصيا بعينه لا يطلق الرصاص بصورة عشوائية رعناء على بيت يسكنه غير مبال ان يصيب الرصاص من يصيب من قوم ليس لهم أى شأن بالوزير السابق وليس لهم أى شأن بالقضية التى يدعى المجرمون أنهم يدافعون عنها •

وأثارة الفتنة فى مصر هيهات ان تكون عقيدة لأبناء مصر • وانما هى أمل أعداء مصر ممن يتحكمون فى مصائر دولهم ظلما وعسفا وجورا وجبروتا وقهرا من أمثال الأسدالذى ليس بأسد والقذافى الذى شاء الله أن تخيب كل قذائفه حتى السخيفة منها والخومينى الذى قتل الشعب الايرانى وقضى عليه قضاء مبرما •

هؤلاء الذى أطلقوا النار على بيت الوزير عملاء لا شك فى عمالتهم مدفوع أجرهم • ويعلمون أنهم لن يصلوا الى ما يريدون فراحوا يطلقون الرصاص العشـــوائى بغير هدف الا أن يظهروا لمن دفع لهم المال أنهم ينفذون أوامره وأنهم يقدمون عملا ــ ساء عملهم ــ مقابل مال تعس مالهـــم •

انهم يصوبون رصاصهم على مصر جميعا على كل فرد فيها •• على كل أمجادها ومستقبلها •• على أمنها وسلامتها •

الشعب جميعا هو من يريدونه ضحية لهم فليس عجبا ان يكرههم الناس ويمقتوا لحاهم وطلعتهم البغيضة • ان هذه اللحى ليست تمثلا بنبى الرحمة •• جل النبى أن يكون مثلا أعلى لهؤلاء وهو حامل الرسالة وأمين الذكر الذى أنزله الله بالحق وبالحق أبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عدد انسام الهواء وعدد كل شهيق للانسان أو زفير •

رسول هو من أنفسنا ما أعظم ما كرمه الله فقال له « وانك لعلى خلق عظيم » وقال لنا عنه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

أهؤلاء يعرفون قدر النبى ؟ فأين هم من ممشى نعاله أنهم ليسوا بعزيز عليهم عنتنا أو جهدنا أو متاعبنا وما هم بحريصين علينا ولا على وطنهم ولا على أخوانهم ولا على أهليهم من أب يثكلهم وهم على قيد الحيـــاة وأم تفتقدهم فتفقدهم وهم على ظهر الأرض وما يعرف هؤلاء بالمؤمنين رأفة أو رحمة .

انما لحى هؤلاء هو لحى أبى جهل وأبى لهب والخومينى وكل عدو زنديق من أعداء الاسلام .

كبر مقتا عند الله وعند الناس ما يرتكبون وسيرى الله عملهم ورسوله وأنهم لمردودون الى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعمـــلون .

الأهرام ١٩٨٧/٨/٣٠

تكلمي يا منـارة الأزهـر

فكرت كثيرا أن أجعل عنوان هذا المقال « وا أزهراه » ثم رددت نفسي فهذا نوع من الألفاظ لم يعد أحد يكتب به اليوم · مع أنه لفظ لا يغني عنه غيره · ففي نبراته الاستصراخ وطلب الغوث والافتقاد والحزن واللهفة والمناشدة · ولا تستطيع لفظة واحدة في عربية اليوم ان تموج بكل هذه المعاني · فقد أصبح العالمون بأسرار اللغة قلة نادرة · وأصبحنا نحن الذين نكتب والذين أحببنا لغتنا وأعجبنا بها نرد أنفسنا في كثير من الأحيان الى ألفاظ ليست هي التي نريد كتابتها · وليست هي التي تعبر عما يجيش بنفوسنا وما يتردد في جوانحنا ·

كنت أريد أن أصيح بالأزهر القديم أين أنت · أين أيام كنت فيها منارة الدين والدنيا جميعا · لقد طحنك الطاغوت فيما طحن من القيم العليا ومن الخلق الأسنى ومن كل معنى كريم في حياتنا ·

كان الأزهر الشريف منارة الأجيال في العالم أجمع · وحسبك أن كرسي الأزهر المتواضع القابع بجانب أحد أعمدته نشأت عنه كلمة كرسي الأستاذ في جميع أنحاء العالم وفي كل جامعات المعمورة كم هو جليل وأصيل هذا الكرسي ليس ذا زينة هو ولا هو بصاحب حلي ، ولكنه كان في تجرده وأخبأته شامخا عالي الذروة رفيع المكان أشبه بالشيخ الزاهد يعطي ولا يأخذ ويهب ولا يستوهب ويغدق ولا يسترفد ·

محاه الطاغية وحطم منارة الأزهر ليجعل منه جامعة تشبهها جامعات العالم أجمع · كان لا يدخل الى الأزهر الا من حفظ القرآن الكريم · وكان حفظ القرآن الكريم حصنا للدين ان يعبث به العابثون وحصنا للغة العربية أن يستهين بها الماجن والهازل ومن لا صنعة له ·

وها نحن أولاء نجني الثمار المرة الغضة التي خلفها غياب الأزهر ولم يعد في ساحته الشريفة الأقلة من العلماء الذين أخذوا عنه في أيام ازدهاره وتفرده ·

وخلت منابر المساجد من المشايخ الاجلاء الأقلة لا تغنى وانفرد الجهال بالمنابر وراحوا يفسرون الدين على هواهم • وينشئون فى شريعته السمحة الغراء ما تاباه الشريعة وما ينفر منه الدين كل نفور •

وها هم أولاء بضعة منهم اتخذوا الارهاب صناعة ويريدون ان يتخذوا الدين ـ وهو الدين ـ حجة لارهابهم وفجورهم وأطماعهم الدنيوية الحقيرة جل دين الله أن يبيح لهم ما يمكرون •

وهم أجهل خلق الله بالدين وزعماؤهم يغريهم المال أن يتنكروا للآخرة •• ويميلون بأطماعهم عن سبيل الرشاد • فهم ينتهزون الفرصة المتاحة من غياب العلماء الاجلاء فيفتكون بعقول شباب غرير علأوا عقله الخاوى بالجهالة والاجرام وجعلوا منه فئة ارهابية تدمر المجتمع تدميرا •

وأصرخ بالأزهر الشريف • أو بما بقى من الأزهر الشريف ان يعلن رأيه فى هذا الذى يجرى فى أرض مصر • ولكن الذى بقى من الأزهر الشريف يأبى أن يسمع • وكأننى ما تكملت أو كأننى لا أكتب هذا الذى أكتبه فى أكبر جريدة ناطقة باللغة العربية فى العالم أجمع •

وشيخ الأزهر رجل جليل له مكانته وهيبته • شريف هو حين يتكلم له فى نفوسنا جميعا كل توقير وتعظيم • وهو أمامنا ونحن نرضاه لديننا أماما • فما باله لا يقول رأى الدين وهو الامام الأكبر فى هذا الذى يجرى من الارهاب وهذا الذى يحاوله الصبية المخابيل من جعل الدين شعارا لما يرتكبون من اعتداء على حياة الأبرياء وعلى سلامة مصر وأمن أرضها واطمئنان النفس والمال فى ربوعها •

اننى أقدم بكل الاجلال والاكبار بين يدى امامنا الأكبر قصة سمعتها عن أحد الأئمة المصابيح •

كان الشيخ سليمان العبد على خلاف مع الامام محمد عبده وكان الخلاف بينهما فى أمور فقهية • وكان الخديوى عباس يضيق كل الضيق بالامام محمد عبده فحين مات أرسل أحد رجال القصر الى الشيخ سليمان العبد • وكان الشيخ فى ذلك اليوم يصارع حمى شديدة الوطأة • واستقبل مندوب الخديوى وهو فى فراش مرضه وقال مندوب الملك :

ـ ان مولانا الخديوى أرسلنى لأسأل عن صحتك •

وتعجب الشيخ سليمان وقال :

ـ شكر الله له •

وصمت المندوب بعض الحين ثم قال :

ـ أخيرا مات الزنديق ٠

ـ أى زنديق تقصــــد ٠

ـ الشيخ محمد عبده ٠

وانتفض الشيخ جالسا كالأسد :

ـ كيف تجرؤ أن تقول هذا عن شيخ عالم جليل ٠

وتخاذل المندوب وقال :

ـ لا اعتذر اليك ولكن مولانا قد أرسلنى لأرجوك ألا تسير فى جنازته ٠

ونزل الشيخ سليمان من فراشه وهو يقول :

ـ الآن وضــح الأمر فكم مرضت قبل اليوم فما عادنى من القصر عائد ولأسأل الخديوى عن مرضى ٠ فهو اليوم يرسلك لتمنعنى أن أسير فى جنازة الشيخ الامام لا للسؤال عن صحتى ٠ انى مريض كما ترى ولم أكن أنوى أن أشيع جنازة الشيخ أما وقد جئت بهذا الأمر الخديوى فانى ذاهب ٠

وقال المندوب فى استحياء :

ـ ألم تكن تعارضه ياهولانا وزار الشيخ ٠

ـ وماذا تفهم أنت فى شأن الفقه الذى أناقش قيه الشيخ محمد عبده وماذا يفهم الخديوى ومن سمح له أو لك أن تتكلما فى شئون الدين والفقه والشريعة الاسلامية وأنتم أجهل الناس بها ٠

وصاح الشيخ بخادمه :

ـ جهز البغلة يابنى ٠

وعلى مشهد من مندوب الخديوى نزل الشيخ سليمان العبد الى بغلته وركبها وهو لا يكاد يقيم جسمه عليها ٠ ولم يكتف بذلك وانما مر بجميع المشايخ الذين يعرفهم يلح عليهم أن يصحبوه ليشيعوا جنازة الامام محمد عبده وكان الشيخ سليمان العبد يسكن فى الحلمية بجوار السيدة زينب وكانت جنازة الشيخ محمد عبده فى عين شمس قريبا من مصر الجديدة اليوم ٠

بين يدى مولانا الامام الأكبر أضع هذه القصة وأقدمها أيضا الى كل المشايخ الأجلاء الذين يعرفون عظمة الأزهر وسموقه أضعها بين أيديهم، ثم انحنى اجلالا ٠ ثم اصمت ٠

الأهرام ١٩٨٧/٩/٦

الصمت جحيم

أكتب هذا من لندن وقد جئت اليها أجمع من نفسى ما مزقته الواجبات الرسمية والاجتماعية فى مصر • وكنت أضمر أن أستمنحك اجازة أفرغ فيها لكتابة رواية اذا تسنى ذلك أو أفرغ لمشاهدة جزء من أجزاء العالم الأوروبى •

ولكن مصر هيهات أن تفارق دماءنا وخلجات نفوسنا ونبضات قلوبنا وخطوات عقولنا ، نحن فيها مهما تبعد الشقة ويشط المكان ــ وهى فينا حيثما حللنا •

وقد شاهدت بالأمس مسرحية روابط خطرة ، وهى رواية فرنسية عالمية • وظللت طوال المسرحية التى تدور أحداثها فى زمان غير زماننا أفكر فى مصر • وفى الأدب المصرى وفى المسرح المصرى • وحين عقدت المقارنة بكت نفسى • فانه لا سبيل الى المقارنة بين شعب احتفل بوفاة آخر أمى بين ربوعه كلها منذ قرابة عشر سنوات وبين شعب يصر دستوره على أن يجعل غير المتعلمين يمثلون خمسين فى المائة على الأقل من أعضاء البرلمان وهو الهيئة التشريعية التى تعتبر أهم سلطة فى الدول الديمقراطية • وأوشكت وأنا فى المسرح أن يعلو بى نشيج البكاء • من عهد ارتضى له ضميره أن يشرع هذا التشريع فيسمح لغير المتعلمين أن يشرعوا للمتعلمين •

ولكن على أية حال ليس هذا ما أريد الحديث عنه اليوم وان كنت أحسب أن لى اليه رجعة فى يوم من الأيام وأغلب الأمر أن يكون هذا بعد عودتى الى مصر •

أما الذى أفسد على ما أضمرت من الاجازة فهو ما قرأته فى أهرام السبت للأستاذ الكبير د• لويس عوض • والمقال وان كان بقلمه الا أنه لم يكتب فيه الا مقدمة فى سطور قلائل لخطاب شخصى من أستاذنا كبير كتاب العصر الحديث توفيق الحكيم الى الدكتور لويس عوض •

وقد أحسست من نشر الخطاب أمرا دفعنى دفعا أن أعود اليك وأكتب ما أكتبه الآن ٠ فاننى أخشى أن يظن الدكتور لويس عوض أو غيره أن حربنا على التطرف والارهاب الدينى تعنى بعدنا عن الدين ٠ هيهات انما نحارب التطرف حبا فى الدين وحرصا عليه وتمسكا به ٠

فالأصل فى الانسان أن يتمسك بدينه ٠ بل ان الانسان حين عبد الأصنام والشمس والنار وغيرها كان يبحث عن دين يتمسك به ٠

والغالبية العظمى من العالم المتحضر متمسكة بدينها بل اننى أعتقد بيقين راسخ أن الدكتور لويس عوض من المتمسكين أشد التمسك بدينهم وأخشى أن أقول انه من المتطرفين فيه والقلم سلاح يقتل قتلا أدبيا حين يقتل السلاح الآخر قتلا ماديا ولا أحد يعرف أى القتلتين شر من صاحبتها٠ والذى حمى الدكتور لويس م ن أن يكون قاتلا أنه اختار لقتلاه أشخاصا غير قابلين للقتل الأدبى ٠ بل ان من يحاول قتلهم يزيدهم حياة وعظمة وجدلا ٠ ولأضرب مثلا من الأموات الأفغانى الذى حاول الدكتور أن يقتل ذكراه فأحياها أعظم ما يكون الأحياء ٠

ومثلا آخر من الأحياء الأستاذ الكبير محمود شاكر الذى حاول الدكتور لويس أن يصارعه فى حلبة هو صاحبها وأحد السادة الكبار الشامخين فى ميدانها فكانت النتيجة أن ازداد الأستاذ شاكر عظمة ورفعه وشـموخا ٠

واليوم يحاول الدكتور لويس أن يجتذب عملاقنا توفيق الحكيم بعد وفاته الى فرع من التفكير هو أبعد الناس عنه ٠ والذى لا شك فيه أن العلمانية فى عرف توفيق أمر أبعد ما يكون عن العلمانية عند د٠ لويس عـوض ٠

فالدين الاسلامى عند توفيق الحكيم مقدس مثلما هو مقدس عندنا جميعا ٠ ومثلما الدين المسيحى مقدس عند الدكتور لويس عوض ٠

اننا نأبى جمعيا أن يتخذ بعض المأجورين والمخـابيل والمهـازيل والهازلين الدين وهو أكرم ما عرفته الانسانية على الاطلاق وسيلة لهم ليصلوا الى الحكم وويل لنا كل الويل اذا حكمنا المأجور والمخبول والمهزول والهـازل ٠

وأخرى يا دكتور لويس ما الذى تعنيه بقولك أن الفكر الانسانى هو الفكر العقلانى ٠ كيف نزعت الانسانية عن الفكر الدينى ٠ مع أن الفكر

الدينى هو أعظم ما عرفته الانســانية • وأن المعانى الســـامية جميعها لا تستطيع واحدة منها أن تعيش بمعزل عن الفكر الدينى • وما رأيك يا دكتور فى الوصايا العشر أليست فكرا دينيا هى • وما الفكر الانسانى اذا لم يكن ما جاء فى هذه الوصايا العشر •

اننى استحلفك يا دكتور لويس يا عوض أن نعفى توفيق الحكيم من محاولاتك هذه وان تبعد به أن يكون واحدا من سدنة أفكارك •

فتوفيق الحكيم كتب فى حياته ما يجعل فكره يستعصى فى عظمة وشموخ عن أى محاولة لألصاق أشياء لم تجل بخاطره وبفكره •• لقد كتب الرجل فكره فى مسرحيات وروايات قصص ومقالات بل كتب فكره فى كتاب مستقل هو التعادلية فأى محاولة بشرح ينتزعه من آرائه الى آراء أخرى مقضى عليها بالفشل الكامل • واذا لم يكن الذى كتب رأيه فى مسرحيات وروايات وقصص ومقالات ثم فى كتاب فكرى قائم بذاته واضحا جليا لا شبهة عليه ولا شك فى آرائه فمن يكون الواضح أذن •

وان مقالات توفيق الحكيم الأخيرة فى الأهرام قاطعة اتجاه رأيه فى تمسكه بدينه وحفاظه عليه وانى واثق أن الدكتور لويس لا يحاول مطلقا أن يقول أن توفيق الحكيم حين ينشر مقالا غير توفيق الحكيم حين يكتب خطابا خاصا •

وكم كنت أتمنى لو أن الدكتــور لويس نشر خطـــابه هـذا فى حياة توفيق الحكيم • اذن لأغنانا الحكيم من شرح عوض •

وانى واثق أن الدكتور لويس لن يحاول أن يشرح توفيق الحكيم على غير حقيقته كما فعل مع أستاذنا نجيب محفوظ حين جعل منه شيوعيا فى روايته السمان والخريف مع أن الرواية ومؤلفها العملاق أبعد ما يكونان عن الشيوعية فالدكتور لويس ينبغى أن يعلم أن تكرار المحاولة المؤكدة الفشل أمر غير حبيب الى الناس •

وبعد فاننى أحب أروى فى هذا الحديث أمرا رأيته رأى العين من أستاذنا الحكيم • فقد تعودت أن أصحبه الى بيته فى سيارتى عند انتهاء جلستنا الصباحية فى الاسكندرية وكان الطريق الى بيته يحتم أن نمر بجامع سيدى بشر ويكون الحديث متصلا وغالبا من جانب واحد فقد كنت اتخذ موقف المستمع وأفاجأ ، ودائما أفاجأ بالأستاذ توفيق يقطع الحديث ويصمت وأنظر اليه فأجده يتمتم بكلمات فاتحة الكتاب تحية منه لصاحب مسجد سيدى بشر •

أليس هذا أمرا يستحق أن أرويه على الأقل بعد مقال الدكتور لويس عوض وقد سألته أول مرة ٠

ـ هذا أمر قــل أن يلتفت اليه أحد ٠ فأنت تعرف أننى مؤمن شديد الايمان ولكننى لا أستطيع أن أحرص حرصك على قراءة الفاتحة لسيدى بشر كلما مررت به ٠

فقـــال :

ـ بل اننى فى العيد أذبح لفقرائه خروفا أيضا ٠ هذه عقيدتى ٠ وليكن فكرى حرا ما طابت له الحرية ٠ ولكن هذه هى عقيدتى ٠ لا حياة لى بغيرها ٠

ان الرجل لم يتركنا الا منذ أربعين يوما وما أقل هذه الأيام حتى نبدأ معه لعبة الأحياء مع الأموات ٠ ولكن لا بأس بالدكتور لويس مادام ولدا أخيه سارعا الى المحكمة يطلبان مسكنه وهو مستأجر وأوسمته وانى أشكر الأستاذ صلاح منتصر لكلمته الطيبة فى عدد الأهرام نفسه وأعده أن أنفذ اقتراحه ٠ ولكن أمر القلادتين عجيب فان أحداهما لا تعرف السيدة كريمته مكانها والأخرى لم يتسلمها بعد من رئاسة الجمهورية ٠ وأرجو أن يتسلمها اتحاد الكتاب عنه ويفتتح بها متحف أوسمة الأدباء ٠

وبعد فما أدرى هل أنا بعد هذا الحديث سأنفذ ما أضمرته من اغتصاب أجازة أم أننى سأجد دائما ما يدفعنى الى هذا العناء لكم أرجو من القراء أن يقدروا ما يشقى به الكتاب ٠ فالكلام بالنسبة اليهم جهد وعذاب ٠ ولكن الصمت جحيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٧/٩/١٣

المستوزرون

هم فئة ثابتة الوجود فى كل عصر وكل عهد وكل زمان يتغير أشخاصها ولا يتغير كيانها ٠

ويحوى وعاء هذه الفئة السخيف والتافه ٠ وقد يحوى أيضا العالم المثقف الذى يبلوه الله ببلاء الاستوزار ٠ وهو مرض ـ والعياذ بالله ـ يجعل المريض به يقيم حياته كلها على أمل أن يصبح وزيرا ٠

والوزارة منصب ذو بريق فى العالم أجمع ٠ ولكنه فى مصر بخاصة شديد الوهج حتى ليصبح المريض بالاستوزار أعمى لا يرى ولا يفكر ولا يعيش الا بأمل الوزارة ٠

أعرف رجلا من أيام العهد الملكى أصابه هذا المرض ٠ فكان مستعدا بالردنجوت على سبيل الدوام والاستمرار ٠ واذا ترك البيت أمر خادمه ألا يبرح التليفون بمظنة له مضحكة بلهاء انه سيستدعى ليحلف اليمين بين لحظة وأخرى ٠ وكانت الحالة تلازمه سواء كان هناك تغيير وزارى أو تعديل أو لم يكن ٠

كان هذا الرجل فى زيارة لأبى وكان من أدب هذه الأيام أن تصحب الضيف الى سيارته ٠ ونزلت مع الرجل لأودعه ووقفنا على الباب الخارجى لمنزلنا ٠ فاذا الرجل يقول لى ٠

ـ يا أخى قل لأبيك يجعلنى وزيرا ٠

وأصابنى الوجوم الشديد ٠ فأنا فى ذلك الحين طالب بكلية الحقوق وراعنى أن يتشفع بى شخص ما ليكون وزيرا ٠ ولم يكن ذلك الرجل ضئيل الشأن فان له تاريخا فى الوظائف وكان عضوا بمجلس النواب لفترات طويلة ٠ ويصلح أن يكون وزيرا ولا عيب فيه ولا ضير على من يختاره ليكون وزيرا ٠ وأحسب أن هذا الرجل لم يصل الى الوزارة لشدة رغبته فى الوصول الى الوزارة حتى لأذكر أن أحمد باشا عبد الغفار قال له مرة ٠

يا فلان لقد أصبحنا وزراء لأننا لم نسع الى الوزارة فكف عن السعى لها فقد تأتى هى اليـك ·

ولاشك أن كلمة أحمد باشــا نصيحة غاليــة · فان المريض بداء الاستوزار يصاب أول ما يصاب بضياع الكرامة فهو مستعد أن يكون بهلوانا رأسه فى الأرض وقدماه الى أعلى ليصبح وزيرا · ومستعد أن يقوم بكل ما لا يتفق مع الرأى السديد والفكر الرشيد ليصبح وزيرا · فمرض الاستوزار يذهب بما وهبه الله للمستوزر من نعمة التفكير ·

والنفاق أبسط ما يقدم عليه المستوزر من سقوط · ألم أقل لك أنه يفقد كرامته ؟ وهل النفاق الا لون من ألوان الكرامة الغائبة !

وفى حميا الرغبة فى الحصول على كرسى الوزارة يحسب المستوزر أن جميع لناس غافلون عما يقوم من تصرف أحمق ومن قول سخيف وأنه بمقدوره أن يأتى ما يأتيه من صغار دون أن يسخر منه الناس ويجعلوا منه أضحوكتهم وسخريتهم ويجن جنون المستوزر حين يرى بعض أمثاله يصلون فى غفلة زمن الى كرسى الوزارة فيزداد هو تفاهة ونفاقا وهوانا على نفسه وعلى الناس ·

والمستوزر أعمى لانه يفـكر فى الفترة التى يقضـيها فى الوزارة ولا يفكر فيما سيكون عليه أمره حين ينسحب الكرسى من تحته ويصبح وزيرا سابقا · ويرى العبوس فى الوجوه التى كانت ضاحكة · والتجهم فى اللقاء الذى كان مرحباً · وهو بطبيعة الحال لا يعرف البيت العربى القديم الذى صرخ به غنى صار فقيرا فقال هذا البيت الخالد :

وكان بنو عمى يقولون مرحبا   فلما رأونى معدما مات مرحب

وأغلب الناس شأنهم مع الوزير السابق شأن أبناء العم هؤلاء حين انتقل حال الشاعر من الغنى الى الفقر ·

فان الانسان ان لم يكن هو نفسه جديرا بالاحترام لذاته لا لمنصبه· ولمكانته الانسانية لا لكرسى مؤقت يجلس عليه فانه يشقى بالمنصب حين يتركه المنصب شقاء لا يعادله شقاء · وانى لمعجب بما قاله أحد الوزراء الذين سعت اليهم الوزارة ولم يسعوا اليها من ان الوزير يفقد نصف عقله حين يصبح وزيرا ويفقد النصف لآخر حين يترك الوزارة ··

وقد كثر المســـتوزرون فى أيامنا هذه • وقد أرى هؤلاء يدبجون المقالات فى هوان وصغار • ويتقافزون فى كل مكان يظنون بعض الظن انه قريب أن يصل أمره الى شخص قريب من آخر قريب من آخر قريب الى رئيس الجمهورية • وأن الرئيس حين يسمع بمايصنعون سيعينهم من صباحهم فى الوزارة •• أن وزارة •• لا يهم •

وانما المهم أن تكون وزارة والسلام •

قرأت فى الصحف لأمثال هؤلاء وقرأت عن أشباههم •• وأنا فى لندن وجنيف التى وجدتها هذا العام شديدة الحرارة حتى لم أطق أن أقيم بها الفترة التى كنت أعددت نفسى لها وجاء ما قرأت وزادت وطأة الحر عنفا • وسارعت الى بلدى • فهى أولى بى أن أجد من نسمة النيل ما يرفع عنى قيظ البلاد التى كان مفروضا أن تكون باردة ، وأجد من هذا الحديث الذى أسوقه اليـــك ما يهون على ما أجده فى نفسى من احتقـار للمستوزرين واستهانة بعقولهم •

وانى أطمئن هؤلاء أن اليأس أحرى بهم واعدام الأمل أولى بهم ثم أولى •• وضياع الرجاء بهم أخلق •

اطمئنهم أن رئيس جمهوريتنا محمد حسنى مبارك من أذكى الناس الذين عرفتهم فى حياتى وان له لحاسة لماحة • يدرك بها أسرار الحديث الذى يساق اليه ويدرى خوافيه وسراديبه ، وطرائقه ،•ومداورته وهو كل الادراك نغمة النفاق ونغمة الصدق • وهو بموهبة الهية وبوعى صادق يدرى الى أين تترامى الجملة وأين مستقرها ومن أى نبع تخرج •

وهو لا يزهيه مديح كاذب ولا يلين جانبه لنفاق• وكلما كان الحديث ممعنا فى النفاق سقط صاحبه عنده • فليعلم هؤلاء المستوزرون أنهم الى سعى فاشل • والى جهد ضائع • والى أمل معدوم • فليصرفوا سخفهم وتقافزهم الذى يجعلهم كما القردة الى شىء قد يصيبون منه ما يرد عليهم الجهد والتقافز والسخف وحسبهم وحسبنا الله ونعم الوكيل •

الأهرام ١٩٨٧/٩/٢٧

الأزهر أكبر من كل اعــلام

مولانا الامام الأكبر :

أكرمك الله قدر ما أكرمتنى ، وشكر لك جميل ظنك ونبيل قولك ٠٠ وسامق خلقك ٠٠ وبعد ٠٠

فوقى الله الأزهر عاديـات الزمان ٠ ووهب له الصمود فى وجه الرياح القاصفة ٠ والأنواء العاصفة ، والطغيان الفاجر ، والالحاد الكافر وكم كنت أرجو يا مولانا الامام أن يخطوا الأزهر ألفه الثانية ، وهو فى مثل جلاله الذى ألفه منه العالم أجمع فى ألفه الأول ، ولكن الطغاة أدركوا أنه حصن الاسلام الشامخ وقلعته الوطيدة الراسية ، فلفقوا الأسماء كما تعودوا أن يلفقوا ، ورفعوا اللافتة الكاذبة الماجنة ، وزعموه اصـــلاحا للأزهر ، وكانت النتيجة الفاجعة أن أصبح الأزهر مثله مثل آلاف الجامعات الأخرى ، بعد أن كان منارة الاسلام وضياءه الوضاح ، ونوره الوهاج يضىء أنحاء العالم الاسلامى أجمع ، وألفوا شرط حفظ القرآن للمنتسبين اليه ، وقال قائلهم زورا ومينا بهتانا ٠

ان الصحابة ما كنو حافظين للقرآن ٠ ونسوا أن الطباعة لم تكن وجدت فى عهد الصحابة ، ومولانا الامام الاكبر يعلم كل العلم ، أن حفظ القرآن شرف لمن يحفظه ، وما الله بحاجـة الى حافظـين له بألســنتهم أو بقلوبهم ، فهو سبحانه بكلمة « كن » حفظ القرآن الى أبد الأبدين ، وبقوله جل قوله : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقد فعل ، انما حفظ القرآن يمنح حافظيه والمتعلمين على أيديهم روح الدين الصحيحة، فلا تزوغ قلوبهم ، ولا تخرج على الطريق الذى هدى اليه القرآن الكريم ، ويهب لهم استقامة اللسان العربى ، وسلامة البيـان ، واللغة كما تعلم يا مولانا الامام هى وعاء القرآن ، تستمد عظمتها منه ، وتستنبع جلالها من جلاله ، وحين اعتدى الطغاة على جلال الأزهر ، أصبح أمره بين رجال الصحافة والدولة والاعلام فرطا ، فاستيسروا أن يمنعوا ، كلمته ، وأن يوهنوا بنيانـه ، وبطامنوا من شموخه ، ولكنه بكلمة الله العليـا التى يستوهب قوتها منه ، يظل بين الناس شامخا ، فحين تقدمت الى منارته أن تقول ، كنت على وعى كامل بمكانة الأزهر فى النفوس ، ليس فى مصر وحدها انما فى العالم أجمع ٠

فان يكن الازهر قد طالب باعادة المساجد الى المدرس ، وان تكن اللجنة العليا للثقافة الاسلامية ، قدمت مشروعا ، ولم يلتفت اليه أحد ، وان تكن الصحافة على اختلاف مستوياتها ، ونوعياتها واتجاهاتها ، قد أغفلت أنها أداة تثقيف وتعليم وانها ان تكن قد ردت العلماء والكتاب أن يدلوا برأيهم في قضايا الساعة الحادة والجادة ليرشدوا الضال ويهدوا الحائر دون توغل في مسالك التيه الذى تمتلأ به الصحف من تشكيك في العقيدة ، وتعرض للاسلام بأقبح الفكر وأشده فسادا وضلالا ، ان تكن قد فعلت ذلك ، فالازهر أكبر من الصحافة وأكبر من الاعلام ، وبيان منه رسمى سيجد مكانه في أنحاء العـالم أجمع ، ان لم يجد مكانه في الصحف المصرية ، وأقرب مثال على التشكيك ، ما قال به أحدهم من أن القرآن ، لم ينزل الى الناس كافة ، وكان دليله المنهار المائع انه نزل باللغة العربية ، وكان أبسط سؤال يوجه اليه بأى لغة كنت تريد أن ينزل بها القرآن ليكون للناس كافة ؟!

وان شأنه لأهون وأحقر من أن أرد عليه بما جاء في القرآن ذاته ، من أنه موجه لجميع الناس ·

مثل هذا الالحاد كان خليقا بأن يجبهه ويواجهه بيان صريح للأزهر يصدر ، فاذا امتنعت عنه الصحف المصرية ، فان جميع صحف العالم من شرقه الى غربه كانت ستتلقف هذا البيان ، وتنشره في أكرم مكان ·

وهان الاعلام المصرى أن يرد الأزهر عن مكانه أو المشايخ الأجلاء من أساتذته عما ينبغى لهم من توقير وتعظيم ، الا أن أمر هؤلاء الأجلاء اختلط بالجهلاء ومدعى العلم من غير القارئين أو الدارسين ، أو الحافظين للقرآن ، لأن الأزهر الشريف لم يقمع هؤلاء ، ولم يصدر بيانا بمن يجوز له أن يفسر لنا الشريعة السمحة الغراء ومن لا يجوز ·

وفى عماية الخلط بين العالم والجاهل ، وبين الدارس والمدعى ، خفت صوت الأزهر الذى كان ينبغى أن يظل مجلجلا الى أبد الأبدين ·

ولقد كان عظيما مولانا الامام حين طالب بتدريس الدين الاسلامى دراسة وافية شاملة في المدارس ، ولكننى أستأذنه في سؤال يظل حائرا ولا يجد جوابا : من هؤلاء الذين سيدرسـون الدين ؟ فاننى أراهم قد أصبحوا قلة نادرة أخشى معها أن يصبح تدريسهم تجهيلا ، تعليمهم بعيدا عن الدين فتصبح هدايتهم ضلالة ووعيهم جهالة ، ولكم سمعت يا مولانا

الأمام من هؤلاء فى الاذاعة وغيرها من وسائل الاعلام فتاوى تضحك الثكلى ، وتبكى المؤمنين الصادقين على ما صار اليه أصحاب الراى والفتوى فى شئون الدين ، فلا سبيل اذن يان مولانا الامام الى تعليم الدين ، الا ان يكون معلموه ، على حظ وافر من الدراسة والفهم والتعمق ، وغياب هؤلاء أدى الى وجود المجرمين ، السفاحين ، السفاكين فى الساحة يقتلون الأبرياء باسم الدين ، ويسعون للدنيا ، على حصان الأخرة ، وقد كان عظيما مولانا الامام حينما وصم أعمالهم ، بأنها كأفعال غيرهم من الأشقياء المطاردين مثل خط المنيا الأخير وعصابته ٠

وليسمح لى مولانا الامام الاكبر ، أن أتلمس العذر ، لمن وصفه بأحد السادة الكتاب ، حين قال : أن العلماء ومنهم كبارهم ، قتلة بالنوايا فما قال هذا الذى قال ، الا حين وجد الازهر الشريف الشامخ العملاق ، حصن الدين وجنته يصمت ، حين يقتل الابرياء باسم الدين ظلما ، وزورا وبهتانا ، وتعديا على الدين ، قبل أن يكون تعديا على روح الانسان ٠

وبعد يا مولانا الامام الاكبر فما أصبح الأزهر شامخا ، الا برجاله الشامخين ، وانت بالشموخ جدير ، وان مولانا الامام ، لاشك يذكر الامام الاكبر الشيخ مصطفى المراغى ، حين وقف ، عملاقا وصاح فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، والانجليز يحتلون مصر ، وهم الطرف الاكبر فى هذه الحرب : « ان هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ٠ وزلزل العالم زلزالا ، ولكن الشيخ ثبت كالطود الأشم ، غير هياب لملك يحكم فى ظل الانجليز ،ولا لمحتل يغتصب أرضنا بقوة السلاح ، هذه المواقف يامولانا الامام وأمثالها ، لا تستطيع أركان الاعلام أن تغض منها ، فان كلمة منك أكبر من الاعلام كله ، وان ما شرفت بنشره لفضيلتكم بجريدة الأهرام ، كان له من الأثر على المجرمين والأشقياء المدعين انهم يحافظون على الاسلام ـ ما يتضاءل بجانبه كل ما قيل فى هذا المضمار ٠

وفق الله مولانا الامام الأكبر ، وأيده بروح من عنده ٠ فانه سبحانه وتعالى ينصر من ينصره ، وهو العزيز ذو القوة المتين ٠

والسلام عليكم وحمة الله ٠

الأهرام ١٩٨٧/١٠/٤

بعيــــه حـــديث

● وصلت الى خطابات عديدة تعليقـا على موضوع الازهر وقد اخترت هذين المقالين من شيخين جليلين ورايت اننى اذا حجبت رأيهما أكون مقصرا غير أمين وانى أنشر المقالين وأرى انهما لا يحتاجان الى اى تعليق منى أو مناقشة وأرجو أن يجد فيهما القارىء ما وجدت من صدق واخلاص وحرص على أكبر منارة إسلامية فى التاريخ ٠

الكاتب الكبير والاديب المبدع الأستاذ ثروت أباظة ٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ يصلنى (الأهرام) يوميا لأقرأ ابداعاتك واليوم هزنى مقالك بتاريخ ٨٧/٩/٦ (تكلمى يا منارة الأزهر) قرأت كلمتك لأتزود من أدبك العالى وفكرك الرفيع ٠ اننى حين أقرأ لك فكأنما أقرأ فى تراثنا الخالد المجيد وحين تطلب الى منارة الأزهر أن تتكلم فكأنما تستنطق الأطلال ٠

يادار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

أخى الأستاذ الأديب الكبير :

لقد طالما والله كلمت منارة الأزهر وكلمتنى وطالما جبت أروقتـه وساحاته وشممت منها عبق الماضى وعبير المجد وكنت عضوا فى مجلس الأمة الذى طور الأزهر بل كنت فى اللجنة التى باغتوها بامر واضـح وترتيب مبيت وكان على رأس اللجنة فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون شـيخ الأزهر الأسبق وكان عضوا فى المجلس ورفضت اللجنـة بالاجماع التطوير وسهرنـا بالمجلس ليـلة للفجر نبـكى حين أعلنوا أن المجلس أصبح لجنة وهو الذى يقر التطور ٠ وقصة التطور طويلة شهدها الله تعالى وعلم المؤامرة المدبرة وتفصيلها عندى لا يتسع لها المجال هنا ٠

لقـد صحت بالأزهر القـديم كما صحت أين أنت وكتبت مذكرة للرئيس جمال عبد الناصر ورفعتها اليه عن طريق الأستاذ الجليل المهندس عبده أحمد الشرباصى عضو مجلس الرياسة وقتها اقترحت فيها اعادة

ما ذكرتم من عادة كرسى الازهر المتواضع القابع بجانب أحد اعمدته واستدعاء العلماء الأجلاء الذين أحيلوا الى المعاش ليعيدوا نظام الحلقات على المذاهب الأربعة ويحضر الطلبة من جميع الافاق يحملون فى أيديهم ملازم التراث القديم الصغراء حتى لا تموت رسالة الازهر بعد جريمة تطويره • جزى الله المهندس الشرباصى خيرا فقد رحب بالمذكرة التى أبعث لكم بصورة ما نشر عنها بجريدة الاخبار • أما حكايتكم الطريفة عند الشيخ سليمان العبد الشيخ محمد عبده فأذكركم فى ايجاز حكاية تقاربها وهى أن أحد مدرسى الازهر من مدرسيه القدامى جاء الى تلاميذه يبكى • ظن الطلبة أن شيخهم قد أصابه مكروه فى أسرته أو أهله فزاد بكاؤه وقال رفعوا مرتباتنا بعد ادخال النظام الجديد وكنا نتقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر فسوونا بموظفى الدولة والويل لنا بعد هذه التسوية • وما ذكرتم عمن يمارسون الارهاب باسم الدين فما أبعدهم عن الدين وما أبعد الدين السمح الكريم عنهم • وكلما قرأت لكم ذكرت الأدب العالى والابداع الرفيع فى تراث عزيز باشا أباظة رحمه الله وفيما تكتبون وتبدعون ولا يسعنى الآن الا أن أسجد لله اجلالا وأدعو لكم بكل خير وأصمت •

--

عبد الرحمن البنا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد •• فقد أطلعت على مقالكم الرائد الهادف تحت عنوان (تكلمى يا منارة الازهر) بديباجته الصافية •• وجرسه الهادىء الأليف •• يلامس قلب المؤمن •• وضميره الحى •• ووجدانه السليم •• اشفاقا على الازهر العريق •• لما أصابه من وهن •• وما اعتراه من ذبول •• وايقاظا للهمم •• وتنشيطا للعزايم •• للعود به الى الازدهار والشموخ •• ورغبة صادقة خالصة فى الحفاظ على صرحه العالى العتيق •• والنهوض به الى المستوى المنشود •• بعد أن أخذت فى ازاحة الستار عن وجهه الشاحب مع مقارنة بين ماضيه المجيد •• وحاضره الحزين •• وواقعه الأليم •• وأشرت الى ضرورة حفظ القرآن الكريم •• والرجوع الى النظام القديم •• الذى ارتوى منه أبناؤه وقتذاك •• فخرجوا الى الحياة هداة مرشدين •• وعلماء نافعين •• ومما لاشك فيه أن الأزهر على وضعه الراهن قد ضعف مستواه •• وتعثرت خطاه •• بعد أن تغير مجراه •• نتيجة ما طرأ عليه من تطوير وتغيير •• فاصبح الاهتمام بالشكل قبل الموضوع •• وبالمظهر دون الجوهر •• واستبدلت بالألفاظ العربية أخرى أجنبية •• فذابت الشهادة العالية والعالمية والأستاذية الى الليسانس وماجستير ودكتوراه •• فتغيرت معالم العلماء

كما انتقلت كواهل طلاب الأهر بالجمع بين العلوم الدينية والشرعية وبين الموارد لحديثة والاجنبيه ·· فكان الضعاي والافلاس من هذا وذاك ·· لا سيما بعد اقتصار التدريس بالكليات على حديثي التخرج من هؤلاء ·· ممن تنقصهم الخبرة والدراية والكفاءة ·· وفوق هذا كله عدم توافر حفظ القرآن الكريـم الذى لا يتصور وجود عالم بدونه ·· لأنه حينئـذ يصبح كالهيكل الاجوف الخاوى الذى لاروح فيه ولا حياة ·· وايضـا الغاء هيئة كبار العلماء الذين كانوا أساتذة وجهابذة ·· ليحل محلهم ·· ويأخذ مكانهم مجمع البحوث ···

واستجابة لدعوتك الطيبة التي ناديت فيها باعادة النظر في شأن الأزهر حتى يعود اليه مجده وبهاؤه ·· وعزه وصفاؤه ·· وتشع بين الوجود أنواره ·· ليصبح ـ كما كان ـ دار علم ·· ومنبع ايمان ·· ومشرق حضارة ·· ومصدر معرفة · وطريق هداية ·· استجابة لذلك جاء رد فضيلة شيخ الأزهر تحت عنوان (منارة الأزهر تتكلم) بعبارات مصقولة ·· وألفاظ مسبوكة ·· تتحدث عن تاريخ مضى ·· وزمن ولى ·· وعصر باد وزال ·· وعهد انقضى ورحل ·· ورأينا اجابة فضيلته على تساؤلك واستفسارك عن أسباب الارهاب ·· الذى تفشى بين الشباب ·· بأن الاسلام يرفضه ولا يقره ·· ويستنكره ولا يؤيده ·· وهذا أمر ظاهر لا يخفى على أحد ·· يعرفه العالم والجاهل ·· والمثقف والأمى ·· لقد كنا في حاجة ماسة الى الداء ·· ووصف الدواء ·· وطريقة العلاج ·· وأمام الواقع المرير نرى أن قضية الأزهر المعاصر تحتاج الى وقفة طويلة ·· ونظرة فاحصة مديدة ·· نتفحص من خلالها الموقف مع مواجهة الحقيقة بصدق وحزم ·· وعزم وحسم ·· وبحث وتمحيص ·· لازالة الخلل والشوائب ·· والقضاء على الطفيليـات والطحالب ·· التى تشـعبت وانتشرت وخيمت على وجه الأزهر ذلك النهر العظيم ···

وان من اللجاج والمكابرة ضعف الأزهرى الحديث ·· كما أن من الاجحاف وعدم الانصاف تجميد البقية الباقية من العلماء القدامى الذين ترشفوا من ينابيـع الأزهر الصافيـة ·· وتنشـقوا العبير من رياضـه الفواحة ·· فكان منهم البذل والعطاء ·· كذلك نرى من مجافـاة الحق والعدل أن نعلل انحراف بعض الشباب ·· وما ترتب عليه من ارهاب ·· بانصراف الناس عن المساجد وعن العلماء ·· فالمسلمون بخير وشبابنـا ـ والحمد لله ـ من أطهر شباب العالم لو أنهم وجدوا مجالس العلم ميسرة أمامهم ومفتوحة في وجوههم ·· ولو أنهم وجدوا العلماء الصالحين الذين لم تشغلهم الدنيا ·· أو تبهرهم الحياة ·· فالناس متعطشون الى الثقافة

الدينية انبثاقا من فطرتهم الربانية الطاهرة ٠٠ آية ذلك انهم اذا التقوا بعالم جليل انطلقت اسئلتهم اللاهثة جريا وراء المعرفة ٠٠ وما سبب انحراف بعض الشباب الا تهافتهم على أشباه العلماء بعد أن خلت الساحة من العلماء الحقيقيين ٠٠ فتأثروا بهم وانقادوا لهم دون وعى او تفكير ٠٠ وأما عن عدم تعاون أجهزة الاعلام مع العلماء ٠٠ فأقول : ان أجهزة الاعلام لا تضن بسطورها وصفحاتها ووسائلها ولم تغلق أبوابها فى وجه العلماء اذا وجدت منهم قضية عادلة ٠٠ أو فكرة واعية ٠٠ أو دعوة هادفة بعيدة عن الثرثرة والتكرار ٠٠ وأما عن المساجد فهى فى حاجة ماسة الى دروس رائدة ٠٠ ومواعظ نيرة ٠٠ وتوجيهات رشيدة ٠٠ وعلماء نابهين ٠٠ من أهل الايمان والتقوى واليقين ٠٠ وأن واحدا من هؤلاء لجدير بجذب الناس والتأثير فيهم ٠ وتربيتهم وتربية سليمة قوية ٠ سواء فى ذلك الرجال والنساء ٠٠ والشيوخ والشباب ٠٠ فهل الى ذلك من سبيل ٠٠٠ ؟

اننا كأزهريين كثيرا ما نقف حيارى أمام واجب الرسالة السامية التى حملنا أمانتها ٠٠ وأمام اللوائح والقوانين التى تحجبنا وتجعلنا جاحدين ٠٠ ننطوى على أنفسنا ـ لا عن عجز أو تقصير ـ بل مرغمين ٠٠ نبتلع الغصة الكاوية ٠٠ لنتحول الى زفرة لاهية ٠٠ وأنفاس لاهثة ٠٠ ثم نشكو الأمر لرب السماء ٠٠

جابر حمزة فراج

المدير العام السابق للاعلام بالأزهر وأستاذ الشريعة بالمعهد الدبلوماسى بالرياض

١١/١٠/١٩٨٧ الأهرام

وجـــــوم ...

أما العارض الصحى الذى ألم بى فهو لا شىء وأحمد الله سبحانه فما أشكو فيما يتصل بسلامة الجسم شكوى ذات شأن . ولا أحسب أحدا فى مثل سنى يرجو خيرا مما أنا فيه .

أما العارض الآخر الذى أعانى منه أشد المعاناة فهو ما أصابنى فى الاسبوع الماضى من أنباء لم أجد ما ألقاه بها الا الوجوم ، ولن أجد كلمة تعبر عما أوجهه الا الوجوم وقد بحثت فى القـاموس عن مادة : وجـم فوجدتها اللفظة التى خلقت لما أنا عليه اليوم .. وجم يجم وجوما : عبس وأطرق وسكت عن الكلام لشدة الحزن .

وهـا أنذا عابس كسيف وها أنذا أريـد أن أسـكت عن الكلام . وها أنذا شديد الحزن .

ما العبوس فلا محيد عنه .

أما السـكوت فتلك هى الكارثة . فما تعودت السـكوت عن حق أؤمن به . بل عشت عمرى أقول ما أعتقد انه جدير بأن يقال لم يمنعنى عن القول شىء منذ أمسكت القلم . وحين جثم على مصر الطاغوت اخترنا لما نكتب طريـق الرمز نسـتغنى به عن الكلمة الصريحـة التى حرمتها الديكتاتورية والحكم الفرد . وقلنا وفهم النـاس ما نقول فكان الرمز أعظم بيانا من التصريح ، وكان أشد نفاذا من القول المباشر . ولم تختف الكلمة الشريفة حين الجبروت يسد أقطار الحياة . ويغلق على الانسانية منافذ الوجود .

٢٤٥

واليوم تشهد مصر فى عهد حسنى مبارك ما لم تشهده من الحرية فى أى عهد من عهود الحكم فى مصر . لا أسـتثنى فى ذلك ما قرأنـاه وسمعناه عن ابنائنا واجدادنا من تاريخ ، أو ما شهدناه معايشة وعيانا ومشاركة .

فكيف اذن يسوغ أن نسكت وعلى أطراف اللســان ما عليه من قول يكاد القلب ينفجر به غيظا وحزنا وخذلانا واخلاف ظن وبعدا عن التوقع وعلى سن القلم كلمات تتجمد ولا تستطيع أن ترتسم حروفا كما تعودت أن ترتسم على مدى أربعين عاما وتزيد ·

كيف ونحن فى أعظم العهود حرية يملك الوجوم أقلامنـا ونفوسنا وألسنتنا ·

واذا لم نجم فماذا نقول ·

واذا لم نصمت فكيف نقول ·

حديثنا اليوم وجوم وصمت ·

وأقلامنا اليوم جفاف وأطراق وحزن ·

اليوم لا يصلح الرمز طريقا لأقلامنا ·

واليوم لا سبيل للكلمة الشريفـة أن تجد منفذا الى الحياة ماتت الكلمات على الألسنة ·· ووئدت الألفاظ على أسنة الأقلام ·

حتى ما نستطيع أن نصرح فيم الحزن منا والاطراق والأسى والوجوم وحتى لم نعد نملك حتى الاشارة المبهمة ·

ومن يقرأ حديثى اليوم من الكتاب الاشراف يدرك عمق الكارثة التى أشعر بها · فالكتاب الشرفاء يعلمون حق العلم مدى الشقاء الذى ينوء به الكاتب اذا ألجم الكلمة ووأد الحق وسكت لا قهرا من حاكم وانما لأن الكلمة التى يريد أن يقولها لا تستطيع أن تكون معلنـة للنـاس مشهورة المكافة ·

فصمتا اذن الى أن يأذن الله لجرح أن يندمل ولنفس أن تطيب ووجوما اذن الى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا · وحسبنا الله ونعم الوكيل ؟

الأهرام ١٩٨٧/١٠/٢٨

الـرجال ثروة مصر

اذا اختال علينا ذو مال وصاحب غنى بماله وغناه فاننا نحن المصريين نباهى بثروة لايستطيع أن يباهى بها الا القليل النادر من الدول والجماعات٠"

رجالنـــا على مدى التاريخ هم الكنز الذى لايفنى وهم القمم التى لا مثيل لرفعتها وسموقها ٠

لنا في ميادين السياسة الرجال الكبار كتبوا تاريخ مصر وعـرفه التاريخ باسمهم وأذكر ثورة ١٩١٩ وأذكر رجالهـــا كل رجل منهم أمة فى ذاته ٠

وأذكر جهادنا ضد المحتل ووقفتنـــا نصـــد عتوه وجبروته حتى لتعتبرنا الهند مثلا أعلى لها ٠

ولنا فى ساحة الدين الأئمة الهداة ٠ ولنا الأزهر الشريف يرسل اشعاعه المبارك الى كل مسلم فى أنحاء العالم ٠

ولنـــا فى ميادين العــلم الأئمـــة وحسبنا ما قال شـوقى يكرم د ٠ على باشنا ابراهيم ٠

ابتغــوا ناصـــية الشمس مكانا
وخذوا القمـــة علما وبيـــانا

واطلبــــوا بالعبقــريات المدى
ليس كل الخيل يشهدن الرهانا

ابعثوها سابقـــــات نجبـــــا
تملأ المضـــمار معنى وعيـــانا

وثبـوا : للعز مــن شهوتهـــا
وخذوا المجد عنيــانا فعنيانا

ولنا في دنيا الأدب والثقافة المنارات الشامخة • كان الأدب في القرن الماضي لعبا باللفظ فهو لهو ومهارة حواة • فاذا جيل العباقرة يظهر في الوجود يقود كوكبته في الشعر أحمد شوقي من بعد ارهاصات من محمود سامي البارودي ويكن واسماعيل صبري •

ويشرق شوقي أعظم شاعر عرفته العربية في تاريخها كله وخلفه يقف حافظ ابراهيم وخليل مطران وتتوالى المواكب محرم ونسيم وعلى محمود طه وابراهيم ناجي ويعيد عزيز أباظة أمجاد شوقي في المسرح الشعري الذي لم يعرفه العالم العربي الا من هنا •

ويقود كوكبه الرعيل العملاق الباذخ طه حسين • ونحن في ذكراه في هذه الأيام ويسير الموكب الفذ الذي لم يشهد جيل له مثيلا د • محمد حسين هيكل والعقاد وأحمد أمين وتوفيق الحكيم والمازني وتيمور والزيات وزكي مبارك • وأحمد زكي • وزكي نجيب محمود واذا الأدب العربي الذي عرف المسرح الشعري على موسيقى شوقي يعرف من هؤلاء الرواية والقصة القصيرة والمسرح الانساني العظيم •

ويتخرج الأدب العربي الحديث على يدي عميده د • طه حسين وعلى أيدي أساتذة الأدب من جيله السابق •

وتتوالى أجيال المبدعين وقد لقفوا الرايات من أساتذتهم وتبقى مصر وقد زال عنها المال المصنوع هي أغنى الناس في الرجال وفي البشر •

وتتعلم الأجيال من هؤلاء أن الأديب شجرة ضخمة وليست ظلا لأحد وانما هي التي تمد الناس بالظلال •

وان الكاتب قيمه في ذاته لايحتاج الى قيمة أخرى من خارجه • ويثبت في الأذهان أن الانسان يستطيع أن يعين الحكام والأمراء ولكن الكاتب لايكون الا بأمر الله وحده في علياء سمائه •

ان الكاتب كلمة من كلمات الله وهكذا فالكاتب كلمة والكلمة عرض • فاذا أباح الكاتب كلمته للبيع والشراء في أسواق النخاسة فقد أباح عرضه وسقط عن مكانته ، وأصبح عند الناس بقية من شيء بلا قيمة بعد ان كان عندهم أسمى من انسان •

لقد أشرق طه حسين في سماء الأدب العربى أجمع نورا يبهر العالم كله ، وان كان هو لايرى الى النور المادى فقد كانت فى داخله شلالات من ضياء وبهذا رفع رأسه عاليا وجعل من صاحب الكلمة صاحب جلالة وما أعظم خليل مطران وهو يقول عن البارودى وكأنى به ينظر الى طه حسين ٠

اذا وسع الكون فكر امرىء
فلا بأس بالطرف أن يحسرا
على الشمس ان تهدى المبصرين
وليس على الشمس أن تبصرا

لقد نشأنا نحن في ظلال هذه الغابة المعطاء ٠ وعرفنا أن قيمة الكاتب أعظم من أية قيمة ٠ فكل سلطان الى زوال الا سلطان الكلمة ٠ اختارها الله جل علاه لتكون معجزته الخالدة على الأرض ، وحسبها ذاك مجدا ٠

وفى الغابة تنبت حشائش تدوسها الأقدام وتسقط أوراق جافة حطمها الذبول وتتداولها الأرجل ، وفيها أيضا نباتات متسلقة لا تصلح الا بغيرها ولكن الأشجار العالية تظل شماء أصلها ثابت وفرعها في السماء ٠

الأهرام ١٩٨٧/١١/١

الكلمـــة « ضـــمير »

حين يأذن الله لواحد من عباده ان يكون كاتبا يقضى ان يلقى هذا الكاتب فى حياته عناء أى عناء · ولكنه أيضا يلقى فى حياته هناء أى هناء ·

فالكاتب يشقى بالفكرة حين تومض في ذهنه وتظل به ويظـــل بها يجذبها وتجذبه ويقلبها وتلهبه ويدفعها حينا فتلاحقه أو تروغ منه فيغريها فهو فى أمواج متلاطمة تعلو به حينا وحينا تهبط وتغرقه ساعات أو تطفو به وهو فى دفاع التيار لا يملك من نفسه أمرا · وملاك الأمر جميعه فى يديه ·

وويل له أى ويل اذا كانت الفكرة الوامضة موضوع رواية أو قصة أو مسرحية فكل لون من هذه الألوان يحتاج الى تركيب خاص · وبعد ذلك كل رواية لها مداخلها الخاصة بها وتناولها الذى لا يصلح لغيرها · وكذلك الأمـــر فى القصة القصيرة أو المسرحية وما يصلح لواحدة من الروايات أو القصة أو المسرحية قد لا يصلح لغيرها · وما تتبلور به واحـــدة قد يطمس أخـــرى ·

أما الهناء فيلتقى به الكاتب حين ينتهى من عمـــل ويحس انه صنع شيئا تسرى فى أوصاله الحياة ·

وبين الفكرة وهى بداية · والرواية وهى رواية أهوال وأهوال · وصنوف من العذاب والسعادة وألوان من الحزن والفـــرح · ودروب من الحيرة والهدى · ومن الضياع والوصول الى المرفأ · ومن الشد والجذب · ومن الاقبال فى تحمس والنفور فى رفض ·

أما اذا وصلنا الى ميدان المقـــال فأهوال أخرى · أما الأفكار ففى مألوف الحياة وفى مسراها اذا أليلت وسيرها اذا أشرق بها نهار ·

والكلام ــ بطبيعة الحال ــ عن المقالة · غير الجامعية التى تشـــمل بحثا أو دراسة · فان الجهد فى هذا اللون من المقالات من نوع آخر ·

وانما الحديث عن المقالة المرسلة مثل هذه التى ابتليت أنا بهـــا • فما أنا بأستاذ فى الجامعة حتى أكتب مقالة بحث أو دراسة وانما أكتب مقالة رأى •

ولم يجمع الناس على رأى قط منذ بدء الخليقة وما أظنهم سيجمعون على رأى حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

وقد أخذت نفسى منذ بدأت كتابة المقالة منذ نيف وأربعين عاما أن أكتب رأيى أنا • ولا أنظر الى ارضاء أحد أو جماعة أو اغضاب آخر أو آخرين •

هذه كلمتى وليكن رأيك أنت ما يكون •

فهيهات هيهات ان ترضى الناس جميعا وفيهم الذكى والغبى والمخلص والخائن والصغير والكبير والشريف واللص والصريح والمنـــافق والمتزن والمخلوط •

وهكذا جعلت قبلتى ربى وضميرى •

وربى هو عالم الغيب والشهادة وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور •

وأنا أدرى ان ضميرى واحد لم يتغير ولم يتلون ولم يتخذ له صبغا ليرانى الناس أو يداجى آدميا على وجه الأرض •

وضـــميرى هذا يصاحبنى فى نومى ويقظتى وفى غدوى ورواحى عنيف بى غاية العنف لا ذو رحمة هو ولا غفور ولا يترك لى لحظة من حياتى أرتاح فيها منه •

فليس أمامى من سبيل الا ان أرضيه •

ولايزال يلح بى فى اصرار •• قل كلمتك ولا تتركها بل قف الى جانبها ولا ضير عليك مما يلحق بك • فانه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فعلى الله توكل وليكن ما يكون •

واننى حين أمدح أعلم أنهم قائلون عنى انى منافق وان كانوا يعلمون اننى أبعد ما أكون عن النفاق • ولكن الذى يكتم الشـــهادة هو المنافق • سواء كانت الشهادة مديحا أم ذما • فالذى يكتم شهادة المديح ينافق الناس الذين سيقولون عنه منافق والذى يكتم شهادة التفنيد منافق يخشى الحق• ولا أدرى أيهما شر من صاحبه •

وإذا أنا هاجمت صاحب سلطة . وسيقال عني أنني أبتغي الى البطولة سبيلا .

فلا أنا بمفلت من الذم اذا مدحت ولا أنا بناج من النقد اذا عارضت أما ربي فهو العليم .

وأما ضميري فهو وحده من يعنيني بعد الله . ولو عرف الناس ما معنى ان يكون الانسان كاتبا صادقا مع ربه ونفسه لما زاغت قلوبهم ولأدركوا انه ليس في العالم لقب يسمو الى لقب كاتب .

ورحم الله العقاد حين قال :

أغنى البرية عن حلى لقب

من كان يشرف باسمه فردا

وما أحسبه ـ بقيت ذكراه ـ الا كان يعني نفسه بهذا البيت وكل من سار على دربه من صدق مع الضمير الذى لايبتغيا الا ان يكون عند الله صادقا . ومن كان عند الله صادقا فانه عند جمهور الناس وعند كل الشرفاء صادق أمين .

شقاء هي الكلمة أي شقاء ولكنها حين تصدر صادقة مؤمنة تصبح سعادة لا يعرفها الا من عرف قلبه الايمان أعمق ما يكون الايمان بالله جل علاه . وهل الحق الا اسم من أسمائه وهل العدل الا واحد من صفاته تقدست أسماؤه وتعالت صفاته .

الأهرام ١٩٨٧/١١/٨

فمـا الدنيـا اذن؟

يستطيع أى انسان فى العالم ان يسمع الأنباء من أى مصدر لها أو يقرأ الصحيفة اليومية ويستطيع ان يرضى ويستطيع ان يغضب ما شاء له الغضب ثم يقلب شفته ويلقى الجريدة ويقول لنفسه .. لا شأن لى .. ما دام الذى أغضبه لا يدخل فى خاصة عمله ولا يعـــدو على أمر يتصل بنفسه أو بماله أو بولده ثم يضطرب بعد ذلك فى الحياة ما شاء له الاضطراب بعيدا كل البعد عن هذا الذى أغضبه فى النبأ الذى سمعه أو قرأه .

الا الكاتب فهو مسئول عن كل ما يجرى فى بلده مسئولية ينبغى ان تبتعد كل البعد عن ذاته فى حيـــاته أو ذوات أبنـــائه أو اخوته أو أهله الأقربين .

فالكاتب اذا كان شريفا ينبغى عليه وجـــوبا الا يكون قلمه سلاحه ليدافع به عن أغراضه الشخصية أو منافعه الخاصة .

فان الشعب قد عينه وكيلا عنه . ورضى قلمه مدافعـــا عن صوالحه العامة ولا يرضى القارىء منه ان يحول قلمه الى الدفاع عن حوائجه الخاصة أو تلك التى تتصل بالمقربين منه .

والكاتب الذى يتحول الى محارب عن هذه الحوائج الخاصة يسقط عند الناس ويصبح غير ذى قيمة عند القارىء وهو الشعب أو عند صاحب السلطان المتصرف فى أقدار الناس وحوائجهم .

فبما حب من الناس وثقة من القراء بقلم الكاتب وضميره يمتنع عليه ان يتاجر بحبهم هذا وبثقتهم به .

والكاتب ينال هذا الحب وتلك الثقة بالجهد الجهيد والزمن ليديد والمواقف الثابتة الصلبة لا تميـــل مع هوى أو منفعة ولا تلين مع تهديد أو ارهاب وان رصد له العتاه أسباب البطش وألوان الجبروت . والكاتب

يفقد هذه النفة نى لحظه اذا هو مال عن الطريق وصاحب السلطان بيده السيف والذهب • فان كان جبـــارا طاغية فسيفه طائع لهواه يهوى على رأس من يخالفه الرأى فى غير تدبر أو مرحمة يرفض فى شـأنه الشفاعة ويأبى كل الآباء ان يستمع الى رجاء بعفو أو سعى بعفران •

ولهذا كره الطغاة الكتاب الأحرار واصطنعوا لانفسهم الأقلام التى لا يملك أصحابها من أمرها شيئا الا ان يحركوها على الورق ناظرين فى كل حرف يخطونه الى سيف الطاغية وذهبه •

ولكن الطغاة يموتون • والكلمة تبقى • وتظل خزيا للكاتب على مدى الأجيال واذا شاء الله وعاش الكاتب بعد الطاغية تظـل الكلمات المرائية المنافقة الكاذبة تلحق بالكاتب ما طالت به الحياة ثم هى لاحقة به بعد ان يعبر الحياة وينقضى منه الجسد ولم يبق منه الا الذكرى وقد لطخها نفاقه بالقذر الأبدى •

ومن الكتاب من تعود الا يعيش الا فى ظل الطغاة يداہجهم بالمديح وان سفل وبالتعظيم وان حقر يرجو فيض نائلهـــم أو يتقى تقطيبــه فى وجوههم •

وهؤلاء الكتاب لا يستطيعون العيش فى ظـل حاكم شريف لا ينزل سخطه بكاتب ولا يقصف بغضبه قلما •

وهذا هو محمد حسنى مبارك ما سمعنا يوما انه عصف بكاتب ان غضب عليه • والمؤيدون والمعارضون عنده سواء • ولكن قد يصلح الحاكم ولا يصلح الكاتب ما دام هذا الكاتب قد نشأ وربى وشب هينا على نفسه وعلى الناس • ومن لا يكرم نفسه هيهات هيهات ان يكرمه رئيس أو مرؤوس •

وأعرف من هؤلاء النفر من الكتاب بعضا لا يكتبون الا لينعشـــوا أموالهم أو ليفجروا حول أسمائهم ضجيج الشهرة اشبه ما يكون بلعب الأطفال التى تخرج أصواتا تملأ السمع ثم لا تصيب من الناس بعد ذلك الا السخرية المريرة مليئة بالاحتقار والزراية والهوان •

وهؤلاء النفر لا يتصورون ان يكتب كاتب رأيا الا سعيا وراء منفعة تتمثل فى أذهانهم العفنة مالا أو منصـــبا أو جاها • ولا يمر باخيلتهـم المريضة الضامرة ان هناك شرفاء يكتبون ما يكتبون لأنهم شرفاء • فالشرف

معنى بعيد كل البعد عن كاتب يلهث لهاث الكلب وراء مال دنس أو شهرة زائفــــة ٠

والكتاب الشرفاء اذا تحسبوا آراء هؤلاء الساقطين حبسوا كلمتهم خشية ما قد يكتبه عنهم هؤلا اللاهثون ٠

ولكن الكلمة أمانة والكاتب يحمل هذه الأمانة ويعلم مدى ثقلهـــا ويدرى كل الدراية ما هو ملاقيه عند غير الشرفاء ٠ فان جعله هؤلاء يميل عن القول الى الصمت فقد نجحوا ان يجعلوه يروغ عن الحق الى الهوى ٠ وهان هؤلاء ان يجعلوا كاتبا شريفا يميل عن الحق الى الهوى فان الحق هو الكاتب واذا تخلى عنه ايثارا الى الدعة وطلبا للعافية فانه بذلك يخون الأمانة ٠ ويتيح للعبيد ان يخلو لهم الميدان وتصبح الحياة غير جديرة بأن تعاش ٠

فما قيمة الحياة ان تمكن المغرضون ان يسكتوا الاتقياء وما الدنيا ان استطاع الملوثون ان يفرضوا الصمت على الاتقياء ٠ ولماذا يعيش الكاتب اذا لم يستطع ان يصيح بأعلى صوت له مال الميزان حين يميـــل الميزان ٠ وحطمت القيم اذا انحطمت القيم ٠ ولماذا يحمل قلمه اذا لم يدع به الى الشرف والخلق الاسنى وطهارة الذيل ٠

وما وجوده اذا هو لم يكن صوتا متصلا بالسماء يمجد ما يرضى الله عنه ويمحق بسن قلمه ما يغضب الله ورسوله والمؤمنين ٠

ان الكتاب الشرفاء هم ظل الأنبياء فى الأرض ٠ ولو ان محمدا عليه أزكى الصلاة والسلام خاف المشركين ما انتشر الاسلام فى ربوع العالمين لقد عرضوا عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الملك فسخر منهم وصاح بهم بل ان الشمس اذا أمسكتها بيمينى والقمر ان استقر بشمالى عاجزان كلاهما ان يغريانى عن الدعوة الى الله العلى القدير ٠

وبما ايمانه أبلغ رسالة الرحمن بالحق كلمات خالدات على الزمان الحلال فيها بين والحرام فيها بين ٠ فهى الفرقان وهى القرآن وهى الاسلام دين الهداية والطهر ، والشرف والنقاء ٠

١٩٨٧/١١/١٥ الأهرام

طفـــولة الرجـــال

ماذا أصاب العصر • وما للرجـــال أصبحوا أطفالا • وما للأطفال لم يصبحوا أطفالا • ماذا أصاب العصر • وماذا دهاه حتى أصبحنا ونحن ـ بعد ـ لم نبـــلغ من العمر أرذله نعيش غـرباء فى عصرنا مستوحشين فى أوطاننـــا •

لم تصبح الرذيلة رذيلة • لا ولا الفضيلة أضحت فضيلة • اختلط الخير بالشر • والقمـــة بالحضيض • والبهاء بالدمامة • والســماحة بالخديعة • وتخلق الرجال بخلق النساء والأطفال فما أصبحنا ندرى هل نحن نتعامل مع رجل أم امرأة أم طفل صغير ضـــئيل الآمال منهـــار الشخصية •

حسبك فانظر بعض أصـــحاب الوظائف ذات الادارة والامارة • وحسبك فانظـــر كيف يعضون عليهـا بالنواجذ حتى لكأنهم أطفال بله يمسكون بلعبة يتلهون بها • وانظـــر كيف تتمثل الوظيفة الكبرى ذات المسئوليات الجسام فى ذهن القائم عليها •• وحقك ليست عنده الا تحية الساعى ومركب السيارة واحترام السائق أما جذور الوظيفـــة ولبهـا • واما صوالح الناس وأعمالهم • فاخـــر ما يفكر فيـه هذا البعض التافه الكبير الصغير • الشيخ الطفل • العجوز الصبى •

أين الرجال • وماذا دهاهم •• وماذا أصاب الرجولة فيهم •

وما الذى زلزل أركان الجد فى نفوسهم •• فقلبهم أطفالا يلهون •

رأينا والعهد قريب محمود محمد محمود رئيس ديـوان المحاســبة يقدم تقريره الى مجلس النواب رافضا ان ينال كريم ثابت خمسة آلاف جنيه بغير وجه حق من أموال مستشفى المواساة لا سند له فى نيلهـــا الا أمر صادر من الملك ويصيح محمود محمد محمود ـ أطال الله عمره ـ لا ، ليس هذا من حق كريم ثابت ولا من حق الملك • انها أمـوال دولة • ويزلزل أركان المجالس التشريعية • ويسعى اليه من يسعى • ان الملك يريد ان يمنحه رتبـة الباشوية فيقول في غير جلبة وفي غير تظـاهر بالبطولة :

شكرا له · ولكن هذا لا شأن له بالآلاف الخمسة · ويصر وهو يعلم كل العلم ان اصراره معناه ان يترك كرسـيه وقد كان كرسى وزير فى ذلك الزمان وحين أبى المسئولون ان يستجيبوا لما طالبهم به قدم اسـتقالته فى تواضع شديد وفى غير جلبة ولا ضجة ولا صياح ·

ووقف مصطفى مرعى يزلزل أركان مجلس الشيوخ باستجوابه عن الأسلحة الفاسدة والاستجواب موجه الى الوزارة فى شـكله ولكنه نافذ كالسهم الى العرش والجالس عليه واللائذين به والدائرين حول فتاته ·

ورأينا مصطفى مرعى نفسه حين لم يرض عن تعبير قاله رئيس الوزراء الذى يعمل معه يقدم استقالته الشـهيرة المضيئة فى التاريخ السـياسى والانسانى · ورأيناه نفسه يضرب عرش الملك باسـتجوابه عن اليخت فخر البحـار قائلا ان كان هذا اليخت ملكا للدولة فعلى الدولة ان تصلحه على الا يستعمله الملك · واذا كان اليخت ملكا لصاحب العرش فعليه ان يصلحه وله من بعد ان يستعمله · وكان أجر الاصـلاح نصف مليـون من الجنيهـات ·

ورأينا يومذاك بدايات العصر الأنكد الذى يحيط بنا صغاره وهوانه وبلواه ورأينا حكومة ذلك الزمان تطيح بأكثر من عشرين شيخا من مجلس الشيوخ متسترة خلف الدستور فاذا بالستر يفضحها ويتأبى ان ينصاع لشهوات الحكومة وسيدها الملك فى ذلك الحين ·· ومن بين هؤلاء الشيوخ رئيس المجلس القطب الأدبى والسياسى العتيد د · محمـد حسين هيكل باشا · ومن بينهم أيضا مصطفى مرعى ·

ورأينا قبـل هذا جميعه الموظفين المصريين فى ثـورة ١٩ يتجمعون فى حلف خطير · والمحتل يومذاك أسد هصور ضار لا تغيب الشمس عن دول امبراطوريته · ولكن أبناء مصر يزأرون فيرتجف الأسد ويبدأ الموظفون بالاضراب عن العمل ثم يبدأ أحدهم بالاستقالة بعد أن دوخ المحتل بتحقيقات تظل حتى اليوم منارة مشرقة فى تاريخ التضحية والفداء وشجاعة النفس · وتتوالى بعد ذلك الاستقالات من الموظفين المصريين وتزلزل استقالاتهم أركان الامبراطورية زلزالا مروعا ·

ونعود ــ والحسرة تعتصرنا ــ الى عصرنا هذا · أليس رجال اليوم هم أبناء رجال الأمس ·· فما لرجال الأمس كانوا منارات ومالهم كانوا رموز شرف وأصالة وشموخ ؟ وما لرجال عصرنا تنماع رجولتهم حتى

ما ندرى من أى الجنسين هم • وحتى ما ندرى أرجـــال هم بلغوا الرشد منهم أم هم ما زالوا أطفالا صغارا يلهون والدنيا من حولهم تجد وتكشر عن أنياب لها قاسية شرسة •

اننا اليوم فى حرب مع أنفسنا وهى أشـد ضراوة من الحرب التى خاضها آباؤنا مع المحتلين •

نحن فى حرب طاحنة مع ضعف الانتاج ومع اللصوص ومع السفاحين ومع ادعياء الدين ومع الملحدين ومع الارهابيين ومع تجـــار السموم ومع المتاجرين بأقدار الدولة ومصائرها • ومع المستفيدين بحرية الديمقراطية والمنتفعين بأيام الطغيان والجبروت •

حروب لا نهاية لها وليست حربا واحدة •

وأرى بعض الرجال ـ ولا أقول جمعيهم ـ يحاولون الهرب من واجبهم وأرى بعضا آخرين ـ ولا أقول جميعهم ـ يستمسكون بمناصـــبهم حتى ولو كانوا قد بلغوا المعاش وان لهم ان يتيحوا الفرصة للقادمين بعدهم •

وأرى من أحسبه رجـــلا يخون الأمانة ويفشى ما تستودعه من سر ويضرب فى تيـــه الجبن المرتعـد الهزيل ويبيع الشرف بالذلة والكرامة بالهـــوان •

وأرى ـ فيما ارى ـ الشباب غير جاد هو ولا هو حازم •

منه ـ ولا أقول كله ـ من يتخذ ملبس النساء وحليهن • أو يتخلق بخلق الطفل فى تفاهته وضمور عقله أو منه ـ ولا أقول كله ـ من يتنكر وراء اللحى مدعيا الدين والدين منه براء • أو منه ولا أقول كله اذا أراد أن يختار فآخر الملبس جعل ملبسه الجيش الأزرق الحقير الذى لا يصلح ان يكون خرقة لتنظيف الآلات • ما هؤلاء ولا أقول من هؤلاء فقد تعلمنا ان لفظة من لا تقال الا للعاقل • أو عقلاء هؤلاء أو ينتسب أولئك الى أبناء البشر هيهـــات •

أى عصر هذا الذى كتب علينا ان نعيش فيه • غـربـاء نحن نعيش وما أعظم الوحشة التى يحس بهـــا الغـريب وويل لنـــا كل الويل اذا استوحشت بنا الغربة ونحن بين ربوع وطننا الذى نشقنا عبيره منذ نحن

فى المهد ومن ذراته اكتملت جسومنا · ومن أمواهه جرت دماؤنا · وفى ترابه ثوى آباؤنا وأجدادنا ·

فاذا شعرنا هنا اننـــا غرباء فأين بنا المرفأ وأين لنا الملاذ أم نحن غرباء على الزمان · فأى قبلة نوليها · وأى زمان نرتجيه ·

اللهم يا الله ياذا العرش والملكوت · اليك وحـــدك الوجهة والى ساحتك القدسية المهرب والملاذ · سبحانك تعاليت لا اله الا أنت فانك بارىء النفوس فالهمها الرضا يارب العالمين أو الهمها الرشاد أو فاطو بنا الحياة لنلقى وجها لا يخيب عنده رجاء · ولا يرتد عنه قاصد يفنى كل حى ويبقى هو الى ما بعد الأزل ذا الاجلال والاكرام ·

الأهرام ١٩٨٧/١١/٢٩

التطهير لا التشهير

ماذا أصاب الزمان . أين ذهب المجتمع المصرى . ما شـــأنه . ماذا يشغله عن نفسه . ما الذى جعل الأفراد كانهم فى يوم الحشر يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ومن صاحبته وبنيه ، فيمسى لكل انسان شأن يغنيه . أنكون على مشارف الساعة ونحن لاندرى . أيكون الزمن قد بلغ المنتهى . ووافت منيته . وانقضت أيامه ؟! .

والا فما هذا الذى يطالعنا من جماعة الناس . مالهم وقد أصبحوا بغير رباط يجمعهم . ولا رأى ينتهون اليه . المحسن منهم يحسن الى نفسه . والمسىء منهم يسىء الى ناسه جميعا . وماذا عليه ان يمضى فى سوئه مادام المجتمع لايصيح به حسبك فقف .. اسأت فارجع ومال بك الطريق فعد . وجمح بك المركب . وعاج بك الدرب . وانفلت بك الزمام . فاســـتقم أو تريث . أو أخرج من جماعتنا مذموما مدحورا ملعونا . ابليس أنت وما نرضى فى مجتمعنا ابليسا .

المحسن لايفكر ان يحسن الى الناس مهما يكن فى فيض من النعم ، وفى وفرة من الغنى ، وفى سعة غاية السعة من الأمر . يثير حوله الأحقاد ولا يحاول ان يكسر حدة الحسد بأية العطاء ولايفكر ان يعين من خاصته الأقربين ما يرد عنهم كيد زمن ، أو شدة أيام ، أو مسيس حاجة . يلهو اللاهى منهم بالمال فى أرض العاهرات وفى نقيع الخمر . وفى مساحيق الخدر . وفى دخانه . ولايمر ببـــاله أقارب يطحنهم الزمان وتمخضهم الأيام وتضرب بهم الأرض فى مذلة الجوع وفى هوان العرى .

وأرى الى هذا العربيد المافون فى زحـــام الناس . فأجد المجتمع يفسح له كل تكريم واجلال واكبار .

أين جزاء المجتمع . كان هناك زمان يخشى السارق فيه ان يسرق حتى لايحتقره المجتمع الذى يعيش فيه ويحـــاذر فيه الانسان ان تشيع عنه الرذيلة أو يشتهر أمره بين الناس بالمجون والعربدة حتى يبقى على احترام الناس له .

فما لهم اليوم يتيهون فخرا انهم لصوص · ويملأهم الزهو انهم فجرة ويشرفون غاية الشرف انهم عرابيد خمر ومساحيق يبتلعونها أو يشمونها أو يدخنون ·

لقد أصبح المجتمع أبعد ما يكون عن توقيع الجزاء · وأصبح يغدق بفضله على من ينبغى أن ينبذهم نبذ الهواة · ويقصيهم عن احترامه ويلقى عليهم احتقاره وتقززه ·

ان المحاكم لاتستطيع وحدها ان تقوم بشأن المجتمع · وكم من جرائم يرتكبها الانسان ولاتجريم لها فى قانون العقوبات ·

الثرى الذى ينفق ماله على المظاهر الحقيرة التافهة ويترك الفقراء حوله لايعين معوذهم ولايرد الجوع عنهم ولايكسر معوزهم أشواك الحياة · غير مجرم فى مواد القانون · ولو كان المجتمع واعيا مدركا لحقه بل لواجبه · لاعتبر فعله جرما يستحق تشديد العقوبة الاجتماعية مادامت العقوبة القانونية قد انثنت عنه ·

ولكن المجتمع يحترمه ويجله ويوقره · لقد أصبح المجتمع عبدا ذليلا للمال · وللمال وحده ·

هذه الأموال المنهمرة فى أسواق الجوارى وفى شراء المخدرات ينفقها أصحابها وهم يعلمون كل العلم انها أموال ذاهبة الى تجار لن يدفعوا عنها أى ضريبة · وكيف لها ان تكون ذات ضريبة وصفقاتها تعقد فى أستار الظلام الدامس وفى كهوف معتمة أبعد ماتكون عن ضوء الشرف أو مشروعية السبب ·

هذه الأموال لو أنفقت فى سداد ديون مصر لتم السداد فى لحظة من الزمن · ولكن أصحاب هذه الأموال انتهبوها من دماء بشر وهيهات لشارب الدماء ان يفكر فى أمر وطن ·

فليلق بماله اذن فى متاهات الدعارة وفيما يقضى على كيانه المادى فانه أصلا بغير كيان آدمى · وليمتع هذا المال الذى يقتل به نفسه أن يحيى به وطنا أواه ورعاه ومد له أسباب الثروة ومناهل الغنى ·

كيف لحقير مثله ان يفكر فى شأن وطنه ؟! ··

.. لو ان المجتمع حطم أنفه ورفض أن يكون مشـــه فى نسيجه ومزق ما يصله به • لعاد صواب وارتد الى بعض عقل أو بعض حياء •

ولكن المجتمع لم يعد يوقع عقابه على أحد يرحب بالغنى مهما تكن أسباب غناه •• ويرحب بالموفور حتى وان كان يرمى بماله فى أســــــفل ما يستوعبه مال •

أرى هؤلاء الأثرياء السفلة فى كل دعوة • يتصدرون الأفراح ويسدون أقطار المجتمع جالسين فى المقدمة • ودائما فى المقدمة • والنقابات • وهى المجتمعات الصغرى • لاتتخذ أى اجراء ضد أولئك الذين ارتموا فى حماة الرذيلة وفى مهاوى العفن • بل والعن من ذلك ــ أرى بعض الناس تصدر عليهم من القضاء وهو القضاء أحكام • ثم أنظر فأرى اعلام الرسمى يوسع لهم فى جنباته ويرحب بهم فى شاشاته وصحفه واذاعاته •

وأرى فيم أرى من أصبح بعيد الصيت فى غير الشرف ومن علا شأنه فى دنيا الخمور والفجور يتصدر موائد الاجلال والاكبار والتوقير •

هل أصبح المجتمع بلا خلق هو أيضـــا • هل أصبح المجتمع مخمورا مخدورا متاجرا فى أسواق الرقيق • اذن فواضيعتا للحياة • لاسبيل لنا ان نطلب الطريق الشريف اذا لم يرسم المجتمع هذا الطريق • والمجتمع يبدأ بالاعلام وماكنا لنطالب الاعلام بالتشهير وانما نطالبه فقط بالتطهير • فليبعد عن ساحاته كل عربيد ذاع اســـمه فى ميـــدان المهانة البعيد عن الشرف • فان البوهيمى العربيد لايحترم الناس ولا يعبأ برأى المجمـــوع فيه • فليس أقل من ان يرفض المجتمع ان يحترمه • ولا أقل من ان نطالب المجتمع الا يعبأ به فهو فرد والمجتمع أمة •

ولا صـــلاح لمجتمع أو لأمة ان لم يرفع الاعـــلام فيها شأن الشريف ويرفض أن يمجد المناكيد العاربيد الذين باعـــوا كرامتهم فى أسواق العبيد • فكل من غلبت عليه أخلاق الحيوان عبد لشهواته • وكل من تناول المخدر أعلن على الناس أنه يبيع وعيه بالغيبوبة ويبيع عقله لأنه عنه فى غنى وانسان بغير عقل شر من الحيوان فالانسان كان ذا عقل واختار ان يتنازل عنه أما الحيوان فقد فرض عليه البارىء المصور الخالق ان يكون بغير عقل فلا لوم عليه ولا تثريب •

اننا لا نطلب الا الطهارة فيمن تتصـــدر أســـماؤهم آفاق الاعــلام والمجتمعات ٠

ولا نطلب الا أن ينـــال المجتمع حقــه ممن أتاح له المكانة من الغنى أو الجاه أو السلطان ٠ وحق المجتمع أن يكون نجومه شرفاء يعرفون واجبهم ماداموا قد نالوا حقوقهم أو انتهبوها فان الله سبحانه لايدخل فى رحمته من زين لهم سوء أعمالهم وهو رجل علاه لا يهدى القوى الكافرين ٠

الأهرام ١٩٨٧/١٢/١٣

بين الهدف والطريق

لابد من هدف لكل انسان • أو ينبغي ان يكون لكل انسان هدف • ولكن يبدو ان هذه القاعدة تبددت اليوم • فالشباب بعد ان يحصل على شهادته ينقطع ما بينه وبين الهدف فى الحياة فيصبح هباءة فى أجواء الحياة تتقاذفها الرغبات المفاجئة وتلتقطها الأيدى المغرضة وتجعلها تسير وفقا للأهواء والمطامع الخاصة والشهوات الملتاثة والأفات النفسية القاتلة • وربما كان انعدام الهدف مبتدئا مع الشباب منذ هو حاصل على شهادة الثانوية ويسعى سعيه للانتساب الى الجامعة • فقد يكون من الذين يرجون ان يصبحوا من حملة شهادة الثانوية أو شهادة التجارة أو شهادة الزراعة أو شهادة العلوم ولكنــه يجد نفسه نهبا لما تلقى اليه به التنسيقات الحكومية فيوطد نفسه الا يجعل لنفسه هدفا ولا غاية ، ويصبح بعد ذلك نهبا لكل ما يريده الآخرون اه • وقد تنتاشه الجماعات الضالة أو تتكالب عليه براثن من الشيوعيين آو تستولى عليه قوى خارجيـة مجنـونة ذات ثـراء •

ولكن حديثى اليوم عن أولئك الذين نجوا من هذا البلاء • وأصبح لهم فى الحياة هدف يسعون اليه ويحثون له الخطى •

وقد يكون الهدف واضحا جليا • وقد يكون شريفا • فلا بأس ان يطلب الانسان الغنى • فالغنى قدرة وقوة ومرفأ ومنتجع وأمان وطمانينة ولابأس بالفتى ان يطلب الغنى ويسعى له سعيه وقد يكون الهـدف هو ارتفاع الذكر وعلو القدر والحصول على المكانة وقد يكون الهدف هو السلطان وتولى شئون الناس والقيـام بالأعباء الجسام • وليس طلب السلطان بالأمر الكريه فى ذاته فكل انسان يريد لنفسه أحسن المناصب وأعظم الكراسى فى دنيا الناس وهيهات هيهات ان يلم تعداد بأهـداف الناس وأحلامهم وآمالهم وما يرجونه فى يومهم لغدهم • وانما أضرب أمثلة ضئيلة لأنواع من الأهداف ليس لها نهاية ولا حصر •

وانما يشغلنى كيف يسعى الناس الى آمالهـم تلك • وأعتقد ان الطريق الى الهدف هو آهم ما يكون صورة الانسـان فى ضمائر مواطنيه

فالذى يسعى الى الغنى تتشعب أمامه الطرق وتتكاثر • قليـــل منهـــا قليل ما هو شريف نقى • وكثير منها كثير ما هو دنىء وضيع • ان اختيار الانسان لطريقه هو الانسان •

والذى يسعى الى السلطان أمامه الطرق شتى • فالكلمـــة النبيلة والتصرف الجرىء المخلص والعمل الدائب والثقافة الواسعة والسعى الكريم كلها طرق نبيلة وضيئة ينيرها هدى الســـماء ويحف بها اكبار الملائكة واعجاب الناس •

والنفاق الوضيع والدس للآخرين والوقيعة بين الرؤساء والمرؤوسين واصطناع الرشاوى بالمال وأداء الخدمات الوضيعة وامتهان الذات والقيام بأحقر الأعمال لارضاء ذوى الجاه وغير ذلك مما سمعنا عنه وما لم نسمع كل تلك الدنايا طرق وقد يلتمسها صاحب الهدف وأسمع فيما أسمع أن بعض هؤلاء كانوا يعملون قوادين فى سوق الوظائف ويقدمون النســـاء فيما يقدمون ليصعدوا على أجسادهن العفنة الى سناء الهدف • والى كرسى المكان الرفيع •

هذا الطريق الذى يختاره صاحب الهدف هو معالم الانســـان وهو ملامحه • وهو حكم الناس عليه أوله ، واحتقارهم له أو اعجابهم به بل — وأعجب معى — فى دنيا العلم والثقافة والدرجات الجامعية أسمع ان منهم •• بل ان كثيرا منهم يختار فلا يختار الا الغش والخديعـــة وسرقة أعمـــال الآخرين والانتفاع بجهد المجتهدين بغير حق والدس للزملاء والوقيعة بينهم وتأليب القوى عليهم •• مثل هذا الحقير قد يصل ، ولكنه يظل عند عارفيه آفة اجتماعية وضيعة وصلت فما وصلت الا الى احتقار الناس وامتهانهم لشـــأنه •

وبعد فما قدمت الا أمثلة للطرق وهى الأخرى لايطيقها عد ولا يحيط بها حصر بل ان السفلة يخترعون من الطرق الدنيئة مالا يخطر على بال الشريف ورحم الله الشاعر الذى وصف مجتمعه بقوله :

نشأت فى أحقـر البيئات ديدنها
خلق المعاصى التى ليست بمعروفة

وأرى بين أبناء زماننا الكثيرين • بل أرى الكثيرين جدا من الذين اختاروا طريق الدنس ليصلوا به الى أحلامهم • وقد يعجب صاحب المنطق

السليم كيف يصـــل صاحب الهدف المشروع الى هدفه عن طريق غـير مشروع · وليس في الأمر عجب · فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كادحا فملاقيـه » فكلنـــا فى الحياة نقطع طريقا الى وجه ربك ذى الاجلال والاكرام ·

طريقنا هو كتابنا يلقاه باليمين عنده سبحانه من يلقاه فهو فى عيشة راضية أو يلقاه باليسار من يلقاه فأمه هاوية · والطريق الشريف قديم والطريق الدنىء قديم · وفى بدء الخليقة أخطأ آدم وحواء ثم استقاما · وقتل قابيل أخاه هابيل ثم ندم ووارى ســوءة أخيه · وعلى مدى التاريخ نجد الواصلين لأهدافهم عن طريق الاباء والشرف والكبرياء والترفع عن الدنايا · ونجد الأغلبية العظمى تصل عن طريق الذلة والهــوان والنفاق والخنوع وانتهاز الفرص من ضعف السلطان الذى كان دائمـــا منذ بدء الخليقة بشرا من البشر وانسانا من الانسان · ويظل السؤال الاستنكارى على رءوس الناس ويطلون له خاضعين هل يستوى الطيب والخبيث أم هل تستوى الحسنات والسيئات أم هل تستوى الظلمات والنـــور هيهــات لايستويان · وشتان شتان بين الباقيات الصالحات وبين الخطايا والعدوان والميزان يوم الميزان « وما ربك بظلام للعبيد » ·

الأهرام ١٩٨٧/١٢/٢٧

سنة ١٩٨٨

فاذا وصـــل ٠٠ !

ويسعى الانسان الى الغنى فيبلغه أو يجهد الى السلطان فيناله ٠ ثم ماذا بعد ؟ ! ماذا هو فاعل بعد أن يصل الى مبتغاه ويصبح من الغنى نارا على علم ، ومن السلطان على كرسى من القمم ٠ تنشعب الطرق أمام كل منهما ويجوز لنا أن نردد مع الشاعر العظيم العوضى الوكيل بيته :

أمامـــك فانظــر أى نهجيـــك تنهـــج

طريقـــان شـــتى مســـتقيم وأعـــوج

يستطيع صاحب الغنى أن يكون انسانا شريفا يملأ الدنيـا حوله سعادة وهناء وليبدأ بأهل بيته ذاكرا الحديث النبوى الشريف خيركم ، خيركم لأهله ٠ ثم هو بماله قادر أن يفيض على المحتاج يرد عنه الحاجة وعلى من تعثر به الزمان يقيل عثرته بل هو قادر بماله أن يقيم المنشآت يعين قومه أجمعين ٠ وفى بلد مثل بلدنا يحتاج الوطن الى كل شىء والدولة لا تطيق أن تقوم الا بالقليل ٠ نحن فى حاجة الى مدارس ٠ وفى حاجة الى مستشفيات ٠ وفى حاجة الى آلات طبية حديثة غالية الثمن ينعم بها البشر فى العالم الغنى المتحضر ويشقى بغيابها أبناء آدم فى مصر ٠ ومصر على قدر من الحضارة وعلى قدر أكبر من الفقر ٠

واجتماع الحضارة والفقر كارثة فالمتحضر يعرف الأشياء الضرورية التى يحتاج اليها وعدم قدرته على اقتنائها يشعره بالهوان والمذلة ! فلو أن الغنى رد عن قومه هذا الشعور الأليم الذى يسحق انسانية الانسان ويجعلها حطاما بددا ٠ فمبارك اذن غناه محمود له ٠ وأى امرىء أعظم من هذا الذى أصاب نعمة فأشاعها بين قومه ٠ ولم يكنزها لنفسه ٠ ومن هنا لم يكن عجبا أن نشيد بالفتى العظيم المسرى الذى تبرع بأربعة ملايين جنيه لانشاء مدرسة ببلدته وهو ذو ولد ٠ وما كان أحد ليلومه لو حبس هذا المال مدعيا انه يبقيه لأبنائه ٠ ومن حق كل من يتبرع لوطنه أن ينال الاعجاب والاشادة والتقدير ٠ فكم من اعجاب واشادة وتقدير ينالها من لا يستحق فالمتبرع بالمالى أولى ٠ وهو بالاكبار أجدر ٠

وقد تسمع بعض المتنطعين يقولون أن المتبرع لا يتبرع الا هروبا من الضرائب ··· ويل لهم الا يستحون · ان التبرع للدولة عمل عظيم لا يقدح فى عظمته شيء · وقد أسمع سخفاء آخرين يقولون انه ما تبرع الا لينال حمد النـاس ومديحهم ويل لهؤلاء · أى هدف أكـرم وأسمى من أن ينال الانسان مديح الأخرين بحق · وأذكر حوارا عربيا قديما ·

قال أحدهم :

ــ والله ما أبالى مدحنى الناس أم ذموا ·

فأجابه الآخر :

ــ استرحت من حيث تعب الكرام ·

وان هذه الاجابة على بساطتها لرائعة الدلالة عميقة الأبعاد · فان الانسان لا ينال مديح الناس الا بالجهد الجهيد والبذل الشديد والعطاء المغدق من النفس والمال والصحة جميعا ·

قد يكون الغنى اذا بلغ الغنى على هذا القدر الرفيع من الانسانية والشرف · ولكن هناك الغنى الذى يجمع ملايين الملايين ولا يشعر انه بلغ ذروة الغنى ·

وهذا الذى شغله جمع المال عن احصائه مخلوق مسكين · لقد ذهب المال بعقله · وأصبح المال بالنسبة اليه سعارا وأصبح المال فى ذاته هو الغاية والنشيدة · انه لا يجمعه ليسعد به وانما يجمعه ليجمعه وحين يصبح المال فى ذاته غاية يجن صاحبه جنونا ويروح ينتهب المال غير ملتفت أن المال هو الذى ينتهبه ، يظن نفسه سيدا لماله بينما هو فى الحقيقة عبد ذليل لماله هو وللسعار الذى جعله هو ربه وركع له ركوع الذلة والهوان ·

ومن هؤلاء الأغنياء من راح ينفق أمواله على شهوات جسده فاجرا داعرا عتيا ظلوما · حياته سكر وعربدة وشهوات حقيرة · لا يرده حياء ولا يقف به بعض عقل أو أباء · ومنهم من ينفق ماله على المظاهر الفارغة الجوفاء من سيارة فارهة الى طيارة أحيانا الى مركب يسميه يختا فى الماء ويصبح التنافس هو حيـاتهم التى بهـا يحيون ولها يجـدون ويحسبون ــ وما أحقر ما يحسبون ــ أنهم بلغوا من المجد علاه ومن الرفعة المنتهى غير واعين انهم بهذا الذى يصنعون يثيرون عليهم النفوس التى تبحث عن

كسرة الخبز فلا تجدها أو عن ثوب يستر عريهم ويقيهم شدة البرد أو قيظ الحرور فلا يحصلون عليه ·

وكم تتمزق النفس حسرات أن الفئة الغالبة من أهل الغنى هم أولئك الضعاف الذين يظنون أنهم بمالهم أقوياء غير واعين ان القوة الحق هي أن يصارع الانسان صغائر نفسه فيصرعها ويرد شهواته الى العيش الهنيء المعقول في غير سرف مخجل وفي اتقاء لحق الله فيما سكب عليه من نعمة هو كافرها ومن رغد هو جاحده ·

أما الذين بلغوا السلطان فويل لهم من السلطان · منهم الكبير الذى يتصدى لكبريات الأمور دون صغائرها · متذكرا بيت المتنبى الخالد :

وتصغر في عين الكبير كبـــارها وتكبر في عين الصـــغير الصغائر

أولئك الذين يدركون أن كل سلطان زائل · وانه ما دام الكرسى لم يدم لغيره فانه لن يدوم له · وانه لولا تنقل المنصب من سلف الى خلف لما وصل اليه ·

ولكن اغلب أصحاب الكراسى لا يكادون يصلون اليه حتى ينشبوا فيه أظافر نمر وتروح أعينهم تتقلب في الجهات الأربع تبحث في ذعر مرهوب عمن سيطيح بهم عن كراسيهم · وأمثال هؤلاء يصبحون خدماً للكرسى ولمن وضعهم عليه وينصرفون عن كبريات الأمور التى ينبغى أن يصرفوا اليها هممهم وجهدهم وتفكيرهم · فتميل الموازين وتتدهور أحوال البلاد · ويصيب الناس القحط ويصبح أمرهم بورا · ويحطم أوليـــاء الأمور هذه الأمور ويدمرونها تدميرا · وكيف لا وهم لا عمل لهم الا ارضاء أفراد لا جماعات ولا عمل لهم الا أن يبقوا في كراسيهم الى أن ينتقلوا الى الواحد الديان وويل لهم كل الويل حين ينتقلون الى الواحد الديان يومئذ تعرف كل نفس ما قدمت وما أخرت وهم ما قدموا شيئا أو أخروا كل جليل كريم وهم عدوا وما عدلوا ، ومالوا وما استقاموا ، وهانوا وما تابوا ، وذلوا فما كبروا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٨/١/٣

الحـــق كلمـــة

ويقول قائل انك منذ شهور تطالع القراء بوجه متجهم ، وقلم متشائم، ونفس مظلمة ، وروح غاضبة ، ويقول القائل : والذى نعرفه ان الكاتب وجه مشرق متفائل ونفس مضيئة وروح شفافة بالنور ٠

ويل للشجى من الخلى ٠ انما الكاتب كلمة وطنه وتعبيره ودعاؤه وصيحته وليس على الكاتب بأس ان تضيق نفسه بالآمال الكبار لوطنه والتى يعلقها الشعب بحاكميه ٠

ولا عليه اذا هو ضاقت نفسه حين يرى بعض القائمين بشأن الأمور الجسام يتركون العظائم للصغائر ، ويميلون عن كبريات المشكلات ليهتموا بتوافه الأشياء ٠ وكيف لا نغضب حين نرى الكتاب يكتبون والأراء تتزاحم على أبواب الوزارات ونجد الوزير يبحث عن مظاهر هينة ضئيلة ؟ وكيف لا نغضب حين يتكلم الشعب فى حاضره ومستقبله ويطالب كتابه بالبيان أو الرأى أو الحقائق فاذا الوزارات تغضى عن أقوال الكتاب وكأنهم ما قالوا وما طالبوا وما سألوا وما استفسروا أو استبينوا ؟ ٠

وكيف لا تتولى نفوسنا القتامة حين نجد كثيرا من الوزراء بعيدين عن الشعب غاية البعد وكأنهم فى صحراء جرداء يسكنها الفراغ ويعمرها الهواء ٠

وكيف تضىء أرواحنا ونحن نرى بعض الوزراء يتكلمون الى الشعب وكأنهم متفضلون بالحديث غير مدركين أى شرف ينالون حين يتكلمون الى الشعب الذى هو مصدر السلطات والذى أتى بهم الى كراسيهم ٠

وكيف نتفـــاءل اذا رأينـــا بعض الوزراء وقد تســـمرت عيـــونهم الى أعلى لا يحاولون مطلقا أن يصرفوها الى ما يعانيه الشعب وما يشغل ناس مصر من أمور مصر ٠

الكاتب هو هذا الشعب · وهو روحه · والكاتب يقول في غير تفاؤل وفي غير تشاؤم · وانما يقول الحق الذى يراه والذى يثق به ضميره فما هو بقارىء طوالع حتى يميل الى تفاؤل أو تشاؤم وانما هو قارىء لنفوس البشر الذين يعيش معهم ثم هو بعد ذلك قلمهم وصيحتهم · جزء نابض هو منهم ان صمتوا قال وان حزبهم اليأس جاهد هو فى اصرار ، وما جهاده الا كلمة وما الكلمة بالشيء القليل ·

فالأديان قامت على الكلمة · والكلمة هى التى اختارها الله لتكون معجزة سيد الأنبياء الخالدة على وجه الزمن حتى يرث الله الأرض جميعا ومن عليها ·

وحين سلط الطغاة أسلحتهم على مصر · منعوا الكلمة فابت أن تمتنع ومالت عن القول السافر الى القول المتشح بالرمز فكانت الكلمة أعظم ما واجه الطغيان وأعقد ما حيره فى أمره · لأن الكلمة أقوى من المدفع والصاروخ · وخاصة اذا كان الصاروخ من صنع المدعين الكاذبين الواهمين الذين أطلقوا عليه القاهر والظافر فما قهر ولا ظفر ولا ترك الأرض ولا صعد الى الهواء ولا أقول السماء · فأين هو وأين صانعوه من أى سماء مهما تقازمت واقتربت ·

واليوم الكلمة متاحة تتسع لها صفحات الجرائد وأصوات الاذاعة والتليفزيون طليقة هى الكلمة حرة لا يردها عن سمع الزمان قهر أو عنف أو جبروت · ولكن الحرية على عظمتها غاية ووسيلة فى وقت معا فاذا نحن لم نقل والعهد حر · كنا لأنفسنا خائنين وكنا لبنى وطننا أكثر خيانة ·

عند القهر يفرض الحاكم الصمت والتجمد على الناس جميعا الا هو وزبانيته · فيصبح الوطن ملكا لهم مغتصبا ويصبح الشعب وهو المالك الشرعى لا يملك من الأمر شيئا فان أسكتته الأسلحة الضارية والعدوان على العرض والنفس والمال فهو فى سكوته الظاهرى معذور لا لوم عليه ولا تثريب ·

اما اذا انفسحت آفاق الحرية للشعب وصمت فان صمته عندئذ جريمة فى حق نفسه وفى حق وطنه جميعا ·

واذا ظل يقول فلا يقول الا مديحا كان منافقا · والنفاق لا يكون من صفة الشعوب أبدا · قد ينافق الفرد شعبا وقد ينافق الشخص الواحد سلطانا أو صاحب منصب ولكن الشعب كشعب هيهات ان يكون منافقا

أبدا . بل ان له دائما كلمته . يحاول الطغاة أن يقمعوها فيأبى ويقولها فى رواية أو قصـة لها من الرمز ستار واه تخترقه العيون والقلوب والأفهام . فان أعجزته الرواية أو القصة لجأ الى النكتة يطلقها على الطغاة نارا حامية .

وما عرف الناس على مدى التاريخ شعبا نافق وان عرف التاريخ وكثيرا ما عرف شعوبا ردت عن نفسها عادية الطغاة بالصمت فى ظاهر الأمر ولكنه صـمته مرتفع الصـــوت أشد فى جبروته وفى مهابته من الضجيج .

ونكون ظالمين اذا لم نذكر ان مصر تقدمت فى عهـد الحرية تقدما رائعا وحسبك انك تمسك التليفون فيصلك الى أقاصى الأرض بعد ان ظل سنوات فى البيت شأن سقط المتاع يشغل حيزا ولا نفع فيه وازدادت الطرق عددا وتعالت الكبارى وتقدمت الصناعة فى كثير من جوانب الحياة وتفتحت لنا منافذ الحياة وتواصلت بين مصر وبين دول العالم الثقافات وأقبلت السياحة على مصر الآمنة .

نذكر هذا جميعا . ولكن التقدم يغرى بالتقدم . والنجاح يبعث الى مزيد من النجاح . وقد فوتت علينا سنوات الطغيان والعماية والجبروت سنوات هى من أعظم سنوات البشرية تقدما ولا نجاة لنا من الأزمات الا ان نلهث حتى نسترد ما فاتنا وأخشى ما أخشاه ويخشاه معى الشعب أن يمسكنا عن انطلاقنا قوانين ضامرة هزيلة صنعها الطغاة لينافقوا بهـا الشعب وليقدموا بها الرشوة الى فئاته .

علينا نحن الكتاب ان نخاطب المشرع والفئات التى تسلمت الرشوة أن تعيد الى الوطن حقه المنتهب . ولن يكون ذلك الا بالعمل أصـــدق ما يكون العمل وبالانتاج أغزر ما يكون الانتاج .

وعلينا نحن الكتاب ان نبصر الشعب ان مجانية التعليم هزل لا جد فيه ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم علما أم هو يتعلم الجهل أبشع ما يكون الجهل . فشر انواع الجهلاء جاهل يجهل انه جاهل . وهذا ما تصنعه المدارس بأبنائنا اليوم . فهى تعلمهم الجهل لا العلم .

ولينظر الوالد الى ولده أحقا هو يتعلم مجانا أم الدروس الخصوصية تنقض عليه بأسنانها الضارية الشرسة .

وهكذا نجد أن قانون مجانية التعليم أفاد الأغنياء وحدهم أولئك الذين يطيقون مواجهة الدروس الخصوصية وهكذا أيضا ينعدم مبدأ تكافؤ الفرص . وأين التكافؤ حين ينجح الغنى لأنه قادر على أهوال الدروس الخاص ويسقط الفقير لأنه عاجز عن استجلاب المدرسين أو الأساتذة .

وكيف يتاح لنا أن ننطلق في طريقنا ان كان حتما علينا أن ننفذ قانون تعيين كل الخريجين .

هيهات هيهات أن نتمكن من السير حتى وان كان ونبدأ ونحن مكبلون بقيود نعلم انها هازلة ماجنة وانها ما وضعت الا ذرا للرماد فى العيون . والرماد فى العين قذى يمنع عنها الرؤية ولكن قليلا ما يبقى فما هى الا دمعة صافية رقراقة حتى يزول ويكشف الله عن الانسان غطاءه فاذا بصره حديد .

سبحانه جل شأنه هو الهادى الى سواء السبيل وهو من يلهم عباده الصراط المستقيم .

الأهرام ١٩٨٨/١/١٠

أطلس تاريخ الإســلام

لا يزال الكبار يظهرون علينا بأعمال تعيد ثقتنا فى الحياة : ها هو ذا د. حسين مؤنس يطلع على التاريخ والعالم أجمع بواحد من أعظم الأعمال الثقافية فى حياتنا جميعا الماضى منها والحاضر والمستقبل . قد صدر له فى هذه الأيام أطلس تاريخ الاسلام وهو أطلس ضخم يقع فى أكثر من خمسمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير .

ولو أن دولة مثل أمريكا تصدت لعمل مثل هذا لأنشأت له مؤسسة قائمة بذاتها ولكن الدكتور حسين مؤنس قام وحده بهذا العمل العملاق يعاونه فى ذلك رهط قليل مختص بالاخراج الفنى والمراجعة التاريخية وان الأمانة تقتضينى أن أذكر جميع الذين عاونوه .

كان رئيس التحـــرير أحمـد رائف صاحب مؤسســة النشر التى تفضلت بنشر الأطلس غير ناظرة الى الكسب المادى لأن استعادة ما أنفق على هذا الأطلس تستغرق لا شك وقتا طويلا .

مساعد رئيس التحرير : محمود حلمى .

تصميم ورسم الخراط : جيوفانى دى اجوستين ومحمود حلمى ــ مرسم خرائط الزهراء .

والاخراج الفنى

عصمت داوستاشى

تصميم الغلاف : أ. عبد السلام الشريف .

متابعة المادة التاريخية على الخرائط : أ. أحمد عادل كمال . أ. أحمد رائف د. صلاح عيسى . د. وجيه عتيق . د. عبادة كحيل . د. محمود عرفه .

رئيس لجنة اللغة العربية وترتيب الفهارس : عبد الحكيم خاطر .

رئيسية السكرتارية والمتابعة : سحر الطويجى .

رئيس التجهيزات الفنية : شعبان حسن .

الخطوط العربية : المرحوم عبد المنعم الشريف ، محمود منصور مصطفى البنا ، ماجد محمود .

الاشراف المالى : أحمد الموجى .

هذا هو الرهط الكريم الذى خرج على العالم أجمع ولا أقول على العالم العربى وحده أو العالم الاسلامى وحده بهذا العمل العملاق .

ولا شك أن الدكتور حسين مؤنس الذى قدم الى المكتبة العربية كتبا رائعة فى التاريخ والأدب والسياسة يستحق منا كل اجلال واكبار وتعظيم لهذا العمل المتفرد الذى قام به . فقد استطاع فى مقدرة فائقة أن يربط أحداث التاريخ الاسلامى جميعا ويثبتها على خرائط فى وقت معا .

بل انه استطاع فى قدرة المؤرخ المتعمق صادق النظرة أن يفسر الأحداث تفسيرا جديدا غير لذى عرفه الناس واستقروا عليه .

ويقع الأطلس فى عشرين فصلا :

الفصل الأول : مدخل فى علم الخرائط عند المسلمين .

الفصل الثانى : مراحل انتشار الاسلام فى العالم حتى اليوم .

الفصل الثالث : جداول تاريخية مقارنة لأهم أحداث التاريخ الاسلامى وتعاصر الدول الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى آخر القرن الرابع عشر الهجرى .

الفصل الرابع : العالم قبل الاسلام .

الفصل الخامس : السيرة النبوية والعصر النبوى ويشمل شجرات الأنساب لعدنان وقيس بن عيلان بن مفر بن نزار وكنانة وقريش وعبد شمس ابن عبد مناف وعبد المطلب وعبد العزى بن قصى وشجرة نسب

أبى بكر الصـــديق وشجرة نسب بنى سهم بن عمرو بن كعب ابن هصيص ومخزوم بن يقظه بن مره ونسب قحطان ونسب الأزد والخزرج بن حارثة وأنساب الأوس ·

الفصل السادس : الفتوحات الاسلامية ·

الفصل السابع : الدولتان الأموية والعباسية ·

الفصل الثامن : المغرب والأندلس ·

الفصل التاسع : شبه الجزيرة العربية ·

الفصل العاشر : الجناح الشرقى لدولة الاسلام « ايران » ·

الفصل الحادى عشر : الهند الاسلامية ·

الفصل الثانى عشر : الحروب الصليبية ·

الفصل الثالث عشر : المسلمون فى البحر المتوسط ·

الفصل الرابع عشر : مصر والشام ·

الفصل الخامس عشر : مصر ·

الفصل السادس عشر : مصر والسودان ·

الفصل السابع عشر : الدولة العثمانية ·

الفصل الثامن عشر : الاسلام بوسع عالمه ·

الفصل التاسع عشر : الاقتصاد وطرق المواصلات والحج ·

الفصل العشرون : عالم الاسلام فى العصور الحديثة ·

وبعد فلا أملك الا أن أزجى التهنئة الخالصـــة الى الدكتور حسين مؤنس واذا كان يدخل الى قلبه شيئا من السرور جزاء ما أنجز من عمل متفرد عملاق انه جعل الأمل ينتعش فى نفوسنا نحن المصريين ان مصر ما زالت على عهد الغالم بها البلد المعطاء برجالها الاعلام المصابيح · فليبسمح لهذا السرور ان يراود جوانحه واذا كان شكر مثلى اننى وجدت فى هذا العمل الفذ بارقة أمل فى خياتى انها لم تنفذ بعد وانه ما دام رجل فى

مثل سن الأستاذ العظيم د٠ حسين مؤنس ومع نظره الذى لا يسعفه كل الاسعاف قد استطاع ان يقدم مثل هذا العمل الذى لا يطيق ان يواجهه الا الجماعة ذات القوة الأيدى والأصرار ان كان مثل هذا الشكر يرد اليه بالعرفان بعض جهــــده فها أنذا أقدمه بين يديه وأدعو له بطول العمر وبالصحة والعافية ٠ وعند الله ما قدم وعند الناس أجمعين ٠

الأهرام ١٩٨٨/١/١٧

بين القيمة والشهرة

ما الحياة اذا لم يسع الانسان فيها الى النجاح كل النجاح · والنجاح عند الناس ألوان وأشكال وفصائل · ويختلف من فرد الى فرد اختلاف البصمات فى الأصابع ·

من الناس من يتمثل النجاح عندهم فى المال وهؤلاء أشقى البشر ·· فالمال عز ومتعة الا أن يصبح فى ذاته غاية لا وسيلة للحياة المرفهة الكريمة · أما اذا أصبح هو النشيدة والأمل والهدف فانه ينقلب الى ذل وهوان ويصبح الانسان بفضل حبه له حقيرا على نفسه وعلى الناس ·

اذكر ان كان لنا دين على أحد الأثرياء نشأ من أنه اشترى أرضا كان أبى يستأجرها فحين توفى أبى كان لنا على الأرض بعض حقوق مالية وكان الرجل ثريا ثراء فاحشا وكان المبلغ زهيدا بالنسبة اليه أذكر انه كان مائتى جنيه أو قريبا من ذلك ·

ولما كان هذا المال حقى وحق الورثة جميعا فقد اضطررت ان ألاحقه شهورا حتى جاء الى بيتنا بغزالة أخرجت الكمبيالات وأخرج هو المبلغ ولو اننى سكت لانقضى الأمر بسلام ولكن لماذا لا أتفلسف قلت للرجل على سبيل المباسطة :

ـ يا فلان بك الانسان اما كرامة واما فلوس ·

واذا الرجل يقول فى بديهة حاضرة وفى سرعة خاطر منقطعة النظير ·

ـ أنا بالذات الكرامة لا تلزمنى مطلقا ولا أنا أريدها ولا أحتاج اليها ولا أفكر فيها ووجدت نفسى بسذاجة الشباب الباكر أمزق الكمبيالات وألقى بها الأرض وأنا أقول له ·

ـ وأنا لا أريد حقى ان كان عند رجلا بلا كرامة ·

ويعجز قلمي حتى اليوم عن وصف السعادة التى طفرت على وجهه وهو يصيح :

ــ الله يخليك .. الله يطيل عمرك .. عاجز عن الشكر .

وقام مسرعا الى باب الخروج مذعورا ان أتراجع عما فعلت .. لست أنسى وكيف انهال على وكيل أعمالنا وكنت أعامله معاملة الوالد قد عرفني وأنا طفل وليد. وكان ذا مكانة في القرية واحترام ووقار لست أنسى كيف انهال على بالتأنيب قائلا :

ــ أمثل هذا الحلوف تعامله هذه المعاملة انك لو ضربته على قفاه فى سبيل المبلغ الذى لنا عنده لكان أسعد الناس .

والحقيقة انه قد مر على هذه الواقعة أكثر من ثلاثين عاما ما خامرتني فيها لحظة أسف على ما فعلت ويخيل الى انها لو تكررت اليوم لما صنعت الا ما صنعته فى ذلك اليوم .

وقد يتمثل نجاح الانسان فى الشهرة والذكر البعيد ، ولا بأس عليه ان فعل وربما تكون فكرة الشهرة هي التى حفزتني ان أكتب هذا الحديث اليك .

فللشهرة ويلات ومحاذير ، فويل كل الويل لمحب الشهرة ان حاول ان يسعى اليها من أى سبيل لا يرعى فى سبيل ذلك خلقا ولا ضميرا ولا شرفا ولا كرامة .

فالشهرة فى ذاتها شيء عظيم وجدير بأن يسعى الناس اليه . ولكن المهم هو نوع الشهرة . فالمشاهير من المجرمين كثيرون فى أنحاء العالم . أفشهرتهم هذه أمر يستحق أن يسعى الانسان الشريف اليه ؟!

ان الشهرة ان لم تقترن بالنبالة والشرف والسمو والكرامة فهى وبال على صاحبها . ويل لمحب الشهرة ان بذل ماء وجهه فى الغرف المغلقة ليصبح على الملأ شهيرا .

فالشهرة كرامة واحترام من الناس لصاحبها فان لم يكن صاحب الشهرة ذا كرامة عند نفسه وعند من يعاملهم من الناس فشهرته هباء لا قيمة له.وان لم يحترم طالب الشهرة نفسه فلن يحترمه أحد.فمن لم يكن عزيزا على نفسه فأولى به ثم أولى أن يكون عند الناس رخيصا محتقرا.

ولكل وظيفة فى المجتمع أدابها · وكثيرا ما يكون العزوف عن الشهرة مقوما أساسيا من أهم مقومات هذه الوظيفة فاذا سعى واحد من أهلها الى شهرة يكون سعيه كارثة كبرى لا عليه وحده ولا على أهل وظيفته وانما على المجتمع كله ·

فالقاضى اذا سعى الى الشهرة انقلبت موازين القضاء وويل للحياة اذا انقلبت موازين القضاء فالقضاء قبس من روح الله فعلى يديه يلتمس المظلوم رفع الظلم عنه وعلى يديه يتلمس المجتمع كله النجاة من الكوارث وبين الانهيار · والقاضى يمثل العدالة التى يرمز لها بصورة ملاك معصوب العينين لأن المفروض فيمن يقوم بشأن العدالة الا ينظر الى المتقاضين ولا الى صفاتهم ومكانتهم فى الحياة ولأنه من الحتم عليه الا يرى مصلحة شخصه تمثلت هذه المصلحة فى مادة أو فى شهرة · ان العدالة معصوبة العينين لأنها تستمد النور من داخلها فلا ترى الا حق الله ·

فاذا حكم القاضى فى قضية ثار حولها من الناس والمجتمع جدل وأحاديث وآراء وأقاويل بما يرضى هؤلاء الناس الجالسين حول المدفأة يقطعون الوقت ويمزقونه برأيهم حول القضية كان القاضى فيما فعل وبالا على الحق · تحطيما لمعنى العدالة · فهو فى حكمة قد رفع العصابة عن عين العدالة ونظر الى ما يجعله بين الناس شهيرا · والقاضى اذا فعل ذلك يكون قصير النظر لأن الشهرة فى مثل هذه الظروف لا تدوم اذ ريثما ينسى الناس القضية التى حكم فيها وما أسرع ما ينسى الناس القضايا بعد الحكم فيها · والشهرة لا تكون الا بين الناس · ولكن الحق دامغ · والحكم السيىء يلازم مصدره على مدى الحياة ·

وللشهرة خاصية عجيبة فهى ترفض الذى يلاحقها وتقبل على من يزهد فيها · فاذا لاحقها أحدهم أقبلت عليه بالسمعة المشينة التى تهين صاحبها ولا تكرمه ·

واذا كان هذا شأن القضاة مع الشهرة فهو أيضا شأن الأطباء معها · لأن الطبيب عند الناس ثقة وقيمة واحترام يضع الانسان بين يديه روحه وجسمه وحياته فان مس هذه الثقة ظل من هوان أو شاب نصاعتها شائب من شك سقط الطبيب فى حمأة متردية من الضياع ، وان شهرة يكتسبها طبيب من طنين كاذب انما هى شهرة تؤدى به الى المهالك ولن يكسب منها الا احتقار العلماء له · فالطبيب أولا وقبل كل شىء عالم · والعالم قيمة كبرى · اذا كان بين العلماء مذكورا ولا يزيد العالم قيمة

ان يكون بين عامة الناس مشهورا . ففى كثير من الأحيان يصبح ذكر شخص واحد لعالم جليل أكرم وأعظم من ذكر آلاف من الذين لا يعرفون حقيقة العلم الذى يعمل العالم فى ميدانه . فالشهرة هنا لا قيمة لها ولا وزن انهـا الحقيقة العلمية وحـدها هى القيمة . ومع الزمن سيصبح العالم مشهورا فى أقطار المعمورة كلها وليس فى بلده وحده . وستكون شهرته قائمة على أســاس علمى وليس على الاحتيال والدجل والطبل الأجوف والادعاء المتهالك . فكل هذا يحقر الانسان كانسان اما ان كان عالما فانه يقضى عليه القضاء المبرم .

ان السعى الرخيص الى الشهرة يعلن الى الناس ان ذلك الســاعى لا يثق بنفسه ولا بقيمته الشخصية وهيهات ان يثق أحـد بمن لا يثق بنفسه والأديب الشاب اذا سعى للشهرة باذاعة الأخبار عن نفسه بالضجيج الفارغ يصطنعه وبالطنطنة الرعناء وبالجلبة الجوفاء قد يصبح شهيرا عند الناس ولكن ما يلبث الناس أن يبحثوا عما كتب وعما قدم الى الأدب فان عادوا من بحثهم بالهازل من الأمر وبالهزيل من القول أصبح الكاتب الذى كان شهيرا أضحوكة بين الناس وأكذوبة . فالكاتب يكتب ليقول شيئا فان أصاب شهرة لما كتب فتلك اذن هى الشهرة الجديرة به والخليقة بمن يمسك القلم ويكتب الحرف . وليس القلم أو الحرف مجرد كلام وانما هو حياة بأكلمها .

والكاتب لا يكتب لجيله وحده وانما لأجيال قادمة لا تنتهى . واذا رحم المعاصرون ــ وما هم براحمين ــ فلن يرحم القادمون فى ضمير الغيب . فما بعجيب ان يكون الأديب بعيدا عن الغنى المادى فان الحياة لا تظلم ... الخالق جل وعلا هو العدل المطلق يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فان شاء سبحانه ان يقدر على الكتاب رزق المال فانه يبسط لهم بكريم عدله رزق القيمة بين الناس والاحترام فى العصر الذى يحيون فيه . ثم يبقى سبحانه ذكرهم حيا بعد ذلك على مدى العصور وما ربك بظلام للعبيد .

الأهرام ١٩٨٨/١/٣

الســــلطة مســــئولية

لم تمض الا شهور على عودة العلاقات بين مصر والدول العربية حتى استطاع الرئيس العظيم حسني مبارك ان يحول أنظار العالم الى القضية العربية بصورة لم يسبق لها مثيل منذ سنوات طوال ٠

الكارثة الكبرى أن القائمين بالأمر فى مصر لا يدركون الفرصة المواتية لهم بوجود محمد حسنى مبارك فى كرسى الرئاسة ٠ وبدلا من أن يعملوا على ارضائه بالعمل يحاولون ارضائه بتافه الأمور وهينها ٠

انما المنصب كرامة ٠ وتبــدأ الكرامة باحترام الذات ٠ واحترام الذات ان تعمل ما يرضى ضميرك ثم نتوكل بعد ذلك على الله ٠٠ فانك ان فعلت وصلت الى ما تسعى اليه من رضاء رئيس الجمهورية بل واعجابه أيضــا ٠

ان هذا الرئيس المبارك محبوب من الشعب بما وهب الله من سمت مصرى هو بطبيعته قريب الى نفوس الناس ٠ ثم هو من أعظم المصريين اخلاصا لمصر على مدى التاريخ ٠ لم يطلب فى يوم مغنما لنفسه ٠ وما هو بصاحب زهو ولا تكبر ولا ادعاء وان كان صاحب وقار وكبرياء وصدق للناس وللنفس ٠

فما بعجيب أن يحبه الشعب فان يده دائما على نبض الشعب وقلبه يختلط بقلوب النــاس يشــــعر بآلامهم ٠٠٠ ويتعرف آمالهــم ، ويعنى بمريضهم ٠ ويسعف محتاجهم ويشجع نابغهم وعاملهم وكادحهم ٠ ما أنزل بأحد عقابا ٠ ولا سخط على هؤلاء القردة المتقافزين على صفحات الصحف من قومية الى معارضــة ولا ضرب الأقزام من الأطفــال والشيوخ الذين يحاولون أن يتسلقوا على مكانته العملاقة البالغة أسباب السماء ٠

ما بعجيب أن يحبه الشعب ٠ وقد عاش عمره بيننا شريف الماضى نقيه عفيف الحاضر وضيئه ٠ مصرى الآمال مخلصها ، عاملا على تحقيقها بالخلق الأرفع وبالمثل الأعلى ٠ وبالجهد لا يستريح لحظة ٠ وبالقلب لا يهدأ

هنيهة ... وبكيانه كله يضنيه ويحمله فوق ما يطيق بشر من أجل مصر ومن أجل العرب أجمعين . لا يتغيا لنفسه منفعة خاصة . ولا يطلب جاها فوق جاهه . ولا ينظر الى خارج مصر الا من أجل مصر . غير طامع فى زعامة عربية أو افريقية ... وانما سعيه كل سعيه من أجل مكانة مصر والعالم العربى والأفريقى . صوالح هؤلاء جميعا متقدمة عنده على صوالحه.

يسمع أقوال الذين يتخابثون والذين ينافقون والذين يتكلمون من جيوبهم وحساباتهم فى البنوك والذين يثارون من حكام سابقين فى شخصه وهو مما ارتكب قبله برىء جدير أن يقول مع الشاعر العربى القديم :

لم أكن من جناتها ـ علم الله ـ وانى بحرهـا اليوم صـال

يلاقى هـذا جميعه ويقف بخلقه الأمثل كالطود الأشم لا تهتز له شعرة ولا يميل له ميزان ولا ينزل عقابا بسليط اللسان ، ولا بمهزول الأمر حقير الشأن يريد أن يكبر على حسابه . ولا بمخلوط العقل ممرور النفس مختل الميزان .

فما بعجيب أن يحبه الشعب .

وهو لم يكن فى يوم قهرا ، وما شهدنا طغواه لحظة . وما رأيناه يقتل أو يعتقل ، أو يصادر ، أو يماكر ، أو يعتدى على نفس أو عرض أو مال .

فما للشعب الا يحبه .

وما لكم أنتم يا من اختاركم لتقوموا على أمور هـذا البـلد الأمين الا تؤدوا واجبكم تحت رئاسة هى بالنسبة لكم ولمصر فرصة نادرة وأين أنتم واجدون رئيسا كل قلبه لمصر ، وكل آماله بعيدة غاية البعد عن صوالحه الشخصية ومآربه الذاتية . وليس أداء الواجب لمصر عنده بأن تهتف له وتنشر له التحايا والمباركات وترسل البرقيات بالتهنئات العاطرات وليست هى عنده بالخطب العصماء ولا بالمدائح الحافلة بالمبالغات . ولا هى باللقاء عند سفر ولا بالاستقبال عند عودة .

انها الواجب الذى يريده الرجل ولا يريد غيره هى ان تنظروا الى صوالح هذا الشعب والى حاضره فى أزمته الطاحنة والى مستقبله المحفوف بالأخطار .

الواجب الذى يرضيه ويجعله يرضى عنكم . والذى يرضى الله من قبل والذى ينبغى أن يرضى ضمائركم . أن يتقدم نفع مصر على منافعكم الخاصة . والا تكون الصداقة والصلات الشخصية هى دافع القرارات منكم بالمنح والاعطاء . والا تكون العداوة الشخصية والتباعد النفسى هى دفع القرارات منكم بالمنع والحرمان .

الواجب منكم الا يصدر عنكم قرار باختيار شخص لوظيفة كبيرة كانت أو صغيرة الا بعد الوثوق كل الوثوق انه جدير بالمكان الذى سيشغله وانه سيضفى على المنصب الاحترام لا الاحتقار والعزة لا الذلة والاكبار لا الهوان .

الواجب منكم الذى يجعل الله يرضى ورئيس الجمهورية والناس أجمعين أن تثيبوا المحسن وتوفروا له فى احسانه الأمان . وان تحترموا الأمين وتحيطوا أمانته بالحصانة وتذكروا بيت شوقى :

لا تثيبوهـــا على ما قلدت   من أياد حسدا أو شـــنانا

والواجب أن تعاقبوا المسىء اذا قبل رشوة أو أهمل أو أساء الى أى فرد من الشعب أو الى الشعب كله فى معاملته لمن ترجو مصر على أيديهم الخير والتقدم اقتصاديا كان هذا التقدم أو كان أدبيا وأنتم تعرفون كم من عاملين فى مصر أساءوا اليها أبلغ الاساءة وأفدحها .

وانما الأمة رجالها وليس هناك أمة تقدمت الا برجالها والعاملين فيها وكل وزير مسئول عن وزارته جميعا فليست الوزارة سيارة وحارسا وتليفون سيارة وليست الوزارة وجاهة ومنظرا وتقدما للصفوف انما الوزارة مسئولية وكرامة . وكما أكرمتك الدولة فانها تسائلك لأنك أنت كوزير مفروض فيك أن تسائل كل الموظفين فى وزارتك من أكبر موظفيها الى أصغر موظف ومن حدود مصر الشمالية الى حدودها الجنوبية ومن حدودها الشرقية الى أقصى حدودها الغربية ولن تستطيع هذا الا اذا أحسنت اختيار معاونيك كما لا يستطيع رئيس الوزراء أن يقوم بمنصب رئاسة الوزراء ان لم يحسن اختيار وزرائه . فان الوزير بعد أن يتم تعيينه تصبح مسئوليته كاملة عن وزارته . ولا يجوز للهيئة التشريعية أن تسأل غيره فى شأن من شئون وزارته .

انه ــ والله الذى لا اله الا هو ــ لولا ثقتى ان الرئيس حسنى مبارك يعرف مواطن الصدق فى الحديث ومساقط النفاق لامتلأت نفسى خوفا

على مصر · ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يرعاه بنور البصيرة وسلامة المقصد ومن كان الله يرعاه فانه لا يفلح معه خداع ماكر ممن تحركهم رغبة السلطان أو البقاء فى السلطان ·

وعند الله المرفا وفى ظلاله الملاذ وهو القـــادر سبحانه ان يثبت المخلصين على طريق الهداية وعلى الصراط المستقيم جل علاه ·

الأهرام ١٩٨٨/٢/٧

الزمن المخدور

اذا كان الزمن كيانا نحن خلاياه فهو زمن مخدور أدمن الكوكايين والهيروين وكل ما يستعمله المخابيل ليخدروا مشموما كان ما يتعاطونه أو محقونا أو مبتلعا ۰ وكان قدرنا المقدور ان أصبحنا نحن الخلايا مدمرين بفعل الزمن وبلا اختيار منا ۰ لكن تشاء حكمة المولى سبحانه الذى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أن يجعل لنا من زماننا ملاذا ومن خباله نجاء ومن خدره وقاء وصلاحا ۰

هناك عند البيت المقدس وفى الرحاب الطاهر وحول بيت الاله جل جلاله تشعر الخلية التى هى الانسان ان الله يعيدها وليدة من جديد نقية كماء المطر ، بريئة من الدمار كيوم خلقت ۰ هناك حين تتألق روح الخالق بالأفق الأسنى من الرحاب القدسية يحس الانسان انه أقوى من الزمن وخدره ومن هبوطه وغدره ويعود الانسان انسانا يمشى على الأرض بجناحي ملك ويسعى بين الناس بقلب ملؤه النور والألق الأسنى وشلالات الضياء ۰

هناك يشعر الانسان ان الدنيا كلها لا تساوى تلبية واحدة الى رب السماوات وان الأرض دنيا وان للروح الى العليا وشيجة هى أكرم ما فى الكيان الانسانى من نبض وأعظم ما فيه من معنى ۰ وان الدنيا كلها وزمنها المخدور وناسها الذئاب يتلاشون كما يتلاشى الحلم فى صباح الحقيقة وكما يتبدد الخيال فى نهار الواقع ۰ وتصبح مادة الانسان الدنيوية وكأنها وهم ، وتصبح الشرور كلها من الناس وكأنها ما كانت ، هناك تنقلب المادة الى وهم وتصبح الروح هى الحقيقة الوحيدة فى مشاعر الانسان وفى وجوده ۰

وعند البيت المقدس تشف أرواحنا متعلقة بالملأ الأعلى وحين تنحسر الموجة الطاغية من أنسام الروحانية الشفيفة نعجب غاية العجب كيف تجرأ أقوام أن يتخذوا هذا الدين الروحانى الرءوف حجة لمقتلة الناس ووسيلة للوصول الى حكم دنيوى لا يزعهم وازع من كلمات الله ۰ ولكنه

الزمن المخدور دمرهم فجعلهم خـــلايا سرطانية مقبوحة مشوهة النفس والخلق جميعا ٠

وتسعى بنا الطائرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقف أمام قبره نحن فى مكة نقف مخلوقات أمام بيت الخالق فنحن هناك ذرات من هباء امام العظمة الالهية الكبرى حتى اذا بلغنا النبى أصبحنا بشرا أمام بشر ولكن هيهات فأين نحن بأخطائنا وأوزارنا أمام النور المطهر الذى قيل عنه انه أوشك ان يمسك الشيطان ٠ ويكبله ولكنه أبى ليتحداه أن يتجرأ على الاقتراب من رحابه ٠ وغالبه فغلبه فهو المعصوم وحده ٠ ومن معصوم بين البشر الا هو ٠ وهو القناة التى اختارها الوهاب لارساله الالهى وهو من وهب نفسه للحق فأكرمه الحق ٠ وهو الذى نفى الدنيا عن ساحته وهو المطهر وهو آخر من وصل السماء بالأرض وهو الذى ترتجف للمثول به يديه والوقوف أمام سدته ٠ وهو الهيبة وهو التواضع يتـأتى اليه رجل يريد أن يسلم بين يديه فترتجف أوصاله ويرده نور الرسول عن التقدم وتقيده هيبته عن السعى فاذا الرسول يدرك ما به فيقول له فى تواضع لم تعرف له البشرية مثيلا : « ادخل فما أنا الا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » يا صلاة الله عليك وسلم أأنت هـذا فقط ٠ وتأبى أن تذكر انك المختار وانك مستقبل كلام الله لتنشره على البشر كافة وعلى أجيال الزمان وانك المثل الأعلى للبشرية وانك سـيد الأنبياء وخاتمهم وآخر من أبلغ رسالة من السماء الأرض يا صلى الله عليك وسلم ألم يقل عنك خالقك « انك لعلى خلق عظيم » فماذا لنا من بعد أن نقول ٠ واقف أنا أمامه أتشفع به وهو المشفع وتنهمر الدموع وترتجف الأوصال ومع كل قطرة دمع يغتسل القلب وتضىء النفس ويشرق كيان الانســان فاذا هو ملائكى النبض تسرى الدماء فى أعراقه نورا وضياء وسنى ٠ وتصبح الخلية التى دمرها الزمن المخدور صحيحة الشـكل وضيئة المظهر مطهرة المخبر ٠

وحين أعود الى الانسان أعجب من الانسان كيف سولت له نفسه أن يكون وهو المسلم حربا على المسلم ٠ وان يكون وهو الانسان حربا على الانسان أى مكان يريد أن يرتقى والى أى مجد يبتغى ان يصل وهو فى لحظة لا يعرفها منقلب الى ربه لا ينفع عنده مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ٠

انما شأن هذا الانسان فى الزمن المخدور انه قصير النظر غارق فى الضلال والوهم ولو لم يكن كذلك لرفت روحه الى هذا الملأ الأعلى من رحاب الله والى الحرم الطاهر من بيت النبى ومنبره والروضـة بينهما

ولا تقى الله ولكف عن الضلالة متسترا بالاسلام وهو الهدى ولما حاول ان يركب أجنحة الملائكة الى أرض الشياطين حاسبا ان الله لا يرى وهو الذى يعلم السر وأخفى ، أم يحسبون انهم يمكرون بالناس اذن فقد غاب عنهم ان الله هو خير الماكرين وسبحان الله ولا اله الا الله والحمد لله فى البداية والنهاية والى الأبد الأبيد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبد الله ما غرد طير وما كان فى الانسان عرق ينبض والى أن يرث الله الأرض ومن عليها والى الأزل ٠

الأهرام ١٩٨٨/٣/٢٠

من ســيطركم علينــا ؟

أى زمان عجيب نعيش فيه . ما للناس وكل منهم له شأن يغنيه . وكل منهم يفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . وكل منهم له قبلة هو موليها ، ليس بينهم من يشعر بالجماعة ، وليس فيهم من يفكر فى الوطن . ترى أيخشى الانسان منهم أن يفكر فى مصر فترين عليه الكآبة ويتولاه السقم والسأم . أين شعور المصريين بمصر ، وان لم يقفوا بجانبها وهى تعانى ما تعانى فمتى يكون الوقوف منهم .

أهؤلاء المصريون اليوم هم أبناء الأبطال من ثورة ١٩ . وأولئك الذين تحدوا الموت والجبروت والسلاح المشــــهر والامبراطورية التى لا تغيب الشمس عن أملاكها كلما قارنت أبناء اليوم بأبطال الأمس قلت مع أبى نواس :

أين النجـــوم التــاليات   من الأهلــة والبــــدور

أين القليــل بنو القليــــل   مــن الكثــير بنــى الكثــير

وكلما فكرت فى المصريين اليوم وقارنتهم بالمصريين فى زمن الأبطال ذكرت البيت العربى الأصيل :

فان يك بحــر الحنظليين واحــدا   فما تســتوى حيتانه والضــــفادع

فماذا أصاب المصريين وما لهم وقد أصبح اهتمامهم ـ جل اهتمامهم ـ بتافه الأمور وساذجها .

أيجتمع شباب متعلم يدرس بالجامعة ويتسلح بالمسدسات والجنازير ليهاجم اخوانا له يستمعون الى موسيقى فى حرم الجامعة .

أى عصر هذا ؟ ومن زعماء هؤلاء الطلبة ؟ وماذا يخططون لهم ؟ وأى صورة مشوهة مطموسة المعالم مقبوحة السمات يقدمونها للعالم عن مصر .

هل حلت مشاكل مصر جميعا ولم يبق الا الاستماع الى الموسيقى حتى يجيشوا لها الجيوش ويسيروا لها الزحوف ٠

ومن حرم الموسيقى وعلى أى نص يعتمدون فى حربهم هذه غير المقدسة الا ساء ما يفكرون وشاه ما ينفذون وهانوا فان أمرهم كان فرطا ٠

ألم يطلب الاسلام أن يعلن الزواج بالدف وما الدف ؟ أليس موسيقى ٠٠ فى أى حديث ولا أقول أية حرم الاسلام الموسيقى ٠

أهى الموسيقى التى تنحرف بالشباب الى المخدرات ؟ أهى التى تدفعهم الى السرقة والاعتداء على الحرمات والبعد عن الثقافة والعزوف عن الجاد من الحياة الهازل التافه من الأمور ؟

أتكونت جماعات الارهاب فى طول مصر وعرضها لتحارب الموسيقى ؟ أأطلقوا اللحى وشهروا السلاح ليضربوا المستمعين الى الألحان ؟

فماذا هم قائلون عن الألحان الدينية ٠٠ أهى أيضا كفر والحاد ٠ الا انما السوء هو ما يصنعون وأى سوء أبشع من أن يظهروا الدين الاسلامى بهذه الصورة أمام العالم ، ألم يقل رسول الاسلام والبشرية « من أحل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مقعده من النار » أو كما قال وهم لم يكتفوا بتحريم حلال أو تحليل حرام ٠ انما هم حاكموا وتداولوا وتسلحوا وهجموا ٠

أهذا هو الاسلام فى أى شرع ، أو فى أى مذهب وجدوا هذه الأحكام ٠

ان الاسلام الخالد الباقى على الزمان عظيم ورائع انه الدين الذى لم يجعل بين الفرد والله وسيلة ولا شفيعا ٠

انما نؤدى فرائضنا متجهين الى الله وحده واذا حزبنا من الدنيا مكروه نتجه الى ساحته وحده ٠ نناجيه فى نفوسنا تضرعا وخيفة ٠ اليه وحده تتجه قلوبنا وصلاتنا ودعاؤنا ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ٠

فما بال أقوام جهلوا الاسلام يريدون أن يقيموا أنفسهم مسيطرين على ديننا وعلى الصلة الكريمة الرفيعة بين العبد وربه وعلى الوشيجة العليا السامية التى تصل الانسان بخالقه جل وتقدست أسماؤه ٠

ان دينا لم يوسع على الناس كما وسع الدين الاسلامى على أتباعه وكفى سعة علينـا أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض جميعهـا مسجدا نقيم عليها صلاتنا اليه ·

لا رهبانية عندنا ولا طقوس اللهم انما هو وضوء يمثل فى ضمائرنا الطهارة فى الجسم والنفس جميعا ·· وركعات وضيئات نتوجه بهـا الى سماواته العلا ·

ثم الدين المعاملة · معاملة الانسان لنفسه ولولده ولأهله ولقومه ولاخوانه ولزملائه ولوطنه ·

فأين أنتم من الدين حين تهاجمون اخوانا لكم عزلا بلا سلاح فى أيديهم · وأين أنتم من الدين حين تثيرون الفتن بين ربوع وطنكم وأين أنتم من الدين وأنتم تشوهون الدين أسوأ ما يكون التشويه وتدمرون الأمن والطمأنينة فى نفوس أبناء وطنكم جميعا مسلمين وغير مسلمين ·

ومن نصبكم قضاة على ديننا والله سبحانه هو وحده من يحاسب الناس فى دينهم وهو جل جلاله من يقول لنبيه فى آيات بينات « لست عليهم بمسيطر » ويقول « انما عليك البلاغ وعلينا الحساب » والآيات متواترة فى هذا المعنى تخاطب سيد البشر وحامل الرسالة والذى نزل عليه القرآن بالحق وبالحق أبلغه ·

الا ثوبوا الى الرشد منكم وعودوا الى الاسلام فقد بعدتم عنه وشططتم وحملتم أنفسكم من الأوزار ما لا يطيقه بشر ·

هدى الله ضلالكم فانه سبحانه هو الهادى الى الصراط المستقيم ؟

الأهرام ١٩٨٨/٣/٢١

أرخبيل الوزراء

الأرخبيل مجموعة من الجزر منفصلة · وقد وثب اسمها الى ذهنى وأنا أرقب حال مصر فى أيامنا هذه · فأنا أرى ان السلطات فيها منفصلة عن بعضها البعض كل الانفصال · وان جاز هذا لسلطة القضاء فما أحسبه جائزا للسلطة التشريعية والتنفيذية ·

فانى أرى السلطتين تعمل كل منهما بعيدا عن السلطة الأخرى · وتلك عجيبة فى الحياة الديموقراطية · وليس الانفصال تأييدا أو معارضة وانما هو بعد كل من الطريقين عن الآخر ·

أما أعجب ما يثير دهشتى هو أرخبيل الوزراء · فالوزارة فيما أعلم مسئولية تضامنية · فالسياسة العامة لكل وزارة هى مسئولية مجلس الوزراء مجتمعا · أى انها مسئولية كل وزير · فما ينبغى أن يكون الوزير مسئولا عن وزارته وحدها · وانما هو مسئول عن السياسة العامة لكل الوزارات الأخرى · لأن مجلس الوزراء مسئول عن السياسة العامة لكل وزارة على حدة · فمجلس الوزراء هو صاحب الفلسفة العامة للوزارات كافة · والوزراء يتفاوضون الأمر فى هذا المجلس بشأن جميع الوزارات ويصلون فى شأن هذا الأمر الى فلسفة سياسية واحدة ·

مجلس الوزراء ليس مسئولا عن طريقة تنفيذ هذه الفلسفة فى كل وزارة فهذا من اختصاص الوزير · انما الفلسفة العامة للحكم هى مسئولية مجلس الوزراء · واذا رأى الوزير أن السياسة العامة للوزارة تختلف عن وجهة نظره الخاصة فعليه أن يقدم استقالته على الفور ·

تستطيع ان تلقى أى وزير فترى صدق هذا الذى أذهب اليه · نجد الوزير يعرف كل شىء عن وزرته هو · وليس يدرى شيئا عن سياسة الحكومة ·

وتلك عجيبة من عجائب الزمن · ما شهدنا مثلها فى أى حكم ديموقراطى ·

ان علماء القانون الدستورى يقولون ان الأمور العامة تعرض جميعها على مجلس الوزراء ويدلى كل وزير فيها برأى فاذا حدث ان أدلى أحد الوزراء برأى فى موضوع عام وخالفته الأغلبية فان عليه اذا أدلى بتصريح صحفى فى هذا الشأن أن يذكر آراء خصومه ولا يذكر رأيه هو الذى رفضته الأغلبية وتلك هى الوحدة الوزارية كما نعرفها ٠

فان كان الخلاف حول موضوع جوهرى أساسى فى سياسة الحكم فعلى الوزير أن يستقيل أما ان كان الموضوع فرعيا لا يمثل اتجاها ذا شأن جليل فالمفروض ان يبقى الوزير فى مكانه من مجلس الوزراء فليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما حدث خلاف فى الرأى حول مسائل غير أساسية ٠ والا ما أكملت وزارة أياما فى الحكم ولتحطم الاستقرار ٠

والذى نشهده اليوم بعيد كل البعد عن هذا الفكر وعن هذه الفلسفة انما نشهد وزراء ولا نشهد فكرا واضحا لمجلس وزراء ٠

المفروض ان أسأل أى وزير عن السياسة الاقتصادية للوزارة مثلا فيكون على علم واف بكل دقائقها ٠ لأن السياسة الاقتصادية سياسة حكم بأكمله وليست سياسة وزير وحده ولا رئيس الوزراء وحده وانما هى مسئولية الوزراء جميعا ٠

والقى الوزراء ويدور بيننا الحديث فأجد الوزير أبعد ما يكون علما عن السياسة الاقتصادية ٠

وأعجب فالوزير ليس مجرد موظف رقى الى درجة وزير وانما هو سياسى بالدرجة الأولى وأهم مقعد يجلس اليه هو مكانه فى مجلس الوزراء وفى المجالس التشريعية وليس أهم مقعد له كرسيه فى مبنى وزارته ٠

وان هذا الذى أقوله ليس ابتداعا ولا تفكيرا فرديا جئت به من عندى وانما هو قاعدة دستورية أصيلة معمول بها فى كل بلاد العالم التى اختارت السياسة الديمقراطية سياسة لها ٠

ولهذا لم يكن عجبا ان يكون وجود وزير واحد من الوزارة فى مقاعد الوزراء بالمجلس التشريعى كافيا لأن تكون الوزارة جميعها ممثلة فى المجلس ٠ فكل وزير يستطيع أن ينوب عن أى زميل له من الوزراء ٠

انما الصـــورة القائمة اليوم هى أرخبيل وزراء كل وزير جزيرة مستقلة كل الاستقلال عن الوزارة جميعا يعتبر انه مسئول فقط عن شئون وزارته وهو بعد ذلك بعيد كل البعد عن السياسة العامة للوزارة مجتمعة ·

ولكن الناس فى المجتمعات العامة والخاصة لا ترى هذا الرأى ولا تقبل هذا المنطق ولا يسوغ عندها هذا التفكير ·

فما ان يجتمع اثنان أو ثلاثة أو أكثر بوزير حتى نراهم يعتبرونه مسئولا عن كل ما يجرى فى البلاد وأشهد الوزير فى موقعه هذا فأشفق عليه وتتقطع نفسى حسرات على موقفه فقد أصـــبح مساءلا بلا مسئولية وحين يحاول أبناء الشعب أن يتداولوا معه الرأى فى شتى الموضوعات يجدونه أبعد الناس عنها وأكثر الناس زهدا فى التعليق · لأنه يعتبر أى موضوع ليس متصلا بوزارته أمرا يجرى فى المريخ أو فى أى كوكب آخر غير كوكب الأرض ·

وليس هذا بالأمر الهين فليس من المفروض ان يكون الوزير عالما فقط فى شئون وزارته بل لابد أن يكون ذا فكر سياسى مستنير وصاحب رأى متعمق فى كل ما يعرض على مجلس الوزراء من شئون أما أرخبيل الوزراء هذا فانه يجعل الناس فى حال من البلبلة لا يقر لهم قرار · ويجعل الرؤية دائما غير واضحة بالنسبة للسياسة العامة والفلسفة التى تنتهجها الحكومة ·

ولابد لكل حكومة من سياسة عامة وفلسفة يعرف الناس فى داخل الدولة مصائرهم على هداها · ويعرف الذين يريدون التعامل مع الدولة من الخارج أى مصيرهم مقدمون عليه · فان المتعاملين مع الدولة أقوام يأتون الى الدولة بمالهم والمال لا يدخل أبدا الى منطقة يحجب الظلام جوانبها بل لابد أن يكون المكان واضح المعالم كل الوضوح يملأ النور أركانه جميعا ولا يجتمع نور الوضوح وعتمة الظلام أبدا ·

وكيف يكون المجال منيرا للأجنبى القادم من دولة أخرى اذا كان معتما غير واضح السمات لشعب مصر نفسها بل والأدهى والأمر انه غير واضح لوزراء مصر أنفسهم وهم الوزراء ·

لابد ان تتضح الرؤية للوزراء وللمصريين حتى تكون واضحة لمن يقدم الى مصر · وحتى يصبح الشعب على بينة من أمره فان الحيرة احباط · والاستقرار والضياء هما الأمل والفلاح ·

الأهرام ١٩٨٨/٤/١٠

ضـــياء الـــكاتب قلمــه

أرى النـــاس تحمل الكاتب فوق ما يطيق ٠ فان كتب فى موضوع توجه اليه الناس يسائلونه : لماذا لم يتم تنفيذ الرأى الذى نادى به ؟ وهم ينسون انه مطالب بالكتابة فقط وعمله فى الحياة ان يقول كلمته لأنه لا يملك غيرها ٠ وما هى بالشىء القليل ٠ وليس يعنى الكاتب أين تقع كلمته من التنفيذ ٠ فانفاذ الرأى ليس عمل الكاتب وانما عمله القول فحسب ٠

ولكن الناس لا يكتفون منه بهذا فهم يلاحقونه بالالحاح عليه ان يسعى الى انفاذ الرأى الذى ينادى به أو هم يطالبونه أن يعود فيكتب فى نفس الموضوع ثانية وثالثة وعشرا ٠

وهم لا يعلمون ان الكاتب ليس نجارا يصنع الكلمات مثلما يصنع النجار المناضد ، انما الكتابة شعور وحافز ٠ فالكاتب لا يشرع قلمه الا اذا امتلأت نفسه يقينا ان الموضوع الذى سيعرض له جدير بالكتابة ٠ فاذا اقتنع لا يقف به شىء ٠ فالضمير عند الكاتب هو مصدره الوحيد وارضاء ضميره هذا هو هدفه الوحيد ٠ أو ينبغى أن يكون الأمر كذلك ٠ فان لم يكن ٠ فالكاتب عند الناس أجير وكلامه لديهم لا قيمة له ولا وزن ٠

والكاتب لا يكون كاتبا الا اذا نزل فى نفوس القراء فى موقع الاجلال والاحترام والا أصبحت كلماته أهون شأنا من ثمن الحبر الذى كتبت به ٠

وليس معنى ذلك ان يرضى الكاتب قراءه جميعا ٠٠ فان كاتبا يحاول هذه المحاولة مصيره الفشل الذريع والسقوط الى هاوية ما لها من قرار ٠

فالكاتب رأى ٠ ولكل رأى معارض ٠ وحتم على الكاتب أن يقول رأيه هو الذى يقتنع به كل الاقتناع لأنه مطالب ان يقنع الأخرين وهيهات ، لغير المقتنع ان يقنع آخر ٠

وحين أقول ان الكاتب لا يمك الا الكلمة لا يحسبن أحد ان هذه الكلمة أمر هين ٠ انها قوة جانحة ٠

الكلمة هي المعجزة التى اختارها الله من فوق سماوات سبع لتكون معجزته الباقية الخالدة • على الزمان • وكل معجزات الأنبياء ما كان أحد ليصدقها لولا أن الكلمة خلدتها • فلولا كلمة الله فى كتابه لما تصور الناس أن عيسى من روح الله وان موسى شق البحر وان سليمان سخر الجن وكلم النمل •

ربما كلمة من الله ثبت فى نفوس المؤمنين ما تحمله كل هذه المعجزات من خروج عن سنة الكون ومن بعد عن نواميس الطبيعة •

الكلمة هى المعجزة الباقية الخالدة التى اختارها الله لتكون صلة السماء بالأرض والخالق بالمخلوق •

والقلم فى أنامل الكاتب الشريف جيوش زاحفة • كم من طاغية مستبد وقف أمام القلم مرتعدا هالعا •• والظالمون على مدى التاريخ لم يخشوا شيئا قدر خشيتهم حرفا يخطه قلم ••

فما على الكاتب بأس أن يقول • ولا يفعل شيئا الا ان يقول •• فحسبه قوة ومنعة وعزة ان يكتب كلمته •

وما على الكاتب بأس ان أخذ الأخرون برأيه أو لم يأخذوا • فهو قد قال • وهدأ منه الضمير واطمأنت به النفس ، وسكن من نفسه ما كان ثائرا • فان ثورة نفسه لم تعد بعد فى اضالعه حبيسة وانما هو أعلنها الى الملأ وعلى الملأ أن يحمل من بعد عبئها ويتولى أمرها •

والناس يريدون من الكاتب عجبا • ان هناك صلة روحية وطيدة بين الكاتب وقرائه ، ولعل من أعظم ما فرحت به ان قريبا لى لقى شخصا يعرفه وفى معرض الحديث قال القريب :

— كنت عند ثروت أباظة •

فقال صديقه الذى لا تربطنى به أى صلة الا الكتابة منى والقراءة منـه •

— ثروت أباظة بتاعنا ؟ !!

أفرحتنى الكلمة العابرة فرحا شديدا وأى فرح أعظم من أن أشعر أننى لست ملكا لنفسى ولا لأهل بيتى وانما ملك للناس كل الناس •

وهذا الشعور يجعل الناس يفكرون فى الكاتب على أن الكاتب كلمتهم هم وانه هو المسئول أن يرد عنهم الظلم اذا وقع عليهم ظلم ، ويرفع عن كاهلهم العنت ان تحيفهم عنت أو مال بهم ميزان ·

وكم حمل الينا البريد خطابات تطالبنا أن نشارك مرسليها ما يشقون به ونحاول ان نرد عنهم كيد ظالم أو حيف زمان ·

ولا ضير على هؤلاء أن يتشفعوا بالكتاب فيما يلم بهم من متاعب الحياة فليس العجب منى لهذا ·

وانما الذى أعجب له ان بعض الناس أو كثيرا من الناس ، يريدون من الكاتب أن يجعل من مشاكلهم الشخصية مشاكل وطنية عامة ويريدونه ان يكتب عن المسألة الخاصة بكل منهم وكأنها مسألة الناس جميعا ·

وأعود فأرد العجب عن نفسى · فكل انسان يرى أنه محور الكون فالناس جميعهم بخير ما دام هو بخير · والناس جميعهم فى شر حال ، ان مسهم من الحياة عنت أو ضير ·

وهين الأمر عند الانسان كبير ضخم · والناس جميعا والكاتب من قبل كل الناس مسئولون عما يعانيه الفرد مهما يكن هذا الذى يعانيه يسيرا ضئيل الشأن ·

والكاتب يسعد ـ كما سعدت ـ ان يكون ملكا للناس فى مجموعهم ·· ولكنه لا يستطيع أن يكون ملكا لفرد منهم مهما يكن هذا الفرد رفيع المكانة سامى الشأن ·

الكاتب ملك ضميره وملك الناس جميعا ولكنه فى نفس الوقت ليس ملكا خاصا لأحد · فاذا أصبح كذلك سقطت عنه صفة الكاتب بل أكاد أقول ان صفة الانسان تسقط عنه أيضـــا · فانما يملك الفرد متاعا ولا يملك الفرد انسانا · وهيهات والف هيهات أن يملك الانسان انسانا · فما الخطب اذا كان هذا الانسان كاتبا ؟

انما الكاتب كلمة أمة وسمة عصر ونبض شعب ولسانه ·

بعيد الكاتب كل البعد ان يكون ملكا لأحد · وويل له كل الويل أن تملك هو نفسه وأذلته رغبة فى غنى أو ملك قلمه طموح الى نفع شخصى من شهرة أو مجد فارغ أو منصب تحيط به الأضواء ·· ضياء الكاتب

قلمه وشرفه وصدقه · ويوم يتخلى الكاتب عن شرف الكلمة أو صدق النفس والأمانة فيما يخاطب الناس به تسقط عنه صفة الكاتب ·

ليس هنـاك كاتب بلا قـراء · والقراء أذكى الناس حسا وأكثرهم شفافية وأقدر من أى فرد على الوصول الى ضمير الكاتب ومقدار صدقه مع نفسه ومعهم ·

والكاتب بلا قراء مذياع أبكم · ومصباح لا ينير ··

وسبحان من أقسم بالقلم فرفع قدره الى عنان السماء وهل بعد اكرام الخالق العليم اكرام ينال ·· أو بعد كلمته كلما تقال ؟!!!

الأهرام ١٩٨٨/٤/١٠

وديعـة فى أيد أمينـة

عن طيب خاطر نترك « الصفحة الأدبية » فى شهر رمضان المبارك لتشغلها « الصفحات الدينية » • داعية للقراء أن يعيد الله عليهم الشهر المعظم وهم فى أسعد حال هانئين بالسعادة الشخصية والسعادة الوطنية فى وقت معا • وما لنا ألا ندعو أن يعود شهر الاسلام العظيم على المسلمين فى أنحاء الأرض وقد شملهم السلام وانتهت الحرب المؤسفة بين العراق وايران • والثورة الموجعة فى لبنـان • واذا كانت الحقـائق لا تتسع لأحلامنا فرحمة الله تسع أمالنا جميعا ، ومهما تضق بنا الحياة وواقعها فان باب الرحمن الرحيم اللطيف الودود السلام لا يرد دعاء ولا يخزى عنده رجاء •

هنيئا « للصفحات الدينية صفحتنا الأدبية » طوال شهر رمضان • ولكن هل لنا ونحن نودع الصفحات أمانة بين أيدى كتاب الاسلام أن نأمل أن يخاطبوا العقول التى أفسدها الجهل • والتى مالت بالشريعة السمحا ميلا يرفضه الله فى رفيع سماواته وتأباه الشريعة السماوية •

وهل لنا أن نسأل هؤلاء الكتاب الذين يكتبون لنا فى رمضان أن يردوا الجامحين الى هدى من أمرهم • والمارقين الى صراط مستقيم • وهل أن يذكروا لهم ان الاسلام أعظم الأديان السماوية به ختم الله رسالاته الى الأرض وهو الدين القيم المتين وان علينا أن نوغل فيه برفق • وان أحدا لم يسىء الى الاسلام قدر المسلمين أنفسهم •

ولنذكر هؤلاء الخلفاء والأمراء الذين انحرفوا بالاسلام الى أهوائهم والى حقير رغباتهم والى مظامعهم الشخصية ودنىء أحلامهم من خمر الى نساء الى بلهنية واسراف يرفضها الاسلام روحا ونصا وطريقا وسنة •

ولنذكر مئات الجوارى فى القصـــور مستغلين اباحة ملك اليمين متعامين عن روح الدين ونص قرآنه حين يقول سبحانه جل علاه « يقول أهلكت مالا لبدا • أيحسب أن لم يراه أحد • ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين • وهدينه النجدين • فلا أقتحم العقبة • وما أدراك ما العقبة • فك رقبة » (سورة البلد) •

ولنذكر أن الاسلام لم يعمل بشريعته أمينا فى تطبيقها عظيما فى عدالته الا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى · وتبعهم بعد سنوات طوال عمر ابن عبد العزيز · أما مئات الحكام كانوا وبالا على الاسلام وشريعته وعلى شعوب المسلمين ·

وكلهم كان يدعى أنه يطبق الشريعة وليس يخجل أن يعتدى على العلماء بالسجن والتعذيب ويظل يدعى أنه يطبق الشريعة ادعى المنصور والسفاح والخلفاء الذين عمل لهم الحجاج بن يوسف الثقفى أنهم يعملون بشرع الله ·

ويدمر الحجاج الكعبة بيت الله ومثابة المسلمين وقبلتهم ويقتل فى ظلم بين وفى اجرام عنيد ويدعى أنه يطبق شرع الله ·

اذكر له محاكمة أجراها مع قوم كانوا ثائرين أعلن فيها ان من يقول انه على دين محمد حين ثار فانه سيقتله ومن يقول انه على غير دين محمد سيقتله ويتقدم اليه شاب صغير فيسأله :

ــ على أى دين أنت ؟ فيقول الفتى فى شجاعة ·

ــ على دين محمد فيقول الحجاج :

ــ اقتلوه ·

ثم يتقدم شيخ عجوز علت به السن ويسأله الحجاج :

ــ على أى دين أنت ؟

فيقول الشيخ :

ــ على دين أبيك الشيخ يوسف ·

فيقول الحجاج فى جرأة على الحق :

ــ لقد كان والله قواما صواما أطلقوا الرجل ·

ولكن العجوز يأبى هذا الصفح ويصيح بالطاغية :

ــ أيقول لك الفتى انه على دين محمد فتقتله وأقول اننى على دين أبيك فتطلقنى ولو لم يكن لأبيك مساءة سوى انه أبوك لكفاه خزيا ؟ فيصيح الحجاج :

ـ اقتلوا الرجل ظالما حين قتل ظالما حين صفح · انما هي خطرات من وساوسه لا تعرف دينا ولا ملة ولا قال به شرع ولا سمح به قانون سماوى أو أرضى ·

خطأ بشر

الدين الاسلامى أعظم ما وصلت اليه البشرية ولكن الذين حكموا به كانوا طغاة عتاة ظلموا الشريعة الاسلامية أول ما ظلموا ثم مالوا على الناس فأوسعوهم عنتا وظلما وتجبرا والله لا يحب الجبارين كما لا يحب كل مختال فخور فان الانسان لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا ·

ويظل الاسلام فى اشراقه ولألئة وفى سموه شموخا لا يجرؤ كل هؤلاء ان يمسوا لبه وحقيقته الوضيئة المنيرة بروح الله لأن الناس تعلم أن الخطأ كان دائما فى التطبيق · وانه خطأ بشر أراد أن يطوع شرع الله لدنيوياته الصغيرة الحقيرة · وهيهات أن يرضى شرع الله ذلك أو أن يقره؛ ان الدين الاسلامى أعلى من كل نقاش ولكن الناس من الجهلاء يجهلون عليه ويجهلون به على الشعوب والله سبحانه من فوقنا جميعا يرد كيد الجاهلين ·

هذه « صفحتنا » نتركها لكتاب الاسلام نتركها بين أيديهم وديعة ونحن واثقون ان الودائع عندكم أمينة السرب مرعية الجانب ونسألهم أن يعلنوا باسم علماء الاسلام أننا نحن المسلمين لا نخشى على الاسلام من الارهابيين أو غيرهم وانما نخشى على الارهابيين من الاسلام · فهم اخوان لنا غرر بهم مال أو غرر بهم جاهل محتال أو جنح بهم عن الطريق راغب فى سلطة دنيوية واستخدم الاسلام وسيلة لتحقيق آماله الوضيعة وطموحاته الساذجة ·

وما صارع الاسلام أحد أو جماعة الا وكانت الغلبة للاسلام ـ علا اسم الله وتقدست آلاؤه ـ فبوءوا أتباع الهوى هونا · فان الله غالب على أمره وان رغمت كل الأنوف وسلام عليكم علماء الدين فى شهر الصوم الذى أنزل فيه القرآن ورحمة الله وبركاته ·

الأهرام ١٩٨٨/٤/٢٥

هيبـــة .. الدولـــة

لم أتصور فى يوم من الأيام ان حينا من الدهر سيأتى علينا نناقش فيه ان كان الغناء حلالا أم حراما وان كان مباحا أو محظورا . فقد كنت أحسب ان هذا أمر حسمه النبى عليه الصلاة والسلام منذ ألف وأربعمائة عام .

وقد استقبلته المدينة المنورة بالدفوف وبالأبيات الطيبة المشرقة : طلع البدر علينا . ثم تواترت منه عليه الصلاة والسلام الأفعال والكلمات التى تؤيد الاباحة فى أمر الغناء . ومنها حديثه الساطع العظيم « اعلنوا الزواج ولو بالدف » فاعلان الزواج أمر يراه صلوات الله عليه أمرا واجبا حتى يضفى الشرعية على علاقة رجل بامرأة تزوجا بسنة الله ورسوله .

ولكن أطفال اليوم الذين يريدون أن يجعلوا ديننا لهوا لهم ، وعبثا ، ومراحا وافراغ طاقة أعادوا الى حياتنا البحث فيما اذا كانت الموسيقى حلالا أم حراما . وهم جاهلون ان أيام النبى لم يكن هناك من أنـواع الموسيقى الا الدف وقد أباحه النبى بشكل قاطع لا شك فيه ولا شبه ولا شبه وكان من الطبيعى أن يتصدى للأمر المشايخ الأجلاء ليحاولوا أن يعلموا هؤلاء الصبية الجهلاء ما لا يعلمون أو ما يعلمون انه الحق ويميلون عنه فى اصرار معتدين على الدين والانسان والحرية ووجه مصر الحضارى بل مشوهين وجه الزمن جميعه شاهت وجوههم وشاهوا .

وكان من بين ما قرأت مقالة رائعة لفضيلة الشيخ د. عبد المنعم النمر بالأهرام حسم بها الكلام حسما قاطعا وقد جاء فى مقال فضيلة الأستاذ فقرة تستحق التعليق لأنها تثير فى النفس نوعا من التساؤل الذى يتحتم علينا ان نوجهه الى هؤلاء الصبية الهازلين . والفقرة فى ذاتها منطقية لا شك فى صـدق الحكم فيها يقول فضيلة الدكتور : « فالسماع للأصوات الحسنة خارجة من حنجرة انسان أو من الآلات الموسيقية لا ضرر فيه شرعا من حيث الأصل . ولكن اذا آتى من ناحية الموضـوع وكيفية الأداء وملابسات الغناء والموسيقى كشرب الخمر مع الموسيقى والغناء . مما يشجع على الاسترسال فى الشرب . كان ذلك ممنوعا سماعه » .

اذا كان هذا الذى يذهب اليه الشباب الارهابى فتلك اذن كارثة ٠ فلا شك أنهم يعلمون ان الشراب يصاحبه أيضا الطعام ٠ أو نحرم الطعام على الناس لأنه عند الشاربين يكون مصاحبا للشراب ٠ اذا كان هذا منطقهم وما ببعيد أن يكون فويل اذن للحياة من هذا الرهط الضـال الجاهل المضل ٠

ان الخمر محرمة بنص القرآن ولا شك فى تحريمها أما الموسيقى فعجيب ان تقوم جماعة ارهابية مسلحة لتحرمها ٠ فما عرف الاسلام هذا فى أى عهد من عهوده ٠

وانه لما يملأ النفس أسفا وحزنا ان نرى العالم يتقدم ٠ ونحن لا نكتفي بالجمود بل نتجاوز الجمود الى التأخر والتقهقر ٠

ان هؤلاء الارهابيين يسعون الى الحكم رافعين شعارات من الدين ويعلم الله سبحانه وتعالى ان الدين براء منهم وان الدين الحنيف يرى ان الفتنة أشد من القتل ٠ ويرى ان اثارة الرعب فى نفوس الناس جريمة لا تماثلها جريمة فى تاريخ البشرية ٠

وان الأسلحة التى يحصلون عليها تؤكد أنهم دمى بشرية فى أيدى أموال ضخمة تحركهم والهدف الواقف وراءهم هو تدمير الاستقرار والأمن فى مصر واثارة الفزع والرعب فى ربوع الوادى الأمين المطمئن ٠

والذى لا شك فيه انهم غير واعين للحريق الذى يشعلون والذى سيكون هم حطبه حين يندلع ٠ ولو انهم يعقلون لألقوا نظرة الى ايران وقد أتت الطغمة الحاكمة فيها على كل الأعواد الخضر التى كانت تعيش فى ايران ٠ انهم هم الأعواد التى ستلقى فى الحريق فليتقوا الله فى أنفسهم ان عز عليهم ان يتقوا الله فى أوطانهم ٠

والذى لا شك انه ينبغى للدولة أن تواجه هذه الكارثة بكل حزم وقد أعجبت كل الاعجاب بالقرارات التى اتخذها د٠ عبد العزيز حمودة عميد آداب القاهرة ليردع العابثين فى الكلية ٠

ولا شك ان الدولة تحتاج الى كل هيبتها لتواجه هذا الخطر الوبيل وانني أعتقد ان الدولة تفقد الكثير من هيبتها اذا تخلت عن مواجهة الواقع ٠ وكل تصريح فيه « لا مساس » انتقاص هيبة الدولة والهيبة للدولة أمر

متكامل فلا يجوز أن نشعر بهذه الهيبة فى أمر من الأمور ونفتقد الهيبة فنفقدها فى أمر آخر من أساسيات الحياة فى الوطن ٠

الهيبة كل متكامل ينبغى أن يشعر بها كل انسان فى مصر ٠ يشعر بها حتى هذا الذى يرتكب مخالفة مرور ٠ لأن مخالفة مرور واحدة قد تؤدى الى ضياع حياة انسان أو عشرين انسانا أو مائة ٠

واذا ضاعت هيبة الدولة انماعت حياة الانسان فى الوطن ٠

. . .

وأصبح وهو لا يدرى كيف يستطيع العيش ٠

فهيبة الدولة وحدهـــا هى التى تجعل الأبرياء الذين يمتـــازون بالشخصية السوية ويحيون حياة سوية ٠

وهيبة الدولة تمنع الجرم قبل وقوعه لأنها تمتد الى دخائر النفوس وتجعلها تدرج انها اذا ارتكبت جرما فلن تفلت من العقاب ٠

فالهيبة أهم ألف مرة من العقاب ٠ ويوم يشعر هؤلاء الارهابيون بهيبة الدولة سيتبددون ويصبح أمرهم فرطا ٠ ويعلمون علم اليقين أن لن يغنى عنهم مالهم أو شيطانهم شيئا ٠

الأهرام ١٩٨٨/٥/٢٢

الحـــرية حـــوار ٠٠

حيرة أنا واقع فيها لست أبصر عليها طريقى ولا أتبين على دربى هدى ٠٠

وما أنا بالشاكى الى القراء أمرا أشقى به وحدى ٠٠ انما شـأن الكاتب أن يكون صوت الناس الى الناس ٠٠ ولا يجمل به ان يبث ما يعانيه هو الى قرائه ٠٠ انما وثقوا به ليكون كلمتهم الى الملأ ٠٠ ولم يثقوا به ليكونوا هدى له عند حيرة ٠٠ ولا ليكونوا أهل شورته ٠٠ وملجأه اذا حزبه أمر ٠٠

انما حيرتى هذه ليست حيرتى وحدى ٠ وانما أحسب انها حيرتهم معى ٠٠ ولا أشك انها حيرة الكثرة الكاثرة من كتاب مصر فى أيامنا هذه ٠ اننا نكتب فى مصر ولا نجد لما نقول أثرا عند مسئول وان كنا نجد الأثر أكبر الأثر عند كل مصرى ليس فى يده من الأمر شىء ٠

والحيرة التى تغشى حياتنا هى هل نكتب أم نكف عن الكتابة ٠٠ فان كانت الأولى فلمن نكتب ٠٠ وهل أولو الأمر يملكون من الوقت لحظات يقرأون ما نكتبه ٠ أم تراهم مشغولين عن الصحف كل شغل ، بعيدين عنها غاية البعد ٠

ما شأنهم مع الصحف ؟ ٠٠ قومية كانت هذه الصحف أم كانت حزبية ٠ اننا نقول ما نقول ونصيح ما نصيح ٠ ولكن هيهات أن يصل صوتنا الى اذن من آذان السلطة التنفيذية ٠ وهم يعلمون اننا لا نبغى مما نكتب الا أن نكون عيونهم بين الشعب وضمير الشعب عندهم وان لم نكن كذلك فما نحن ؟ اننا نبض الناس ، وكلمتهم الصادقة ، وضميرهم النقى الصافى لا يكدره دخل ولا يحفظه على الحكام غاية أو مطلب شخصى أو مأرب خاص ٠

وان لم نكتب ٠ فماذا نصنع بين قومنا وقد ألقوا على أكتافنا ثقتهم وأنزلونا من نفوسهم منازل أمل عند يأس وكلمة صـادقة منشورة ان استغلقت عليهم دروب النشر وأغلقت دونهم مسالك الحديث ٠٠

وما دولة بلا كتاب • وأى دولة تلك التى يصمت فيها الكتاب ويكون الحديث حبيسا والكلمة متجمدة على الشفاه والحقيقة تتخفى فى زوايا الصمت ، وتتوارى فى طوايا الكتمان •

وماذا يبقى لنا نحن الكتاب اذا لم نكتب • وأى دولة تلك التى يصمت الكتاب فيها والحرية تملأ جنباتها •

على السلطة التنفيذية أن تعلم ان الحرية ليست أقوالا يطلقها الكتاب فقط •

وانما الحرية حوار • وقول واجابة وحديث يواجهه حديث اما أن تهز السلطة التنفيذية كتفيها لاقوال الكتاب ولا تعنى الا بالحديث فى المجالس التشريعية فهذا أمر بعيد كل البعد عن الديمقراطية بل هو أيضا أقصى الى أبعد مدى عن معنى الحرية •

فالحرية ليست شكلا وانما هى فكر • ولا فكر بلا حوار ولا حوار بلا كاتب يكتب ومسئول يجيب •

نحس نحن الكتاب كأننا نكتب فى عالم آخر غير العالم الذى نعيش• ولا أقول اننا نحس كأننا نكتب فى بلد آخر غير بلدنا فاننا حتى ان كتبنا فى بلد آخر فحتم على حكومة بلدنا أن تشعرنا انها قرأت ما كتبنا وبلغت أعماقه وأنها تقبله وستنفذه أو انها ترفضه ولماذا رفضته •

نشعر نحن الكتاب اننا نكتب نبض الناس فلا ينبض بما نكتب الا من كتبنا عنهم • اما من نريد أن نصل اليهم بحديثنا فهم منا فى مدار غير المدار • وفى كوكب غير الكوكب ••

وعجيبة أخرى •

نرى الاتهامات تنهال على بعض من رجال السلطة التنفيذية • فى الجرائد المعارضة ، وغير المعارضة ، والاتهامات فادحة •• والكلمة المتهمة ذات أجنحة عريضة • سريعة هى فى التنقل فما يمر على اطلاقها يوم أو بعض يوم حتى تجدها حديث الناس فى كل مجال •

ولا نجد للتهمة تكذيبا من الجهات المسئولة الا فى حالات نادرة وأحيانا نجد التكذيب تأييدا للتهمة وتلك هى الأخرى عجيبة من عجائب الزمن • تهمة وتأييد ولا حكم ولا عقوبة •

والتهمة من أى مصدر لها حين تنشر تصبح اذا لم يكذبها المسئولون واقعة صحيحة لا شك فيها ولا ريب .

أنا لا أتصور أن رجال الدولة لا يدركون مدى الخطورة فى الصمت الذى يواجهون به التهم المنسوبة اليهم .

ان كل رجل مسئول فى مصر انما يستمد كيانه من ثقة الشعب به واحترام المجموع لشخصه . والرجل المسئول حياته الخاصة والعامة ملك للشعب أجمع وهكذا رفض الشعب الأمريكى أن يتقدم لترشيحات الرئاسة رجل على صلة غير شريفة بغانية .. وهكذا شهدت انجلترا عشرات من المسئولين يبعدون عن مواقعهم لصلات شخصية ولكنها غير نقيـــة .

وهكذا يقع فى ضمير كل مسئول ان يواجه ما تنشره عنه الصحف من تهم تمس شخصه فور ظهور التهمة . لأن سمعته ليست ملكا له وانما هى ملك الشعب أجمع . وهو ليس واجهة لنفسه فى موقعه ذاك وانما هو واجهة لمصر كلها . ويأبى الله ويأبى الشعب ويأبى التاريخ أن تكون واجهـــة مصر الا الشرف كل الشرف والاشراق غاية الاشراق والشموخ قمة الشموخ .

الأهرام ١٩٨٨/٥/٢٩

الادغــــال ‥ والقــانون

يقول القاموس الدغل الشجر الكثير الملتف ويقول أيضا دغل القانص دغلا أي دخل فى مكان خفى ليختل الصيد ويقول القاموس ان من معانى الفعل دخل دخرل المريب ‥ ويقول القاموس أيضا فى المادة ذاتها أدغل المكان كان ذا دغل أو خفيا وأدغل بفلان خانه واختانه والداغل الذى يبغى أصحابه الشر يضمره لهم ويحسبونه يريد لهم الخير ‥

وما دعانى أن أبحث فى القاموس عن مادة دغل هــذه الا الهول الذى يثب الى ذهنى كلما ذكرت ان فى مصر كميات من القوانين يعجز عنها الاحصاء فالأرقام متفاوتة متضاربة بين أربعة عشر ألف قانون وسبعة عشر وكلا الرقمين مروع فالقانون اذن أصبح فى بلادنا أدغالا لا سبيل فيها لسالك وكيف يسلك والمواد متاهات يضرب بعضها بعضا وتتشابك منها الأذرع والسـيقان فالقانون بحالته هذه قد أدغل بالشعب فخانه واختانه وأراد به الشر وهو الذى يعتبره الناس ملجأهم عند ظلم وحماهم عند جور ‥ وحصنهم عند طغيان ‥ لقد أصبح القانون هو الظلم أشد الظلم وهو الجور أعظم الجور بل هو الطغيان ذاته فان كثرة القوانين بهذه الصورة هى وانعدام القانون سواء ‥

وويل للناس وحياة الناس ان أصبح القــانون ظلما وهو أساس العدالة ‥ أو أصبح جورا وهو طريقهم الى الحق ‥ أو أصبح طغيانا وهو أمل الناس فى العدالة ‥

ان الظالم اليوم يستطيع ان يدغل كما يدغل القانص ليتخفى عن صاحب الحق فيغتصب منه ما ليس له بحق وانه فى أدغال القوانين المتراكمة يتمكن فى سهولة ويسر ان يصرع العدالة وينالها فى مقتل ‥

أى قاض يستطيع أن يدعى اليوم انه على علم بالقوانين وهو الذى يفترض فيه أن يكون سادن القوانين وحارسها وكلمتها ٠

ان هذا الانفجار القانونى انما هو وليد حكم الطغيان لأن الطاغية بطبيعته لا يعترف بالقانون ولا بحكمه وهكذا أصبح اصدار قانون ما أيسر

شيء فعلا ·· وقد سمعنا ان وزيرا جديدا في أحدى وزارات الطغيان كان في مجلس الوزراء يستمع الى الأوامر حتى اذا صدر أمر يخالف القانون وكان الوزير لنكد طالعه من رجال القانون وكان لسذاجته يحسب ان الوزراء من حقهم أن يتكلموا وهكذا قال في براءة الطفل وفي جهالة الجديد في وظيفته ··

ـ هذا الأمر مخالف للقانون ··

وتولى الرعب وجوه الوزراء السابقين عليه والعارفين كل المعرفة بالطريقة التى تسير بها الأمور في مجلس الوزراء ·· وسكت مصدر الأوامر ونظر الى الوزير الجديد ثم نظر الى الوزراء الآخرين وقال لهم في استنكار وسخرية مريرة ··

ـ ماذا يقول الأستاذ ؟

وتعالت أصوات الوزراء ··

ـ انه جديد يا أفندم ·· ولن يتكرر هذا منه ··

وراحت الأوامر تصدر من جديد متدفقة لا يعوق تيارها عائق أو يقف دون مجراها واقف ··

وانتهت الجلسة ووقف الوزراء عندما وقف الآمر ·· واتجه الى باب الخروج وقبل أن ينصرف وقف لحظة وكأنما تذكر شيئا غير ذى قيمة وقال ··

ـ وأصدروا قانونا آخر حتى يستريح الأستاذ ··

وتعالت الأصوات أمرك ·· حاضر ·· وخرج ·

وهكذا لم يعد غريبا ان أصبحت القوانين في مصر بهذا العدد الذى لم تعرفه دولة في العالم ولم يره تاريخ على مدى الأجيال ··

وقد كانت القوانين تصدر في مصر بعد خطوات متعددة متأنية وكانت كل كلمة في القانون الجديد تناقش مناقشة مستفيضة من جميع جوانبها القانونية واللغوية وكان المتناقشون يتعمقون مدلول كل كلمة واستعمالاتها في اللغة المكتوبة أو المسموعة ·

كان القانون يقدم الى المجلس التشريعى فيحال الى اللجنة المختصة ثم يعرض على اللجنة التشريعية ·· ثم يقدم الى مجلس الشيوخ فيناقش ··

ثم يقرر المجلس بشأنه ما يراه ثم يحول الى مجلس النواب فيناقش ويؤخذ عليه الرأى فان كان متفقا مع ما ارتآه مجلس الشيوخ تمت الموافقة عليه والا أعيد ثانية الى مجلس الشيوخ فان أصر على رأيه فان الدستور ينص على أن يجتمع المجلسان فى شكل مؤتمر ويؤخذ الرأى على القانون ولا تتم الموافقة الا اذا حصل القانون على أغلبية الثلثين ·· وأعتقد أن هذا النص لم تدع الحاجة الى أعماله فيما عرض على المجلسين من قوانين ··

فالقاعدة القانونية ان القانون حين يولد فانما يولد للبقاء وللثبات لا يعتريه تعديل ولا يجرى عليه الغاء الا عند الضرورة القصوى ·· فالقانون كائن حى تتعلق بمواده حقوق الناس الشخصية التى تتصـــل بكيان الانســـان أو المادية التى تتصـــل بحقوق الفرد والتزاماته والحقوق والالتزامات هى صـــلات الأشخاص فى شتى صـــورها سواء كانت هذه الصـــلات بين الشخص والدولة أو بين الشخص وغيره من الأشـــخاص الطبيعية أو المعنوية ··

فكيف لهـــذه الصـــلات أن تستبين من خلال هذه الأدغال الخاتلة الخائنة من القوانين الحالية ·· ولست أدرى لماذا تسير اللجان التشريعية التى تتولى النظر فى هذا الهول سيرا وانى الخطو بطيئا وكان الأمر يسير هينا غير ذى خطر ·

واننا حين نصبح أن يصبح مجلس الشورى صاحب حق ثابت فى نظر القوانين انما نحاول ان نصدر القوانين وقد أحاطت بها حصانة البحث المتعمق التى تكفل لها الحياة والجدية والاحترام ·· ولسنا بحاجة الى تغيير الدستور فى هذا الشأن ·

فاذا كانت القوانين فى غفلة من الزمن الطاغى قد أصبحت بهذا التضخم القاتل للحقوق فليس أقل من أن نزجرها أن تغافل الزمن الحر أيضا ·

الأهرام ١٩٨٨/٦/٥

فاذا هـــم مبصرون ..

أما نحن المؤمنين فنقول لا اله الا الله محمد رســـول الله .. هو سبحانه الذى خلق الكون جميعه بعضـــه يكمل بعضا وألقى على الأرض الرواسى أن تميد بنا . وجعل الجبال تمر مر السحاب وان خيل لنا انها ثابتة فى مكانها لا تتحرك . وخلق الطعام وجعل لكل لون من الطعـــام أنزيمات فى جسم الانسان . والذى وهب البشرية هذا النوع من الطعام هو سبحانه من خلق العصارات التى تتعامل معه فى جســم الانسان . فما الحاجة الى السكر مثلا ان لم يكن فى تكوين جسم الانسان من الأعضاء والانزيمات ما يعامل هذا السكر ويجعل منه شيئا مفيدا للانسان وقس على ذلك ما شاء لك القياس من لحوم وخضروات وفواكه ونقل وكل ما أنعم الله به على الانسان من أطعمة .

فحين يقول الكافرون الطبيعة أصبح من حقنا ان نسألهم أتستطيع الطبيعة وهى مخلوق ان تخلق هذا التكامل فى الحياة جميعا .

أتستطيع ان تخلق كل هذه الحشرات وتجعل بعضها طعاما لبعض .. وتخلق كل هذه الدواب وتجعل لكل منها عمـــلا تقوم به .. هيهات .. ألف هيهات .

ان الطبيعة لا تستطيع ان تتمرد .. فالشمس والقمر والأفلاك كل منها يجرى فى مداره .. ولابد من قوة عليا تمسك بها الا تجور ولا تطغى فلا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار .

ان الطبيعة تحتم انه اذا التقى موجب كهربى بسالب كهربى فلابد ان تولد شحنة كهربية . والمعادلات الكيماوية وهى آلاف مؤلفة لا تجرؤ واحدة منها على ان تتخلف عما أراد لها الخالق ــ لا الطبيعة ــ ان تكون . فاذا أضيفت مادة معينة الى مادة معينة تطبيقا لمعادلة كيماوية فلابد حتما ان تنتج مادة أخرى قدر لها الخالق العليم ان تكون نتـــاج هذا التكوين .. لأن الطبيعة لا عقل لها وهيهات أن يكون لها عقل .

أما الخالق فهو صاحب الارادة العليا التى لا يعرف عدالتها الا هو ٠٠ فهو الذى ينزل المطر ٠٠ ولو كان المطر ينزل نتيجة معادلة كيماوية ثابتة ما انقطع أبدا ٠

الشمس هى الشمس ٠٠ والمسطحات المائية هى المسطحات المائية والأشعة تسقط على مسطحات الماء وتكون البخار ويصبح سحابا ٠ فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الأمر لسقط المطر فى موعده المرسوم لا يخلف يوما عن موقته ٠٠ فكيف اذن توقف المطر سبع سنوات متوالية عن أفريقيا ٠٠ ذلك لأن الله هو وحده ينزل المطر حين يشاء لعدالة يعلمها هو ولأمر يريده جل علاه لا يرتقى الى ما قدر علم بشر أو منطق انسان ٠

وهو سبحانه يهب لمن يشاء البنين ويهب لمن يشاء البنات ويجعل من يشاء عقيما ٠ فلو كانت الطبيعة هى صاحبة الرأى لأصبح من الحتم ان يلد كل زوجين ليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنك ترى الزوج والزوجة وليس باحدهما ما يعوق الانجاب ولكنهما لا يرزقان من البنين أو البنات ٠ وقد يطول بهما الزواج عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ثم ينجبان ٠٠ أو قد يشاء الله لهما ألا ينجبا على الاطلاق ٠ وقد يفترقان ويتزوج الزوج من أخرى وتقترن الزوجة بزوج آخر فينجب كل منهما من الزوج الجديد لأن تلك ارادة الله وحده قدرها بارادته المفردة لا شريك له سبحانه لحكمة لا يرقى الى سماواتها عقل انسان ٠ وكيف يرقى وما هو الا كما قال سبحانه « يا أيها الناس ضرب متل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ٠٠ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ٠٠ ضعف الطالب والمطلوب » والطالب هنا هو الانسان والمطلوب هو ما سلبه الذباب منه ٠٠ المقارنة بين هذا المخلوق الذى يظن نفسه طاغية جبارا وبين ما سلبه الذباب منه ٠٠ كم هو حقير ذلك الانسان ٠٠ انه أضعف مما يسلبه الذباب ٠٠ وناهيك بهوان المقارنة ٠٠ وما أعظم الهوان الذى ينبغى أن يشعر به وهو أحقر مما سلب الذباب فاعجب معى واعجب ثم اعجب ٠ فيم التكبر والطغيان والظلم والجبروت ٠

ويقول الملحدون انما أصل العالم مادة والذين يقولون ان الله هو الخالق انما يؤمنون بالغيبيات ٠

ويحهم الا يستحون ٠٠

أما نحن المؤمنين حين نقول الله هو الخالق فانما نبصر المعجزة فى أنفسنا ويزلزل كياننا البشرى جميعا حين تطـالنا الآية المعجـرة « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » • ما الروح •• ما سرها •• وكيف تجعل الانسان وهو قطرة من ماء يصبح هذا المخلوق الذى جعـل الله منـه الوسيلة للوصول الى أسرار الكون جميعا فالانسان حين يصل الى القمر لا يخلق القوة التى يصل بها اليه وانما يصل الى الأسرار الخفية التى أودعها الله فى طوايا الكون ليكشفها مخلوقه الذى اختاره لذلك وهو الانسان •

ما الروح تلك المعجزة •• لقد حاول الملحـدون باصرار ان يخلقوا الخلية ليصلوا الى سر الروح •• وخاب سعيهم •• ونسوا انهم حتى اذا وصلوا الى الخليـة فانما يصلون اليها بمواد من خلق الله وليست من خلقهـم •

ونحن المؤمنين حين نقول هو الله •• هو الخالق البارىء •• المصور فبين أيدينا أدلة مادية لا يأتيها الباطل من أى سبيل ، منها الروح •• ومنها كتاب الله العزيز الذى مر عليه ألف وأربعمائة عام •• ظهر فيه عمالقة الشعراء والكتاب ان وضعنا فى كفة من الميزان كل ما نظموه وكتبوا •• وفى الكفة الأخرى آية قليلة الكلمات الكريمة من القرآن المعجزة لرجحت الآية وجعلت كل ما قالوه هباء •• أو أقل من الهباء •

أما الملحدون فيقولون ان أصـل العـالم مادة ويقولون ان الذين يقولون بغير هذا غيبيون •

فأينا اذن الغيبى •• نحن الذين نؤمن بروح الله وكتاب الله وهى أدلة ملموسة لا يجحدها الا متبجح جاهل •• أم الذين يقولون ان أصـل العالم مادة ويلقون حكمهم قطعا جازما بغير دليل الا الظن وما يغنى الظن عن الحق شيئا •

وانى أسألهم وليجيبوا :

أكانوا شهودا على الكون يـوم بدأ ورأوه وهو يبـدأ من المـادة •• ويحهم كم يسرفون فى وقاحتهم وتبجحهم •• انهم لا يستحون •• أليسوا هم الغيبيين اذن •• انما العقبى لنا نحن المؤمنين الذين قال عنهم سبحانه جل علاه « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون •• » •

صدق الله العظيم

١٩٨٨/٦/١٢

حتى يغيروا ما بأنفسهم

فى احدى المقالات التى نشرها « الأهرام » فى الاسبوع الماضى دعا الكاتب فى مقاله الى ان تنسى الأحزاب حزبيتها وتتجه كلها الى هدف واحد هو مصر .

وتلك – ولا شك – خطة رشيدة فى ظاهرها ولكن مادمنا نريد ان نواجه أنفسنا فلابد ان نكون صادقين كل الصدق فى هذه المواجهة .

والأمر الذى لا شك فيه ان اجتماع الأحزاب من شأنه ان يجعل الجبهة التى تصارع الأزمات قوية صلبة قادرة على تخطى الكثير من معاناة الشعب .

ولكن هل تستطيع الأحزاب المصرية ان تكون عند المسئولية الملقاة على عاتقها ؟!

هل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن السعى وراء المناصب الوزارية والحزبية ، أو البحث بكل الجهد على لقب من هنا أو لقب من هناك يضفى على العضو منهم سرابيل الأهمية ويتيح له ان ينفخ صدره جاهلا انه انما ينفخ هذا الصدر بالفراغ ؟ .

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى وهو الحزب الحاكم ان يكفوا عن جعل أمداحهم حين يمدحون نابعة عن نفاق يريدون ان يحققوا منفعة خاصة عاجلة سافحين ماء وجوههم على مرأى ومسمع من الشعب الذى أولاهم ثقته ؟ .

وهل يستطيع رجال الحزب الوطنى ان يكفوا عن الهجوم على السلطة التنفيذية حين تأبى هذه السلطة أن تستجيب لهم ليحققوا نفعا شخصيا يأباه الشرف وترفضه الأمانة ؟ .

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يحطموا الفصائل التى لا يجمعها الا جنون الرغبة فى الحصول على سلطان أوسع . وياليتهم بهذا

السلطان الذى يسعون اليـــه يحققون لمصر العظمى خيرا أو بعض خـير أو يا ليتهم بهذا السلطان يحققون للحزب وجودا فى الساحة المصرية ؟.

هل يستطيع الحزب الوطنى الذى أصبح أحزابا متنافرة متضاربة ان يصبح حزبا واحدا لا أحزابا وجماعة واحدة لا جماعات ؟ .

هل يستطيع أعضاء الحزب الوطنى ان يتقوا الله فيما وهب لهـــم ويردوا للشعب دينه وقد وثق بهم وأجلسهم على الكراسى ليكونوا صوته الحق .. صوته هو الشعب .. الشعب جميعا . لا أصـــواتا لا نـراها صائتة الا لكسب شيء من المال بطريق غير مشروع أو لكسب حرف كرسى فى حـــزب أو وزارة أو مصلحة أو شركة ؟ ولا حـــول ولا قوة الا بالله العلى القدير .

واذا اجتمعت هذه الأحزاب .

هل يستطيع حزب الوفد ان ينفى الشائعـة المؤسـفة التى يؤيدها ما تنشره جريدته ان الوفد تقاضى ملايين الجنيهـــات من بعض شركات توظيف الأموال ليكون هو دفاعهم وجريدتهم وحصنهم وجنتهم ؟ .

ان لم يكن هذا صحيحا ففيم كل هذا الدفاع الذى يصدر عن رأى واحد . وفيم يصف واحد من رجال تلك الشركات فؤاد باشا سراج الدين بانه أعظم انسان فى العالم ؟ .

وكيف لمن يتلقى الهبات ان يصبح صاحب رأى حر ؟ . ان المال اذا وصل الى الضمير عن طريق غير مشروع انعدم الضمير الى الأبد .

وهل يستطيع حزب الوفد ؟ اذا قدر له أن ينضـــم الى جبهة واحدة لمصلحة مصر ان ينسى ثارا قديما وان يجعل سياسته واضحة المعالم بينة السمات . فلا نراه يدافع عما كان يهاجم ولا نراه ينزل سخطه على ما كان يتمدحه ؟ .

هل يستطيع ان يفكر لمصلحة مصر فى شـأن القطاع العام والعلاقة بين المالك والمستأجر . وجعل الصناعة كلها لرأس المال الخاص والمطالبة باصدار الصحف للأفراد . وكأنمـــا الأفراد . ان أصـــدروا الصحف سينقذون مصر مما هي فيه ؟ .

هل يستطيع الوفديون التخلى ولو الى حين عن المطالبة بانتخاب رئيس الجمهورية بدل من الاستفتاء تلك الصرخة التى لا يكفون عن اطلاقها • وهم يرون مصر تتعرض لغزوات بربرية دنيئة من ايران حينا وحينا من ليبيا ؟ •

هل يكف الوفديون عن المطالبة بانشاء أحزاب جديدة وكانما الفرقة التى نحن فيها لا تكفيهم فهم يطالبون بمزيد من الفرقة والشقاق ؟ •

هل يستطيع الوفديون ان يكونوا ــ ولو لفترة قصيرة ــ مصريين فقط ينظرون الى المصلحة العامة وليس الى المهاترة ولا الى اصطناع بطولات زائفة يحاولون بها ان يجرفوا السلطة التنفيذية الى اتخاذ اجراء ضدهم هى لن تتخذه وان بالغ كتاب الوفد ما شاءت لهم المبالغة فى الهجوم بلا اصلاح وفى التعدى بلا هداية ؟ •

واذا اعتبرنا حزب التجمع حزبا مع انه غير ممثل فى السلطة التشريعية على الاطلاق مما يدل على انعدامه رسميا وشعبيا فى وقت معا •

اذا تجاوزنا عن ذلك وانضم الى صفوف الدولة أتراه سيكف عن المتاجرة بآلام الشعب وينتهى عن رفع اللافتات على فراغ ؟ •

هل سيعدل عن المطالبة بأن تتولى الدولة كل ما يغل مالا الأمر الذى تعدل عنه روسيا الآن وهى الزعيمة الأولى لمذهبهم ؟ •

وهل سيعدل عن المطالبة بأن تسيطر الدولة على كل الصناعات ؟ •

وهل سيسكت عن المطالبة بأن تظل الدولة تدفع الدعم مهما يكن فى ذلك خرابها • وهل سيحين له ان يتبين ان الدعم مال الشعب وليس مال الأفراد وانه خراب عائد على الشعب وليس على أصحاب رءوس الأموال؟•

وحزب الأحرار وما أدراك ما حرب الأحرار هل يستطيع أن يكون ذا وجود حقيقى فى هذه الجبهة وينظر الى مصلحة مصر وليس الى الصراخ الساذج بالمطالبة بالحرية الكاملة لرأس المال فى مجالى الصناعة والتجارة الأمر الذى لا تعرفه أي دولة مهما تكن متعصبة للحكم الرأسمالى ؟ •

هل سيظل ينادى بحرية الاستيراد بدون تحويل عمله دون دراسة لشعاره هذا ومدى أثره على الاقتصاد المصرى ؟ .

وهل سيظل يجأر بتكوين أحزاب جديدة كأن الأحزاب القديمة لا تكفى وكأنها أدت واجباتها فاستوفتها ؟ .

وهل سيصر على المطالبة بصحف جديدة للأفراد وهو يرى رأى العين كم تخسر المجلات العريقة ذات التاريخ ؟ .

وحزب العمل . أتراه سينضم الى الجبهة أم تراه سيظل يجعل من الدين وسيلة للوثوب الى الحكم ؟ . ان ظل كذلك فان انضمامه سيكون وبالا على الدين أولا ثم على مصر والمصريين جميعا . وان لم يصر على هذا المكر السيىء ففيم وجوده اذن .

ان الأمر ليس مجرد جبهة تلتئم . انما الأمر يبدأ من الأحزاب التى ستلتئم فى هذه الجبهة .

ان جعلوا مصر هى الغاية والنشيدة استطاعت مصر ان تواجه قدرها . اما ان ظل كل حزب على ما هو عليه فلك الله يا مصر وهو الحسب وهو نعم الوكيل .

الأهرام ١٩٨٨/٦/١٩

الحكم ثقة

وتلك عجيبة من أعاجيب هذا الزمان · لا يكتب كاتب كلمة أو يقول انسان قولة رأى الا راحت جماعة من الناس تبحث وراء الكلمة عن غرض خاص أو دافع شخصى كانما الرأى الحر أصبح أمرا مستحيل الوقوف ··

ترى تلك الجماعة تمزق صاحب الرأى بالسنة حداد · وتدعى عليه ما يأباه الحق · وتذيع عنه الاذاعات وتطلق عليه الاشاعات ·

فهو ان دافع عن رأى فهو بدفاعه هذا يدافع عن المنفعة الخاصة لا العامة ولابد ان يكون قد تقاضى ثمن دفاعه مالا أو خدمة خاصة أو صفقة مريبة ·

وهو ان هاجم راحت هذه الجماعة تطلق عليه القذائف انه ما هاجم الا لأنه طلب منفعة ورفضت · أو انه حاول ان ينال ثراء فلم ينل ·

كم أنا حزين وأنا أكتب ما أكتب اليوم ·

أنا لا أستطيع ان ألوم هذه الجماعة صاحبة الاشاعات والاذاعات ·

فان كثيرا من الكلام يكتبه كاتبه لمثل هذا الذى تقول به جماعة المتهمين هذه ·

ولكن هؤلاء الكتاب المغرضين على كثرتهم قلة قليلة اذا عقدت مقارنة بين حجمهم وحجم جماعات الكتاب الشرفاء ·

ولكن الناس يميلون بطبيعتهم الى الشك ولا يصلون الى اليقين الا بعد جهد جهيد ·

فمعذور هو الانسان اذا رأى بين الكتاب مائلا عن الحق جانحا الى الهوى فجعل الاستثناء هو القاعدة والشذوذ هو الأصل ·

فان العرق الدنىء يظهر على العروق الشريفة وان له لونا طاغيا يرين على العروق الأخرى النقية الخالصة ·

والكاتب حين يستغل قلمه ليجعله وسيلة تهديد أو نفاق يسقط من المكان الرفيع الذى ينبغى ان يناله صاحب القلم الى لص أراه أنا أرخص أنواع اللصوص وأكثرها سفولا وحطة .

ان صاحب القلم الذى يتخذ قلمه مطية للثراء الدنس يسرق ثقة شعب .. ويعتدى على تاريخ الانسانية . أما اللص سارق البيت فان اساءته تقع على فرد أو بعض أفراد ولكن اللص صاحب القلم فان اساءته تقع على أصحاب القلم وعلى كل من يقرأ له . وتحتم علينا ان نلتمس العذر لمن يسىء الظن بالكتاب .

قد يقول قائل بعض هذا فان شعراء الأزمنة الماضية كانوا يمدحون الملوك وأصحاب الجاه أو أهل الثراء لينالوا جدواهم ويحصلوا على المال . وما كان هؤلاء الشعراء يراعون حقا ولا يتجنبون باطلا . بل كان المال عندهم هو الحق والباطل جميعا فيمدحون الظالم ويشيدون بالطاغية ويتحيفون على الكرامة ويجعلون كلمتهم وسيلتهم الى الحياة لا يترفعون بها عن حماة الهوى ولا يتعالون بها عن حطة النفاق .

قد كان هذا ولكن أين نحن فى زماننا هذا من ذلك الزمان وقد كان الأمر فيه غير ما نحياه اليوم . وقد كان لهؤلاء الشعراء عذرهم . فما كانت هناك جريدة تنشر قصائدهم وينالون عليها رفدا أو مكافأة وما كان هناك اذاعة مسموعة أو مرئية تتيح للكاتب ان يعيش أى عيشة . وكان الملوك وأصحاب الجاه وأهل الثراء هم وحدهم ملجأ الشعر وموئل آماله وفى ساحاتهم وسائل النشر والاذاعة .

فأين نحن من هؤلاء .

اننا فى زمن ننادى فيه بكرامة الانسان وبالحرية . وكرامة الانسان تبدأ عند صدق الانسان مع نفسه ومع مواطنيه .

وصاحب القلم هو نبض الناس ولسانهم فان لم يكن صادقا فمن يكون الصادق .

ولكننى مع كل ذلك أعجب من تلك الجمعاعات التى تشير الأقاويل حول كل كلمة تقال مهما تكن صادرة عن ضمير نقي ورأى شريف وهدف رفيع .

فان للناس حاسة غاية فى الصدق وهم يعرفون أين يفح الحق وأين يقبع الباطل ورحم الله عزيز أباظة حين يقول فى روايته العباسة :

شعور الناس ياجعفر حق لا هوى فيه
له من وعيه الساذج مصباح فيهديه
يميز بوحى فطرته عداه من محبيه

والكاتب ينشر بين الناس الرأى وهم يحسون بوحى فطرتهم صدق الأمين وكذب الخائن •

فلو ان هذه الجماعة التى ترمى الكتاب بالباطل تريثت قليلا ثم حكمت ولو انها رجعت الى تاريخ الكاتب فتبينت مدى محاسبته لنفسه • ولو انها اتقت الله سبحانه وتعالى قبل أن تطلق شائعتها لكان هذا بانسانيتها أجدر •

وعلى كل حال فالوزير الذى يخاف الكاتب اللص فيعطيه حتى يسكته أكثر سفالة من الكاتب نفسه • فالكاتب يبيع ضميره فقط أما الوزير فيبيع ضميره ويعتدى على حق الدولة التى افترضت فيه الأمانة ووضعت يده على مقدراتها •

والوزير الذى يرشو كاتبا ليمدحه أشد انحطاطا من الكاتب اللص لأن الوزير ينبغى عليه وجوبا ان يجعل أعماله هى التى تمتدحه فلا يخشى الا الله ولا يطلب المديح الا بحقه وصدق فعله لا بأموال الشعب وبما أتاحه الله له من سلطة العطاء والمنع • فما هو الا أمين على هذه السلطة تولاها بثقة من الدولة ان خانها خان الله وحق الوطن •

وان الأدواء الاجتماعية والسياسية والخلقية تتلاحق ويساعد بعضها على الانتشار •

وعند صلاح الوزراء والمسئولين يبدأ صلاح الأمة •

وعلى المسئول اذ قيلت عنه كلمة مغرضة فيها له تهمة مزعومة أن يبادر بالتكذيب القاطع . فان ذيوع التهمة بين الناس يشجع الفساد ان يفشو ويزلزل ثقة الناس فى الحكم جميعا .

والحكم أولا وقبل كل شيء ثقة بين الحاكم والشعب ان فقدها الحاكم فقد شرعية بقائه على الكرسى .

الأهرام ١٩٨٨/٦/٢٦

« قولا يا أزهر الأجيال »

ويل للحضـارة اذا تصـدى لها الجهلاء وشر أنواع الجهلاء أولئك الذين يعـرفون جزءا من الحقيقة ٠ وقشرة من العلم ٠ وصـبابة من الدرس ٠ وهينا من المعرفة وشذرة من زهرة ٠ وشجيرة من دوحة ، وآية من القرآن ثم هم عن القرآن جميعا قد عميت منهم العيون ٠ وفى آذانهم عنه وقر فهم لايسمعون ٠ وعلى القلوب منهم أقفالها فهم لايفهمون ٠

أولئك الارهابيون الذين أقاموا أنفسهم جبارين عُلينـا ٠ ونصبوا أنفسهم مسيطرين على ديننا ٠

جهلوا الدين وجهلوا الاسـلام ٠ وجهلوا حق الله الذى كتب على نفسه الرحمة فلو انهم قرأوا سورة الكهف ورأوا الرجل الصالح يخرق السفينة حتى يذهل النبى المرسل موسى عليه السلام ٠ ثم رأوا الرجل الصالح يقتل طفلا حدثا بغير ذنب لادركوا ان الله بهذه الصورة يريد ان يعلن اليهم ان عدالته هو لايعلمها الا سبحانه وهو الذى يقيمها بميزان الهى لايدركه البشر ٠

وما نلبث نحن المسلمين ان نتبين من قراءة السـورة ان فى خـرق السفينة رحمة وانقاذا لأصحابها من الطغاة ٠ وان فى قتل الطفل خيرا أراده الله لأهله ولكن أى قوة فى الأرض تستطيع أن تطلع على الغيب لتعد له الحاضر ٠

انه وحده عالم الغيب والشهادة ٠ وهو وحـده الذى يدرك كيف تسع رحمته عباده ٠ وكيف ينزل بهم عقابه لايشاركه فى ذلك عبد من عباده حتى الأنبياء الذين أرسلهم هدى وبشرى ونذيرا ورحمة للعباد ٠

وحسبك فانظر كيف تملك الروع النبى الكليم موسى وهو يرى الرجل الصالح يقوم بأعمال لم يألفها البشر ٠ لأن الله هو الذى أمر بها بعدالته هو سبحانه التى لايدركهـا من البشر ولا من الأنبيـاء ولا من الملائكة أحـد ٠

هذه السورة فى القرآن الكريم أوحاها ربك الى نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يعرف العباد أن علمهم لايساوى ذرة من ملكوت علم الواحد الأحد • هو وحده صاحب الملكوت الأعلى الذى ينزل رحمته كيف يشاء وبالطريق الذى يختاره هو • فاذا هى رحمة لاتخطر على بال البشر • واذا هى أوسع الرحمات وأعظمها شمولا وأكثرها اشفاقا وحدبا وحبا للعباد •

وهو سبحانه وحده من يسع عباده بغفرانه يغفر ما يشاء لمن يشاء الا أن يشرك به • وهذا الشرك هو وحده الذى يقدره لايشاركه فى تقديره مخلوق •

فبأى سلطان من الأرض رخص هؤلاء الارهابيون لأنفسهم ان يكونوا جبارين فى الأرض ويشاركوا الله فى رحمته ويزيدوا طغيانا وكبرا فيرسموا له غفرانه •

من ولاهم على ديننا ليبينوا الحلال والحرام • ومن أذن لهم ان يحاكموا ويحكموا وينفذوا حكمهم • اذن فهم يريدون أن يشاركوا الله الواحد الأحد فى ملكوت الأرض والسماء •

ان الدين عبادة بيننا وبين الله وحده تقدست أسماؤه وعلا سبحانه أن نشرك بعبادته أحدا وهو يطلع منا على خائنة الأعين وما تخفى الصدور فعلى أى شىء يطلع الارهابيون فى نفوس البشر ويحاكمونهم ويحكمون عليهم ويوقعون العقاب •

ان يريدوا الا ان يكونوا فراعين فى الأرض جبارين • اعتنق فرعون الشرك وهم تظاهروا ان يعتنقوا الاسلام • جل الاسلام وعلا ان يكون أداه فى يد أقوام كل سعيهم الى السلطان فى الأرض أبعد ما يكونون عن ملكوت الله والدار الباقية •

وأين هم ممن قال عنهم الله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما •

وأين هم من قوله : « خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » •

وأين هم من قوله « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » •

ومن قوله « والسلام على من اتبع الهدى » ومن قوله « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » وقوله « سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » •

وقوله جل علاه « تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما » ٠

وقوله « فاصفح عنهم وقل سـلام فسوف يعلمون » وقوله يصف نفسه تقدست أسماؤه « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام » ٠

أين هم من هذا جميعه وأين هم من قوله فى فاتحة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم » ٠

وأين هم من اجماع المسلمين على ان يبدأوا أى قراءة لكلمات الله بقولهم بسم الله الرحمن الرحيم وأين هم من المسلمين الذين يباركون كل عمل يبدأونه بقولهم بسم الله الرحمن الرحيم ٠

أين الرحمة فيما يأخذون به مصر والمصريين اليوم من عنت وارهاق وأعمال السلاح تقتيلا وتخريبا وفتنة لا تماثلها فتنة ٠

ان نبى الاسلام جاء مبشرا ونذيرا وجاء بشرا رسولا فهل يريد هؤلاء ان يكونوا أنبياء من نوع جديد لم تعرفه البشرية منذ بعث الله الى الأرض أنبياء حتى ختم رسالاته بسيد الأنبياء يصفه المولى بانه على خلق عظيم ٠ ويقول عنه فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ٠

فما لكم أنتم وقد تملكتكم الفظاظة وغلظت منكم القلوب وأنا من حولكم لمنفضون ٠

الم تقرأوا القرآن ٠ فماذا قرأتم اذن ٠ الم تقرأوا سورة ق « نحن أعلم بما يقولون ٠ وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ٠
صدق الله العظيم

فمالكم أنتم تبطشون بشعار القرآن ٠ تبت أيديكم جميعا ٠ فما هذا ديننا وما هـذا قرآننا ٠ انما هو سعار الحكم يحيط بكم ٠ وويل لكم يوم اللقـاء ٠

ألم تقرأوا سورة الغاشية وقوله ٠ « فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر » ٠

أو مذكرون أنتم لا ومن خلق الخلق وما أنتم علينـــا بمسيطرين تعالى الله ان يهب لكم مالم يهب لنبيه ســـيد البشر أجمعين عليه الصلاة والسلام وبعد فهذه حديث كنت أرجو ان أقرأه لعلماء الأزهـــر فهـم به أولى وانما ندبت نفسى له لما رأيت الأزهر صامتا الا قلة صاتت فى خفوت أو تحدثت على استحياء والأمر خطير ٠ والأزهر هو أملنا وبمأذنه ومناراته والشيوخ الأجلاء فى ساحته ينعقد الموثق والى قممه يسعى المسلمون فيم نحن فيه اليوم ٠

فصوتا مجلجلا يا أزهر الأجيال المائة ٠ واســمعنا صوتك مدويا ٠ فاليوم اليوم هو موعد الصوت المدوى منك عاليا الى السماء لا اله الا الله وحده ومحمد رسول الله ٠ وانها لا اله الا الله وانها محمد رسول الله الى أبد الأبدين وســلام على المؤمنين الذين عن ايمانهم ودينهم ينافحون ويذودون ٠

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣

معجـــزات ..

سبحان مالك الملك فى كل لحظة من لحظات الحياة تشرق معجزاته ولكن أكثر الناس لايبصرون . ان الحياة التى نحياها فى مصر اليوم من أعظم معجزات الخلاق العظيم . كل أسرة فى مصر من أسرات الموظفين فى الحكومة أو فى القطاع العام تمثـــل معجزة لايستطيع العقل المجـــرد ان يفهمها .

كيف يستطيع موظف ليس له دخل الا مرتبه ان يقيم أسرة بأكملها من طعام وملبس وتعليم ومواصلات وعلاج .. الا أن يـكون ذلك ببركة خفية من لطيف السماوات والأرض ـ الملك القدوس .

انه سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . وهو سبحانه حين يبسط الرزق يختار ما يشاء من وسائل لهذا البسط الكريم . وليس من الحتم ان تكون بسطة الرزق بالصورة التى يتمناها العبد .

بل تتمثل رحمة الله بالوسيلة التى يريدها هو جل شأنه .

كيف يعيش هؤلاء الموظفون لا استثنى منهم أحـــدا حتى الوزير اذا لم يكن للوزير مورد آخر للرزق .

بل كيف يعيش ملاك الأرض بالغة ما بلغت مساحة أرضهم اذا كانوا هم ملاكا فقط وليسوا زراعا لهذه الأرض .

فان أقصى ما يملكون لن يتعدى الخمسين فدانا وهؤلاء الثراة ، منهم الثراة وهم نسبة ضئيلة لاتكاد تذكر . اما أغلب الملاك فهم من أصحاب الأرض الضئيلة التى لاتتجاوز الأفدنة الخمســـة والتى تقل عن فدانين أو فدان .

ما مصير هؤلاء . كيف يعيشون .. كيف يستطيعون مواجهة الحياة فى سعارها هذا الجديد التى لم يتصور أحد ان تبلغ ما بلغت اليه من وحشية لا رحمة فيها ولا شفقة .

ان الذين واكبوا الحياة فى العالم منذ عشرين عاما اذا عقدوا مقارنة بين الأسعار على مدى هذه السنوات يصيبهم الذعر والرعب، ولو لم يكن الأمر واقعا لا شك فيه لرفضوا ان يصدقوه لأنه بعيد عن كل منطق .. ويحطم كل تطور ٠

لقد أخذتنا الأسعار على غرة فاذا هى تقفز فى اليوم ما كانت ترتفعه فى عام والناس حيارى ذاهلون .. كتبت عليهم الحياة ولابد ان يحيوها .. والدخول التى كانوا يواجهون بها الحياة لم تزد الا زيادة ضئيلة هزيلة لايكادون يشعرون بها ٠

ويعيشـــون ..

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة ٠

وأولئك المساكين أصحاب العمارات القديمة أصبحوا جميعا يتمنون ان تهدم عمائرهم وتصبح قاعا صفصفا .. فهى وهى مهدمة منقضة ركاما يستطيعون ان يبيعوها بملايين الجنيهات .. ولكنها وهى قائمة فى شكل عمارة ضخمة فخمة أصلها ثابت وسطحها فى السماء تستطيع ان ترد عنهم جوعا أو مخمصة أو ربما كانت عاجزة ان تكسوهم من عرى أو تبل صداهم بشربة ماء ٠

ويعيشون ..

انها المعجزة فى قمتها الالهية الشاهقة ٠

سبحانه وتعالى ينزل اللطف مع الكارثة .. كتب على نفسه الرحمة ٠

وهل هناك رحمة أكثر من هذا الذى نشاهده فى أمر الموظفين وملاك الأرض وأصحاب العقارات ٠

كيف يحيون .. وكيف يواجهون الحياة .. وليس الأمر حالة بعض أفراد وانما هم ملايين من الناس يكونون فى مجموعهم دولة بأكملها ٠

أرى الكتاب يكتبون عن غلاء الأسعار وفجورها .. وأرى الكتاب يكتبون عن ضـآلة المرتبات وهوانها .. وأرى الصور الســاخرة تبكى على الموظفين وما يعانون من عرى وجوع وافلاس ٠

ولكن لا أرى أحدا يفكر فى المعجزة الالهية الكبرى ·· وفى الرحمة الربانية العظمى التى يسبغها الله على عباده ·

ونواجه فى هذه الأيام أزمة الشباب الذى يتخرج فى الجامعة ويبحث عن عمل · وأبواب العمل مقفلة فى كل المجالات ·

أما الحكومة فقد استفحل بهـا عـدد الموظفين وأصبحت ـ وهى معـذورة ـ لا تطيق أن تعين جميع الخريجين ·· وأصبح من الحتم على الشباب ان ينتظر سنوات بلا عمل حتى يحين موعد تعيينه بالقوى التى يقال عنها انها عاملة وما هى بعاملة ·

ولكن الشباب لم يعرف اليأس وأرى كثيرين منهم يقومون بأعمال توفر لهم الرزق وتكفيهم ذل السؤال · وأرى كثيرين منهم تنازلوا عن أحلام المكاتب والساعى الذى يجلب لهم القهوة وعملوا هم بايديهم ونسـوا الشـهادة العليا التى حصـلوا عليها وواجهوا الحياة مواجهة أحرار أباة يعفون بكرامتهم ان ينالوا مالا الا فى مقابل عمل ·

وهناك الشباب الذى يريد ان يتزوج ليعصم نفسه من الزلل ويستقيم البيت الذى على أعتابه تجرى سنة الحياة منذ خلق الله آدام وحواء ·

وتقف الشقة عائقا ضخما ·· ثم المهر ·· ثم تأثيث الشقة الى غير هذا مما لايجهله أحد ·

ويتدارك رفيع السماوات ذو العرش هؤلاء أيضا برحمته ·· فاذا البيت الذى لم يكن يحتمل فردين أو ثلاثة يتسع ويتسع فتعيش فيه أسرتان كاملتان ويأتى الأطفال ·· ونصف حياة خير من انعدام الحياة ·

اللهم يا رحمة السـماوات والأرض ·· يا من وعدت ·· ووعدك الحق ·· كل دابة برزقها ·· لجاهك نسجد ·· نحمدك اللهم يامن لاتحصى نعمك ·· أنت مولانا ونعم المولى ·· وأنت اللطيف النصـير ·· وأنت سبحانك وحدك أرحم الراحمين تقدست ياذا الاجلال والاكرام ·

الأهرام ١٩٨٨/٧/١٠

قصص .. هـل زالت ؟

سيدنا الحسين بن علي وأخوه محمد بن الحنفية أنجبته من سيدنا الامام علي فهما اخوان غير شقيقين . كانا جالسين يتناجيان وثار بينهما موضوع اختلفا فيه واحتدم الخلاف وكان فى بيت سيدنا الحسين فقام سيدنا محمد بن الحنفية مغضبا وذهب الى بيته .

وحين استقر به المقام كتب الى أخيه يقول ما معنـــاه . اننى وأنت ننتسب الى أب واحد ولكن أمي لو ان الأرض امتلأت من مثيلاتها ووضعن جميعا فى الميزان فى كفة وأمك بنت سيد البشر أجمعين فى كفة لرجحت كفة الزهراء وقد كنت أنوى ان أعود الى بيتك فاعتذر وأزيل ما شـــجر بيننا من خلاف . ولكننى وجدت انك بأمومتك أجدر بهذا الفضل فاذا بلغك خطابى هذا فتعال الى منزلى من فورك وكن أنت صاحب المأثرة فى ازالة خلاف وقع بينك وبين أخيك فأنت أولى.بهذا الشرف منى واخضلت عينا سيدنا الحسين من الدمع والتأثر وقام من فوره الى بيت أخيه وانتهى ما كان بينهما من أثر المناقشة .

قصة كلما قرأتها وجف قلبى وتزاحمت الدموع فى عينى أين هذه الأخوة وأين هذا الحب وأين هذا الايثار ؟

لقد أكلت الحياة الكثير من جمالها فى صلات الناس بعضهم ببعض . ولكن هل تحجرت القلوب التى خلقها الله سبحانه وتعـــالى حبا ورحمة وأصبحت لاتنبض بحب الا بحب المنفعة الشخصية ولا تختلج لمعنى الا اذا كان ماديا صلبا جامدا من حـديد أو صلب أو حجر أو ذهب أو فضـــة . هل توقفت الحيـــاة أن تجعل المعنى الانســـانى المجرد الذى يهز المشاعر ويمر على القلوب فيجعلها ترق وتسجح وعلى العيون فيسيل الدمع السعيد من محاجرها .

وهل أصبحت الحياة قائمة على الجمود المالى وحده بعيدة كل البعد عن الغنى النفسى الذى يشعر به الانسان يملأ جوانحه وان كان لا يملك من المال شيئا اذن فبئس الحياة هذه .

وأقرأ فيما أقرأ ان أحد أثرياء العرب وقع فى ضائقة مالية حادة ·· ولم يجد بين أصدقائه من يطيق انقاذه منها · ولكنه كان يعرف ان واحدا فقط كان من أصدقائه ثم نشب بينهما خلاف جعله من ألد أعدائه هو الذى سيقيل عثرته كان على رغم هذا الخلاف يعرف انه رجل رفيع الخلق وانه لن يتأخر عن تقديم كل معونة اليه ·

أرسل اليه ابنه يطلب مائتى ألف درهم · فما سأل الصديق العدو ابن صديق الأمس وعدو اليوم فيما يريدها أبوه ولم يزد عن ان التفت الى خازنه وأمره ان يسلمه المبلغ الذى طلبه وقال الخازن :

ــ ألا نكتب ورقة بالدين ·

ــ فغضب السيد وثار بخازنه ·

ــ لو كنت أريــد ان تكتب لأمرتك أعطه المال وحذار ان تسكتبـه أى ورقة ·

وأخذ الابن المال وانصرف الى أبيه واستطاع الأب بالمال أن يعود الى مكانته من الغنى فكان أول شيء صنعه ان أعطى الدين الذى استدانه من الصديق العدو الى ولده وقال له ·

ــ اذهب الى عمك ورد له المبلغ وأشكره على فضله وذهب الابن الى الرجل الكريم وقدم المبلغ بين يديه فاذا الرجل يلتفت اليــه فى أنفه وكبرياء ·

ــ أكنت خازن أبيك يأخذ حين يريد ويرد حين يشاء انما قدمت هذا المال الى أبيك هدية لا دينا والهدية لا ترد ·

ويجمع الابن المال ويعود به الى أبيه ·

أين نجد اليوم هذه النجدة والشهامة والرجولة والكبرياء والعفة والترفــع ·

ولاشك ان المدين كان يعرف هذا جميعه فى عدوه الذى كان صديقه فلو لم يكن يعرفه حق المعرفة ما قصد اليه دون أصدقائه أجمعين هل فى الحياة اليوم رجال مثل هؤلاء الرجال · أم أقفرت منهم الدنيا فأقفرت من المعانى النبيلة والخلق الرفيع والشرف الأسمى ·

أين نجد مثل عمر حين يأتى اليه قاتل أخيه وعمر أمير المؤمنين وقاتل أخيه واحد من الرعية صاحب مسألة ويقول عمر :

ـ انك قاتل أخى ؟

فيقول :

ـ نعـــم

فيقول عمـر :

ـ لا أحبك حتى تحب الأرض الدم •

ويسأل الرجل :

ـ أو مانعى هذا حقا ؟

ويقول عمر فى حزم :

ـ لا

فيقـول الرجل :

ـ فانه لا يأسى على الحب الا النساء •

أتص هذه القصص مثلا عليا قرأها علينا التاريخ وما رواها الا لأنها قمم رفيعة ولكن النظر الى القمم يجعل الحيـاة جديرة بأن تعاش خليقـة بأن يحياها الانسان وكان فى الحياة غير هذا كان فيها صاحب البيت العنيف الطريف •

وكانوا بنو عمى يقولون مرحبا
فلما رأونى مفلسـا مات مرحب

وكان فيها صاحب الأبيات الخالدة :

وان الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلف جـــدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم
وان طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا
يعيرنى بالدين قومى وانمـــا
ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا
ولا أحمل الحقد القـــديم عليهم
فليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وهذه الأبيات تجمع الآباء والعفة والترفع متمثلة فى الشاعر نفسه والصغار والحقد والحسد متمثلة فى بنى أبيه وبنى عمه ٠

فالحياة لم تخل يوما من الشر ولكنها أيضا لم تكن تخلو من الخير والجمال والسموق واستغفر الله ما أحسبها اليوم قد خلت ولكنها اتسعت وتزاحمت ٠

وأصبح الخير يتوارى فى غبار المادية الحقيرة ٠

انما ستظل الانسـانية تجمع فى جوانحها مع الكراهيـة والحقد والحسد والحب والعطاء والايثار وربما كان بين جماعتنا من يمثل هذا الخلق الأرفع ولكنه يتوارى فى شرف الحياء وترفع البعد عن اذاعة ما يقدمه من الخـير جاعلا منه قربى الى رفيع السماوات ذى العرش فعنده سبحانه لايضيع أجر المحسنين وكفى بالله وكيلا لهؤلاء وحسيبا ٠

الأهرام ١٩٨٨/٧/١٧

الكتـــاب والـــكاتب ٠٠

الكاتب للمسرح والكاتب للسينما وكاتب التليفزيون والذين يلقون المحاضرات يعرفون من فورهم أثر ما كتبوه على قرائهم وتشملهم والجمهور روح انسانية واحدة يعرف منها الكاتب ان كان قد بلغ رضـــا الجماهير أم هو بعيد عن هذا الرضا ٠

وللكاتب المسرحي والتليفزيوني والسينمائي ان يبحث ــ عند فشله ــ عن الأسباب التي أدت الى هذا الفشل ٠٠ وكلها في اعتقاده طبعا بعيدة كل البعد عن سوء تأليفه هو ٠٠ فهو حينا يوقع أسباب فشله على المخـــرج وحينا آخر يوقعها على المنتج أو هو ينزل بها على الممثلين ٠ أو يريح نفسه ولا يفصل ويتهم الجميع بالفشل الذى أحاق بعمله الفنى ٠

فاذا نجح العمل الفنى نسب الكاتب نجاحه لنفسه وحده وعلا فى أوساط الفن صوت الصراخ تتجاذبه حناجر المخرج والمنتج والممثلين جميعا٠ فكلهم يهاجم كلهم وكل واحد منهم ينسب النجاح لعبقريته وحدها التى لولاها لفشل العمل وهوى الى حضيض أى حضيض ٠

وانى لأعجب اليوم وأنا أرى بعض الأفلام المصرية فاننى لم أكن أتصور ان عبقرية السقوط يمكن أن تتدنى فتسفل كل هذا السفول ٠

أى حضيض عجيب يحفرون العفن ليصلوا اليه ٠٠ أتكون هذه الأفلام نتاج الهيروين والكوكايين وما لا أدرى من وسائل الغاء العقل والاحساس والانسانية جميعا ٠

ثم بعد الى أين بنا الانحدار ٠٠ قد أصبح الفيلم الممتاز درة وهاجة التلألؤ وسط هذا الركام الحقير من الأفلام الساقطة ٠

ولابد لى أن أذكر بكل اعتزاز وفخر فيلم « عندما يأتى المساء » لعميد الرواية العربية نجيب محفوظ ٠٠ وقد أخرجه المخرج الشاب هانى لاشين فكان قمة نستطيع ان نضعها فى ثقة واطمئنان مع قمم الرواية العالميـــة

بأبطاله العتاة فريد شوقى وسناء جميل وابراهيم الشامى وعبد العظيم عبد الحق ٠٠ وأنا أرجع الفضل الأول ولا أقول الوحيد للمخرج الشاب فروايات نجيب محفوظ كلها عظيم وكثير منها لم يظهر على الشاشة بعد فاختيار المخرج لهذا العمل دليل قاطع على انه يملك حسا رفيعا وفنا رفيعا أيضا ٠

فيلم واحد بين عشرات الأفلام التى بليت برؤيتها والتى لا يجوز مقارنتها بهذا الفيلم وان كان هناك فيلم أخذ اعجابى وسعدت به غاية السعادة فهو فيلم « حد السيف » بطولة محمود مرسى ونجوى فؤاد واخراج عاطف سالم وانها لنكبة كبرى الا نجد فى ركام هذه الأفلام جميعا الا فيلمين ممتازين الى جانب بعض أفلام أخرى قليلة من انتاج ممدوح الليثى جديرة بالاحترام ٠

أما الأفلام الأخرى فتكاد لا تجد كلمة فى اللغة العربية يمكن ان نصف بها درجة حقارتها ٠٠ وما ذاك بعجيب فان اللفظة العربية تنشأ فى اللغة لتواجه حالة معينة تحتاج الى وصف ٠٠ وهذا الذى نراه فى السينما المصرية حالة انحطاط لم تشهدها اللغة العربية من قبل لتقيم لها كلمة مناسبة فكل ألفاظ السفول والانحطاط والحقارة والتفاهة والصغار تعتبر اذا وصفت بها هذه الأفلام نوعا من المديح لأنها أهون من كل هذه المسبة التى تثيرها هذه الألفاظ فى نفس القارىء ٠

وويل لنا كل الويل نحن الكتاب اذا اشترى منتج عملا روائيا لنا ٠٠ تمزق العمل وانماعت سماته وبهتت معالمه ولم يبق منه الا اسمنا وياليته ما بقى وأسماء أشخاص الرواية المكتوبة وأحيانا لا تبقى ٠٠ أما الفكرة وأما الموضوع الذى ماكتبنا الرواية الا من أجله فهيهات ٠٠ كل هذا يمزقه بخل المنتج وفجاجة المخرج وحرص الممثلين ان يظهروا على الشاشة حتى وان كان ظهورهم يسىء الى فكرة الفيلم ٠٠ وناهيك بجماعة يلتئم شملها على تمزيق فكرة تقف بينهم وحيدة عزلاء بلا نصير ولا مجير لها وبلا ضمير منهم ٠

لذلك فنحن الكتاب مسئولون عن الكتاب الذى يظهر لنا فى شكل كتاب ٠٠ فالكتاب ملك الكاتب وحده لا يشاركه فيه الا صاحب الملكوت تقدست الاؤه هو الذى يلقى بفكرته الى ضمير الكاتب ٠٠ وهو سبحانه الذى يهب له القدرة أن يتمه ٠٠ والكاتب ينشر كتابه لا يستشير فى أمره أحدا ٠٠ ولا يمتد أصبع من التعديل الى كلمة مما كتبه ٠

وقد يظهر الكتاب منجما فى جريدة ثم يصـــدر منشورا فى كتاب فلا الجريدة تحاول ان تغير من حروفه حرفا ٠٠ ولا الناشر يمد اليه قلم تعـــديل ٠

فمسئولية الكاتب كاملة عن كتابه فقط ٠٠ وليس الكاتب مسئولا أية مسئولية عن أى لون يظهر فيه الكتاب بعد ذلك ٠

لا شأن للكاتب اذا أصبح الكتاب عملا درامية فى المسرح ولا شأن له ان ظهر فيلما فى سينما أو تليفزيون ولا شأن له ان ظهر الكتاب مسلسلا فى سهرة بالشاشة الصغيرة ٠

ولو حاول الكاتب أن يتدخل لواجهته شتى صعاب لا قبل له بها ماذا هو صانع مثلا ان اختار المخرج والمنتج ان يصورا العمل خارج مصر ٠٠ هل يستطيع الكاتب أن يجرى وراء عمله فى شتى بلاد الأرض ؟!

فاذا تم التصوير فى مصر فكيف يستطيع الكاتب ان ينقطع لمراقبة التصوير ٠٠ وماذا هو صانع ان كان جزء من العمـــل يصور فى الأقاليم والمحافظات الأخرى ٠ بل كيف له ان يرصد وقته للعمل ان كان يصور فى القاهرة حتى ان كانت القاهرة محل اقامة الكاتب ٠

لاســـبيل ٠٠

ان الكاتب لا ينبغى ان يحاسبه أحد الا عما خطه بقلمه ووقع عليــه ودفع به الى المطبعة ٠٠ ولكل قارىء بعد ذلك مذهب ورأى فى الكاتب ٠٠ ولذلك فان أثر الكتاب لا يعرفه الكاتب الا بعد فترات طويلة من ظهـور الكتــــاب ٠

وقد أخذت نفسى منذ البواكير الأولى من حياتى الا أصحح مفهوما وقر فى نفس أى قارىء ٠٠ لأن لكل قارىء تكوينـــه الخاص وأفكاره التى لا يشاركه فيها أحد فاستقباله للكتاب استقبال فردى ولا يشاركه فيه انسان ولا يستطيع أحد حتى وان كان الكاتب نفسه ان يصحح من مشاعره ما استقبل به هو الكتاب وهو يقرؤه وحده وليس بينه وبين حروفه غلالة من رأى الجماهير أو من دعاية الدعاة ٠

فأنا لم أرد على ناقد فى حياتى مادحا كان هذا الناقد أو قادحا ٠

وأنا أيضـا لا أعتبر الكتابة عن أى عمل لى فى الاذاعـة أو المسرح أو التليفزيون أو السينما نقدا موجها لكتابى ٠٠ فالكتاب المطبوع مسئوليتى والكاتب حر فى رأيه عنه ٠ وما يحول عن الكتاب الى عمل آخر فى أى ميدان ليس من شأنى فى شيء وقصارى الأمر منى ان أشاهده كما يشاهده الجمهور وكما أشاهد أنا أعمال الآخرين ٠

اما ان تكون نتيجة مشاهدتى حزنا أم سعادة ٠ شقاء أم فرحا ٠٠ تعاسة أم ابتهاجا ٠٠ فهذا أمر آخر ٠٠ وكل ما أصنعه ان أتوجه الى البـارىء الرحيم اللطيف بعباده وأقول حسبى الله ونعم الوكيل ٠٠ وحسبى الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٨/٧/٢٤

منـارة الأزهر والاعـلام

لحكمة الهية عظمى جعل الله ختام معجزاته كتاب الله أنزله بالحق وبالحق نزل وفى هذه الكلمات المباركة بشر الله عباده أنه هو سبحانه أنزله بالحق والامر ساطع لا مناقشة فيه فما دام الله الحق قد انزله فهو بالحق أنزل ثم يزف الملك القـدوس الى عباده أنه أيضـا وصـل اليهم بالحق ٠ وان الذى ألقى عليه القول أبلغ الرسالة الى العباد بالحق ٠

فالحق أنزله الله لأنه هو الذى أنزله وبالحق نزل لان النبى الذى اختاره الله لابلاغه أمين فصيح ٠ ولهذا كان من طبيعة الأمور أن يقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وعدا من صادق الوعد الحكيم المتعال ٠ وقد صدق سبحانه وعده وحفظ ذكره ومرت الأجيال تحمل على كتفيها ألفا وأربعمائة عام وتزيد وكتاب الله محفوظ لم يتغير فيـه حرف ٠ ولا ندت منه كلمة عن موضـعها ٠ تناقلته الأجيـال عن الأجيـال أوراقا متناثرة غير متكتبة فى كتاب ٠ وأبلغته صدور عن صدور وألسنة عن ألسنة ٠ لم يختلف فى كلمة منه رأى عن رأى أو مذهب عن مذهب أو فكر عن فكر ٠

واختلف المسلمون وتمزقت وحـــدتهم وأصبح لكل جمـاعة منهم مذهب وتناحروا وتحاربوا وتناجزوا ٠

ولكن كلمات الذكر محفوظة بحروفها لا يقترب منها خلاف مهما يكن هينا ولا يجرؤ على المساس بها مذهب مهما يكن مغاليا متطرفا ٠

وكفر بالاسلام أقوام ولكنهم فى كفرهم لم يجرأوا أن يمسوا حروف المصحف بتصحيف أو تبديل ٠

ونحن هنا لا شأن لنا بالكافرين فأمرهم الى الواحد الحق يكتب لهم ما لهم ويكتب عليهم ما عليهم لا يظلمون فتيلا ٠ فهو من قال عن نفسه أنه ليس بظلام للعبيد ٠ تقدست أسماؤه ٠ وهل العدالة الا قبسة من نوره الأسنى ٠

وأنا حديثي هنا عن المسلمين الذين يقولون الشهادة وبالله الواحد ونبيه الكريم يؤمنون .

ألم يقرأوا القرآن .. لا .. ما أحسب أنهم قرأوه .. وان كانوا قرأوه أتراهم فهموه .. هيهات . وان فهم القرآن ليس بالشيء اليسير فأنا رجل صناعتي اللغة وقد ختمت قراءة القرآن مرات ومرات. وها أنذا أصبح بملء فمي أنني عاجز عن فهمه جميعا . وانني كثيرا ما توجهت الى المشايخ الأجلاء من العلماء المتخصصين ليبينوا لي ما لم أستطيع أن أصل أنا اليه .

وأصيح مرة أخرى بملء قلبي وقلمي انني في كل مرة أقرأ القرآن يملأني شعور أنني أقرأه للمرة الأولى في حياتي . معجزة تلك من معجزات القرآن . وكم للقرآن الكريم من معجزات .

ولكن في القرآن آيات واضحة كل الوضوح لا تحتاج الى جهد في فهمها أرادها الله كذلك . لأنها من أسس الدين والدنيا ومن أقدر من مالك الدين والدنيا على جعل الكلمات واضحة كل الوضوح حين يشاء لها ذلك . له في ذلك حكمته العليا ورأيه الأسنى في القرآن آيات أراد الله ألا يتضح معناها الا بعد فترة من نزوله لأن القرآن نزل ليظل معجزة السماء حتى يرث الله السموات والأرض وما عليها فمن الطبيعي أن تكون به آيات تتضح أسرارها مع مرور الزمان مثل معجزة البصمات مثلا . ومن الطبيعي كذلك أن تكون فيه آيات واضحة لا تحتاج الى سنوات من الزمن أو تفسير من أحد .

وفي هذه الأيام وأنا أقرأ سورة الأنعام أشرقت أمام بصيرتي آيات بينات واضحة وضوح الشمس لا مجال فيها لجدل أقرأ معي قوله تقدست كلماته الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .
صدق الله العظيم .

آيات مشرقات واضحات · ان هذا هو صراطه مستقيما جل علاه · فاتبعوه · ولم يكتف سبحانه بأمره الى عباده أن نتبعه بل زاد ولا تتبعوا السبل لأنكم اذا اتبعتم السبل تفرقت عن سبيله الذى هو الصراط المستقيم ·

ليس فى الآيات البينات حديث عن الموسيقى و ان من يستمع اليها حق عليه عقاب · ولم يأت ما يجعل حد استماع الموسيقى الضرب بالجنازير ولا بالمطاوى · بل جاء لا تتبعوا السبل فتفرق بكم ·

وها هم أولاء الارهابيون من حملة الجنازير ومن القتلة اتبعوا السبل وتفرقت بهم عن السبيل وعن صراط الله المستقيم ·

علم الله انما أنا مجتهد أتلمس من نور القرآن مشكاة تضىء لى الطريق ·

وعلم الله اننى أندب نفسى وقلمى الى موضوعات يعرفها الأئمة الهداة من الأزهر الشريف خيرا مما أعرفها · وهم بها أولى ثم هم بها أولى · فأولى ·

وأسمع أن الاعلام لا يتيح لهم الفرصة أن يقولوا فينيروا بقولهم الطريق لمن استبهم عليهم الطريق · ولمن اليل عليهم السبيل · ولمن ضاقت بهم منافذ التفكير الاسلامى الرفيع ·

وان كان الأمر كذلك فانى أشفع رجائى الى رجال الأزهر أن يقولوا برجائى لرجال الاعلام أن يفسحوا لهم كل منافذ القول ·

وأنا واثق اننى لم أسمع من الأزهر ما ينبغى أن أسمعه فى شأن الارهاب الاسلامى ·

ولكننى لا أعلم من شأن اغلاق منافذ الاعلام عنهم الا ما أنبأنى به شيوخ أجلاء من مصابيح الأزهر الاعلام ·

وانى هنا أنقل حديثهم الى الاعلام والى كل مسئول ·

وأقول مع سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبه التابع بالمتبوع والمؤمن بحامل الرسالة وعبد الله بنبى البشرية اللهم هل بلغت ·· اللهم فاشهد ·

الأهرام ١٩٨٨/٧/٣١

قد عزلنــاك فقــم

جلس أحد الأمراء الهازلين الهزلاء فى ايوانه الفخم المطرز بالحرائر المضمخ بالطيب وحوله رجال الدولة من كل فارع الطول هين الشأن كبير العمامة ضامر الرأس يندر بينهم من له قيمة العقل المتزن أو العلم الوافر، أو الضمير النقى أو الشجاعة فى الحق ، وعند الأمير الهزيل تتساوى الرءوس فى اتقان الانحناء يصدق عليهم البيتان القديمان :

وما بقيت من اللذات الا   مخاطبة الرجال ذوى العقول

وقد كنا نعدهم قليلا   فقد صاروا أقل من القليل

ويصدق عليهم أيضا وعلى أميرهم قول أمير الشعر العربى بحق أحمد شوقى قالها بعد اجتماعهم هذا بمئات السنين ولكن لانه شعر أمير الشعراء أصبح صالحا للتمثل به فى الماضى والحاضر كما سيظل صالحا للمستقبل أيضا قال شوقى الخالد بعد مئات السنين من جلسة الأمير المزركش ورجاله الكبار الصغار لا تستشير وفى الحمى .. عدد الكواكب من مشير .

كم سبحوا لك فى الروح   والهوك لدى البكور

ورأيتهم لك سجدا   كسجود موسى فى الحضور

خفضوا الرءوس ووتروا   بالذل أقواس الظهور

وفى يومه ذاك بدأ الأمير الحديث لان آداب الثقافة فى ذلك العصر ألا يبدأ أحد بالحديث الا الأمير .

وقبل أن يبدأ الحديث كان قد أدار عينيه الفارغتين على رءوس مجالسيه وكان بينهم قاض اشتهر بالأمانة والعدل والعلم جميعا وكان

قاضيا على بلدة اسمها قم اشتهر بين أهلها بالعفة والتعمق فى دراسة الشرع الاسلامى · وأراد الأمير أن يرفع من قدر القاضى الوقور وشاء له حظه العيى وحظ القاضى العاثر أن بدأ الكلام بكلمات انتظمت شطرة ضائعه من الشعر ·

أيها القاضى بقـم :

وانتبه الأمير انه قال شعرا وقاله صدفة دون تدبير وتصور انه لابد له أن يكمل الشطرة بشطرة ولما لم يكن شاعرا ولما كان محبا للظهور ولما كان عاجزا عن الكلام المنثور ولما كان عن الكلام المنظوم أكثرعجزا فقد تولاه الصمت وانعقد لسانه وطال الصمت · وخشى أن يعلن صمته للحاضرين عن جهله بتصريف الكلام واصداره ايراده فانه لم يجد شطرة يكمل بها بيت الشعر للقاضى المبجل الا قوله · أيها القاضى بقم قد عزلناك فقـم ·

وبهت القاضى لحظة ثم قال للأمير فى ملمحية وذكاء وفى شجاعة ثابتة الجنـان ·

والله أيها الأمير ما عزلتنى الا القافيـة ·

وصارت هذه أمثولة تضرب على هوان العزل والترقية والتوليـة والتعيين فى ظل الأزمنة التى لا تقدر الرجال حق قدرهـم ·

وها نحن أولاء وبعد مئات السنين من قاضى قم الذى عزل بقافية ضائعة لم ترد فى مكانها ·

نرى الموظفين عندنا يعينون بقافية لا معنى لها ويعزلون بكلمة قم دون أن يكون وراءها معنى يبررها أو منطق يؤيدها ·

ان اختيـار كبـار الموظفين فى شتى أركان الدولة اليوم لا ندرى أسبابه ولا دوافعه · ونرى الموظف الجديد من هؤلاء يتولى أمور وظيفته فلا نجد فى مجرى العمل بالوظيفة ما كان يدعو الى عزل السابق وتعيين الحاضر ·

ونرى منهم من يقدم الى الوظيفة تسبقه أقـاويل كان شـأنها أن تقصيه عن المكان الذى الحق به فاذا بها على هوانها تقربه من الوظيفة التى ألحق بها وتثبته عليها أيضـا ·

والذى يملك أمر التعيين فى الوظائف الكبرى رجل يستشير وليس له اى مصلحة فى تعيين شخص فى مكان ما كما انه بعيد لان البعد عن مصلحة خاصة تربط بينه وبين الشخص الذى ينبغى أن يقال له قد عزلنك فقم ٠

ان محمد حسنى مبارك من أعدل من حكم هذه البلاد منذ مئات السنين وهو يستشير ولكن تخلف عنه قول شوقى :

لا يستشير وفى الحمى عدد الكواكب من مشير

أما هو فيستشير أما الذين يقدمون اليه المشورة فلكل منهم شأن يغنيه فمنهم من يناى بنفسه عن عداوه من ساءت سمعتهم ومنهم من يشير استشارة متعجلة حتى يبدو جاهدا أمام رئيس الدولة ومنهم من يشير لغرض فى نفسه لايبين عنه ومنهم من يلقى بها خبط عشواء لا دراسة وراءها ولا تدبر ومنهم من يريد أن يصطنع لنفسه كبار العاملين فى الدولة حتى يكون من جنوده أو من الويته ٠

والاستشارة غير هذا جميعا ٠ انها حكم كأحكام القضاء وانها شرف وانها ضمير وانها نزاهة وانها مسئولية وانها كلمة حق يحاسب عليها الواحد الديان يوم يقوم الحساب وان لنا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم مقنعا يكفينا فان فيه الصراط المستقيم والشريعة المثلى والطريق السواء والنهج الأمثل حين قال (صلعم) من غش أمتى فليس منى أو ـ كما قال الذى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم وانه رءوف بنا ـ يأبى لنا العنت فى الحياتين ويرفع المثل العليا فى الدنيا وفى العليا وفى الفانية والخالدة وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

الأهرام ١٩٨٨/٨/١٤

الانســـان عملــــه

اهتم الشـاعر العربى بفكرة الاصـول والأسرات ولو ان الذاكرة أسعفتنى لرويت الكثير من الشعر فى هذا الشأن ولكننى سأروى لك ما علق بالذاكرة منها • فأذكر مثلا بيتين كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه يرويهما فى جلساته لأصحابه وخلصائه •• يقول البيتان :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم　　طابوا وطاب من الأولاد ماولدا
محسدون على ما كان من نعم　　لا زايل الله عنهم ماله حسدوا

وأذكر أيضا لأبى نواس يقول فيهما :

أين النجـــوم التـــاليات　　من الأهلـــة والبـــدور
أين القليـــل بنو القليـــل　　من الكـــثير بـــنى الكـــثير

وأذكر أيضا من الشعر القديـم :

مصابيـح فى الهيجا مكاشـيف للدجى
بـــنى لهم أباؤهـــم وبـــنى الجـــد

وتعـــذلنى أفنــــاء ســـعد عليـــهم
وما قـــلت الا بالـــذى علمت ســـعد

ولو اننى تتبعت هذا المعنى فى الأشعار العربية لعجزت عن جمعه ووقفت بى كثرته عن الالمام •

ومع اعجابى الشـديد بالصـياغة فى هذه الأبيـات التى ذكرت وبغيرها مما لا أذكر الا اننى أخالف الشعراء الذين ذهبوا هذا المذهب كل المخالفـة وأرفض أن أوافق أن أبنـاء الأصول مبرأون من المعـايب بعيدون عن الصغار • وان أبناء خلق الله ممن لا يتمتعون بالغنى فى المال أو الكثرة فى العدد يرتكبون الصغار ويذلون أنفسهم للهوان •

فليس هذا صحيحا فى جملته ولا تفصيله ·

وكم من فقراء عرفتهم لهم من عزة النفس والكبرياء ما لا يتمتع به الكثيرون من أبناء الأسرات الشهيرة بالكثرة المالية أو بالتاريخ العريض ·

اننى أرفض رفضا باتا قاطعا تقسيم الناس فى أخلاقهم وتصرفاتهم الى طبقات ·

لقد بدأ العالم بأن قتل الأخ أخاه · فالجريمة قديمة قدم الخلق · وأبنـاء البيوتات خلق من خلق الله كما ان أبنـاء الرزق المقدور الضيق خلق من نفس الخلق وجد الفئتين قابيل وهابيل وفى البشر جميعا أعراق من الأخوين ·

ولذلك أعجب حين تأخذ النظرية الماركسية بفكرة الطبيعة فتجعل العمال طبقة والفلاحين طبقة وأصحاب رءوس الأموال طبقة وتطبق عليهم نظريات خلقية واحدة ·

فالعمال الكادحون والفلاحون شرفاء ·

وأصحاب رءوس الأموال لصوص ·

علم الله ان اللصوص موجودون فى الطبقات جميعا ·

وأنا كذلك أعجب من الذين يبرئون أبناء الأصول من أن يرتكبوا الدنية أو الحطة أو السرقة أو النهب أو الزلل ·

بل ان منهم من بلغ فى الاجرام ما يعجز عن بلوغه أبناء الطبقات الكادحة ان الشر قديم والخير قديم ، والشر موجود فى جميع الطبقات والخـير موجود فى جميع الطبقات · وكم لقينـا أبناء أسرات بلا كرامة ولا خلق يستحلون ما حرم الله وما يرفضه الخلق الكريم وكم رأينا أبناء كادحين لا يملكون قوت يومهم يتقون الله ويأبون الا الكرامة والاعتزاز بانسانية الانسان ، ولكن هذا لا يمنع اننا رأينا من أبناء البيوتات من يصبر فى الفاجعة ويعفو عند المقدرة ويثبت عند العاصفة ويعطى عنـد النازلة ويتكبر عند الهوان ويعلو اذا انحنى الأخرون ويشمخ اذا أنماع الأذلاء ·

وكم رأينا مثل هؤلاء فى الطبقات التى ضاق عليها الرزق ، يقيلون عثرة الصديق • ويعطون المال على حبه وعلى خصاصة لمن هم أكثر حاجة اليه منهم • رجالا برئت قلوبهم من الحقد وتنزهت نفوسهم عن الكراهية اشربوا الحب فهو دماؤهم لا تعرف نفوسهم الا المودة فى القربى وفى غير القربى أيضا ، وانى أوافق بيت الشعر الذى قاله عزيز أباظة فى روايته شجرة الدر :

ان الكرام الصيد من أبائكم   قد انجبوا غاوين غير كرام

فما أكثر ما رأينا كراما صيدا أبناؤهم لا هم كرام ولا هم صيد وانما هزلاء هازلون أصحاب خمر وميسر ومجون يمدون أيديهم لما ليس لهم ويستحلون كل ما حرمه الدين وكل ما يرفضه المجتمع الشريف •

وأنا أرفض أيضا فيما أرفض الأمثال البلدية التى تدور فى هذا المدار من هذه التي تريد أن تكفى القدرة على فمها لتطلع البنت لأمها ومن هذه التى تقول ان الأصل يبهت •

انما الناس شتى معادن تؤثر فى أخلاقهم بيوتهم بقدر ثم يخرجون الى الحياة فمنهم من يثبت لتيارها الجارف ومنهم من يلفه أعصار الكسب السريع حتى وان لم يكن شريفا •

وكم يحزننى أن أجد بين المثقفين أنفسهم من يسفل بخلقه عن الجهلاء وكم عرفنا من أقوام لهم أباء مشاهير ولهم علم وفير ولكنهم فى السفالة والانحطاط ليس لهم نظير •

كيف يتكون الانسان • ما هى العوامل التى تجعل الشريف شريفا والدنىء دنيئا : ما أحسب ان علم النفس على عظمته استطاع أن يصل الى حكم قاطع فى الميدان • ولو كانت أسرة الانسان مسئولة مسئولية كاملة عن خلقه ما حاسب الله الفرد على فعله وسبحانه هو من قال « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه » فلو ان كل انسان تشكل على ما صنعه بيته أو صنعته أسرته لما كان طائره فى عنقه وانما فى عنق بيته أو أسرته •

ومن اختلاف الناس تضطرب الحياة وتحل المودة ويسود الحب ويصطرع الكره وتغلى الأحقاد •

ويظل طائر كل انسان فى عنقه الى أن يرث الله الآرض ومن عليها ويوم نلتقى فى رحابه فثم لكل كتابه سطرته أفعاله لا يظلم فتيلا فهو سبحانه جل وعلا ليس بظلام للعبيد •

الاهرام ١٩٨٨/٩/٥

شعر وحب وسياسة

هل علينا من بأس أن نروى شيئا من أخبار بعض الشعراء نسمة ترد عنا بعض هذه الحرور ولعلك تجد فيها شيئا يرد اليك الثقة بالحياة ٠ وبأن الحياة ليست كلها سعار مال ولهيب مطامع ٠

عمر بن أبى ربيعة شاعر من أعظم شعراء عصره وهو قرشى ينتسب الى بيت النبوة وقد طار صيته على أنه شاعر نساء وغزل ٠ وهو لم يحب فتاة واحدة مثل زملائه قيس ليلى وقيس لبنى وجميل بثينة وجميل عزة ٠ وانما أحب عمر فتيات كثيرات ٠

ومن عجيب الأمر انه وهو الشاعر الغزلى ينسب إليه بعض المؤرخين انه كان من الأسباب التى أدت الى نكبة البرامكة على سيوف هارون الرشيد ٠ فان لعمر أبياتا شهيرة يقول فيها :

ليت هندا انجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وقيل ان أعداء البرامكة أوعزوا الى احدى مضيفات الرشيد أن تغنى أمامه هذه الأبيات وان تكثر من اعادة شطر البيت انما العاجز من لا يستبد ٠ واستقر الشطر فى ذهن الرشيد وقيل انه ظل يردده لنفسه حتى أوقع بالبرامكة نكبتهم ٠

ولم يلتفت الرشيد ان العاجز الذى قصد اليه عمر انما هو العاجز فى الحب فالمحب الذى لا يستبد ربما كان عاجزا فيما يرى عمر بن أبى ربيعة أما الحاكم اذا استبد فهو العاجز ٠ فالاستبداد من الحاكم عجز وعدم الاستبداد من المحب عجز ٠ وشتان بين حاكم تتعلق بيديه أقدار الناس وبين فتاة لعوب تصطنع الاستبداد لتثير مكامن الحب فى نفس حبيبها ٠

أيا كان الأمر • وسواء كانت هذه الرواية صادقة أم غير صادقة فانى انما أردت أن أسوق اليك قصة أخرى لعمر بن أبى ربيعة • فهو قد تاب وأناب فى أواخر أيامه وصار يحج فى كل عام ليؤدى الفريضة بعد أن كان يحج ليغازل النساء فى موسم الحج وليصدق عليه البيت •

تروح يبغى أن تحط ذنوبه فعاد وقد زادت عليه ذنوب •

أقلع عمر عن الغزل والتشبيب بالنساء وأقسم على أن يطلق عبدا أو جارية تكفيرا عن أى بيت شعر يقوله •

وأخلص عمر قلبه لله جل علاه وحسن اسلامه وصدقت توبته وحدث أن كان يطوف بالكعبة المشرفة فسمع فتى وفتاة يتناجيان قريبا من أستارها فقصد اليهما •

ـ أتكون المناجاة فى هذا المكان المقدس ـ وقال الفتى :

ـ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين •

فليكن ذاك فى أى مكان آخر •• لماذا لا تتزوج فتاتك ؟

ـ أبوها يغالى فى المهر •

ـ كم يطلب •

ـ مائة دينار •

ـ قوما بنا اليه •

وذهب ثلاثتهم الى والد الفتاة ودفع عمر بن أبى ربيعة مهر الفتاة من خاصة ماله وتزوج الفتى من الفتاة •

وعاد عمر الى بيته وقد انتعش قلبه فرحا أن جمع حبيبين على سنة الله ورسوله وهاج الشعر فى جوانحه يهزه هزا • وأدركت زوجته ان به شيئا فجابهته •

ـ لست أنت كما عهدتك •• ماذا بك •

فلم يطق سكوتا واندفع يكتب شعره فنظم تسعة أبيات وأطلق تسعة عبيد •

مما أذكره من هذه الأبيات قوله :

تقول وليدتى لما رأتنى ·

طربت وكنت قد اقصرت حينا

أراك اليـوم قد أحدثت شوقا   وهـاج لك الهوى داء دفينـا
بربك هـل أتاك لها رسـول   فشاقك ان لقيت لها خدينـا
فقلت لها لقيت أخـا محبـا   كبعض زماننا اذ تعلمينـا
فقـص على ما يلـقى بهنـد   فذكر بعض ما كنا نسـينا
وذو الشوق القـديم وان تعرى   مشوق حـين يلقى العاشقينا

الى هنا تنتهى قصة عمر وأنا رويتها لأخفف عنك وطأة الحر ولأناقش هذا البيت الأخير فليس صحيحا فيما أرى ان ذا الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقين · فللسنين شيبة لا تترك للقلب نضارة فان الزمن حين يباعد بين المحبين لا يبقى الا أثارا بليت لا تعنى شيئا ولعل الشاعر جوته كان صادقا مع نفسه كل الصدق حين قصدت اليه وهو فى منصبه الوزارى فتاته التى أحبها فى شبابه حبا مجنونا عارما حتى ليقال انها هى التى ألهمته كل شعره · وكانت الفتاة التى أصبحت امرأة عجوزا تظن انها حين تقصد اليه وهو فى منصبه الوزارى ستجد عنده الترحيب وانه سيستعيد معها أيام الهوى التى انطوت والزمان الخالى الذى مضى ·

ولكنها فوجئتبوجه جامد لا حرارة فيه ولا ترحيب وسألها بكل برود ان كانت تريد شـيئا بعد أن أبلغها فى قسوة انه مشـغول تماما بالمهام الكبار حتى لقد خجلت السيدة التى كانت هواه وانصرفت تسحب ذيول الأمل الكسير وتغطى الدموع الباقية لها الطريق حتى ما تكاد ترى ·

ترى لو لم يكن عمر بن أبى ربيعـة شـاعرا أتراه كان يقول هذه الأبيات · أترى الواقعة التى شهدها بين حبيبين فى سن الشباب هى التى حركت ما حركت فى نفسه أم هو الشاعر القديم فيه ·

هذه قصة أقدمها الى رجال السياسة عندنا راجيا أن تجد اللمسات الانسانية مكانا تطرقه فى افئدتهم فترق للفتيان والفتيات الذين يريدون

الزواج فيقف بهم المهر وأجر الشـقة وثمن الملابس ثم تحطمهم الحياة بعد ذلك اذا هم كانوا موظفين فى الحكومة أو القطاع العام ٠

فالشاعرية يا ساسة أساس من أسس الحياة ومن يرد منكم أن يكون سياسيا فعليه أولا أن يكون انسانا ٠ وليس انسانا من لا يرق فؤاده لشباب محب وشباب يريد أن يعتصم بالزواج من زلل الخطيئة ٠

وبعد فماذا لويت لك واى حديث قدمته بين يديك أهو حديث حب أم حديث شعر أم حديث سياسة ٠

وهل على بأس أو عليك أن يكون هذا جميعا ومعه مما ستضيفه أنت اليه من معان تتخفى فى أنحائه وتتوارى فى ثناياه ٠

فالقارىء حين يقرأ يشارك الكاتب ويصبح معه كاتبا ٠ وانى واثق انك ستكتب معى ثانية هذه الذى قرأته لى ٠٠ وفقك الله ٠

الأهرام ١٩٨٨/٩/١٢

سنة ١٩٨٩

كتـاب نحن لا شعراء

الشاعر أيليا أبو ماضي من أعظم شعراء المهجر . وللشعر عنده موسيقى متميزة لا تجدها عند شاعر غيره في العصر الحديث وربما وجدت منها نغمات في شعر البهاء زهير أو في شعر الشريف الرضي .

من أبدع قصائد ايليا أبو ماضي قصيدته التي يقدم بها ديوانه الجداول أذكر منها :

يا صديقي انه لولاك ما وقعت لحنا
كنت في سري لما كنت وحدي أتغنى
ألبس الروض حلاه انه يوما سيجني
مالصوت أغلقت من دونه الأسماع معنى
ليس نورا كل نور مر بالأعين وسنى
قد سكبت الخمر كي تشرب فاشرب مطمئنا
واسق من شئت كريما لا تخف أن تتجنى
فهي بالانفاق تبقى وهي بالامساك تفنى

الحث على هذه الأبيات في أيامنا هذه وخيل الى انها تومىء الينا من طرف مضاد . فجمال الشعر أن يروى وأن تتناقله الناس ويستمتعوا به ويتناشدوه . لطلاوة الموسيقى فيه وحلاوة الجرس .

انما المقالات المنشورة في الصحف السياسية شأنها بعيد كل البعد عن شأن الشعر .

المقالة رأى صاحبها . وهي حين تكون صادقة تكون نبض جماهير وآلام شعب وأزمات بشر من البشر يلقون من الحياة عنتا .

وكاتب المقالة ليس شاعرا ، وليس كاتب المقالة مغنيا يتغيا اثارة الطرب والاعجاب في نفوس قرائه ولا عازف قانون موسيقي هو وانما هو مطالب بقانون تشريعي وشتان شتان والف شتان بين قانون ذي اوتار وقانون ذي مواد • فان كان الأول موسيقي وطربا وسعادة ومرحا فان الآخر اقدار ناس ، وطريق حياة ومستقبل جماعات وأمل عند يأس ، وفرج عند ضيق •

القانون التشريعي هو الحكم وليس أنغاما تدغدغ أوتار النفوس ثم ينتهي أثرها •

فكاتب المقالة حين يكتبها يرجـــو لها واحدة من اثنتين • اما أن تصبح موضع اهتمام المسئولين فيناقشوا ما جاء فيها ويطلعوا على الناس بقرار حاسم وأما يصدر من المسئولين بيان يناقش ما جاء في المقالة ويبين المحاذير التي قد تترتب على تنفيذ الرأي في المقالة •

المقالة مشاركة من الكاتب الذي يمثل الشعب في المسئولية • وليس من الحتم أن يكون الكاتب حامل حقيبة وزارية حتى يشارك في الرأي • فهو بما هو كاتب يعايش الجماهير معايشة لا يطيقها الوزير المشـغول بالمقابلات وبطلبات أعضاء مجلسي الشعب والشورى وباستقبال العائدين وتوديع المسافرين من ضيوف الوطن •

فهيهات له ألف هيهات ان يفـرغ الى نبض الجماهير ومشـاكلهم وآلامهم واذا اضفنا الى أعبائه مناقشاته مع الدول الدائنـة ومع الدول التي نرجو أن تكون دائنة واضطراره أن يكون حاضرا في حفلات الاستقبال التي تقام لممثلي تلك الدول لأدركنا ــ مع كل اشفاقنا على الوزير ــ انه عاجز تماما عن تعرف رأي الناس في أنحاء مصر جميعا • وأنا لست أعني العذابات الصغرى مثل انقطاع النور في قرية غزالة بالشرقية ولا انقطاع المياه في حي السيدة زينب ــ رضي الله عنها ــ بالقاهرة لا ، ولا أقصد انفجار ماسورة أو تراكم نفايات •

انما أقصـد الخطوط العريضـة في الحـكم التي لو التفت اليها المسئولون ما نغصت هذه المسائل الصغرى حياة الناس •

ولكنى أرى عجبا • تظهر المقالة لي اليوم فاذا بي في المساء أتلقى الكثير من التليفونات يطلبني فيها أصـدقائي من الوزراء يهنئون بالمقالة

أسـلوبا وموضـوعا ، وككل ممدوح ينعقد منى اللسان وينولانى التى وتسيطر اللعثمة على لسانى وتتخلج شفتاى من نضوب الكلام ٠٠٠

ولكن معالى الوزراء يفوتهم اننى مع شكرى العميق لكريم مديحهم لم أتصور أن يكون هو الاجابة ٠

فأنا انسان وبما هذه الصفة يزهينى المديح وأسعد له وأخجل معه أيضا ولكن ما اليه أتصيده ولا أنا أحاول أن أقصده بما أكتب ٠

انما أنا فرد من هذا الشعب يسرنى الله سبحانه وتعالى ألا أقول الا ما أعتقد أنه الحق يؤازرنى فى ذلك اننى برىء من أى مطلب شخصى فلا طامع أنا فى منصب حكومى ولا ناظر الى مكسب مادى ٠ كل أملى أن أقول كلمة حق وأن تجد فى موطنها أذنا صاغية تبتعث عملا حاسما ان كان ما أقوله على صواب أو بيانا من الحكومة ان كان ما أقول يستحق الحوار ٠

ولست أحسب ان ما نكتبه نحن الكتاب من الهزال بحيث لا يحتاج الى اذن أو بيان ٠ فأنا لا أنسى كلمة قالها رئيس دولة أجنبية عن كتاب مصر ٠ أكاد أذكر بحرفيتها « ليس فى كتـاب العـالم كتـاب يتمتعون بالاجلال والاكبار قدر ما يتمتع كتاب مصر به فى مصر وفى العالم العربى من الشعوب العربية جميعا » ٠

فان كان هذا صحيحا وانه لصحيح فنحن من معاملة الناس لنـا فى مصر والعالم العربى نحس انه صحيح فكيف لا نحظى من حكومتنـا بمناقشة ما نقول ٠

واستدرك ٠ ان الحكومة فى مصر فى تعاملها الشخصى معنا لا تبدى الا كل احترام وتوقير واجلال ٠ وهذ أمر طبيعى فالوزراء فئة متحضرة تفهم ما تعنيه صفة كاتب فى الحياة ٠

وانا نشكو ان الحكومة لا تناقش ما نكتب ، ولو ان كل وزير خصص فى مكتبه موظفا ليقرأ له ما ينشر عن وزارته ٠ ثم وجه هذا الذى ينشر الى الجهة المسئولة للمناقشة أو للمحاسبة لأصبح الأمر ميسورا لاعنت فيه على الوزير ولا أرهاق ٠

أما أن نقول ولا نلقى الا المديح فهذا امر جعل منا شعراء لا كتابا وما اعظم ان نكون شعراء ، الا اننا أصبحنا شعراء بالمعامله ولسنا شعراء بالشعر .

وينتهي بنا الأمر أن نصبح أو نمسى ونحن لا شعراء ولا كتابا واني أتمنى من الحكومة الموقرة ، أن تشيع بين ربوعها أن الشعراء يحبون المديح وتناقل ما تفيض به عبقريتهم أما الكتاب فينتظرون شيئا آخر هو أن يصبح قولهم عملا ، وجواب ندائهم لبيك ... لبيك نعم ... أولبيك لا ... فاننا نوجه قولنا الى الهيئة التنفيذية والتشريعية معا وكل آملنا أن نجد منهم سميعا وعاملا .. وما هذا علينا ولا على الوطن بكثير .

الأهرام ١٩٨٩/٩/١٩

يا عجبا كل العجب

أقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى الفقر الطاحن الشديد والعسر القاصم العنيد وينفجر موضوع الريان فاذا : الاحصاءات تقول : أن المودعين لديه يزيدون على مليونين من المودعين ·

وأقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى الموظفين فى الحكومة وفى القطاع العام تؤودهم الحياة وتثقلهم أعباؤها وأرى السيارات الفارهة تنوش شوارع القاهرة · وأرى من البضائع ما لا يستطيع شراءه الا من فحش ثراؤه واستشرى ماله وفجر غناه · وأسمع ان بعض ملابس السيدات منها الفستان يتجاوز الألفين والثلاثة والخمسة والعشرة من الجنيهات · ولو لم تجد هذه البضائع مشتريها ما عرضها بائعها ·

وأقلب عينى فى الناس فى بلدى فأرى عجبا : أرى خريج الجامعة مشردا يتسكع حول الوزارات والمصالح وشركات القطاع العام وبيوت القطاع الخاص ولا يجد وردا يسقيه ولو بضع نقاط يبل بها شفتيه وأرى غير المتعلمين مقبلين على المخدرات يبذلون فى سبيلها المال الضخم ويتباهون ان ينفقوا على أمزجتهم الملايين ·

وأسأل نفسى وأسأل الناس وأسأل الخبراء أكان هؤلاء الملايين من الناس يلجأون الى الريان لو كانت أموالهم تجد الثقة والطمأنينة فى البنوك الشرعية والمشروعة ·

ان أموالهم تفر كالفئران الجازعة الى شركات النصابين والأفاقين لأنها لا تجد الأمان فى المكان الذى كان ينبغى له أن يستقبل أموالهم · فتصبح كالمستجير من الرمضاء بالنيران لا بالنار الواحدة ·

وأى أبله يضع ماله فى بنك شرعى فاذا وافاه الأجل المحتوم صادرت الدولة ماله باسم قانون أخرق مجنون اسمه « ضريبة التركات » كان وما زال من أكبر العوامل التى دمرت اقتصاد مصر · فالآباء قلوبهم على أبنائهم رقيقة شديدة النبض وهم يريدون أن يتركوا لأبنائهم ما يقيهم

التشرد وتكفف الناس وسؤال اللئيم أو الكريم · والآباء فى آخر عمرهم يحتاجون الى الدواء والى شيء من الدعة والطمأنينة فاذا باعوا لأبنائهم ما يستحقونه من ميراث أصبح لآباء تحت رحمة الأبناء وتنقلب شريعة الله رأسا على عقب وكثير من الأبناء ـ كفانا الله السيئات ـ قساة على آبائهم وأمهاتهم غلاظ القلوب فى أعراقهم نحو ذويهم جفاف وفى خلقهم تنكر وخسة ·

ويعيش الأب الذى أعطى مهددا من الابن الذى أخذ أو يعيش الذى وهب يستوهب الأخرين بعد أن قطع عنه ابنه موارد العيش ·

هذه حالة من حالات الذين لجأوا الى الريان وأشباهه · وهناك حالات أخرى كثيرة ·

فالمال عزيز شديد الهلع مرتعش القلب من الخوف · والذى لاشك فيه أن الغالبية العظمى من ألقوا بأموالهم الى الريان لا يستشعرون الثقة فى البنوك الشرعية وهم يرون الحالات أمامهم تثير الرعب والذعر ·

طمأنتهم الحكومة الى شهادات الاستثمار فأقبلوا عليها فاذا بقانون التركات يلاحقها ويقطع ريعها وينضب عطاءها ·

وطمأنتهم الحكومة الى الاستثمار فاذا باللوائح والقوانين تلاحق المستثمرين وكأنهم لصوص أو تجار مخدرات وتفترض فيهم الاتهام قبل البراءة والخبث والكذب دون سلامة الطوية والصدق · وليس المستثمر متبرعا وانما هو انسان يريد أن يزيد ماله وينفع مصر فى وقت معا ·

ولكن كيف يجرؤ على هذا · كيف تسمح له أماله أن يزيد ماله · ما دام قد تجرأ وأقدم فليذق اذن الوبال والنكال ولتنقض عليه القوانين تفترس جهده افتراسا وليتعطل ماله أو ليذهب به الى المفترسين من وحوش الريان ·

ولو أن هناك بورصة أوراق مالية يتداول الناس فيها الأسهم تحت رقابة الحكومة وتحت أعينها لنشأت الشركات المساهمة ولقصدها اليها الناس فى اقبال وطمأنينة ·

ولو ألغى قانون التركات جملة وتفصيلا لأودع الناس أموالهم آمنين ولانهالت على مصر أموال المصريين الذين يودعون أموالهم بالخارج ويبقون

الى جانبها فاذا ماتوا فليموتوا بجوارها وليلحق بهم الورثة الذين يفضلون أن يعيشوا مستورين بالخارج على أن يعيشوا متسولين بمصر ·

وأصحاب الغناء الفاحش يهربون اموالهم ويترجمونها الى عمارات شاهقة بأسماء ورثتهم اما أصحاب الأموال المتوسطة فهم الحائرون وهم الغالبية الكاثرة ·

وكانوا فى الماضى يشترون بها أسهم الشركات المساهمة وتطمئن بهم القلوب وترتاح جنوبهم الى المضاجع وتنام منهم العيون ملء جفونهم فهم فى حمى الدولة ·

ولكنهم اليوم ماذا يصنعون والدولة هى التى توقع الهلع فى قلوبهم وتقض منهم المضاجع ·

ان أموالهم لا تكفى لشراء أو اقامة بيت أو حجرة وهم لا يستطيعون أن يشتروا أرضا زراعية فمالك الأرض اليوم متسول على أبواب القرية لا يكاد يجد قوت يومه ·

وان ذهب الى الريان انتهت أمواله ·

وان أودع فى البنك ماله التهمه قانون التركات وان اشترى شهادات الاستثمار التقمه رسم الأيلولة ·

وان شارك مستثمر انهالت عليه سياط القوانين الشاذة المدمرة ·

ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم وحسبنا هو ونعم الوكيل ·

الأهرام ١٩٨٨/١٢/١٢

بعـــد غـــد

من الأبيات الشهيرة لعمر بن أبى ربيعة قوله :

كلما قلت متى ميعادنـــا ضحكت هنـد وقالت بعـد غـد

وربما لم يعرف الأدب العربى تعبيرا أجمل مما جاء فى هذا البيت عن الموعد الممطول والوعد الذى لا يتحقق ويروى الناس عن صاحب مطعم صنع مثل هذا الصنيع فعلق لافتة على مطعمه تقول « ياكل اليوم بالأجر يأكل غدا بلا أجر » وأبقى اللافتة لم يرفعها فلم يأت هذا الغـد المجانى أبـدا ٠

وأحسب ان السلطتين التنفيذية والتشريعية سمعتا عن بيت ابن أبى ربيعة الذى يماطله ويقصيه عن موعده الى حيث لا يدرى من الأيام ٠

أو لعل السلطتين ـ وهذا أقرب للمعقول سمعنا عن هذه اللافتـة المانحة المانعة الواعدة الكاذبة التى علقها صاحب المطعم ٠ والتى منحت الأمل ثم منعته وبذلت الوعد يوم تبدت على باب المطعم ثم أخلفته ببقائها فى مكانها ٠

أرى السلطتين تؤجلان القوانين التى تعدان بها تأجيل هند لعمر وتأجيل التاجر لموعده والا فبربك قل ٠ أين القانون الخاص بالعلاقة بين المالك والمستأجر فى العقارات والأرض الزراعية على السواء ٠

ترى أتدرى السلطتان أن عقد ايجار الشقة غير المفروشة قد ألغى تماما من الحياة المصرية اليوم وأصبح أصحاب العمارات لا يتعاملون الا فى بيع الشقق دون أن يفكروا لحظة فى ايجارها ٠

ونسمع أرقام البيع والشراء للشقق فنصيح واغوثاه ولولا بقيـة من تماسك لأغمى على المستمعين ٠

أرقام تعتبر بالنسبة الينا نحن أبناء جيلنا سماعيات . نسمع بها ولا نراها ونستهولها اذا سمعناها وكأنما هي ألفاظ من المريخ أو الزهرة او مما شئت من كواكب الكون التى لا شأن لنا بها نحن اصحاب الدخول الشريفة الذين لا نعمل فى شركات توظيف الأموال ولا فى تهريب المخدرات ولا فى تجارة العمله . ولا فى سوق الرشاوى .

نسمع فى ميادين الشقق المروسه بمائه وخمسين الفا ومائتين وخمسين الفا . وثلاثمائة ألف ويصل الهوس الى خمسمائه الف وقد ينفجر المليون فى اذان السامعين .

أتدرك السلطتان معنى هذا ان الذين يطيقون أن يحصلوا على سقف يحميهم برد الشتاء وزمهريره ، وحرور الصيف وسعيره هم أولئك الذين يسرقون الشعب أو يخدرونه أو يتاجرون بشرفهم وبوظائفهم فى أموال مصر ولا سقف للشرفاء ولا لأبنائهم .

وكل ذلك بفضل القوانين المخبولة التى تحكم صلات المالك بالمستأجر والتى جعلت الملاك جميعا يحجمون عن بناء عمائر للايجار . وماذا يدعوهم الى هذا النوع من الاستثمار الذى يجعلهم يتعرضون لما يسمى بقانون خلو الرجل ويجعلهم عرضة لسفك الدماء يطالعهم من لجان التقدير شريفة كانت هذه اللجان أو غير شريفة .

وهكذا أصبحت القوانين الرعناء التى تقول اللافتات الجوفاء انها تحمى بها ذوى الدخل المحدود هى التى تقضى القضاء المبرم على ذوى الدخل المحدود . فهؤلاء قد يجدون ايجار شقة مهما يرتفع سعره ولكنهم باليقين وبالقطع لن يجدوا ثمن شقة مهما يرخص قدره .

والمساكين الآخرون الذين قضى عليهم الزمان أن يكونوا أصحاب أرض زراعية يغتالهم قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر منذ ستة وثلاثين عاما . مات فى أثنائها أغلب الذين تسلموا الأفدنة الخمسة الشهيرة وأصبحت الفدادين الخمسة فتاتا فى أيدى خريجين من الجامعات لا يزرعون ولا يفلحون ولا يستطيعون أن يبيعوا الفتات الذى بقى لهم . وقس على حالهم كل مالك حكم عليه القدر أن يترك له أبوه أرضا زراعية وتركه يصارع الأيام وقوانين الاصلاح الزراعى على ملك لا يملكه ومال لا يجرؤ على التصرف فيه وانما تحيط به المخالب الحادة القاطعة والأنياب الشرسة المسعورة .

: كم من سيدة لا حول لها ولا قوة لا تملك الا عشرة أفدنة أو أقل لا يستطيع ريعها أن يسد منه الرمق وحدها فكيف بها لو كان لها أبناء يريدون أن يتعلموا ويأكلوا ويلبسوا ويعالجوا • وتحاول أن تبيع أرضها أو تبيع من أرضها فتظل عليها قوانين الاصلاح الزراعى وحوشا ضاريه سفاحة للدماء خذة بكل خناق •

ويقول أصحاب اللافتات ان الارض لمن يزرعها وان هذه المرأة المسكينة وأشباهها وقد أصبح أغلب الملاك اليوم أشباهها — اقطاعيون استلبوا الارض وما ملكوها واغتالوها ولم يأخذوها بالطريق المشروع الذى قضى به رب العرش فى علاه •

وننظر الى القرآن الكريم فنجده لم يفصل فى آياته أحكاما كما فصل المواريث فى سورة النساء مما يدل على قداسة الملكية فهى مال الله استخلف فيه عباده ويريد سبحانه أن يطهر ماله من الظلم والعسف والجبروت •

ولكن قانون الاصلاح الزراعى يعارض رحمة ربك وينزل العذاب الأشقى بمن كتب عليه أن يكون صاحب أرض •

وكذلك يفعل قانون التركات أيضا وانى أنتهز الفرصة وأقدم أصدق التحية والاجلال لمفتى الديار المصرية السيد الأستاذ الدكتور سيد طنطاوى على فتواه الخاصة بقانون التركات تلك الفتوى التى تدل على أمانة الرجل وشرفه وتصديه للمنكر بقوله لا اله الا الله محمد رسول الله • وبارك الله فى رئيس الجمهورية حسنى مبارك الذى استجاب وأمر •

قوانين كثيرة وعدت السلطتان بالنظر فيها • وكلما قابل بها الشعب متى ميعادنا ضحكت السلطتان وقالتا بعد غد • ولا حول ولا قوة الا بالله العلى القدير •

١٩/١٢/١٩٨٨ الأهرام

الانســـان تراحـــم

سـبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله يقول فى كتابـه العزيز « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ٠

تعاليت يا سبحانك أكرمتنـا وكرمتنـا ونأبى نحن الا أن نقتـل انسانيتنا ونهمر المعانى الشريفة الكريمة السامية التى أودعتها فى كياننا٠ فما الحياة يا رحمن السماوات والأرض ان لم تتناسم فيها الرياح الطيبة الجنون من التآخى والمحبـة والتواد والمشاركة الوجدانية بين الانسـان والإنسان ٠

أى حياة تلك اذا سادها عقل الحيوان وهو بلا عقل وعواطفه وهو بلا عواطف وقوانينه وهو بلا قانون أى حياة تلك إن أصبح الانسان الذى خلق الله له العـالم أجمع وفضله على كثير من خلق تفضـيلا بلا خلق ولا رحمة ولا قلب ينبض بالمعانى الانسانية الرفيعة ٠

هانت الحياة وشاهت معالمها وسقط عمودها وانهارت فيها معانى الوجود اذا أمست كذلك ٠

اذا لم نشارك أخانا الانسان فى أحزانه واذا لم نعرف كيف نواسى المحزون الذى فقد ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه بكلمة طيبة ونبرة تعينه على بلواه فماذا نحن من الانسان وكيف ندعى إننا جديرون بما فضلنا به الله على كثير ممن خلق تفضيلا ؟!! ثارت فى نفسى هذه الثائرات وأنا أرقب مقتله ذلك الضابط الشهيد فصام الدين شمس بيد كافرة جاحدة غادرة فاذا بجرائد المعارضة تطلع علينا وكأنها سعيدة بالحادث قريرة العـين به ٠٠ ويل للانسـانية من الإنسـان اذا كان على هذا النمط من الانحدار والهبوط وتوغل احدى الجرائد المعارضة فتحاول أن تنال أم الشهيد بما تنشره من أخبار كاذبة ساقطة مهينة وتصدر الجرائد الأخرى فى اليوم التالى ان أم الشهيد مصابة بالشلل ٠٠ من أى جبلة هؤلاء الذين يتصدون للحياة العامة وعلى أى خلق هـم أو لا تسرى فى عروقهم دماء

انسان أم هى دماء حيوانات باطشة كاسرة آكلة للحوم البشر أهم الذين ضرب الله بهم مثلا فى النذالة فى قوله « ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » .. انهم صنف من البشر يشرف البشرية أن يتقى منها ويلغى من سجلاتها ويحذف من وجودها .

ان هؤلاء الضباط هم أمننا وحمانا وهم حصننا فى مواجهة الوحوش الكاسرة التى يسلطها الأعداء على مصر بالمال المنهمر أولئك الذين يشهرون السلاح على الآمنين من أبناء مصر ليصلوا بسلاحهم الباطل الى الحكم المشروع أولئك الذين فشا الجهل فى رؤوسهم ويريدون أن يجعلوا من جهلهم دستورا وقانونا وحكما سيصبحون فيه دمى تحركهم الأيدى التى انفقت عليهم وأغدقت على فجورهم بالسلاح الحديث وبالمال الوفير .

ان هؤلاء الضباط هم دروعنا من المؤامرات فى الداخل والخارج فكم ذا بمصر من عدو يتربص بها الفتن من الثورات وقد بلغ بهم الفجور انهم يدعون الى الثورة علانية فى غير خجل وهم فى جهلهم العمى المافون يجهلون ان هذه الثورة التى يدعون اليها وينادون بها سنجعلهم هم أول حطب لها وستحرقهم أول من تحرق . هؤلاء الضباط يحمونهم من ويلات غيرهم ومن ويلات أنفسهم ولكنهم قوم خصمون كما يقول القرآن الكريم يحرصون على الخصام أكثر من حرصهم على الحياة ان هؤلاء الضباط يبذلون السهر ليتيحوا لنا ان ننام ويضاعفون من جهدهم فى العمل لنستطيع نحن أن نقوم بأعمالنا فى أمان ويقدمون حياتهم ليحافظوا على حياتنا أيكون شكرنا لهم ما تطالعنا به هذه الصحف الوالغة فى دماء البشرية والمحطمة لانسانية الانسان ان المعارض الأمين هو الذى يصدر عن الشرف والصدق والانسانية والكرامة انه يحتاج الى رضا المصريين عنه ويعلم الله ان المصريين يقدسون الحب ويذرفون الدمع فى مواساتهم بعضهم لبعض ويفرحون غاية الفرح لخير يصيب بعضهم حتى كان الخير أصابهم . هم شعب حليم يحب الحب شعب مصر وتتناغم أصداء التراحم من جوانحه شعب يكره الحقد ويحتقر الذى لا يوقر الموت مهما يكن شأن الميت فكيف اذا كان شابا فى مقتبل العمر وفى زين أيام الحياة وكيف اذا كان ضابط شرطة وكيف اذا كان قدم حياته وهو يقوم بواجبه .

اذا لم تنبض قلوبنا بالرحمة لمقتل هذا الشاب فمتى تنبض أما أن يكون نبضها حقدا وكراهية وسخيمة فلا والله ما هؤلاء من الانسان فى شيء اسمعوا يا هؤلاء ان الشعب لن يهب لكم شيئا من عطفه ان لم يشعر ان فى صدوركم قلب انسان لا قلب حيوان واسمعوا يا هؤلاء ان الشعب

لن يهب لكم شيئا من حبه اذا لم يشعر أنكم تحبون مصر كل الحب وانها هى لا كراسى الحكم فيها هى الهدف وهى الغاية وهى النشيدة التى نسعى لاعلائها سعى المخلصين المؤمنين بربهم ووطنهم ولن تبلغوا من الشعب هذا المكان أو يقرأ الكلمة الصادقة تصدر عن صحفكم بريئة من الشتائم بعيدة عن الأحقاد والله من فوقنا هو ولى التوفيق ٠

الأهرام ١٩٨٨/١٢/٢٦

لك الله يا مصر ..

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك .. تكاثرت حولك السهام تصوب اليك من الخارج ومن الداخل في وقت معا .. وتتناوشك مشاعر الغضب عليك أحيانا أو عوامل الحقد فى أحيان أخرى ثم لا يرحمك من تجرى مياهك في دمائه وهواؤك فى صدره .

يطلع عليك من الغرب عفريت يدعى أننا نصنع الأسلحة الكيماوية . وهى أسلحة لا يستعملها أحد مهما يكن مجرما ولكنهم لا يجدون ما يهاجموننا به الا هذه القالة الساذجة الرخيصة وعلم الله أنهم بهذه التهمة انما يخفون أسبابا سياسية أخرى فهم يريدون صلتنا بهم أن تكون صلة التابع بالمتبوع لا الند بالند متوهمين أننا لا ندرك كل الادراك أنهم اذا كانوا يقدمون لنا المنح والقروض فما ذاك الا لصوالحهم الوطنية فى منطقة نحن فيها الدولة الكبرى . ولا بأس عليهم ولا حرج علينا أن تكون المعاملة بيننا تبادل مصالح لدولنا .. أما أن يتصوروا أن نكون تابعين فهيهات. وكبرت كلمة تخرج من أفواههم . فاذا أبينا راحوا يلقون هذه الحجارة الرعناء الخرقاء التى لا يصدقها أحد . ووالله ما اهتزت لنا شعرة من تهمتهم .

ولقد تصدى للتهمة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك بما يحيط به من ثقة وطيدة فى صدقه يعرفها عنه العالم أجمع وقمع الفتنة فى مهدها وجعل حديثهم هراء هذا الحديث الذى يذكرنا بالبيت القديم ..

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

ويطلع علينا من بعض صحفهم حديث آخر يتناقله المغرضون فى مصر بصحفهم أن أموال المنح والقروض لا تنفق جميعها في المصالح العامة وانما تختانها وتستولى على نسبة كبيرة منها أيد ليست أمينة .

وأنتظر أن أجد تكذيبا لهذا التصريح الخطير ولكن لا تكذيب وكأن التهمة ما وجهت . والوزراء المسئولون كل لهم شأن يغنيه تاركين تهمة على هذه الدرجة من الخطورة تجتاح سمعتنا .

وان ما يترتب على هذا التصريح أمور على درجة بشعة من آثار ان لم تفعل الا أن تفزع الآمن من نفوس الدول التى تتعامل معنا لكان هذا حسبها وفوق الحسب ·

اذا لم يكذب الوزراء مثل هذه الأقاويل فماذا يكذبون ·· بل أى شىء يصنعونه أهم من أن يجعلوا سمعة مصر المالية نقية نقاء البللور شفيفة متألقة كأحجار الماس ·

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ··

ام ينتظرون أن يكذب رئيس الدولة ـ مع كل الشواغل التى تحيط به ـ كل كلمة تقولها صحف الغرب عن مصر فهم أذن فى لهو يلعبون ·· ان رئيس الدولة بما يعرفه العالم عن شخصيته العظيمة لا يعنيه مطلقا أن يتخلف وزير عن استقباله ويشغل نفسه بأى شىء يكون فيه مصلحة مهما تكن ضئيلة لمصر ·· عام الله ليس يعنى رئيس جمهوريتنا بالمظاهر والمظاهرات وعلم الله أنها لا تحرك منه ساكنا وعلم الله أنه يهتم كل الاهتمام بأقل نفع يعود على مصر والمصريين · فمتى متى ـ بحق الله ـ يعرف عنه الوزراء هذا · وقد ظلوا فى مناصبهم سنوات عرفوا فيها خلق الرئيس وترفعه عن صغائر الأمور واهتمامه بكل ما يعود على مصر بالخير والوفر والرفاهية ·

لك الله يا مصر ورعاك وحفظك ··

أما كان بحسبك أن تواجهى المتألبين عليك من خارجك بل فرض عليك أيضا أن تشقى ببعض العاملين بالفنون بين ربوعك ··

وأشهد ـ فيما أشهد ـ أفلاما للسينما تقدم أسوأ ما فى مصر من أماكن وقبور واطلال وحفائر ولا يقف بهم الأمر عند هذا ·· بل أرى منذ أيام فيلما يرمى كل شىء فى مصر بالقذارة ·· فالبنوك المصرية حافلة بالقذارة فى أرضها ومبانيها وبسوء المعاملة من العاملين للعملاء وعلم الله أن ما قاله الفيلم كذب واختلاق ·

أيحتمل الحال فى مصر ان نختلق المســـاوىء اذا لم توجد ·· أمصريون هؤلاء ؟! أقسم غير حانث لو أن أعداء مصر كتبوا عن مصر بكل الحقد الذى يحملون ما تجرأوا أن يختلقوا هذه الأكاذيب عن مصر ·· ولا يكتفى المؤلف والفنانون الذين شاركوا فى هذا الفيلم بهذا بل أنهم

يزيدون كاذبين أن الكراسى فى الفنادق الكبرى عندنا تمزق الملابس لما بها من مسامير وأدوات حادة ..

أين هـذا ؟

كذبوا والله وافتروا .

بل ان الفنادق الكبرى عندنا تنافس أعظم فنادق العالم فى أناقة الأثاث والنظافة وحسن المعاملة ..

وأريد أن أسأل أمثال هؤلاء المتهجمين على مصر من داخلها أما اختلجت فى نفوسكم نامة أو خجلة من حب مصر .. وهل تدركون ماذا أنتم صانعون بوطنكم عند من يرغب فى زيارتها سائحا أو مستثمرا .. وهل قدرتم وأنتم تختلقون هذه العيوب الخرقاء الحمقاء التى لا تمثل الحقيقة فى شىء .. أى سلاح فتاك تغرسونه فى صدر الاقتصاد المصرى بمثل هذا الهذر الذى ألقاه ممثلكم فى الفيلم ببساطة كأنما يذكر حقائق لا تقبل المجادلة ..

وان عجبت فأعجب معى من شخصى يلقى على أمة .. وهى أمة السخرية والهجوم وكأنه لا يصنع جرما يتصاغر معه كل جرم .

عشت يا مصر .. وستعيشين خفاقة الاعلام وإن رغمت من الخارج أنوف .. وان ضمرت فيك من الداخل عقول .. فان الله جل علاه هو يراعيك فى علياء سمائه .. وحسبك الله راعيا وكفيلا ..

الأهرام ١٩٨٩/٤/١٣

حين يميــل الميزان

وقد يتساءلون وربما طاف تساؤلهم نحن الكتاب أيضا ٠ اذا كنتم تكتبون الى غير سميع وتتنادون على غير مجيب ففيم تجهدون أنفسكم وفيم تتعبون خلق الله من القائمين على شئون الجرائد الى جامعى الكلمات الى القراء ٠٠

أليس الصمت بكم أولى ثم أولى ٠٠

ولكن هيهات ٠٠

فنحن الكتاب واجبنا أن نكتب وليس يجوز لنا أن نتخلى عن واجبنا والا جعلنا من أنفسنا مثلا للهازلين غير الجادين الذين لا يعملون ولا يريدون أن يعمل الناس ٠

والكاتب شخصية عامة ٠ وكل شخصية عامة عليها واجبــات لا تحتملها الشخصية غير العامة ٠٠

الشخصية العامة عليها أن تكون مثلا أعلى فى كل تصرفاتها الخفى منها والظاهر ، وينبغى أن تقــدر الحمل الذى يقع على كتفيها تقــديرا عظيما ٠ فما يجوز لغير الشخصية العامة لا يجوز للشخصية العامة مادامت الشخصية قد حظيت بمعرفة الناس لها أصبح واجبا عليها لا محيد عنه أن تحترم نفسها عند هؤلاء الناس ٠

والشخصية كل متكامل ٠ أنا أرفض أن أعطى للشخصية العامة حريتها الشخصية كاملة ، فهى منذ أصبحت عامة ضاقت عليها دائرة الحرية الشخصية الى أقصى حد ٠

انظروا الى أمريكا التى تأبى تعيين وزير بها لأنه يشرب الخمر ٠ أليس شرب الخمر حرية شخصية ولكن المجتمع الأمريكى الذى لا يحرم دينه الخمر رفض أن يكون وزيره حليف كأس وأخا شراب ٠

والأمر عندنا مرفوض بما حكم به ديننا من تحريم للخمر ، وربما يتحتم على الشخصية العامة من استقامة خلق ونقـاء سـيرة وبراءة صفحة .

وانظروا الى انجلترا كم أرغموا وزراءهم أن يتركوا الحكم لأنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على صورة كريمة لهم عند الرأى العام ..

وانظروا الى جميع دول العالم المتحضر تجدوا هذه القاعدة ثابتة صلبة لا تضعف ولا يصيبها وهن ..

واذا كانت هذه القاعدة الكريمة واجبة وجوبا على الوزراء وأصحاب المناصب ..

فهى أشد وجوبا على الكاتب لأن الكاتب نصبه مواطنوه لسانا لهم ونبضا لمشاعرهم . وكلمة منه لا تصدر عن القلب تسقطه عند الذين اختاروه سقوطا لا قيام له بعده ..

فاذا امتنع عن الكتابة لأن نداءه لا يبلغ الأذن التى ينبغى أن تسمعه فقد نكص عن واجبه وخذل أولئك الذين يثقون به وملأهم حسرة وألما ويأسا ومرارة .

فاذا كان هذا حتما عليه وفيم يكتب فهو حتم عليه أيضا فيم يفعل حتى فى خاصة شأنه ، وفى المطوى من سرائره ، والخفى من أفعاله ، لأن الكاتب يطالب بالمثل الأعلى ولا تصلح المطالبة بخلق ما الا ممن كان على هذا الخلق أولا أو هو عند الناس وعند من يطالبهم سخرية وأضحوكة واهزوءة بينهم .. كيف تطالب بما لا تفعل وتدعو الى شيء وتأتى ضده .. ان هذا يرجعك الى زمان كان فيه الشعراء يستجدون بشعرهم ولا يهمهم أن يكونوا أصحاب خلق أو مثل عليا .

وهكذا كتاب اليوم .. فهم اليوم ليسوا وسائل اعلام فحسب ، وانما هم اليوم أصحاب رأى ، وأصحاب مسئولية وحملة أمانة .. يضعهم الناس فى أكرم مكان ، فان أبوا الكرامة فليسوا خليقين أن يكونوا أصحاب أقلام أو رأى أو فكرة فى شئون بلادهم ، بل فى الشئون الانسانية جميعـــا .

فواجبهم أذن أن يكتبوا ‥ ولا شـــأن لهم بالمصير الذى يواجه كتاباتهم ‥ فقد يستحب بعض الوزراء أن يقرأوا الحديث الموجه اليهم ثم يطووا الجريدة وكأنهم ما قرأوا شيئا ·

فاذا واجههم الحديث من مجلس تشريعى سارعو الى الملجأ الذى يلجأ اليه المسئولون من بدء الخليقة وهو الوعد دون تنفيذ · ذلك الوعد الذى ضاق به المتنبى منذ أكثر من ألف عام فقال بيته الرائع الفريد :

أصبحت أروح مثر خازنا ويـــدا   أنا الغنى وأمـــوالى المواعيد

وحين يضن أصحاب المسئولية بنفاذ وعدهم عن بخل منهم أو عدم اهتمام أو عن خوف من اصدار القرار يطلع عليهم المتنبى ببيته الخـالد العمـــلاق :

وللبخيل على أمـــواله علل   زرق العيون عليها أوجـه ســـود

فالوعد دون نفاذ قديم ‥ وربما كان الخـــوف والبخل أكثر تقـــدما ‥

ولكن علينا نحن الكتاب أن نكتب كلما رأينا الميزان قد مال · فحين يميل الميزان واجب الكاتب أن يقومه ليستقيم العدل بين الناس ·

فالكاتب هو أنه المظلوم ودعاؤه وهو صوته وصراخه · والا فمن للناس اليوم ‥

ومما يزيد الأمر مرارة أننا نرى رئيس الدولة عادلا شريفا يأبى الظلم ويرفض الحيف ويعف عن مغنم ويصارح بالرأى البعيد كل البعد عن الغرض الشخصى · فما للرجال العاملين معه لا يتخذون منه المثل الأعلى والنبراس وأكرم به مثلا أعلى وأعظم به نبراسا ·

الا فارضوا ضمائركم واعملوا ما توقنون أنه الخير ثم توكلوا من بعد ذلك على الله العلى القدير فانه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عمـــلا ‥

الأهرام ١٠/٤/١٩٨٩

سنة ١٩٩٠

القانون هو السيد ..

قال الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك فى حديث للصحافة نحن نريد ارساء سيادة القانون وهذا تصريح يجعل مصر عالية الرأس مرفوعة الهامة شعبها فى أمن واستقرار وسمعتها العالمية فى أرفع سماء ..

ان احترام القوانين وأحكام القضاء هو السمة التى تمتاز بها الدولة الشريفة الكريمة التى تحترم وجهها أمام العالم والتى تجعل شعبها كريما مطمئنا على يومه وغده عزيزا بحريته وكرامته .

ولقد روى لى أحد كبار رجال القضاء السابقين فى مصر .. « سافرت الى انجلترا وأنا مستشار لدراسة القضاء فيها وأحكام المحاكم .. والتقيت هناك بحامل أختام الملكة لأنه ليس بانجلترا وزير عدل ..

كان ذلك فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .. وسألنى عن القضاء فى مصر وكان القضاء فى مصر فى ذلك الحين مستقرا ثابت الأسس عظيم الدعامات .. واجبته فقال لى :

أما عن القضاء فى انجلترا فيكفى أن أروى لك هذه الواقعة ..

أنشأت وزارة الحربية مطارا بجانب احدى المحاكم فى انجلترا وكانت الحرب فى ذلك الحين فى قمة اشتعالها وكانت الغارات تتوالى على انجلترا فى كل ساعة ولا أقول فى كل اليوم وقد أنشأت الوزارة هذا المطار ليرد عن انجلترا عادية هذه الغارات المكثفة ولكن أصوات الطائرات كانت تمنع القاضى فى المحكمة ان يسمع المترافعين فكانت المحكمة تتوقف عن العمل ..

فأرسل قاضى المحكمة خطابا الى مدير المطار أن يمنع الطائرات من الطيران من الساعة التاسعة صباحا الى الساعة الثانية عشرة ولم يتصور مدير المطار أن يتلقى أوامره من القاضى فلم يحفل بخطاب القاضى واستمرت الطائرات تطير غير أبهة بخطاب القاضى .

فاذا بالقاضى يصدر حكما باغلاق المطار • وذهل رجال الطيران والجيش جميعا وذهب وفد منهم الى تشرشل وكان وزيرا للحربية بجانب رئاسته للوزارة وقالوا له أن قاضى المحكمة أصدر حكما لم يطلب منه أحد أن يصدره وأن هذا الحكم أوقعهم فى حيرة شديدة فمكان المطار مكان خطير ومنه يستطيع الطيران البريطانى أن يرد غارات العدوا ولا يعقل ان يتعرض أمن انجلترا جميعا للخطر من أجل حكم قضائى ولا يتصور أحد أن تخسر انجلترا الحرب من أجل حكم أصدره قاض لم يطالبه أحد به •

فاذا بتشرشل يقول :

ان تخسر انجلترا الحرب خير لها من أن يقال عنها أنها لا تحترم أحكام القضاء فيها •

وأمر باغلاق المطار •

ولم يحاول أن يناقش القاضى فى حكمه فأحكام القضاء ليست موضع نقاش •• فأعجب معى من أولئك الذين حاولوا فى مصر أن يناقشوا حكم المحكمة الدستورية العليا الذى صدر أخيرا ببطلان المادة الخامسة من قانون الانتخابات •

وأعجب ما شاء لك العجب من أولئك الذين حاولوا أن يقولوا أن المحكمة تجاوزت وظيفتها حتى قطع الرئيس مبـــارك كل هذه الترهات والخزعبلات بتصريحه العظيم نحن نريد ارساء سيادة القانون ••

فقد جاء حين من الدهر لم يكن للقانون فى مصر سيادة فكانت السجون والحبوس تغفر فاها لتلتقم الأبرياء يلقون بين قبضاتها بلا أحكام وبلا رقيب ولا حسيب •

بل جاء علينا حين من الدهر حدثت فى مصر مذبحة القضاة أو مذبحة القضاء اختر أيهما شئت ••

وجاء حين من الدهر قال مسئول فى الحكومة ان القانون فى اجازة ، كان الحكم الديكتاتورى أبعد ما يكون عن القانون فلا كانت له سيادة ولا كان له وجود والهدم لا يستغرق الا لحظة من الزمن •

أما البناء فيحتاج الى سنوات وسنوات ..

ونحن اليوم فى مصر نحتاج ان نثبت أركان القضاء ليشعر المصرى انه آمن فى وطنه وعلى أبنائه وزوجته وماله .. مطمئن أن أحدا لن يخطفه الى السجن بعد أن كان غير آمن على حياته أو عرضه أو كرامته أو ماله .

وحتى يعلو القانون وتثبت رواسيه لابد أن تكون أحكام القضاء مقدسة لا مجال فيها للتحايل أو التلاعب أو الأقاويل الفارغة غير المسئولة .

ان تشرشل قارن بين أن تخسر انجلترا الحرب جميعا وبين أن يقال عنها أنها لا تحترم القضاء فيها ورأى أن خسارة الحرب أهون من أن تفقد انجلترا كرامتها بامتهان سيادة القانون ..

تحية الى الرئيس العظيم محمد حسنى مبارك لتصريحه هذا .. وعاشت مصر كريمة على نفسها وعلى كل الشعوب وستبقى عالية الهامة مرفوعة الرأس ما بقى القانون فيها هو السيد .. حفظها الله ووقاها وأيد ركنها انه سميع قريب .

الأهرام ١٩٩٠/٥/٢٨

لا كسب لعدوان

عنصر المفاجأة فى السياسة خطير ٠٠ والسياسى البارع هو الذى يقدر المفاجأة حق قدرها ويعرف كيف يبادر بها وكيف يستقبلها فى وقت معا ٠

وقد كانت المبادرة التى طلع بها بوش على العالم مفاجأة سياسية من الدرجة الأولى ٠ وقد كان بارعا فى اختيار وقتها فهو لم يشر اليها ولم يقدم لها ولم يتصور العالم أن يعلنها ٠٠ فكل أحاديثه وخطبه لم تجعل أحدا يفكر أن يقوم بهذه المبادرة من جانبه مطلقا ٠

وقد اختار أن يذيعها فى اللحظة التى قرر فيها مجلس الأمن جواز استعمال القوة العسكرية اذا لم تجد كل الوسائل الأخرى فى تراجع صدام حسين عن تعنته واصراره على احتلال الكويت ٠

والدول الديمقراطية ينظر رؤساؤها الى المجالس البرلمانية فيها والى رأى الأغلبية فى شعوبهم ٠

ولا شك ان دخول الحرب أمر بالغ الخطورة وليس من الميسور أن يوافق عليه الكونجرس أو يرضى عنه الشعب الأمريكى الا اذا كان الأمر متعلقا بالمصالح العليا للأمة وبكرامة الدولة ومكانتها بين الدول ٠

ولا شك أيضا أن أمريكا تمقت الحرب غاية المقت ٠ وأى شعب لا يمقت الحرب ؟! ٠٠ انها أبنـاء يقتلون وآباء يفقدون ودمار للمال وهول آخذ وتخريب وبيل لنفوس الشعب واقتصاده ، وأثرها لا ينتهى بانتهائها بل أن آثارها الوخيمة تبقى أجيالا متلاحقة من آباء وأمهـات يفقدون أبناءهم ومن زوجات يواجهن الترمل ومن أبناء صغار يشبون الى الحياة يتامى وقد حرمتهم الحرب السند والحصن والأمان والحنان من آبائهم وهم بعد براعم تتفتح الى الحياة فيواجهون الموت فى فقدان آبائهم وعائلهم ومعينهم على الحياة ٠

واذا كانت الحرب وبالا للدول جميعا فهى أشد عصفا بالدول التى خاضتها وعرفت العواقب المريرة التى تترتب عليها · وأمريكا خاضت حروبا كثيرة · فاسم الحرب بغيض عند شعبها بغضا مقيتا ضاريا ، فهم عرفوا قســـاوة الحرب سنوات كثيرة من حياتهم : عرفوها فى حرب التحرير وعرفوها فى الحرب الأهلية وعرفوها فى الحرب العالمية وعرفوها فى حرب فيتنام ، وقاسوا من أهوالها ما يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أن يقدموا عليها · والرئيس بوش يعلم هذا حق العلم · والرئيس بوش لا يستطيع أن يخوض الحرب برأى مفرد ، فهو رئيس دولة ديموقراطية اعلان الحرب فيها من حق ممثلى الشعب وليس من حق رئيس الدولة حتى ولو كان النظام الجمهورى فى أمريكا نظاما رئاسيا وليس نظاما برلمانيا ·

فرئيس الدولة فى أمريكا مطلق اليد والوزراء هناك لا يســمون وزراء ، وانما سكرتارية لرئيس الجمهورية ويطلقون على الوزير سكرتير الدولة · وتوشك الدولة فى أمريكا أن تكون الرئيس وحده · الا عند الحرب فلابد أن يوافق الكونجرس ·

الكونجرس يعلم حق العلم مقدار الخطر الداهم الذى يواجههم من التصرف الأخرق الذى أقدم عليه صدام حسين · بل هم يقدرون بما يشبه الثقة التى لا تقبل النقاش ان فى استيلاء صــدام حسين على الكويت خطرا داهما على العالم أجمع ، يدركون انه اذا نجح فى التقامه للكويت واستولى عليها فهو من بعد لن يسكت ولن تهدأ أطماعه أو يستولى على البترول فى الخليج أجمع ·

وهم يقارنون بين أن يتركوا هذا العابث اللاهى يستولى على مقدرات العالم أو يدخلوا معه فى حرب هم يبغضونها أشد البغض ·

وهكذا ترى بعضها منهم يرى أن يؤجل الحرب حتى يفعل الحصار الاقتصادى فعله وتسمع آخرين يقولون ان هذا قد يستغرق عاما أو أكثر من عام · ويرى بعض العسكريين أن يؤجلوا الحرب عسى أن يجدى السلام ، ويرى آخرون منهم أن يعجلوا بالحرب حتى لا يصبح الاستيلاء على الكويت أمرا واقعا يتمتع به صدام حسين ·

ويرى بعض من ساسة العالم وكثير من رجال الكونجرس الا تلجأ أمريكا والدول المشاركة لها الى الحرب الا بعد أن يستنفدوا جميع فرص المفاوضة والسلام · وتقديرا من بوش لرأى هؤلاء وحتى يقدم الدليل القاطع للكونجرس وللشعب الأمريكى انه لم يدخل الحرب الا بعد أن بذل أقصى الجهد فى الحديث والكلام وفى اعمال وسائل السلام ·

فكانت هذه المبادرة التى تتم فصولها فى هذه الايام . ولكن هذه المبادرة فى تقديرى ليست مفاوضة بين أمريكا وصدام حسين .. فالمفاوضة تؤدى فى غالب أمرها الى تنازل من الجانبين عن بعض ما يتمسك به كل جانب منهما .

والذى لا شك فيه أن بوش لن يتنازل عن خروج صدام من الكويت ، كما لن يتنازل عن عودة الحكم الشرعى الى الكويت .

وصدام طاغية لا يهمه ان يفنى شعبه كله بل وشعوب المنطقة جميعا . فمن المستبعد أن يتنازل عن استيلائه على الكويت التى جعل منها حيا من أحياء العراق .

ان هذا اللقاء بين بوش والوزير العراقى انما هو فى اعتقادى ابلاغ رسمى عما انتهى اليه الرأى عند مجلس الأمن والدول التى تشارك أمريكا فى موقفها .. وان هذا اللقاء بين وزير خارجية أمريكا وصدام ليس الا انذارا نهائيا بما يترتب على اصرار صدام وتعنته .

ان هذه المبادرة ليست موجهة الى صدام وانما هى موجهة لاعضاء الكونجرس وللشعب الأمريكى كافة حتى يعلموا ان رئيسهم لم يعلن الحرب الا بعد أن استنفد فرص السلام جميعا . وهيهات أن تكون شيئا آخر فحتى لو اكتفى صدام بالجزيرتين التى يدعى أن للعراق حقا فيهما ، وحتى لو اكتفى بان يكون للعراق طريق الى الخليج ، فانه لا يجوز أن تسمح دول العالم أن ينال هذه المطالب الضئيلة مكافأة له على احتلاله للكويت وضمها الى العراق .

ان اليوم الذى يستطيع فيه المعتدى ان ينال مكافأة على عدوانه هو اليوم الذى يقول فيه البشر وتقول الانسانية سلام على العالمين .. فانها القيامة ..

الأهرام ١٩٩٠/١٢/١٠

« وســـــاوس »

الله لنا نحن الكتاب فى هذه الأيام · فالكاتب اليوم لا يستطيع ان يعرف ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة التى تفصل بين كلمة وأخرى مما يكتب ، وأنا واحد من أولئك الناس الذين لا يهدأ لهم خاطر وهم يعلمون أن هناك مسئولية ملقاة على عواتقهم · ولذلك أحرص على كتابة مقالتى قبل موعد نشرها ببضعة أيام وهأنذا امسك بقلمى وأمثل أمام أوراقى وأتهيأ للكتابة وأفكار كثيرة تتجاذبنى ثم ما تلبث أن تنماع فى ذهنى لأننى لا أدرى ماذا يمكن أن يحدث فى اللحظة القادمة فى السياسة العالمية أو السياسة المصرية ·

وأهم موضوع يشغل السياسة العالمية والسياسة المصرية فى أيامنا هذه هو موضوع الخليج ·

وموضوع الخليج كله اليوم بيد رجل استعصى فهمه على كبار المحللين السياسيين أو النفسيين أو الاجتماعيين · فهو انسان أعجوبة بين بنى الانسان يملؤه الغرور ويملؤه الخضوع · يتظاهر بالقوة كل القوة ثم يتصرف تصرفات ذليلة غاية الذلة · جهير الصوت فى بعض الأحيان ويغمغم فى أحيان أخرى بتصريحات لا يفهمها أحد ·

انظر كيف فعل مع ايران · من كان يتصور أن ذلك العاتية المتجبر الذى حارب ثمانى سنوات قتل فيها من قتل من أبناء شعبه وأصاب فيها من أصاب من بنى وطنه · وقتل أيضا مســـلمين فى ايران لا عدد لهم ولا حصر حتى ان ايران استعانت بالصبية الصـــغار فى هذه الحرب الضروس الطاحنة ·

وتنتهى الحرب بانتصار ضئيل للعراق حفظ للرئيس الطاغية بعضا من ماء وجهه ان كان فى وجهه ماء ·

من كان يتصور انه بكلمة مفردة يتنازل عن هذا الانتصار فيجعل الدماء التى سالت كلها هباء منثورا لا قيمة لها ·

غير أبه بالأسرات العراقية والايرانية جميعا التى فقدت أبناءها وآباءها وغير ملق بالا الى الأموال الطائلة التى أبهظ بها العراق وايران ودول البترول جميعا ٠

كان جبارا طاغية حين حارب وكان ذليلا ضئيلا عندما تنازل عما حارب من أجله ٠

ولماذا تنازل ؟ ٠٠ ما أهون الثمن الذى تفياه وما أقل العائد الذى سعى اليه ٠٠ أكان كل ما يرجوه أن يضمن ايران الى جانبه فى اغتياله للكويت ؟!

وماذا لو كانت ايران قد استجابت لمسعاه الخائب والعالم كله يقف ضده ومع ذلك فقد خذلته ايران وأبت أن تبيع رأيها وكرامتها وانسانيتها مقابل ما تنازل عنه لها ٠

وانظر اليه مرة أخرى فى موقفه من الرهائن الذين احتجزهم من دول العالم فكان بما صنع وصمة فى جبين التاريخ والانسانية ٠

ثم هو ازداد فجورا فجعل من الافراج عن بعض هؤلاء الرهائن هدية لكبار رجال السياسة الذين قصدوا اليه ليفرج عمن يحتجز فيطلق لكل زائر بضع مئات لأجل خاطره وكأنما الانسان من الرهائن أصبح أشياء جامدة لا حس لها ولا شعور ولا حياة وكأنهم لا يشاركونه فى الانسانية ٠

أقصى ما يبلغ البشر من جمود الحس وفقدان المشاعر الآدمية ٠ ثم هو فى كلمة مفردة يطلق الرهائن جميعا ويقف علماء السياسة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع حيارى ذاهلين ٠٠ لماذا صنع ما صنع ؟

ولماذا سمح اليوم بما رفضه بالأمس ؟

ولماذا طابت نفسه ان يلقى هؤلاء الرهائن وأهليهم وذويهم الى العذاب الوبيل طوال فترة احتجازهم ثم لماذا وفى لحظة أفرج عنهم جميعا بلا أى مقدمات ؟!

ان كان يقصد أن يرضى العالم بما صنع فهيهات فقد كان حبس الرهائن سبة ٠ وازالة السبة لا تستحق أن يرضى عنها الناس فالأصل الذى تعارف عليه البشر الا يصنع حاكم صنيعه فى الحبس والاحتجاز ٠

.عودة الأمور الى مجراها الطبيعى الانسانى الذى تواضع الناس عليه لا تستحق شكرا ولا رضاء ٠

ثم انظر اليه ثالثة وهو يسعى لاهثا بكل جهده أن يجرى حوارا مع أمريكـا ٠

وتقبل أمريكا بعد قرار مجلس الأمن بإباحة الحرب اذا امتنع طريق السلام أن تجرى حديثا مع العراق ٠٠ ونسمع رنة فرح صادرة من العـــراق ٠

ولكن الطاغية لغبائه يظن ان ليس فى العالم من هو فى مثل ذكائه فيحاول بلعبة مواعيد الحديث أن يجعل قرار مجلس الأمن بتحديد ١٥ يناير آخر فرصة للمسعى السلمى كأنه لم يكن ٠

وتفهم أمريكا اللعبة طبعا ولم يكن الأمر محتاجا لذكاء للوصول الى هذه النتيجة ٠

ويتعثر اللقاء مع أمريكا والعراق من أجل تصرفات صبيانية تثير الضحك والحزن فى وقت معا أن يكون حاكم عربى بهذه التفاهة وهذا الصـــغار ٠

ويزداد الأمر استدعاء للسخرية حين نرى العراق تحاول ان تصل أسبابها بالعالم الأوروبى بعيدا عن أمريكا فى مظنة خائبة ان تشق ما بين أمريكا وأوروبا من وحدة فى رفض الاحتلال الغادر للكويت ٠

وها هى ذى الحرب تطل علينا وأنا أكتب هذه الكلمات حتى تكاد تصبح أمرا لا محيد عنه ولا وسيلة غيره ٠

ولكن من يدرى حين ينشر هذا الكلام ويشرف بقراءتك له ماذا يمكن أن يحدث ٠٠

فمع انسان مثل صدام حسين كل شىء قابل للحدوث ٠٠ ما أشبهه بابن عمار الذى قال عنه الشاعر القديم :

لا تمدحن ابن عمـــار اذا نديت   كفـاه يوما ولا تذممــه ان حرما
فانهـــا خطرات من وساوسه   يعطى ويمنع لا بخـــلا ولا كرما

ما أصدق الشاعر :
وسبحان الله فله فى خلقه شئون ٠٠
ولا حول ولا قوة الا بالله ٠

الأهرام ١٩٩٠/١٢/٢٤

سنة ١٩٩١

دمــــاء لا ورقــــة

أحاول بكل الجهد ان أكتب في موضوع آخر غير أزمة الخليج ولكن هيهات فكيف أستطيع ان افكر في موضوع آخر والعالم أجمع على حـافة بركان فجره ديكتاتور أحمق فرض على الدنيا جنونه واجتاح دولة بأكملها وأطلق نكتـة سخيفة هزيلة صدقها ان الكويت ما هي الا محـافظة من محافظات العراق وغير لوحات السيارات المعدنية في الكويت وحاول ان يغير جنسية أهل الكويت بتغيير بطاقاتهم واهما أن الجنسية بطاقة وان الانتساب الى دولة انما هو ورقة يعبث بها كيف يشاء !!

ناسيا ان الوطن حياة ، ودماء ، وأنفاسنا التى تتردد فى جوانحنا ، وانتماء وحب ، وطفولة ، وصـــبا ، وشباب ، وكهولة ، وشـيخوخة ، وذكريات ، وزواج وأسرة ٠

الوطن هو التراب الذى نبتنا فيه من غرس الآباء والأجداد والأحداث والأيام ٠ وفيه الهواء الذى لانطيق ان نعيش فى غيره والأرض لو تركناها لاختل التوازن منا واضطرب بنا المسير وضاع فى خطونا الطريق والذى بغيره نصبح هباءة لاقوام لهـــا ولا وجـود ولاقيمة ولا ماضى ولا حاضر ولا مستقبل ٠

ان أهل الكويت الذى حـــاول هذا المعتوه التائه العقــل ان يغير جنسيتهم سيظلون كويتيين بالقلب والجســـم بالدماء والأرواح وبالهوى والانتمـــاء ٠

ولكنه يقول ان الكويت جزء من العراق ٠ تنازل ان استطعت عن سلاحك واعط هذا الجزء الذى تزعم انه من العراق سلاحا ثم انظر من بعد لمن سيكون هواه وانظر كيف سيحارب العراق حرب مستميت يدافع عن وطنه الذى هو شرفه والذى فيه نما وعليه شب والذى عليه أنجب من أنجب من بنين والذى يطيب له ان يبذل حياته فداء له ٠

العالم كله يدرك معنى الوطن الا صدام حسين الذى يريد ان يغير معالم التاريخ والجغرافيا والذى بلغ به الجنون انه يريد ان يغير مسرى الدماء فى الجسوم ودقات الأفئدة فى الصدور · غير واع لما يدور حوله منتكسا فى جحره كالجرذان لايسمع الا ما يريد ان يسمع · صم أذنيه عن العالم أجمع مقتنعا ـ ولا أدرى كيف اقتنع ـ ان الكويت أصبح جزءا من العــــراق !

وكم أسفت وحزنت وأنا أقرأ أن واحدا من رؤساء الأحزاب المصرية اشترك فى هذه الجريمة العالمية التى يرتكبها صدام حسين · وكم أسفت ان مصريا يزعم ان له حزبا وانه زعيم يذهب الى بلد آخر ويهاجم رئيس مصر الذى وقف مع الحق فى عظمة يتوجها الآباء ويحيط بها الشموخ ·

وأذكر زعيم معارضة انجليزيا ذا حزب حقيقى ووجود سياسى خطير خرج من انجلترا الى دولة أخرى وتحلق حوله الصحفيون يحـــاولون ان ينالوا منه تصريحا ضد حكومته فاذا هو يقول انما ننتقد أنفســـنا فى بلادنا ، فاذا خرجنا منها الى دولة أخرى فجميعنا ينطق بلســـان واحـد لا اختلاف بين مؤيد للحكومة أو معارض لها !!

ولكن هذا المصرى ـ وما أظنه مصرى الهوى أو الفؤاد ـ خرج لينتقد رئيسه ويؤيد صدام حسين فى بلد آخر غير مصر لا يرده خجل ولا يقف به حياء ولا تمسك لسانه كرامة مصر وسمعتها التى حاول أن يشينها ويحثو عليها التراب ·

كبرت كلمة تخرج من فيه وشاه قولا وفعلا وحسبنا فيه مقت وطنه واحتقاره والصغار الذى يحيط به من كل جانب ·

وبعد ·· فماذا يخفى الغد ؟ ·· أحربا ـ وهذا هو الأمـر الراجح رجحانا يقرب من التأكيد ـ أم سلاما ـ وهذا هو الأمل الذى مازال يداعب بعض النفوس ·

الأبله المجنون فى العراق يقول لن أنسحب من الكويت أبدا فهى جزء من العراق ·

والرئيس الأمريكى يأبى حتى ما يقوله قواد جيشه ان الحرب يجب ان تؤجل الى فبراير · ويصمم على ان تكون الحرب فى يناير ، ومع اقترابه

يناير من فبراير الا ان الرئيس الأمريكي مصمم ان ينفذ قرارات مجلس الأمن ودول العالم أجمع ·

ورئيس وزراء انجلترا يهدد طاغية العراق بانه سيفعل به الأفاعيل ان حاول ان يستعمل المواد الكيميائية في الحرب ·

ورئيس تركيا لايكتفي بهذه الحشـود التي جيشتها دول عظمى في العالم ويطالب بأن يشترك في الحرب وأن تكون أرض تركيـا منطلقـا للطائرات الضاربة في حرب العراق ·

وكم هو ضئيل بصيص السلام وكم هي مشتعلة نيران تعد للحرب فالرؤساء في الدول المشتركة في حرب الخليج كلهم يدركون معنى كرامة أوطانهم ولا يتصور أحد ان يخذل واحد منهم وطنه ويطيح بمصالحه لتصبح جميعها في يد رجل واحد مذهوب العقل مزلزل الوجدان ·

وما جيش هؤلاء الرؤساء جيوشهم ضد صدام الا حفاظا على مصالح أوطانهم وكرامة هذه الأوطان وترسيخا لاستقرار الحياة في العالم ·

فأي عالم سيصبح ذلك اذا حكمه المجانين والمخابيـل والساعون الى الدمار والمخربون في الأرض والمحطمون للحيـاة والناهبون للأوطـان والساحقون للقيم والذين لايخشون ربا قاهرا فوق عباده ؟!!

لا كان ذلك اليوم ولن يكون فالله أرحم بعباده ان يسلط عليهم من تجردوا من انسانية الانسان ومن يدمرون عزة الآدمي وكرامته فالله جعل الانسان سيد المخلوقات أجمعين فمن تجرد عن انسانيته لابد ان تدوسه الأقدام ويخزيه الله في الدنيا والآخرة وهو سبحانه أرحم الراحمين ·

الأهرام ١٩٩١/١/١٤

ومن الحرب سلام

تعالى الله سبحانه جل شـــانه وتباركت ذاته فهو لاينزل بعباده نازلة أو كارثة الا احاطها بلطفه وشمل عباده مع الشدة بالرحمة فقد كتب على نفسه الرحمة ٠

وها نحن أولاء نشهد حربا ضارية قاسية تشارك فيها ثمان وعشرون دولة ضد دولة واحدة أو ان شئت الدقة في التعبير فهي ثمـــان وعشرون دولة ضد شخص واحد ٠ هذا الشخص يمثـــل النازلة او الكارثة التي سلطها الله على عباده ليمتحنهم بها ٠ وقد هبت هذه الدول جميعا لتحافظ على التوازن العالمي فلا تلتهم دولة ذات عسكر وحشود وجند وعتاد وشرة واضراس شرسة وأنياب طاحنة دولة أخـــرى تعيش حياتها بلا جيوش ولا أطماع عسكرية وانما هي سلام وهدوء واطمئنان متخذة مـــن حبهـــا للسلام درعها التي تقيها شرور الآخرين وضراوتهم وعدوانهم ٠

قامت الدول الثماني والعشرون تحطم قانون الغاب المتخلف ان يكون هو قانون البشرية اليوم ٠

قامت هذه الدول بجميع سلاحها وبجماع قوتها لتحافظ على السلام الذي دعا الله عباده ان يدخلوا فيه كافة ومثلما قال الله تعـالى في كتابه العزيز « ولكم في القصاص حيـــاة » كذلك يحدث اليـوم ويكون لنا من الحرب ســـلام ٠

فمع وجود عاتية طاغ سفاح قاتل للشعوب مثل صدام حسين لاتصلح الحيـــاة الا بان تذود الدول الكبرى عتوه وطغيانه وسفحه للدماء وقتله للشعوب وترد عن العالم ما يريد ان يفشيه فيه من دمار شامل وخراب محطم ونيران لاينطفيء لها أوار ولايخمد لها لهيب ٠

ومنذ اللحظة الأولى من التهام العراق للكويت توقعتها حـربا عليه ضروسا طاحنة ٠ وتوقعت الا يستمع العاتية الى أي نصح والا يلقى مسمعا لأية محاولات تبذل معه ان يتراجع عن التقامه للكويت ٠ فهو حين أقدم على

فعلته المروعة كان يتوقع ـ لاشك ـ ان تسعى اليه الدول من جميع أقطار الأرض ليرتد عن غزوه ويعدل عن غيه ٠

كما كان يتوقع أيضا ان يقف الى جانبه الضعاف المهازيل من الحكام ولاشك ان هذا التوقع أو ذاك لم يكن ذا شأن عنده ، وربما استبعد ان تقوم حرب فمثله لايستطيع ان يقدر هول ما فعل وفداحة ما ارتكب ٠

وسعت الدول سعيها إليـــه ووجه اليـــه الزعيم المصرى وحده ستة وعشرين نداء غير محاولاته التى بذل فيها من الجهد البدنى والذهنى ما يفوق طاقة البشر ٠

واستنفدت الدول العظمى كل وسائل الاقناع لتقى العالم شر حرب يحتم عليها واجبها العالمى ان تخوضها ٠

ولكن صدام أبى واستكبر وتشبث وأطلق مقولته الرعناء السخيفة المضحكة ان الكويت ما هى الا محافظة فى العراق وجعل لها التاسع عشر رقما أيضا ٠ وأعجبه ما تفتق عنه ذهنه المريض فتمسك به لايبغى عنه حولا ولا منصرفا ٠

وظل على حاله بعد ان جيشت ثمان وعشرون دولة جيوشها وأرسلت بها لتحيط بالعراق من جميع نواحيه ٠

وربما توهم ان رؤساء هذه الدول شأنهم كشأنه يتصرفون فى أرواح شعوبهم وأموالها بلا حسيب ولا رقيب ٠

وربما دار بنفسه المريضة ان ارسال الجنود شيء والدخول فى حرب شيء آخر ٠ ولكن ها هو ذا اليوم قد عرف ان الأمر جد لا هزل فيه وها هى ذى آلاف الطائرات تحطم فى كل يوم ٠ المواقع والحصون فى العراق ٠

والسفاح على حاله من جمود العقل وتحجر الفؤاد وانعدام الانسانية لايشفق على شعبه الذى جعل منه وقودا لمعركة مؤكدة الخسارة بالنسبة له وجعل الأحياء يعيشون بلا عيش ولا حياة ينقصهم الزاد والماء والنـــور ويحيط بهم ـ وهذا أشنع ما فى الأمر ـ الرعب والرهب والخوف القاتل على أنفسهم وعلى أولادهم وآبائهم وأمهاتهم وأخواتهم وذويهم ٠

ويطول أمد الحرب ويتساءل الناس كيف لهذا الأمد ان يطول • وكيف لدولة واحدة ان تصمد أسابيع في مواجهة العالم في ذروة ما وصل اليه الانسان والتقدم البشري في الأسلحة الى درجة لم تعرفها البشرية في تاريخها ولم يشهد العالم لها مثيلا في كل الحروب التى خاضها العالم •

وهنا يأتي لطف الله الذي شرفت بأن بدأت به هذا الحديث اليك •

يقول قائد القوات الأمريكيـة ما معنـاه ان هذه الحرب لم تكن لتستغرق يومين لو أن القوات المتحالفة ضربت المدنيين في العراق • وهكذا تقف رحمة الله جـل وعلا حائلا بين هذا الهول الأخذ والأسلحة الفتاكة وبين نفوس بشر ليس لهم فيما فرضـه عليهم رئيسهم ذنب أو جريرة • ولالوم عليهم في هذه الكارثة ولاتثريب • وانما هم وقودها وحجارتها • أبناؤهم وآباؤهم في الجبهة ولكن الله لطف بهم وجعل من أعدائهم بشرا من البشر يقدسون الحياة ويحاولون بكل جهدهم ان يحفظوها على من لايحاربهم ولايقف في الميدان مقاتلا •

فلتطل الحرب ما شاء الله لها أن تطول مادامت أيامهـا تبقي على أرواح هؤلاء الأبرياء من شعب العراق •

ومن عجب ان يشفق على الشعب العدو ويرمي به من كان المفروض فيه ان يكون راعيه وحاميه الى الهلك والدمار •

اللهم سبحانك •• لانسالك رد القضاء وانما نسالك اللطف فيه انك وحدك الرحيم بعبادك اللطيف بخلقك ••

الأهرام ١٩٩١/٢/٤

المنزوف لطمـــا

كانت القبيلة تعلم ان قبيلة أخرى ستهاجمها وكانت تعلم ان هذه القبيلة التى تعد العدة لحربها فيها رجال بواسل وفرسان أشداء فى حين لاتجد القبيلة التى تنتظر الهجوم بينها رجالا ذوى بأس فكانت فى رعب شديد ودمر حياتها الخوف والذعر ٠

وفى يوم استقبلت القبيلة المذعورة ضيفا من الذين يعرفون أخبار القبائل ويتولون نشر الأنباء بينها ٠ وعرف الضيف ما تعانيه القبيلة من هلع فقـال لهم أنا كفيل أن أحقق لكم النصر فى هذه الحرب ٠٠ كيف ؟! قال لهم أحضر لكم فلانا بن فلان الفارس المجرب العظيم الذى ما شهد حربا الا انتصر فيها ٠

وما هى الا بضعة أيام حتى كان الفارس الأشهر بين رجال القبيلة المذعورة فاحاطوه بالاجلال والاكبار والاكرام ٠ وأصبح ولا عمل لهم الا ان يستجيبوا لرغباته فما هى الا اشارة حتى يجد ما يريده حاضرا ٠

حتى جاء اليوم المشهود وأغارت القبيلة التى كانوا ينتظرونها وصاح صائحهم الحرب فاذا البطل المغوار يصرخ « الحرب » ثم لايمسك سيفا ولا رمحا وانما يكتفى بأن يظل يصيح الحرب ٠٠ الحرب ويلطم خديه حتى مات من الخوف دون ان يشارك فى الحرب جميعا ، فسمى المنزوف لطما ٠

أذكر هذه القصة التى طالعتها منذ سنوات بغاد فيما اقرأ من كتب التراث وأنا أرى الطائرات العراقية التى بذل فى شرائها العراق الأموال الضخام واطمأن بوجودها فى حوزته أنه قادر على الحرب ٠

فاذا طائرات العراق تفعل كما فعل البطل المكذوب فى القبيلة التى استأجرته صاحت الطائرات العراقية الحرب الحرب ثم فرت الى ايران تحتمى بها من الحرب التى ما اشتريت الا لتشارك فيها ٠ والتى منهـــا لم تهرب الى ايران اختبأت فى سراديب تحت الأرض والذى نعرفه ان السماء هى مجال الطائرات لا أعماق التراب ٠

ان أى طاغية لم يصنع ببلاده ولا بشعبه ما صنعه هذا الأخرق وكيف يطعم نوما أو تهدأ له نفس وشعبه برجاله ونسائه وأطفاله وشيوخه يلقى هذا الهلاك الوبيل ان لم يتمثل فى القنابل والقذائف تمثل فى الجوع والحياة القاسية التى يحيونها وان لم يتمثل فى هذين طالعهم البلاء من الخوف والهلع على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى آبائهم وعلى ذويهم ٠

ويقول بعض الناس ان الهلاك الذى يصبه الحلفـــاء على الجيوش العراقية تحطيم للانسانية لايقل اجراما عن تحطيم صـــدام للكويت ٠ أى منطق هذا ٠ أيمكن ان يسكت عنه العالم ٠ وما مصير البشرية اذا لم يواجه العالم هذا السرطان غير الانسانى ٠ أينتظر العالم حتى يفعل فعله هذا مع السعودية ودول الخليج كلها ٠

وليس أدل على رغبة الشعب العراقى فى السلام وعزوفه عن احتلال الكويت من هذه المظاهرات ٠ المنفجرة بالفرح والمؤيدة باطلاق الرصاص فى الهواء تعبيرا عن السعادة والحبور التى قام بها شعب العراق حين سمع كلمة الانسحاب لأول مرة تخرج فى بيان رسمى عن رئيسه العاتية ٠

وقد جاءت المبادرة الأخيرة التى فاجأ بها صدام العالم أكبر دليل على انه يظن بنفسه الدهاء الذى لا مثيل له فهو يحسب انه بها يستطيع ان يغافل الناس أجمعين ٠

وهذه المبادرة الهازلة فيها من جديد ان انه كف عن اعتبار الكويت المحافظة التاسعة عشرة وهو زعم يدعو الى السخرية والهزء والعدول عنه لايستحق ان نعتبره شيئا جديرا بالتفاؤل أما فيما عدا ذلك فصدام يحاول ان يجعل من نفسه زعيم العرب أجمعين الذى استطاع ان يحل مشكلة فلسطين التى استعصى حلها على نيف وأربعين عاما ٠

ويحاول ان يؤكد هذا الزعامة بالحديث عن انســحاب ســوريا من لبنـــان ٠

ولست أدرى وما أحسب أحدا يدرى أى صلة تربط بين وجود جيش سورى فى لبنان وبين اغتياله هو الكويت ٠

وهكذا لم يكن غريبا ان يقابل العالم أجمع مبادرة صـــدام حسين بالرفض والأعراض ٠

فلينسحب من الكويت بلا شروط ان كان يريد حقا أن يستجيب لأى قرار لمجلس الأمن وليكف عن محـــاولة المكر بالنـــاس فما يستطيع أى انسان أن يمكر بالعالمين ٠

والله من فوقنا هو خير الماكرين ٠

١٨/٢/١٩٩١ الأهرام

كيـان بلا شـبيه

اذن فأنت هكذا فقط • واذن فكل ما كنت تقوله وتدعيه عن النشامى والأشاوس وما لا يدريه العالم من قوة ومالم يعهده التاريخ من بأس يتضح جميعا عن حرب يومين •• أخزاك الله • لقد استوليت على الكويت فى بضع ساعات لأنك أخذتها فى غفلة من العـالم ثم رحت تخطب الخطب الرنانة الجهيرة تهز بها أذان العالم وتشغل الاذاعات بأم الحروب وبالنيران القاتلة والأسلحة الرائعة والويل والثبور والشر المستطير وما لايتصوره الأعداء ولايتوقعه العالم •

ويقصد اليك الأفراد من أكابر الأقوام والوفود من أقطار الأرض ان تعدل فتأبى أو تلين فلا تزداد الا صلابة فى الرأى وتشبثا بما انتهى عليه أمرك من امتلاك الكويت • وتكذب فتدعى ان الكويت قد استنجدت بك لتخلصها من حكامها حتى اذا لم تجد فى الكويت خائنا واحدا تنشىء لها حكومة من أصاغر أهلك ثم تحلهـا وتعلن ان الكويت هى المحافظــة التاسعة عشرة وانها عادت الى مكانهـا الجغرافى وانهـا ما هى الا جزء من العـراق •

وتتوالى اليك النصائح والجموع والدول فتأبى الا الثبات على ضلالك والتمسـك بظلمك •• وتزيد فتأمر جنـودك ان تخـرب محافظتك التاسعة عشرة وتفجر بنسائها وتقضى على رجالها وتعلق قتلاك من النساء والرجال عرايا فى الطرقات •

وتأمر ان تلغى الجنسية الكويتية وتفرض على كل كويتى ان يستخرج بطاقة عراقية • وتغلو فى ضلالك فتريق البترول فى مياه الخليج ليلوث البيئة فى العالم أجمع • ثم تحرق آبار البترول فما تستفيد أنت منها شيئا ولاتتركها لأبناء الكويت وهم ما حاربوك وأنت تغتصـب وطنهـم ولا ردوك وأنت تلتقم أمتهم وما قدموا اليك الا الخير والمال الذى بددته فى حرب ايران وحربهم •

فأى ذنب جناه شعب الكويت لتفعل به هذه الأفاعيل • بل أى ذنب جناه عليك شعبك فى العراق لتصنع بهم هذا الصنيع •

من أى مادة أنت ·· لقد حـــارت معك العقول وتاهت في حالتك الافهـــام فلا من انســـان أنت ولا أنت من الحيوان ولا من المجانين أنت ولا أنت من العقلاء ·

من أى مادة ركبت ذاتك · وفى أى عصر تعيش · وماذا يصنع بك عقلك حتى تصب على شعبك والشعوب العربية بل وشعوب العالم أجمع هذا الهول الذى صببت · ان بعض الناس لم يتصور انك تفعل ما تفعل الا وأنت واثق من جيشك وقوته ومن بطشه وبأسه وثوقا لايقبل الشك · وتوقع هؤلاء حتى والطائرات تدك أركان جيشك انك تخفى فى طوايا الغيب مفاجأت لاتخطـر على ذهن البشر · وراح هذا البعض ينتظـــر فاذا أنت تفاجئهم بهوان منك بعد هوان واذا أسلحتك الخفيـــة خنـوع وضعف واستسلام ويصدق عليك قول العزيز الحكيم : « حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون » (المؤمنون ٧٧) والمبلسون هم المنكسرون الحزانى ·· ويحك أتبلس فى يومين وتظل تخطب أكثر من مائتى يـوم ·

وتبلغ بك الصفاقة ان تعلن وجنودك تستسلم بالآلاف ان جنـــود أعدائك يتساقطون كالذباب ·· وتزداد قحة وجرأة على الحق فتعلن وأنت تلقى خطاب انسحابك ان جيوشك النشامى قد انتصرت ·· من أى عنصر ركب كيانك ؟! ·

واليوم ماذا يصنع العالم أمام هذا التدمير الشامل الذى أشعته فى بلادك وفيما حولك من بلدان وكم من السنوات تحتاج البشرية لتعيد الحياة فيما خربت وأحرقت وبددت وما مصير تلك الأسر التى اغتلت عائلهـــا وما الغد للنساء اللواتى هتكت أعراضهن · وأى شىء فى العـــالم يعوض الناس الذين فقدوا رجالهم ونسباءهم وشرفهم ·

وما أنت حتى تصيب البشرية بكل هذا الهول الذى أصبت ·

ان عدل الله وحده هو الكفيل بك وعنـده وحـده تلقى ما يقـدره سبحانه لمن كان مثلك ·· وهيهات ان يكون فى العالم أو التاريخ لك مثيل ·

الأهرام ١٩٩١/٣/٤

ومن الموت حياة

القائد العظيم زعيم النشامى والأشاوس يجنى اليوم ثمار انتصاره الرائع الذى لا يعرفه أحد الا اذاعته وجريدة هزيلة تصدر بمصر وهل هناك دليل على النصر أوضح من الحرب الأهلية التى تدور رحاها اليوم فى بغداد أو هل هناك برهان أسطع مما ذكرته بعض الصحف من ان صدام تعرض لمحاولة اغتيال وانه أصيب فى يده اليمنى .

ونذكر الآية الكريمة فى سورة سبأ « قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

ان الكارثة التى أنزلها صدام حسين بالعالم العربى أعظم من ان يحيط بها وصف والله وحده يعلم متى تنقشع عنا آثارها .

والتخريب الذى حدث بالكويت تتبلور آثاره أعظم ما تتبلور فى التخريب الانسانى والنفسى مما شهده أهل الكويت وما حل بهم من القهر والتعذيب ومن فقدان الأبناء والآباء والأخوة والأعزة ولانملك الا ان نسأل الرحمن تقدست أسماؤه ان يقرن الكارثة باللطف والمصيبة بالرحمة والوبال بالصبر انه سبحانه وحده هو القادر على شفاء القلوب مما عانت وتدارك النفوس التى تمزقت ولكن الذى لاشك فيه ان المصيبة التى حلت ومازالت تحل الى اليوم بالعراق أضخم وأعمق وأكثر شناعة مما أصابته .

فهاهى ذى العراق تتمزق شر ممزق وهاهى ذى تصبح شيعا وشراذم وفرقا وها هى ذى يعمرها خرابها ويقاتل فيها الأخ أخاه .

والحقيقة ان هذه الحرب الأهلية غير متكافئة فالثوار لايملكون من السلاح قدر ما يملك الطاغية الذين يريدون ان يزيلوه عن مقعد الرئاسة وهو بجانب ما يملك من قوات الجيش والحرس الجمهورى يملك ـ والشهادة لله ـ قدرا من الاجرام لم يشهد العالم له مثيلا فى انسان قبله مطلقا فقتل الانسان عنده أهون الأمور وأبسطها وأقرب الأفكار اليه . وليس يعنيه فى كثير أو قليل بريئا كان من يقتله أم كان مظلوما . فانه يقتل أولا ثم قد يفكر بعد ذلك أكان القتل على حق أم كان على باطل وهذه

الشراسة التى يعف عنها الحيوان ان تجسدت فى حاكم يدافع عن سلطانه لاتبقى ولاتذر والذى لا أتوقعه أبدا ان يستجيب صدام لهذه الثورة العارمة التى اندلعت فى مدن العراق وقراها وانما هو سيحارب بكل من جند ومن طغيان ومن أجرام ٠

وأخشى ما أخشاه ان ينتهى الأمر بتقســـيم العراق فيصبح دويلات صغيرة ولا قوام لها ولا قيمة ولا كيان فتفقد الأمة العربية بذلك دولة ذات تاريخ عريض وذات وجود واضح ٠

وعلى كل حال ومهما تكن الكارثة التى وصلت بالعالم العربى فادحة فان الأمر فى شأنها لايخلو من نتيجة ذات خير عميم ٠

فالذى لاشك فيه ان هذه الكارثة قد ثبتت أركان السلام فى المنطقة كما انه فى بعض الأحيان يكون من الموت حياة فمنذ اليوم لاتستطيع دولة على شيء من قوة السلاح ان تفكر فى الاعتداء على دولة لاتعتمد على السلاح فى ارساء الأمن ٠

لقد وضعت كارثة الكويت الحد الفاصل الحاسم بين تحكم السلاح وتحكم السلام وقد عرفت كل الدول اليوم ان المجتمع الدولى ذو أظافر وأنياب وان هذا العالم لن يتركها تعبث فسادا فى الأرض دون ان ينزل بها العقاب الرادع ٠

ترى هل تبينت الدول التى كانت تؤيد صـــدام أى ضلالة كانوا يتبعون وهل ظهر النور فى الطريق لأولئك الصغار الذين يصدق عليهم قول جميل الشاعر :

لحا الله من لا ينفع الود عنده
ومن حبله ان مد غير متين
ومن هو ذو لونين ليس بدائـــم
على العهـــد خـــوان لكل امين

يرعى الله محمد حسنى مبارك الذى أثبت أنه من أعظم ساسة العالم بعد نظر ، وشرف قصد ، وثبات مبدأ ٠ وياليت هؤلاء الأصاغر استمعوا

الى نصحه الذى لم يقصد منه الا صوالحهم ولكنهم نأوا عن النصح الشريف وارتموا فى أحضان النفع الهين السريع الزائل فكان نصيبهم اليوم انهم حيارى ذاهلون لايدرون أين يولون وجوههم أو أين يخفون هذه الوجوه التى خلت من الشرف وتجردت من الحياء وغابت عنهـــا دماء الانسانية ويصدق عليهم قول الشاعر القديم ٠

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوا فلم يستبينوا الرشد الأضحى الغد اللهم ياذا الجلال هون على عبادك المؤمنين بك ، المسلمين الك ما جره عليهم من لايخافك ولا يخشاك انك العزيز ذو الرحمة ٠

الأهرام ١٩٩١/٣/١٨

وإلا فما الحيـــاة ؟

كم أدهش حين أفكر فى الذين لايؤمنون بالله كيف يستطيعون العيش وكيف يلاقون الحياة وكيف يستقيم بهم الفكر ٠

وكيف يواجهون العبارة القرآنيـــة المباركة ذات الدلالة القاطعة الحاسمة « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » فاذا كانوا لا يعرفون سر الروح فيهم ففيم يجادلون فى الله ٠ وكيف تطمئن بهم الحياة ، وتسكن منهـم النفوس ، والى أى وجهة يتوجهون اذا ضاقت بهم مسالك الدنيا ، وماذا يقولون اذا لم يقولوا « يارب » وان مرضـــوا وأمسك عنهم الشفاء يده وعجزت عن مرضهم منابع الطب ونبغاء الأطباء ٠ ماذا يقولون اذا لم يقولوا « يارب » ٠

وان وقع عليهم الظلم والقهر واستبدت بهم أسباب التحير وأحاط بهم الطغيان ممن لايملكون لهم دفعا ولا قوة بهم لردهم ماذا يفعلون أو ماذا يقولون ان لم يقولوا « يارب » ؟

وان اعتنقتهم الكآبة وضاقت بهم النفوس حتى ما يطيقون أبناءهم أو أزواجهم أو ذويهم ماذا يقولون ان لم يقولوا يارب ؟

وما الحياة عندهم اذا لم يعرفوا البهجة التى يعرفها المؤمنون وهم يلوذون الى ظل من العرش ونفحة من الرحمن وأمان من اللطيف العزيز وما الحياة اذا احتجب عنهم فيها نور الاله تقدست أسماؤه سبحانه وتعالى عما يدعون ٠

كم أرثى لهم وأشفق عليهم يعيشـــون ولا يعيشون ويصلون هجير الحياة بلا قطرة من ندى الرحمة المطلقة وترتعد قلوبهم من البرد والزمهرير بلا شعاع من دفء اللطف الأعظم ٠

أعجب لهم كيف يعيشون ٠ وأى انس يلقونه فى حياتهم ؟

ان كانت لهم زوجات تؤنس وحشتهم فطبيعة الحيـــاة مع الأزواج لايمكن ان تخلو من شد وجذب وأخذ وعطـــاء وضيق وفـرج وكم تصبح الزوجة وهى حبيبة مصدر هم وكدر ٠

وقد تمرض أو يصيبها مكروه فيجزع الزوج ويتخبطه مس الشياطين الى من يفزع ان لم يقل « يارب » ؟

وان كان الرحمن قد رزقهم البنين والبنات وان كان سبحانه قد أتاح لهم فى حياتهم التوفيق والنجاح والفلاح ٠

فان الحيـــاة لاتعطى دون ان تأخذ ولابـد ان يقع هؤلاء الأبنـــاء فيما لا يحبون من زوج لابن لا يسلس لها قياد ولا تطيب لها نفس أو زوج لابنه ذى مرار ٠٠ وشراسة وجبروت ويحمل الأب هم أبنائه فى المحنة التى لايلقون وفى الكارثة التى يواجهون ٠

ان لم يكن مؤمنا ٠٠ فماذا يقول اذا هو لم يقل « يـــارب » فمن غيره الملجأ والملاذ والمرفأ والشاطئ والغوث وان كان البنون والبنات أطفالا فانهم بالغريزة التى أودعها الله فى الانســـان ـ أنس آبائهم وأمهـــاتهم وقرة أعين لهم وهناء وسعادة ٠

ولكنهم أيضا مثار هلع واشفاق وخوف وفرق ماذا يقول غير المؤمنين ان مرض طفل من أطفاله اذا لم يقل يارب ؟

بل ماذا هو قائل اذا فقد واحدا من هؤلاء الأبناء فى طفولته أو فى شبابه أو رجولته اذا لم يقل يارب ؟

وبما يصبر نفسه اذا لم يكن مؤمنا على يقين بالآخرة والثواب والعقاب وكيف يستطيع الحياة بعد ابنه أو ابنته اذا لم يحتسب فيه أو فيها الله واذا لم يستمد السكينة من ملكوت السماء ذاكرا ان الموت حق وانه عند العدالة العليا ليس عقابا ولا هو فنـــاء وانما هو مرحلة كلنـــا بالغوها لا استثناء فيها لأحد حتى وان كان نبيا أو رسولا ٠

أى انس فى الحياة يجده الانسان اذا لم يأنس الى فيء من رحمة الله وأى قبلة يوليهـــا اذا لم تكن له من الرحمن قبلة ٠ وأى حياة يمكن ان يحياها ان لم يكن واثقا بالآخرة وبالجنة والنار ٠

وماذا تصبح الحياة اذا لم تكن هناك حياة أخرى وأى معنى يبقى من هذه الحياة اذن ٠

مهما يحاول أبناء الحياة ان يبنوا وان يملكوا وان يتمتعوا وان يمشوا فيها مرحا فانهم لن يخرقوا الأرض ولن يبلغوا الجبال طولا ٠

وكيف تستقيم حياتنا هذه اذا لم يكن هناك بعد الموت حياة أخرى ينال فيها المحسن جزاء ويصيب فيها المسىء عقابا ؟ والا تساوت الحسنات والسيئات وأصبح صاحب الضمير النقى واليد العفيفة والنفس الشفيفة مساويا وندا للطاغوت المجرم السفاك اللص النهاب غير الوهاب الآخذ بلا عطاء والمغتصب المقيت ٠

فنحن هنا فى الحياة لانلاقى الجزاء العدل لأعمالنا واذا لم تنل جزاء عند صاحب العدالة المطلقة هناك فى السماء بعد الحياة ٠ فهى عبث اذن هذه الحياة ولاتستحق ان تعاش وأولى بنا ان نتركها بأسرع ما نستطيع ٠ فما نصبر على البقاءفيها الا بقولنا « يا رب » ننظر اليه بشعورنا كله وبغير ان نشعر ، ونتحسسه بوعينا الكامل وبغير ان نفكر ونحس به فى كل خلجة من خلجاتنا ونحس به بالسليقة المطلقة ودون ان نحس ونفكر فيه بعقولنا وقلوبنا ونفكر فيه بالطبيعة الخالصة النقية وتصيح باسمه قلوبنا فى كل نبضة تنبضها ٠

يا رب ٠٠ ليس لنا الا أنت موئلا من عواصف الحياة ٠٠ أنت الرحمة وأنت الرفق وأنت اللطف الشفوق وأنت سبحانك ملاذ البشرية الأمين تعاليت وتقدست أسماؤك يارب العالمين ٠

الأهرام ١٩٩١/٤/١

رمضـــان لا أنســـاه

لعل من أمتع شــهور رمضان التى مرت على ان لم يكن أمتعها ذلك الشهر الذى قضيته فى رأس الدر فى أربعينيات هذا القرن وكنت فى ذلك العام طالبا بشهادة الثقافة وهى شهادة لايعرفها أبناؤنا اليوم كانت هذه الشهادة ينلها الطالب وهو فى السنة الرابعـــة الثانوية قبل شـــهادة التوجيهية بعام واحد ٠

وكنت فى هذا العام أنتظر نتيجة شـــهادة الثقافة فى رأس البر ، وقد كانت رأس البر هى المصيف المزدهر فى سنوات الحرب تلك فقد كانت الاسكندرية مقصد غارات كثيرة من طائرات المحور لقربها من ميدان القتال ولوجود أعداد كبيرة من جيوش الحلفاء بها ٠ ولذلك فقد هجرها كثير من أهلها ولجأوا الى الريف المصرى والشواطىء الأخرى ٠

وهكذا أتاحت الحرب لرأس البر أن تصبح مصيفا حافلا بالمصطافين الذين كانوا يستمتعون غاية المتعة بالاقامة فى العشش دون المنازل وكانت هذه العشش تقام مما كان يطلق عليه « الأكياب » ولا أدرى ــ مصدر هذه الكلمة الا ان تكون كلمة اصطلاحية تواضع على استعمالها بناة العشش ٠ والأكياب هذه كانت مصنوعة من الغاب المتلاصق الذى يسمح للهواء العذب ان يتخلله دائما ولست أدرى لماذا لم تستمر هذه العشش وحلت مكانها البيوت التى نعرفها فى كل مكان فى العالم والتى أفقدت رأس البر أجمل ما تتميز به وغيبت عنها السمة التى تنفرد بها ٠ ويبدو اننا خبراء فى طمس المعالم الجميلة فى حياتنا ٠

لا علينـــا ٠

كنا نقضى شهر رمضان فى رأس البر ٠ ولم يكن الراديو قد أصبح شائعا مثلما هو الآن فهو اما أن يعمل بالكهرباء ولم يكن فى رأس البر كهرباء واما ان يعمل ببطارية ضـــخمة هى بطارية السيارة التى سرعان ما تفقده تيارها الكهربائى ويحتاج صاحبهـــا ان يحملها الى مقر الشحن

فتشحن ليعمل بها الراديو يوما أو يومين ثم تعود الى مقر الشــــحن مرة أخـــرى ٠

فكان من الطبيعي الا نحمل معنا راديو فى مصيف رأس البر ٠ فقد كان مقر الشحن فى الناحية الأخرى من النيل حيث تستقر ســـيارات المصطافين فلم يكن هناك وسيلة لتنتقل السيارات الى رأس البر وكان أقصى مدى لطريقها هو النيل الذى يفصـــــل بين دميـاط وعزبة البرج وبين رأس البر ٠

ولذلك فقد كان أبى يستقدم شيخا قارئا من بلدتنا غزالة ليحيى الشهر الكريم وهو الشيخ محمد أبو سليمان وكان ذا صوت جميل حتى انه قرأ بضع مرات فى الاذاعة المصرية ٠ وكنا نهيىء له غرفة فى العشة ويقيم معنا طوال شهر رمضان وكان يؤذن للمغرب فى شرفة العشة فتفطر العشش المجاورة على آذانه ٠

وفى هذا العام الذى كنت أنتظر فيه نتيجة شـــهادة الثقافة كنت أستحم فى البحر ثم أخرج الى العشة وأبدل ثيابى وأحمل كرسيا من كراسى الشاطىء ومظلة شاطىء أيضا وكتاب « حيـــاة محمــد » للأستاذ العظيم د ٠ محمد حسين هيكل باشـــا وأذهب الى ضفاف البحر فاغرس المظلة أقرأ فى كتاب « حياة محمد » حتى الغروب ٠

هذه المتعة التى كنت أحسها وأنا فى صحبة سيد البشر صلى الله عليه وسلم لم أشعر بها بعد ذلك مطلقا مع اننى كنت أقرأ الكتاب للمرة الثـانية الا اننى كنت أستغرق فى قراءته حتى لا أحس بالدنيـا وما فيها وأنسى كل شىء فى العالم فأنا مع النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى دعوته السماوية أماشيه فى روحاته وغدواته وفى حربه وســـــلامه وفى معاملته لأهل بيته وللناس ٠ وأنا فى دنيا طهور نقية شـفيفة فى السماء أنا لا فى الأرض ولا أذكر الشهادة التى أنتظر نتيجتها ولا أفكر فى المقالة التى أرسلتها الى مجلة الثقافة فى ذلك الحين وأنتظر نشرها كامل عظيم يعرفه شداة الأب الذين يضعون أقدامهم على أول الطريق ٠

أنا هناك مع البشير النذير مع المثل الأولى من البشرية الذى صنعه الله على عينه واختاره ليكون حامل الرســـالة الخالدة الباقية على الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠ والذى اجتباه ربه ليكون قدوة للبشر والبشرية الى يوم الدين لم أكن أخشى فى هذه الأيام الا ان يحين الغروب ويؤذن الشيخ محمد أبو سليمان للافطار ٠ لم أكن أريد ان أفطر فلم يكن

بى وأنا مع النبى صلى الله عليـــه وسـلم جوع ولا عطش وكاننى لست بانسان بشر • اننى معه هناك لا أتمنى الا ان أظل معه فى دنياه هو لا فى دنيا الناس وفى مسابحه صلى الله عليه وسلم لا فى مسابح البشر وطعامهم وشرابهم ورغباتهم •

واين هذا جميعه من صـــحبة سـيد الخلق أجمعين أنا معه روح بللورية نحيـا فى الســماء العليا من الخلق الأسنى ومن الشرف ومن التواضع ومن الأدب الرفيع ومن التسامح •

أنا هناك شنسى اننى انسان ولاتحتـاج جوارحى الى ما يحتـاجه الانسان أملى الوحيد الذى يملأ جوانح نفسى ان يتأخـر آذان المغـرب وكأننى لم أكن صائما •

ولكن المغرب كان لابد ان يأتى فى موقته فيتولانى الأسى اننى تارك ســيرة النبى صـــلى الله عليه وسلم الى الغد وأذهب كسيفا الى العشة ليس بى اثارة من فرح الصائم بالافطار •

واصحبه أنا الى مجلس لنا خلف العشة ويلقى منى الأمرين فقد كنت أقرأ له شعر شوقى على ضوء القمر ولم يكن المسكين يحب الشعر ولكن كان يسمعه ويتجيده مجاملة منه لى حتى اذا أصـــبح القمر هلالا كالعرجون اصطنعت مصباحا يضاء بالغاز ورحت أقرأ على ضوئه فأقضى أمسية من أمتع الأمسيات •

أين منى اليوم هذه المباهج لم يبق لى منهـا الا حلاوة الايمان بالله وهى حلاوة يخالطها الخوف الشديد من عزته وجلاله وأنا فى سنى هذه أعد حقائبى للانتقال من الفانية الى الباقية وأنا لا أدرى ماذا تحوى هذه الحقائب أخيرا فتهدأ النفس أم غير ذلك فالويل كل الويل ؟! فهو سبحانه العدل المطلق وعدالته لايعرفها البشر فهى عدالة يختص بها هو تقدست أسماؤه ولسنا نملك من مرافعة أمامها الا قولنا ربنا اغفر لنا واعف عنا انك أنت التواب ذو الرحمة التى وسعت السماوات والأرض جل شأنك اللهم اسكب علينا من رحمتك وغفرانك فليس لنـا الا وجهك تباركت ياذ الجلال والاكرام •

الأهرام ١٩٩١/٤/١٥

كتابان

لاشيء أعظم عند الكاتب من شعوره بأن له قراء يتابعون ما يكتب ويستقبلون ما يقول بروح جادة ناقده • فالكاتب لاينال من هذه الدنيا مالا ، والشهرة التى يصيبها لاتعنيه ان لم تكن شهرة قائمة على احترام القارىء لما يكتب وتقديره لارائه حتى وان عارضها وليس هناك كاتب ان لم يكن له قراء فالقارىء والكاتب مثلهما مثل طرفى الكهرباء السالب والموجب فان لم يلتق الطرفان لايضيء المصباح ولا يتألق الكاتب أيضا ، ولن أحدثك عن جهد الكاتب وما يلاقيه فى حياته من عنت وهو يقرأ ، ثم ما يلاقيه من ارهاق يفوق طاقة البشر وهو يكتب •

أنا واحد من هؤلاء الكتاب الذين لايشعرون انهم أحياء الا اذا كتبوا ، ذكرت هذه جميعه وأنا أتلقى كتابين ظهرا للكاتب الكبير طارق حجى ذلك الشاب الذى عرفته منذ سنوات طوال عائدا من المغرب حيث كان يعمل هناك أستاذا وتوثقت صلته بى ورحت أرقبه وهو ينشر مقالاته وكتبه فاذا هو يقطع فى سنوات قصار ما يحتاج الكتاب الى عشرات السنوات لينالوه قوة حجة • ونصاعة اسلوب ، وعمق فكرة ، وسعة ثقافة ، وشمول نظرة •

يعينه على ذلك قراءة واسعة ضخمة لايطيقها الا صاحب الصلابة فى العمل صلابة يندر أن تتحقق لغيره لا يفلت من قراءته ميدان فهو عند الاقتصاد عالم متمكن وهو مع القانون قارىء واسع القراءة وهو فى الأدب هاو ومحترف فى وقت معا ذو حظ رائع من التذوق والقراءة ومنصبه فى شركة من أكبر شركات البترول لم يصل اليه مصرى أو عربى من قبل فهو رئيس مجلس ادارة هذه الشركة فى المنطقة •

وأحسب ان من حقك على الآن ان أقدم اليك الكتابين اللذين وصلا الى وهذا أصعب ما ألاقيه فى هذا الذى أكتبه فالكتابان يتناولان موضوعات شتى كلها هام وكلها جدير بالتأمل •

أما الكتاب الأول فاسمه ثالوث الدمار • ويرى الأستاذ طارق حجى ان هذا الثالوث هو الدعم وزيادة السكان والتطرف ويطلق على الدعم النار الموقدة فى أموال المصريين وقد كتب في هذا الباب فصلا كاملا تناول فيه نشأة الدعم وموقف المذاهب المختلفة منه وقدم شتى الأفكار التى تناولت هذا الموضوع ورأى الاقتصاديين والسياسيين فى شأنه وعرج فى هذا الميدان الى القطاع العام ورأى ان القطاع العام الخاسر شكل مدمر من أشكال الدعم ثم تحدث عن المنهج الأمثل لتخفيض الدعم تمهيدا لالغائه وتناول موقف الاعلام من سياسة الدعم •

ثم تناول بعد ذلك الانفجار السكانى وجعل عنوان هذا الفصل الانفجار السكانى على مرأى ومسمع من التخاذل العام وشرح هذا الانفجار من جميع أبعاده وعرض للآراء الكثيرة التى ثارت حوله •

ثم تحدث عن التطرف وقدم له ببيت شوقى الخالد :

هداك الله من شعب بريء
يصرفه المضلل كيف شاء

والكتاب حافل بعد ذلك بفصول أخرى كثيرة منها ما هو عن الزراعة ومستقبل الاقتصاد المصرى ومنها ما هو عن قانون الاستثمار الجديد بين التجديد والتقليد ومنها مقال بعنوان بل سيشهد العالم نهاية الاشتراكية

وغير ذلك من الموضوعات ولم ينس ان ينهى كتابه الثرى بفصلين فى صميم الأدب أحدهما بعنوان « نجيب محفوظ • ملاحظات حول الأديب العبقرى والجائزة الكبرى » والآخر بعنوان « العقاد •• شاعرا وفيلسوفا » •

وبقى ان أذكر أنا رأيى الخاص عن شعر العقاد الذى يكن له صاحب الكتاب اجلالا واكبارا لاينتهى بهما حد • وأنا أيضا من هؤلاء الذين يرون العقاد قمة من قمم الأجيال الأدبية جميعها قديمها وحديثها وان لى به صلة حميمة فقد كان صديقا لصيقا لوالدى وله فيه قصائد من عيون الشعر العربى وقد رثاه بقصيدة فريدة رائعة •

وقد تفضل رحمه الله فنوه بى فى مطالع حياتى الأدبية وكان يكرمنى بقراءة رواياتى ويزيدنى اكراما بالتشجيع والرعاية وقد عملت

تحت اشرافه مع الأستاذ عثمان نويه في سلسلة كتب حول مائدة المعرفة التي كانت تصدرها مؤسسة فرنكلين ومع كل هذا فانني أقف من شعره موقفا متحفظا بعض الشيء مرتئيا انه يغلب فيه العقل والمنطق على الروح ولشعرية التي تتألق عند شوقي والشعراء العباقرة الآخرين في تاريخ الأدب العربي ·

والآن هلم بنا نلقي نظـــرة سريعـــة على الكتاب الثاني للأســتاذ طارق حجي وهو بعنوان « مصر بين زلزالين » وهو فصول سياسية نستطيع أن ندرك منها الى أي مدى يعيش طارق حجي عصره فهو منقوع فيه بجميعه ونقع النوب أي جعـــل الماء يتخلل خيوطه · عميق النظـرة هو لايتخلل أصابعه مأرب أو هدف الا مصلحة وطنه فتشهد فيما يكتب حرية العالم والتزام الوطني الصادق ·

وموضوعات الكتاب كثيرة متنوعة فهو يتكلم عن التخلف وأســبابه وعلاجه عن الديموقراطية بين نور العلم وظلام الأمية،ويتكلم عن الوطنية بين الأفعال والأقوال ، وعن الأمية وعن حاجاتنا للثقافة والتنوير ، وفي أحد فصول الكتاب يقدم مشروعا قوميا لاصلاح طبيعتنا ، ويكتب فصلا عن مصر بين الهوية المصرية والهويات الأخرى ·

وموضوعات أخرى كثيرة تستطيع أن تتفق معه فيها وتستطيع طبعا ان تختلف ولكنك على الحالين لاتملك الا ان تقدر الكاتب في فكره وثقافته وأسلوبه جميعا ·

الأهرام ١٩٩١/٤/٢٩ م

عبد الوهاب في رحاب الله

وليس فقد محمد عبد الوهاب فقد واحد وانما بنيان فن تصدع ، لقد ظل عشرات السنوات هو غناء العالم العربى كله كم ألم الناس وحزنوا فلم يجدوا سلواهم الا فى صوت عبد الوهاب وألحانه ·

كان آهة الطرب والحزن والفرح والأسى ·

كان صوت العالم العربى كله فى هزائمه وانتصاراته · فى آلامه وآماله واليوم انقطع النهر ·

ولكن الأنهار التى تجرى فى أنحاء العالم العربى كله انما هى من جداوله ومن فيضه ·

كيف لكاتب أن يجمع عظمة عبد الوهاب جميعها فى سطور ؟ سيظل الكتاب يكتبون وسيظل الشعراء يرثون عبد الوهاب ولكنهم أبدا لن يصلوا الى ما يستحقه عبد الوهاب من اجلال ومن خلود ·

انما هو خالد خلود الفن نفسه وهيهات أن يجد العالم العربى عنه بديـــلا ·

ان كل نغمة يغنيها الشرق اليوم انما هى نبعة من بحار عبد الوهاب فقد تخرج الفن الموسيقى كله فى الأجيــــال الثلاثة الماضية على أنغام عبد الوهاب ·

وسيظل الفن الغنائى لأجيــــال طويلة مدينا لعبد الوهاب ولفنه الرائع ·

المغنـــون الذين يغنـــون اليوم هم أغانيه ونبت فردوسه وحدائقه الغنــــاء ·

وسيظلون كذلك الى أجيال وأجيال ليس عبد الوهاب مجرد صوت غنى العالم أجمعه وليس عبد الوهاب مجرد ألحان هزت الدنيا طربا وانما هو مدرسة خالدة فى حياة الفن وحياة العرب ٠

عرفته منذ أكثر من أربعين عاما ٠ وعرفته يومذاك وهو يمـــلأ الدنيا فنا ٠

واتصلت أسبابى بصداقته طوال هذه الأعوام ٠

نلتقى أو نتحدث بالتليفون لا يكاد يمر أسبوع لا يكون بيننا لقاء ٠

وكان دائم الود معى يقطر حديثه فنا كأنه يغنى وكم تناشدنا شعر الخالد شـــوقى ٠

فقد كان شوقى هو سبب صلتى به فقد سمع عنى أننى من المكبرين لشوقى ومن الذين يعتبرونه أكبر شعراء العربية قديمهم وحديثهم فأرسل يدعونى الى بيته وكان يسكن فى بيته الذى كان جديدا فى ذلك الحين والذى كان يسميه عش البلبل ٠

وذهبت اليه وتناشدنا شعر شوقى ٠ وأخبرنى فى ذلك اليوم انه يلحن له قصيدته الرائعة : مضناك جفاه مرقده ٠

ولست أنسى يوما سمعت فيه عبد الوهاب وحدى فقد أعطانى عمى عزيز باشا قصيدته ومعه جائزة لأذهب بها الى عبد الوهاب فكلمته فى التليفون وحدد لى موعدا فى مكتبه وذهبت وكان وحده فقرأ الأبيات ٠ وقال لى :

ـ ماذا وراءك الآن ؟

قلت لا شىء ٠

ـ انزل لتتمشى فى الشـــارع مدة ربع ســـاعة ثم عد الى فنزلت وعـــدت ٠

فاذا هو يفاجئنى بأسماعى الأبيات الأولى من القصيدة ملحنة وكنت المستمع الوحيد ٠

ولا احسب أحدا يتصور سعادتى فى ذلك اليوم وكم بينى وبين عبد الوهاب من ذكريات ·

وكم له من ذكريات في حافظة التاريخ ·

هذه دمعات يفيض بها القلم لا هي قالت ما يعتمل فى نفسى ولا هى خففت الحزن العميق الذى حل بنفسى ولكن ماذا أستطيع أن أفعل الا أن أبكى هذه الكلمات ·

ما أظن حزنى عليه سينتهى أبدا كظاهرة كونية كان من حظنا أن تظهر فى جيلنا وكصديق من أحب الأصدقاء الى رحمة الله ؟

الأهرام ١٩٩١/٥/٦

المجـرم والمجتمع

الانسان إبن مجتمعه وكل انسان لا يرعى حقوق المجتمع الذى يعيش فيه يصبح أمره بين الناس هينا محتقرا فالسنة الخلق أقلام الحق لأن الناس لا يجتمع أمر الغالبية فيها على باطل · فان احترموا انســـانا وأنزلوه من مجتمعهم منزلة الاجلال والاكبار فلا شـــك أنه بهذا جدير وبمكانته خليق ·

ومكانة الانسان فى مجتمعه لا تأتى وليدة لحظة أو عمل وانما هى مجموع صلات الانسان · أنها صلته بربه وانها صلته بزوجه وانها صلته بأبنائه وهى صلته بعمله وصلته بأصدقائه ·

ولا شىء يخفى على الناس فحتى هذه الصلات الحميمة المستترة خلف الجدران يعرفها المجتمع ويتسامع بها الناس · وكم هى حساسة مرهفة آذان المجتمع هذا لا يكاد يخفى عليها شىء وقديما قال الشاعر :

ومهما تكن عند أمرىء من خليقة وأن خالها تخفى على الناس تعلم

ولست أدرى وما أحسب أحدا يدرى كيف تذيع بين الناس أنباء البيوت وأسرار الحجرات ·

ربما كانت همسة تلقيها زوجة الى صديقة حميمة لها · أو شكوى عابرة يناجى بها زوج صديقا لصيقا له · أو ربما كانت ثرثرة ابن يعبث بها بين أصدقائه أو لعلها بغام طفل لا يدرى معنى لما يقول ·

ولكن السر يذاع واخبار الناس تشيع ·

وقد تكون أسرارا تافهة بسيطة المظهر · وربما كانت هينة الدلالة واهنة الشأن · ولكن من مجموع هذه الأمور الصغيرة تتكون شخصية الناس عند الناس ·

فاذا كان الأمر كذلك فى بسيط الأمور من أحوال الناس اليومية ــ وانه لكذلك ــ فكيف بك بالأمور الكبرى من معالم تصرفات الانسان وأعمـــاله ·

اذا كان الناس يحكمون على الانسان من صلاته بأسرته أو خاصته فكيف بهم اذا كان هذا الانسان من الناس مجرما مفترسا ينتهب حقوق الخلق ويعتدى على المقدسات ويتاجر فى أرزاق الناس ويستجلب المخدرات ويرتكب الاثام التى ينزل بها القانون العام عقابه الصارم الرادع .

لا شك أن شأنه سيصبح بين الناس شهيرا جهيرا لا يجهله أحد والمظهر دائما يجعل المخبر معلنا فثروات الناس بين الناس معروفة لا يخفى من شأنها أمر .

فاذا رأينا شخصا نعرف ما يملكه وما يطيقه هذا الملك من انفاق ثم رأيناه يحيا حياة فاجرة الغنى شاهقة الثراء فى مركب وملبس ومأكل وسفر ودعوات وابهار

فمن أين ؟

فاذا صاحب هذا السؤال عن ظاهر الأمر حديث شائع عن أموال استلبها أو تجارة موبوءة يحترفها فالاشاعة حقيقة والهمس جهر لا محيد لنا عن تصديقه .

وكم من اللصوص وتجار المحرمات يعيثون فى الأرض فسادا قادرين أن يخفوا أجرامهم عن طائلة القانون . وقد يطول بهم الأمد ناعمين بحرية الاجرام وبلهنية الفساد وبالجرأة على الحق .

ولكن الناس تعرف حقيقتهم معرفة وثيقة لا شك فيا ولا ابهام ولا تردد .

وانهم ليلقون الناس فى المجتمعات بوجه وقح ويلقاهم الناس ، لا يعرفون حقيقة ثرائهم وما يظنه المجرمون خافيا من سفول مسعاهم ودنىء نشاطهم وحقير ثرائهم وتلك هى الكارثة الحقيقية التى يعانيها مجتمعنا .

ان المجتمع لا ينزل عقابه على من يستحقون هذا العقاب . وأرى — ويالهول ما أرى — الناس يحترمون الثرى مهما يكن مصدر ثرائه .

بل يحترمونه وهم واثقون كل الثقة أن هذا الثراء مصدره الجريمة المتوقحة من نهب أو سلب أو نصب أو اتجار بما أجمع المجتمع على هول الآثار التى يدمر بها أجيالا وأوطانا ·

لابد ان يوقع المجتمع جزاءه على المجرم مهما يكن قادرا على التفلت من يد العدالة القانونية · أن عدالة المجتمع ينبغى أن تكون أقوى وأعظم فعالية من عدالة القانون ·

فالقانون نصوص وقد يكون القاضى مقتنعا كل الاقتناع بأدانه مجرم ينظر فى قضيته ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يدينه لأن مواد القانون تقف حائلا بين المجرم والأدانة ·

وليس هذا نقصا فى القانون ولكن تلك هى طبيعة القوانين فانها تتوخى أن توفر الجزء الأكبر من العدالة مع المحافظة على حرية الأفراد وافتراض البراءة حتى تثبت الأدانة ·

وحتى يتم التوفيق بين الحرية والادانة قد يقف القانون قاصرا عن ادانة من يستحق الادانة ·

وهنا ينبغى للمجتمع ان يكون هو القانون · ويتحتم عليه أن يوقع جزاءه على المجرم حتى وأن أفلت من أصابع القانون ·

يروى المرحوم حفنى محمود باشا فيما يروى عن أخيه محمد محمود باشا رئيس الوزراء الأسبق ·

انه كان جالسا ـ أى حفنى باشا ـ مع سيدة من أجمل سيدات مصر ومن أكثرهن شهرة ولم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات وكانت الجلسة فى شرفة الكونتننتال القديمة وكان يعلم أن أخاه محمد باشا قادم الى الفندق لموعد هام ·

فاخبر السيدة التى يجالسها أن أخاه قادم بعد دقائق فتمنت السيدة بالحاح أن يقدمها الى الباشا أخيه · لأنها معجبة به غاية الاعجاب فوعدها حفنى باشا بذلك وما لبث أن جاء محمد باشا محمود وقام اليه أخوه حفنى باشا ومعه السيدة وصافح حفنى باشا أخاه وقدم اليه السيدة فما أن سمع محمد باشا اسمها حتى وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يسلم على السيدة التى لم تكن سمعتها فوق مستوى الشبهات ·

ويقول حفنى باشا انه كاد يغمى عليه ولكن أخاه لم يلتفت اليه وواصل طريقه الى داخل الفندق .

لو أن المجتمع اليوم وضع يده اليمنى وراء ظهره ورفض أن يصافح أولئك الذين يمزقون الحياة لكان فى تصرف المجتمع رادع أشد وقعا مما يردعه القانون .

أيمكن أن يتم هذا .. هيهات ؟

الأهرام ١٩٩١/٥/١٣

نـــزوة أمـــير

أعيد فى هذه الأيام قراءة كتاب من أعظم كتب التراث العربى وهو كتاب « تجريد الأغانى » تأليف ابن واصل الحموى وتحقيق عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين والأستاذ العلامة المحقق ابراهيم الابيارى ·

وللكتاب قيمة خاصة عندى لأن عليه اهداء الى مهمورا باسم أستاذنا العميد د· طه حسين ·

وبالكتاب طرف كثيرة ربما قدمت اليك منها بعض شذرات · ولكن طرفة بذاتها قرأتها اليوم وجدت أنها جديرة بالرواية والتعليق واليك هى ربما غيرت فى صياغتها بعض الألفاظ لتصبح يسيرة قريبة ·

ذكر أن أبا دلامة ـ وهو شاعر معروف ـ دخل المهدى وعنده جماعة من أهل بيته ومن بنى هاشم فقال المهدى لأبى دلامة :

ـ اذا لم تهج واحدا من الحاضرين قطعت لسانك ·

فبهت أبو دلامة وراح ينظر الى الجالسين وينظرون اليه وكلما التقت عيناه بعينى واحد منهم غمزه بأنه سيكافئه اذا هو لم يهجه ويقول أبو دلامة وهو يروى هذه القصة : فعلمت أنى قد وقعت فريسة لنزوة من نزوات الأمراء وليس لى منها مخرج ولا عنها محيد فلم أر واحدا أحق بالهجاء منى ولا أدعى الى السلامة من هجاء نفسى فقلت :

ألا أبلغ لديـــك أبا دلامـــة   فليس من الـــكرام ولا كرامة
اذا لبس العمامة قلت قردا   وخنزيرا اذا نزع العمـــامة
جمعت دمامة وجمعت لؤمـــا   كذلك اللؤم تتبعـــه الدمامة
فان تك قد أصبت نعيم دنيـــا   فلا تفرح فقـــد دنت القيـــامة

وقد أعجبنى فى هذه الأبيات قوله وكذلك اللؤم تتبعه الدمامة فقد عبر بهذه الشبطرة عن حقيقة انسانية رائعة فليس اللؤم هو الخبث

« بسكون الباء » وانما هو الخبث « بفتح الباء » وهو الحقد وانكار الفضل وكره الذين يكرمهم الله واستكثار كل نعمة تصيبهم والاستهانة بكل فضل يناله اللئيم · والذين على هذه الشاكلة ترى على وجوههم قترة وغبرة فليس القبح هنا مصروفا الى تقاطيع الوجوه وانما يقصد به اظلام الوجوه فهى مربدة مكشرة وحين يقول النبى صلى الله عليه وسلم « استصبحوا الوجوه » لا يقصد الجمال فى تقاطيع الملامح وانما يقصد ذلك الاشراق الذى يعلو سمات الوجه صادرا من داخل النفس الصبوح المشرقة ·

فالحقد يجعل النفوس ظلاما قاتما تعلوها أمواج وأمواج وسحاب لا ترى الا النور لا تشتهى ان ترى اليه ·

وقد سمعت من أبى كلمة قالها لصديق له وكنت صغيرا الى درجة اننى كنت واقفا أمامه داخل السيارة ومع ذلك ظلت الكلمة لاصقة بنفسى منذ تلك السن الباكرة قال أبى « ما حقدت على أحد فى حياتى وما كرهت حاقدا على مطلقا وانما أنا دائما أرثى له وأقول فى نفسى كفاه ما يصدره من نار تأكل كيانه جميعا » ·

وعودة الى هذه الأبيات التى هجا بها أبو دلامة نفسه فهى واقعة جديدة بانعام النظر ، لقد هجا الشاعر نفسه ليأمن غدر الجالسين العظام وليستجدى جدواهم وكرمهم ومالهم ومال الأمير أيضا ·

فقد كان الشعراء فى ذلك الزمان هم الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والصحافة وكل وسائل الاعلام والاعلان أيضا ·

وكان الأمراء يستجدن مديح الشعراء باغداق المال عليهم وكانوا ينزلون بهم أشد العقاب اذا هم تجرأوا بنظم أبيات لا تمدحهم المدح الصريح الذى لا شك فيه ولا شبهة ·

وكان الشعراء يعيشون على ما يغدقه الأمراء ·

واليوم تحرر الشعراء من هذه العبودية وأصبحت قصائد المجيدين منهم أغنيات تذاع فى كل وسائل الاعلام وعلى المسارح وشاشات السينما وهكذا أكرمهم الله بحرية الكلمة فأكرموا كلمتهم وصانوا وجوههم ·

ولكن هل اختفى من الحياة أولئك الذين يهجون أنفسهم أشهد الله أنهم كثروا وزادوا وأن كان التاريخ يروى لنا عن أبى دلامة حين هجا

نفسه وعن الحطيئة الذى هجا نفسه هو الآخر فقد أصبح الذين يهجون أنفسهم فى حياتنا اليوم الوفا مؤلفة · وان لم يكن هجاؤهم لأنفسهم بالشعر فهو هجاء بالعمل والقول جميعا ·

والا فقل لى بربك ألا يهجو نفسه ذلك المنافق الذى يكيل المديح لمن لا يستحقه لينال رضاءه أو جدواه سواء كانت هذه الجدوى مالا أو ترقية أو علاوة ·

وقل لى بربك أليس كل من يدعى ما ليس فيه يذم نفسه أليس يقول اننى بما خلقنى الله عليه وبما أصنع حقير فيتظاهر بغير طبيعته ويدعى ما ليس له بحق ويحكى عن أعماله ما لم يعمل هذا الذى تسميه اللغة العربية « النفاج » ويسميه المصريون « الفشار » و « المزاع » ·

أليس هذا يهجو نفسه كما فعل أبو دلامة ؟

والذى يتناول المخدرات ألا يعلن هذا للملأ أن عقله الذى وهبه له الله تافه سخيف وانه يلجأ للمخدرات لتجعله يغيب عن وعيه وعن انسانيته وعن عقله أعظم ما كرم به الله عباده ؟

والذى يشترى السيارات الفاخرة ليعلن على الناس انه صاحب ثروة باذخة وغنى عريض أليس هذا هاجيا لنفسه يقول للناس انه كانسان لا يستحق الاحترام وانما هو كصاحب مال جدير بالاحترام وقس عليه كل أولئك الذين ينفقون أموالهم فى المظاهر الكاذبة أليسوا جميعا يهجون أنفسهم بالفعل والعمل والتصرف اذا كان أبو دلامة هجا نفسه بالشعر فقط ؟!

والمرتشون والراشون ألا يهجون أنفسهم حين تجد المرتشى يسمح للراشى ان يعتدى على حقوق الآخرين لأنه قدم اليه الرشوة أو حين يمتنع أن يعطى الحق لصاحبه الا اذا نال منه الرشوة وحين يقبل الراشى ذلك ويقدم رشوته يشجع المرتشى على صنيعه أليسوا جميعا يهجون أنفسهم ؟

انهم لم يقرأوا القرآن الكريم فلو قرأوه لذكروا الآية الكريمة « ١٨٨ » من سورة البقرة « وتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » ·

أن المرتشين أو طالبى الرشوة والراشين أيضا يهجون أنفسهم ولكن الله ناصر من ينصره ٠

ولو حاولنا أن نحصى الذين يهجون أنفســـهم لامتنع علينا العدد وعجزت بنا الاحاطة وانما هى أمثلة ومثلها كثير كثير ٠

كم من أبى دلامة بيننا ولكنهم يتخفون وراء مظاهرهم وجهلهم بالشعر والقافية ولا يذيع عن أمرهم ما ذاع من أمر أبى دلامة غفر الله له ٠

الأهرام ١٩٩١/٥/٢٧

السـبب الضـائع

وكلمة السبب كلمة واسعة المعنى كثير المجرى على السنة الناس . ولكن السبب الذى أقصده كلمة قانونية خالصة . فالسبب ركن من أركان العقد اذا مس سلامته خلل ما وقع باطلا واذا بطل السبب أصبح العقد كله باطلا .

ومن شروط سلامة السبب مثلا أن يكون مشروعا ولذلك فدين القمار باطل اذا عرف القاضى أن الدين الذى يطالب به المدعى بموجب ورقة ما ناتج عن القمار رفض الحكم باستحقاق الدين لأنه ناتج عن سبب غير مشروع .

واذا طالبت سيدة ما شخصا ما بأموال وكان معها ما يثبت مديونيته بها وعرف القاضى أن هذا الدين مقابل علاقة غير مشروعة وقع العقد باطلا وامتنع القاضى أن يحكم لها بدينها .

ومن شروط سلامة السبب أن يكون العقد مبرما بين متعاقدين من الطبيعى أن يقوموا بالعمل موضوع العقد وألا يكون أحدهم يعمل فى ميدان بعيد كل البعد عن نشأة العقد بصورة تتنافى مع طبيعة عمله وكرامة هذا العمل والا وقع العقد باطلا .

وكان أستاذنا العظيم الدكتور عبد المعطى الخيال يملى علينا مذكراته لأنه رفض أن يصدر كتابا حتى لا يتهم انه يتاجر على الطلبة .

والمثل الذى ضربه لنا فى طبيعة عمل المتعاقدين وتنافرها مع موضوع العقد المبرم كان مثالا صارخا لا يستطيع الطالب أن ينساه يقول المثال « فلو تعاقد استاذ فى كلية الحقوق مع شخص آخر أن يقيم الأستاذ حفلا ماجنا للمتعاقد الآخر وقع العقد باطلا لأنه من غير المقبول أن يقيم أستاذ فى كلية الحقوق حفلا ويتقاضى فى سبيل ذلك أجرا وكأنه محترف يعمل فى هذا الميدان .

وكانت نظرية السبب هذه تدرس لنا ونحن فى السنة الثانية بكلية الحقوق وكان الموضوع المقرر على هذه السنة هو الالتزامات ٠

وكان من حظى أن أمتحن الامتحان الشفوى فى الالتزامات أمام الأستاذ العظيم د٠ حلمى بهجت بدوى وكان موضوع سؤاله السبب وأركانه فأجبت وذكرت فى اجابتى ذلك المثال الذى أملاه علينا الدكتور الخيال الذى يتخذ أستاذ كلية الحقوق الحفل الماجن نموذجا للعقد الباطل فاذا بالدكتور حلمى بهجت بدوى يتقزز فى مجلسه وتتقلص ملامح وجهه ويكاد يضيح بى :

ـ ما هذا أيصبح أن تضرب مثلا كهذا ولا تراعى كرامة أستاذ لك فى كلية الحقوق ؟

فقلت بهدوء :

ـ ان المثل يكرم أستاذ الحقوق ولا يمس كرامته فهو ينزهه أن يقوم بهذا العمل وجعل منه الطرف الأشرف البعيد كل البعد عن الاتيان بهذا الفعل المشين ٠ ثم ان المثل الصارخ كفيل بأن يجعله ثابتا فى الذهن لا تفلته الذاكرة بل تحفظه وتعيه ومع كل هذا فان هذا المثل ألقاه علينا فى مذكراته أستاذ من أعظم أساتذة الحقوق ٠

فقال د٠ حلمى :

ـ تقصد الدكتور الخيال ٠

ـ نعم الدكتور الخيال ٠

ـ أهذا المثال فى المذكرات ٠

ـ نعم ٠

وأوقف الدكتور حلمى الامتحان حتى أحضروا له المذكرات من أحد التلاميذ الذين ينتظرون لجان امتحاناتهم وقرأ الدكتور المقال فى مذكرات الدكتور الخيال وارتاحت نفسه وابتسم وأنهى امتحانى وعرفت الدرجة التى نلتها فيما بعد طبعا وكانت درجة عالية ٠

وأنا لا أسوق هذه الواقعة لمجرد أن أروى عليك طرفا من طرف القانون أو واقعة تستحق الرواية من أيام حياتى ٠

وانما أرويها لأنني اليوم أذكر هذا المثال دائما وأتساءل هل مازال هذا الركن قائما ضمن مقومات صحة السبب وسلامة العقد ٠

وما أظن فقد أمسينا اليوم وكل انسان يفعل ما يريد ليستجلب المال الى حيز ملكيته فما أصبحنا ندرى ماذا يعمل هذا وعلى أى مادة يتعاقد ذاك ٠

الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية بعضهم - وربما كانوا قلة ولكنهم قلة كثيرة ان جاز التعبير وقد أصبح جائزا فى أيامنا هذه - الذين يتمتعون بالحصانة البرلمانية يتخذونها وقاء للاعتداء على الحياة والأحياء ٠ وبعضهم يتخذها قلعة يحارب منها أعداءه لا فى السياسة - فلم تصبح فى حياتنا عداوات سياسية - وانما هو يحارب أعداءه فى اغتصاب الأموال والحقوق٠ وبعضهم يتذرع بها لينال ما ليس له بحق من أقوام لا حول لهم ولا طول ولا قوة ٠ مع أن الحصانة لا يطلب رفعها الا فى القضايا الجنائية ولا يطلب رفعها فى القضايا المدنية ٠ لأن الحصانة شرعت لحماية العمل البرلمانى وعدم اعاقة العضو عن أداء هذا العمل عن طريق قيد حريته وهذا لا يتوافر فى القضايا المدنية والصانع يعمل فى غير صنعته والأستاذ يقوم بغير عمله والتاجر يتاجر بالشرف قبل أن يتاجر ببضاعته ٠

ان ركن السبب الذى تعلمناه تاه فى الحياة وضاع وكان الله فى عون القضاة بماذا يحكمون اليوم ٠ بالسبب الذى تعلمناه فى كلية الحقوق أم بالأسباب التائهة الضائعة التى تسيطر اليوم على حياتنا ؟! ٠٠ كان الله فى عونهم ٠

الأهرام ١٩٩١/٦/١٠

الديمقراطية وضوح

يتحمس بعض المصريين للديمقراطية ويذهبون فى ذلك مذاهب موغلة فى التطرف وينبغى أن يعلم هؤلاء أن علماء القانون يكادون أن يجتمعوا على أن الديمقراطية ليست هى طريقة الحكم المثلى التى لايعتورها عيب بل أن بها كثيرا من العيوب • ولكن هؤلاء العلماء أنفسهم يجمعون أيضا على أن الديموقراطية هى أحسن نظم الحكم التى عرفتها البشرية •

ومن بين ما يطالب به أولئك المتحمسون للديمقراطية أن يكون اختيار المحافظين فى المحافظات بالانتخاب ، ولو تحقق هذا لادى الى كارثة لا يستطيع أحد أن يتلافاها أو يتجنبها •

فانتخاب المحافظ سيجعله لا شك يحاول أن يكون على أحسن الصلات مع الأعيان وذوى الشأن الذين يستطيعون أن يسيطروا على كثير من الأصوات وهكذا تذهب مصالح الأفراد الضعاف بددا وقد ينصب عليهم الظلم من ذوى النفوذ ويقف المحافظ مع صاحب الأصوات وينزل ظلمة بالمظلوم ؟

وقد أظهرت الانتخابات فى كثير من الأحيان انها لا تختار الأحسن وأنها قد تختار الأسوأ والأمثلة حاضرة من قريب ومازلنا نعانى منها معاناة فيها كثير من الألم والمرارة •

فقد يستطيع هذا الأسوأ أن يغرى الناس بأمواله وبصلاته فلا يعنيهم فى شىء ما يتمتع به من سيرة عفنة ومن تصرفات يندى لها جبين الانسانية وتتنافى مع الشرف والمثل العليا كل المنافاة •

وما أحسب كلامى هذا خافيا على القراء بل انهم يعلمونه حق العلم ولا أحتاج فى شأنه الى ايضاح •

ومازلت أذكر والألم يعتصر نفسى أحدى مرات الانتخابات تقدم فيها مرشح متهم بالسرقة والرشوة والاختلاس وكان أنصاره فى المعركة

الانتخابية يهتفون حرامى حرامى ولكن نحبه فكانت هتافاتهم سبة فى جبين الانسانية والشرف وقد اكتسح هذا المرشح منافسيه .ونجح نجاحا ساحقا وأصبح عضوا بمجلس الشعب ٠

واذا كان هذا المثال ينصرف الى جماعات كانت لها الجرأة أن تهتف هذا الهتاف المهين فان كثيرا من الناخبين ينتخبون الذى تربطهم به صلة مهما يكن غير جدير بأن ينتخب وأن كثيرا آخرين من الناخبين ينتخبون القادر على أن يؤدى لهم مصالحهم الصغيرة غير ناظرين الى خلق هذا المرشح أو فضله أو علمه ٠

ولـكن وجـود غير ذوى الفضل فى مجلس كثير العدد قد يجعل أصواتهم خافتة ويجعل المثل العليا تفوز آخر الأمر ٠

أما اذا أصبح هذا المرشح محافظا ينفرد بالأمر والنهى فالكارثة محققة لا سبيل الى دفعها ومع ذلك فليس هناك لاختيار الأعضاء فى المجالس التشريعية وسيلة خيرا من الانتخاب على ما فيه من عيوبا غير خافية على أحد أما انتخاب المحافظين فأمر يؤدى بأمة مثل مصر الى الهلاك فانه ينبغى على كل دولة ان تختار من الديمقراطية ما يتمشى مع أحوالها الاجتماعية والثقافية فلا تحاول أن تقلد تقليدا أعمى دولا أخرى تختلف أحوالها عن أحوالنا كل الاختلاف ٠

ان المحافظ ممثل فعال غاية الفعالية فى السلطة التنفيذية والسلطة التنفيذية يختارها الحزب صاحب الأغلبية والحزب صاحب الأغلبية وصل الى أغلبيته والى الحكم عن طريق الانتخاب فمن الطبيعى أن يختار هو ممثلية فى السلطة التنفيذية ٠

ولذلك فان دول العالم الديمقراطية جميعا لا يصل فيها الوزراء الى كراسيهم بطريق الانتخاب وانما يختارهم حزب الأغلبية ولا شك أن سلطات الوزير أكبر من سلطات المحافظ فهو ليس مسئولا فقط عن الأعمال التنفيذية فى وزارته التى تشرف على مصالح تشمل الدولة جميعها وانما هو أيضا الواجهة التى تحاسبها المجالس التشريعية وهو صاحب رأى فى مجلس الوزراء الذى يتولى أمور الدولة كلها والذى اليه ترجع المسئولية فى كل شئون البلاد ٠

والمحافظ المنتخب ليس من الحتم أن يكون منسـجما مع ممثلى السلطة التنفيذية جميعها وان لم يسد الانسجام أعضاء السلطة التنفيذية

جميعها يصبح الأمر فوضى لا قوام له ولا كيان ومن القواعد الدستورية المقررة انه لابد أن يكون مجلس الوزراء متفقا فى المبادىء الأساسية التى يسير عليها الحكم فى البلاد فاذا رأى وزير أن رأيه يتنافى مع مبدأ أساسى من هذه المبادىء فعليه أن يستقيل ٠

أما اذا اختلف وزير مع اخوانه فى موضوع ليس جوهريا وأبدى رأيه فى مجلس الوزراء ولكن الوزراء رأوا بالأغلبية رأيا غير رأيه فان عليه اذا خرج الى الصحفيين والاعلام أن يؤيد الرأى الذى انتهت اليه الأغلبية ويذكر الحجج التى اعتمدت عليها هذه الأغلبية وان كانت غير متفقة مع رأيه ويسمى بعض فقهاء الدستور هذا التصرف تسمية عنيفة فهم يطلقون عليه النفــاق الوزارى ٠ وليس النفاق هنا صفة منمومة مرفوضة بل هو أمر محمود ولابد منه ، ولعل النفاق لا يكون محمودا الا فى هذا الموضع ٠ وطبيعى أن هذا الأمر لا يكون الا فى المســـائل البسيطة التى لا تمثل مبدأ أساسيا من مبادىء الحكم أما فى المبادىء الأساسية فان النفاق الوزارى غير جائز بل يصبح خيانة للنفس وللوطن فى وقت معا ٠

وليس من المعقول أن يستقيل الوزير كلما اختلف مع زملائه فى موضوع من الموضوعات التفصيلية التى تمثل أساسا من أسس الحكم ولكن حتم عليه أن ينأى عن السلطة التنفيذية اذا كان مسار الحكم عندها يتعارض مع مبادئه الأساسية ٠

ولذلك فانه يتحتم أن تكون سياسة الســلطة التنفيذية واضحة المعالم وأن تكون العناصر الكبرى فيها بينة السمات ليس فيها شـك ولا ابهام وان يكون الانسجام سائدا بين عناصرهما ٠

الأهرام ١٩٩١/٦/٢٤

رجـــل مـــات

فقدت في هذا الأسبوع صديقا ربما كان أقرب الأصدقاء الى نفسي عرفته وأنا طفل صغير وظلت معرفتي به دائمة طوال هذه الأعوام فقد عمل مديرا لمكتب أبي ومعاونا له في حزب الأحرار الدستوريين وربما كنت أثقل عليك بأحزاني الخاصة ولكن هذا الرجل كان مثلا أعلى في كل حياته ومن حقه على ككاتب أن أرفع ذكراه نموذجا فريدا في الانسانية والعفة وطهارة اليد والايمان بالله وبالوطن واذا لم نكرم نحن الكتاب المثل العليا لتكون أعلاما خفاقة على الخلق الأسنى فمن يفعل ذلك ...

أنه المرحوم عبد الفتاح الشناوي كانت آخر وظيفة تولاها هي وكيل وزارة فما أحسب أن الحكومة المصرية أو غير المصرية عرفت رجلا في مثل نزاهته وشرفه ووقوفه مع الحق وأن كانت حياته هي الثمن . يقول الكلمة لا يرجو بها الا وجه الله والشرف والخلق الرفيع غير مبال بما قد تعود عليه هذه الكلمة من الويل والنكال والتشريد .

كان مديرا لمكتب أحد الوزراء في الأيام الأولى للثورة ووصل اليه خطاب موجه الى الوزير من مكتب رئيس الوزراء وكان يحمل توقيع مدير مكتب رئيس الوزراء ورأى في هذا امتهانا للوزير الذي يعمل معه . فرفع سماعة التليفون وطلب مكتب رئيس الوزراء وطالعه صوت مدير المكتب وجرى بينهما الحديث :

ــ سيادتكم مدير مكتب رئيس الوزراء .

ــ نعم أنا هو .

ــ أنا عبد الفتاح الشناوي مدير مكتب وزير ...

ــ أهلا وسهلا .. نعم ...

ــ جاء الى الوزير خطاب من رئيس الوزراء موقع باسمك وهذا مخالف للأصول المرعية . فالوزير لا يخاطبه الا رئيس الوزراء شخصيا ولا يجوز أن يخاطبه مدير مكتبه .

ـ ما هذا الكلام الفارغ ٠

ـ ليس كلاما فارغا وانما هي المحافظة على كرامة الوزراء وكيف يعمل الوزراء اذا لم نحافظ على كرامتهم ٠

ـ قال مدير مكتب رئيس الوزراء في صلف غاضب :

ـ أتعرف الى من تتكلم ٠

ـ نعم أكلم مدير مكتب رئيس الوزراء ٠

ـ أنا فلان عضو مجلس قيادة الثورة ٠

ـ ولم يكن الاسم عاديا فقد كان مجرد ذكره يجعل الفرائص ترتعد والقلوب ترتجف ولكن عبد الفتاح الشناوى قال فى شجاعة منقطعة النظـــير :

ـ لا شأن لى بموقعك فى مجلس قيادة الثورة انما اخاطبك كمدير لمكتب رئيس الوزراء ٠

ـ الظاهر أنك حمار فعلا ٠

ـ بل الحمـــار أنت ٠

ـ أنت ابن ٠٠ وابن ٠٠٠

وذكر أباه وأمه معا فاذا الشناوى يقول فى طبيعة مواتية ٠

ـ بل انك أنت ابن ٠٠ وابن ٠٠

وذكر أباه وأمه أيضا ٠

ووضـــع السـماعة ٠

وبعد دقائق استدعى الوزير مدير مكتبه عبد الفتاح الشناوى ٠

ـ ما هذا الذى فعلته ٠

ـ أحافظ على كرامتك ٠

ـ وهل طلبت منك أن تحافظ على كرامتى ٠

ـ أنا متحمل لكل المسئولية ·

ـ تحملهـــا وحـــدك ·

ـ اتحملهـــا وحـــدى ·

وخرج الى مكتبه وكأنه لم يصنع شيئا ·

ومر اليوم وذهب الى بيته وأعد حقيبته التى سيصحبها الى السجن وفى اليوم التالى ذهب الى مكتبه شأنه فى كل يوم وما هى الا بعض الساعة حتى دق جرس التليفون بمكتبه ·

ـ الســـلام عليكم

ـ وعليكم السلام أهلا وسهلا ·· من حضرتك ·

ـ أقول لك من أنا ولا تشتمنى ·

ـ أنا لست قليل الأدب ·

ـ أنت لست قليل الأدب ولكن أنا قليل الأدب أنا فلان ·

انه هو مدير مكتب رئيس الوزراء وعضو مجلس قيادة الثورة والاسم الذى ترتعد له الفرائص وترتجف القلوب وقال الشناوى :

ـ أهلا وســهلا ·

ـ وقال عضو مجلس قيادة الثورة :

ـ أهلا بك قد طلبتك لاعتذر اليك فهل يكفى التليفون أم أحضر اليك لأقدم اعتذارى فى مكتبك ·

ـ لا ياسيدى يكفى التليفون وقد قبلت اعتذارك ·

ـ لقد بدأتك بالعدوان ومن حقك على أن أعتذر اليك ·

ـ انتهى الأمر ان الله غفور رحيم ·

ومرت سنوات وجاءت حرب ٥٦ فجمعت جلسة من الضباط بين عضو مجلس قيادة الثورة وبين ابن أخ الشناوى فحين سمع عضو المجلس اسم الضابط قال له :

ـ الك قرابة بعبد الفتاح الشناوى ·

ـ هـو عمى •

ـ لو كان بمصر عشرة رجال من أمثال عمك ما وصلت مصر الى ما وصلنا اليه •

وبعد فقد مات عبد الفتاح الشناوى فى الأسبوع الماضى ألا ترى أنه جدير بهذا الرثاء وهذه الدمعات التى اسكبها بين يديك •

أنا لا أبكى فيه صديق عمر وتوءم روح وانما أبكى فيه رجلا حين أصبح الرجال ندرة لا تكاد تعثر على واحد منهم يستحق ما يستحقه عبد الفتاح الشناوى من اجلال وأكبار •

رحمة الله واسعة وأنزله منازل الشهداء والصديقين انه سميع قريب •

الأهرام ١٩٩١/٧/٨

الثقــافة كتـــاب

لا أملك الا أن أشيد كل الاشادة بما تقدمه السيدة العظيمة حرم السيد رئيس الجمهورية من جهد رائع لتهيئة المكتبات للأطفال بل حق على أن أشيد بكل ما تقوم به من أعمال مشرقة فى ميدان الحياة الاجتماعية والانسانية فى شتى جوانب الحياة من اهتمام بالمرضى والمستشفيات والحدائق والمعوقين فان الأعمال التى تقوم بها لا يحيط بها احصاء وكلها تدعو الى الاجلال والاكبار والاعتزاز ٠

والذى يكتم شهادة الحق مديحا كانت أو نقدا جبان ٠ فكما ينبغى على الكاتب أن ينتقد ما يراه يستحق الانتقاد يتحتم عليه حتما أن يمتدح ما يستحق الثناء ٠

وان هذا الجهد الذى تقوم به السيدة حرم السيد الرئيس فى ميدان الكتاب للأطفال من حقها علينا أن نفخر به وبها ونقدره ونكبرها كل الاكبار ونعتز به وبها غاية الاعتزاز ٠ فالقراءة تعود وأن استطعنا أن نجعل الطفل يتعود القراءة أطمأنت نفوسنا أنه سيصبح قارئا طوال حياته ومادام قد أمسك بالكتاب وأحس متعة القراءة وما تعود به عليه من ثقافة وسعادة فانه سيشب والكتاب فى يديه يستطيع أن يستغنى به عن كل المغريات الأخرى التى تقطع الوقت ولا تهب لروادها غناء فى المعرفة أو العــــلم ٠

فالاهتمام بالقراءة للأطفال شىء عظيم وانما ينبغى الا يشغلنا هذا عن الاهتمام بالقراءة للشباب أيضا بل والكبار فقد أصبحت المكتبات نادرة كل الندرة فى المدن ومعدومة تماما فى القرى وتلك كارثة كبرى ٠

وأذكر فى أيام الدراسة أن كان عندنا فى المدرسة مكتبة من أعظم المكتبات وأذكر أننا قررنا ونحن فى السنة الرابعة الثانوية أن ننشىء مكتبة فى الفصل فكان التلاميذ يشترون الكتب الجديدة ويقرأونها ثم يعيرونها لمكتبة الفصل فيتمكن تلاميذ الفصل جميعا من قراءتها ثم يسترد أصحاب الكتب كتبهم آخر العام الدراسى ٠

وكانت عندنا أيضا المكتبة الرائعة فى باب الخلق فى وسط القاهرة وكانت استعارة الكتب منها ميسورة ليس فيها أى تعقيد .

وكانت عندنا فى الزقازيق مكتبة طالما لجأت اليها فلم تخذلنى مرة واحدة وكنت أجد فيها ما أريد دائما . وأعتقد أن جميع المحافظات كان بها مكتبات مماثلة .

فأين اليوم مكتبات المدارس ولا أقول الفصول وأين المكتبات العامة فى مدن المحافظات . لقد استغنينا عنها بقصور الثقافة ومكتباتها فقيرة لا كتب فيها الا الهابط الذى لا يجد من يقرأه ثم نجد قصور ثقافة قد انقلبت الى دور للسـينما التافهة والندوات التى لا يحضرها الا قلة قليـلة .

حتى أننى أسميها اليوم قصورا فى الثقافة لا قصور ثقافة فهى فى مبانيها قصور وهى فيما تحويه لا ترتقى الى مرتبة العشش وقد عشنا فترة كبيرة من حياتنا نضع العناوين الضخمة على الفراغ . ونكتفى بالهتاف عن العمل وبالهتاف عن الجهد وباللهو عن الجدية .

ان الفقر الشـديد الذى تعانيه مصر فى المكتبـات العـامة يتيح الفرصة للشباب أن ينأى عن الثقافة بدعوى ـ هو محق محق فيها الى حد ما ـ أن الكتب مرتفعة الثمن وانه لا يجد مكتبات عامة .

ولو أن هذا العذر ليس مقنعا عندى بالقدر الحاسم فانى أرى اقبالا ضخما على شراء أشرطة الفيديو واستئجارها وثمن الكتاب لا يزيد على قيمة الاستئجار ويتضاءل اسيفا بجانب اثمان الشراء للأشرطة .

فالحجة ليست مقنعة ولكن من حق الشباب الذى لا يملك ثمن أشرطة الفيديو أو قيمة ايجارها أن يجد الكتاب متاحا له بالمجان فى كل مكـان .

وانى لا أنسى خطابا جاءنى من أحد الشباب بالصعيد يقول لى فيه انه لم يقرأ فى حياته الا نصف كتاب استعاره من صديق له أبى أن يتركه لديه حتى يتم قراءته .

والشباب فى القرى يقضى شهور الأجازات الدراسية الطويلة لا يجد شيئا يفعله الا لعب الرياضة .

ولست أدرى أى شيطان أوحى الى هيئات الشباب فى مصر أن تهتم بأقدام الشبان ولا تهتم برؤوسهم ٠

فالنوادى الرياضية اليوم فى كل قرية فأى ضير أن يوضع فى كل ناد دولاب يكون مكتبة لأبناء القرية وتستطيع القرى المجاورة أن تتبادل هذه المكتبات بين بعضها البعض كل فترة معينة ٠

ولماذا لا نجد فى نوادى القاهرة الرياضية مكتبات ، وفى المساجد والكنائس والمصانع ٠

ويستطيع القائمون على هذا الأمر أن يتفقوا مع الناشرين على طبع كتب عظيمة فى طبعات شعبية ٠ ولا شك أن الناشرين سيسعدون بهذا اذا ضمنوا انهم سيوزعون من هذه الكتب كميات تعود عليهم بالكسب المادى ٠ فالناشر ليس مستعدا أن يتبرع بأمواله ولكنه ينشر الكتب ليكسب منها وهذا أمر طبيعى لا يستطيع أحد أن يلومه عليه ٠

ان عبء نشر المكتبات فى القرى يقع على هيئات الشباب وعلى وزارة الثقافة وعلى وزارة التعليم وأعتقد أن ميزانية الثلاثة مجتمعين تستطيع أن تحقق هذا الأمل فى سهولة ويسر ٠ كل ما نحتاج اليه هو تضافر هذه الجهات فاذا فعلوا فان الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عمــــلا ٠

الأهرام ١٩٩١/٧/٢٢

وداعا أخا العمر

ربما لم تعرف العلاقات الأدبية أو العلاقات الانسانية مثيلا لما كان بيني وبين الراحل العظيم يوسف ادريس فقد تعارفنا في أوائل الخمسينات وكانت الصلة بيننا صلة عجيبة فربما نكون اختلفنا في كل ما نكتب من آراء في المقالات ولكننا نلتقي فاذا نحن متفقان في كل ما نقول وهكذا نختلف في كل ما كتبنا ونتفق كلما التقينا وربما كان الاستثناء الوحيد الذى اتفقنا عليه فيما نكتب يوم كتبنا عريضة الاحتجاج للمطالبة بالحرية للرئيس الراحل أنور السادات قبل حرب ٧٣ تلك العريضة التي وقع عليها أستاذنا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فقد وقع عليها معنا الراحل العزيز يوسف اديس ·· وكنا اذا التقينا أنا ويوسف وكثيرا ما كنا نلتقي في الأهرام فحجرته ملاصقة لحجرتي وطالما جمعتنا غرفة عميدنا توفيق الحكيم كنا اذا التقينا حدث بيننا هذا النوع من التجاذب الذى لا ندرى من أين ينبعث وانما هو لقاء روح بروح وأحس أنني أحبه وأرى في عينيه أنه يحبني · ولا يمنعنا هذا الذى يثق فيه كلانا كل الثقة أن يخاصم أحدنا الآخر وقد نعالن بهذه الخصومة في مقال أو في حديث اذاعي أو آخر تليفزيوني ·

ونلتقي فنتعانق ولا عتاب وانما هو حب له اردية في نفسي وحب منه لى أراه في محياه كان هذا حالنا ، أما يوسف ادريس الكاتب القصاص فأنا أعتبر قصصه القصيرة تقف شامخة مع أعظم القصص العالمية ان لم تتفوق عليها · وأعتقد أعتقادا راسخا أن يوسف ادريس هو الأب الشرعي للقصة القصيرة في عهدها الحديث · وأحسب — وأرجع لله أن يخلف حسباني فيما بقي لنا من حياة ·

وبعد فيا صديقي الذى رحل لن تبقى بيننا غير الصداقة وغير تلك الذكريات الشفيفة التي طالما جلسنا فيها وجدنا وكاشف كل منا الآخر بالدقيق المستخفي من أسراره ·

ويا صديقي أننا في مولدنا متقاربان لا يفصل بين ميلادك وميلادى الا شهر واحد تكبرني به فأنت ابن جيلي وأخ عمرى مهما يكن قد نشب بيننا من خلاف فالذى بيننا من حب كان دائما أكبر وأعظم · فأستودعك الله سبحانه · يا يوسف خير الودائع من خير المؤدين · أننا لله وأننا له راجعـــون ·

٣/٨/١٩٩١ الأهرام

استقيموا يرحمكم الله

نسمع هذه الجملة في كل صلاة جامعة يقولها الأمام لمن يؤمهم في الصلاة ويتبعها بقوله ان الله لا ينظر الى الصف الأعوج ·

واستقامة الصفوف خلف الامام رمز لأن تكون الاستقامة هي مثلنا الأعلى في الحياة فمالى أرى الحياة والناس فيها لا يستقيم لهم صف ولا خلق وما لى أرى الذين يتولون كثيرا من المناصب لا يستقيم لهم شرف ومادام الرؤساء ذوى عوج في أخلاقهم فالعاملون تحت رئاستهم أشد عوجا هل أصبحت الاستقامة نادرة في الحياة هذه الندرة التي نراها وما الذى أدى بالمتعرضين للحياة العامة أو بعضـــهم على الأقل لا يسيرون على الطريق المستقيم ·

ما هذه الأنباء التي تفجعنا في كل يوم بان صاحب مكان هام انتهب ما هو عليه أمين أو من كان مفروضا فيه أن يكون أمينا عليه ·
عجيب أن يحدث هذا ورئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك مثل أعلى في طهارة اليد ونقاء الذمة وشرف العمل بل هو مثل أعلى في الجهد الذى يقوم به في سبيل الوطن لا يبغى من وراء ذلك الا صوالح الأمة وما فيه خيرها ورغدها وهناؤها ·

ما لهؤلاء الرؤساء لا يتخذون من رئيس الجمهورية نبراسا لهم منيرا ونوره ساطع ومالهم لا يترسمون خطاه وهى جميعا خطى لا يحدوها الا نبالة القصد وشرف الهدف ورفعة المتجه ·

ان الشخص الذى يعمل بالحياة العامة ليس ملكا لنفسه وانما هو ملك للعاملين معه وللجمهور كافة بل وللعالم أجمع فالذى يحيد عن الشرف منهم لايسيء الى نفسه وأسرتــه فقط وانما هو يسيء الى الأمة كلها والى الناس أجمعين في وطنه وفي سمعة وطنه في جميع بلدان العالم ·

هل أصبحت الأمانة غريبة في بلادنا لا تجد لها جماعة يقدسونها ويدينون بها ·

أذكر ان أحد أصدقائي قام أمامي بعملية شريفة فقلت له باعجاب ·

أنت رجل أمين ·

فاذا به يغضب ويقول :

انما يمدح بالأمانة الخدم وانما أرفض مدحك هذا فأين الأمانة اليوم أنا لا أبحث عنها ـ والحمد لله عند الأفراد ـ وانما أبحث عنها في الجماعة وفي الذين يتولون مناصب تجعل منهم نماذج لمن يعملون معهم ·

أجد الأمانة في القلة وأفتقدها فأفقدها في بعض آخر ربما لو قيس عدده بعدد الأمناء كان قليلا ولكن الفرد الواحد غير الأمين يسيء بفعله للأمناء أجمعين ·

وأحاول أن اطمئن نفسي فأقول مع الشاعر توفيق عوضي أباظة بيتا له أحبه وأردده كثيرا :

في كل طائفة من الناس أو شاب حتى قريش لها أنف وأذناب

وهذا حق فكل جماعة من الناس لها أوشابها ولكن ان يكون الأوشاب من الذين يتولون مناصب كبرى فهي الكارثة تملأ نفوسنا حزنا وأسفا على مصير الأخلاق في بلادنا وقد روى لي أحد الأصدقاء حوارا دار بينه وبين إبنه الصبي قال الابن لأبيه :

كيف يجوز لبعض الذين يتولون مناصب أن يسرقوا وينهبوا ما ليس لهم ويختلسا من مال المفروض أن يكونوا أمناء عليه ·

وقال الأب حائرا أسفا :

يا بني أنهم قلة نادرة وهم استثناء من القاعدة العامة والاستثناء كما يقول رجال القانون لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه ·

ويقول الابن مصرا :

ولكن هؤلاء مثل لنا نحاول نحن الشباب أن نصل الى ما وصلوا اليه من مكانة ·

ويقول الأب :

ابعدهم من نظرك واتخذ من الشرفاء لك مثلا رفيعا .

ولكن الابن لا يقتنع .

فان الشخصية العامة يحاسبها الناس على مالا يحاسبون عليه الآخرين ممن لا يتعرضون للحياة العامة ويصبحون فيها رموزا .

وأذكر قصة وقعت لى تريك الى أى مدى يحاسب الناس الشخصيات العامة .

كتبت مقالا بالأهرام ذكرت فيه اننى كنت فى مجلس الشورى أجلس خارج القاعة فى غرفة الأعضاء وأتابع الجلسة من مكبر الصوت الرابض فيها لينقل للجالسين بها وقائع الجلسة وسمعت اسمى يتردد فى داخل القاعة فقلت فى المقال اننى أطفأت سيجارتى وسارعت الى القاعة لاشهد ما دعا المتكلم أن يذكر اسمى .

وما هى الا أيام حتى جاءنى خطاب من أحد القراء يلومنى فيه أشد اللوم اننى كتبت فى المقال اننى أطفأت سيجارتى ويقول صاحب الخطاب ما معناه ألا تدرى انك شخصية عامة وان كثيرا من الشباب يطيب لهم أن يقلدوك وقد تدعو بجملتك العارضة هذه من لا يدخن منهم أن يصبح مدخنا كيف تقبل هذا على ضميرك وحين فكرت فيما قال صاحب الخطاب وجدته محقا ووجدت نفسى مخطئا وأقلعت عن التدخين فاذا كان الجمهور يحاسب الشخصية العامة على سيجارة يذيع انه يدخنها فكيف حسابه لمن يذاع عنه انه اختلس أو قبل الرشوة أو خان الأمانة اللهم الطف بمصرنا العظيمة وانر السبيل لأصحاب المناصب فيها اللهم وأجعل صفهم مستقيما اللهم أننا نعلم أنك لا تنظر للصف الأعوج فأقم الصف للناس أجمعين وخاصة لمن كان منهم مثلا ونبراسا أنك سميع مجيب .

الأهرام ١٩٩١/٨/١٢

أهي حشرجة ؟ !!

سبحان الله العظيم ما هذا الذى يحدث فى مصر التى تشرئب فى سماء عاصمتها ألف مئذنة تصيح « الله أكبر » خمس مرات فى اليوم كيف طغى الشيوعيون عليها هذا الطغيان الباغى الذى لا يبقى ولا يذر وكيف سيطروا على صحافة مصر واذاعة مصر وتليفزيون مصر وثقافة مصر هذه السيطرة العارمة وكيف طفوا على سطح الاعلام والثقافة بهذا الجبروت وهذا العنفون ..

أكل هذا وليد السنوات السود التى كانوا فيها يسيطرون على الحكم وعلى كل المناصب الاعلامية والتى استطاعوا فيها أن يمنعوا الاحتفال بمولد سيد البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقاموا هم احتفالا بمولد لينين !؟

ما أحسب ذلك .. لا .. ان شيئا جديدا حدث .

أيكون انهيار الشيوعية وفناؤها وتحطيم آلهتها وقواعدها فى البلاد التى شقيت بها فى العالم أجمع هو الذى فجر الشيوعية الاعلامية فى مصر.. أتكون أصواتهم حشرجة الموتى وهم يرون حصونهم تندك وأعلامهم تحترق ونظريتهم تدوسها أقدام من عاشوا فى ظلها سنوات وسنوات ؟!

كيف يستقيم هذا ؟ ..

روسيا كبيرة الشيوعية وصنمها الأعظم تحطم الشيوعية وتمحقها وتختار رئيسا فيها من المتطرفين فى الحرية والديمقراطية ومصر يسيطر الشيوعيون على صحافتها واعلامها وثقافتها بهذا الجبروت وما هذا الانقلاب الذى حدث بأخره بمانع أن الشعب الروسى أعلن رأيه واضحا جليا لا شبهة فيه ولا لبس .

ولتكن نتيجة هذا الانقلاب ما تكون فالأمر الذى لا شك فيه أن الشعب الروسى يرفض الشيوعية بما تحمله من قهر وجبروت وان كان

للجيش رأى غير ذلك فان الأحداث لاشك ستثبت ان الذى يصنعه الجيش بانقلابه سيؤدى الى دمار محقق للاتحاد السوفيتى وجمهورياته المختلفة وان تمكن الجيش من ولاية روسيا فماذا هو صانع بالولايات الأخرى التى تطالب بالاستقلال ؟!

لقد سقط صنم الشيوعية الى الأبد وليس له عودة مهما يفعل الانقلاب العسكرى .. وأنا أكتب هذا الحديث فى اليوم الذى أعلن فيه الانقلاب والى أن يظهر هذا المقال الله وحده يعلم الى أى مصير ستسير الأمور فى الاتحاد السوفيتى . ان للشيوعيين بينهم نقيقا مثل نقيق الضفادع اذا صات رئيسهم أو كبيرهم الزعيم صاتوا من ورائه وصنعوا هذا النقيق الذى يحطم الهدوء ويسحق الطمأنينة ولا يقول شيئا مالهم اليوم يصرخون فى كل جريدة وكل اذاعة وكل تليفزيون ماذا أصاب مصر ؟

أنا أعلم ان فيهم صفاقة لا تتأتى لغيرهم أليسوا هم الذين حاولوا فى تبجح وجمود أن يجعلوا هزيمة يونية انتصارا وانتصار أكتوبر هزيمة ؟!

أوليس هم من قبل من هتفوا ان الدين أفيون الشعوب وكفروا بالله .. وليس بعد الكفر ذنب ؟

وها هم أولاء اليوم فى مصر يتصايحون بمذهبهم الذى مات ويرفعون أعلامهم التى احترقت فى حصونها العتيدة ؟

أتراهم يخشون على ما نالوه من كسب وهم يرون عالمهم فى جميع بلاد الكتلة الشيوعية يباد ويزال ويتحطم وينسحق ربما كان أمرهم كذلك فان مذهبهم هو مذهب المادة وقد فهم الشيوعيون فى مصر ان المادة هى المال وقد كانوا ومازالوا يكسبون من مذهبهم الأموال الباهظة الفاجرة وقد رأيت حياة بعضهم فأقسم ما رأيت مثيلا لها الا عند أصحاب الملايين فى بلاد البترول ورأيت بعضهم يشترى السيارة ذات الثمن الذى يقف معه القلب فى دقائق معدودات .

انهم يتعاملون مع الصحف الشيوعية فى العالم أجمع ويجمعون من وراء ذلك الأموال الباذخة يكدسونها أو ينفقونها انفاق البذخ الذى لايقف به حياء وهم — وأشهد الله — لا حياء لهم وهذا أمر طبيعى فمن لا دين له لا حياء له . وها هم أولاء يحاولون أن يحطموا كل انسان لا يكفر كفرهم وهم فى محاولة التحطيم هذا خبراء يحطمون بالتطاول وبقلب

الحقائق وبالسب وبالهجر في اللفظ أو يحاربون أحيانا بالصمت يحسبون ان صمتهم يقضى على أعدائهم ٠

ولكن الله يخزيهم فى كل ما يسعون اليه ٠

هم قادرون على مهاجمة الأعلام الكبار فى ميادين الكلمة هجوما كافرا لا عقل فيه لا يحترمون فيه أنفسهم ولا يحترمون فيه قراءهم ولا أقول ضميرهم فهم — والحمد لله — بلا ضمير ٠

يطوفون بلاد العالم يستجدون بشيوعيتهم منابع المال فينهمر عليهم المال ٠ ويبيعون أوطانهم فانهم لاشعور عندهم بالوطنية أليسوا هم من يصيحون يا عمال العالم اتحدوا أى انسوا أوطانكم واعبدوا شيوعيتكم وحدها ٠ فلا عجب أن يبيعوا أوطانهم ويقبضوا ثمن تنكرهم لبلادهم أموالا ضخمة ٠ بئست وهانت من أموال ٠ أما أنهم لهم بين الشعب وجود فهيهات وها هم أولاء خمسة نفر فى مجلس الشعب الذى يقارب أعضاؤه الخمسمائة ٠ اذن فتلك هى حقيقة رأى الشعب فيهم ٠ وأنا أعرف من أعضائهم الشيوعيين فى مجلس الشعب اثنين نجحا برغم انهما شيوعيان وليس لانهما يدينان بالشيوعية وهذان الاثنان لكل منهما أسرة ذات مكانة بين الناس فالذى انتخبهما فعل ذلك وهو كاره فانما يفعله لصلاته بأسرتيهما وليس لرضائه عن المذهب الكافر الذى يعتنقان ٠ فالمصرى مؤمن والايمان عنده هو سر حياته ووجوده وصبره ٠

فهونا يا أيها الشيوعيون فليس ذنب مصر ان رفض العالم كله مذهبكم الذى لم تر منه البلاد التى حكمها الا الهوان والمذلة والفقر والجوع ٠ فقد خدعهم المذهب السنوات الطوال وقال لهم رغيف العيش قبل الحرية فلا أعطاهم رغيف العيش ولا منحهم الحرية فما بعجيب أن تلعن شعوب الستار الحديدى الشيوعية وتسحقها فى هذه الحماسة العارمة التى قضت بها عليها ٠٠

وبعد ٠٠٠ فيا أيها الشيوعيون ٠٠

أنا لا أكتب هذا الكلام محاولا أن أحث الاعلام أن يقصف أقلامكم ولا أن يمنع أعمالكم فنحن فى عهد لا تعرفونه من حرية الرأى التى لا تعترفون بها ومن الأمن الذى يخالف مذهبكم ومن الأمان الذى لم تشهده نفس عاشت فى ظل حكمكم ٠ فى زمن الحرية فيه للجميع والطمأنينة والاستقرار والشرف فى معاملة الانسان واحترام كيانه سواء كان هذا الكيان جسد انسان أو عرضه أو كرامته أو كلمته ٠ وقد سألت يوما أحد أقطابكم :

ـ كيف تتصورون انكم تصلون الى الحكم ؟

فقال في عفوية وبلا ريث من تفكير :

ـ بالسـلاح طبعا ..

وما كنا بحاجة أن يقول ذلك فانكم لم تصلوا الى حكم اى بلد فى العالم الا بقوة سلاح .

ولكننا اليوم فى مصر نؤمن بالحرية وبالسلام وبالأمن وبالطمأنينة فأنا انما أوجه هـذا الحديث اليكم أنتم أن تضعوا على وجوهكم بعض الخجل أو تدفعوا الى دمائكم بعض لحياء .

فان لم تفعلوا وما أظنكم بفاعلين ، فانى أخاطب شعب مصر جميعا ليتبين ما تخفيه سطوركم المقيتة من كفر وحقد وطغيان والشعب المصرى من أعظم الشعوب ذكاء وفكرا ، ويقظة فهم وانما على أن أقول الحق وان كره الكافرون .

وانى أراكم اليوم تسـيطرون على الثقافـة فى الصحف والمجلات وخاصة المجلات والصفحات الأدبية . وهذا خطير لأنه يجعل الشباب من الأدباء الذين لا يدينون بالشيوعية يضطرون أن يدينوا بها أو يتظاهروا باعتناقها حتى يتاح لهم النشر فى المجلات والصفحات الأدبية وهى المكان الوحيد الذى يستطيعون أن ينشروا فيه .

وأنا بما أكتب أدعو المشرفين على هذه المجلات والصفحات أن يتقوا الله أو بعض الشرف فى الشباب ولا يرغموهـم أن يتخذوا وجوها غير وجوههم وضميرا غير ضميرهم ليتمكنوا من النشر ..

اللهم ياذا الجلال والاكرام اليك نتجه أن تنجى مصر من الماكرين المتآمرين عليها من داخلها فان عدوا واحدا فى داخل الوطن شر من ألف عدو فى خارجه اللهم أحفظ مصر كنانتك التى ذكرته فى كتابك الكريم وأيدها بروح من عندك أنك سبحانك قريب مجيب ...

الأهرام ١٩٩١/٨/٢٦

الدين والرحمة

أقرأ فى هذه الأيام للمرة الثالثة أو الرابعة — لا أذكر — كتاب تجريد الاغانى تأليف ابن واصل الحموى وتحقيق عميد الأدب العربى د. طه حسين والأستاذ ابراهيم الابيارى ، وقد طالعتنى فيه شخصية رأيت أنها جديرة بأن أنقل خبرها اليك .

انها شخصية عبد الله بن معاوية وجده جعفر ابن أبى طالب المشهور فى التاريخ الاسلامى وهو ابن عم النبى « صلى الله عليه وسلم » وهو الذى عرفه التاريخ بذى الجناحين لأنه كان يمسك بالعلم فى معركة اسلامية حاسمة فقطع العدو ذراعه فأمسك العلم بذراعه الثانية فقطعها العدو أيضا فاحتضن العلم بما بقى من ذراعيه حتى قتل وبشر النبى « صلى الله عليه وسلم » المسلمين ان الله سبحانه وتعالى قد وهب له جناحين فى الجنة بدلا من ذراعيه فعرفه التاريخ باسمه الشهير جعفر ذى الجناحين .

وعبد الله بن معاوية هذا الذى أروى عليك قصته هو حفيد ذلك الشهيد العظيم .

وهو الى جانب ذلك شاعر وقد أدهشنى انه شاعر فأنا أتصور الشاعر أو الكاتب أو الفنان رقيق الاحساس يحب الناس ويألم لبلواهم ويشفق على كل انسان .

فالشاعر أو الفنان انسان يعيش بمشاعره وبقلبه أكثر مما يعيش بجسده وحيوانية الانسان فيه .

فالفن هو رفاهية الحياة ونورها وهو المنطقة المضيئة فى الحياة التى تشيع بين الناس المودة والتراحم والحب والتآلف والخير وتقترب بالانسان الى الملائكة وتنأى به عن الجمود والظلم والقسوة والجبروت ، والفن فى جميع العصور وفى جميع ألوانه حارب الظلم والقهر والطغيان ولذلك كره الطغاة الفن النظيف الذى يأبى صاحبه أن يبيعه بالمال أو بالجاه أو بالمنصب .

فاذا عدنا الى حياة معاوية بن عبد الله وجدنا عجبا ثم إذا تقصينا خبره ما يلبث العجب أن يزول ٠

فهذا رجل ينتسب فى ارومته الى سيد البشر أجمعين فجده ابن عم النبى « صلى الله عليه وسلم » وليس هذا فقط بل ان هذا الجد هو جعفر ذو الجناحين ٠

ونتظر الى شعره فنجد شعرا جميلا يدل على أنه شاعر أصيل ذو عارضة قوية ولفظ نقى ونسج أنيق ٠ والغريب أن الكتاب يقول ان ابن معاوية كان من ظرفاء عصره ٠٠٠ وأيضا من الظرفاء الذين يفيضون على جلسائهم السعادة والحبور ــ والذين يستملحون الجملة الذكية السمات ويروون الطرف ويضفون على مجلسهم السعادة والبشر والهناء ٠

أما ظرفه هذا فلم يرو الكتاب من أمره شيئا الا انه كان مشهورا بذلك الظرف أما شعره فانى سأقدم اليك بعض نماذج منه فهو يقول :

ألا نزع القلب عن جهله وعما تؤنب من أجله
تبدل بعد الصبا حلمه وأقصر ذو القول عن عذله
فلا تركبن الصنيع الذى تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبك قول أمرىء يخالف ما قال فى فعله
ولا تتبع الطرف مالا تنال ولكن سل الله من فضله
فكم من مقل ينال الفتى ويحمد فى رزقه كله

أترى هذا الخير وهذه الفلسفة الانسانية التى تحظى بها الأبيات ؟
وأقرأ معى قوله :

إذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها عليها فلم يظهر لها أبدا فقرى
وان تلقنى فى الدهر مندوحة الغنى يكن لاخلاقى التوسع فى اليسر
فلا العسر يزرى بى اذا هو نالنى ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخرى

أبيات تدل على نفس شاعر صميم لا يأبه بالغنى ولا بالفقر فان أصابه الفقر قصر شره على نفسه وان أصابه الغنى أفاض به على أخلائه وأصدقائه واقرأ معى قوله الشهير الجهير :

رأيت حسينا كأن شيئا ملفقا فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا
وأنت أخى مالم تكن لى حاجة فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا

وأكاد أسمعك الآن تقول فأين العجب من كل مارويت ؟ اليك هذه القصة التى أوردها الكتاب أرويها بموضوعها وليس بألفاظها ·

يقول ان ابن معاوية هذا الشاعر المجيد الظريف الذى اشتهر بالظرف كان أقسى خلق الله · فقد كان أميرا لفترة قصيرة وفى أثنائها غضب على غلام له فاذا به يأمر أن يرمى الغلام الى أسفل من أعلى القصر الذى حدثت فيه هذه الواقعة فسقط الغلام ولكنه تعلق بدرابزين كان على الغرفة فأمر بقطع يده التى أمسك بها الدرابزين فقطعت وهوى الغلام الى الأرض فمات ·

جاءت هذه القصة فى آخر الحديث عن معاوية بن عبد الله فأثارت دهشتى مما جعلنى أعود الى الصفحات التى قرأتها أستعيد قراءتها فى اناة لا أفلت منها كلمة حتى طالعتنى جملة خفيت عنى فى قراءتى الأولى ازالت دهشتى وجعلتنى أدرك السبب الحقيقى وراء هذه القسوة · فان الكتاب يقول عن عبد الله ابن معاوية انه لم يكن محمود المذهب فى دينه وكان يرمى بالزندقة ويستولى عليه خلق الزنادقة الذين أشتهر أمرهم ·

اذن فالأمر كذلك حين يكفر الانسان تنعدم الرحمة من قلبه مهما يكن شاعرا عظيما أو فنانا ساطعا حتى وان كان جعفر ذو الجناحين جده لأبيــه ·

فبغير الدين والايمان فى قلب الانسان لا رحمة اذن تنتظر منه ولا تبقى منه الا هذه القسوة التى يرويها الكتاب عن الشاعر عبد الله بن معاوية · اللهم ثبت ايماننا واملأ قلوبنا بالرحمة التى هى أحب أسمائك اليك انك سميع مجيب ···

الأهرام ١٩٩١/٩/٩

ولكنهم لا إله لهم

الشيوعيون المصريون واقعون فى أزمة لا نجاة لهم منها ومع انهم يسيطرون على كثير من الصفحات الأدبية والمجلات والمجالات الثقافيه فى مصر ولكنهم واثقون أن كيانهم العقائدي قد تهدم على رؤوسهم وأصبحوا حيارى ذاهلين ولو كانوا يعرفون الله لاتجهوا اليه أن ينتشلهم من ضياعهم ولكنهم لا يعرفون الله فليس لهم ملجأ الا الكلام الهش التافه يحاولون به أن يصبروا أنفسهم على بلواهم ٠

كتب أحدهم فى جريدة كبرى كلاما عجيبا رأيت حتما على أن أعلق عليه فهو كلام يحمل ما تعودته أقلامهم من تجاهل للحقائق واعتداء على البديهات بجرأة لا تتأتى الا لهم ٠

فهم يبكون ان العالم لم تصبح فيه الا قوة واحدة تسيطر عليه ويقتبس كاتبهم جملة قالها نهرو نصها « لو لم يوجد الاتحاد السوفيتى لاخترعناه » ناسين أن الاتحاد السوفيتى لم يزل من الوجود وانما مازال قوة لها وجودها بما يملكه من سلاح خطير يستطيع أن يهدد العالم الا أن الاتحاد السوفيتى أدرك أن الشيوعية التى عبدوها سبعين عاما كانت هباء وانها أنزلت بهم الدمار والجوع والهلاك والوبال ٠

فابكوا أيها الشيوعيون اذا اردتم البكاء على الشيوعية فهى التى زالت ولا تبكوا على الاتحاد السوفيتى فهو لم يزل ولن يزول ٠

ويقول الكاتب ان الشيوعية كانت العدو الرئيسى للغرب والآن سوف يستدير الغرب ومعه روسيا بوضعها الحالى ضد الشرق كله وخاصة الاسلام ٠

من أين جاءوا بهذا الحديث ولماذا تهاجم روسيا أو أمريكا الشرق والاسلام ها نحن أولاء نرى بوش يقف من اسرائيل موقفا صلبا فى شأن مؤتمر السلام فقد أدركت أمريكا بعد موقف مصر من أزمة الخليج انها ـ الدول العربية ـ وهى القوة العظمى فى الشرق الأوسط وانها قادرة

متمكنة أن تحفظ آمن المنطقة والفضل فى هذا كل الفضل يرجع الى موقف الرئيس مبارك الرائع فى أزمة الخليج ٠

وها هى ذى روسـيا تصر على أن تشـارك فى مفاوضـات السلام والصلات بين الدول تقوم على مصالح هذه الدول ولاشك ان امريكا وروسيا يدركان الان كل الادراك ان مصالحهما هى فى ان يساندا الدول العربية ويؤيداها بكل وسائل المساندة والتأييد ٠

ويا أيها الشيوعيون لا تحاولوا أن تبكوا على الاسلام فللاسلام رب يحميه وان كان ينقصكم الدليل فحسبكم عودة الاسلام الى ربوع روسيا والى مساجدها وهم هناك عدد عديد ضخم ليس يحتاج منكم الى سند فهم قد عـادوا الى العبـادة جهرا بعـد أن كانـوا يمارسونها سرا فى عهدكم الشيوعى الاسود البغيض ٠

ويقول كاتبهم ان المستفيد الرئيسى من البروستوريكا هى اسرائيل٠ ما صلة اسرائيل بهذا الموضوع وماذا تستطيع أن تفيد منه ٠ وما الذى يجعل حكام روسـيا يرعون مصـالح دولة صغرى على حساب أمة عربية بأكملها ٠

أليس هذا هو الهراء بعينه ٠ وسبقا للأحداث بغير منطق أو دليل ٠

ثم يقول عجبا : يقول انه سمع من مستشرق سوفيتى ان الشعب الروسى أثناء الانقـلاب الخائب ظل فى البيوت بعيدا عن السـاحة التى شهدت مظاهرات قدر عددها أول يوم بعشرة آلاف وأقصى تقدير لها كان خمسين ألفا ٠ وماذا يعنى هذا العدد فى عاصمة يقدر ساكنوها باثنى عشر مليونا ٠

يا عجبا كل العجب اذن فهى الأقلية التى حطمت الانقلاب والاثنا عشر مليونا كانت تؤيده فلماذا اذن بقوا فى البيوت ولم ينزلوا الى الساحة ليسحقوا الآلاف العشرة أو الخمسين ألفا ٠

وماذا يقول الشيوعيون عن الجموع التى احتشدت حول البرلمان ترد عنه الدبابات الفـاتكة الماحقة من الجيش الأحمر هذه الجموع التى جعلت من أجسادها وأرواحها سياجا حول الديمراطية وماذا يقولون عن الشباب الأعزل وهو يضرب بيده الجندى السوفيتى المحتمى بدبابته والمدجج بالسلاح فاذا الجندى يذود عن نفسـه بيده ثم يختبىء داخل دبابته ٠

وماذا يقولون عن السيدة التى كانت تضرب جنديا فى الجيش الأحمر فوق الدبابة •

بل ماذا يقول عن الجيش السوفيتى الذى أبى أن يسحق المتظاهرين وانسحب عن البرلمان المحاط بالشعب • رافضا أن يجعل من روسيا مجرا اخرى أو تشيكوسلوفاكيا التى كان يمحقون فيها الانفس محقا حين كان الجيش الروسى تحت أمر السفاكين من الشيوعيين وماذا يقول الكاتب الشيوعى عن الدول التى حطمت الستار الحديدى وتمسكت بالحرية والديمقراطية مثل ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا وغيرها أو ماذا يقول مستشرقه السوفيتى :

أخلاط من الحديث معناها البيت القديم :

هذا كلام لـه خبىء   معنـاه ليست لنـا عقول

ويقول الكاتب الشيوعى فى محاولة مضحكة كى يبعث الطمأنينة الى نفسه ونفوس اخوانه من الشيوعيين انه برغم كل ما جرى فشعوره يؤكد له أن الكلمة الأخيرة لم تقل بعد وان اللحظة التى سيرون فيها دبابات الجيش الأحمر مرة أخرى تسير فى الشوارع ليست ببعيدة •

ويدرك مدى الهزل فيما يقول فيدعى ان هذا حدس كاتب مبدع (هكذا يسمى نفسه) وليس تحليلا سياسيا •

لا وربى لا هى بهذا ولا بذاك وانما هى أمان مخجلة وهل هناك أكثر مدعاة للخجل من كاتب مبدع يتمنى أن يرى الدبابات فى الساحات والشوارع والدبابات هى القتل والفتك والدمار •

انها أمانى الشيوعيين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره أترى مازالت الأمال تراودكم بعد أن رأيتم علم المطرقة الأحمر يدوسه الشعب بالأقدام انما هو الوهم يحاول أن يبقى على حطامكم الذى أصبح هشيما تذروه الرياح •• وماذا يقولون عن مدينة لينين جراد التى محقوا اسمها من الوجود • وماذا يقولون عن تماثيل لينين والأخرين من رموز الظلم وتدمير الانسان التى تحطمت بأيدى الشعب فى روسيا وفى كل دول الستار الحديدى الذى هوى الى غير

رجعة . أيها الكاتب المبدع هيهات لحلمك وحلم أشباهك أن يتحقق . مبدعين كانوا او كانوا غير مبدعين .

وكيف يكون مبدعا ذلك الذى يتمنى للبشر الفتك والقتل والدمار .

وشيء آخر لا أستطيع السكوت عليه ذلك الذى جاء بمجله المصور بقلم الكاتبه صافيناز كاظم من أنها رأت فى أحد العروض التى تقدمها وزارة الثقافة بعضا من الشباب أقاموا فى المسرح بناء على شكل الكعبة وترقص فوقها راقصا يدور حولها بعض اناس من المتخلفين عقليا يتخذون ملابس دراويش مجانين مجاذيب ثم انقلب البناء الذى يمثل الكعبة الى بئر من البترول ومازالت الراقصة الخليعة ترقص فوقه والحق اننى عندما قرأت ما كتبته الأستاذة صافيناز وهى ثائرة كل الثورة دهشت أن يصل الأمر فى مصر الى هذا الحد والحق ومع اننى كاتب صناعتى الكتابة أجد أن أى تعليق على هذا الذى حدث لا يصل الى ما ينبغى أن يقال .

الآن نقول حسبنا الله ونعم الوكيل فى ثقافة مصر ومجدها وشرفها الفنى الرفيع ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

الأهرام ١٩٩١/٩/١٦

قصص فى أبيـات

لى كتيب صغير عنوانه « القصة فى الشعر العربى » ، قدمت فيـه قصـائد طويلة تحكى فى مجملها قصـة ، والكتاب أو الكتيب لم يجمع الا قصائد قليلة جمعتها من بعض دواوين ، ولكنى اعتقد أننى لم اجمع فيه كل ما نظمه العرب فى هذا اللون من الشعر ٠

ولكنى اليوم أكتب عن أبيات قليلة تروى قصصا وانى اكتبها من الذاكرة فى محاولة منى أن أرفه عنك فى هذا الحر الشديد الذى نعانيه وأجتذبك من مشكل الحياة اليومية التى يحياها الانسان ليس فى مصر وحدها وانما فى كل مكان فى العالم ، وأذكر مثلا قصة عمر بن أبى ربيعة أعظم شاعر عرفه الغزل العربى وهو طبعا ليس مثل مجنون ليلى أو جميل بثينة أو قيس لبنى أو كثير عزة الذين اقتصر شعرهم على حبيبة واحدة انتسبوا اليها وانما كان يحب النساء جميعا ويتنقل بينهن فى سهولة ويسر ويكتب شعرا ويقول ان خادمته قالت له فى احدى مغامراته ٠

أهذا سـحرك النسـوان قـد خبرتـنى خبرك

حين علت به السن أقلع عن الحب والغزل جميعا وأقسـم أن يفك رقبة عن كل بيت فى الغزل ينظمه ٠

خرج وهو فى توبته الى الكعبة فوجد بها فتى وفتاة يتناجيان فقال لهما أهذا مكان يصلح للمناجاة ؟ فعرف أن أبا الفتـاة يأبى أن يزوجها لفتاها لفقره ولأنه لا يستطيع أن يقدم الى أبيها المهر الذى يقدره لابنته فصـحب الفتاة والفتى الى أبيها وقدم المهر من ماله الخاص وتزوج الحبيبـان ٠

ولكن الواقعة راحت تعيد الى ذاكرته ما مضى من تاريخه الطويل فى الحب والغزل ، وراحت الأبيات تنثال الى عقله وقلبه وملكه الوجوم ورأته زوجته على هذا الحال فسألته :

ـ ماذا بك ؟

فلم يطق صبرا وجاهر بالأبيات وأطلق عن كل بيت عبدا والذى أذكره من الأبيات هو :

تقول وليـدتى لما رأتـنى طربت وكنت قد اقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شـوقا وهـاج لك الهوى داء دفينـا
بربك هـل أتـاك لى رسول فشاقك أم لقيت لها خدينـا
فقلت لها لقيت أخـا محبـا كبعض زماننـا اذ تعلمينـا
فقص على ما يلـقى بهنـد فذكر بعض ماكنـا نسـينا
وذو الشوق القديـم وان تعزى مشوق حين يلقي العاشـقينا

وأعتقد أن الأبيات أكثر من ذلك ولكن هذه الأبيات تروى الواقعة كاملة ، ولهذا علقت بحافظتى ، وهكذا ترى أن الشعر حين يعتمل فى نفس الشاعر يصبح أحب اليـه من ماله فيطلقـه مهما يكن فى اطلاقـه خسارة من المال ٠

وقصة أخرى فى أبيـات للبحترى حين أهدى اليه المتوكل فرسـا ومات الفرس فى اليوم التالى فكتب البحترى اليه هذه الأبيات :

أهـديتنى أعجـوبة هى فى العجـائب نـادرة
فرسـا كان هبوبـه وشـك الريـاح الطائرة
فى ليـلة قطـع المسـافة من هنـا للآخـرة

وطبعا نال فرسا آخر بدلا من الفرس الذى جرى الى الآخرة من الدنيا فى ليـلة واحدة ٠ ولم يقـل له المتوكل ان الخلق جميعـا يقطعون المسافة الى الآخرة فى أقل من لحظة فالفرس الذى مات كان بطيئا كل البطء ولم يكن فى سرعة الرياح الطائرة كما تقول ٠

وقصة أخرى فى أبيات قليلة وأحسبها لابن الرومى ولست واثقا يقول فيها :

رأيت الفضـــل مبتسما ... ينـــاغى العيش والسمكا
فأسـبل عينــه لمــا ... رآنى قـــادما وبـكى
فلمــا أن حلفــت لــه ... بــأنى صــائم ضـحكا

وأنا معجب بهذه الأبيات وبقصتها البسيطة كل الاعجاب فان أحدا لا يستطيع أن يرويها بهذا اليسر والاحكام الا شاعر عبقرى حتى أن أحدا لا يستطيع أن يستبدل فيها كلمة بكلمة ولا يستطيع أن يزيد على الأبيات الثلاثة حرفا واحدا ٠

وأبيات أخرى لابن الرومي تشكل قصة ومنطقا متينا فى وقت معا :

نظـرت الى المرآة فروعتــنى ... طوالـــع شـــيبتين المتــابى
فأماشـــيبة ففزعــت منـــها ... الى المقراض حبـا فى التصابى
وأما شـــيبة فصـفحت عنها ... لتشــهد بالبراءة من خضـابى
فأعجب بالدليـل على مشـيب ... أقمت به الدليـل على شـبابى

وعلى هذه النسق من القصة المنطقية قول ابن الرومى نفسه :

تعممت أحصانا لرأسى برهـة ... من الحر يوما والقرور اذا سفع
فلما دهى طول التعمم لمتى ... وأودى بها بعد الاطالة والفرع
عمدت الى لبس العمامة حيلة ... لتستر ما جرت على من الصلع
فيـالك من جـان على جنـاية ... جمعت اليه من جنايته الفزع
وأعجب شىء كان دائى جعلته ... دوائى وأعجب بـأن نفــع

أترى استطعت أن أروح عنك بهذه الأبيات التى ذكرتها لك وهل ترانى استطعت أن أنتزعك لحظات فى التفكير فى الحر وأزمات الحياة ؟ فان كنت فعلت فانى سعيد وان لم فحســبى اننى حاولت ٠ وأرجو ألا يحاسبنى علماء الشعر فانى أروى كل هذا الذى كتب من الذاكرة وقد تكبو بى الذاكرة ولا لوم عليها فهى تحمل أكثر مما تطيق ذاكرة أن تعى ٠

والله المستعان ٠٠

الأهرام ١٩٩١/٩/٣٠

عشر سنوات مباركه

عشر سنوات لم نقصف الدولة قلما لكاتب ولم تصادر صحيفة ولم تنتقم من معارض عشر سنوات مرت ــ وليس كل قلم نزيها ــ بل بين الأقــلام ما هو مشبوه أو ماجور وبينها ما يحاول أن يقيم لنفســه بطولة ورقية على حساب رئيس الجمهورية فلم يفكر الرئيس ان يحاصر ذلك القلم ولا صاحبه ولا فكر أن يحجب عنه الحرية أو يرد عنه ما يتمتع به الانسان من حقوق ٠

ورئيس الجمهورية انسان يغضب ويسر ويسخط ويبتهج فما رأينا غضبه على مصرى يتحول الى عقاب أو حتى عتاب وانما يبقيه مستسرا فى دخيلة نفســه فى غير ثورة ولا حفيظــة ناظرا الى قوله سبحانه وتعــالى « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » ٠

فهو الانسان حين يكون الانسان فى قمة الرقى والرقة وفى أوج الرفعة عن الضغن والبعد عن القسوة ٠

عشر ســنوات والمصريــون ينعمون بالأمن فلا يخيــط بهم الــذعر أو الخوف ولا يتحلقهم الجبروت ولا القهر ولا يتعرض عرض رجل منهم أو سيدة لقهر الدولة أو تمزيقها والخوف هو شر ما يتعرض له الانسان وحسبنا قول الله سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف » رحمة منه جل شأنه وتقدست أسماؤه أن يبلو عباده بالخوف كله ٠

عشر سنوات فى مصر اختفت فيها كلمة الاعتقال السياسى اختفاء تاما واختفى فيها كل زائر بغيض ٠

عشر سنوات ــ وزعيم مصر يعمل من أجل مصر لا من أجل زعامة شخصية فاذا مصر تستعيد مكانتها من الذروة العالمية واذا الزعامة الدولية تســعى الى زعيم مصر فيجمع حكام العــالم ورؤساؤه على اجلالة واكباره والاعجاب به ٠

عشر سنوات وقف فيها كلها مواقف الشرف والحق والانتصار للخلق الأسنى والمثل العليا والوقوف بجانب الحق والحق ذو مخاطر ومحاذير فالطغاة ركرهون الحق كما يكرهون العدالة والذى يحاول أن يحملهم على الجادة أو يعارضهم يطلقون عليه كل ما تعرفه البشرية من أسلحة بخيسة ويأمرون كتابهم ــ فكتابهم لا يكتبون الا بالأمر ــ ان ينهشوا صـــاحب العدالة المؤمن بالحق بأسنانهم ويقرأ محمد حسنى مبارك عدوان هؤلاء ويستـــغفر الله لهم ولا يحاول أن يرد عليهم فهو يعـلم عن أى مصــدر يصدرون ومن أى منطلق ينطلقون ويتكلم الرجل فى خطب كثيرة لا تفلت منه الا الكلمات النبيلة العفيفة وحتى ان عرض للطغاة فالنبالة تحيط بنقده والأدب الرفيع لا يتخلى عن لفظة يقولها ....

وقد تولى مصر وأغلب العرب يقفون منها موقفـا معـاديا فاذا هو لا يتكلم عن كل الدول العربية الا بالحسنى فاذا الذى بيننا وبينه عداوة كأنه ولى حميم .

وتعود الوحدة العربية وترجع الدول العربية الى مصر وتتخذ منها اما رؤوما وتشهد المؤتمرات النتيجة المحتومة لخلق مبارك السامى فاذا عدو الأمس القريب هو الأخ الصديق الحبيب وها هى ذى أعلام الجامعة العربية ترفرف على ضفاف النيل تجسيدا لخلق مبارك وترفعه عن مجابهة العداوة بالعداوة أو الهجوم اللفظى بمثله مقدرا ان أهون ما يكتبه كاتب هو السب والهجر والشتم والهجران وأن الحب لابد أن ينتهى عند الطرف الآخر بالحب وما خسر من عفا وماذل من أكرم نفسه عن الانتقام ..

بالحب جمع مبارك شعب مصر حوله وبالحب جمع العرب حول مصر وبالحب يعيش وبالحب يتنفس وبالحب يرتفع ولا ينبت الحب الا حبا .

وحين يرى مبارك العـدوان من دولة عربية على دولة عربية وحين يشهد الحق تنتهك حرماته يعود ذلك الصقر الذى حارب ٦ أكتوبر والذى شقت طائراته أوهام الدولة التى لا تقهر والذى استطاع بعظمته الحربية الجوية أن يؤمن النصر لجيش مصر العظيم .

ويقف فى وجه طاغية العراق ويرسل جيوشه المصرية التى لولاها لما استطاعت جيوش أمريكا وحلفائها أن تطا المنطقة .

فقد كانوا سيخشون ــ لولا مصر ــ ان يقال عنهم انهم يعتدون على الشرق الأوسط والأمة العربية ولكن وجود مصر فى الميدان أعفاهم من هذه التهمة وحتى اليوم مازالــت صـحف العراق وتـابعها الملك حسين

يهاجمون مصر ومبارك ولكنه عنهم وعن تابعهم فى شغل شاغل بالقضية العربية وما يحيط بها من مصاعب ومتناقضات وكثيرا ما يتكلم بعض الناس ولكنهم لا يقولون شيئا ٠

عشر سنوات لانرى من حسنى مبارك الا الرجولة مع السماحة والنزاهة مع الشهامة ولا نرى من بيته الا كل ما يزين البيوت ويشرفها ٠

فها هى ذى السيدة الرائعة حرمه لا تهدأ ولا يقر لها قرار باذلة أقصى الجهد فى الشئون الثقافية والصحية والاجتماعية بعيدة كل البعد عن السياسة التى هى شأن زوجها وحده ٠

وها هو ذا الطفل يجد كتابا يقرؤه فيتعلم كيف يصادق الكتاب وها هم أولاء الوزراء يهتمون بالمرضى والعاجزين تقف الى جانبهم حرم الرئيس فى حدب انسانى رفيع ٠

ألم أقل لك انه بيت يفوح منه عبق الحب للناس كل الناس فى غير مظاهر كاذبة ولا ادعاءات فارغة ولا دعاية واهية وها هما أبناهما رعاهما الله تعالى كل منهما يسعى حياته جادا لا شأن له بمكانة أبيه العظيمة ويتزوج احدهما منذ أيام فاذا زواجه لا يزيد على مجرد الاعلان الذى لابد منه ليشهر الزواج فقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى اعلان الزواج ولو بالدف حتى تصبح العلاقة الزوجية معروفة بين الناس ٠

عشر سنوات شهدنا فيها هذا وشهدنا مصر تنقلب من دولة بلا تليفونات ولا ماء قادم أو منصرف ولا كهرباء الى دولة تقف مع أرقى الدول فى بنيتها الأساسية فاذا السياحة تنتعش واذا العملة الصعبة عندنا تصبح غير صعبة ٠

عشر سنوات يحمل حسنى مبارك العبء فلا يرحم نفسه فيمن يرحم بل يعنف عليها ولا يشق بها حنانيك يا سيدى فلست ملك نفسك وانما أنت ملك مصر والعروبة كلها فارحم نفسك بعضا مما ترحم به المصريين وأرحم معاونيك فانهم وأنت بشر من البشر ولكل بشر طاقة وان كان لى شكوى خاصة فهى اننى حرمت أن أكتب رواياتى وقصصى بالرمز وفيم الرمز وأنا أستطيع أن أعلن ما أريد دون ان ألوب حوله أو ادور به والله أسأل أن يديم على هذا الحرمان وان يطيل حياة رئيسنا ويكلأه بما يحبه له من رعاية وتوفيق انه سبحانه قريب مجيب ٠

الأهرام ١٤/١٠/١٩٩١

الانتظـار والفـرج

الانتظار بالنسبة لى يورثنى أرقا شديدا يمتد حتى يتمثل عنـدى مرضا عضويا وقد اصبت بكراهية الانتظار منذ أيام الدراسة فقد كان انتظـار نتيجة الامتحان أمرا مفزعـا لى وأذكر اننى بعد أن حصلت على ليسانس الحقوق أصبت بمرض فى معدتى أدركت انه عصبى وقصدت الى الدكتور سامى جنينة رحمه الله فقال لى قد تعرضت لذعر شديد هو الذى أدى بك الى هذا المرض العضـوى ولم يكن هذا الذعر الا انتظار نتيجـة الليسانس ٠

ونحن اليوم نتعرض فى حياتنا العامة والخاصة لألوان كثيرة من الانتظار أما الأمور الخاصة فهذه شأنى أنا ولا حاجة بى ولا بالقراء أن يشركونى فيها ــ فليس بهم حاجة الى مزيد من المشاكل ٠ أما الأمور العامة فهى تهم الكافـة ومن حق الكافة أن يعرفوهـا أو يعرفوا أمثلة منها على الأقل ٠

من هذه الأمثلة الحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد وقصور جميع الأجور والمرتبات لمختلف الفئات ــ لا أستثنى الوزير ــ ان تواجه مطالب الحياة الضرورية وهذا أمر يحتاج الى انتظار طويل حتى يعتدل الميزان وتتساوى الكفتان أو تتقاربا على الاقل ٠

ومن هذه الأمثلة أيضا مشكلة المجانية فى التعليم عامة والجامعى بصفة خاصة وقد كتبت فى هذا الموضوع كثيرا ويحلو لى قبل أن أستعيد ما كتبت أن أروى واقعة لى مع عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ٠٠ ذهبت اليه بعد فترة انقطاع لم يتعودها منى فطالعنى ببيتين كان دائما يطالعنى بهما كلما تأخرت عن زيارته ٠

إن كنت أزمعت على هجرنـا   من غير ماذنب فصبر جميل
وان تبـدلت بنـا غيرنـا   فحسبنا الله ونعـم الوكيـل

فاعتذرت عن تأخيرى وبدأت أحادثه ـ ولم يكن معنا ثالث الا الله سبحانه فقلت محاولا أن أنسيه عتبه لانقطاعى عنه سألته :

ـ هل قرأت معاليك مجلة كذا ؟

ـ ماذا بها ؟

ـ مقـال عنـك ..

ـ عما يتحدث المقال ؟

ـ عن ندائك الشهير التعليم كالماء والهواء ..

فسكت الدكتور فترة ثم قال فى أسى :

ـ والله يا ثروت لا أدرى أحسنت أم أسأت بهذا النداء ..

ولم أعلق . وأرجع الى ما كنت كتبته فى موضوع مجانية التعليم وخاصة التعليم الجامعى كنت قد قلت فيما كتبت انه ليس من المعقول أن يحظى بالتعليم المجانى أصحاب الثراء الذين ينفقون على أبنائهم فى المدارس الخاصة ومدارس اللغات الآلاف المؤلفة من الجنيهات حتى اذا بلغ أبناؤهم التعليم العالى يصبح تعليمهم بالمجان ويدخلون الى المدرجات بينما تنتظرهم خارجها السيارات ذات الأسعار الفـاجرة التى لا يطيقها الا كل غنى باذخ الثراء .

وأذكر أيضا اننى قلت ان التلميذ فى التعليم الابتدائى والثانوى الذى يسقط فى الامتحان لا يجوز له أن يعيد السنة بالمجان أيضا فما دام لا يؤدى واجبه فمن واجب الدولة ألا تعطيه حقه فى المجانية .

كتبت هذا وانتظرت أن أجد له صدى بل زدت فقلت هذا الرأى فى مجلس الشورى وانتظرت وطال بى الانتظار حتى قرأت أخيرا تصريحا للدكتور العالم وزير التربية والتعليم أن هناك اتجاها أن يحجب المجانية فى الجامعة عن الذين تلقوا تعليمهم الثانوى فى المدارس الأجنبية لأن فى هذا ما يـدل على مقدرتهم الماليـة وليس من المعقول أن تمنـح المجانيـة للقادرين . كما جاء فى تصريح الوزير أيضا انه سيحرم من المجانية التلاميذ الذين يسقطون فى الامتحان فى التعليم الذى يسبق الجامعة . وعوض الله انتظارى أو قل صبرى خيرا .

وذكرت بيتين لمحمد بن يسير الرياشي يقول فيهما :

إن الأمور اذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منهـا كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبـه ... اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ومادمت أتكلم عن التعليم فان هناك حقا أجد من الحتم أن أؤديه فقد قرأت منذ قليل أن الأمير تركي بن عبد العزيز يتكفل بتعليم الطلبة غير القـادرين ليتيسح لهم الحصول على الدرجات العلمية الكبرى مثـل الماجستير والدكتوراه في جامعات أمريكا ٠

وانتظرت أن أجد تحية تقدير لهذا الأمير العظيم من أمراء العرب التي تنبيء مواقفه لها عن الشموخ والكرم وتشجيع الثقافـة ولا ننسى ما قدمه هدية لمكتبة الاسكندرية من ماله الخاص ٠

وان الذي يحجب الثناء عن الذي يستحقه جبان مثل الذي يتملق من لا يستحق ٠

فلابد من تحية أجلال وأكبار لهذا الأمير السامق ولابد أن نقدم له من الشكر بعض ما يستحقه ٠

وفي مجال التعليم أيضا لابد أن نشيد بالجامعة الأهلية هذا المشروع العملاق الذي تولى كبره الوزير العظيم حسب الله الكفراوي الذي أنشأ من المدن ما تفخر به مصر وها هو ذا اليوم يطلع علينا بمشروع الجامعـة الأهلية ويختار لها مدينـة في قلب الصحراء ليجعل منها منارة ثقافيـة ولينقل اليها خضرة العلم والحضارة فالجامعات تجتذب الى مواقعها كل مرافق التعمير ٠

ولابد أن نوجه الشكر الى رائد الصحافة العربيـة اليوم الأستاذ مصطفى أمين للجهد الرائـع الذي يدعم به هذا المشروع العملاق وانني أتوجـه الى الملايين من الجنيهات التي في حوزة المصريين وغير المصريين أجمعين ان حطمي عنك السجون التي تحتبسين فيها وسارعي الى المساهمة في هذا المشروع ترفعي العالم العربي منارة تشع العلم والمعرفة والتالق الذهني ٠ وكم كنت أرجو أن أساهم مع المساهمين ولكنني لا أملك الا هذا القلم أردد به مع المتنبي :

لاخيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

الا اننى مع هذا مصمم أنه أسهم فى هذا المشروع الضخم ولو بمبلغ رمزى سأقدمه فى اللحظة التى أجده فيها بين يدى ٠

أما أن لأصحاب الأموال الباذخة أن يقدموا أموالهم فى مشروعات تحجب عنهم صفة التخلف الذهنى والثقافى فانهم حين يسهمون فى هذا المشروع لن تضيع عليهم أموالهم وانما سترتد عليهم لا بالثقافة وانما بالمال أيضا فهو مشروع مضمون الربح ذو مستقبل مالى ٠

اللهم يأذ المن والاكرام أعقب انتظارنا بالفرج منك وابعث السخاء الى نفوس عبادك ٠٠٠

الأهرام ١٩٩١/١٠/٢١

اذاعة لندن والسلام

دأب القسم العربى باذاعة لندن منذ حرب الانتصار المصرية عام ٧٣ حتى الآن على أن يدس السم الناقع ضد مصر فى نشراته وأخباره وتعليقاته بطريقة يدركها العربى الذى يتكلم العربية ويعرف الكلمات العربية بكل معانيها ولا يدركها المشرفون البريطانيون وخاصة اذا كان الذى يترجم لهم مغرضا يخفى المعانى المختلفة للكلمة التى يدركها المتكلمون الأصلاء بالعربية ٠ فاذا كان هناك خبر فيه مديح لمصر وجدت المشرفين العرب على الاذاعة البريطانية يصدرون الخبر بقولهم ويزعم المصدر الذى أعلن هذا الخبر انه كذا وكذا فاذا كان الخبر يسىء الى مصر ، وجدت الخبر يلقيه المذيع بلغة التأكيد الذى لا يقترب اليه الشك من قريب أو من بعيد ، مع كثير من المبالغة فى أغلب الأحيان ٠

وواضح ان الذين يشرفون على القسم العربى باذاعة لندن رافضون للسلام الذى استقر بين مصر واسرائيل بعد معاهدة كامب ديفيد ٠ ومنذ أيام أذاعت لندن خبرا يفيد أن مصر لا تزال تعيش فى الحكم الشمولى وفى ظل التعذيب والهوان الذى كانت تعيش فيه قبل حكم السادات ٠ وقبل هذه الحرية العريضة التى تحياها فى ظل حسنى مبارك ٠ وراحت لندن تؤكد الخبر وتعيد اذاعته وأعلن أمره الأستاذ الكبير سعيد سنبل بجريدة الأخبار ولما لم يجد أثرا فى مصر أو همة لتكذيب الخبر والاحتجاج عليه عاد الى الكتابة مرة أخرى فى الأسبوع الماضى يستحث الجهات المسئولة أن تتخذ موقفا ازاء هذا الخبر الكاذب والذى يعرف المصريون جميعهم انه كاذب ٠ ثم كتب بعد ذلك مقالا ثالثا أوضح فيه أن اذاعة لندن بالغت كل المبالغة فى الخبر الذى نشرته مما يؤكد ما أذهب اليه من أن القسم العربى له موقف عدائى عميق ضد مصر ٠

وأنا أكتب هذا الكلام اليوم وأعلم أن بالسفارة البريطانية قسما يترجم للمسئولين فى بريطانيا ما يكتبه كتاب مصر عن لندن ٠ وأعلم أيضا اننى أثير على نفس المشرفين على القسم العربى باذاعة لندن الذين يحتفون بى فى اذاعتهم كل الاحتفاء ويقدمون الكثير من أعمالى بصورة مشرفة ٠

لكن متى كانت مصلحتى الشخصية تحول بينى وبين الوقوف بجانب مصر • ولقد تحملت فى حياتى التى نهجت فيها جميعا هذا المنهج الكثير من العنت والجور من الظالمين الطغاة ، فما استطاع شىء أن يقف بينى وبين ما أخذت نفسى به منذ أمسكت القلم حتى اليوم وأرجوا الله أن يكمل أيامى فى الدنيا وأنا فى موقفى هذا •

ويكفينى اطمئنانا الى نفسى انها باقية على ما هى عليه مع اننى حرمت من التعيين فى أى جريدة أو مصلحة أو شركة مدة خمسة وعشرين عاما وبيدى شهادة الليسانس وبيدى قلمى فما استطاع هذا الطغيان أن يغير من خلقى وظللت صادقا مع ربى وقلمى ومع القراء لا أكتب الا ما أثق انه الحق وليكن بعد ذلك ما يكون ••

ان المشرفين على القسم العربى فى اذاعة لندن يعارضون كامب ديفيد ويحقدون على مصر انها استعادت أرضها وانها تعيش حياة سلام منذ عام ٧٣ حتى اليوم •

ولست أدرى ماذا هم فاعلون اليوم أو ماذا هم قائلون بعد أن قال بعض الفلسطينيين المتطرفين انهم تسرعوا فى الحكم على معاهدة كامب ديفيد •

وهذا قول يوائم مواقفهم اليوم فى المفاوضات الجارية فى مدريد أليست هى كامب ديفيد لم يتغير منها سوى الإسم فهى اليوم معاهدة مدريد بدلا من كامب ديفيد ؟!

وقد زارنا فى مجلس الشورى وفد من حزب الليكود الاسرائيلى وقد بدأت حديثى معه بقولى ان أى دولة فى العالم لا تستطيع أن تستمر فى الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة • وان اسرائيل ستكون أكثر الدول استفادة من السلام • وقال بعضهم أن اسرائيل فقدت ستة عشر ألف مواطن فى حروبها وفى أثناء حديثه قال ان الأرض التى أعطيناها لكم •• فاستوقفه الدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس المجلس وقاطعه قائلا ان هذه الأرض التى تقول انكم أعطيتموها لنا هى أرضنا وقد بذلنا نحن فى سبيلها مائة ألف شهيد لا ستة عشر ، ونحن مستعدون أن نبذل مائة ألف أخرى فى سبيل أى بوصة من أرض مصر •• فاستخزى المتحدث وقال واحد منهم آخر موجها الكلام لى انك تقول ان أى دولة فى العالم لا تستطيع أن تستمر فى الحرب مدة ثلاث وأربعين سنة وهذا صحيح ولكن من السبب فى أن تظل اسرائيل فى حرب لمدة ثلاث وأربعين سنة ؟•

ت له فى هدوء ودون انفعال : أرجو أن تذكروا ان هذه الارض التى
مونها اسرائيــل اليوم كان اسمها فلسطين فى عام ١٩٧٤ فلم يجدوا
ة يردون بها على ما قلت ٠٠

وها هى ذى فلسطين اليوم تفاوض أسرائيل فلنعد الى اذاعه لندن
هى فاعلة ازاء هذه المفاوضـــات ٠٠ اما حال أن تساندها وتؤيد
وصات فى سبيل السلام ولا تحاول أن تظــل على موقفها المعــادى
لام ٠٠ فقد ثبت على مر الأيام ان المفاوضات هى الوسيلة المثلى لانهاء
اع بين العرب واسرائيل فهل حان لاذاعة لندن العربية أن تذكر الجهود
له المباركه التى قام بها حسنى مبارك للوصول الى هذه المفاوضات
ى تجرى اليوم أم تراها ستهتف مع الهاتفين بالحرب والدمار ٠ مع ان
لاء الهاتفين يعلمون انه لا سبيل امامنا الى السلام الا التفــاوض ٠٠
ن يبــدو أن بعض النــاس يحبون ان يسمعوا أصوات أنفسهم وهــم
ون مهما يطل بهم هذا الهتاف ومهما يكن الطريق امام هتافهم فراغا
جدوى منــه ٠

ان اسرائيل تعلم حق العلم وهى جالسة اليوم على مائدة التفاوض
ستكسب من السلام مكاسب هائلة ومهما يحاول قادتها أن يتظاهرون
شــنج والتعصب ، فهذه الحقيقــة لاشك فيها يعلمها كل مواطن فى
ائيل ٠٠ وأعظم دليل عليها هذه المظاهرات الضخمة التى سارت فى
ائيل تطالب شامير أن يخفف من غلوائه وغلظتــه القــاسية فى هذه
وضات ٠

فيا اذاعة لندن العربية ٠٠ عودى الى رشد من الأمر ٠٠ وأنتم أيها
رفون عليها أدعوا الله معنا أن يكلأ هذه المفاوضات بالنجاح والتوفيق
ود السلام منطقتنا بعد أن أحاطت بها الأهوال السنوات الطوال ٠٠٠
ه هو السلام ومنه السلام واليه السلام ٠٠٠ والسلام عليكم ورحمة
٠٠٠

الأهرام ٤/١١/١٩٩١

ابواب التــاريخ شتى

فى الاسبوع الماضى كان عيد الميلاد الرابع لحفيدتى ياسمين وذهبت ابنتى ـ عمتها تشترى لها « لعبة » وجاءت ابنتى الى ومعها اللعبة ومعها أيضا ثورة عارمة مما رأت فى دكان اللعب وحين التقطت ابنتى أنفاســها قالت لى انها وجدت هناك لعبة لأطفال فى الرابعة أو الخامسة من اعمارهم ثمنها اربعة آلاف جنيه ٠٠ نعم ان الرقم الذى نقرؤه صحيح ، انه آربعه آلاف جنيه ثمنا للعبة أطفال أغلب الامر أن تتحطم فى ساعات فان حالفها الحظ فقد يطول عمرها بضعة أيام ٠٠ تولانى حزن شديد أن يواجه العالم وليس مصر وحدها هذا الجنون الفاجر !

إن التاجر الذى اشترى هذه اللعبة يعلم علم اليقين انه سيجد من يشتريها والا لما حبس مالــه فيها فالتــاجر أدرى النــــاس بما يعرض وما لا يعرض فى دكانه ٠

ان الذين ينفقون الأموال بهذا السفه مجرمون فى حق أنفسهم وحق مواطنيهم وحق أوطانهم وحق البشرية جمعاء ، ويجرمون أعظم ما يجرمون فى حق دينهم ان كان لهم دين ٠

وحين يقول سبحانه جل علاه : « ا المبذرين كانوا اخوان الشياطين » يجعل منهم لامجرد فاسدين فسقة فجرة وانما يجعل منهم دعاة فســاد وفسق وفجور فانهم اخوان الشياطين ٠

بمثل هذا تنهار الدول وتثور الأحقاد فى نفوس الناس وتتدهور الأخلاق ويتهشم الاقتصاد ويعم الخراب ٠

وفى أشباه هذا تبددت أموال عربية ومصرية جعلت العالم أجمعه يسخر منا ومن أوجه الانفاق التى يختارها أثرياء المنطقة ٠ وهى أوجه تدعو الى الخزى والخجل مما يجعلنا ننكس رؤوسنا أمام العــالم ونغض الجبــاه ٠ وقد تكدست الأموال فى مصر فى يدى أقوام لا يدفعون عنها ضرائب لأنها ناتجــة فى الخفاء من كل المظان غير المشروعة ، فهى أما أن تكون وليدة سرقة أو نصب أو احتيال أو اختلاس من الدولة حكومة كانت

أو كانت قطاعا عاما أو تكون نتاج تجارة دنسه في المخدرات أو الرقيق الأبيض أو مصدرها رشاوى حقيرة لذوى سلطان تعفنت ضمائرهم ونحللت او لم توجد لهم ضمائر منذ خلقهم الأول ٠

وهكذا توجد هذه اللعبة ذات الآلاف الأربعة ليشتريها أمثال هولاء الذين اهتبلوا الأموال من أحقر المصادر واخسها وأشدها دناءة وحقارة ٠

أو تكون أموالا لم يبذل أصحابها في سبيل الحصول عليها اى جهد وانما وجدوا أنفسهم أثرياء دون أن يعرفوا لثرائهم سببا من سعى سعوه هم أو نهض به آباؤهم من قبل وانما أنسكب عليهم من حيث لا يحتسبون٠

ومنذ سنوات كتبت قصة العربى الذى كان بفندق نزلت فيه بلندن وروى لى نائب مدير الفندق انه فوجىء بأحد زبائنه من دول البترول يعطيه شيكا بعشرة آلاف جنيه استرليني وهو ما يساوى خمسين ألف جنيه مصرى تقريبا ، وطلب اليه أن يصرفها جميعها من البنك بعملة من ذات الجنيه الواحد ــ الاسترلينى طبعا ــ ٠

وتصور الراوى ان الرجل يريد أن يهب المنح لمن يقومون بالعمل فى الفندق ٠ فسعى لدى البنك حتى استطاع البنك أن يوفر له المبلغ الضخم بعملة كلها من ذات الجنيه الواحد ، ويقول الراوى انه اتصل بصاحب الشيك وأخبره ان المبلغ موجود بالصورة التى طلبها فطلب اليه أن يصعد اليه به فحمل المبلغ فى صندوق وساعده أحد معاونية فى حمل الصندوق الذى يحوى المبلغ وصعدا الى صاحب الشيك فى حجرته فطلب اليه أن يصرف معاونه ويجلس هو وفعل فحين استقر به المجلس قال صاحب الشيك وكان معه صديق له :

ــ اتفقت أنا وصديقى أن نشرب معا أغلى فنجان قهوة عرفه التاريخ ٠٠ وذهل الراوى ولم يصدق ما يسمع وسأل :

ــ ماذا ؟

واستمر صاحب الشيك فى حديثه ٠٠٠

ــ سوف نضع فنجان قهوة على أوراق البنكنوت ونشعل هذه الجنيهات جنيها بعد جنيه حتى تصبح القهوة صالحة للشرب ٠

وفى غمرة الأسى والحزن التى استولت على نائب مدير الفندق راح صاحب المال يحرق الجنيهات تحت اناء القهوة واحدا أثر الآخر ٠٠

أذكرتني اللعبة ذات الآلاف الاربعة بقصه حرق الأموال هذه التى كنت روايتها منذ سنوات بالاهرام فوحقك ما وجدت فارقــا بين جنون حارق الجنيهات وبين مشترى هذه اللعبــة كلاهما أحمق مافون وحارق الجنيهات أراد أن يدخل التاريخ بأنه شرب أغلى فنجان قهوة فليدخل النار اذن وليتخطفه الجحيم وبئس المصير ..

وكما أن أسفار التاريخ تحوى بين دفتيها العظماء والأدباء والفنانين، فهى تحوى أيضا القتلة والمجرمين والطغاة فليدخل هؤلاء المبذرون التاريخ اذا شــاءوا ولكنهم يدخلونه من أحط أبواب وأســفلها وأهونها على الله والناس قيمة ومكانا ..

وحسبنا الله ونعم الوكيل ..

الأهرام ١٩٩١/١١/١١

أحمـــد قــدرى

الله وحده يعلم كم ترددت ان أكتب هذا المقال عن السينما المصرية فى أيامنا هذه فقد أصبحت أعتقد ان الكتابة عن سينما اليوم مهانة للقلم ومضيعة للوقت وامتهان لشرف الكلمة ٠

فقد بلغت السينما حضيضا هى فيه متفردة غير مسبوقة فلو ان هناك جائزة للسفول والانحطاط والكذب والتشويه والعبث الوضـــيع وقلب الحقائق وافشاء الفساد والتغنى بالفسوق لكانت السينما فى أيامنا هذه هى أولى الفنون بالحصول على تلك الجائزة ٠

لست أدرى ماذا يريدون ان يصنعوا بمصر وبتاريخها وبكرامتها وبعراقتها وقيمها الدينية والانسانية ٠

وما أدرى لماذا يتآمرون على مستقبل أبنائنا وعلى ســـمعة حاضرنا ولا لماذا يسحقون الأمل فى نفوســـنا والصدق فى حياتنـا والشرف فى أخلاقنـــا ٠

ما هذا الهوان البعيد الذى تتردى اليه أفلامنا السينمائية أو عروضنا المسرحية ٠ وقد كنا من قبل نفاخر بأفلامنا وبمسرحنا على السواء الا أننى لا أريد ان أتناول أمر عروضنا المسرحية فهى فى ذاتهـــا كارثة من أعظم الكوارث لا تصلح معها الكتابة العارضة ولا الاشارة العابرة ٠

لقد أخذت نفسى منذ سنوات الا أذهب الى دور السينما حماية لنفسى من الكآبة وسوء المصير ٠ ولكن جزى الله الذى اخترع الفيديو شر الجزاء فقد اقتحم بأفلامه بيتى وأصبحت أواجهه فى عقر دارى ٠ وليس لى منه مهرب ألوذ به ولا محيد لى من مشاهدته فأنا رجل لى أعمالى الروائيـــة ومنتسب ــ شئت أم أبيت ــ الى ثقافة مصر ولا يستطيع من هو فى مثل حالى ان يتجاهل الى أى حضيض تدهورت سمعة الثقافة فى بلاده ٠

محتم على اذن ان أشاهد هذه الأفلام وأحمل قدرى على كتفى وأتابع الانهيار الوبائى المتلاحق السريع كأنه ريح عاصفة الذى أصاب الثقافة فى مصر ممثلة فى أفلامها السينمائية وفى غيرها ٠

وما أحسب ان لجوء السينما الى قصص كبار الكتاب يصلح ما فسد وتعفن من صناعة السينما وأقرب دليل على ذلك اننى شاهدت منذ فترة ليست بعيدة فيلما مأخوذا عن رواية من رواياتى فاقسم غير حانث اننى لولا اننى شاهدت اسمى مكتوبا على الشاشة فى مقدمة الفيلم ما عرفت اننى صاحب هذه الرواية التى كتبتها بدمى وأعصابى وخبرتى وحسبى الله ونعم الوكيل ٠

وما حدث لى حدث لعميد الرواية المصرية نجيب محفوظ فى فيـــلم شاهدته منذ قريب لقصـــة أعرفها له وأقدرها وأجلها تقديرا واجلالا يخالط نفسى لكل أعمال عميدنا العظيم ٠

ولعلك سائل نفسك أو سائلى ما الذى جعلك اليوم تتنـــاول هذا الموضوع والانهيار العاصف يطيح بالسينما منذ سنوات ٠

لقد شاهدت منذ أيام فيلما لن أذكر اسمه تعففا منى ان يخط قلمى اسمه وحفاظا على كرامة القارىء ان يقرأ الاسم فى مقال لى ٠

ومن عجب ــ ولو انه لم يصبح فى دنيا السينما عجب ــ ان الممثلين فى هذا الفيلم من أكبر الممثلين فى الشرق ونستطيع ان نفاخر بهم ٠ كبار الممثلين فى العالم أجمع ٠

فانه مما يثير الحزن والأسى واللوعة فى نفوسنا ان الممثلين المصريين يقفون بفنهم مع أعظم الممثلين فى العالم فكيف يسوغ لهؤلاء العمالقة ان يشتركوا فى أعمال على هذا الحال من الهبوط والانهيار والتخلف والكذب على الله وعلى الحق ٠

ربما كان المال ؟! فانهم ان أبوا ان يعملوا فى هذه الأفلام لن يجدوا أفلاما تليق بفنهم الرفيع وما يلبثون ان ينضب رزقهم ٠

ولكن الذى أعرفه ان لديهم من الأموال ما تعيا عن تبديده السنوات الطوال ولا أبالغ ان قلت ما لا تفنيه القرون ٠

أيكون هذا الذى يفعلون حرصا منهم الا يبعدوا عن الميدان ولكن الا يعلمون انه خير لهم ألف مرة ان يبتعدوا عن الميدان اذا كان الميدان على هذه الدرجة من الحقارة الموبوءة التى تشين كل من يعمل فيه ٠

أما هذا الفيلم الذى أثارنى فهو عمل يصيب مصر فى صميم ما تعتز به اليوم من حرية ومن صون لكرامة الانسان فيها فهو يصور مصر دولة بلا حرية ٠ ورجال الأمن فيها ينتهكون الحرمات بالتسمع والتجسس بالصوت والصورة معا ويعيد مصر الى أيام الاعتداء على الكرامات والأعراض والأموال وكل المقدسات الانسانية التى تنادى بها الأديان ٠

ولم يقف الأمر بهم عند ذلك بل لجأ الفيلم الى الجنس بطريقة بالغة الهوان والكذب فى وقت معا وحسبى ان أذكر ان بالفيلم موقفا يصور شابا وفتاة يرتكبان الفاحشة فى غرفة ضابط المخابرات فى مكان عمله وعلى مكتبه والضباط الآخرون يراقبون الخنا بشاشات التليفزيون واذا كنا غضبنا من أعداء مصر انهم يشومون عزتها وآباءها وكرامتها فماذا نحن قائلون عن المصريين ـ ان كانوا مصريين حقا ـ وهم يسفلون بمصر الى هذا الحضيض ٠

ان الأفلام المصرية السينمائية تنتقل فى بلدان العالم وتشاهدها الجماهير الغفيرة فى أرجاء الدنيا ٠ فهل هذا الذى يفعلون بمصر هو الذى يليق بمصر ان تقدمه الى الانسانية ٠

بلغت الثورة فى نفسى كل مبلغ وطلبت الأستاذ مدير الرقابة أسأله كيف سمحت الرقابة ان تذيع هذا الفساد على الناس فأقسم انه حاول ان يحذف كثيرا من المشاهد ولكنه لم يستطع وانه ليس المسئول عن اشاعة الفاحشة فى أفلامنا ٠

فمن المسئول اذن ٠ والى من نتجه ٠ واذا كانت الرقابة لا تتدخل فى الرأى السياسى أفلا تتدخل أيضا فى تحطيم القيم الدينية والخلقية ٠ فما الداعى لوجودها اذن ٠ ولماذا لا تلغى ونوفر على الدولة ما تستفيده من أموال ٠

انهم فى فرنسا أوقفوا الاعانة عن أفلام الجنس ٠ فاذا كانت فرنسا ترفض الأفلام التى تدعو الى هذا الفسق والفجور ٠ أفنبيحها نحن ٠

اللهم ياذا الجلال والاكرام يـا من فضلت الانســـان على كثير من مخلوقاتك أرفع عنا غضبك وأشملنا بكريم رعايتك وأنقذ كنانتك مما ينافى كتبك المقدســـة ٠

انك وحدك المجير ولا مجير سواك من قوم مأواهم جهنم وبئس المصير كلما نضجت جلودهم أبدلتهم جلودا غيرها حتى لا يموتوا فيها ولا يحيوا ضل سبيلهم وخاب سعيهم فانقذنا منهم ياذا الجلال والاكرام انك سميع قريـب ٠

١٨/١١/١٩٩١ الأهرام

القـــانون المحتضر

بحثت عن قانون اسمه « من أين لك هذا ؟ » فلم أجده ولكنى وجدت قانونا يحمل رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٥ وعنوانه الكسب غير المشروع ٠

وقد قرأت القانون وأستطيع ان أحمله لك دون داع الى تقديم مواده بالتفصيل فلست عالما قانونيا وان كنت أحمـــل ليسانس حقوق الا أننى لم أعمل بالمحاماه الا ثمانى سنوات كانت ســـنوات عجافا ولم أكسب من المحاماه الا خمسين جنيها على طول الاعوام الثمانية ٠

يذكر القانون فى مواده الأولى الخاضعين له وهم كثيرون ، منهـــم القائمون بأعباء السلطة العامة والعاملون بالجهاز الادارى للدولة وأعضاء مجلس الشعب والمجالس الشعبية المحلية وغيرهم ممن لهم صفة نيابية سواء كانوا منتخبين أو معينين وبهذا النص خضع للقانون أعضاء مجلس الشورى رغم ان المجلس لم يكن قائما حين صدور القانون ويمتد القانون فيشمل أعضاء مجالس الادارة والعاملين بالهيئات العامة والمؤسسات وأعضـــــاء مجلس الادارة والعاملين بالشركات أو الهيئـــات العـــامة أو المؤسسات أو الوحدات الاقتصادية التى تساهم الحكومة فى رأس مالها ورؤساء وأعضاء مجالس ادارة النقابات المهنية أو الاتحادات العماليـــة ولم يكتف القانون بهؤلاء بل أجاز لرئيس الجمهورية ان يضيف الى هؤلاء فئات أخـــرى بناء على اقتراح من وزير العدل اذا اقتضت ذلك طبيعة العمل ٠

ويمضى القانون بعد ذلك فيذكر العقوبات التى تقع على من يدلس فى المعلومات المقدمة منه وهى عقوبات تتأرجح بين الحبس والغرامة أو كليهما والجزاءات هينة والغرامات بمعايير السنوات الأخيرة التى نعيشها ضئيلة القيمـــة ٠

ان هذا القانون بوضعه الحالى يجعل اللص المغفل وحـده هو الذى يقع تحت طائلتـه والأغلبيـــة الكاثرة بل أكاد أقول ان جميع اللصوص خبثاء لهم قدرات متفاوتة على النصب والتحايل ٠ فالذى يسرق هو بطبيعته

بغير ضمير والذى لاضمير له كذاب بتكوينه ، واقرار الكذاب مثله لا صدق فيه ولا حقيقة ٠

ولهذا ولد هذا القانون شبه ميت حتى اننا سمعنا ـ ولست أدرى ان كان هذا حقا أو على سبيل التفكه والتندر ـ ان القانون لم يطبق الا على قلة نادرة من بينها حاضنة مولدة تعمل بالحكومة وبنت لنفسها باحدى القرى بيتا من اللبن وقدمت للمساءلة من أين لها بتكاليف بناء هذا البيت ؟!

وفى الحكم الشمولى كانت السرقة مقصورة على دهاقين الحكم وأعمدته وكبار الوزراء فيه وليس كل الوزراء وسمعنا فى هذه الأيام السود عن الحسابات فى سويسرا وغيرها وسمعنا عن حقائب الذهب وسمعنا حين أريد لنا ان نسمع عن السجاد والفراء القادم من روسيا ٠

وكان الحكم يختار لنا ما يريد ان نسمعه ويحجب عنا مالايريد ان يقال ٠

حتى اذا سطعت الحرية على بلادنا وصحافتنا ذاع ما كان سرا وشاع ما كان خفيا من قديم وحديث ٠ وأصبحنا نقرأ فى كل يوم عن سرقات واختلاسات فالصحافة الحرة وراء كل اللصوص وهم كثرة فالسرقة لم تصبح مؤممة بل انها أصبحت حلا مغتصبا للجميع بلا تفرقة وهكذا أصبح وجود المدعى الاشتراكى حتميا لمواجهة جيوش اللصوص الذين ينتهبون أموال الدولة حكومة كانت أو كانت قطاعا خاصا ٠

وعودة الى هذا القانون الذى ولد وهو محضر ٠٠ أليس من الطبيعى ان نقدم مع اقرارات الذمة التى نوقع عليها فى كل عام ما يثبت صحة البيانات التى أوردناها فى الاقرار التى لاتدل على شىء والتى نقوم بتقديمها كعمل روتينى ٠ ان هذه الفئات الضخمة لو علمت انها مطالبة بارفاق ما يثبت صحة ما تدعيه فى اقرارات الذمة لأصبح فى الأمر من الجديد ما يجعل لهذه الاقرارات قيمة ٠

وليس هذا اجراء غريبا فنحن الكتاب نقدم للضرائب فى كل عام شهادات رسمية بما نحصل عليه من أموال أثناء العام من الاذاعة والتليفزيون وغيرهما من الجهات التى نتعامل معها ٠

ان هذا القانون المسخ الذى لانجد له أى آثر فى حياتنـــا جديد ــ اذا اهتم به المشرع ــ ان يصبح قانونا ذا فاعلية ٠

ولعل هذا القانون اذا شفى من مرضه يصبح سيفا مسلطا على السارق والناهب والمختلس والمغتصب والمحتال وتاجر المحرمات اذا كان من الذين يعملون فى الحياة العامة ولعله أيضا اذا استقام ان يرد عادية الشائعات الحقيرة عن الشرفاء ٠ فالشرف سمعة وأخشى ان تكون الشائعات أسلحة قتل لقوم لاذنب لهم الا أنهم شرفاء ٠

فالشريف بين اللصوص مرفوض وسيحاربه جميع اللصوص بكل سلاح دون ان يراعوا فى حربهم حـــرمة ولا ضميرا ولا كرامة ومن أيـن للصوص اتقاء لحرمة ومن أين لهم ضمير أو كرامة ٠

اللهم قنا شر أنفسنا واحفظنا ٠٠ اللهم ممن لايخافك ولايخشاك انك أنت وحدك الذى تحمى الشرفاء منـا وتـــرد عنهم عادية من لايراعى لك ولا ذمة سبحانك اللهم تقدست أسماؤك يارب العالمين ٠

الأهرام ١٩٩١/١١/٢٥

حي بلا حيـاة

اسم يلح على حياتنا وعلى أسماعنا وآذاننا فيثير في النفوس الأسى والحزن والألم ، ذلك الأسى الذى يخالج نفوسنا كلما تذكرنا حبيبا طواه الردى وحجبه عنا الحدثان وباعدت بيننا وبينه صروف الزمان ·

والموت نهاية كل حي ، فياليت الذى يحمل هذا الاسم انتقل الى حيث سبقه أبناء الزمان من عهد آدم الى يومنا هذا ·

ولكن العزيز الذى أعنيه لا هو حي فيرجى ولا هو ميت فنحتسب فيه الله ولكنـه مازال على قيد حيـاة ولكن أى حياة انها حياة الموت خير منها ألف مرة والموت أكرم وأكثر حياة من الحياة التى يعيشها اليوم بيننا ·

أحسبك عرفت الآن ما هذا الذى لا أنا بقادر على الحديث عنـه حديث من مازال يحيـا ولا أنا مستطيع الحديث حديثى عن عزيز مات فنترحم عليه ونقمع الأسى فى نفوسنا ونرد قلوبنا الى الصبر ان كان الى صبر من سبيل ·

أحسبك عرفت الآن ذلك الكيان الذى مات وهو حي والذى لا هو غائب ولا هو حاضر · وأحسبك عرفت اسمه وتحار حيرتى فى شأنه ·

لا أطيل عليك أكثر مما أطلت ·

انه ذلك العلاق الذى عرفته مصر عملاقا فصار أكثر ضآلة من قزم وأشد حقارة من عدم ·

انه المسرح ·

والله وحده يعلم قدر ما انتابنى من حزن عميق وألم صـارخ وشقاء أخذ وأنا أخط هذا الاسم وأكتب عنه ·

وكم حاولت أن أرد نفسي عن ذكر هذه الكارثة التى تعانيهـا اليوم والتى تسمى من الدولة ومن خلق الله بالمسرح ٠

ولكنى كتبت عن السينما وتحملت ما تحملتـــه مـن عنت وعذاب وأنا أكتب عن السينما والعياذ بالله ٠

فلتتكسر النصال على النصال ولأكتبه عن المسرح وقد أصبح كيانا أبخس هوانا من السينما وأكثر منها هزالا وأحط منها هزلا ٠

قد تنبت خطأ مسرحية فى كل عام أو كل عامين تذكرنا ان المسرح لم يمت ولكن ما مسرحيـــة فى كل عام أو عامين ، ماذا تغنى هذه النبتـة الوحيدة فى حقل المسرح الواسع العريض انها تضيع كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء ثم ما يلبث اذا أمه ان يجده لايغنى شيئا ولا هو يذى قيمة تبل العطش أو تشفى اللهاث ٠

ولا فارق ثمة بين مسرح الدولة ولا المسرح الخاص ٠ المسرح جميعه انحدر الى هوة عميقة مالها من قرار ٠

أين هذا مما كان عليه المسرح وأين نحن من الفـــرقة القومية التى بدأت حياتها برواية منشىء المسرح العربى توفيق الحكيم « أهل الكهف » ؟٠

أين هذا المسرح الذى شهد روائع شوقى وعزيز أباظة وتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير وسعد وهبة وغيرهم ٠٠ وان غيرهم لكثير ٠

اذا كان المسرح قد أفلس فلماذا لايعيد الى الحياة مسرحيات هؤلاء العمالقة والمسرحيات العالمية الأخرى التى نالت الاعجـــاب والاكبـار من جماهير المشاهدين ٠

كنا حين نذهب الى المسرح تخفق قلوبنا فرحا ان سنستمتع بالفن الرفيع الشريف النبيل من ممثلين هم فى القمة ونص رائع واخراج واع عميق الفهم لما يقدمه الى الناس ٠

أين مسرح الريحانى الذى كنـا نشاهد مسرحياته عشرات المرات ونضحك كما لايضحكنا شىء فى الحياة وكاننا نشاهد المسرحية لأول مرة كان الممثلون فى مسرح الريحانى يحترمون الجمهور فيحترمهم الجمهور وقد

شهدت كل مسرحياته أكثر من مرة فلم أسمع فى يوم من أيام هذه المشاهدة تعليقا واحدا مرتفع الصوت من الجمهور ولا خرج ممثل واحد عن النص وقد كنا نكاد نحفظ النصوص من كثرة ما شاهدناها ٠

أين هذا من مسرح اليوم الذى أصبح أشبه ما يكون ببؤرة مخدرات ، أعيذ السيرك ان أشبهه بالسيرك بل هو أشد حقارة من كباريه المخمورين السكارى ساقطى الكرامة ٠

ولا يقولن أحد ان الجماهير هى التى تحدد للمسرح مساره ٠ الحقيقة ان المسرح هو الذى يكون جمهوره ٠

ومسرح اليوم بانهياره الفادح هو الذى يستجلب الجمهور الذى يرضى عن التقافز والبذاءة ومداعبة أحط مالدى الانسانية من غرائز ٠

وهو الذى يسمح للجمهور ان يبادله الحوارات الرخيصة وهو الذى يجعل الممثل يؤلف مسرحية أخرى من عندياته على المسرح مما يجعل الكتاب الشرفاء والممثلين الكبار يعفون بأقلامهم وقيمتهم ان يشاركوا فى هذه المسرحيات ٠

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل يرقصون وأى رقص انه رقص لا حياء فيه ولا احترام لأسمائهم أو لماضيهم أو للناس ٠

وكل الممثلين يغنون غناء النواح خير منه لأن للنواح معنى على الأقل فى حين غناؤهم بلا معنى ولا طرب ولا نغمة ٠

سلام على المسرح فى حياته التى لا حياة فيها وسلام عليه محتضرا لايموت ولا يحيا ٠

والأمر لله من قبل ومن بعد ٠

الأهرام ١٩٩١/١٢/٢

الشرف سمعه

الشرف سمعة وتتكون سمعة الانسان من مجموع تصرفاته الصغيرة والكبيرة على السواء · أما المجرمون الذين صدرت ضدهم أحكام من المحاكم فلا شرف لهم · وسمعتهم لاتحتاج في تكوينها الى تصرفات · انهم مجرمون دمغهم القضاء بحكمه ·

انما الخطورة في هؤلاء الذين يشيع من أمورهم ما يحطم الشرف ويجعل الناس تلوك أسماءهم بالتهم التي لا دليل عليها يدينهم أمام القضاء أولئك يسيرون في الأرض مرحا يريدون ان يخرقوها أو يبلغوا الجبال طولا مادامت أحكام المحاكم لم تصمهم بما يجعل أمرهم لاشك في انحطاطه ولا شبهة في سقوطه من صفوف المجتمع السوى الى هوة المجرمين والمنحرفين الذين ضلوا السبيل ومالوا عن الطريق الكريم ·

اسم الانسان تتكون سمعته من تصرفاته مع أبناء المجتمع صغارهم وكبارهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « السنة الخلق أقلام الحق » أو كما قال · فالسنة الخلق هى التى تكون سمعة الناس والناس كل الناس لايجمعون على باطل ·

ان كل انسان معرض لكراهية بعض الناس قد يتناولونه بالباطل ولكن تصرفاته في سائر الأمور وفي معاملة الآخرين ترد عنه الباطل وتنفى الشين والسب والمهانة ان تكون هى سمعته التى أجمع عليها الناس ·

هناك تصرفات صغيرة تنبىء عن حقيقة الانسان ومدى ما يتمتع به من مكانة شريفة بين الناس أو مكانة وضيعة عند خلق الله ·

ومرة أخرى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال « من وضع نفسه في مواضع الشبهات اتهم ولا أجر له » أو كما قال : فينبغي ان يعرف الانسان كيف يعامل الحياة محافظا فيها دائما على كرامته وعلى سمعته ، أعرف أحد الوزراء من وزراء ما قبل الثورة كان يحب ان يلعب النرد ليسلى بها نفسه دون مقامرة ، زاره مرة أحد التجار وكنت معه ، وكنت أعرف ان

هذا التاجر ليس بعيدا عن الشبهات ولكنه يجيد لعب النرد اجادة تامة ، فاقترحت على الوزير ان يلاعبه فصمت قليلا ثم قال :

ـ أنا متعب الآن ولا أريد ان ألعب ٠

فحين انصرف التاجر سألت الوزير :

ـ لماذا لم تلاعبـــه ؟

فقال فى ترفع وأمانة :

ـ أتريدنى ان ألاعبه فيروح يذيع بين الناس انه لاعب الوزير فلانا ، فيتاجر باسمى وينهب الرشاوى من الناس ويوهمهم انه من الواصلين الى المراكز الكبرى ويلاعب الوزير فلانا النرد ؟ ان لم يكن الانسان حصيفا فى اختيار أصدقائه فليس جديرا ان ينال حسن السمعة بين الناس ٠

وكان هذا الوزير متواضعا كل التواضع ولم يكن يمانع ان يكون على أوثق الصلات بأشد الناس فقرا مادام شريفا حسن السمعة ٠ وقد رأيته يلعب النرد مع اناس أقل شـــأنا بكثير من هذا التاجـــر الذى أبى ان يلاعبـــه ٠

ومحمد باشا محمود له حكاية معروفة ٠ فقد تصادف حين كان وزيرا ان كان معه عند انصرافه من الوزارة وكيله الذى يعمل معه ٠ وكان الوقت شتاء ٠ وكان حاجب الوزير ممسكا بمعطف الوزير ليعينه على لبسه ولكن وكيل الوزارة أخذ المعطف من الحاجب وقام هو بالباسه للوزير ٠

ومرت الأيام وكلف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة ، وبينما هو يشاور معاونيه فى شأن اختيار الوزراء الذين سيعملون معه عرض أحدهم عليه اسم وكيل الوزارة الذى تصدى لالباسه المعطف ، فاذا محمد باشا يقول فى حسم :

ـ ان هذا الرجل أخذ معطفى من الحاجب ليساعدنى ان ألبسه ومن يقوم بأعمال الخدم لايرقى ان يكون وزيرا ٠

من مثل هذه القصص تتكون سمعة الانسان مع انها أحداث قليلة الشأن لاتمثل جرائم أو أعمالا كبرى ٠ ولكن الذى يتصرف تصرفا صغيرا فى صغار الأمور يكون فى كبارها أشد حقارة ٠

والرجل الذى يعمل بالحياة العامة مطالب ان يكون واعيا لكل تصرف يصدر عنه • فان أحدا لايرى الراشى والمرتشى ولكن أمرهما يذيع حتى لايبقى أحد يجهل أمرهما •

والفحشاء ترتكب فى الحجرات المغلقة ولكن أمرها مفضوح بين الناس أجمعين •

وأحسب أنك تذكر تلك القصة التى رويتها لك منذ قليل عن تلك السيدة التى لم تكن فى سمعتها بعيدة عن الشبهات وارادت ان تصافح محمد محمود باشا فاذا هو يضع يده اليمنى وراء ظهره ويشير بسبابة يده اليسرى يمنة ويسرة بما يعنى انه لايقبل مصافحتها •

وأحسب أيضا انك تذكر ذلك الخطاب الذى جاءنى من أحد القراء يلومنى فيه اننى ذكرت فى احدى مقالاتى اننى أطفأت سيجارتى فأرسل الى يقول الا تعرف ان كثيرا من الشباب يحب ان يقلدك وأنت رجل عام وانك بهذا الذى كتبت قد تغرى الشباب ان يسيروا على نهجك فى التدخين •

فالرجل العام محاسب كما ترى على السيجارة التى يشيع انه يشربها •• فما خطبك ان كان يرتكب جرما أو يميل عن الطريق الى فظائع الأمور ومهاوى الخطيئة •

ان السمعة لاتنشأ من فراغ وما رأينا أحدا ساءت سمعته الا كان له من سمعته النصيب الأوفر •

اللهم قنا شر أنفسنا وأحسن رأى الناس فينا انك سميع مجيب •

الأهرام ١٩٩١/١٢/٩

طاهر أبو فاشا

عرفته منذ قرابة خمسين عاما وكنت طفلا وكان يزور والدى ويقرأ له شعره وكنت أرى البشر والاعجاب على وجه أبى ولم أكن فى تلك السن أدرك الشعر الذى يلقيه الأستاذ طاهر على والدى فقد كنت طفلا لم أصل الى العاشرة من عمرى حتى اذا علت بى السن قليلا وبدأت أتذوق الشعر كنت أرى الأستاذ طاهر فى بيتنا وبدأت أسمع منه فكنت أحس فى الاستماع اليه نشوة واعجابا ومتعة تزداد كلما ازداد وعيى وحبى للشعر وكان طاهر أبو فاشا من أكثر من عرفت خفة ظل ، وذكاء حديث ، ولباقة تعليق ، ومن الأحداث الطريفة التى سمعتها منه ان أباه تأخر فى ارسال مصروفه اليه وكان يرسل الخطابات الى أبيه يتعجله ان يرسل اليه المال وهو طالب بكلية دار العلوم ولكن أباه لم يسعفه فاتفق طاهر مع صديقه المرحوم الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى ان يرسل برقية الى أبيه يخبره فيها ان طاهرا قد مات وزلزل الأب زلزالا شديدا وجاء مع ولدة طاهر الى القاهرة واستقبلهما الغزالى على باب الشقة وراحت الأم والأب يصيحان أين ولدنا أين طاهر وقادهما الغزالى الى حجرة طاهر الذى كان نائما تحت الغطاء فما ان دخل الوالدان حجرته حتى قفز من السرير وهو يصرخ لأبيه •

ـ الا تأتى الا حين أموت •

وأعطاه أبوه ما طلبه من المال وطبعا خسر مصاريف السفر الى جانب ما تجشمه من متاعب فى المجىء من دمياط الى القاهرة •

وقد كان طاهر خليقا ان يكون أعظم شعراء جيله فصياغته المنسابة الرصينة مع حداثة التعبير والقدرة الفائقة على اختيار الالفاظ الشعرية والتعمق فى اللغة مع الموهبة الباذخة كل ذلك كان جديرا بأن يجعل شعره منتشرا فى العالم العربى كله الا انه لم يكن مكثرا وقد شغلته الاذاعة وما اشتهر به من تمثيليات « ألف ليلة وليلة » عن ان ينصرف الى الشعر ويبدع فيه أكثر مما أبدع وقد سألته فقال ان الاذاعة تجعله مبلول اليد بينما الشعر لايعود عليه بأى عائد من مال وقلت في نفسي لعن الله

الفقر والغنى جميعا فقد حرما اللغة العربية من شاعر كان يستطيع ان يقف وراء شـوقى •

ومن أطرف شعر طاهر ذلك الشعر الذى قاله عن صـديق له كان يجلس معه فى مقهى كبير بميدان العتبة وأراد صديقه ان ينصرف وكان طاهر يعلم ان صديقه ليس معه أجر تذكرة الترام فعرض عليه خمسة قروش لتذكرة الترام فتأبى صديقه ورفض ولكنه ألح عليه الحاحا شديدا حتى قبل القروش وكتب طاهر فى هذه الواقعة أبياتا من أجمل أبيات الشعر العربى قال فيها وأنا أرويها من الذاكرة •

وكريم تقول حاجتـه شـيئا
ويأبى لسـانه ان يقـولا

مستبد الاباء عـوده المجـد
وقاضـاه ان يـرى مسـؤولا

لايغيب البخـار ثـرثرة النهـر
بمـد مشى اليهـا خجـولا

ومن النبل ان تعين على النبـل
وتحمى طيـوفه ان تـزولا

ومن معانى الاحسان ان تقبـل
الحسنى حفيا بها كريما نبيلا

ومن أروع شـعره قوله :

ما أشـبه الشاعر فى غمـرته
بممسـك الخنجر من شـفرته
بذود بالمقبض عـن جـوزته
يدمى فلايدمى سـوى راحتـه
ما أرحـم الشعر على قسـوته

ومن شعره الفلسفي الرائع قوله ولا أزال أروى من الذاكرة :

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ويغريه بنيله
هنو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الانسان في الدنيا ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما زاد ايقانا بجهله

ومن شعره الرائع قصيدته التي أنشدها حين دعاه أحد عظماء زمانه الى حفل في بيته لتكريم شاعر كبير نال تكريما يقول فيها ومازلت أروى من الذاكرة :

اليك وأنت أكرم من دعائي
ومنك وأنت فني وافتناني
وباسمك ياصديقي وهو معنى
بعيد فوق ماتسمو المعاني
أجوب الدهر مخمورا أغني
وأحدو ونحو ساحتك الأغاني
دعوت ووعكة تمشي بجسمي
فتمخضني وتوهن من كياني
ولو اني منعت عليك نفسي
تمرد خاطري وسعي جناني
ولو اني طويت على دهري
ضربت اليه أكباد الزمان
فلا سفري اليك ولا التنائي
ولابعد الزمان ولا المكان

تساوت كلها والحب يدني
ويبعد في بعيد منك دان

على بكاسة فلدي شعر
أدور به وأسقي من سقاني

على بها وجفت كل كأس
اذا لم ترووه مما رواني

ملاحم تسترد من الليالي
ملامح ما طواه الدائران

انى اعتبر هذه القصيدة من أروع ما قيل فى الشعر العربى .

وبعد فلابد لى فى حديثى عن الشاعر العملاق ان أشكر الأديب السعودى العظيم الشيخ عبد الحميد مشخص الذى طبع ديوان طاهر على نفقته الخاصة وأهداه الى ذويه .

رحم الله طاهرا فى الخالدين وهيأ للغة العربية من يترسم خطاه ويسير على آثاره انه سميع مجيب .

الأهرام ١٩٩١/١٢/١٦

ارجعو إذن إلى الحق

أكتب منذ كان عمري ستة عشر عاما وقد دخلت معارك كثيرة أعلم فيها كل العلم ان الذين أهاجمهم سيهاجمونني بكل سلاح وكانت خصومتي أشد ماتكون مع الشيوعيين الذين يرفض مذهبهم فكرة الدين جملة وتفصيلا . وخاصمت بالضراوة ذاتها الارهابيين من مدعي الاسلام الذين عموا عن الآيات المقدسة تنهى عن القتل والتعذيب والظلم وعن الفحشاء والمنكر والبغي وتدعو الى السلام والحب والأخوة وترى الفتنة أشد من القتل . فالاسلام يجعل الحساب لله وحده ولم يعط حق الحساب حتى لنبي الله وسيد البشر صلى الله عليه وسلم . ولو أردت ان أتقصى الآيات التي تقضي بأن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم البلاغ ويكون الحساب لله الواحد العادل لوجدتها في سور الكتاب الكريم كثيرة غزيرة قاطعة في دلالتها .

وقد علمت في أول يوم حاربت فيه الملحدين والارهابيين انهم سيضيقون بهجومي أشد الضيق . وانهم لن يدخروا وسعا في الاساءة الى بكل ما يملكون ومالا يملكون من وسائل .

وكم من خطابات تنذر بالويل والثبور وعظائم الأمور تلقيتها من الجانبين معا . منها ما يهدد بالقتل ومنها ما يهدد بدون ذلك .

وأحمد الله لم يهتز مني قلم ولم انكص عن حربي هذه للطغيان الملحد أو الطغيان الذي يتاجر بالدين ويتخذ منه وقاء له وجنة والدين بريء منهم ومما يكفرون بآياته وسلامه ودواعي الرحمة التي تشيع في جنباته جميعا وهل عند الرحمن اسم أحب من الرحمة افتتح بها كتابه وكتبها على نفسه . وبها نفتتح كل قراءة لآيات المصحف الشريف وبها نبدأ كل عمل نتمنى له النجاح والتوفيق .

أما الشيوعيون فلم يكتفوا بالخطابات يرسلونها الى كلما ظهرت لي مقالة تكشف الحادهم وتدين مذهبهم . ونحمد الله جل جلاله فقد محقت الشيوعية نفسها وانهارت أركانها وتحطمت على رؤوس الذين عاشوا بها ولها والذين يأكلون الأطايب ويشربون أغلى الخمور ويسكنون أعظم الغرف

ويركبون أفخر السيارات من جدواها واموالهـــ فكلنا يعلم ان الغالبية الكاثرة من الشيوعيين يعيشون وينفقون مما يستلبونه من الجهـات التى تحمل لواءهم وتقدم ركبهم شأنهم فى ذلك شأن الارهابيين الذين تجد معهم قوات الأمن العديد من الأموال المصرية والأجنبية على السواء يعجزون عن الافصاح عن مصادرها وقنواتها ٠

لم يكتف الشيوعيون معي بالتهديد بل انهـــم وهم يسيطرون على الاعلام المصرى قرابة أربعين عاما حتى اليوم تزداد سيطرتهم حينا وتهن أحيانا ولكنها تظل سيطرة غالبة فاجرة يحاولون ان يحاربونى باغفال أسمى دائما أو يذكره منهم كل غماز هماز لماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم ٠ وأحمد الله لم يجدوا لى من المثالب الا ما يشرفنى ويجعلهم يبوءون بالخزى ٠ وأحمد الله لم تستطع حربهـــم الضارية هذه ان ترد أدبى عن قراء مصر

واذا أراد الله نشر فضـــيلةطويت أتاح لها لســان حســود

والعالم العربى واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود. أو حقود أو عدو أو ما شئت من هذا الضرب ٠ ولا أكذبك فانى أشعر من تغافلهم بالشرف وأى شرف لى أعظم من إن تمتنع أقلامهم البخيســـة عن ذكرى ٠ أما هجومهم على بالغمز والهمز واللمز والنميمة فاشعر معه بالعزة والفخار ٠ وكم تحلقوا حول أفراد منهم ليجعلوا منهم كتابا ونشروا لهم فى الغرب والشرق وترجموا لهم بمختلف اللغـــات ولكنهم عجزوا ان يجعلوا منهم كتابا وكم حاولوا ان يردوا كتابا عن قرائهم فصاحبهم الفشـــــل والخذلان وان من لاعدو له لاقيمة له وأى مجد أعظم من ان يكون عدوك ملحدا أو طاغية ٠ نحمده سبحانه على ما وهب وعلى ما منع انه تقدســت أسماؤه هو الوهاب ذو القوة المتين ٠

وأراك تسألنى فيم تكتب هذا الذى تكتبنـــه اليـوم وانى مجيبك إن شاء الله فقد انتويت على اسم الله ان أهاجمهم مرة أخرى ولو انهم أصبحوا اليوم أهون من الهجوم بعد ان سقطت قلاعهم وأعلنت حصونهم الكبرى افلاس الشيوعية وفشلها الذريع فى مواجهة الحياة ٠

يجرى هذا العالم الشيوعى أجمع الا مصر فانهم مازالوا بها يطغون على مجلاتها الأدبية وصحفها القومية وغير القوميـــة والصفحات الأدبيـة والسياسية على حد سواء مع شاشات التليفزيون والاذاعة أيضا ٠

وقد طلع علينا أحدهم باعلان أو مانيفستو يعلن قيام يسار جديد وفي اعلانه عن اليسار الجديد اعلان عن فشل اليسار القديم الذى نفق واندثر ودفن في بلاد العالم كلها ومازالت ذيوله تتحرك بقوة فى مصر

وقد جاء فى هذا الاعلان الجديد ان الحزب الجديد يعدل عن سيطرة الطبقة ويعدل عن منع الملكية الخاصة ويقبل بين جنبـــانه المؤمنين غير المتطرفين ويسعى الى افشاء الحرية ويقف ضد الرأى الواحد ٠

الى آخر ما جاء فى المانيفستو من عناصر لاتخرج فى مجموعها عن هذا المعانى ٠

ولا أكتمك اننى عجبت كل العجب من هذا الذى يدعـــو اليـــه ويدعون انه يسار جديد ان هذا اليسار الجديد ما هو الا الديمقراطية القديمة التى ظلوا عمرهم كله يحاربونها فلماذا لاتواتيهم الشجاعة ويعلنون انضمامهم الى الديموقراطية وحل تجمعاتهم وانتهاء أمرهم كما فعل أعضاء حزبهم فى انجلترا الذين اجتمعوا وأعلنوا حل حزبهم الشيوعى وشربوا الانخاب بهذه المناسبة وحيا بعضهم بعضا وانصرفوا ٠

ولكن متى كان الشيوعيون المصريون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس لقد عاشوا عمرهم كله يخادعون أنفسهم ويضللون الناس عن حقيقتهم ٠ ومنهم من ادعى انه مؤمن بالله وبرسله وكان الحزب لايقف موقف العداء من الأديان ومنهم من يملك الأرض ويحاسب فلاحيه حسابا عسيرا لايجدونه عند من كانوا يسمونهم ٠ بالاقطاعيين ٠ وكلهم ينادى بالحرية ليقول هو ما يشاء وفى نفس الوقت يمنع غيره ان يعبر عن رأيه ٠ وكم صاحوا فى عهد الطغيان ٠ الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب وما كان أعـــداء الشعب عندهم حينذاك الا المؤمنون بالله واليوم الآخر والرافضون للظلم والطغيان ٠

متى كان الشيوعيون صادقين مع أنفسهم أو مع الناس وقد استطاعوا فى أحد الأعوام ان يمنعوا الاحتفال بمولد النبى (عليه الصلاة والسلام) واحتفلوا فى العام نفسه بمولد لينين وادعوا بعد ذلك انهـــم لايحاربون الأديـان ٠

لايقولن لى أحد لقد ماتت الشيوعية ماذا تريد لهـــا أكثر من ذلك فصحيح انها ماتت فى العالم اجمع ولكنهـــا فى مصر مازالت تحيا أقوى ما تكون الحياة ٠ ولن أمسك عن هجومهم حتى يلحق الشيوعيون فى مصر بالشيوعيين فى العالم ويخجلوا من تاريخهم البغيض ويرجعوا الى الحق فان الحق قديم والرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ٠

الأهرام ١٩٩١/١٢/٢٣

الجريمــة الســلبية

من القواعد الدستورية التى يعرفها الجميع انه لا جريمة ولا عقوبة الا بنص ·· وهذه قاعدة لابد منها والا أصبح الأمر فوضى وأصبح لكل محكمة قانونها الخاص ولكل جماعة دستورها فتنماع الحياة ويصبح العيش فيها مستحيلا لا يطيقه البشر ·

ولكن هذه القاعدة تتصل بأحكام المحاكم وحدها وقد كانوا يقولون لنا فى كلية الحقوق ان مواد القانون تنشأ ميتة لا حياة فيها ثم ينفخ فيها الروح ويجعلها ذات وجود وحياة اعمالها واصدار الأحكام تطبيقا لها ·

ولكن هناك أنواع من الجريمة تقع فى حياتنا ولا تستطيع أن تمتد اليها أيدى القانون الذى يصدر بالتشريـع ولا سبيل لطائلة العقوبة أن تمسك بها ، تلك هى الجريمة السلبية وهى جريمة تقع بالامتناع عن أفعال معينة أكثر مما تقع بأعمال ايجابية ولكنها مع ذلك أشد هولا من بعض الأعمال الاجرامية التى تعاقب عليها محاكم الجنايات ·

واليك أسوق بعض الأمثلة وفى النفوس ما فيها من أسى ولوعـة وحزن وألم ·· الطبيب الذى يلجأ اليه مريض على شفا الموت ويحتاج الى عملية عاجلة · وقد تتوقف حياته على بضع دقائق · وقد تكون حياته عماد أسرة بأكملها مكونة من نفوس بشرية عديدة · وقد يكون المريض قد واجه مرضه وهو من المال خاوى الوفاض لا يملك منه ما يواجه به هول المرض ويده الفراسـة · فان المرض خبيث مخاتل يصيب الانســان من مأمنه وينقض عليه فى كثير من الأحيان بغير انذار للمريض أن يدبر أمره ويسعى سعيه ليكون على أهبة الاستعداد حين يحين الحين ويصبح اجراء الجراحة له أمرا محتوما غير قابل للتأجيل أو لتسويف ·

ذلك الطبيب الذى صــدرت به هذه الفقرة ألا يكون مجرما قــاتلا سفاكا سفاحا حين يمتنع عن اجراء الجراحة الا اذا حصل على أجره · وويل للمرضى وذويهم مما يقدره مثل هذا الطبيب لنفسه من أجر ·

القاتل يقتل فرداً أو اثنين ولكن هذا الطبيب يقتل أسرة بأكملها لاذنب لها الا أن المرض قد فاجأ عائلها قبل أن يتهيأ للقائه وقبل أن يطمئن على أسرته حين يلقى هو ربه ·

انها جريمة من أبشع الجرائم وهى جريمة سلبية وليست ايجابية ولا يستطيع قانون أن يواجهها أو يرتب على مرتكبها عقوبة رادعة له ومانعة لغيره أن يقدم على ارتكابها ·

وأخرى :

المدرس الذى يتصدى للتدريس دون أن يعد نفسه للتدريس الاعداد الجدير بمن حمل على كتفيه هذه الأمانة الغالية · وهذه المسئولية الفادحة وأى أمانة أعظم من أن يتصدى انسان لتعليم جيل وأى مسئولية أفدح من أن تقيم نشأهم فى مستقبل غدهم أعمدة الوطن وأساسه وأطنابه وهم الأمل الذى به يعيش آباؤهم وأوطانهم فى وقت معا ·

ذلك المدرس الذى يعلم الجهل لتلاميذه أليس سفاحا هو أيضا وهو يخرب العقول الهلامية التى تبدأ حياتها على يديه · واذا بدأوا حياتهم هذه البداية المنهارة فأى غد ينتظرهم · كانت تصل الى وأنا أشرف على الصفحة الأدبية فى الأهرام خطابات تريد أن تكون مقالات بأقلام مدرسين للغة العربية · وكم كنت أروع ويتغشانى الدوار وأنا أقرأ فيها أخطاء املائية ·· أى كارثة ·· أما عن الأخطاء النحوية فحدث عنها ما شئت أن تتحدث ولا حرج عليك · فهى أكثر من الألفاظ الصحيحة اذا كان هذا هو علم المدرس فما علم التلميذ أذن أن العدم لن يقدم الا عدما ·

أليس هذا المدرس مجرما جديرا بأقصى عقوبة مع كل ظروف التشديد التى عرفتها قوانين العالم ؟

ان السارق يسرق بيتا أو بعض مال أو ذهبا أو فضة · فما الخطب هم الذى يسرق عقول أجيال ومستقبل أمم وآمال حياة ؟!

ومرة أخرى ذلك الطبيب الذى اكتفى بما تعلمه فى الكلية ولم يلاحق العلم بعد ذلك ولم يقم بما ينبغى عليه من تثقيف نفسه تثقيفا يتواءم مع مسئوليته فى فحص المريض والتوصل الى مرضه ومعرفة الدواء المناسب له ·

كنت يوما فى مجلس الشورى وجاءت الى ابنتى على غير توقع فهى لا تجيء الى فى المجلس وأخبرتنى أن أستاذنا توفيق الحكيم رحمه الله طلبنى فى البيت ليخبرنى بانه مريض مرضا شديدا • وروعت وسارعت الى بيت أستاذنا الذى كنت أعتبره بمثابة الأب وكان يتخذ منى ابنا • ووجدته فى حالة شديدة من الأعياء ووجدت عنده طبيبا شابا سبقنى اليـــه •

وسألت الطبيب عما يعانيه أستاذنا فقال يعانى شللا رعاشا قالها فى هدوء الواثق وطمأنينة العالم •

. . . . . .

وكان الدكتور أحمد عبد العزيز اسماعيل هو الذى يعالج أستاذنا الحكيم فبادرت استدعيه وما أسرع ما جاء •• وحين رآه الطبيب الشاب امتقع لونه فأغلب الأمر انه درس عليه فيمن درس • وتراجع الطبيب الشاب وكشف الدكتور أحمد • ولم يسأل الطبيب الشاب عن تشخيصه وانما قال فى ابتسامة عريضة أنف ألونزا وما هى الا أيام حتى تماثل ستاذنا توفيق الحكيم للشفاء بدواء الأنف ألونزا •

هذا الطبيب الشـــاب ألا ينبغى أن تصل اليه يد القانون ولكن كيف ؟ ••

ما أظن أن هناك سبيلا الى ذلك الا عقوبة واحدة لا يوقعها القاضى و القانون • وانما ينبغى وجوبا أن يقع العقاب من المجتمع •• ترى يمكن هذا ؟ •• كم أرجو •••• ولكن هيهات !!!

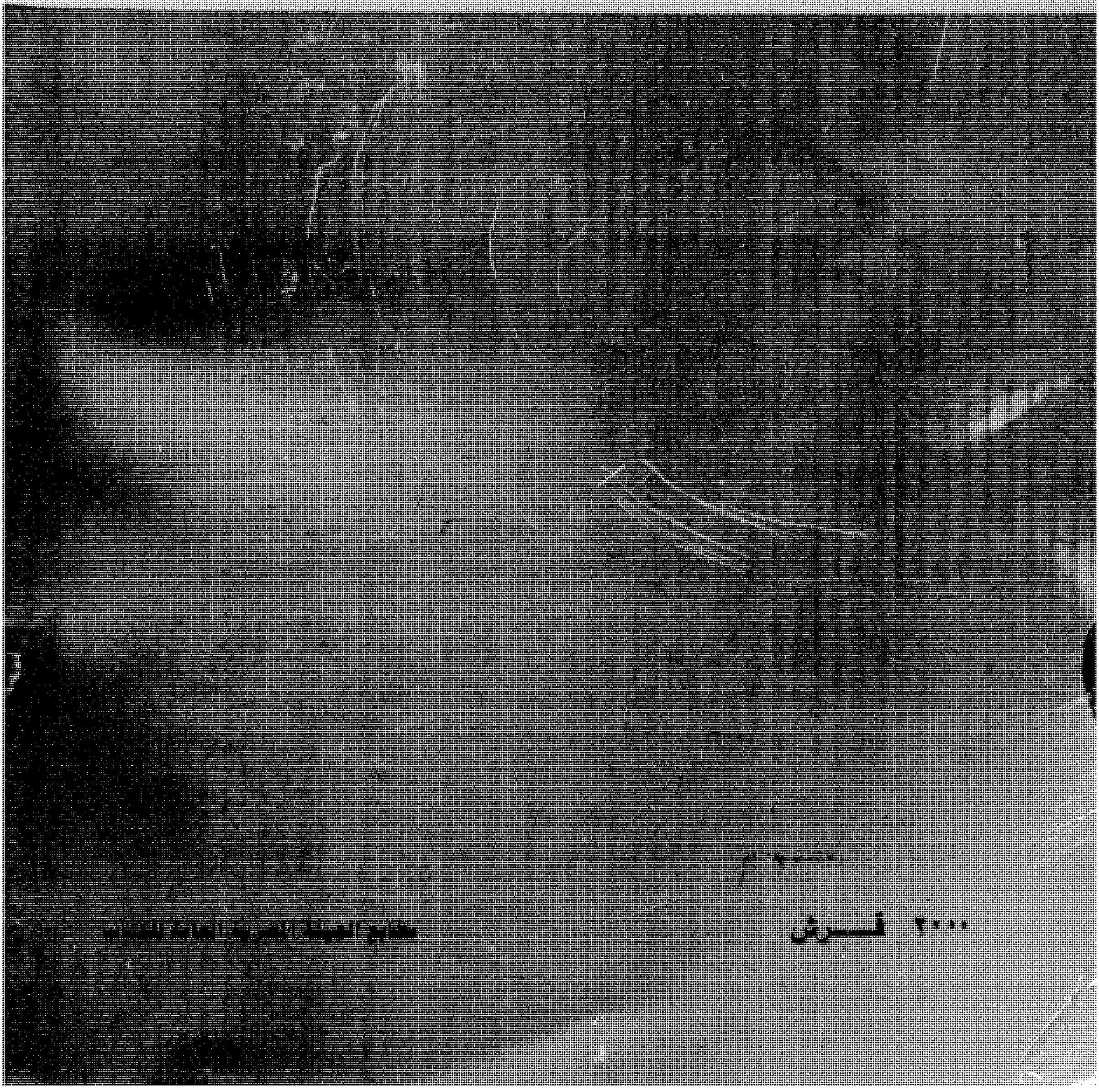
الأهرام ١٩٩١/١٢/٣٠

الفهـــــــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٣٥٩/١٩٩٩

ISBN — 977 — 01 — 5595 — 0



٢٠٠٠ قـــرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب